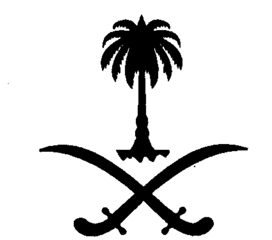
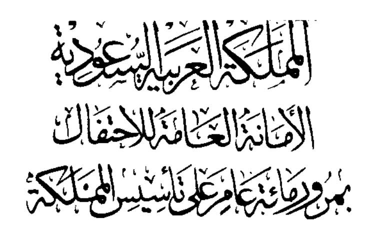






أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش

الجزء الأول

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ح الأمـانة العـامـة للاحـتـفـال بمرور مـائة عـام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو داهش، عبدالله بن محمد

أثر دعوة الشيخ محـمـد بن عبـدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، الرياض.

٨٩٠ ص ؛ ٢مج ، ١٧ × ٢٤ سم

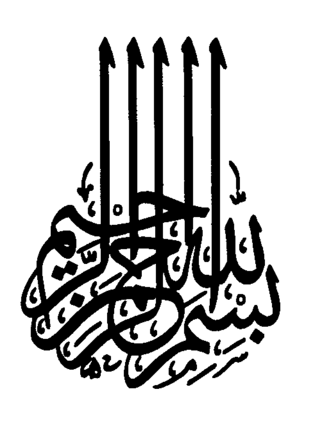
ردمك ٩-٦٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
١ - ٧٦ - ٦٦٠ - ٩٩٦٠ (ج١)

١ - الأدب العربي ـ نقد ـ الجزيرة العربية أ- العنوان.

ديوي ٨١٠،٩٩٥٣ ١٩/٤٠٧٩

رقم الإيداع : ١٩/٤٠٧٩

ردمك ٩-٦٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
١ - ٧٦ - ٦٦٠ - ٩٩٦٠(ج١)





مُقَدِّمَة

الحمدُ للّه الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووعدَ الشاكرين بمزيد من فضله العميم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللّه - جلَّ وعلا - قد أكرمَنا في هذه البلاد الطيِّبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة «لا إلهَ إلا اللّه محمدٌ رسولُ اللّه»؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتْها شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها؛ أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده؛ المستمَدِّ من كتاب اللّه وسنَّة رسوله.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينةَ الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السَّامية التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقِّه، وتسجيلاً لأبرز المكاسب، والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده، وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظلِّ دوحةِ علمٍ؛ أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولَّى غرسَها الملكُ المؤسِّس، وتعهَّدها من بعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها حتى امتد ظلها، وزاد ثمرها؛ فعمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

وهذا الكتاب يُعنى بجوانب من أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

ـ رحمه الله ـ في الفكر والأدب بجنوبي شبه الجزيرة العربية، ويبرز من خلاله مدى التزام قادة هذه البلاد ـ عبر حقبها التاريخية ـ بمنهجها القويم، والاستمرار في تطبيقه والدعوة إليه والدفاع عنه.

ولما في نشر هذا الكتاب من تيسير للباحثين بتوفير مصادر موثقة لمثل هذا الجانب، وربط للأجيال بماضي الآباء والأجداد؛ فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بطبع هذا الكتاب، ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

اللهم إنا نشكرك، ونتحدث بعظيم نعمتك علينا، وقد وعدت الشاكرين بالمزيد، فأدمْها نعمةً، واحفظها من الزوال.

وصلى اللّه وسلم، وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبدالعزيز

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن فكرة هذا البحث تعود إلى السنوات القليلة الماضية، حين حاولت التأريخ للحركة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية في القرون الأخيرة الماضية، فقد لفت نظري في تلك الدراسة التي كنت أعددتها لدراستي الجامعية السابقة وضوح الأثر الإصلاحي الذي أوجدته الدعوة السلفية - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة في تهامة وعسير، إذ ما كاد يتحقق لي ذلك حتى أخذت أدخره لدراسة علمية مأمولة، محاولا حينذاك أن أقصيه عن تلك الدراسة السابقة؛ لأن ذلك الاتجاه الإصلاحي يستحق الدراسة والبحث في صورة علمية مستقلة.

فإذا كانت الدراسات والبحوث حول هذه الدعوة السلفية قد اتسع نشاطها وكثر عددها، فإن شأن الحديث فيها مثل شأن الحديث في بعض الميادين الفكرية الأخرى التي كثر القول فيها، واتسع مجال التأليف في ميدانها. وهذا قد يفضي إلى وجود شيء من فضول الحديث الذي دفع إليه تكثُّر الباحثين، وغفلة بعضهم عن الدقة في المعلومات، وعدم الاهتمام بالتنقيب عن المصادر المطوية المهمة، فقد نُسجت بحوث معظم الباحثين حول هذه الدعوة على منوال بعض، وكانت تحوم - في الغالب - حول دراسة من سبقهم، دون البحث عن ميادين جديدة هي أزكى لدراستهم وأقرب لواقعهم الفكري. ورغم هذا لم تخل تلك الدراسات الوافرة في هذا المجال من عناية بعض الباحثين المخلصين الذين جهدوا في إظهار الحق وبيانه، وقليل ما هم.

ومع أن تلك الدراسات الوافرة حول هذه الدعوة وصاحبها قد كثرت فإن كثيرا مما يتعلق بها قد ظل بعيدا عن اهتمام الدراسين وعنايتهم. وذلك يتحقق - على سبيل المثال - في إهمال دراسة أثر هذه الدعوة في ميادين الفكر والأدب بمواطن مختلفة من الجزيرة العربية والعالم الإسلامي أجمع، وفي إغفال دراسة جوانب متعددة من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونحو ذلك. ولعل السبب في قلة مثل هذه البحوث يعود إلى ندرة المصادر وقلتها، واختفاء كثير منها في المكتبات الخاصة والعامة في بلاد العرب وغيرها. إلى جانب حاجة مثل هذه البحوث إلى الدراسة العلمية الميدانية، والرجوع إلى المخطوطات والوثائق وكتب التراث التي قلما توجد لطلبة العلم والباحثين خارج المكتبات الخاصة ونحوها، بالإضافة إلى المواقف السلبية التي وقفها الترك ومحمد علي من هذه الدعوة ودعاتها.

والحق أن معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة تهامة وعسير، تُعَدّ من أبرز مواطن التأييد السلفي في هذه الجزيرة العربية، إذ أضحت مذ قبلت أمر هذه الدعوة مراكز فكرية ذات يقظة سلفية، ونشاط مستمر في نشر مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية وتعاليمها، كما نشط الواقع الفكري في معظم تلك البلدان، واتسم بعضها بشيء من روح المعارضة. وذلك نتيجة للصراع المذهبي الذي صحب ظهور هذه الدعوة وبخاصة في بلاد اليمن، مما عُدّ من آثار الدعوة السلفية في الحياة الفكرية والأدبية بتلك الأنحاء.

وإذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد نالت شيئا من عناية الباحثين في مواطن محدودة من الجزيرة العربية، فإن أثر هذه الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية قد ظل بعيدا عن اهتمام أولئك الباحثين، وربما كان ذلك - كما قيل من قبل - بسبب ندرة مصادر هذه الدعوة بتلك الأنحاء وقلة

موادها العلمية. ولكي أتجنب ما وقع فيه دارسو آثار هذه الدعوة والباحثون في تاريخها من التعميم والتكرار؛ رأيت أن تكون هذه الدراسة محدودة من حيث الزمان والمكان؛ ولذلك تناول هذا البحث أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب ببلدان جنوبي الجزيرة العربية منذ ظهورها بهذه الأنحاء في أواخر العقد السادس من القرن الثاني عشر حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجريين [1]. وذلك لصدوف الباحثين عن الأدب بخاصة والفكر بعامة في هذا الجزء العزيز من بلادنا، بالإضافة إلى كون أثر هذه الدعوة السلفية من أسمى المضامين في أدب هذه الأنحاء، وقد استخدمت مصطلح جنوبي الجزيرة العربية لأشير إلى عسير وتهامة وصنعاء وحضرموت، وبقية بلدان اليمن الأخرى، إذ تفاوت أثر هذه الدعوة في تلك البلدان، وبخاصة في ميدان المعارضة والتأييد، ولكن هذا الحال دون شك أثّر في يقظة الفكر والأدب، وزاد في نشاطهما، ولم تُعَانِ الحياة الأدبية بهذه الأنحاء وحدها من إعراض الدارسين، ولكن الحياة الفكرية قد قاست مثل هذا الصدود، وإزاء ذلك وجدت نفسي مضطرا إلى أن أدرس أثر هذه الدعوة في ميدان الفكر؛ لكي أستطيع دراسة النتاج الأدبي وتقويمه، وهكذا أصبح الباب الأول من هذا البحث عن أثر الدعوة في هذا الميدان.

وإذا كان شحُ المصادر العلمية وندرتها قد صدَّ الباحثين من قبل عن مثل هذه البحوث، ووسم دراساتهم في أغلب الأحيان بالتعميم، فإن هذا الأمر يعد من أبرز العقبات التي صادفت البحث، إذ مر على تلك الأنحاء زمن أضاع

---

(١) قال محمد عمر رفيع في كتابه "في ربوع عسير" : « وكانت الدعوة الحديثة التي قامت في نجد إحياء لما سلف من الدعوة الدينية الإصلاحية التي ظهرت في القرن الثاني عشر الهجري » ص١١ .

الناس من خلاله معظم تراثهم، فقد حفلت الحياة السياسية والمذهبية عندئذ بكثير من الظروف المختلفة التي أتت على ذلك التراث النفيس وذهبت به، بالإضافة إلى ما أصاب هذه المصادر المخطوطة من: الأدواء، والإهمال، وعدم الرعاية، فقد تعرضت في كثير من الأحيان للغرق والحريق، وبيعت في أحيان أخرى بأبخس الأثمان وأقلها؛ ولذلك فإن صعوبة الحصول على مصادر هذا البحث المخطوطة قد استدعى العمل الدؤوب، والبحث المستمر، مما جعل العمل الميداني في هذا المجال من أصعب مراحل البحث وأشقها، إذ كان السبيل إلى الحصول على شيء من تلك المصادر والمواد العلمية يستلزم الرحلة لجمع تلك الأصول، والسفر من أجلها. وكان ذلك يحتاج إلى زيارة المكتبات الخاصة بجنوبي الجزيرة العربية والاتصال بالمعمَّرين من المفكرين وغيرهم، وارتياد أماكن الأسر العلمية المتفرقة في: تهامة، وعسير، وصنعاء، وزبيد، وبلدان اليمن المتعددة، مما وصف المراحل الأولى لهذا البحث بالمشقة والعناء.

وقد وُجد هنالك بعض المشكلات المهمة الأخرى التي واجهت هذا البحث، لعل من أبرزها ضعف النصوص الأدبية المقتبسة التي تحتاج إلى العناية والإصلاح، وذلك بسبب ما أصابها من تساهل النُسَّاخ وضعف لغتهم، إلى جانب ضعف الحس العروضي واللغوي لدى بعض الشعراء والكُتَّاب. وقد استدعى هذا الأمر جميعه: إصلاح تلك الهنات والتنبيه إليها قدر المستطاع، إذ لم يكن من شأن الدارس في هذا الميدان تعقب تلك الأخطاء وإصلاحها؛ لأن ذلك أمر قد حفل به التراث الأدبي في العصور الأدبية الأخيرة. ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى عقبة أخرى صادفت العمل في هذا البحث، وهي التمييز المنصف لأثر هذه الدعوة في ميداني المعارضة والتأييد؛ وذلك لخفاء ما قد

يحيط بالنص من ظروف وملابسات، لو اتضحت لأعانت الباحث على فهم النصوص فهما أكثر دقة، وأقوى استيعابا.

أما منهج هذه الدراسة، فقد تكوَّن من: تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، إذ خُصَّ التمهيد بظهور هذه الدعوة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وحالة الفكر والأدب فيها قبيل ذلك. وكان موضوع الباب الأول مقصورا على أثر هذه الدعوة في الفكر بهذه الأنحاء. أمَّا الباب الثاني فموضوعه أثر هذه الدعوة أيضا في النثر الأدبي بتلك الأجزاء من جزيرة العرب. وكان موضوع الباب الثالث كذلك أثر هذه الدعوة في شعر تلك المنطقة نفسها، وذلك جميعه خلال القرون الأخيرة الماضية. وإذا كان قد مُهِّد لهذه الدراسة بتمهيد مختصر عن ظهور الدعوة بهذه الأنحاء، وعن حالة الفكر والأدب فيها قبيل ذلك، فإنما يراد بهذا تحديد انتشار الدعوة ببلدان جنوبي الجزيرة العربية، وإيضاح الحال الفكري والأدبي الذي كانت عليه تلك البلدان قبل ظهور الدعوة فيها. وذلك ليتسنى للدارس معرفة الأثر الحقيقي للاتجاه الإصلاحي، الذي أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في الحياة الفكرية والأدبية بتلك الأنحاء فيما بعد.

أما الباب الأول فقد تكوَّن من أربعة فصول هي: أثر هذه الدعوة في محاربة البدع والمعتقدات الباطلة، وأثرها في المذاهب والفرق الدينية، وأثرها في التأليف والتعليم والحسبة والقضاء، بالإضافة إلى موقف العلماء بجنوبي الجزيرة العربية من هذه الدعوة وحقيقتها. والحق أن أثر هذه الدعوة الإصلاحية في تلك الميادين الفكرية قد تجلى بوضوح في نزع البدع ودفعها، وفي يقظة الفكر السني، ووفرة التأليف، وحركة التعليم، ووضوح الإصلاح الديني في ميداني الحسبة والقضاء، إلى جانب إيضاح حال العلماء من خلال مواقفهم تجاه هذه الدعوة، رغم تفاوت تلك المواقف واختلافها.

وقد قُسِّمَ الباب الثاني أربعة فصول هي: أثر هذه الدعوة الإصلاحية في الرسائل الديوانية والإخوانية، وأثرها في الخطابة والوصايا والمناظرات، إلى جانب سمات هذا النثر وخصائصه، وموقف الأدباء والمؤرخين بتلك الأنحاء من هذه الدعوة ونهجها. والواضح من تتبع الأثر السلفي لهذه الدعوة الإصلاحية في ميادين النثر الأدبي المعهودة أن هذا الاتجاه الإصلاحي قد أوجد نشاطا ملموسا للرسائل، ودعا إلى اتصال أدبي مستمر بين أدباء هذه الأجزاء وإخوانهم في نجد. كما أوجد شيئا من اليقظة الأدبية في ميادين: الخطابة، والوصايا، والمناظرات، وذلك لحاجة الأدباء والعلماء حينذاك إلى الإفادة من هذه الأنماط الأدبية، ونقل أفكارهم والتعبير عن وجهات نظرهم من خلالها، ولم يخل هذا النتاج الأدبي من السمات الأسلوبية الجديدة والخصائص المتميزة، وذلك رغم اختلاف مواقف الأدباء والمؤرخين من هذه الدعوة ودعاتها.

أما الباب الثالث فقد تكوَّن من سبعة فصول هي: أثر هذه الدعوة في شعر عسير، وأثرها في شعر رجال ألمع، وأثرها في شعر المخلاف السليماني، وأثرها في شعر اليمن، بالإضافة الى موقف الشعراء بهذه الأنحاء من أمر هذه الدعوة، والموضوعات الشعرية التي قيلت في ظلالها، إلى جانب خصائص هذا الشعر وسماته. والحق أن أثر الدعوة في ميدان الشعر يفوق أثرها في ميدان النثر. وذلك لما أحدثته من نشاط في بيئات الشعر المعروفة بجنوبي الجزيرة العربية، وما اتسم به الشعر الذي قيل في ظلالها من الخصائص المعنوية والفنية الجديدة، إلى جانب وضوح التأييد السلفي في شعر هذه الأنحاء، ووفرة نماذجه، واتساع موضوعاته واتجاهاته المختلفة.

وإذا كان قد أشير إلى نهج هذه الدراسة، وطريقة البحث فيها، فإن من الخير الإشارة إلى مصادرها ومراجعها المهمة، فالواقع أن أهم تلك المصادر

العلميـة يتـجلى في مـوادهـا المخطوطة من : الكتب، والوثائق، والحـوليـات، والمذكرات، والمواد الأدبية المختلفة، والأوراق المتفرقة ونحوها، إذ تيسر لهذه الدراسة ـ بفضل الله ـ قدر مناسب من هذه المخطوطات المختلفة، إلى جانب : الكتب المطبوعة، والرسائل الجامعية، والكتب الأجنبية، والبحوث العلمية التي لم تنشر، والدوريات، وفهارس المكتبات، والمقابلات الشخصية وما إليها. وبما أن معظم مصادر هذا البحث من المخطوطات، فإني حينما أقتبس منها نصا شعريا أو نثريا يتضمن خطأ في اللغة أو الميزان العروضي، أنبه إلى صنيعي في الهامش إن كنت أصلحته، أو أشير إلى وضعه الأساس في مصدره الذي قبست منه، كأن أقول : (هكذا في الأصل) على سبيل المثال، أو أبين وجه المقارنة بين المصادر التي اعتمدت عليها إذا تعددت نسخها أو أصولها المخطوطة. وقد حاولت جهدي في إيضاح الغامض من الكلمات، والمصطلحات المختلفة، وكنت أشير إلى مواطن العلماء، وأماكن وجود مؤلفاتهم وتأريخها، إلى جانب حرصي على خدمة النص الذي أفدت منه عن طريق ضبطه وإيضاح غامضه في الهامش ونحوه. ورغم ذلك أهملت التعريف ببعض الأسماء والأعلام الواردة في هذا البحث ومصادره؛ وذلك لوفرتها، وخشية الإسهاب في ذكرها، إذ لو سلكت هذا النهج لأفضى إلى تضخم أوراق الرسالة واتساع حجمها؛ ولذا عقدت العزم على أن يكون ذلك الأمر في عمل علمي مستقل ـ إن شاء الله ـ وهذا ما هوّن عليَّ الأمر، وصرف عزمي عنه.

وحينما أدركت أهمية الفهارس وأن وجودها من تمام البحث العلمي، رأيت أن يكون لهذا العمل شيء منها؛ لذا عملت بعض الكشّافات المختلفة، وبخاصة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والنماذج النثرية

الواردة في هذا البحث، إلى جانب كشّافات: الأعلام والأماكن والقبائل والمذاهب والفرق ونحوها، كما ضمَّنت هذه الرسالة شيئًا من الوثائق الخطية المصورة؛ وذلك لإعطاء صورة مصغرة لما اعتمدت عليه من المخطوطات التي قد تؤنس القارئ، وتكون عامل تشويق للباحثين في النظر لمثل هذه الكنوز العلمية، والعمل على تحقيقها ونشرها.

وفي الحقيقة أن هذه الأجزاء من جنوبي الجزيرة العربية قد كانت قبيل ظهور الدعوة الإصلاحية فيها مجالا لظهور البدع والمعتقدات الباطلة في غير الله، وميدانا للصراع المذهبي والتناحر القبلي، وقد أضعف هذا من حياتها العلمية والثقافية، وجعل مراكزها الفكرية مهيأة للإصلاح فيما بعد؛ إذ ما كادت تلك الأنحاء تُقبل على هذه الدعوة حتى انصرف أبناؤها إلى تهذيب أنفسهم وتطهيرها من درن الابتداع، وأخذوا في بناء حياتهم الفكرية والاجتماعية. وقد استطاعت تهامة وعسير على وجه الخصوص في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أن تظفر بالعناية الشاملة في هذا العهد السعودي الزاهر الذي انتشرت فيه المدارس، وعمَّت وسائل الثقافة أنحاء البلاد، وانفتح المجال العلمي لكل باحث عن العلم والمعرفة.

ومهما يكن من أمر فإني لا أدَّعي الإحاطة بمظاهر أثر هذه الدعوة الإصلاحية في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، وحسبي أني بذلت جهدي ما وسعني ذلك، وأني نبهت إلى أهمية مثل هذه الدراسات الميدانية التي من شأنها إبراز الواقع الفكري والأدبي لكثير من المراكز الفكرية المنسية بهذه الجزيرة العربية الواسعة، فقد بات من المستحسن العناية بمثل هذه البحوث والتوجيه إليها. ولن تعدم هذه البلاد - إن شاء الله - عناية أبنائها البررة، ولا جهودهم المخلصة الصادقة، وما توفيقي إلا بالله، عليه متكلي وإليه مآبي.

وفي ختام قولي أشكر الله أولاً، وأعترف بفضله عليّ، إذ هداني لمثل هذه الدراسة ويسَّر لي سُبُل البحث فيها، كما أشكر القائمين على هذه الجامعة الإسلامية[1] الذين هيؤوا سبل الدراسة لطلبة العلم والباحثين عن المعرفة، وأود أن أشير إلى جهود الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله[2] ـ الذي أُسند إليه الإشراف على هذه الرسالة بادئ ذي بدء، فإن الواجب والوفاء يدعواني أولاً إلى الترحم عليه وطلب المغفرة له، وثانياً أن أبيِّن أني قد أفدت من مشورته وتوجيهه حينما شرعت في جمع مادة هذا البحث. ولما فضل العودة إلى بلاده - رحمه الله - أسند الإشراف إلى الأستاذ الدكتور محمد ابن سعد بن حسين الذي رعى مسيرة هذا البحث بصبر وروية، وبذل في سبيله من وقته وجهده. وكان لا يبخل عليَّ بالتوجيه والنصح والفائدة؛ إذ كان نهجه في هذا الإشراف نهج العلماء في تواضعهم وتوجيههم ومتابعتهم العلمية الدقيقة، فجزاه الله عني خير الجزاء، كما أشكر من أسهموا في تيسير الحصول على مصادر هذا البحث، وأخص بالذكر القائمين على المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، وأشكر أولئك الأكارم من حفظة العلم بتهامة وعسير على ما كان لعونهم العلمي من أثر في العثور على مواد هذا البحث وأصوله، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الله أبو داهش

كلية اللغة العربية، جامعة الملك خالد بأبها

---

(١) أصل هذا الكتاب رسالة علمية، حصل بها المؤلف على درجة الدكتوراه، من كلية اللغة العربية بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك مساء السبت ٢٢/ ٦/ ١٤٠٤هـ، أمام لجنة مكونة من: الأستاذ الدكتور/ محمد بن سعد بن حسين ـ رئيساً، والأستاذ الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد ـ عضواً، والأستاذ عز الدين الأمين ـ عضواً.

(٢) توفي - رحمه الله - في ١٠/ ٣/ ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٢م.



بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ عبد الرحمن
بن حسن ابن محمد ابن عبد الوهاب ابن سليمان ابن علي ابن
محمد ابن احمد ابن راشد ابن بريد ابن محمد ابن بريد ابن
مشرف ابن عمر ابن معضاد ابن زاخر ابن محمد ابن وهيب ابن
قاسم ابن موسى ابن مسعود ابن علقمة ابن ادريس ابن مسعود
ابن حارثة ابن عمر ابن ربيعة ابن ساعدة ابن كعب ابن عوف
ابن ثعلبة ابن ربيعة ابن ملكان ابن عبد مناف ابن تميم
ابن طابخة ابن الياس ابن مضر ابن عبد الرحمن ابن حسن ابن
نزار ابن معد ابن عدنان قال الشيخ المذكور عبد الرحمن
ابن حسن واما ما طلب من رواتي عن مشايخي فاقول اعلم اني
قد قرأت على شيخنا الشيخ الامام الجد شيخ الاسلام رحمه
الله تعالى كتاب التوحيد من اوله الى اخره وابواب السير وجملة من
اداب المشي الى الصلاة وحضرت عليه مجالس كثيرة في
البخاري والتفسير وكتاب الاحكام بقراءة شيخنا الشيخ ابنه
عبد الله رحمه الله تعالى وشيخنا الشيخ ابنه الشيخ علي رحمه الله تعالى
في كتاب البخاري وبقراءات ابنه الشيخ عبد العزيز رحمه الله
في تفسير سورة البقرة من كتاب ابن كثير وفي كتاب منتقى الاحكام
بقراءة الشيخ ابنه

سند بمشايخ الشيخ
عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ



تمهيد

أولا: ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان جنوبي الجزيرة العربية

توطئة:

اتسمت الحياة الفكرية والأدبية في بلدان جنوبي الجزيرة العربية - قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] فيها - بالتباين والاضطراب، فقد عرفت

---

(١) لقد أفاض المؤرخون والكتّاب في ذكر هذه الدعوة السلفية، إذ بسطت أخبارها في الكتب، مما دعا إلى الإيجاز في الحديث عنها، وعدم الخوض في تفصيل أخبارها، وإنما كان من الأفضل الإشارة إلى شيء من أخبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة والداعي لها، إذ ينتسب إلى أسرة آل مشرَّف من آل وهبة التميميين. وكان لهذه الأسرة أثر واضح في مجال العلوم الدينية بنجد. وقد ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وتلقى تعليمه الأولي فيها، إذ قرأ القرآن الكريم، وحفظه في وقت مبكر من سني عمره، ثم أخذ من بعد ذلك على أبيه الفقه الحنبلي. وقد دعته الرغبة إلى الحج وهو في الثانية عشرة من عمره فحج، وعاد من بعد ذلك إلى المدينة المنورة حيث لبث فيها قدرا من الزمن، ثم غادرها إلى العيينة، حيث واصل دراسته على يد أبيه في الفقه الحنبلي. وقد أفاد كثيرا من هذه الرحلة، وبخاصة في مجال دراسته حين بدل في منهجها، وفيما سلكه من الشروع في دعوته في ميدان البدع والدعوة إلى إزالتها.

ولم يطل مقامه في العيينة، وإنما دعته الرغبة إلى طلب العلم مرة أخرى فهاجر في سبيله إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والبصرة، والأحساء، وربما عُدَّت المدينة المنورة من أكثر البلدان التي رحل إليها تأثيرا في تكوينه العلمي وبناء ثقافته الدينية. وقد عاد من بعد ذلك إلى حريملاء، حيث كان مقام أبيه فيها، إذ أخذ يباشر دعوته التي تكونت لديه بواعثها من قبل. وكان عندئذ على خلاف مع أبيه كما ذكر ابن بشر، وإنما لم يؤثر ذلك الخلاف في نشأة دعوته، وقد أصبح بعد وفاة أبيه عام ١١٥٣/ هـ ١٧٤٠م أكبر شهرة وأوسع مجالا في تطبيق ما يدعو إليه، إذ انتشرت أخباره، وأخذ الناس يدركون مرامه، ويسعون إليه.

وفي عام ١١٥٥هـ مال أمير العيينة عثمان بن معمر إلى ما يدعو إليه الشيخ محمد =

هذه الحياة صراعا مذهبيا نشطا(١)، وشهدت فرقة سياسية مضطربة(٢)، هذا بالإضافة إلى انغماس شديد في البدع والمعتقدات الباطلة(٣). وإذا كان خبر ظهور هذه الدعوة قد انتشر في هذه البلدان مبكرا، فإنما أتى استجابةً إلى رغبة

= ابن عبد الوهاب، وتوافرت لهذا الداعي أسباب جعلته يرتحل إلى العيينة، حيث نشطت أعماله في سبيل الدعوة فيها، وأخذ يزيل البدع المحدثة، ويطبق الحدود الشرعية، ولكن ذلك النشاط الجاد لم يدم في العيينة، حيث استجاب الأمير عثمان بن معمر إلى طلب أمير الأحساء بإخراج محمد بن عبد الوهاب من بلدته. وذلك تحت ضغوط سياسية ومالية، إذ قرَّر إبلاغه بعدم القدرة على حمايته، وأنه يرى خروجه من العيينة أمرا لازما.

وعندئذ أحسّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالميل إلى الدرعية. وذلك من أجل المكانة السياسية التي كان عليها أمراؤها، وما أصبح له فيها من المؤيدين، ولعل ذلك كان عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. حيث اتفق هو والأمير محمد بن سعود على أن يعملا على نشر هذه الدعوة والجهاد في سبيلها. وقد عُدّ هذا الاتفاق بداية حقيقية لانطلاق هذه الدعوة خارج نجد، بل خارج الجزيرة العربية. وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م.

وقد كان اتصال هذه الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية واضحا، إلا أن ما كُتب عنه حتى الآن لا يصور حقيقة ما أوجده هذا الاتصال من أثر، بالرغم مما وجد من المؤلفات الوافرة حول هذه الدعوة. وذلك ما دعا إلى محاولة إظهار ذلك الأثر من خلال هذه الدراسة في ميدان الفكر والأدب بتلك الأنحاء.

ولكي يمكن للقارئ التعرفَ على حقيقة هذه الدعوة، وأفكارها المهمة فإن من الأفضل أن يعود إلى مصادرها الأولى، مثل: عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر، وروضة الأفكار والأفهام لحسين بن غنام، إلى جانب ما كتبه المعاصرون من أمثال: عبد الله الصالح العثيمين في كتابه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره، وغيره. وانظر نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مفصلا في الوثيقة الخطية السابقة التي كتبها الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

(١) كان ذلك الصراع المذهبي واضحا في كثير من المذاهب الدينية والفرق المختلفة، مثل: الشافعية، والزيدية، والصوفية، و الإسماعيلية، وغيرها.

(٢) ذلك لأن هذه الأنحاء من جزيرة العرب، كانت مقسمة إلى دويلات وإمارات ومشيخات متفرقة، فقد كان الأئمة الزيديون يحكمون اليمن، والأشراف من آل خيرات يسيطرون على المخلاف السليماني. وكان يحكم عسير وحضرموت إمارات ومشيخات مختلفة.

(٣) انظر: ص٧٧، وما بعدها.

نفر من علماء تهامة واليمن[1] الذين وجدوا في أنفسهم ميلا شديدا إلى هذه الدعوة السلفية، إذ هم حينذاك يعيشون غربة دينية حقيقية.

هذا إلى جانب الاتصال الفكري المحدود الذي نشأ إذَّاك بين هذه البلدان والدرعية، وربما كان للحج أثره [2]، ولكنه محدود إلى حد ما. وإذا أُدرك هذا الوضع المستدعي للإصلاح، فإن العامل الرئيس لظهور الدعوة من بعد ذلك في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، قد كان بسبب الدعاة السياسيين الذين اضطلعوا بمهام الدعوة ونشرها[3]. ويمكن معرفة البداية الحقيقية لظهور هذه الدعوة السلفية بتلك الأنحاء من خلال تتبُّع أخبارها في: عسير، وتهامة، واليمن.

١- عسير[4]:

تختلف المصادر حول تحديد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عسير، ولكنها تشير جميعها إلى مسارعة العسيريين إلى قبولها والسبق إليها، ولعل ذلك يعود إلى كون العسيريين يبغضون الزيود في اليمن[5] ومذهبهم وأئمتهم، ولكونهم كذلك يفتقرون إلى البيئة العلمية الخصبة التي قد ترفض الميل نحو هذه الدعوة وقبولها، شأن مثيلاتها من مدن الجزيرة العربية، كذلك

---

(١) مثل: الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير، والشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي، إذ وجد الحفظي حينذاك فراغا سياسيا وعلميا، جعله ييمم وجهه نحو الدرعية بدلا من اليمن.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٥، ٦. وبخاصة في الفترة (١٢١٧-١٢٢٦هـ)، حين دخل الحجاز في حكم السعوديين.

(٣) قد تجلى ذلك بوضوح لدى الدعاة الأمراء بعسير وغيرهم.

(٤) يراد بعسير في هذا البحث: الأرض الجبلية الممتدة من نجران في الجنوب حتى زهران في الشمال.

(٥) عبد الفتاح حسن أبو علية، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص١٠٥.

كان من العوامل التي ساعدت على ظهورها : الطموح السياسي الذي برز بين أمراء الدعوة أنفسهم وغيرهم في عسير(١) . ويتبين ذلك في طبب(٢) وما حولها، وفي بعض القبائل العسيرية الأخرى . أما نجران (٣) فقد لا ينطبق عليها ما تقدم، ولكنها من أكثر هذه الأجزاء معرفة بظهور هذه الدعوة السلفية في نجد .

نجران، وما حولها:

تأتي قبائل نجران في مقدمة القبائل التي أدركت خبر ظهور هذه الدعوة السلفية في نجد، فقد أشارت إحدى الوثائق الخطية إلى الحلف الذي جرى عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م بين القاضي(٤) الحسن بن هبة الله المكرمي (. . . - ١٢٤١هـ) والإمام محمد بن سعود في الدرعية(٥)، ولا نعلم ما تضمنه ذلك الحلف، وإنما هو - فيما يبدو - صلح سياسي بين الطرفين. ولم يدم ذلك الصلح، فقد هاجم الحسن بن هبة الله المكرمي نفسه الدرعية عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، ونقض بذلك عهده السابق(٦) .

ولعل الظهور الفعلي لهذه الدعوة في نجران كان في عام ١١٨٩/ ١٧٧٥هـ، حين غزت بعض القبائل في نجد بدو نجران، ويعد « ذلك

---

(١) انظر : عسير، لمحمود شاكر، ص١٤٩ - ١٥٢ .

(٢) طبب : قرية من قرى رفيدة، تقع في وادي طبب المشهور، وكانت مركزا للسلطة السياسية بعسير في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري .

(٣) نجران : تقع نجران في جنوبي غرب الجزيرة العربية، وهي وادٍ فسيح ينحدر من الشرق نحو الربع الخالي. انظر في ذلك : أخبار عسير، ص ١٩٢ .

(٤) يسمى عند المكرميين في نجران بالداعي .

(٥) وثيقة مخطوطة، توجد في مكتبة محمد بن حسن غريب الخاصة بالرياض .

(٦) مقبل عبد العزيز الذكير، العقد الممتاز في أخبار تهامة والحجاز، مخطوط، ج٢، ورقة ١٣ .

أول أمر نجم لهذه الطائفة[١] بجهات اليمن »[٢]، ومن بعد ذلك قَبلَت قبيلة وادعة[٣] أمر هذه الدعوة عام ١٢١٢هـ[٤]/ ١٧٩٧م. وكان دخول قبائل العجمان وآل مرة في هذه الدعوة عام١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م[٥]، العام الذي بدأت فيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تنتشر في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وعلى الرغم من تلك الجهود المبذولة في سبيل نشر الدعوة في نجران، فقد بقي بعض النجرانيين متكتمين على موقفهم المذهبي المعروف.

طبب، وما حولها:

تُعَدّ مدينة طبب من أكثر أجزاء هذا الإقليم حظّاً في نشر الدعوة السلفية في عسير، إذ هي بيت الإمارة ومعقل الدعاة السلفيين، وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في تحديد ظهور الدعوة السلفية في هذا الجزء من الجزيرة العربية، فإن إجماعهم يكاد ينحصر في أنه كان في عامي ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م على اختلاف فيهما[٦]، عدا ما أثبته جعفر الحفظي في مذكراته، حين ذكر أن ظهور هذه الدعوة في تلك الأنحاء قد كان في عام

(١) كذا في المصدر، وقد درج عدد من المؤرخين والعلماء في جنوبي الجزيرة العربية على استخدام مثل هذه المصطلحات، إذ أطلقوا عليها وعلى دعاتها ألقابا منها: الموهبة، المديِّنة، الخوارج، الدعوة النجدية، الفتن النجدية، دين الوهابي، دعوة النجدي، الشروق، المشارقة، التدين، التوهب... انظر ذلك - على سبيل المثال - في: درر نحور العين، لطف الله جحاف، ورقة ٥٣٥، ٤٦٦، الديباج الخسرواني، ورقة ١٦، وحدائق الزهر، ورقة ٥٥، للحسن بن أحمد عاكش، تاريخ أحمد ابن أحمد النعمي، ورقة ٢. وانظر كذلك: نفح العود في سيرة الشريف حمود، لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي.

(٢) لطف الله جحاف، درر نحور العين، مخطوط، ورقة ٩، ١١.

(٣) انظر كتاب: في بلاد عسير، ص ١٣٨-١٤٠.

(٤) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٢٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣١٢.

(٦) انظر - على سبيل المثال - كتابي: تاريخ عسير، وأخبار عسير.

١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، العام الذي هاجر فيه - كما قال الحفظي - نفر من أعيان عسير، وعلماء رجال ألمع إلى الدرعية للدراسة والتحصيل(١)، ورغم طرافة هذا الخبر ووضوحه، إلا أن الواقع يخالف حقيقته؛ لما توافر من معلومات تضعفه(٢).

قبائل عسير الأخرى:

تتفاوت قبائل عسير الأخرى في قبول الدعوة السلفية، ولكنها في الحقيقة كانت تدرك من قبل كثيرا من مبادئها وحقيقتها، فقد كان ظهور هذه الدعوة في قبائل خثعم وبني تغلب عام ١١٩٦هـ(٣) / ١٧٨١م، حين بدأت هذه القبائل تُغير على حجاج اليمن، وتُرغمهم على قبول الدعوة(٤). وقد ظل غزو أمراء الدَعوة لبقية قبائل عسير الأخرى مستمرا نشطا، إذ غزا أهل بيشة عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، وقحطان عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م(٥). وكانت شهران منذ عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م تشهد غزوات السعوديين المتكررة(٦).

وإذا كان هذا حال قبائل بيشة وقحطان وشهران، فإن قبائل غامد قد عرفت حقيقة هذه الدعوة منذ عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، كما نصت على ذلك إحدى الوثائق الخطية التي عبَّر فيها كاتبها بقوله: « ظهر الإسلام(*) في بلاد

(١) أشار إلى هذه المذكرات محمود شاكر في كتابه عسير، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر: مشجرة آل بكري سكان رجال ألمع. ففيها ما يخالف قول هذا المؤرخ. وبخاصة حينما تحقق أعمار هؤلاء الرجال الذين قيل بأنهم هاجروا إلى الدرعية.

(٣) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ١٠٢. وبنو تغلب من القبائل الساكنة في وادي ترج قرب بيشة.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٠٢.

(٥) محمود شاكر، كتابه السابق، ص ١٥١، ١٥٢.

(٦) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص١١٧.

(*) المراد هنا ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

غامد سنة ١٢١٢هـ»[١]، كذلك كان ظهور الدعوة السلفية في تنومة بني شهر عام ١٢١٥هـ، إذ قال أحد علماء آل الحفظي حينما أتى على أحداث هذا العام: « ودُيِّن أهل السراة في تنومة »[٢]. ومن هذا يتبين أن هذه القبائل كانت هي القبائل القليلة الأول التي دخلت في حكم السعوديين، وقبلت هذه الدعوة السلفية. أما بقية قبائل عسير الأخرى، فقد دخلت تباعا في هذه الدعوة، منذ ظهور إمارة أبي نقطة في عسير.

ومهما يكن الأمر فإن مفهوم هذه الإشارات التاريخية الموجزة يشير إلى أن عسير ليست كغيرها من البلدان في جنوبي الجزيرة العربية من حيث انتشار الدعوة فيها، إذ اعتُمدَ في ذلك على دعاتها السياسيين، أمثال: محمد[٣]، وعبد الوهاب ابني عامر المتحمي بطبب، وسالم بن شكبان في بيشة، ومحمد ابن دهمان[٤] في بني شهر، وغيرهم من أمراء تبالة وزهران. وكان هؤلاء الدعاة الأمراء منذ عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م يعملون على نشر هذه الدعوة ويدعون إليها، مما جعل هذا التأريخ بداية للظهور السياسي الفعلي لهذه الدعوة الذي يرتبط بالدرعية وأمرائها. وقد ساعد قبول العسيريين لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودخولهم في حكم آل سعود على نشر مبادئ الدعوة ونصرتها بتلك الأنحاء من جزيرة العرب.

---

(١) وثيقة مخطوطة، توجد بمكتبة محمد بن سعد البركي الخاصة ببلجرشي من غامد.

(٢) حوليات مخطوطة، توجد لدى الباحث. وفي الأصل «ديّنوا».

(٣) يكنى هذا الأمير بأبي نقطة، وذلك ما يميزه عن أخيه عبد الوهاب الذي درج ذكره عند المؤرخين وغيرهم بهذه الكنية. انظر: نفح العود في الظل الممدود لمحمد بن أحمد الحفظي، ورقة ٢.

(٤) ذكر بعض المعمرين من أهالي تنومة بني شهر أن ابن دهمان هذا، قد سعى في نشر هذه الدعوة بين مواطنيه، وأنه كان يستوفد العلماء إلى إمارته، وبخاصة من بلاد عبس بتهامة التي تسكنها أسرة الفقهاء العلمية الشهيرة ببني شهر.

حولية مخطوطة لأحد علماء آل الحفظي بتهامة عسير

حولية مخطوطة لأحد علماء آل الحفظي بتهامة عسير

٢ - تهامة[١]:

عُرِفَت تهامة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بيقظتها العلمية ونشاطها الفكري المتميز، فقد ضمت عندئذ قدرا وافرا من العلماء، وشهدت عددا من النحل الدينية المختلفة، مما جعل ظهور الدعوة في معظم مدنها متأخرا محدودا، ولكنها على الرغم من ذلك لم تخل من العلماء المؤيدين لهذه الدعوة، أمثال: البكريين برجال ألمع، وربما كان للمذهب الشافعي الذي تدين به أغلب مدن تهامة أثر في تيسير ظهور الدعوة وتأييدها، فقد شهدت هذه الأنحاء حينذاك صراعا مذهبيا نشطا بين الزيدية في صنعاء، والشافعية في تهامة، ولعل من أشهر مواطن ظهور الدعوة السلفية بتهامة: رجال ألمع، وبارق، والمخلاف السليماني.

رجال ألمع:

حظيت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتأييد علماء آل بكري[٢] برجال ألمع، إذ سارع أولئك العلماء إلى قبولها ونصرتها، وربما كان ذلك بسبب الفراغ الديني[٣] والغياب السياسي[٤] بمدينة رجال ألمع، مما جعل العلماء الأول من البكريين يممون وجوههم قِبَل المشرق مقبلين على قبول هذه الدعوة وتأييدها.

---

(١) يراد بتهامة في هذا البحث: الأرض السهلية المنبسطة على ساحل البحر الأحمر التي تتسع نحو المنحدرات الغربية لجبال السراة، وذلك من أقصى تهامة اليمن حتى القنفذة في الشمال.

(٢) نسبة إلى الشيخ بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم بن عجيل، وقد غلب على هذه الأسرة لقب الحفظي الذي تسمى به أحمد عبد القادر، فعرفت هذه الأسرة بآل الحفظي فيما بعد، رغم انحصار الحفظي في أحمد بن عبد القادر وولده. انظر: مشجرة آل بكري المخطوطة، ومقدمة ذوق الطلاب، ص٦.

(٣) انظر: ص٤٨ من هذا البحث.

(٤) انظر: ص٤٧ من هذا البحث.

ولعل اتصال علماء آل بكري بالدرعية قد بدأ مبكرا، ولكنه - فيما يبدو - لم يكن بتلك الصورة التي أشار إليها جعفر الحفظي في مذكراته - كما سبق ذكره - حينما عدّد نفرا من البكريين المهاجرين إلى الدرعية عام ١١٧٧هـ[١] / ١٧٦٣م، وقد يكون الحق ما ذكره محمد أحمد الحفظي في كتابه "نفح العود"، حين قال: « فلما انتهى إلينا ذلك النداء[٢] وطرق الأسماع لم يسعنا إلا الانتظام في سلك من سمع وأطاع . . .، وذلك في سنة خمس بعد المائتين وألف »[٣].

وإذا كان ظهور الدعوة السلفية في رجال ألمع قد بدأ منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، فإن ذلك التأريخ كان بداية لنشر الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، إذ نجد محمد بن أحمد الحفظي من بعد ذلك يؤلف الكتب ويكاتب العلماء، فقد أشار في كتابه "اللجام المكين" إلى غبطته بقبول هذه الدعوة[٤]، وأنه ألّف ذلك الكتاب من أجلها في سنة ١٢١٢هـ[٥]/ ١٧٩٧م.

وقد زاد في نشر الدعوة بين علماء آل الحفظي وجود الدعاة السياسين في عسير منذ عام ١٢١٥هـ، ذلك التأريخ الذي جعله المؤرخ لطف الله جحاف بداية لقبول الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي أمر هذه الدعوة السلفية[٦]. ومنذ ذلك التأريخ عاضد العلماء الحفظيون أمراء عسير السلفيين، وشرعوا في نشر مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جهاتهم.

---

(١) انظره في كتاب: عسير، لمحمود شاكر، ص ١٤٩.

(٢) يعني به دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) ورقة ١.

(٤) ورقة ١.

(٥) ورقة ٤.

(٦) درر نحور العين، ورقة ٣١٢.

بارق، وما حولها[1]:

تختلف المصادر القليلة الموجودة الآن بين أيدينا في تحديد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قبائل: بارق، والرِّيْش، وحلي بتهامة، ففي الوقت الذي جعل فيه ابن عبد الشكور ظهور هذه الدعوة السلفية بهذه الأجزاء من تهامة في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م[2]. كان صاحب مُؤلف " أمراء مكة والحجاز " قد جعله في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م[3]. وذلك على اختلاف في تحديد اسم شيخ قبيلة الريش الذي عُدَّ أوّل من قَبلَ أمر هذه الدعوة بتلك الأنحاء، فقد سماه ابن عبد الشكور: معدي بن شَار، ووصفه بأنه أغرى جماعته بقبول هذه الدعوة السلفية، وقال: بأنه لما « دُيِّن دينت القبيلة بأسرها»[4].

أما مُؤَلِّف كتاب "أمراء مكة والحجاز" فقد سماه الشيخ منصورا، وقال بأنه كان من قبل في « طاعة الشيخ[5] غالب صاحب مكة »[6]. وعلى الرغم من هذا الاختلاف الظاهر عند هذين المؤرخيْن، فإن الواضح من كلا التأريخين تقارب زمنهما، واتفاق مضمونها، إذ يبدو أنّ هذين الشيخين من شيوخ تهامة، فقد ورد في بيان كتب إبراهيم بن أحمد الحفظي ذكر لرسالة وردت من سعود بن عبد العزيز إلى: « عبد الوهاب، وعرار، ومنصور، ومعدي »[7]. فلعله أراد بهؤلاء: عبد الوهاب المتحمي، وعرار بن شار الشعبي، ومنصور بن

(١) بارق: بقعة فسيحة في تهامة، تعد من أشهر قبائل الأزد بتلك المنطقة.

(٢) تاريخ ابن عبد الشكور، العرب، ج١١، ١٢، س١٠، الجماديان ١٣٩٦هـ، ٨٢٠، ٨٢١.

(٣) المؤلف مجهول، مخطوط، ورقة ٢.

(٤) كتابه السابق، ص ٨٢٠، ٨٢١.

(٥) كذا في المصدر، والصواب «الشريف». وهو غالب بن مساعد (... -١٢٢٠هـ).

(٦) كتابه السابق، ورقة ٢.

(٧) البيان نفسه، بدون رقم.

ناصر الحسني[١]، وبذلك يكون معدي بن شار حقيقة هو شيخ الريش كما قال ابن عبد الشكور. ومهما يكن من أمر فإن عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م قد شهد من بعد ذلك دخول عدد من قبائل تهامة في هذه الدعوة[٢].

المخلاف السليماني:

لقد بدأ ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مدن المخلاف السليماني مثلما بدأ في رجال ألمع، من حيث استجابة العلماء لها وهجرتهم في سبيلها، فقد هاجر إلى الدرعية بنجد كل من: عرار بن شار الشعبي (. . . -١٢٢٠هـ)، وأحمد بن حسين الفلقي راغبين في التعرف على حقيقة هذه الدعوة، والأخذ عن دعاتها الحقيقيين. وكان من نتائج ذلك أن عاد الشريف أحمد بن حسين الفلقي عام ١٢١٥هـ يحمل رسالة[٣] من عبد العزيز ابن سعود إلى أهالي المخلاف السليماني يدعوهم فيها إلى قبول هذه الدعوة ونصرتها[٤].

ويكاد يتفق معظم مؤرخي اليمن والمخلاف السليماني على تحديد بداية ظهور الدعوة السلفية بهذه الأنحاء، فقد ذكر المؤرخ لطف الله جحاف أنه في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م «ظهر أمر الموهبة[٥] بالساحل، فاستمال أهل الدرب...»[٦]، وقال الحسن بن أحمد عاكش مشيراً إلى الشريف حمود بن

(١) وهم من أبرز دعاة الدعوة في: عسير، والمخلاف السليماني. انظر: نفح العود للبهكلي، ص٩١، ١٠١.

(٢) أمراء مكة والحجاز، ورقة ٢، وانظر كذلك: تاريخ ابن عبد الشكور، ص ٨٢١ وما بعدها.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، ص٦٨ وما بعدها. ويمكن الرجوع إلى هذا الكتاب للتعرف على أخبار الفلقي وعرار بن شار، ص ١٠، ٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٨، ٦٩، ٨٣.

(٥) كذا في المصدر.

(٦) كتابه السابق، ورقة ٣١٤.

محمد الحسني[1]: «وكان ابتداء قيامه في إقبال دعوة الرجل النجدي في هذه الجهات»[2]. مما يجعل ذلك التأريخ بداية أولى لظهور الدعوة بتلك الأنحاء في ضوء نشاط الدعاة السلفيين الأُول.

أما قبول أشراف المخلاف السليماني أمر هذه الدعوة فقد تأخر إلى عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، حيث قبل الشريف حمود أبو مسمار هذه الدعوة. وقد رد الحسن بن أحمد عاكش هذه المبادرة إلى قصيدة بعث بها الشيخ محمد بن أحمد الحفظي إلى القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي يستميله فيها، ويدعوه إلى قبول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[3]، ولكن هذه القصيدة في الغالب لم تكن سببا وجيها في ميل الشريف حمود إلى هذه الدعوة، وإنما سبق هذا معامع وحروب طاحنة أدت إلى قبوله لها.

٣ - اليمن:

لقد أفاض المؤرخون اليمنيون في ذكر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولكنهم في الغالب كانوا يُظهرون جفوتهم لهذه الدعوة السلفية دون تقصٍ وتحقيق. ولعل السبب في نظرتهم تلك يعود في بعض الأحيان إلى تصرُّف بعض قادة الدعوة السلفيين في جنوبي الجزيرة العربية، وما كان ينقله

(١) هو حمود بن محمد بن أحمد الخيراتي، لقب بأبي مسمار، لمسمار وقع في رقبته في إحدى معاركه الحربية، ولد سنة ١١٧٠هـ، وتوفي سنة ١٢٣٣هـ، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ١٢١٧هـ، فأصبح بموجبها أميرا على المخلاف السليماني، وقد ظل من بعد ذلك أميرا على هذه المنطقة حتى عام ١٢٣٣هـ حيث توفي بقرية الملاحة من عسير. انظر ترجمته في كتاب: نفح العود، لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي، ص٧٠.

(٢) الديباج الخسرواني، ورقة ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٩، وقد قال عاكش: «لما وصل أمراء نجد إلى هذه البلاد لم يسلم لهم الشريف حمود القيادة حتى وصلت قصيدة من الشيخ محمد أحمد الحفظي صاحب رُجَال موجهة إلى الوالد القاضي العلامة عبد الرحمن حسن البهكلي - رحمه الله - يستحث بها أهل الجهة إلى الدخول في سلك طاعة النجدي». انتهى، ورقة ١٩.

الوافدون إلى اليمن من أخبار مغرضة في معظم الأحيان[(١)]، ومهما يكن من أمر فإن اليمن لم يخل من العلماء المخلصين الذين أنصفوا هذه الدعوة، وسعوا في نشرها.

ويمكن أن تعد مدينة صنعاء من أقدم مدن جنوبي الجزيرة العربية معرفة بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، كما أنها تعد من المدن القلائل التي لم تصلها جيوش الدعوة، أما تهامة اليمن وحضرموت وعدن فقد عرفت عديدا من غارات الدعاة السلفيين، ومع ذلك فإن الغالب على مدن اليمن أن ظهور الدعوة فيها قد نشأ عن طريق العلماء، إذ ظهر ذلك واضحا في صنعاء وما حولها.

صنعاء، وما حولها:

يعود تاريخ ظهور الدعوة السلفية في صنعاء إلى عام ١١٦٠هـ[(٢)] / ١٩٤٧م العام الذي أشار إليه محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله - بقوله: « مازالت تبلغنا الأخبار من سنة ١١٦٠هـ بأنه ظهر في نجد رجل يدعو إلى اتباع السُّنَّة النبوية »[(٣)]، وذلك ما دعا محمد بن إسماعيل الأمير نفسه إلى مكاتبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م[(٤)]، ولعل هذا التأريخ يوافق ما قاله عبد الله بن عيسى في مؤلفه "السيف الهندي"[(٥)]، حينما ذكر بأن ابتداء هذه الدعوة في تلك الأنحاء قد كان « معروفا عند العلماء

(١) صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، ص١٩٦.

(٢) محسن بن عبد الكريم، لفحات الوجد، مخطوطة، ورقة ٣.

(٣) إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب، مخطوط، ورقة ٣٩٣.

(٤) ديوانه، مخطوط، ورقة ٥٦، وانظر ذلك في مشجرة الشريف عريف بن الحسن، مخطوطة.

(٥) أشار إليه محسن بن عبد الكريم في كتابه: لفحات الوجد، ورقة ٢، وقال صديق القنوجي في كتابه "أبجد العلوم": إنه ألفه في سنة ١٢١٨هـ. وهذا يدل على تحامل ابن عيسى على الدعوة حينذاك، إذ كان ذلك العهد مضطربا بالصراعات المذهبية والسياسية المعادية.

المحققين منذ أعوام »[1]، وأن ذلك في « بضع وستين ومائة وألف »[2]. وقد ظل العلماء بهذه الأنحاء من بعد ذلك يتلقون أخبار هذه الدعوة من الوافدين إلى اليمن أمثال: مربْد بن أحمد بن عمر التميمي الذي وفد إلى صنعاء في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٨٦م[3]، مما جعل أولئك العلماء يكاتبون أولي الأمر في الدرعية، ويستوضحونهم أمر الدعوة وحقيقتها[4].

وإذا كانت هذه الأخبار القليلة السابقة قد تسربت إلى مدينة صنعاء وما حولها من بلدان اليمن، فإن الخبر الفعلي لظهور هذه الدعوة بتلك الأجزاء من جزيرة العرب قد كان عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠، العام الذي وصلت فيه الرسالتان المبعوثتان من لدن الإمام عبد العزيز بن سعود إلى إمام اليمن[5]، ولم تقتصر هذه الأخبار والمكاتبات على صنعاء فحسب، وإنما أشبهها في ذلك مدينتا ذمار[6] وصعدة[7] وغيرهما. ويبدو أن هنالك خلافا بين المؤرخين حول تحديد انتشار الدعوة السلفية بهذه الأنحاء، إذ قال في ذلك صديق بن حسن القنوجي بأنه لم يبلغ انتشارها اليمن إلا في « حدود المائتين والألف »[8]. وربما لا يسعف الباحث في هذا المجال شيء من المصادر الموثقة، إذ لم يكد يعرف ظهور هذه

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٣) انظر: ديوان محمد بن إسماعيل الأمير، ورقة ٥٨، وانظر كذلك: لفحات الوجد في فعلات أهل نجد، لمحسن بن عبد الكريم، ورقة ٤، وانظر: أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي، ص ١٩٦.

(٤) مثل: أحمد بن محمد العويلي، وإسماعيل الجراعي. انظر أخبار رسائلهما في مج ٥ من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب « قسم الرسائل الشخصية ».

(٥) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ص ٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

(٧) محمد بن ناصر الشريف التهامي، إيقاظ الوسنان، مخطوط، ورقة ٣١.

(٨) كتابه السابق، ص ١٩٤.

الدعوة في جنوبي الجزيرة العربية إلا عن طريق العلماء والدعاة السلفيين كما ذكر من قبل.

الحديدة وما حولها:

اختلفت المصادر في تحديد ظهور الدعوة السلفية في تهامة اليمن، فحينما تشير بعض تلك المصادر إلى أن أول عهد تلك الأنحاء بهذه الدعوة، قد كان في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م[١]، فإن المصادر الأخرى تجعل ذلك العهد متفاوتا في أعوام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. وعلى أية حال فإن عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م قد يعد بداية أولية لظهور هذه الدعوة بتلك الأنحاء، إذ لم يصحبها حينذاك شيء من المظاهر السياسية شأن مثيلاتها من مدن الجزيرة العربية.

أما المرحلة الأخيرة التي تلت عام ١٢١٦هـ، فقد تفاوتت المصادر في تحديدها، إذ إنه عندما ذكر المؤرخ محمد محمد زبارة أن: اللُّحَيَّة، وزبيد، والحديدة، وبيت الفقيه، والزيدية وما شابهها قد عرفت أمر هذه الدعوة منذ عام ١٢١٧هـ[٢]، فإن عثمان بن بشر قد ذكر أن الحديدة، وبيت الفقيه، وزبيد قد دخلت في الدعوة عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠١م إثر معارك حربية مستمرة[٣]، وكان أحمد بن أحمد النعمي قد جعل بداية تلك المعارك الحربية من أجل الدعوة السلفية في عام ١٢٢١هـ[٤]، على حين جعل محمد عمر الفاخري ظهور الدعوة في اللحية بتهامة اليمن عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م[٥]، وكل ذلك

---

(١) عبد الواسع بن يحيى الواسعي، فرجة الهموم، ص ٦٠.

(٢) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج٢، ص٤٢٠.

(٣) عنوان المجد، ص ١٣٨.

(٤) تاريخه، ورقة ٢.

(٥) الأخبار النجدية، ص ١٣٨.

يدل على أن هذه الفترة الزمنية المتأخرة، تعد المرحلة الفعلية لظهور الدعوة السلفية في تهامة اليمن وما حولها.

عدن وحضرموت:

تشير المصادر إلى أن دعاة هذه الدعوة السلفية، قد ظهروا في سواحل عدن منذ عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م[١]، ولكنهم رغم وصولهم إلى تلك الأنحاء لم يدخلوا المدينة، وإنما قفلوا عائدين[٢]. وقد كان الظهور الفعلي لهذه الدعوة في حضرموت عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م[٣]. وذلك عندما وفد إلى تلك الأجزاء من جزيرة العرب الداعية علي بن قملا وجماعة من أصحابه[٤].

وعلى الرغم من الفائدة التي أدركها الأهلون في حضرموت من وجود هؤلاء الدعاة بينهم، إلا أنهم لم يظفروا ببقائهم، إذ رحلوا بعد أربعين يوما، وقد قيل: إنهم عادوا من بعد ذلك إلى حضرموت عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، ولكنهم قوبلوا في هذه المرة بالعداء والمجابهة[٥]، ورغم تلك الحملات المتكررة؛ فإن حضرموت لم تدخل في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٦].

---

(١) حمزة علي إبراهيم لقمان، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، ص ١٨١.

(٢) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ص ١٣٦.

(٣) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ١٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠. وربما كان ابن قملا هذا من وادي خب باليمن كما ذكر لطف الله جحاف في درر نحور العين، ورقة ٣٥٤. وقد حدثني أحد رجال وادي خب في مدينة الرياض عام ١٤٠٣هـ، أن ابن قملا هذا من أمراء هذه الناحية، وأنه قد أقبل على هذه الدعوة حينذاك، وأن أسرته من بعده قد حافظت على صلاته مع الدولة السعودية حتى عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود. وهذه الناحية قريبة من نجران، مما يدل على ظهور الدعوة فيها.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٦) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون: ١٥٢١-١٩١٦م، ص٣٤١.

ثانيا : حالة الأدب والفكر في بلدان جنوبي الجزيرة العربية قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها

تتفاوت بلدان جنوبي الجزيرة العربية في مستوى ثقافتها وحياتها الفكرية والأدبية قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها. وذلك لما عرفته بعض هذه الأنحاء من روافد فكرية مختلفة، وموارد ثقافية متنوعة. ولعل بلاد اليمن، والمخلاف السليماني، ورجال ألمع خير هذه البلدان حظا في الثقافة والفكر، وذلك على الرغم من الركود الفكري الذي عاشته هذه الأنحاء في ظل التقليد المذهبي. وربما كانت عسير حينذاك من أقل هذه البلدان نصيبا في العلم والعلماء؛ لما عاشته عندئذ من حياة فكرية محدودة تكاد تنعدم في معظم الأحيان.

وإذا أدرك هذا الحال الفكري بتلك الأجزاء من جزيرة العرب، فإن الوضع السياسي القبلي قد كان أكثر تدهورا وضعفا. وذلك لما شهدته من تشتُّت وانقسام، مما أفسد ذلك الحال وأضعفه، وجعل ظهور هذه الدعوة السلفية من بعد ذلك في تلك الجهات بداية حقيقية لبث الوعي الفكري السليم، ومؤشرا حقيقيا لدفع فساد المعتقدات، وإصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية.

١- عسير :

ويومئذ كانت عسير تحيا حياة فكرية ضئيلة لم تتحدث عنها المصادر القليلة الموجودة الآن بين أيدينا بشيء من التفصيل والإيضاح، وإنما ظهر من خلالها ضعف هذه الحياة وانعدامها في الغالب، فقد وصف الشيخ محمد بن علي الشوكاني الأهلين في جبال السراة قبيل ظهور الدعوة السلفية بتلك

الأنحاء بأنهم «كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا، ولا يقومون بشيء من واجباته، إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بهما[1] من عوج، وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء...»[2]، وحينذاك عَدَّ أحد المؤرخين في غامد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين مواطنيه ظهورا للإسلام[3]، كما وصف الشيخ سليمان بن سحمان الأعراب من أهل بيشة بأنهم كانوا قبيل الدعوة السلفية في جاهلية[4].

والحق أن الحياة الفكرية بعسير في القرن الثاني عشر الهجري، كانت ضعيفة إذا ما قورنت بما أصبحت عليه تلك الحياة بعد ظهور الدعوة السلفية فيها، ولكنها لم تخل حينذاك من ومضات فكرية محدودة، إذ وُجدت المساجد وعُرفت الأسر العلمية، وكان الناس في عسير يدركون شيئا من واجبات الشريعة الإسلامية التي تنظم حياتهم الاجتماعية، وذلك يتضح فيما وجد من وثائق قديمة.

أما المساجد بعسير فإن أشهرها حينذاك مسجد عضاضة في بني مغيد[5]، ومسجد أحد رفيدة[6] بقحطان، ومسجد صدريد ببني عمرو[7]، إذ دلت الكتابة الموجودة فيها على تأريخ عمارتها[8]، وأَن الناس في تلك الأنحاء كانوا

(١) في الأصل «بها».
(٢) البدر الطالع، ص٥. هكذا وردت هذه العبارات في هذا المصدر.
(٣) وثيقة مخطوطة، توجد في مكتبة محمد بن سعد البركي الخاصة، ببلجرشي من غامد.
(٤) منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، ص٨.
(٥) أخبرني بذلك محمد بن عبد الله آل زلفة.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) أخبرني بذلك عمر غرامة العمْري، وقد زرت هذا المسجد في ١/ ١١/ ١٤٠٣هـ.
(٨) تدل على ذلك الكتابات والنقوش التي وجدت بمسجد عضاضة ببني مغيد، فقد أخبرني بذلك محمد بن عبد الله آل زلفة عند جمعه لبعض أخشاب هذا المسجد عقب ترميمه، كما توجد حتى الآن كتابات بمسجديْ صدريد، وأحد رفيدة.

يستحسنون كتابة شيء من القرآن الكريم، والحديث النبوي في مساجدهم، وأنهم كانوا يعمرونها بالصلاة.

وأما الأسر العلمية التي وُجدت في عسير قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها، فلعل من أشهرها: أسرة الأشراف بالحرجة، وأحد رفيدة بقحطان[١]، وأسرة الفقهاء بعبس[٢]، وأسرة آل الجدي[٣] بخثعم، وأسرة الفقهاء وآل هباد بغامد[٤]. وإلى جانب علماء هذه الأسرة العلمية المعروفة، عُرِفَ القاضي مناع الخثعمي بتبالة منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري كما ذكر لطف الله جحاف حينما أتى على أحداث سنة ١١٩٦هـ[٥]. وتتجلى معرفة الأهلين بعسير للكتابة والتدوين حينذاك فيما وجد من وثائق قديمة وقواعد قبلية، فقد نصت تلك الوثائق على نظم أولية للأوقاف، وضوابط قبلية اجتماعية، وكانت معظم تلك الوثائق تُختم بخواتم تقليدية تدل على ثقافة إسلامية[٦].

ولعل من أهم الحقائق الدالة على وجود حركة فكرية محدودة في عسير قبيل الدعوة السلفية تلك الرسالة التي بعث بها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١١٦٥-١٢٤٢هـ) إلى أمراء عسير وقضاتها[٧] حول حقوق علماء أسرة آل زهر الأشراف الذين كانوا يتولون إذَّاك إرشاد الناس وتعليمهم

(١) وثيقة مخطوطة لدى الأشراف أنفسهم، تثبت نسبهم.

(٢) عبد الله أبو داهش، الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية (١٢٠٠-١٣٥١هـ)، ص ٣٠٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٣، وقد روى لي أحد المعمرين بجبل البلس بخثعم قصيدة لمحمد بن أحمد الحفظي في مدح أحمد الجدي.

(٤) مقابلة شخصية مع سعد البركي، بلجرشي ٢٥/ ٧/ ١٤٠٠هـ.

(٥) كتابه السابق، ورقة ١١٠.

(٦) يوجد شيء من هذه الوثائق المخطوطة لدى الباحث.

(٧) من آل المتحمي، وعلماء رجال ألمع.

في قبائل قحطان قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها[١]، كما يشير إلى تلك الحركة الفكرية في عسير ما كان يحييه القاضي مناع الخثعمي بخثعم من مذكرات مستمرة مع حجاج اليمن الوافدين عليه[٢] في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، إلى جانب ما وُجد من تراث فكري لدى نفر من الأهلين بنجران، ولعل من أبرزه: تأريخ دعاة المكارمة[٣]، وتفسيراً للقرآن الكريم[٤]، وعبرة اللبيب وفكرة النجيب لجابر بن فهد المكرمي[٥].

وربما كان تحديد المذهب الديني في عسير قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها من أبرز العقبات التي تصادف الباحث في تأريخ الفكر بهذا الجزء من جزيرة العرب، إذ لم يتيسر لذلك مصادر حقيقية مكتوبة، وإنما الظاهر في ذلك أن المذهب الشافعي هو المذهب السائد في عسير خلال تلك الفترة. وذلك يتبين من إقبال العسيريين على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٦]، ولكون مدينة رجال ألمع ومعظم بلدان تهامة تتبع حينذاك هذا المذهب، وبخاصة إذا أدركنا تأثير علماء مدينة رجال ألمع في الحياة الفكرية حينذاك بعسير، هذا إلى جانب انتشار كتب الشافعية في هذه المنطقة[٧]، ويؤكد هذا قول محمود شاكر الذي

---

(١) توجد هذه الوثيقة المخطوطة لدى الأشراف أنفسهم بقحطان، وتوجد صورة منها لدى محمد بن عبدالله آل زلفة.

(٢) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ١١٠.

(٣) يوجد بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير تحت رقم ٤٤ تاريخ.

(٤) ذكر محمد بن عبد الله آل زلفة أنه اطلع عليه في تركيا، وأنه في مكتبة جامعة إستانبول. ولدى المكرميين تراث وافر، ولكنهم يتكتمون عليه.

(٥) انظر: فهارس المكتبة العقيلية الخاصة بجازان.

(٦) انظر: العرب، ج١٠، س٥، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص٩٠٥.

(٧) من تلك الكتب: منهاج الطالبين، وتفسير البغوي، انظر في ذلك: الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية، للباحث.

ذكر أن أهالي عسير يلتقون مع الأهلين بتهامة في اتباعهم - كما قال - « مذهب أهل السنة، وكلاهما أيضا من الشوافعة »[١]، وربما وجدت في عسير بعض الأسر العلمية المتشيعة لآل البيت، ولعل من أبرزها أسرة الأشراف بقحطان، إذ هم في الواقع ينتسبون إلى مدينة صعدة، معقل الزيدية في اليمن [٢]، إلى جانب احتفاظهم بوثيقة أرسلت إليهم من نجد حول إبقائهم على حقوقهم المعتبرة من قبل ظهور الدعوة.

أما الحياة الأدبية في عسير فلم تشهد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشاطا ملموسا، إذ إن المعروف عن هذه الحياة أنها بدأت متأخرة، ومع ذلك فقد وُجد شيء يسير من الشعر لدى بعض علماء عسير. ومن هذا الشعر المحدود قصيدة القاضي مناع الخثعمي في رثاء حسين بن مهدي الكبسي، إذ قال:

خطب ألمَّ بأرض نجد أفجعا	وأفاض دمع العين مني أربعا
رزءٌ أصاب صغارنا وكبارنا	وأقام وسط القلب حزنا موجعا
قد كان شمسا[٣] يستضاء[٤] بنوره	ويجيب دعوته الإله إذا دعا[٥]

كذلك وُجد شعر محدود لشعراء مجهولين من نجران في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري حول ما كان ينشأ من خلافات سياسية بين

---

(١) عسير، ص ١٤٠. ولا سيما أن هذا المؤرخ قد أخذ عن بعض المصادر المخطوطة في رجال ألمع، مثل: مذكرات جعفر الحفظي ونحوها. انظر: ص ١٤٩.

(٢) مشجرة نسب الأشراف، لدى عبد الله بن علي الشريف، الرياض.

(٣) في الأصل « شمس ». وهو خطأ نحوي.

(٤) في الأصل « يستظاء ». وهو خطأ إملائي.

(٥) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ١١٠.

مكارمة نجران وجيرانهم في المخلاف السليماني واليمن[1]، ولكن هذا الشعر كان ضعيفا لا يرقى إلى مستوى الشعر الذي عُرف في عسير فيما بعد.

ولم يكن النثر بعسير في تلك الفترة بأكثر وفرة من الشعر، وإنما كان محدودا ضعيفا، لا يقترب من المستوى الأدبي الذي عُرف به النثر التقليدي في عسير بعد انتشار الدعوة السلفية فيها، ولعل مما يصور ذلك النثر رسالة بعث بها حسن بن عبد الرحمن الغامدي وهو في الدرعية إلى ابنه علي بن حسن الغامدي، ومما قال فيها:

«. . . لا تكون بغافل عن دنياك، ولا تقول أحد يبغى ينفعني يخرج أبي من الدرعية، وتأهب له شيء[2] لا قليل ولا كثير ولا تكن بسفيه، فإن الله معي، وأنت فتراني كتبت عندك خط[3] في كل أمر، وهو مع عطية بن أحمد. . وأنا إن شاء الله أجي في قريب، فليتك ما تغزى[4]»[5]. ومن هذه الرسالة يتبين ضعف مستوى النثر الأدبي بعسير في هذه الفترة، وبخاصة في ميدان الرسائل الإخوانية التي تمثلها هذه الرسالة، إذ كانت الأداة اللغوية فيها ركيكة لم تسلم من الأخطاء النحوية والإملائية. ولعل خير ما يبرز في مضمونها، أنها عبرت عن نفسية كاتبها بصدق، ونقلت أفكاره بيسر دون تكلف، كما أشارت إلى الملامح القبلية الجادة بتلك الأنحاء.

---

(١) من وثيقتين خطيتين لدى محمد بن حسن غريب بالرياض. ومن ذلك الشعر قول شاعرهم المجهول:

هناك قـام المكرمي بجنوده ... وعساكر من قومه وفيالق

ذروة الأشراف مع يام الأولى ... أهل الحمية واليقين الصادق

(٢) كذا في الأصل، والصواب «شيئا».

(٣) كذا في الأصل، والصواب «خطا».

(٤) تغزى: تتزوج.

(٥) هذه الرسالة الخطية، توجد لدى صالح بن محمد بن صالح من أهالي قرية الهملة بغامد. وقد ذكر لي أنها أُرسلت من الدرعية إلى بلاد غامد في عهد الإمام محمد بن سعود (. . .-١١٧٩)هـ.

ومهما يكن الأمر فإن الناظر في واقع الحياة الأدبية والفكرية بعسير في غضون القرن الثاني عشر الهجري، يجد أن هذه الحياة ضعيفة محدودة لا تمثل الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاشت في محيطه، إذ بدأت ضعيفة لم تتسم بشيء من ملامح النشاط والحيوية، ولكنها رغم ذلك أبقت على وميض العلم، فلم تخمد جذوتها حتى قيض الله لها هذه الدعوة السلفية؛ فأذكت فيها اليقظة والنشاط.

٢- رجال ألمع:

يبدو أن الحياة الفكرية برجال ألمع في القرن الثاني عشر الهجري، قد كانت محدودة إذا ما قورنت بما أصبحت عليه هذه الحياة بعد ظهور الدعوة السلفية فيها، إذ إنها حينذاك تتسم بشيء من الركود الفكري، والغلو المذهبي. ولعل هجرة الشيخ موسى بن جغثم من بيت الفقيه بتهامة اليمن إلى رجال ألمع في القرن الحادي عشر الهجري، قد ساعد على إيجاد ركائز أولية للفكر بتلك الأنحاء من جزيرة العرب، فقد وصفه عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن بكري بأنه «أول داع للإسلام في بلاد عسير»[١]، وبأنه أول من بنى مسجدا بتلك النواحي[٢]. ورغم ما أحدثه هذا القول من نقاش فكري جاد لدى نفر من أبناء رجال ألمع في وقتنا هذا[٣]، إلا أن الحق يقف في صف هؤلاء البكريين؛ لما كان لهم من حرص على إقامة الشريعة الإسلامية في جهاتهم، فقد دلت بعض الوثائق المخطوطة على أن أهل رجال ألمع عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، قد «جددوا

(١) نسب الفقهاء آل عجيل برجال ألمع، ورقة ١. وهذا القول لا يخلو من المبالغة.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١.

(٣) محمد حسن غريب الألمعي، حول ديوان نفحات من عسير، مجلة المنهل، ج١١، مج٣٥، س٤٠، ذو القعدة وذو الحجة، ص ٩١٧.

العهد على إقامة الشريعة المحمدية، وتعاهدوا بالله الذي لا إله إلا هو على تنفيذها والرضا بحكمها، وهي الطريقة المحمودة، ونصَّبوا الفقيه هادي بن بكري[1] على فصل الشريعة المطهرة، وأقاموا الفقيه عبد القادر بن بكري[2] على المعلامة[3]، وراتب[4] المسجد . . . »[5]. وبالرغم من تلك الحياة العلمية المحدودة لم تسلم تلك الأنحاء من بعض الشطحات الدينية قبيل ظهور الدعوة السلفية[6].

وقد اشتهر برجال ألمع خلال هذه الفترة نفر من العلماء البارزين، لعل من أبرزهم: الشيخ بكري بن محمد بن مهدي، وهادي بن بكري، وعبد القادر بن بكري، وأحمد بن عبد القادر الحفظي[7] الذي نسبت إليه أسرة آل الحفظي العلمية الشهيرة فيما بعد. ولم يكن هؤلاء العلماء يعيشون عزلة فكرية في وطنهم[8]، وإنما كانوا - فيما يبدو - على اتصال مستمر بعلماء اليمن، وبخاصة علماء بيت الفقيه، وزبيد، والمراوعة، وحضرموت، إذ ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه أنه قد وردت إليه « جملة رسائل من الشيخ العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي »[9]، وأضاف إلى ذلك

(١) هادي بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم العجيلي، انظر ذلك في: نسب الفقهاء آل عجيل.

(٢) عبد القادر بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جغثم العجيلي. انظر ذلك في: مشجرة آل بكري برجال ألمع.

(٣) المعلامة: المدرسة الأولية لتعليم الصبيان.

(٤) لعله من يقرأ الأدعية عقب الصلاة.

(٥) توجد هذه الوثيقة المخطوطة لدى الباحث.

(٦) انظر: مجلة المنهل، ج١١، مج٣٥، س٤٠، ص١٩٥، وص٤٤، ٤٥ من هذا البحث.

(٧) مشجرة نسب آل بكري، ورقة ١.

(٨) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفحات من عسير، ص٢٠.

(٩) عبد الرحمن بن عبد الله أحمد بلفقيه، رشفات أهل الكمال ونسمات قرب أهل الوصال، مخطوط، ورقة ٢١.

قوله بأن الحفظي نفسه قال في إحدى رسائله إليه: « والقصد منك والمدد والانتظام [1] في السند ومشابكة اليد وتلقين الذكر على ما شاء الله وإلباس الخرقة، وأن تكتب لي وصية أتخذها لي قائدا وجاذبا، وقد طلبت ذلك منكم، ولم يبرز منك جواب على ذلك... »[2]. ولعل السبب في اتصال هؤلاء العلماء البكريين بعلماء اليمن يعود إلى ارتباطهم بهم في النسب، واتفاقهم معهم في المذهب الديني، والحال الفكري والثقافي، إذ يبدو الأثر الصوفي واضحا في كلام الحفظي السابق.

ومن الواضح أن مذهب الأهلين برجال ألمع قبل الدعوة السلفية هو المذهب الشافعي، شأن جيرانهم في بلدان تهامة، فقد أشار محمد بن أحمد الحفظي إلى شيوع كتب الشافعية في جهاتهم[3]، بالإضافة إلى حرص علماء رجال ألمع أنفسهم على ذكر لفظ « الشافعي » عند كتابة أسمائهم[4]، ومع ذلك وُجدت في رجال ألمع بعض الاتجاهات الدينية المختلفة من: تشيُّع، وتصوُّف ونحوهما، فقد وصف عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (...-١٢٥٠هـ) الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي بأنه « شيعي [5] أهل البيت النبوي المنهمك في حبهم وموالاتهم»[6]، كما وصفه الحسن بن أحمد عاكش بأنه « إمام

(١) في الأصل «الانتضام»، وهو خطأ إملائي.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢١.
(٣) اللجام المكين والزمام المتين، ورقة ٣، وانظر كذلك: مجلة المنهل، ج١١، مج٣٥، س٤٠، ص٩١٥.
(٤) يرد مثل هذا في مؤلفاتهم وكتبهم المخطوطة، بالإضافة إلى قول صديق بن حسن القنوجي في كتابه " أبجد العلوم ": « قال الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي الشافعي » ص١٩١. هذا إلى جانب قول الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي في إحدى رسائله الإخوانية: « إلى الشيخ محمد بن أحمد الحفظي الشافعي التهامي » انظره في ص١٨٠، «مجموع المسائل والرسائل النجدية ».
(٥) إشارة إلى حال التشيع، وهو لغوي، وليس التشيع الاصطلاحي المعروف الآن.
(٦) النفس اليماني، ص٧٩.

الزاهدين، ورأس أهل التصوف الحقيقي»[1]. من أجل ذلك صاحب هذه المناحي الفكرية برجال ألمع شيء من الشطحات الدينية؛ فقد أشار محمد حسن غريب إلى أنه كان برجال ألمع قبيل الدعوة السلفية قبر لأحد الأولياء يعرف بـ" قبر الولي "[2] كان الناس يعتقدون فيه ويقدّسونه، وإذا صح هذا فإن رجال ألمع -إذن- لم تسلم حينذاك مما أصيبت به معظم بلدان الجزيرة العربية من رزء في دينها، وربما أضيف إلى هذا ما وجد في بعض مؤلفات أولئك العلماء من مسحة فكرية[3]، لم تكن بذلك المستوى الفكري الذي عُرف -فيما بعد- عند هؤلاء الحفظيين.

ومن الملاحظ أن مدينة رجال ألمع قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، لم تكن تفتقر إلى التعليم، فقد توافر لها حينذاك نفر من العلماء القائمين على التدريس، ولعل من أشهرهم: عبد القادر بن بكري، وعبد الهادي بن بكري[4]. كذلك كانت رجال ألمع - فيما يبدو - مهاجرًا للدارسين وطلبة العلم من المخلاف السليماني وعسير وغيرهما، فقد ذكر الحسن بن أحمد عاكش أن أباه أحمد بن عبد الله قد أخذ عن الشيخ أحمد بن عبد القادر في علم الطريقة، ولبس الخرقة على يديه[5]. ومع ذلك فقد كان علماء مدنية رجال ألمع يفضّلون هجرة أبنائهم في طلب العلم خارج مدينتهم، وكل ذلك يشير إلى نهج الحياة الفكرية قبيل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء.

---

(١) عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مخطوط، ورقة ١٧.

(٢) حول ديوان نفحات من عسير، مجلة المنهل، ع٨، س٤١، مج٣٦، شعبان ١٣٩٥هـ، ص٦١٣.

(٣) انظر - على سبيل المثال - قول الحفظي في عنوان كتابه: « النسيم الجدي والريحان الهندي مَنْ شمّه صار قلبه حيا ». نفحات من عسير، ص ٢٤.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٧.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٧. قال ابن تيمية في شأن الخرقة: « والكذب في هذا أظهر من الكذب فيما =

وكانت هذه الحياة الفكرية المحدودة برجال ألمع تشهد نشاطا يسيرا في مجال التأليف والنتاج الفكري، ولعل ما وجد من مؤلفات أحمد بن عبد القادر الحفظي، وابنه محمد بن أحمد(١) وغيرهما قبل ظهور الدعوة السلفية في بلدتهما يشير إلى تلك اليقظة الفكرية المبكرة في التأليف. وذلك على الرغم من اتسام بعض تلك المؤلفات بمسحة فكرية مغايرة، ولم توجد بعد ذلك في مؤلفات هذين العالمين في القرن الثالث عشر الهجري، إذ كان غالب تأليفهما من قبل يميل إلى التصوف، والقصائد الإلهية المطولة، والمعارف المتعلقة بالمدائح النبوية ونحوها(٢). وكانت هذه المدينة تشهد أحيانا شيئا من النقاش الفكري المتمثل في المعارضات والردود الفقهية، فقد أوجدت قصيدة أحمد بن عبدالقادر الحفظي: "جواهر اللآل في مدح الآل" نقاشا فكريا جادا مع نفر من علماء تهامة(٣)، هذا إلى جانب ورود شيء من الأسئلة الدينية إلى علماء رجال ألمع للإجابة والتحقيق(٤). وكان العلماء برجال ألمع يعتادون في كل عام مرور الحجاج اليمنيين بمدينتهم حيث يظفرون عندئذ بلقاء العلماء منهم(٥). مما يذكي الحركة الفكرية في جهاتهم عندئذ.

= ذكر من لباس الخرقة، وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن ردائه، وأنه فرَّق الخرَق على أصحابه، وأن جبريل أتاه وقال له: إن ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وأنه علق ذلك بالعرش. فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة، فإن النبي ﷺ لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف، ولا سماع دفوف وشبابات، ولا رقص ولا سقط عنه ثوب من ثيابه في ذلك، ولا قسمه على أصحابه، وكل ما يروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته». انتهى. انظر: فتاوى ابن تيمية، كتاب التصوف، ص ٨٨.

(١) انظر: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، للباحث، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج١، ص١٨٩.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٧، ١٨.

(٤) مثل تلك الرسالة المنظومة التي بعث بها الفقيه عبده بن هادي من حلي ابن يعقوب إلى أحمد الحفظي، محفوظة في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود رقم ٣٣١٢ / ٣م.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٤٣.

وفي ظل تلك الحياة الفكرية برجال ألمع قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، افتقد علماؤها المجال السياسي الذي يجدون في محيطه سبيلا لتنفيذ أحكامهم الشرعية، واحتراما لمكانتهم العلمية، كذلك فرض الانتماء العلمي والمذهبي على هؤلاء العلماء تبعية فكرية لعلماء اليمن، وقد دل على ذلك مكاتبة العلماء البكريين برجال ألمع لأئمة اليمن وعلمائها، فقد ذكر لطف الله جحاف أن أحمد بن عبد القادر الحفظي أرسل إلى إمام اليمن المنصور بكتاب يتضمن شرح قصيدته "سمط اللآل بفضل الآل"[1]، وأضاف إلى ذلك قوله بأنه «قد صار يدعو الناس إلى بيعة الإمام، ويحضهم على السعي إلى ذلك المرام»[2]، ولكن لطف الله جحاف استدرك من بعد ذلك بقوله: «ولات حين تمام؛ فقد باشره أمر عبد العزيز النجدي»[3]. ويبدو أن رغبة العلماء برجال ألمع في إظهار ميلهم المذهبي لآل البيت قد دفع الحفظي نفسه إلى أن يبعث بأرجوزته الفريدة إلى صنعاء في عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، وهذا دون شك يشير إلى وجود الفراغ السياسي برجال ألمع، ويدل على رغبة علماء هذه المدينة في تحقيق ذلك الانتماء السياسي؛ إذ دعاهم ذلك إلى البحث عن وجهة سياسية، لم تكد تتحقق إلا بظهور الدعوة السلفية التي رأى فيها أولئك العلماء عندئذ تحقيقا لرغباتهم المفقودة التي كانوا يطلبونها من قبل لدى الأئمة في صنعاء.

أما ميلهم الفكري والعلمي فقد برز من خلال ما كان يحتفظ به علماء

---

(١) درر نحور العين، ورقة ٣١٢، وقد ذكر جحاف أن إمام اليمن بعث للحفظي «بجائزة سنية، ستون قرشا فرانسة وكسوة عظمى»، ورقة ٣١٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣١٢، ويعني بذلك ظهور الدعوة.

رجال ألمع حينذاك من أجوبة علمية واستفسارات فقهية[1]، وكذلك فيما وجد لدى علماء اليمن من أسئلة دينية، فقد دلت الرسائل التي كان يبعثها هؤلاء العلماء برجال ألمع إلى علماء اليمن على وجود تأثير علمي لم يتغير إلا بظهور الدعوة السلفية[2]، وتغيير تلك الوجهة إلى الدرعية، ولعل مما يدل على ذلك تلك الأسئلة الفقهية التي بعث بها محمد بن أحمد الحفظي إلى الشيخ محمد ابن علي الشوكاني، إذ صوَّر له فيها الحال برجال ألمع حينذاك، وما كان يركن إليه الأهلون من قواعد قبلية، دون تطبيق للشرعية الإسلامية، وصوَّر ما كان يقاسيه من عناء عند تطبيق حد شرعي أو نحوه، إذ لا يتوافر له عندئذ شيء من أسباب السلطة السياسية[3]، وربما كان هذا الحال سببا في اجتماع أحمد بن عبد القادر الحفظي من قبل بنفر من علماء الجزيرة العربية في حج عام ١١٦٦هـ[4]. ومن هذا نلمس حال العلماء في رجال ألمع، وما كانوا عليه من مشقة في نهجهم الفكري والعلمي قبل قبولهم لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما الحياة الأدبية في رجال ألمع قبيل ظهور الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، فإنها لم تكن بأحسن حالا من الحياة الفكرية في تلك الفترة، إذ لا تكاد تخرج عن النطاق التقليدي المألوف، من حيث المحافظة على فنون الشعر والنثر المعروفة، وربما برز في شعر رجال ألمع عن سواه شعر التشيع، والتصوف، والمدائح النبوية، إلى جانب المدح والرثاء والوصف ونحوها. ومن شعر التشيع في رجال ألمع قول أحمد بن عبد القادر الحفظي:

---

(١) انظر: بيان كتب أحمد عبد القادر الحفظي، وابنه إبراهيم الزمزمي، وهو موجود لدى عبد الخالق ابن سليمان الحفظي، بأبها.

(٢) توجد هذه الأسئلة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء تحت رقم ١٨٦ فقه.

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج١، ص ٢٤٥.

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٣.

يا جيرة [1] الحي كيف الظاعنون[2] فهل   عن سادة بالمصلى عندكم خبر
وهل سمعتم بأحبابي وما فعلوا   وهل على الروضة الغنَّاء قد سمروا

أهل الكسا[3] وفروع المصطفى وبنو[4]   الزهرا[5] ونسل عليّ السادة الغرر
والله ما شاقني وادي العقيق ولا   أطلال ذي سَلم والبان والزهر
لكنهم كعبتي والمنحنى[6] وهم   ركني وملتزمي والحِجْرُ والحَجَرُ[7]

وقد تنبه إلى هذا الحسن بن أحمد عاكش، فأورد شيئا من شعر الحفظي[8] نفسه في هذا المجال، ثم عقّب بقوله: « ولقد كاتبه بعض العلماء الأفاضل بقصيدة في هذه المباحث، ونسبه [9] إلى الحب الغالي المؤدي إلى الرفض»[10]. والحق أن أحمد بن عبد القادر الحفظي لم يكن غاليا في شعره، وإنما شأنه شأن غيره من علماء جنوبي الجزيرة العربية الذين يكثرون نظم الشعر في آل البيت دون مبالغة في الغلو، وما قد يؤدي إلى الرفض، إلا من هذا التجوز في البيت الخامس من هذه القصيدة السابقة حين شبههم فيها: بالكعبة،

---

(١) وردت في الأصل «يا جيرت». وهو خطأ إملائي.
(٢) في الأصل « الظاعنين ».
(٣) كذا في الأصل.
(٤) وردت في الأصل « بنوا ». وهو خطأ إملائي.
(٥) كذا في الأصل.
(٦) وردت في الأصل «المنحنا».
(٧) توجد هذه القصيدة في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم ٢٦٩، ورقة ٢٣.
(٨) انظر: عقود الدرر، ورقة ١٧.
(٩) كذا في الأصل.
(١٠) المصدر نفسه، ورقة ١٧.

والركن، والملتزم. وقد كان موقف الحفظي واضحا من أولئك العلماء الذين رموه بالحب الغالي، إذ قال:

ولقد رموني بالتشيع والذي عند الأئمة أنه قسمان
وإذا اشتركنا صورة اسمية فالمعنيان لذاك مفترقان
وذكرت رمي الطاهرين ببدعة وبرفض أصحاب النبي[1] الفتيان
من أجل تقديم الوصيِّ وحبِّه وتفاضل لأئمة[2] الرضوان

ما حُبُّ مولانا علي علامة للرفض بل عنوان للإيمان
أما الشريعة فهي دين محمد والمحدثات ضلالة[3] الشيطان
وهم السفينة للنجاة وحبهم فرض وحبل تمسك وأمان [4]

وإلى جانب شعر أحمد بن عبد القادر في مدح الآل، وُجد له شعر يسير في التصوف وفي: الرثاء، والحج. وكان شعره - قبل ظهور الدعوة السلفية في رجال ألمع - صورة حقيقية لمستوى الشعر بذلك الجزء من جزيرة العرب، بالإضافة إلى أن شعر الحفظي نفسه يُعَدّ وثيقة اجتماعية لواقع الحياة في رجال ألمع [5]. ويمكن أن يُعَدّ شعر محمد بن أحمد الحفظي في أوائل طلبه للعلم من الشعر الذي عُرف برجال ألمع قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

---

(١) تختلس حركة الباء هنا مع الوصل ليستقيم الوزن.
(٢) في الأصل «وتفاضيل الأيمة»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٣) في الأصل «ظلالة»، والصواب «ضلالة».
(٤) المصدر السابق، ورقة ١٧، ١٨.
(٥) انظر: قصيدته في تلميذه عبد القادر بن سعيد وهو في الحج.

بتلك الأنحاء، فقد قال متشوقا إلى أخيه إبراهيم بن أحمد الزمزمي برجال ألمع:

حدا الحادي سحيرا للركائب وحث السير في جنح الغياهب
وساق اليعملات وقد حداها ومن شجو الحدا طوت السباسب
فلو خلت المطيَّ وقد أضاءت لها الطرقات في نار الحباحب

كمثل أخي ومحبوبي وصِنوي فقيه النفس من للفقه طالب
ذكيٍّ الفهم إبراهيم من لم يزل يسعى إلى أعلى المراتب
فيا صِنوي وخلِّي جِدَّ واصبر وثابر واكتسب خير المكاسب
وأنت بحمد ربي عند شيخ (١) ومن الآل الجحاجحة الأطائب
وصبرا للقراءة يا حبيبي فسوف ترى العجائب والغرائب (٢)

ولم يكن الشعر حينذاك يتسم بشيء من ملامح الجدة والتطور، وإنما كان تقليديا في شكله ومنهجه، يتبع النهج المعروف في شعر العصور الأدبية الضعيفة. أما النثر في رجال ألمع فقد كان ضعيفا محدودا إذا ما قورن بما أصبح عليه من حال بعد ظهور الدعوة بتلك الأنحاء، ولعل ما وجد منه قبل ذلك ينحصر في شيء من الرسائل الإخوانية، وفيما يوجه به بعض العلماء في رجال ألمع أسئلتهم الدينية، هذا إلى جانب أساليب التعبير المألوفة عند المؤرخين والعلماء بهذا الجزء من الجزيرة العربية.

---

(١) يعني أباه أحمد بن عبد القادر الحفظي.

(٢) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

٣ - المخلاف السليماني:

أما حال الفكر والأدب في المخلاف السليماني قبيل ظهور الدعوة في مدنه، فقد كان أحسن حالا من بقية مدن تهامة الأخرى، ولعل اتصال هذه الأجزاء حينذاك بأئمة صنعاء قد أكسبها شيئا من اليقظة الفكرية، وجعل طائفة من علمائها يكثرون الاتصال بعلماء اليمن، هذا إلى جانب تشجيع أشراف آل خيرات للحياة الفكرية بالمخلاف السليماني خلال تلك الحقبة، مما ساعد على إذكاء جذوة الفكر بتلك الأنحاء.

ومن الواضح أن المخلاف السليماني قد حفل في القرن الثاني عشر الهجري بعدد من المذاهب الدينية والفرق الأخرى، فقد نتج عن الاتصال الفكري باليمن حينذاك أن وُجد من يدين بالمذهب الزيدي[(١)] وبخاصة في ضمد[(٢)] والنعامية[(٣)] وغيرهما[(٤)]. أما معظم مدن المخلاف السليماني الأخرى فقد كانت تميل إلى المذهب الشافعي، إذ ذكر محمد أحمد الحفظي أنه في نحو عشر مراحل من رجال ألمع لا يوجد حينذاك مؤلف للحنابلة[(٥)]، «إنما هي كتب

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، من أدب الدعوة في الجنوب، الدارة، ع١، س٨، شوال ١٤٠٢هـ، وانظر كذلك: خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد، لعبد الرحمن بن الحسن البهكلي، فقد ذكر سبب خروج الشريف خيرات الذي تنسب له أسرة الأشراف حكام المخلاف السليماني فيما بعد، إذ قال نقلا عن كتاب الجواهر الحسان في أخبار أبي عريش وجازان للأسدي: «أما سبب خروجه [خيرات] من مكة المشرفة فأخبرني من وثقت بخبره أنه لما رأى انطماس المذهب الزيدي . . . بمكة - عمرها الله تعالى - وعدول كثير من أشرافها عنه . . . أنف من مساكنتهم على ذلك فخرج إلى اليمن» انتهى. ورقة ٨، ٩.

(٢) انظر: المقامة الضمدية، ص ٢١.

(٣) قال عنها العقيلي بأنها «حلة في عروج صبيا الجنوبية». معجمه الجغرافي، ص ٤١٠.

(٤) حديث مع محمد بن أحمد العقيلي، جازان.

(٥) اللجام المكين، ورقة ٣.

الشافعية»[1]، وهذا دليل واضح على شيوع المذهب الشافعي وانتشاره في نواحٍ كثيرة من تهامة، هذا إلى جانب وجود بعض الفرق الدينية الأخرى من صوفية وشاذلية[2] ونحوهما. وذلك لما تهيأ لهذه الأنحاء من ظروف بيئية مساعدة، فقد كانت قريبة من مدن اليمن العلمية الشهيرة، وذات وفرة في الأسر العلمية والعلماء، كما أنها تتسم بالمناخ الدافئ، وتضم سبلا رئيسة للحج والتجارة.

وحينذاك لم تسلم تلك الأجزاء من جزيرة العرب من شيوع البدع والمعتقدات الباطلة، فقد وجدت بها القباب والقبور ذات القداسة عند أهل المخلاف السليماني. وكان من أبرزها: قباب الأشراف بأبي عريش[3]، وقبر أبي سبعة لدى السادة الجعافرة[4]، هذا بالإضافة إلى جهل الناس حينذاك بوحدانية الله وتفرده، وانصرافهم نحو البدع الضالة، والعادات الباطلة، وليس أدل على ذلك من قول عبد الرحمن بن الحسن البهكلي (١١٤٨ - ١٢٢٤هـ) حين ذكر بأن نفرا من أهالي أبي عريش حينما نزل بهم مرض الجدري عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، التجؤوا إلى قاسم بن المعكوي شيخ قبائل فيفاء عند ذاك، في فرج لهذه المحنة، فأمرهم بذبح بقرة، فذبحوها بسوق

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٢) قال في دائرة المعارف الإسلامية الشاذلية: «بكسر الذال أو بفتحها، وتضم في إفريقية، فرقة صوفية سميت بهذا الاسم نسبة لأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي، ويختلف في ذكر لقبه، فيقال: تاج الدين أو تقي الدين، عاش بين ٥٩٣ - ٦٥٦هـ، ص ٥٧ - ٥٨، وورد في هذا المصدر نفسه: «ويحكي. ك. نيبور أنه كان يوجد في «مخا» في جنوبي جزيرة العرب شيخ شاذلي يعده الناس وليا تحفظ بركته ذلك المكان، وأنه هو الذي استحدث شرب القهوة»، ص ٦٠، ج ١٣. وقد قرن أمين الريحاني طريقة أحمد بن إدريس (. . . - ١٢٥٣هـ) الصوفية في صبيا بالشاذلية. انظر تفاصيل ذلك في كتابه: ملوك العرب، ج١، ص٢٥٦.

(٣) عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، نزهة الظريف في حوادث دولة الشريف، ورقة ٧، ١٠، ٢٥.

(٤) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩٤، ويعرف حينذاك عند أهالي تهامة بـ«سايق العرج».

المدينة، وما كادوا يعقلون[1]. وقد زاد في هذا الضلال والجهل قيام الفتن في ربوع المخلاف السليماني، بين قبيلتي الدهنا[2] والمحلة[3]، وبين أهالي أبي عريش، وقبائل يام المكرميين[4]، مما جعل الحال الفكري بتلك الأنحاء مضطربا.

ويبدو أن معظم العلماء في المخلاف السليماني ـ قبيل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء ـ قد ركنوا إلى التقليد، فقد ذكر الحسن بن أحمد عاكش أن تلك الجهات لا نظر لها غير التقليد[5]، وأن علماءها «لا يلتفتون إلى كتب الحديث إلا نادرا»[6]. كذلك كان من الواضح أن علماء هذه الأنحاء قد قصروا اتصالهم الفكري ـ إلى حد كبير ـ على علماء اليمن، فقد ذكر عاكش أن علماء مكة المكرمة كانوا في الغالب لا يلتفتون إلى أولئك العلماء، وبخاصة «من كان منسوبا إلى مذهب آل البيت»[7]، ورغم ذلك وُجد من علماء المخلاف السليماني من أحيا السُّنَّة النبوية، واستنكر البدع والمعتقدات الباطلة، فكان أحمد بن عبدالله الضمدي - كما وصفه ابنه عاكش - يحض الناس على العمل بالسنة النبوية، ويرشدهم إليها[8]، كما كان حسين بن مهدي النعمي (... - ١١٨٧هـ) من قبل يحارب البدع، ويسعى في إزالتها وإبطالها[9]، مما جعل موقف هذين العالمين سبيلا لانتشار الدعوة السلفية فيما

(١) كتابه السابق، ورقة ٢٧، وانظر كذلك: تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي، ج١ ص٤٠٤.
(٢) «قرية من قرى وادي بيش غرب قرية العالية». المعجم الجغرافي للعقيلي، ص ١٨٤.
(٣) محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٤٢٤.
(٤) عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، كتابه السابق، ورقة ١، ٧، ٩، ١٥، ٢٢، ٣٨. انظر: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٤١١ - ٤٢١.
(٥) حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، مخطوط، ورقة ٥.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٧) المصدر نفسه، ورقة ٢.
(٨) المصدر نفسه، ورقة ٦.
(٩) انظر كتابه: معارج الألباب.

بعد، وترويضا لقلوب كثير من العلماء والأهلين، إذ هما ـ فيما يبدو ـ قد تأثرا عندئذ بهذه الدعوة ومنهجها.

وقد كان المخلاف السليماني حينذاك لا يخلو من المدن العلمية الشهيرة، ولا يفتقر إلى وفرة العلماء، ووجود الأسر العلمية، إذ كان من أبرز مدنه العلمية: أبو عريش، وضمد، وصبيا، كما كان من أشهر أسره العلمية أيضا: السباعية[١]، وآل البهكلي[٢]، وآل الحكمي[٣]، وآل شافع[٤]، وآل الأسدي، والحوازمة. ولعل من أبرز علماء المخلاف السليماني في القرن الثاني عشر الهجري، علماء أسرتي آل البهكلي[٥] وآل النعمي[٦] وغيرهم من علماء ضمد المشهورين[٧]، فقد نتج عن وجود تلك الأسرة وأولئك العلماء يقظة في التأليف، والنتاج الفكري. ولعل ما يوجد الآن في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء[٨]، وغيرها من المكتبات الخاصة بالمخلاف السليماني[٩] يشير إلى

(١) عبد الرحمن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩٤، ٩٥. قال محمد أحمد العقيلي نقلاً عن مؤلف الجواهر اللطاف (المخطوط): «السباعية القضاة المشهورون من سكنة قرية الرجيع في بلاد الجعافرة. المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، البهاكلة علماء المخلاف، مجلة العرب، ج٧، ٨، س٩، ١٣٩٥هـ، ص٥٥٢.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، آل الحكمي، مجلة العرب، ج٩، ١٠ س٩، الربيعان ١٣٩٥هـ، ص٧٨٥.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، علماء آل شافع في صبيا، مجلة العرب، ج١، س٧، رجب ١٣٩٢هـ، ص٤٧.

(٥) انظر: مقدمة المقامة الضمدية، ص ٧ - ١٠.

(٦) لعل من أشهرهم: الحسين بن مهدي النعمي، وردت ترجمته في مؤلف مخطوط لدى الباحث، وهي كذلك في كتاب نشر العرف، لمحمد محمد زبارة.

(٧) منهم: عبد العزيز بن محمد النعمان الضمدي، وأحمد عبد العزيز الضمدي، وأحمد عبد الله الضمدي.

(٨) انظر: فهرس هذه المكتبة، ويوجد منه نسخة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود.

(٩) انظر: فهرس مكتبة العقيلي الخاصة.

اهتمام أولئك العلماء بشأن التأليف، وبخاصة علماء الزيدية في ضمد وفي غيرها.

أما الحياة الأدبية بالمخلاف السليماني قبيل ظهور الدعوة السلفية في مدنه، فقد كانت محدودة إذا ما قورنت بما أصبحت عليه بعد الدعوة، ولكنها رغم قلتها ومحدوديتها لم تكن ضعيفة بتلك الصورة التي ظهرت بها هذه الحياة في: رجال ألمع، وعسير قبيل ظهور الدعوة فيهما، ولعل من أبرز موضوعات ذلك الأدب في مجال الشعر: المدح والرثاء والإخوانيات. أما النثر فإن نشاطه حينذاك قد فاق الشعر، إذ وجدت منه: الرسائل، والمقامات، والخطب، والتقريظات، ونحوها، وربما كان شمول الأدب في مجال النثر لهذه الأنواع الأدبية بالمخلاف السليماني قد ميزه عن سواه بخصائص جديدة.

ومن شعر هذه الفترة بالمخلاف السليماني: قصيدة عبد الرحمن بن الحسن بن علي البهكلي (١١٤٨ - ١٢٢٤هـ) في رثاء الشريف حيدر بن محمد عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، إذ قال:

ما لي أرى شمس الضحى لا تكسف ... والبدر في أنواره لا يخسف

والزهر في أفلاكها مسرورة ... والأرض ليست كالخلائق ترجف

والراسيات الشامخات مشيدة ... فيها فلا دكت ولا هي تنسف

والبحر لم يترك تزايد مده ... لا[1] شأنه جزر إذا هو ينصف

لا غرو إن هي لم تزل عن حالها ... ليست لقدر الرزء حقا تعرف

قد مات سلطان البسيطة حيدر ... حامي الحمى والمشرفية ترعف[2]

(١) في المصدر «فلا». ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، كتابه السابق، ص ٧.

ويشبه هذا اللون الشعري الشعر الوافر الذي وُجد في ميدان الإخوانيات، فقد اعتاد شعراء المخلاف السليماني الاتصال الأدبي بشعراء اليمن، ورجال ألمع، وذلك محافظة منهم على التقاليد الأدبية المعهودة، ورغبة في إشباع حنينهم إلى إخوانهم الأدباء في المواطن الفكرية المحدودة بهذه الأنحاء، ورغم ذلك لم يسلم هذا الشعر من المحاكاة والتقليد والانتحال، فقد دلت المصادر على استحسان هؤلاء الشعراء لمثل هذه الظواهر الشعرية، ويتحقق ذلك في عمل أحمد بن عبد الله الضمدي (١١٧٤ - ١٢٢١هـ) حين بعث بقصيدة إلى إبراهيم بن أحمد الحفظي (١١٩٩ - ١٢٥٧هـ)، فقد أخذ الضمدي معظم أبيات قصيدة الأمير الصنعاني التي يقول في مطلعها:

لا صبر لا صبر على ذا البعاد فاسلك بنا الرفق ونهج السداد[١]

إذ لم يبدل الضمدي في أبيات هذه القصيدة سوى قوله في نهايتها:

وابلغ الشيخ صفي الهدى كذا صنويك وأهل الوداد[٢]

ولا غرو أنْ سلَك هذا الشعر عندئذ سبل التقليد والمبالغة والمحاكاة، فالواقع أن هذه البيئة الأدبية لم تكن حينئذ تحس بشيء من أسباب اليقظة الشعرية، وإنما كانت تتبع تقاليد العصور الأدبية الضعيفة، إذ إن اليقظة الشعرية النشطة لم تبرز إلا حينما بدأت الصحوة الفكرية الحقيقية مع ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء. وذلك حينما صاحب ذلك الشعر شيء من الصراع الفكري والمذهبي.

(١) انظر: ديوانه المخطوط، ورقة ٦٨.

(٢) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

ولعل ما وُجد من نثر تقليدي في ميدان الأنواع النثرية المعروفة بالمخلاف السليماني، قد دل على وجود يقظة أدبية محدودة، إذ إن اهتمام العلماء بالرسائل الإخوانية، وشغفهم بكتابة التقريظات، وإنشاء المقامات يشير إلى شيء من أسباب تلك اليقظة الأدبية الأولية. ولعل تلك الحياة الأدبية قبل الدعوة تتجلى في وفرة المقامات الأدبية، واتسامها بملامح المدلول الرمزي، إذ إن الأدباء حينذاك - فيما يبدو - قد أحسوا بتبدل أوضاع مجتمعهم، واختلاف أهواء ولاة أمورهم، فقد ألف الحسن بن علي البهكلي (١٠٩٩ - ١١٥٥هـ) مقامة أدبية حين خرج مع نفر من أصحابه إلى أحد متنزهات مدينة ضمد بالمخلاف السليماني. وكان قد مر بكرمة في بعض نواحي تلك الهجرة، فأراد أن يجعل أحداث مقامته حولها، إذ قال مخاطبا إياها:

« . . . ما أقدمك البلاد من الحجاز؟ إنما هي موطن النعمة [١] المباركة الفروع والأعجاز، أضللت عن السبيل؟ أم أردت سكون الأطراف تبعا لبعض الأشراف فهي مواضع الطُرَّاف، لقد استسمنت ذا ورم . . .

فقالت: وعليكم السلام ما صدحت ورق الحمام على عذبات البشام، وأهدت نسيمات الصبا روائح الخزام، أيها القوم الأدباء والرفقة النجباء صَه ومَهْ، أصيخوا لما ألقيه، واستمعوا لما أرويه، واعملوا بقول نبيكم صلوات الله عليه: « ارحموا عزيز قوم ذلَّ، وغني قوم افتقر »[٢] . . .

وإني من صميم سادات الكرم أصلا، وممن نال سهم القدح المعلى، إذ لا أقطف إلا للملوك الأكابر، ولا ينالني الصعلوك المقامر. وكنت غرسة في بعض حدائق الأشراف، يخدمني من أنواع الكرم الحَظِر والأطراف، وتاقت

(١) في إحدى نسخ هذه المقامة المخطوطة « العمة ».

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الموضوعات، ج١، ص٢٣٦.

نفسي أن يخدمني غيرها من الألفاف، فحصل على أهل تلك الناحية جدب عظيم، وقحط عميم، فالتجؤوا إلى بعض أهل الصلاح مستشفعين في سيل يملأ الشعاب والبطاح . . . . »[1].

وقد دلت هذه المقامة على شيء من حال المخلاف السليماني في القرن الثاني عشر الهجري، إذ ذكر كاتبها الأشراف، وأشار إلى وضعهم السياسي بقوله: « لقد استسمنت ذا ورم »، كما أشار إلى كثير من أوضاع مجتمعه حين أفاد من تاريخه الاجتماعي في تكوين عناصر مقامته، ولكنه كان يجنح كثيرا إلى استخدام بعض المدلولات اللغوية ذات الصبغة الدينية المخالفة، في مثل قوله: « فالتجؤوا إلى بعض أهل الصلاح مستشفعين في سيل يملأ الشعاب والبطاح »، مما صوَّر حال مجتمعه الديني قبل ظهور الدعوة السلفية. ورغم ذلك فقد استطاع أن ينقل أفكاره بأسلوب جزل، يتسم بالحيوية والمتعة، ويتصف بالمدلول الرمزي الواضح.

٤ - اليمن:

ويمكن أن تُعَدّ بلاد اليمن من أكثر بلدان جنوبي الجزيرة العربية نشاطا في ميدان الفكر والأدب. وذلك قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، إذ ضمت عددا كبيرا من العلماء، وأنتجت قدرا وافرا من المؤلفات، واستقطبت جماعة من المهاجرين في سبيل العلم، كما أنها عُرفت بمراكزها الفكرية الشهيرة، وتعدد مصادرها الأدبية والفكرية، ولكنها على الرغم من ذلك لم تسلم في معظم الأحيان من تطرُّف في فكرها، وتعصُّب في مذهبها.

---

(١) المقامة الضمدية، ص ٢٤، ٢٥.

ولعل جهل بعض الناس في اليمن بالتوحيد[1]، وتعصب نفر منهم[2]، وانصرافهم نحو التبرك بالقبور والقباب[3]، قد أنهك حياتها الفكرية والأدبية، وأوجد فتورا في نشاطها، كذلك كان لضعف الأئمة في اليمن[4]، ونشوء الصراع المذهبي بين الزيدية والشافعية[5]، ووفرة الفرق الدينية أثر في الواقع الفكري بهذه الأنحاء، وربما ظهر ذلك جليا في مجَال الفكر والثقافة. أما الأدب فقد كان شأنه مثل شأن الأدب ببلدان الجزيرة العربية الأخرى من حيث الركود الفكري، والتقليد الشكلي، ولعل انصراف هذا الأدب نحو الأئمة في اليمن ومذهبهم قد أكسبه تفردا مشهودا.

وحينما نأتي على جانب العقائد والمذاهب الدينية في اليمن قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، نجد أن المذهب الزيدي من أكثر تلك المذاهب انتشارا في: صنعاء[6]، وصعدة وما حولهما، وأن المذهب الشافعي -كذلك- من أوسعها انتشارا في: تهامة اليمن[7]، وتعز، وإب، والجند، والبيضاء، وحضرموت، وعدن[8]، وأن المذهب المالكي موجود في: مأرب

---

(١) مجموع، الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٧٨.
(٢) سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية، ص ٣٤.
(٣) محمد بن عبد الله السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٤.
(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج١، ص١٥٨.
(٥) يقول ابن الوزير في أطباق الحلوى: «إن الاختلافات المذهبية والنزعات الطائفية كانت السبب في كل الحروب المحلية» وأضاف إلى ذلك أن: «الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم (...- ١٠٩٢هـ) لا يحتمل وجود فقهاء الشافعية في مساجد تعز، ويسميهم كفار التأويل». وكان هذا الإمام «يتعجب حينما يرى فقهاء الشافعية يؤمون الناس في مساجد تعز مع وجود فقهاء الزيدية».
انظر هذا جميعه في تاريخ المخلاف السليماني، للعقيلي، ج٢، ص١١٢٠، ١١٢١.
(٦) محمد أحمد العقيلي، المخلاف السليماني، ج٢، ص٢٦.
(٧) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٥٧.
(٨) أحمد شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٤٠.

وما حولها[1]، وأنه ربما وجد المذهب الحنفي في بندر مسكات[2]. هذا إلى جانب وجود عدد من الفرق الدينية الأخرى مثل: الصوفية، والنقشبندية الصوفية[3]، والإسماعيلية[4] الباطنية، والطرفية[5]، والإمامية[6] وغيرها، كذلك وُجدت بحضرموت: الجبرية[7]، والحلولية، والأشعرية[8]. وإلى جانب وجود هذه المذاهب الدينية والفرق المختلفة عَرفت اليمن قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيراً من المعتقدات الباطلة، والبدع الضالة[9].

---

(١) مقابلة شخصية مع عبد الصمد بن محمد الوزير (صنعاء في ٢١/ ١١/ ١٤٠٢هـ).

(٢) محمد محمد زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ج٢، ص١٠.

(٣) محمد محمد زبارة، نشر العرف في نبلاء اليمن بعد الألف، ج١، ص٣٠.

(٤) حسن محمد جوهر، ومحمد السيد أيوب، اليمن، ص٤٩، انظر مقال: عبد الله أحمد الثور، المذاهب والأديان، الجمهورية، ع١٤٩، ص٢، ٢٩/ ٥/ ١٩٦٥م.

(٥) أبو محمد اليمني، الفرق، مخطوط ورقة ٥١، جامعة الملك سعود تحت رقم ٧٠٤.
قال أبو محمد اليمني: في حال الباطنية: «وإنما قيل لهم الباطنية لقولهم: إن لكتاب الله تعالى ولأحكامه ولسنة نبيه ﷺ، ولكل حيوان وجماد ونحوه لغة بواطن خفية وإشارات مرموزة . . . بخلاف ظاهرها يجري منها مجرى اللب من القشر كالجوز واللوز والبيض وما شاكل ذلك». ورقة ٥١.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٥١.

(٧) ورد في دائرة المعارف الإسلامية: «يطلق هذا الاسم في تاريخ الفرق الإسلامية على الذين ينكرون الاختيار مخالفين في ذلك القدرية، ومن ثمّ لا يفرقون بين الإنسان والجماد من حيث إنه مجبر على أفعاله. وشيخ الجبرية جهم بن صفوان». ج٦، ص ٢٨٢.

(٨) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص١٣٤.

(٩) انظر: معارج الألباب لحسين بن مهدي النعمي. ولقد صدق محمد بن إسماعيل الأمير حينما قال:

«أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وودّ بئس ذلك من ودٍّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدي»

الديوان، ورقة ٥٦.

ويبدو أن الثقافة والتعليم قد عمَّت معظم بلدان اليمن في القرن الثاني عشر الهجري؛ لما عرف عن أهلها من حب للعلم، ولما اشتهر من مراكزها الفكرية، إذ تعددت هجر العلم، وكثرت مواطنه العلمية، فقد عُدَّت صنعاء - قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جنوبي الجزيرة العربية - من أشهر مراكز الفكر باليمن؛ وذلك لأنها غدت حينذاك مهاجرا للدارسين وملتقى علميا للعلماء والنّابهين من أبناء اليمن، هذا بالإضافة إلى أن صنعاء قد عَرفت جماعة من العلماء البارزين، لعل من أشهرهم في تلك الفترة: محمد ابن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ)، وأحمد بن علي النهمي (١١٣٠ - ١١٨٦هـ) وإسماعيل بن يحيى الصديق[١] (١١٣٠ - ١٢٠٩هـ)، كذلك عُرفت صنعاء بمساجدها الشهيرة ذات الصبغة التعليمية، ولعل من أبرزها: جامع صنعاء الكبير، ومسجد الفليحي[٢].

وإلى جانب مدينة صنعاء عرفت اليمن عددا كبيرا من المراكز الفكرية الأخرى، لعل من أهمها: ذمار، وكوكبان، وصعدة، وحجة، وشهارة، وحوث[٣]، وزبيد، والمراوعة، وبيت الفقيه، والزيدية، وشبام، وتريم، وعدن، وحضرموت، ولاغرو فاليمن تضم قدرا كبيرا من: العلماء، والأدباء، والحفَّاظ، والمشايخ، فقد تحدث عنهم حسين بن عبد الله العمري، فذكر منهم: علماء آل أبي الرِّجال، وفقهاء آل العمري، وآل الأرياني، وشعراء آل إسحاق، وآل شرف الدين بكوكبان، كما أشار إلى حفاظ زبيد، ومشايخ حضرموت[٤]. وإن الأمر ليتعدى ذلك، إذ عدَّد محمد محمد زبارة

(١) محمد بن علي الشوكاني، أسلاك الجوهر، ص ١٣ - ١٥.
(٢) محمد بن أحمد الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ص ٢٣، ٩٠.
(٣) انظر: البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني.
(٤) محمد بن علي الشوكاني، أسلاك الجوهر، ص ١٣، ١٤.

كثيرا من أسر العلم باليمن فجعلها أكثر من مائتي أسرة علمية[1]. ولذلك فقد عدت بلدان اليمن وجْهة علمية يقصدها العلماء والمهاجرون في سبيل العلم من: عسير، ورجال ألمع، والمخلاف السليماني، وبقية بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى، إذ يتلقون على علمائها فنون العلم من: تفسير، وفقه، وحديث، وأصول، وفرائض، ونحو، وصرف، وعروض، ومنطق، ومعان، وبيان[2]. كذلك كان علماء اليمن يعتادون الهجرة في طلب العلم إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ويكثرون المشاورة مع علمائهما، وربما عمد نفرٌ منهم إلى إهداء شيء من مؤلفاتهم إلى مكتبة الحرم المكي، إذ هي عندئذ مكان علمي يضم شتى المؤلفات من العالم الإسلامي.

وفي الحقيقة أن المذاهب الدينية والفرق الأخرى المنتشرة في اليمن قد أوجدت حينذاك صراعا فكريا جادا بين علماء اليمن أنفسهم قبيل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، وذلك حينما كانت تتعارض وجهات النظر حول مسألة فقهية أو قضية فرعية. ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ: الصراع النشط الذي نشأ بين علماء الزيدية المتعصبين، وعلمائها المعتدلين، فقد ألف محمد بن إسماعيل الأمير رسالته الموسومة بـ "المسائل المرضية في اتفاق السنية والزيدية"[3]، فنشأت من أجلها ردود مختلفة تجلت في المؤلفات الوافرة التي عارضت فكرة هذه الرسالة، ولعل من أبرز تلك المؤلفات المعارضة: "البدور المضيئة الهادئة إلى مذهب العترة النبوية في الرد على ترهات السنية"[4]، و"السيوف المنضية"[5]، "واللوامع الهدوية والأنوار الزيدية"[6]، كذلك

(١) محمد محمد زبارة، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، ص٨٧ - ٨٩.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٨، ٦٣.

(٣) توجد نسخة من هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

(٤) توجد نسخة من هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

(٥) توجد نسخة من هذه الرسالة المخطوطة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٦٩.

(٦) توجد نسخة من هذه الرسالة المخطوطة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٤١.

كان لمواقف الشوكاني الاجتهادية المبكرة أثر في إيجاد صراع فكري واسع، إذ نتج عنه عندئذ مكاتبات علمية، ومؤلفات عديدة[1]. وكل ذلك يدل على ابتلاء هذا الجزء من جزيرة العرب بالتعصب المذهبي، والحرص على المعارضات الفكرية، وهذا - دون شك - يُفقد الفكر أصالته، ويساعد على تبديد الجهود وإضاعة الوقت، وربما كان ميل الأئمة من حكام اليمن نحو بعض الاتجاهات الدينية قد ساعد على إذكاء روح النزاع الفكري[2] وإحياء العصبية بين العلماء.

ولم تكن هذه الصراعات الفكرية قاصرة على علماء السنة والزيدية، وإنما شملت كثيرا من الاتجاهات الدينية الأخرى، إذ ضم اليمن كثيرا منها، ولعل كره الزيديين للصوفية وطرقهم قد أوجد نشاطا فكريا ملموسا[3]، وأدى إلى وفرة في التأليف والنتاج الفكري. هذا إلى جانب الصراع المذهبي الرئيس الذي كان ينشأ بين الزيدية نفسها، والشافعية في تهامة [4]، بالإضافة إلى ما كان يظهر من خلافات مذهبية وفكرية بين علماء اليمن أنفسهم في: تهامة، وحضرموت، وعدن.

وكان من نتائج تلك الحركة الفكرية باليمن - قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها - أنْ وُجدت صحوة علمية نشطة في مجال التأليف، وربما كان العامل الرئيس في وجودها تعصب علماء الزيدية لمذهبهم، ودراية أئمتهم بأهمية النتاج الفكري، إذ لا يتولى أحدهم إمامة اليمن، إلا وهو ذو دراية وعلم[5]. كذلك كان من أسباب وفرة النتاج الفكري في مجال التأليف ميلُ نفر من علماء

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٣٣.

(٢) محمد بن حسن الغماري، كتابه السابق، ص ٥٣.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ٦٠، ٦١.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص١١٢٠.

(٥) محمد بن حسن الغماري، كتابه السابق، ص ٥٤.

الزيدية إلى الاجتهاد[1]، واهتمام فرقة الهادوية الزيدية بالتأليف[2]، والناظر في التراث اليمني في تلك الحقبة يدرك حقيقة النشاط الفكري. ويبدو أن علوم الدين واللغة العربية والتأريخ، قد حظيت باهتمام علماء اليمن في القرن الثاني عشر الهجري، شأن غيرهم من علماء الجزيرة العربية. ويمكن للدارس أن يتحقق من هذا القول في كتَابَي: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن[3]، ومصادر التراث اليمني[4]، فقد شملا - إلى حد كبير - مصادر ذلك التراث الفكري.

وفي ظل هذا النشاط الفكري باليمن، لم تسلم البلاد ولا العلماء من الفتن والظلم، إذ بات الواقع الفكري باليمن في القرن الثاني عشر الهجري مرهونا بالأهواء السياسية والمذهبية، فلا سبيل للتحرر الفكري ونبذ التقليد إلا في حدود ضيقة محدودة، ولعل هذا يبرز في مواقف عالمي اليمن المجتهدَيْن: محمد بن إسماعيل الأمير، ومحمد بن علي الشوكاني اللذين وجدا من جفوة العلماء ما زادهم ثباتا وقوة، وما نقموا منهما إلا أنهما يعملان على إحياء علوم القرآن والسنة النبوية، ويميلان إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ويدعوان إلى قطع ربقة التقليد والتعصب، فقد لبث الأمير قدرا من الزمن في السجن، بسبب تركه الدعاء لأئمة اليمن في خطبة الجمعة[5]، والشوكاني أُوذي بردود العلماء الكثيرة عليه، واستنهاض العامة ضده[6]. كل ذلك كان يستعر في

(١) المصدر نفسه، ص ٥٤، وانظر كذلك: مقدمة ديوان الشوكاني، ص ١٦.

(٢) محمد بن حسن الغماري، كتابه السابق، ص ٥٤.

(٣) لعبد الله بن محمد الحبشي.

(٤) لحسين بن عبد الله العمري.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٣.

المحيط الفكري باليمن إبان ظهور الدعوة السلفية فيها، ولا غرو عندئذ أن توافق هذه الدعوة السلفية شيئا كثيرا مما عند هذين العالمين الجليلين وغيرهما.

أما الحياة الأدبية في اليمن - قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها - فكانت لا تخرج عن النطاق الفكري السابق، ولكنها ربما تميزت بنشاطها، ومحافظتها على أنماط الأدب التقليدية، شأن مثيلاتها من مدن الجزيرة العربية، ولعل نشوء الفرق الدينية المتعددة، واتساع المذهب الزيدي في اليمن وتعصبه، قد وسم الأدب بشيء من الخصائص والسمات. وذلك في مجال التشيع لآل البيت ورفض كل الاتجاهات الفكرية الأخرى، بخلاف المذهب الشافعي الذي يتعاطف كثيرا مع التيارات الفكرية المختلفة التي عرفتها اليمن كالتصوف ونحوه، فقد كان المتصوفون يفضلون المقام في تهامة حيث الأمن والهدوء(١) وشيوع الشافعية هنالك. ومهما يكن الأمر فقد عُدَّ الاتجاه الزيدي في الأدب اليمني سبيلا ليقظة فكرية جديدة واجهت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد، ونبهت الواقع الفكري في اليمن الموسوم آنذاك بالركود. أما الجانب الشكلي في شعر اليمن خلال تلك الفترة، فقد كان قويا إذا ما قورن بغيره من شعر الجزيرة العربية(٢).

وتأتي الاتجاهات السياسية والدينية والاجتماعية في مقدمة أغراض الشعر اليمني في القرن الثاني عشر الهجري، إلى جانب الشعر التقليدي المعروف من: مدح، ورثاء، وإخوانيات، ومناقضات وغيرها، هذا بالإضافة إلى ومضات محدودة من الشعر الوجداني الأصيل. فمن تلك الاتجاهات الشعرية

---

(١) عبد الله محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ٢١.

(٢) انظر شعر حسين بن غنام (... - ١٢٢٥هـ)، وأحمد بن مشرف (... - ١٢٨٥هـ)، وتجد أشعارهما في شعر الجزيرة العربية، لعبد الله الحامد، ص ١٦٣، ٢٠٦.

شعر أحمد بن أحمد الآنسي في تصوير حال اليمن، حينما التجأ إلى شريف مكة في دفع تلك المحن، وإعانة الرعية[١].

كذلك كان شعر محمد بن إسماعيل الأمير يفيض بالقصائد الاجتماعية الجادة التي تصور ما كان يقاسيه الأهلون في اليمن من الضرائب والمكوس، فقد نظم قصيدة في هذا الشأن، قال فيها:

سؤال فهل مُفتٍ عليه محرر[٢] ... ويبرز برهانا صحيحا ويزبر

يبين ما وجه المكوس التي غدت ... على كل مال في البلاد تصدر؟

أجاء عن المختار حرف بأخذها[٣]؟ ... فيا حبذا إن كان ذا الحبر[٤] يخبر

ويوضح لي من كان مكّاس أحمد ... بطيبة إذ فيها النبي المطهر

وفي مكة من كان من بعد فتحها ... يفتح أموال الحجيج وينشر؟

ومن كان في هذي[٥] السواحل قاعدا ... يباشر أموال العباد ويعشر؟

ويعطي أهل[٦] العلم منها جراية ... وهذا لعمري في الحقيقة أنكر

كفى حزنا في الدين أن حُماته ... إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر

وما بال إقطاع البلاد لسادة ... لهم في العلا بيت من المجد يزهر

---

(١) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج١، ص٧٥، يقول زبارة في هذا: «ولبث بمكة أعواماً وامتدح أمير الحجاز، الشريف أحمد بن غالب الحسني بقصيدة بائية، وحضه فيها على النهوض إلى اليمن واستنقاذ الرعية من شركة المحن» المصدر نفسه.

(٢) في الديوان المطبوع «يحرر».

(٣) في الديوان المطبوع «يحلها».

(٤) في الديوان المطبوع «الخبر».

(٥) في الأصل المخطوط «هذا».

(٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب «لأهل».

وعـرج على حكام شـرعـة أحـمـد　　وقل لهم: حتَّام[1] بالشرع يسخروا؟
تحـــاليـــتم[2] أكل الرشــــا فكأنما　　يدار عـليكـم في المـواقف سـكر[3]

أمـا الاتجـاهات الدينيـة في شـعـر اليـمن، فـقـد برزت جلية في جـانب التصوف والتشيع ونحوهما، ومـن ذلك قـول القـاسم بـن أحمد بـن عبد الله (١١٦٦ - ١٢١٧هـ) في حال المتصوفين:

هذي الطريقــة لـلمــريد مـــبلغ　　مخ التـــصــوف وهـي لـب لبــابه
وجـمـاعـة رقـصـوا على أوتـارهم　　يتـجــاذبون الخـمــر عن أكــوابه
يتــواجــدون لكل أحـوى أحــور　　يتـــعـللون من الـهــوى برضــابه
ألوحــدة جـعلوا المثـاني مـؤنسـا؟　　واللحن عند الذكــر من إعــرابه

فـمن المحـال ترى المهـامـه تنطوي　　لمشــعــبــذ من دون وخــد ركــابه
وخــرافــة، بشــر يرى مــتــشكلاً　　مــتــمكنا من لبس غــيــر إهابه[4]

وإذا كـان هـذا مـوقف شـعـراء الزيدية تجـاه المتصـوفين، فإن مـوقفـهم من الروافض يكاد يكـون أكثر سـخـرية ومقتا، ومن ذلك اللون الشعـري قـصيدة الفـقيـه أحـمـد بن حـسن بركـات (١١٢٥ - ١١٩٦هـ) في حـال جـمـاعـة من المتشيعين الروافض، منها قوله:

تعــالوا إلينا إخــوة الـرفض إن تكن　　لكـم شـرعـة الإنصـاف ديناً كـديننا

(١) في الديوان المطبوع «حتى م».
(٢) تحاليتم: استحسنتم.
(٣) الديوان، ورقة ٦٢.
(٤) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٣٣.

مـدحنا عليـا فـوق مـا تمدحـونه وسبيـتـمـو أصحـاب أحـمـد دوننا
وقلتم بأن الحق مـا تدعـونه ألا لعن الرحـمن منا أضلنا[(١)]

ولا غرو فقد ظهر في شعر التشيع باليمن شيء من المبالغة والغلو، ولعل ما وُجد من ذلك الشعر المذهبي كفيل بإيضاح تلك الظواهر الشعرية. وربما كان شعر الإخوانيات في اليمن خلال القرن الثاني عشر الهجري وافراً إذا ما قيس بأي غرض آخر. ومن ذلك اللون الشعري التقليدي قصيدة محمد بن إسماعيل الأمير النونية التي بعث بها إلى ناصر بن حسين المحبشي، حينما ولي أمر القضاء، إذ قال:

ذبحت نفـسك لكن لا بسكين كـمـا رويناه عن طه وياسين
ذبحت نفسك والستون[(٢)] قد وفدت عليك في العمر ماذا بعد ستين[(٣)]؟
ذبحت نفسك يا لهفي عليك لقد كنا نعـدك للتـقـوى وللدين
أي الثلاثة تغدو في غداة غـد إذ يجـمع الله أهل الدين والدون؟
فـواحـد في جنان الخلد مسكنه واثنان في النار دار الخزي والهون

فإن تقل: أكرهونا كان ذا كذبا فنحن نعـرف أحـوال السلاطين
وإن تقل: حاجة مست فربتما فأين صبرك من حين إلى حين[(٤)]؟

ولم يكن شعراء تهامة اليمن وحضرموت بأقل نشاطا من زملائهم في صنعاء وما حولها، وإنما عُرف شعرهم بوفرة في النتاج، وحفل بشيء من السمات والخصائص الفكرية ذات الصبغة الصوفية. وقد برز ذلك في شعر عمر بن

(١) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج١، ص ١١٢.
(٢) في الأصل المخطوط «والستين»، وهو خطأ.
(٣) في الديوان المطبوع:
. . . . وردت عليك مـاذا ترجي بعـد ستين؟
(٤) الديوان، ورقة ١٧٣.

عبد الرحمن البار العلوي (١٦٦٠ - ١٢١٢هـ) حين خاطب شيخه الجفري بقوله:

إني فقير إلى الإحسان يا ساده		من فيضكم سادتي كلٌّ قضى زادهْ
فزودوا العبد من إمدادكم مدداً		لكي يصير الهدى في طبعه عادهْ
ويتبع الشرع في أحوال سيرته		وتصبح النفس للمختار منقادهْ
ويرتوي من شراب القوم في ملأ		هم الهداة وكانوا للورى قادهْ[1]

ورغم وفرة الشعر التقليدي في اليمن خلال هذه الحقبة، وُجد شيء من الشعر الذاتي ذي الصبغة الاجتماعية. ومن ذلك اللون الشعري قصيدة عبد الله صلاح العادل (... - ١١٦٥هـ) في: البعوض، والبرغوث، منها:

وكم ليلة طار نومي بها		وما لي سوى صبحها مخلص
يبيت سميري بها نامس		وبرغوثها في الأنا يخرص
وقد شربا من حميا دمي		فهذا يغني وذا يرقص
فيا رب، جارك من بلدة		عزيز القريض بها يرخص
فلا مطرب عرفوا حقه		من الشعر يوما، ولا مرقص
ولا ما البراعة في مطلع		ولا ما به يحسن المخلص[2]

ويمكن أن يضاف إلى هذا اللون الشعري الذي عرفته اليمن في هذه الفترة شعر رثاء الحيوان[3]، وطلب الجوخ والعمائم، هذا إلى جانب وجود شيء من الشعر الرمزي المحدود.

ويبدو أن شعراء اليمن في القرن الثاني عشر الهجري، قد وجدوا من الوضع الفكري الرتيب الذي كانت تحياه بلادهم سبيلا لطرق كثير من

---

(١) عبد الله بن محمد بن حامد السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، ج٣، ص٣٥.
(٢) أحمد بن محمد الشامي، قصة الأدب في اليمن، ص ٤٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣٨.

الموضوعات الشعرية، إذ وُجدت عندئذ وفرة شعرية في ميدان المناقضات والمفاخرات وما إليهما. ومن ذلك مفاخرة الروضة وبئر العزب[1] التي شارك فيها نفر من شعراء اليمن، فمنهم عبد الله بن الوزير في القرن الثاني عشر الهجري الذي فضل الروضة بقوله:

ما يعدل الروضة الغنا وبهجتها سوى الجنان فلا تنقص ولا تزد
فنونها نعمة للناظرين وفي أفنانها نعمة للطائر الغرد
أقمارها عانقت أغصانها جذلا فصافحتها قماراها يدا بيد[2]

وبمثل هذا الترف الشعري كان الشعراء اليمنيون ينظمون قصائدهم في كثير من مجالات حياته الاجتماعية، كأن يفاضلوا في شعرهم بين النخيل والكرم[3]، أو العنب والتمر[4]، أو القهوة والقات، وربما عم هذا النقاش كثيرا من بلدان اليمن، هذا إلى جانب شعر التنباك والقات وغيرهما.

وإذا كان هذا مجال الموضوعات الشعرية في الأدب اليمني قبيل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، فإن القوالب التي كانت تنتظم تلك الأغراض لا تخرج عن البحور الخليلية المعروفة، وما استُحدث بعد ذلك من قوالب نظمية كالتربيع، والتخميس، والتشطير. هذا بالإضافة إلى انصراف بعض شعراء اليمن حينذاك نحو الإغراق في الصنعة اللفظية، والتكلف البديعي، كذلك لم يسلم هذا الشعر أحيانا من ضعف في الأداة، واتجاه في الأسلوب نحو النظم العلمي. وكان أسلوب ذلك الشعر لا يسلم في بعض الأحيان من الهنات

---

(١) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ص ١٦٥ - ١٧٤.
(٢) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ص ١٦٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٢٣.
(٤) انظر على سبيل المثال: ديوان محمد بن إسماعيل الأمير، ورقة ١٩٢.

اللغوية والعروضية. وكان يحفل بشيء من المصطلحات العلمية، واللهجات المحلية، ويعمد إلى الاقتباس من: القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، والأمثال القديمة.

أما النثر الأدبي في اليمن خلال القرن الثاني عشر الهجري، فقد عرف عددا من الأنواع النثرية التقليدية، لعل من أهمها: الرسائل، والمقامات، والخطابة، وغيرها، وربما امتاز اليمن عن غيره من بلدان جنوبي الجزيرة العربية بما وُجد عن أدبائه من ألوان نثرية مستحدثة مثل الرسائل النثرية الرمزية التي تنشأ حول بعض العناصر الاجتماعية في المجتمع اليمني. ولعل من أهمها: رسالة "تزويج مسجد المذهب بالمرادية"[1]، ورسالة " الروض الأقحواني في الشعير الزهواني"[2]، إذ هما من الرسائل الأدبية ذات المدلول الرمزي.

ومن الرسائل النثرية التقليدية التي صورت حال اليمن قبل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، رسالة محمد بن إسماعيل الأمير، التي أرسلها إلى الإمام المهدي العباس عام ١١٨٠هـ، لما سمع بشراء أموال الوقف التي بوادي شعوب شمالي صنعاء، إذ قال:

« . . . ما زال يحسن بكم ذلك حتى انتهى بكم إلى الطامة الكبرى؛ وهي شراء الأوقاف من الأموال وإخراجها من الوقفية إلى الملكية . . . وقد عرفتم أقوال علماء عصركم وحكامهم بتحريم بيع الوقف، وعندكم بخطوطهم قائمة ملصقة، وعليها خطي في أولها . . .

---

(١) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج٢، ص٢٢٤.

(٢) أحمد بن محمد الشامي، كتابه السابق، ص ٤١١.

واعلم يا مولانا أن خير أموال أوقاف صنعاء وادي شُعُوب فإنه قريب من المدينة تنتفع المساجد بقضبه[1]، وأثله، وطعامه من غير مشقة، مع قربه بحيث أنه لا يقوم مقامه شيء من الأموال. وكان المؤمل والمرجو من حسن مقاصدكم[2] أن تجعلوا شكر نعمة الله عليكم بإخراج غيل له دهر طويل مدفون، فتسقون به أموال شُعُوب الموقوفة ليتوفر الطعام لأهل الوظائف، فإنه ينقص عليهم كل سنة أربعة شهور من أيام العامل[3] الأول. . . »[4].

وتأتي هذه الرسالة مصورة للحال الاجتماعي الذي كان عليه اليمن قبيل ظهور الدعوة السلفية في مدنه، كما يتضح منها موقف علماء صنعاء مما يدور في محيطهم الاجتماعي والديني. ولعل خير ما ظهر في أدب النثر عند اليمنيين قبل هذا العهد، الرسائل الأدبية ذات المدلول الرمزي، فقد أنشأ علي بن صالح أبي الرجال رسالة أدبية سماها " تزويج مسجد المذهب بالمرادية "، وقد تضمنت هذه الرسالة إشارات نقدية لواقع اليمن ومساجده، وما يكتنف مجتمعه من آثار خفية قد تعود إلى عهد الترك الأول في اليمن، ومنها قوله:

« ترجح لمسجد المذهب، لما لم يجد له من الفقر مذهب، وصار الناظر عن النظر إليه واقف، مخالفا لما أراده الواقف، وهو خال عن الفراش والسراج، محتاج إلى إصلاح صرحه غاية الاحتياج، أو يشاور بعض إخوانه؛ ليشير عليه بما يعنيه على زمانه، فنهض مستعجلا . . . ، فقصد مسجد جناح . . »[5].

---

(١) القضيب: البرسيم.

(٢) يلاحظ في مثل هذه الكلمات التأثير التركي في الأدب.

(٣) كذا في المصدر. ولعلها « العام ».

(٤) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج٢، ص٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٤.

ويستمر الكاتب من بعد ذلك في سرد ما تم بين المسجدين من قرارات، فقد ذكر أن مسجد جناح أشار على صديقه المذهب بالزواج من إحدى مدارس الترك، حيث دخل من بعد ذلك في تصوير أحداث كثيرة متشتتة أدت في النهاية إلى قبول المدرسة المرادية الزواج من مسجد المذهب، وعند ذلك ينهض هذا المسجد «إليها مع عصبة من المساجد، وخرّ لله راكعا وساجدا، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[1] وفضلك الذي أسديته إليَّ. . . »[2]. وقد دل هذا العمل الأدبي على قدرة فنية عند الكاتب، وأوضح مدى تفاعله مع أحداث قصته التي لا تعدو أن تكون رمزا أدبيا لما يجري في مجتمعه[3] حينذاك من تفضيل للمدارس التركية على المساجد في أثاثها وخدمتها، وما يتصل بها من الشؤون الأخرى. وذلك رغم أسلوب التعبير التقليدي الذي التزم فيه بالصنعة اللفظية، والتكلف البديعي.

ومما تقدم تبين أن بلاد اليمن ـ قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها ـ قد شهدت صراعات دينية مختلفة في المذاهب، والفرق الدينية، وأنها كذلك قد تأثرت بالتشكيل السياسي الذي عرفته اليمن في تلك الفترة، كما أنها أدركت كثيرا من البدع المختلفة والفتن الداخلية، وأحست بشيء من الجور والظلم، وربما تجلى ذلك في نتاجها الفكري والأدبي حين طفق علماؤها وأدباؤها في تصوير حال بلادهم، إذ هم عندئذ يترقبون صحوة فكرية تنبه مواطنيهم، وتصلح حال مجتمعهم، ولعل ظهور الدعوة السلفية في اليمن قد أرضى تلك الفئة، وفتح لها المجال الفكري، فقد نشأ عند ظهور هذه الدعوة شعور ديني صادق، ينم عن استجابة فعلية.

---

(١) من الآية ١٩ من سورة النمل.

(٢) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج٢، ص٢٣٦.

(٣) يدل هذا العمل الأدبي على إهمال الترك للمساجد، وعدم عنايتهم بها في الوقت الذي تظهر فيه رعايتهم للمدارس التركية، واهتمامهم بها.

الباب الأول

أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر



الفصل الأول

أثرها في محاربة البدع والمعتقدات الباطلة

توطئة:

عاشت معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية خلال القرون الأخيرة الماضية حياة فكرية متفاوتة، إذ عرفت كثيرا من الاتجاهات، وأدركت عديدا من الظواهر الفكرية المختلفة؛ مما أوجد ميلا نحو البدع والمعتقدات الباطلة، شأن غيرها من مدن الجزيرة العربية، ولم يكن ذلك الميل ناتجا عن ضعف في حياتها العلمية، وإنما كان بسبب اتساع ميدان الصراع المذهبي، وانصراف العلماء عندئذ نحو التقليد، مما ساعد على إيجاد وفرة في ركام الفكر ونزعة تجاه البدع ومحدثاتها؛ إذ ضعفت النيات، وصارت الأبدان مهيأة للشهوات، وآثرت الناس رضا المخلوقين على رضا الله، واتبعوا أهواءهم دون متابعة لسنة رسول الله ﷺ[1]، «وجعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم، ودفنوا أكثر مناقبهم»[2]. وقد يضاف إلى تلك الأسباب تخاذل ولاة الأمور بهذه الأنحاء عن نصرة العلماء المجتهدين في بلدانهم[3]، إذ ركنوا إلى حياتهم الرتيبة المتوارثة، فقد أُثقل عندئذ كاهل الدين بالغلو في الأولياء والصالحين، والاعتقاد فيهم، ونشأت عند العلماء والأهلين الرغبة في إقامة القباب والمزارات، وإحياء عديد من البدع، وبخاصة في: اليمن، وتهامة. أما عسير فقد كانت أقل هذه الأنحاء ميلا نحو هذه البدع المستحدثة.

---

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، الاعتصام، ج١، ص ٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٥.

(٣) انظر على سبيل المثال: كتاب أدب الطلب للشوكاني، وما ذكره عن حال بعض علماء عصره، والذين سبقوهم من تخاذل الحكام في نصرتهم، وتحزب العلماء ضدهم، ص ٢٧.

وإذا أُدرك هذا الحال؛ تبين للنابهين من أبناء هذا الجزء من جزيرة العرب خطورة ما هم فيه، إذ بدؤوا يترقبون الفرج من الله في دفع ما حلَّ بهم، حيث ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد في وقت ملّ فيه بعض الناس بهذه البلدان من جنوبي الجزيرة العربية ما حل بواقعهم الديني، وبدؤوا يرفضون الخرافات والمعتقدات الباطلة، وأصبحت أنفسهم تمج كل ما اختلط بالدين من البدع والضلالات[1]، مما يسَّر سُبُل نشر مبادئ الدعوة بهذه الجهات[2] فيما بعد، وجعل الأنفس مهيأة لقبولها.

وقد كان الوضع الديني في مجال تطهير الاعتقاد ونبذ البدع بتلك الأنحاء يخالف ما تدعو إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ إذ كان بعض العلماء حينئذ يجعلون الاعتقاد في القبور ونحوها من التوسل بمنزلة اللغو في اليمين[3]. كما كان أولئك العلماء يتساهلون في وجودها، ويجعلون لها سبلاً شرعية موافقة، وهذا يخالف حقيقة الدعوة السلفية، إذ يمنع الشيخ محمد بن عبد الوهاب جعل القبور أماكن للعبادة[4]، « ويرفض كل أنواع البدع »[5]، بحجة أن رسول الله ﷺ يقول: « إياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كُلَّ بدعَة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار »[6]، وهذا سبيل المذهب الحنبلي، وكبار المصلحين الحنابلة[7]، ومن هذا المنطلق نشأت اختلافات في وجهات النظر حول كثير من الأمور التي يراها دعاة الدعوة السلفية شركًا أو بدعًا مذمومة.

---

(١) حسين بن مهدي النعمي، معارج الألباب، ص ١٥٦.
(٢) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص ٣٣.
(٣) حسين بن مهدي النعمي، كتابه السابق، ص ١٥٦.
(٤) عبد الله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٢٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٩.
(٦) رواه مسلم وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. انظر: رياض الصالحين ١/ ١٦٥.
(٧) مثل الإمام ابن تيمية رحمه الله (٦٨٢ - ٧٢٨ هـ).

وربما كان هدم القباب والقبور المرتفعة من أبرز أعمال السلفيين في هذه الأنحاء؛ إذ يرون إقامتها للتبرك والعبادة أمرًا مذمومًا يخالف الشريعة الإسلامية[1]، ولكنهم لا يحرّمون زيارة القبور، إذا أريد بها الدعاء للميت وتذكر الموت ونحوه[2]، كما أرشدت إليه سنة المصطفى ﷺ. وقد تنبه لهدم القباب بُرْكهارت حينما جعل ذلك العمل الثمرة الأولى لانتصارات الدعوة في اليمن وغيرها[3]، كذلك كانت قصيدة البردة، وما ينشئه حولها العلماء في تهامة بخاصة من أبرز البدع التي عاداها دعاة الدعوة السلفية؛ إلى جانب شيوع الطرق الصوفية المبتدعة، وما ظهر من خلافات جدلية حول مسألة: حلق الرأس، والتنباك، وتقبيل اليد، والمزمار، والسبحة ونحوها، فقد برزت هذه الأمور جلية في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وربما تفاوتت هذه الأجزاء من جزيرة العرب في التأثر بهذه الدعوة؛ إذ كانت: عسير، ورجال ألمع من أبرزها تأثرا في مجال ذم البدع والمعتقدات الباطلة. وذلك عن سواها في اليمن، والمخلاف السليماني.

أولا: في عسير

لم تكن عسير عند ظهور الدعوة السلفية فيها بذات شخصية علمية متميزة، إذ لم تعرف عندئذ وفرة في العلماء والمتعلمين، وإنما كانت تعيش حياة فكرية ضئيلة. وذلك جعلها تُقبل على هذه الدعوة، دون نشوء شيء من التعصب المذهبي الذي يظهر عادة في بيئات العلم والثقافة، كذلك كان للتكوين الفطري عند العسيريين حينئذ أثر في إقبالهم على هذه الدعوة

---

(١) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، ص ٩٥ - ١٠١.

(٢) عبد الله الصالح العثيمين، كتابه السابق، ص ١٢٥.

(٣) حقائق عن الوهابيين، ص ١١.

السلفية، وكل ذلك لم يهيئ من قبل مجالاً رحبًا لتقديس القبور، وتشييد القباب عليها. ومع ذلك لم تسلم بعض قبائلها من الوقوع في البدع والاعتقاد في غير الله، فقد دلت المصادر على أن الناس في عسير قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قبائلها، كانوا يتبركون بالأحجار والأشجار ويعظمونها، وأنهم كذلك قد أحدثوا شيئا من البدع والخرافات[١]. ولعل العزلة التي مُنيت بها عسير من قبل ذلك قد دعت جماعة من ساكنيها إلى التبتل وإقامة المساجد في رؤوس الجبال والأماكن البعيدة كما يتضح في مسجدي: المصلى بجبل شدا الأعلى[٢] بتهامة زهران، ومسجد جبل منعاء بتنومة بني شهر[٣] وغيرهما. وكان من نتائج هذه الدعوة السلفية في عسير أن نزع الناس عن تبتلهم.

كذلك كان من أبرز المعتقدات الباطلة بهذه المنطقة قبيل ظهور الدعوة السلفية في عسير تقديس الناس بزهران وما حولها لصنم ذي الخلصة، وشجرة العبلاء، إذ كان أولئك الناس يتمسحون بهما، وينحرون عندهما، ويهدون لهما أنفس المتاع[٤]، وربما كانوا يطوفون بصنم ذي الخلصة كما ذكر المؤرخ عثمان بن بشر [٥] حينما تنبه لقول رسول الله ﷺ: « لا تقوم السَّاعة حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ عَلَى ذي الخلصة »[٦]. ولما أراد الله بهذه الأنحاء

---

(١) محمد حسن غريب، حول ديوان نفحات من عسير، مجلة المنهل، ج١١، مج ٣٥، س ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة، ص ٩١٥.

(٢) علي صالح السلوك، بلاد غامد وزهران، ج٢، ص ١٣٢.

(٣) زيارة ميدانية إلى جبل منعاء عام ١٤٠٠هـ.

(٤) انظر: هامش كتاب أخبار مكة، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، تحقيق رشدي ملحس، ج١، ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٥) كتابه السابق، ج١، ص٤.

(٦) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة. انظر: جامع الأصول، ١٠/٣٩٣- ٣٩٤.

وغيرها خيراً قيض لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، فكان من نتائج ذلك أن هُدِمَ ذو الخلصة[١]، ونُهِيَ الناس عن الاعتقاد فيه، فقد انتشر الدعاة حينئذ في قَبائل عسير وقراها، يعظون الناس ويرشدونهم[٢].

وكان أمراء عسير في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ينهجون نهج دعاة الدعوة السلفيين في الدرعية من حيث محاربة البدع ودفعها، فلم يبرز بين مواطنيهم من يتوسل بالمخلوقين[٣]، ولا من يقدِّس القبور، ويرفع عليها القباب والبنايات، فلا مزارات عندئذ يعكف الناس عندها[٤]، بل إنهم سعوا في إزالة مثل تلك المنكرات في تهامة وغيرها، فقد أشار أحد العلماء الحفظيين في يومياته المكتوبة أنه في عام ١٢١٥هـ هُدِمت إحدى القباب في المخلاف السليماني[٥] من قِبَل الدعاة السلفيين.

وقد بقي هذا الأثر قويا في نفوس أمراء عسير بعد أن قضى الترك والمصريون على الدولة السعودية الأولى في الدرعية، إذ إن هؤلاء الأمراء والعلماء لم يتخلوا عن مبادئهم السلفية التي أحيتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد دلت المصادر على موقف بعض علماء عسير من أعمال أحمد بن إدريس الصوفية التي أنكروها عليه في حضرة الأمير علي بن مجثل المغيدي - أمير عسير عندئذ - الذي قرر بينهم مناظرة علمية يشهدها طائفة من علماء المخلاف السليماني[٦]، وقال - على حد تعبيره -: «إنَّا لم نزل قائمين في تجديد

(١) عثمان بن بشر، كتابه السابق، ج١، ص ٤.

(٢) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير سيرة أمراء عسير، ص ٦٥.

(٣) إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، تذكرة أولي النُهى والعرفان، ج٣، ص ٢١.

(٤) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج١، س٥، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص ٩٠٩.

(٥) يوميات، مخطوطة توجد لدى الباحث.

(٦) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير، ورقة ٨.

التوحيد وهدم الشرك »[1]. وقد نتج عن ذلك النقاش العلمي أن ثبت أولئك العلماء تجاه عقيدتهم، وما يكرهونه من أسباب الشرك والمعتقدات الصوفية الباطلة. كما دلت المصادر كذلك على موقف الأمير عايض بن مرعي المغيدي من تشييد القباب على قبور الموتى، فقد أشار إلى ذلك أحد علماء اليمن في رسالة بعث بها إلى عبد الخالق بن إبراهيم الزمزمي عام ١٢٦٥[2]/ ١٨٤٨م.

وقد ظل هذا الحال منهجا يسير عليه الأمراء العسيريون فيما بعد، فلم تزل بلادهم - إلى حد كبير - خالية من البدع الضالة والمعتقدات الباطلة. وقد لاحظ ذلك المتصرف التركي سليمان شفيق أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري، حين ذكر أن « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حلت محل الرضا والقبول في عسير أيام استيلاء آل سعود عليها في أوائل القرن الماضي، فمساجد عسير الآن مجردة من الزينة والزخرف، ولا تُرى عندهم قباب ومزارات يعكف الناس عليها، وقبورهم دوارش[3] غير معلمة بشارات أو كتابة، بل إن الأمراء السالفين الذين حكموا عسير لا تعرف قبورهم، الناس في عسير يقصرون التوسل والاستغاثة على مالك الملوك وأرحم الراحمين »[4]، وأضاف إلى ذلك قوله: إنه لا وجود للطرق الصوفية، ولا البدع الأخرى في عسير[5].

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥.

(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة في مكتبة الحسن بن أحمد الحفظي الخاصة بعثالف، رجال ألمع، ومنها: « . . . وصلت كتب الأخ في الله الأمير عايض وفيها تلميحات وغوامض غير مطابقة لما حررناه ولا موافقة لما أبرزناه، وهو أنه تعرض كاتبه إلى ذكر القبب، فحصل معنا في ذلك غاية العجب . . . ».

(٣) لعلها دوارس.

(٤) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج ١٠، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص ٩٠٩.

(٥) المصدر نفسه ٩٠٩.

والحق أن أثر الدعوة السلفية في عسير قد كان واضحا جليا في معظم قبائل هذه المنطقة، ولولا ما أحدثه الترك من بدع محدثة خلال حكمهم الأخير في عسير لبقيت هذه البلاد - إلى حد كبير - خالية من مثل هذه الشطحات الضالة التي ينكرها علماء الدعوة السلفية، فقد أحدث الترك عندئذ أعيادا للمولد النبوي[1]، واحتفالات أخرى ليوم المعراج[2]، وما شابه ذلك، وبخاصة في أبها وما حولها، وكل ذلك يخالف مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية.

وإذا كان هذا حال معظم قبائل عسير، وما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها من أثر فعال، فإن بعض القبائل في أطراف عسير لم تسلم من المؤثرات الدينية التي وجدت عندئذ في البلدان المجاورة لها، وأعني بذلك قبائل نجران في الجنوب وزهران في الشمال التي تأثرت - إلى حد كبير - باليمن والحجاز خلال القرون الأخيرة الماضية، هذا إلى جانب شيوع عدد من البدع المختلفة في كثير من قبائل عسير الأخرى شأن بلدان جنوبي الجزيرة العربية، ورغم ذلك فإن انضمام عسير إلى الدولة السعودية الحاضرة قد أزال تلك البدع وقضى عليها.

ومهما يكن الأمر فإن من أبرز تلك المحدثات بعسير قبل هذا العهد السعودي الأخير: آثار صنم ذي الخلصة المعروف، وشجرة العبلاء بزهران،

---

(١) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج٥، س ٦، ١٣٩١هـ، ص ٣٥٣.

(٢) شرف عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية، ص ١٢٨. قال هذا المؤلف: «وفي يوم الأحد السابع والعشرين منه، أمر دولة الأمير بالاحتفال فيه؛ لأنه يوم المعراج ويوم الحرية والدستور»، ص ١٢٨.

وقد علق المحقق بقوله: «إن هذه الاحتفالات من البدع المخالفة لما شرع الله لنا».

ص ١٢٨. وقال أيضاً: إن القاضي عبد السلام بن عبد الله الزميلي والقاضي محمد بن عبد الله بن خضرة تكلما بأن هذا العمل من البدع، وأنهما قد أنكرا هذا الأمر عندئذ، وأن عبد السلام ألقى من أجل ذلك خطبة. ص ١٢٩ - ١٣٠. وهذا يدل على استمرار الأثر السلفي لدى علماء عسير حتى ذلك العهد.

ولكنهما أزيلا في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م حين هدمت جدران الصنم الباقية، وأحرقت الشجرة المجاورة له[١]. وكان يوجد بزهران قبل هذا العهد معبد بأيل نعمة بدوس يتبرك الناس به، ولعله ذو الكفين المشهور[٢]، كما عُرِفَ بقرية غران مكان يقال له: (بنت الباشا). وكان الناس من حوله يعتقدون فيه، ويرون في نازلته بنت الباشا الصلاح[٣]. كذلك كان الناس في نجران يعتقدون في قبر عبد الله بن الثامر، ويطلبون منه الشفاء والعطاء[٤]. وكانوا يبالغون في تعظيم رئيسهم المكرمي المسمى بالسيد، ويصرفون له شيئا من العبودية والخنوع[٥]، كما كان لهم في المكرميين بعامة بهذه الأنحاء « معتقد عظيم يعظمهم الخاص والعام، ويسلمون إليهم واجباتهم من النقود والطعام »[٦].

هذا إلى جانب أن الناس بجبل ثربان كانوا يعتقدون في الأحجار والأشجار وينذرون لها[٧]، كذلك كان من الشطحات الباطلة في عسير ما أوصى به أحد العلماء بتنومة بني شهر جماعته - كما أخبرني بذلك أحد المعمرين فيها - أن يُبْنَى على قبره عند موته مسجد بحرم أحد المساجد بالسبت. وقد زعم محدثّي أن الإخوان النجديين حينما قدموا إلى تلك الأنحاء أزالوا

---

(١) علي بن صالح الزهراني، ماذا تعرف عن بلاد زهران، الرائد، ع ٦٧، س ٢، (الإثنين ٦/ ١/ ١٣٨١هـ)، ص ١٣. انظر كذلك: أخبار مكة للأزرقي، تحقيق: رشدي ملحس، ص ٣٨٢ (الهامش).

(٢) علي صالح السلوك، كتابه السابق، ص ٢١٠.

(٣) حسين الزهراني، بلدة غران، جريدة المدينة، ع ٥٤٥٢ (ربيع الآخر ٢٦/ ٤/ ١٤٠٢هـ)، ص١٣.

(٤) طلعت وفا، وادي نجران، مجلة المنهل، ج٥، س ٨، جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ، ص ٢٩٥.

(٥) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٣، ص ٣٨٦، وتذكرة أولي النهى والعرفان، ج١، ص٢٢، والدرر السنية، مج١، ص ١٧٥.

(٦) عبد الله بن علي العمودي، تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع، مخطوط، ورقة ٨٢.

(٧) هاشم سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٣٢.

تلك البدعة[1]، فإن صح هذا فإنما هو ناجم عن أثر اليمن في الوافدين إليه للدراسة والتحصيل من أهالي عسير، إذ لم نسمع بمثله من قبل في بلدان عسير الأخرى.

وقد يضاف إلى تلك الأعمال المبتدعة ما وجد لدى الأهلين في عسير من معتقدات في الجن والطير والنجم والحيوان، وما إليها من عناصر البيئة الأخرى، بالإضافة إلى ما يجري عند وفاة الميت والذبح له بما يعرف بـ«الحَفَرَة»، كذلك الاعتقاد في بعض أيام السنة، وأن يخصص شهر رجب لقراءة صحيح البخاري[2]، هذا إلى جانب ما كان يجرى للأهلين بهذه الأنحاء في المدينة المنورة حين زيارتهم لمسجد رسول الله ﷺ من البدع المذمومة، وبخاصة في شهر رجب، بما يعرف بـ« الرجبية »[3]، كذلك برزت ألفاظ التشيع جلية في تلك الأنحاء، مما يشير إلى تأثير اليمن فيها، ولعل كتاب "الإيضاحات السلفية" لعبد الله بن سعدي الغامدي، يوضح كثيرا من تلك البدع والمعتقدات الباطلة[4]، إذ عاش السعدي في بلاد غامد وغيرها قدرا فسيحا من الزمن.

وفي الحقيقة أن ما وجد من هذه المحدثات الباطلة قد أضعف ـ إلى حد كبير ـ الحياة الفكرية المحدودة حينذاك في عسير، ولكن هذه الأنحاء ما لبثت أن انضمت إلى بقية أجزاء البلاد السعودية الأخرى، حيث انتشر العلماء منذ عام

---

(١) مقابلة شخصية مع هذا المعمر (تنومة ٧/ ١٠/ ١٤٠٠هـ).

(٢) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ص ٢٢٥.

(٣) عبد الحق نقشبندي، ذكريات لا تنسى، الرجبية بالمدينة، مجلة المنهل، ج٨، س ٣٨، مج ٣٣، شعبان ١٣٩٢هـ، ص ٨٤٣ - ٨٤٥، انظر كذلك: تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب، لابن حجر العسقلاني.

(٤) ص ٣، ٩، ١٠.

١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م في قبائل عسير المتفرقة، يرشدون الناس ويعلمونهم أمور دينهم، ويبينون لهم مواطن البدع والضلال[1]، فقد انصرف الناس عنها إلى بناء حياتهم العلمية والاجتماعية، والاهتمام بأمور عقيدتهم، وما يقربهم من الله تعالى.

ثانيا: في تهامة

تُعَدّ تهامة بمراكزها الفكرية من أشهر مواطن العلم في جنوبي الجزيرة العربية، إذ عرفت في القرون الأخيرة الماضية بنشاطها العلمي، وكثرة علمائها، ولكنها لم تسلم عندئذ من شيوع المعتقدات الباطلة في محيطها الاجتماعي والعلمي، فقد منيت بعزلة فكرية لم تسمح بغير اليمن نافذة لطلب العلم والاتصال الفكري، مما تسبب في تقديس الناس للقبور والبناء عليها، وفي نشوء المعتقدات الباطلة في غير الله.

والناظر في واقع الحياة الفكرية بتهامة قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها يدرك تعدد مصادر الفكر الديني بخاصة وكثرة اتجاهاته؛ إذ كان العلماء في تهامة يستمدون ثقافتهم الدينية من مراكز الفكر المختلفة في اليمن، وحينما قبلت هذه الأنحاء أمر الدعوة السلفية، استطاعت أن تتأثر بمبادئها، وأن تتخلص من بعض معتقداتها الباطلة، ولكن هذه الدعوة السلفية لم تلبث أن انحسرت في مدها السياسي عن تلك الأجزاء من الجزيرة العربية، مما فسح المجال من بعد ذلك لعودة تلك التيارات القديمة، وجعل هذه الأنحاء تستقطب دعاة الطرق الصوفية ونحوها، ولكنها لم تلبث أن عادت هذه الدعوة السلفية في الظهور مرة أخرى في تهامة منذ العقد الرابع من القرن الرابع عشر

---

(١) إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، كتابه السابق، ج٢، ص ٣٠٢.

الهجري، حيث قُضي تماما على كثير من المحدثات التي عُرفت بهذه الأنحاء من قبل، ولعل رجال ألمع، والمخلاف السليماني من أبرز مواطن الفكر بتهامة تأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١- رجال ألمع:

أما رجال ألمع فقد وجد علماؤها في هذه الدعوة مراما فكريا طالما سعوا في تحقيقه من قبل، إذ كانت استجابتهم حقيقة، تخلصوا من خلالها مما عرف في جهاتهم من البدع ومحدثاتها، وهدموا ما وجدوا من القباب المشيدة على قبور آبائهم، فقد قال أحد علماء آل الحفظي حينما وفد محمد بن عامر المتحمي[١] على رجال ألمع: «ومن ذلك الشهر قبل دخول الدولة هدمنا القباب ... وتوليت ذلك بيدي طاعة واحتسابا»[٢]، وقد عقب على ذلك محمد عمر رفيع بقوله: إن الحفظي «يعني قبابا كانت على أضرحة بعض أسلافه»[٣]. ولعل ذلك يؤيد قول محمد حسن غريب الذي ذكر بأنه وجد في رجال ألمع حينذاك من يعظم القبور ويقدسها قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها، وضرب لذلك مثلا بقبر الولي في لِقْع[٤] الذي سويت معالمه عندئذ. وقد أشار إلى ذلك محمد بن أحمد الحفظي حين تساءل عن حكم بناء القباب قبل الدعوة وبخاصة إذا كانت ـ كما قال ـ «لمجرد البناء من غير حدوث عبادة يشرك بها الولي»[٥]. وإذا صح هذا فإن من آثار هذه الدعوة السلفية أن أزالت مثل

---

(١) لعل ذلك كان في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م حيث قال محمد عمر رفيع: «كان أول عمل لأبي نقطة أن نزل إلى قرية رُجَال حاضرة قبائل ألمع ودعاهم إلى الطاعة فأجابوه». في ربوع عسير، ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٤) محمد حسن غريب، حول ديوان نفحات من عسير، مجلة المنهل، ع٨، س ٤١، شعبان ١٣٩٥هـ، ص ١٦٣.

(٥) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج١، ص٢٤٥.

هذه الأمور، فلم تَعُدْ تعرف ـ فيما بعد ـ عند الأهلين والعلماء بتلك الأنحاء.
ويؤيد هذا كذلك انصراف أولئك العلماء برجال ألمع إلى الدعوة إلى الله ونبذ ما ينافي التوحيد، فقد وُصِفَ محمد بن أحمد الحفظي بأنه لما قبل هذه الدعوة «قام بها ودعا الناس إليها وأرشد عالما من الناس إلى ما فيه الصواب من عدم الاعتقاد في المخلوقين من الضر والنفع»[١]، ولذلك لم تعد اهتماماتهم تبرز في مجال جمع مؤلفات علماء اليمن وغيرهم حول القبور والأولياء[٢]، كذلك لم تعد اتجاهاتهم العديدة تبرز في ميدان الفكر بمدينتهم، وذلك مثل اتجاهي: التصوف، والتشيع، وما يتصل بهما من قول وعمل، ولعل ما يمكن أن يعد من آثارهما تلك الكتب التي وجدت في مكتبات أولئك العلماء برجال ألمع قبيل ظهور الدعوة في بلادهم[٣]، فقد أهملوا شأن تلك الاتجاهات عندئذ، وألَّفوا في مجال تطهير الاعتقاد، وجمعوا في مكتباتهم شيئا مما كتب في البدع[٤] ونحوها، وأصبحوا يدركون - كما قال أحد علمائهم - حقيقة «العمل بالكتاب والسنة وترك البدع المضلة»[٥].

ومن نتائج تأثير الدعوة السلفية برجال ألمع، أنْ نبذ علماؤها تعظيم القبور ودعوا إلى هدم القباب وتسويتها. وذلك حينما كان العلماء الحفظيون بهذه الأنحاء يرافقون جيوش الدعوة إلى المخلاف السليماني[٦] وغيره، إذ أشار أحد علماء آل الحفظي[٧] إلى أحداث عام ١٢١٥هـ بقوله: «ورابع يوم من رجب

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٠٥.
(٢) مما وجد في مكتباتهم كتاب الغربة لمحيي الدين عبد القادر بن أحمد موسى، وهو لا يخلو من الشطحات الظاهرة.
(٣) انظر: فهرس كتب آل الحفظي الموقوفة.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) محمد بن أحمد الحفظي، اللجام المكين، ورقة ١.
(٦) انظر: نفح العود في الظل الممدود، لمحمد بن أحمد الحفظي.
(٧) لعله محمد بن أحمد الحفظي

هدمنا القبة »[1]، كذلك كان بعض هؤلاء العلماء برجال ألمع يدركون حقيقة شيوخهم العلماء باليمن، وما هم عليه من مواقف تجاه هذه الدعوة السلفية، إذ كانوا يصاحبون أمراء الدعوة إلى تلك الأنحاء حرصا على سلامة أولئك العلماء [2]. وذلك يشير إلى تأثر علماء آل الحفظي بالدعوة السلفية.

وإذا كان هذا موقف الدعوة السلفية من تقديس القبور وتعظيمها، ومدى أثرها في واقع الحياة الاجتماعية والعلمية برجال ألمع، فإن أثرها في ميدان البدع الأخرى ومحدثاتها قد كان واضحا ملموسا، ولعل من أبرز تلك الأمور السائدة قبل ظهور الدعوة الغلو والعناية الكبيرة بقصيدتي: البردة[3] والهمزية للبوصيري، فقد تأثر علماء هذه الأنحاء كثيرا بعلماء اليمن، إذ إن ما تضمنته مكتباتهم العديدة عندئذ من مؤلفات علمية تخص قصيدة البردة[4]، وما تحويه كذلك تلك المكتبات من نسخ مخطوطة لقصائد البوصيري بعامة[5]؛ ليشير إلى ذلك الأثر ومدى فعاليته في رجال ألمع قبل الدعوة السلفية، ولكن ذلك الميل

---

(١) حولية مخطوطة توجد لدى الباحث.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١٣١.

(٣) البردة: هي قصيدة للبوصيري، في مدح النبي ﷺ، عني فيها صاحبها بإيراد عدد كبير من المحسنات البديعية، وهي وإن لم تكن في البديعيات، لكنها جديرة بأن تذكر معها، وهي من الناحية البيانية والفنية أجود شعر البوصيري.
ولكنه يؤاخذ عليها في بعض أبياتها من الناحية الإسلامية، في مثل قوله:
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
وقد صيغت حولها أساطير وأكاذيب كثيرة.

(٤) من تلك المؤلفات - على سبيل المثال -: « رسالة فتح العليم في علم النبي الكريم شرح بيت البوصيري في ذلك القدر العظيم » وهي مخطوطة، وتوجد نسخة منها لدى الباحث.

(٥) يوجد لدى الباحث من هذه القصائد نسختان مخطوطتان.

نحو علماء اليمن وطرقهم الصوفية، قد تبدل حينما قَبِل هؤلاء العلماء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعزفوا عما سواها، إذ أشار الشيخ عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ إلى الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي وابنه محمد بقوله في إحدى رسائله لأحد علماء رجال ألمع ـ فيما بعد ـ: « وهذه الأمور كانت عند محمد الحفظي وأبيه وأخيه[1]، فأقلعوا عنها، وتابوا إلى الله منها، وتجنبوا الشرك، وتبرؤوا إلى الله منه . . . »[2]، وهذا يدل على حال علماء آل الحفظي المتقدمين تجاه بعض الأبيات الشعرية في قصيدة البردة، فعلماء نجد يرون أن المنكر من ذلك « ما كان فيه شرك »[3].

ومن الواضح أن انصراف علماء رجال ألمع عن الغلو في قصائد البوصيري لم يدم طويلا بعد الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إذ نجد نفرا من علماء آل الحفظي أنفسهم من بعد ذلك يبالغون في تشطيرها والعناية بها، وربما تعدى ذلك إلى تخصيص زكاة لها، فقد ورد في إحدى الوثائق المخطوطة قول أحدهم: « زكاة البردة مائة مرة في عشرة أيام »[4]، بل إنهم ربما صاموا من أجلها ثلاثة أيام[5]. وكانوا يعتنون بها تشطيرا وتخميسا ونحوهما. وقد تنبه إلى ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حينما بعث برسالة إلى عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي (١٢٢١هـ - ١٢٨٤هـ)، قال فيها: « فقد بلغنا من نحو سنتين اشتغالكم ببردة البوصيري، وفيها من الشرك الأكبر ما لا يخفى »[6]، ثم أضاف إلى ذلك قوله: « فما تعلقت قلوبكم

(١) أراد بأبيه وأخيه: الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي، وإبراهيم بن أحمد الحفظي.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤.

(٤) ورقة مخطوطة توجد لدى الباحث.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص٣٨.

ـ يا عبد الخالق ـ إلا بنظم للشيطان، فيه حظ وافر قد أنكره الله ورسوله على من قاله أو فعله»[1]. وهذا الأسلوب يبيِّن مدى الترابط بين علماء آل الحفظي وعلماء آل الشيخ في نجد؛ إذ لم يجد الشيخ عبد الرحمن غضاضة في مخاطبة الحفظي بهذا الأسلوب اللفظي الجاد.

ولعل اهتمام علماء آل الحفظي بقصيدة البردة للبوصيري قد ظل مستمرا حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث نجد بعض هؤلاء العلماء يحرصون على تشطيرها والعناية بها، ولكنهم ربما كانوا أكثر اعتدالا من أسلافهم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري؛ إذ سعى أحمد بن عبد الخالق الحفظي في تبديل بعض ألفاظ البردة عند التشطير في بعض الأحيان[2]، مما يشير إلى اعتداله وتأثره بمبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ترفض تلك الألفاظ المؤدية للشرك، وبخاصة إذا أدركنا أنه سبق لأحد علماء الدعوة في نجد أن نبه إلى فساد بعض أبيات هذه القصيدة[3]، ومثلما برز لدى أحمد ابن عبد الخالق الحفظي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري من الاهتمام بالبردة ونحوها، كان محمد بن حسن بن عبد الرحمن الحفظي (. . . - ١٣٢٨هـ) يحرص كثيرا على تشطيرها، فقد وردته رسالة من إمام الجامع بلواء عسير[4]، يقول فيها: «بلغنا تشطيركم للبردة وأنكم في هذه الأيام على كمال التشطير، فشرِّفونا بإرسالها على طريق التبرك. . .»[5]، وربما أتى هذا التشطير والاهتمام بشعر البوصيري نتيجة لما يلقاه علماء آل الحفظي من تشجيع الترك

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٤.
(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٤٤.
(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٣٨.
(٤) هكذا في الرسالة، ولعله من تأثير الترك في الاستخدام اللفظي.
(٥) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

لهم عندئذ، وبخاصة إذا أدرك تشجيعهم لأحمد بن عبد الخالق الحفظي من قبل، وطبع ما نظمه في البردة[١] ونحوها[٢].

وحينما يُنظَرُ في مجال البدع الأخرى ومحدثاتها برجال ألمع، يتبين أن تلك المنطقة قبل الدعوة السلفية لم تخل من بعض الشطحات الدينية التي أوجدتها الطرق الصوفية المعهودة، فقد دلت المصادر على أن علماء آل الحفظي في تلك الفترة كانوا يستوحون أفكارهم الصوفية من علماء التصوف بتهامة اليمن، وبخاصة زبيد، وبيت الفقيه، إذ دل على ذلك وفرة الرسائل العلمية التي كان يتبادلها العلماء الحفظيون مع شيوخهم من آل المزجاجي، وآل الأهدل، وآل الهجام[٣] بتلك الأنحاء، هذا إلى جانب اشتغال بعض هؤلاء العلماء الحفظيين بطرق أهل التصوف، فقد كان أحمد بن عبد القادر الحفظي يُلْبس الخرقة الصوفية للدارسين وطلبة العلم عنده[٤]، فمن الواضح أن ارتداء الخَرقة لدى علماء آل الحفظي الأوائل برجال ألمع يُعَدّ من أبرز المظاهر الروحية.

وقد نتج عن تأثر علماء آل الحفظي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أن تلاشت هذه المحدثات إلى حد كبير، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إذ إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ينكرون «الطرق الصوفية الشائعة، وما يتبعها من رتب معينة. . .، ويعتبرونها من

---

(١) قال الشوكاني عن البردة: «وقد وقع في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس [يعنى الغلو والغفلة] . . .». الدر النضيد، ص٢٧.

(٢) انظر مؤلفات أحمد بن عبد الخالق الحفظي، المطبوعة في تركيا. وقد قال محمد حامد الفقي: «كانت عنايتهم - الأتراك العثمانيين - بالدين منصرفة إلى زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتجديد كتابة الدلائل والبردة ونحو ذلك». أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ص ٢٣.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣٢٦.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٢.

البدع »[1]. ولذلك فقد قضت تلك الدعوة السلفية - إلى حد كبير - على ما أوجدته الطرق الصوفية من قبل في رجال ألمع، فلم يبق من آثارها إلا مؤثرات لفظية لا تبلغ شيئا من حقيقتها المعروفة.

ولم يكد الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري ينقضي حتى دبَّ الضعف والجهل في مدينة رجال ألمع، فلم يعد علماؤها عندئذ يبلغون مبلغ أسلافهم من قبل، حيث قلّ « العلم في تلك البلاد، وعم ظلام الجهل بين الأهالي»[2]، وحينئذ لم تسلم تلك الأنحاء من شيوع بعض العادات والتقاليد المذمومة شأن غيرها من بلدان جنوبي الجزيرة العربية، ولكن هذه الأنحاء ما لبثت أن ضُمَّت إلى أجزاء البلاد السعودية الأخرى، حيث فُتحت المدارس، وانتشر التعليم، وقُضي على ما اعتاده الأهلون في رجال ألمع من التقاليد المعهودة في الزواج والختان والعزاء[3] ونحوها، إذ أخذ الناس يتخلصون من التقاليد المذمومة التي كانت قد عرفتها بلادهم من قبل.

٢ - المخلاف السليماني:

أما أثر الدعوة السلفية في تطهير الاعتقاد ومحاربة البدع بالمخلاف السليماني، فقد ظهر منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، حينما شرع الداعية أحمد بن حسين الفلقي يدعو السادة الجعافرة ومن حولهم بوادي بيش إلى قبول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكان لهؤلاء الجعافرة ومن حولهم بوادي بيش اعتقاد كبير في قبر أبي سبعة

---

(١) عبد الله الصالح العثيمين، كتابه السابق، ص ١٢٥.
(٢) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج١، س٦، رجب ١٣٩١هـ، ص ١٨.
(٣) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ٨٤، ٩٠.

المشهور[1]، إذ هم « يطلبون منه ما يطلب العبد من الرب من الاستغاثة والتوكل »[2]، فقد كان يعرف صاحب هذا القبر عند العامة ودهماء الناس بـ « سايق العرج »[3]، وما أن دعاهم الفلقي إلى حقيقة الدعوة السلفية حتى نبذوه وراء ظهورهم، وانصرفوا إلى ما دعاهم إليه، فكان ذلك من نتائج أثر الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، كما أن أثر الدعوة قد بات جليا منذ عام ١٢١٥هـ، حيث دلت بعض الوثائق على أن الأمراء العسيريين قد هدموا قبة بالمخلاف السليماني في غضون هذا العام نفسه[4] - كما سبق ذكره -. وهذا يشير إلى حقيقة وجود القباب بالمخلاف السليماني، وأن الأشراف من آل خيرات قد أقروا هذا العمل، حيث أفاض عبد الرحمن بن الحسن البهكلي في ذكر عدد منها[5]، وقال بأنه لما توفي الشريف محمد بن أحمد بن خيرات الحسني سنة ١١٨٤هـ « بُنيت عليه قبة عظيمة البنيان مشيدة الأركان »[6].

ولم يقتصر هذا الأثر على جهود الدعاة السلفيين الأوائل من أهالي تهامة فحسب، وإنما برز كذلك في جهود علماء المخلاف السليماني أنفسهم الذين قبلوا هذه الدعوة ونصروها، إذ طفقوا يصونون عقيدتهم من دنس الابتداع وضلالتة، فقد كان عبد الرحمن بن أحمد البهكلي ينكر ما كان يجري من محدثات عند الجعافرة بالمخلاف السليماني، ويرى أنهم « عند وصول هذه

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.
(٣) أخبرني بذلك محمد عيسى من أهالي قرية الرجيع.
(٤) حولية مخطوطة توجد لدى الباحث.
(٥) انظر كتابه: نزهة الظريف.
(٦) خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد، ورقة ٩٦، وقد ذكر البهكلي أن يحيى بن محمد القطبي أرخ تاريخ وفاة هذا الشريف بأبيات رسمت في القبة المذكورة.

الدعوة نبذوا الأحكام[1] »[2]. كذلك نلاحظ هذا الأثر لدى الوزير الحسن بن خالد الحازمي حين أمر بهدم القبة التي عمرها أحد التجار بالمخلاف السليماني على قبر أحد الصالحين[3]، وبأنه « لم يزل ينشر السنن، ويميت البدع »[4]، وينكر على القبوريين أفعالهم، وما هم عليه من مخالفة التوحيد الخالص لله[5]، كذلك كان لمحمد بن ناصر الحازمي أثر في إنكار كثير من البدع ومحدثاتها، إذ أشار إلى ما يجري منها في تلك الأنحاء في كتابه " إيقاظ الوسنان "، وبيّن فعالية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في إزالة تلك المحدثات، كما عاب على من أنكر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته، حينما قال: « فكما ترى أن ابن عبد الوهاب قد امتثل أمر رسول الله ﷺ، وأزال هذا المنكر بحسب الاستطاعة، فأوذي على ذلك، وكفّره من يدعي العلم»[6]. هذا بالإضافة إلى ما أحدثته هذه الدعوة السلفية من آثار فعالة في تطهير معتقد كثير من العلماء والأهلين بتلك الأنحاء.

وقد أصبح إقبال الناس بالمخلاف السليماني على هذه الأمور المحدثة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري قليلا إذا ما قيس بما كان عليه ذلك الحال في المخلاف السليماني من قبل، فقد انتشرت عندئذ مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب « في مادة الشرك بيانه وتحذير الناس منه »[7]، مما جعل العلماء بتلك الأنحاء ومن سواهم يدركون ما تدعو إليه هذه الدعوة السلفية،

---

(١) الأحكام: ما يجري عند الكهنة.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩٥.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣٦.

(٦) إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان، ورقة ١٦، ١٧.

(٧) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩١.

ويرون في منهجها سبيلا لنبذ تلك المعتقدات في غير الله، فقد انعكس الأمر على حياة الناس الدينية حينما عمرت المساجد بالذكر، وحفلت المدن والقرى بالمحتسبين والدعاة، إذ قام حسين بن شبير الحسني بمهام الحسبة والدعوة إلى الله، فقد نفر مع طائفة من فقهاء عصره إلى البوادي والقرى يعلمون الناس، ويرشدونهم إلى حقيقة التوحيد، وإفراد العبادة لله وترك الاعتقاد في غيره تعالى[1]، مما قضى على كثير من البدع والمعتقدات الباطلة.

ولكن هذا الحال لم يدم طويلا، إذ غشيت المخلاف السليماني طوائف الترك وأصبحت البلاد مسرحا للفتن والقلاقل[2]، مما أضعف الواقع الفكري[3]، وأعاد حال الجهل وشيوع البدع، كما وجد في محيط هذا العصر من يشجِّع التصوف ويدعو إليه، فقد كان لمقْدم أحمد بن إدريس من مكة المكرمة إلى المخلاف السليماني في هذه الأثناء أثر في إحياء طرق أهل التصوف والعمل بها، إذ انتشرت عندئذ مؤلفاته[4]، وشاعت كراماته[5]، مما حبب للناس - من بعد وفاته - تشييد القباب، وتقديس القبور، فقد كان لظهور هذه المؤلفات، وشيوع تلك الكرامات أثر في وجود بعض الردود الفكرية التي أثارتها طبيعة الدعوة السلفية تجاه البدع ومحدثات الأمور، وليس أدل على أثر هذه الدعوة السلفية في تلك الأنحاء من موقف بعض علماء عسير السلفيين من حال ابن إدريس، وما كان عليه بصبيا، إذ يبدو أنه أثارهم ماورد في حصونه

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٤٠، ٤١.

(٢) كان ذلك منذ عام ١٢٣٥هـ.

(٣) المصدر السابق، ورقة ٤١.

(٤) انظر - على سبيل المثال -: حصون أحمد بن إدريس، والقواعد الأربعة. وهما لدى الباحث.

(٥) انظر: عقد الدر النفيس في بعض كرامات السيد أحمد بن إدريس، دارة الملك عبد العزيز، تحت رقم ٩٢٢.

المعروفة من طلب الاستجارة ونحوها من غير الله [1]، وما كانوا يشهدونه من أفعال وكرامات، مما أدى بهم إلى مناظرته - كما قيل من قبل - في مَلأ من علماء المخلاف السليماني، وإنكار ما هو عليه من الكرامات[2] والطرق الصوفية.

ومن الواضح أن المخلاف السليماني منذ وفاة أحمد بن إدريس في عام ١٢٥٣هـ حتى قيام الدولة الإدريسية في صبيا عام ١٣٢٦هـ، قد ابتلي بشيوع البدع وركود الفكر وجموده، وبخاصة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين[3]، إذ أصبحت تلك الأنحاء بحاجة ماسة إلى دفع هذه الظواهر المختلفة وإيجاد سبل حقيقية لنزعها.

وإذا كان قد صاحب قيام الدولة الإدريسية في صبيا أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري شيء من أسباب نصرة الشريعة الإسلامية، والنهضة العلمية[4]، فإنما كان أساس قيامها على الموروث الصوفي الذي خلفه من قبل أحمد بن إدريس في صبيا، إذ بقيت قبته مزارا حتى عام ١٣٤٢هـ[5]، وظلت تعاليمه وكراماته عالقة بأذهان كثير من الناس حتى العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، مما أوجد لحفيده محمد بن علي الإدريسي من قبل هذا كرامات يمجها العقل ويرفضها الواقع، فقد زعم سالم بن عبد الرحمن

---

(١) ورقة ٧.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير، ورقة ٤.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٨٠.

(٤) يظهر ذلك في رسائله ونصائحه التي كان يوجهها عندئذ إلى القبائل والأهلين بتهامة وعسير.

(٥) حسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام، ص ١١٠. وقد قال العرشي بأن هذه القبة هُدمت في هذه الأثناء، وأن الإدريسي - على حد زعم هذا المؤرخ - قد هدمها «تقربا من الملك ابن سعود أمير نجد وقتئذ». المصدر نفسه، ص ١١٠.

باصهي أن اسم الإدريسي قد « وُجد على ورق الأشجار»[١]، وأن ذلك مما ظهر « من اسمه المرقوم بالقلم النوارني»[٢]، وأضاف إلى ذلك زعمه أن « الأفاعي الضارية والسباع . . . العادية كانت في زمنه على جانب من عدم التعدي »[٣]. وذلك ما ساعد على شيوع البدع والخرافات، وتقديس القبور، وإقامة القباب والمشاهد، وإحياء طرق أهل التصوف الغالية بالمخلاف السليماني في هذا العهد الإدريسي الأخير.

فقد كان لضريح أحمد بن إدريس قباب مشيدة[٤]، كما كان في « بيت الصوفي » بالمخلاف السليماني ضريح يقصده العامة، ويتوسلون به[٥]، هذا إلى جانب اهتمام محمد بن علي الإدريسي نفسه بتشكيل المشيخات الصوفية[٦]، وإقامة حفلات لذكرى جده أحمد بن إدريس مؤسس الطريقة بصبيا[٧]. وذلك ما يعرف بـ« الحول »، إذ تقرأ فيه سيرة ابن إدريس الأول ومناقبه، وتنشد فيه قصيدتا البردة والهمزية ونحوهما في حفل كبير واسع[٨]، ولكن هذه المعتقدات والبدع الباطلة وغيرهما مما انتشر بين الناس بتهامة وعسير في هذه الفترة الأخيرة ما لبثت أن زالت أمام تيار الدعوة السلفية في عهدها الحاضر، حيث أدرك محمد بن علي الإدريسي في آخر عهده حقيقة الوضع الديني في بلاده، وما تدعو إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما قدر

(١) عبد الله العمودي، مجموعة أوراق متفرقة، ورقة ١٠١.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٠١.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٠١.
(٤) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص ١٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٦٠.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٣٣.
(٧) المصدر نفسه،ج٢، ص ٨٣٤.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٣٤.

ما أصبح عليه الناس في جهاته من الدراية والعلم[1]، فقد أمر بهدم القباب، والمزارات المقامة على القبور في أغلب أعمال إمارته[2]، نتيجة لشعوره بموقف الدولة السعودية حينذاك، وما أسفر عنه اجتماع الوفد الذي أرسل إليه من قبلها في صبيا عام ١٣٣٨هـ[3]/ ١٩١٩م.

وفي الحقيقة أن مدن المخلاف السليماني وما حولها في القرون الأخيرة الماضية، قد عرفت وفرة واسعة في المعتقدات الباطلة في غير الله، إذ ربما لا يؤتى على حصرها، وإنما هي في الغالب تكاد تماثل غيرها من المحدثات المعروفة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى، فقد أثرت هذه الدعوة السلفية من قبل في كثير منها، واستطاعت في هذا العهد السعودي الأخير أن تعم بأثرها معظم تلك الشطحات، وعندما يضرب لها بمثل، فإن تقديس قبور الأولياء بالقنفذة وحلي وأعمالهما تكاد تعم بضررها الأهلين بتلك الأنحاء، إذ برز منها قبر الشيخ علي بـ "حلي"[4]، وقبر السيد القنعي، والسيد الرفاعي ومزاراتهما بالقنفذة، كذلك كان لضريح عمر بن عبد الرحمن البار العلوي (١١٦٠ - ١٢١٢هـ) المقبور بساحل دوقة بجلاجل قبة معروفة، قد أتى على ذكرها وذكر صاحبها عبد الله بن محمد السقاف بقوله: « ومن تواتيه الظروف

---

(١) عبد الله علي العمودي، نبذة في ترجمة الحسن بن علي الإدريسي، مخطوط، ورقة ٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص ٧٥٧، ٧٥٨.
قال علي بن محمد السنوسي في معرض حديثه عن الإدريسي: إن الأهلين بالمخلاف السليماني كانوا « يسمونه الوهابي بعد ما كانوا يسمونه الهادي؛ لما شاهدوا منه من الانضمام إلى جلالة الملك عبد العزيز، وخصوصا عندما هدم المسجد الذي كان على قبر جده أحمد بن إدريس ». السماط الممدود، ص ٢٠٨.

(٤) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٥٣.

إلى جلاجل، فإنه سيشاهد على ضريحه قبة أشبه بسقيفة يقصدها للزيارة سكان تلك الناحية»[1]، وما دعاهم إلى هذا العمل غير الضلال والغلو في الدين، إذ ربما عمدوا إلى إلزام أنفسهم بنصوص في وثائق الأوقاف لديهم، توجب خدمة المزارات وصيانتها، ولكن هذه الأمور الباطلة قد أدركتها الدعوة السلفية، فقضت عليها في أوائل العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري حين شكلت من أجلها لجنة عام ١٣٥١هـ[2]؛ هدمت تلك المزارات وأزالتها.

وبمثلما كان الناس في القنفذة وما حولها يقصدون المزارات ويعكفون عند قبور الأولياء والصالحين، كان الأهلون في سامطة وما حولها في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري يعتقدون في القبور والأحجار والأشجار، ويرفعون فوقها القباب والمعالم[3]، فقد ذكر الشيخ أحمد بن يحيى النجمي أن الناس بسامطة وما حولها حينذاك كانوا يعتقدون في القبور، ويستعينون بالسحرة والمشعوذين، وربما تحاكموا إلى الدجالين وضعفاء العقيدة، وأضاف ذلك إلى قوله: إن من أشهر القبور المزارة في تلك الفترة بتلك الأنحاء قبر راعي الريان شرقي سامطة، وقبر أبي فراج في قرية البدوي. وقد نسب النجمي هذه الأمور المبتدعة إلى ضعف عقائد الناس عندئذ، وما درج عليه علماؤهم من قبل، إذ لم يكن مرد ذلك - كما يقول - قصورا في التعليم[4].
وعندما أراد الله الخير لهذه الأنحاء من تهامة يسَّر لها من علماء هذه الدعوة السلفية من يقوم فيها بالدعوة إلى الله، فقد وفد إليها عام ١٣٥١هـ الشيخ

(١) كتابه السابق، ج٣، ص ٣٥.
(٢) أخبرني بذلك الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه، القنفذة.
(٣) عبد القدوس الأنصاري، مؤسس مدارس الجنوب، مجلة المنهل، ج ٥، س ٨، جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، ص ١٩٠.
(٤) مقابلة شخصية مع أحمد بن يحيى النجمي، (سامطة في ١٢/ ١٠/ ١٤٠٢هـ).

صالح المطوع[1]، فسعى في إرشاد الناس وتعليمهم، ثم وفد إليها الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي من بعد ذلك في عام ١٣٥٨هـ ففتح بها المدارس، وأزال تلك المنكرات وغيرها، حتى إذا عمت مدارسه أرجاءها انتشر هو وطلبة العلم في مدارسه في بلدان المخلاف السليماني الأخرى يعظون الناس، ويحذرونهم البدع ومحدثاتها[2]، مما هيأ للأهالي في تلك الأنحاء - فيما بعد - حياة ثقافية متميزة.

ومن الواضح أن بعض بلدان المخلاف السليماني، وبخاصة جباله الشرقية قد عاشت في القرون الأخيرة الماضية حياة جاهلة لا تعرف من أمور دينها شيئا غير الاعتقاد في التنجيم والسحر ونحوهما، ويقرر هذا ما ورد في إحدى الوثائق المخطوطة لدى رجال من قبائل فيفا، إذ ذكر كاتبها أن « الشريعة بهذه البلاد غير معروفة »[3]. وهذا يؤيد انصراف الناس في جبل فيفا في أواخر القرن الثاني عشر الهجري إلى شيخهم قاسم المعكوي، إذ كانوا يرون في ممارسته للتنجيم[4] وذبحه لغير الله[5] سبيلا لقضاء حاجاتهم وصلاح أمورهم. وقد زاد هذه الأمور جهلا كونُ الأهلين في جبل فيفا يعتقدون ـ فيما بعد ـ في النصب[6] التي يتقربون إليها بالقرابين، ويستسقون بها المطر ونحوه[7]، فلما جددت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيهم في العقد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، مدارس الجنوب، مجلة المنهل، ج٥، س٨، ص١٩٠.

(٣) توجد هذه الوثيقة المخطوطة لدى الباحث.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٤٠٤.

(٥) عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، كتابه السابق، ورقة ٢٧.

(٦) النصب : الأماكن التي يعتقد فيها الأهلون.

(٧) مقالة مع حسن يحيى شريف الفيفي، (فيفا في ٤/٨/ ١٤٠٠هـ).

الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، أزالوا معالم تلك النصب، وانثنوا إلى الواحد القهار في قضاء الحاجات وتيسيرها.

وربما كان هذا حال معظم سكان الجبال في المخلاف السليماني وما جاورها من حيث ضعف العقيدة الدينية، فقد تحدث عبد الله بن علي العمودي عن أهالي جبل القهر فذكر بأن «الكهانة فاشية[1] فيهم»[2]، وبأنهم «يستمطرون [3] بالتقرب إلى الأوثان»[4]. وربما كان أهل جبل القهر أحسن حالا من غيرهم، إذ هم رغم وجود بعض القبور المرتفعة، والمعتقدات لديهم لا يصرفون إليها شيئا من قضاء الحاجات ونحوها، ولكنهم كانوا يخطئون حينما «يدعون أنهم من قوم صالح النبي»[5] عليه السلام، إذ إن ما يتوارثونه بينهم من معلومات قديمة تجعلهم يوقنون بذلك، ويربطون ما ورد في القرآن الكريم من أخبار هذا النبي بما يتراءى لهم في بيئتهم المحدودة من أماكن معلومة يحسبونها لقوم النبي صالح عليه السلام[6]. هذا فضلا عن جهلهم قبل ظهور الدعوة السلفية فيهم بأمور الشريعة الإسلامية وبخاصة الصلاة[7]. ومما يستطرف من أخبارهم قول العمودي في مجال عقد النكاح: «أن الولي

---

(١) كذا في المصدر.

(٢) تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع، ورقة ٧.

(٣) يستمطرون: يستسقون.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٧.

(٥) عبد الله العمودي، مجموعة أوراق، مخطوطة، ورقة ١١.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ١١، وقد قام الباحث بزيارة علمية إلى جبل القهر ١٤٠٠هـ، فألفى ما قيل شائعا بين الأهلين. ولم تكن تلك الأماكن سوى مظاهر بيئية نسجت حولها الخرافات المزعومة.

(٧) محمد زارع عقيل، جبل القهر في التاريخ، مجلة المنهل، ج٤، ٥، مج٦، س ٢٠، ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٧٥هـ، ص ٣١٢. وقد ذكر كاتب هذا المقال أن المرشدين الدينيين الذين أرسلوا إلى الريث في عهد الإدريسي «كانوا يلاقون بعض الصعوبات في بادئ الأمر خصوصا عند الصلاة؛ لأن الركوع والسجود يتراءى لهم أنهما ليسا من الرجولة». ص ٣١٢.

والزوج ومن حضرهم يجتمعون بقرب شجرة مثلا، ويقول له الولي: أحللت لك ظهرها وبطنها. ويذبحون رأسا من الغنم، ويأكلوه[١]، ويتفرقون والمهر قطيع من الأغنام»[٢]، وأضاف إلى ذلك قوله: إنهم لا يحلفون بالله حتى لو ضحى الرجل منهم - كما قال العمودي - بماله[٣]، وقد زال كل هذا الآن، إذ إنهم لما ضموا إلى بقية أجزاء البلاد السعودية تأثروا بمنهج الدعوة السلفية، ونبذوا وراء ظهورهم ما يخالفها.

ومن البدع التي درج عليها الناس في المخلاف السليماني ـ قبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري ـ تخصيص شهر رجب لقراءة صحيح البخاري[٤]، وتوزيع التمر عقب الانتهاء من دفن الميت[٥]، وقراءة المولد بعد مضي أربعين يوما على وفاة الميت في حفل بهيج يقتصر على النساء دون سواهن[٦]. ولعل هذا الأمر قد نجم عن تأثير الصوفية وطرقها في الأهلين بتهامة، إذ لم يعد له ذكرٌ اليوم في تلك الأنحاء، وإنما كان القضاء على ذلك وغيره أثرا من آثار هذه الدعوة السلفية.

ثالثا: في اليمن

يدرك الباحث في تاريخ الفكر اليمني خلال القرون الأخيرة الماضية مدى انصراف الناس حينذاك نحو المعتقدات الباطلة في غير الله، إذ لم يكد يخلو

---

(١) كذا في الأصل، والصواب «يأكلونه»،

(٢) تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع، ورقة ٧.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٧.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١١٠، ٤٨. انظر كذلك: أئمة اليمن لزبارة، ص ٣١٣.

(٥) أخبرني بهذا محمد عيسى من أهالي الرجيع.

(٦) مقابلة شخصية مع محمد علي السنوسي (جازان في ١٨/ ٥/ ١٣٩٩هـ).

بلد من بلدان اليمن من المظاهر المبتدعة المخالفة. ولعل ما تضمنته الكتب وتناقلته الأخبار عن حال اليمن الفكري في هذا المجال قبيل ظهور الدعوة السلفية يشير إلى تردِّي ذلك الحال وانحرافه عن طريق الصواب، فقد كان معظم الأهلين بتلك الأنحاء يميلون إلى الاعتقاد في القبور، ويفضلون إقامة المشاهد والقباب عليها والتبرك بها، وأنهم حينذاك كانوا لا يسلمون حقيقة دينهم من فساد معتقداتهم، بدليل انصرافهم هذا نحو تلك المحدثات ورغبتهم في شيوعها، وبخاصة في القرن الثاني عشر الهجري.

ومن تلك القبور التي اتخذ عليها الناس باليمن قبابا ومزارات، وصرفوا لها شيئا من التقديس والتعظيم، قبر: ابن عجيل[1]، وشويع، وابن علوان[2]، والجيلاني[3]، والهادي[4]، والبرعي[5]، والشيخ صديق[6]، والزيلعي[7]، والعيدروس[8]، والعلوي[9]، والشاذلي[10]. وربما انحصر وجود معظم هذه القبور في تهامة: تهامة اليمن، وتعز، وصعدة، وصنعاء، وحضرموت[11]. وليس أدل على الغلو فيها من قول أحد الأهلين في اليمن

---

(١) في بيت الفقيه. (٢) في تعز (الحجرية).

(٣) في بغداد، ولكنَّ له مقاما - كما ذكر لي أحد المعمرين اليمنيين - في محافظة صنعاء (ريمة). انظر أخبار هذه المواضع السابقة في كتاب معارج الألباب لحسين بن مهدي النعمي، ص ١٥٦، ١٥٩.

(٤) في صنعاء.

(٥) في جبل برع (محافظة الحديدة).

(٦) حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام، ج١، ص١١. وقبر الشيخ صديق في الحديدة وهو - كما قال لي أحد المعمرين اليمنيين - تربة يحيط بها سور في مقبرة الصديقية بالحديدية، وربما عرف لدى آل الأهدل بالمراوعة.

(٧) إبراهيم بن عبيد، كتابه السابق، ص ٢٢.

(٨) في عدن. (٩) في جبال ريمة.

(١٠) محمد بن ناصر الحازمي، كتابه السابق، ورقة ٤، ١١، ٢٤.

(١١) عبد الله بن محمد السقاف، كتابه السابق، ص ١١٦، ١١٧.

مخاطباً ابن عجيل :

هات منك يا بن موسى إغاثه عاجلا في مسيرها حثاثه[1]

ومن الواضح أن الناس في اليمن عندئذ قد طلبوا الاستغاثة من غير الله في مجال معاشهم في البر والبحر[2]، ورفعوا الرايات فوق مشاهد الموتى بعبارات الاستجارة بهم من النار[3]، وربما غشيت تلك القبور طوائف كثيرة من الناس، قد يُضَاهى بها لديهم الحجاج في عرفات[4]، هذا إلى جانب أن الناس في اليمن قد اعتادوا في بعض الأحيان « السجود للمعتقد »[5]، وتخصيص شيء من أموالهم له[6]. وكانوا « يوقدون السرج على القبور . . . ويرحلون بنسائهم[7] » لزيارتها . وقد أنكر عليهم بعض العلماء في اليمن إهمال بيوت الله، وترك العناية بها، في وقت كانت مشاهد الأموات تزدان بالحرير والسجاد الفاخر وغيرهما[8].

ورغم ذلك وُجد من علماء اليمن في القرن الثاني عشر الهجري من يحارب مثل هذه الضلالات، ويتخذ منها موقفا معاديا، ولعل من أشهر أولئك العلماء : الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ)، والشيخ حسين بن مهدي النعمي (. . . - ١١٨٧هـ)، إذ برز موقف الأمير جليا تجاه

---

(١) محمد بن ناصر الحازمي، كتابه السابق، ورقة ٩ .

(٢) محمد بن ناصر الحازمي، كتابه السابق، ورقة ٤، ١١، ٢٤ .

(٣) حسين بن مهدي النعمي، كتابه السابق، ص ١٥٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦١ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٠ .

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٢ .

(٧) محمد بن ناصر الحازمي، ورقة ١٦، وفي الأثر : « لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » . رواه أبو داود والنسائي والترمذي وأحمد وغيرهم .

(٨) حسين بن مهدي النعمي، كتابه السابق، ص ١٦٥ .

هذه الأمور المحدثة منذ عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م حينما أرشد إمام اليمن حينذاك إلى هدم صنم المخا، وألّف من أجله رسالة [١]. وقد قال فيه صديق بن حسن القنوجي بأن « له صولة في الصدع بالحق واتباع السنة، وترك البدعة »[٢]. أما النعمي فقد اشتهر برفضه لهذه المعتقدات الباطلة منذ أن ألف في هذا الجانب وكتب فيه[٣].

وربما كان نشوء هذين الموقفين عند النعمي والأمير بسبب تأثرهما بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبخاصة إذا أدرك موقف محمد بن إسماعيل الأمير من هذه الدعوة حينما قال: « ما زالت تبلغنا الأخبار من سنة ١١٦٠هـ بأنه ظهر في نجد رجل يدعو إلى اتباع السنة النبوية، وينهى عن الابتداع... والاعتقاد في العباد من الأحياء والأموات، وينهى عما نهى عنه رسول الله ﷺ من العمارة على القبور المشاهد والقباب»[٤]. كذلك يدل على تأثر حسين بن مهدي النعمي بالدعوة السلفية قوله بأن سبب تأليفه لكتابه "معارج الألباب" يعود إلى أنه وقف في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م على سؤال حول هدم بعض المشاهد والقباب، وأنه كان من قبل هذا التاريخ قد أُلقي إليه كتاب من مكة المكرمة ورد فيه: « أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب عليه مفتو الأربعة المذاهب بما يتضمن التشنيع على من دلّ على هدم القباب

(١) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج٢، ص ٩١٥، انظر كتاب: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، للأمير نفسه، وقد قال في مقدمة هذا الكتاب: « وبعد، فهذا تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، وجب عليّ تأليفه... لما رأيته وعلمته يقينا من عموم اتخاذ العباد الأنداد في جميع الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، أو الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات... ». ورقة ١٩٩.

(٢) أبجد العلوم، ص ١٩٢.

(٣) انظر كتابه: معارج الألباب، ورسالته: مدارج العبور على مفاسد الأمور.

(٤) إرشاد الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب، ورقة ٣٩٣.

والمشـاهد»[1]، وربما أوحى قول الأمير من قبل، وكذلك النعمي إلى أنهما قد تأثرا بهذه الدعوة وأنها وافقت ما عندهما كما قال الأمير في شعره.

وإذا كان هذا حال هذين العالمين، ومدى تأثرهما بالدعوة السلفية في القرن الثاني عشر الهجري، فإن من أكثر علماء اليمن تأثرا بمنهج الدعوة السلفية في مجال تطهير الاعتقاد - فيما بعد - إبراهيم بن محمد الأمير (١١٤١ - ١٢١٣هـ)، ومحمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، إذ عُرِف إبراهيم الأمير بمواقفه تجاه القبوريين[2]، وكان الشوكاني ينكر على المعتَقدين في غير الله أفعالهم، ويرى أنهم قد خالفوا بذلك مقتضى إفراد العبادة لله وحده[3].

أما الأثر الفعلي لهذه الدعوة السلفية في اليمن، فقد ظهر منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، عندما بدأ العلماء يدركون حقيقة هذه الدعوة وما تدعو إليه من إخلاص التوحيد لله تعالى، بالإضافة إلى ارتياد نفر من علمائها ودعاتها لكثير من بلدان اليمن خلال تلك الفترة، كما أن وفرة الرسائل التي كان يتبادلها العلماء في اليمن وأمثالهم في نجد ورجال ألمع[4] قد ساعد على إيجاد أثر فعلي لهذه الدعوة، إذ بدأ الناس في اليمن يلمسون إلحاح علمائها وأمرائها في نشر هذه المبادئ وحقيقتها بتلك الأنحاء.

ولعل من أهم آثار الدعوة السلفية في ميدان تطهير الاعتقاد وذم البدع باليمن اقتناع الأئمة بتلك الأنحاء وعلمائهم بهدم القباب وإزالتها، فقد دلت

(١) معارج الألباب، ص ٤، ٥.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٢١.

(٣) أدب الطلب، ص ١٦٨، انظر كذلك: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني نفسه.

(٤) انظر مجموع ٥٦٧/ ٨٦ مكتبة الرياض السعودية، ومجموع ١٨٦ المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، وانظر كذلك: نفحات من عسير، ص ٨٥.

المصادر على أن الإمام المنصور هدم قبة عابدين المشهورة بصنعاء عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٧م[١]، وأنه قبل عام ١٢٢٤هـ « وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار وما يتصل بها »[٢]. وكان هذا الأمر - فيما يبدو - قد شجع إمام اليمن المتوكل فيما بعد، وجعله يفضي إلى علماء اليمن برغبته في هدم القباب وإزالتها. وذلك على أثر وصول نفر من علماء الدعوة السلفية إلى صنعاء عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م[٣]. وقد كان موقف علماء صنعاء عندئذ موجبا لهدم تلك القباب، إذ يبدو أن أثر الدعوة قد وقع في قلوبهم؛ مما جعل الإمام المتوكل حينذاك يباشر هدم معظم القباب المشهورة بصنعاء ويأمر بإبلاغ أمره بهدم القباب بعامة إلى بقية بلدان اليمن[٤]. ويؤيد هذا قول عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي بأن شيخه القاضي

---

(١) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٩١.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٢٦٢، ٢٦٣. ولعل هذا الحال قد دفع محمد ابن أحمد الحفظي إلى أن يقول في إحدى منظوماته مخاطبا المتوكل نفسه:

وقـد رأيت منكم رسالهْ　　　إليه تمشي في البها مختالهْ
شممت منها نسمة الوفاق　　　وشمت منها لمعة البراق

الديوان المرضي، ورقة ٢٢١.

(٣) مجهول، حوليات يمانية، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨، قال صاحب حوليات يمانية في أخبار عام ١٢٢٩هـ: إن جماعة من الدعاة السلفيين وفدوا إلى صنعاء، « وخاطبوا المتوكل في خراب القباب المنصوبة على قبور الصالحين، والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء، بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي، وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لا علي الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل بهدمها وهدمت (الذي) في صنعاء وما حولها: قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبهر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر. . .، وهدمت قبة أحمد بن الحسن في الغراس وأرسل إلى بقية النواحي بهذا ». ص٧، ٨.

أحمد العنسي ذكر له، وهو يتلقى العلم على يديه بمدينة إب عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م أن بمدينتهم تلك: آثارا لقباب مهدمة، وأماكن محرقة من عهد الإمام سعود بن عبد العزيز[١] (١٢١٨- ١٢٢٩هـ)، وإذا صح هذا فإن معظم بلدان اليمن إذن قد أدركت شيئا من أثر الدعوة السلفية، وأن ذلك الأثر قد كان في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

وبمثلما أثرت الدعوة السلفية في صنعاء وما حولها، أثرت كذلك في تهامة اليمن وفي حضرموت. أما تهامة اليمن فبعد أن تمادى أهلها في تعظيم القبور وأقر علماؤها، «ما يحدث من أنواع الشرك بمرأى ومسمع»[٢] أصبحت بعد ذلك في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري «صافية عن تلك الأمور التي كان يتلوث بها أهلها، فلا يقدر أحد منهم يستغيث بغير الله سبحانه أو ينادي ميتا من الأموات»[٣]. ورغم أن الشوكاني حينما أخبر بذلك لم يذكر سببا مباشرا لتأثرهم غير إعمال السيف فيهم[٤]، فهل كان ذلك العمل من قبل أمراء الدعوة في تلك الأنحاء[٥]؟ أم هو عمل أئمة صنعاء الذين تأثروا بالدعوة من قبل، وباشروا إزالة ما يمس العقيدة وينافي التوحيد في بلدانهم!

والحق أن لكل من الاحتمالين السابقين أثرا فعالا في دفع تلك المعتقدات ونزعها، وبخاصة إذا أدرك قبول تلك الأجزاء من تهامة اليمن للدعوة السلفية من قبل[٦]، وأحيط بجهود أئمة اليمن في سبيل إزالة تلك المنكرات ونبذها.

---

(١) مقابلة شخصية مع عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي (شوحط في ٩/ ٧/ ١٣٩٩هـ).

(٢) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص ١٧١.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص ١٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٥) يؤكد هذا القول عمل الأمير علي بن مجثل المغيدي عام ١٢٤٦هـ، حينما عمد إلى هدم القباب وما إليها بهذه الأنحاء. انظر كتاب: في ربوع عسير، لمحمد عمر رفيع، ص ٢١٨.

(٦) انظر: ص ٣١ من هذا البحث.

أما حضرموت فقد ذكرت المصادر أن دعاة هذه الدعوة حينما وفدوا إلى تلك الأنحاء عام ١٢٢٤هـ هدموا « القباب، وحطموا التوابيت، ومنعوا الرواتب، واعتقلوا المناصب »[١]. وذلك لما وُجد عليه الناس بحضرموت من الضلال والجهل العميق. وقد ذكرت بعض المصادر أن أولئك الدعاة السلفيين كانوا يهدمون رؤوس القباب[٢] إشعارا بخرابها وإقلالاً من شأنها[٣]؛ وذلك ربما لكثرتها وسعة انتشارها. ولم يكتف أولئك الدعاة في تلك الفترة بهدم القباب فحسب، بل أوجدوا من الدعاة بحضرموت من يبث الدعوة ويدعو إليها[٤]، وذلك يشير إلى مدى اتساع أثر هذه الدعوة السلفية بحضرموت وما حولها في تلك الفترة في مجال تطهير الاعتقاد ونبذ البدع، ولعل ذلك ما دعا أحد علماء حضرموت أن يقول مشيرا إلى أولئك الدعاة السلفيين: « لو لم يقيِّض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور »[٥].

ويبدو أن اهتمام أمراء الدعوة السلفية ودعاتها بهدم القباب وإزالتها في جنوبي الجزيرة العربية قد عم بلدان اليمن، وأصبح من الأعمال المحببة عند أولئك الدعاة، فقد أثبتت المصادر أن أمراء عسير عندما دخلوا تهامة اليمن عام ١٢٢١هـ باشروا هدم قبة جامع بيت الفقيه[٦]، كذلك دلت هذه المصادر على رغبة أولئك الأمراء في تطهير المعتقدات وتنقيتها، إذ إنهم ظلوا حريصين على تثقيف الناس وإصلاح معتقداتهم بتلك الأنحاء، فقد عمد الأمير علي بن

---

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص ١٤١.
(٢) عبد الله بن محمد السقاف، كتابه السابق، ص ١١٥.
(٣) فهي لا تجلب نفعا، ولا تدفع ضرا.
(٤) صلاح البكري، كتابه السابق، ص ١٤١.
(٥) مجلة المنار، ج١١، مج ٩، ذو القعدة ١٣٢٤هـ، ص ٨٢٧.
(٦) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير، ص ٥٨.

مجثل المغيدي عام ١٢٤٧هـ إلى هدم عدد من المشاهد والمزارات بضواحي مور[١]، كما اتضح من بعد ذلك هدم بعض القباب خارج مدينة تعز عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م[٢]، وكان أثر الدعوة السلفية في مجال البدع الأخرى واضحا من قبل، إذ كان محمد بن إسماعيل الأمير يؤيد قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإحراق كتاب " دلائل الخيرات "[٣]، كما برز موقف محمد بن علي الشوكاني من الصوفية وطرقهم، حين ذم أفعالهم المبتدعة، وألف فيهم رسالته الموسومة بـ" الصوارم الحداد "[٤]، وكل ذلك يدل على استمرار أثر هذه الدعوة بتلك النواحي من جزيرة العرب خلال تلك الحقبة.

وربما كان لقضاء الترك والمصريين على أمراء الدعوة السلفية في نجد أثر في إضعاف نشاطها بهذه الجهات، إذ دلت المصادر اليمنية على غبطة نفر من علماء اليمن حيال ذلك المصير، حيث بدأت منذ ذلك الحين تظهر مواقفهم تجاه هدم القباب ونحوها، فقد زعم أحد أولئك العلماء أن الدافع وراء هدمها من قبل السلفيين يكمن في الرغبة « لما فيها من الفضة والذهب »[٥]، ودلل على ذلك بآيات من القرآن الكريم[٦]. وكان هذا التعصب والتمادي في الباطل سببا في تعطيل نشاط هذه الدعوة وإضعاف تأثيرها فيما بعد، فالواقع أن إقامة القباب على القبور وجعلها مكانا للعبادة ينافي حقيقة الشريعة الإسلامية[٧]،

---

(١) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٧٩.

(٢) أحمد بن أحمد النعمي، تاريخه، ورقة ٢١٠.

(٣) ديوانه، ورقة ٥٦.

(٤) أدب الطلب، ص ١٧٣، ١٧٥.

(٥) مجموع ١٢٩، المكتبة الغربية بجامع صنعاء، ورقة ١٣٨.

(٦) مجموع ١٢٩، المكتبة الغربية بجامع صنعاء، ورقة ١٣٨.

(٧) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد، ص ٩٥ - ١٠٠.

بما يجعلها « من علامات الكفر »[1]، وأن من استغاث بالصالحين أو دعاهم لكشف ضر أو نحوه فقد أشرك[2]. وذلك ما جعل أثر الدعوة السلفية في اليمن يقل ويضمحل إلى حد كبير، إذ لم يكد هذا الأثر يظهر مرة أخرى بوضوح إلا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري وما بعده.

وعلى الرغم من أن أثر الدعوة السلفية في اليمن قد قل نشاطه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فإن بعض العلماء في تلك الأنحاء قد عُرفوا - فيما بعد - بشدة إنكارهم للاعتقاد في قبور الموتى ونحوها، فقد ذكر محمد محمد زبارة كثرة « استقبال بعض المصلين في جامع جبْلة لقبر سيدة بنت أحمد الصليحي »[3]، وأضاف إلى ذلك قوله: إن أحمد بن محسن الجبلي (١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ) قد أنكر عليهم هذا العمل، وهمَّ بنقل القبر من جامع جبلة المذكور، إلا أن ثورة العامة ضده عندئذ قد حالت دون تنفيذ مراده، ولكنه - كما قال زبارة - ظل يلح على هدمه وإزالته، حتى تيسرت له موافقة إمام صنعاء حينذاك بإرسال نفر من الجند لهدمه. وقد دل على موقفه هذا قوله في مطلع إحدى قصائده:

إن شئت تحظى بالسلامة في غدِ   فاهتف برب العالمين ووحِّدِ[4]

وإذا كان هذا أثر الدعوة السلفية في علماء اليمن في تلك الفترة الأخيرة، فإن أثرها في الأئمة أنفسهم قد كان واضحا معروفا، فقد اتفقت المصادر على إنكار إمام اليمن أحمد بن يحيى حميد الدين (١٣١٣ - ١٣٨٢هـ)، لما اشتهر

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج١، ص ٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٨، ٤٩.
(٣) نزهة النظر، ج١، ص ١٢٧.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٧.

في بلاده من افتتان الناس بقبور بعض الصالحين، واستمرار اعتقادهم فيها من خلال الزيارات الموسمية المشهورة، إذ أمر عندئذ بهدم قبة الفقيه ابن عجيل ببيت الفقيه بتهامة اليمن[1]، وقبة ابن علوان بيُفْرس من أعمال تعز[2] عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

ويبدو أن الأثر الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في مجال تطهير الاعتقاد وذم البدع بنواحي اليمن؛ قد كان في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ذلك لتبصُّر أهل اليمن عندئذ في أمور دينهم، واتصال العلماء منهم بغيرهم من علماء نجد، ورغبة طلبة العلم عندهم في الرحيل إلى خارج بلدانهم في سبيل العلم. ولعل ما يُشاهد الآن من انتشار كتب السنة وتدريسها في جامع صنعاء الكبير[3]، ووفرة المساجد السلفية بصنعاء[4]، يدل بوضوح على أثر هذه الدعوة المحمود.

وقد كان من أثر الدعوة السلفية في اليمن، أن وُجدت الرغبة الأكيدة لدى كثير من أبناء اليمن في النزوح إلى نجد، وطلب العلم فيها، فقد وفد من أولئك الرجال ـ على سبيل المثال ـ أحمد بن سنان اليماني (. . . -١٣٣٩هـ) عام ١٣٣٥هـ في نفر من أهل بلدته قَهْلاَن[5]، إذ بلغ عدد المهاجرين في سبيل العلم من بعد ذلك إلى نجد ما يقارب خمسمائة رجل معظمهم من قبيلة الحَدَاء بمخلاف الكُمَيْم، وقد كانت نتائج تلك الرحلات مثمرة ناجحة، إذ استجاب

(١) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجري، ص ٣٥.

(٢) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ص ١٧٠.

(٣) زيارة علمية إلى صنعاء في عام ١٤٠٠هـ، ١٤٠٢هـ.

(٤) مقابلة شخصية مع أحمد محمد زبارة (صنعاء ١٧/ ١١/ ١٤٠٢هـ).

(٥) صالح بن محمد الغفيلي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الجندي المسلم، ع ٢٠، س ٦، ١٣٩٩هـ، ص ٧٠. وقد ذكر محمد بن أحمد بن سنان أن أباه وفد إلى نجد سنة ١٣٢٥هـ في جملة من أصحابه.

أهلها لتعاليم هذه الدعوة وأصبحت قراها خالية من المشاهد والمزارات، حيث نبذ رجالها المعتقدات الباطلة، وهدموا ما يثير الشبه حول تقديس القبور من القباب ونحوها[١].

كذلك نجم عن أثر هذه الدعوة السلفية في اليمن، أن أقبل الناس في بلدان مختلفة بتلك الأنحاء على تطهير معتقداتهم، والتخلص مما علق بأذهانهم من شوائب الشرك والاعتقاد في غير الله، فقد سعى صالح بن حسين أبو حيدر في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري إلى نهي الناس عن التبرك ببعض القبور بهمدان، والاعتقاد فيها، كما أن رجالا من غيل همدان نفسه قد خلعوا التابوت الذي كان موجودا بمسجد عبيد ببلدتهم، إذ فتن الناس به من أهل همدان وغيرها، وكانوا ينادونه: يا عبيدة[٢] ونحوه، وتلك الأعمال دون شك من آثار الدعوة السلفية باليمن في مجال تطهير الاعتقاد ونبذ البدع، إذ إن بروز هذا الجانب في نشاط الدعوة السلفية بتلك الأنحاء يدل على اهتمام دعاتها والقائمين عليها بدفع هذا الباطل من أن يمس العقيدة ووحدانية الله، مما أوجد أثرا حقيقيا في بقية أنواع البدع الأخرى[٣] التي بدأ الناس في اليمن يهذبون أنفسهم من درنها، ويتخلصون من شيوعها في مجتمعاتهم.

ومما تقدم يتجلى أثر هذه الدعوة السلفية في هذه المجتمعات الواسعة من جنوبي الجزيرة العربية. وذلك على الرغم من وفرة الاتجاهات الدينية وتعدد المعتقدات الباطلة في غير الله، فقد تفاوتت أزمان ذلك التأثير ومراحله، إذ بدأ منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ثم انحسر مدُّه السياسي والديني فلم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧، ٦٨، ٧٠.

(٢) مقابلة شخصية مع يحيى أحمد صالح أبو حيدر (الرياض في ١٨/ ٥/ ١٤٠٢هـ).

(٣) مثل الرجبية وغيرها.

يبق أثره إلا في عسير وما حولها، وما لبث أن عاد مرة أخرى في غضون القرن الرابع عشر الهجري، حيث جدد الملك عبد العزيز آل سعود أمر هذه الدعوة، ودعا إلى نبذ ما يخالفها في القول والعمل، مما جعل فائدتها تعم أرجاء الجزيرة العربية، وتؤثر في مدارك الناس، فقد تخلَّوا عما ألفوه من البدع والمعتقدات الباطلة من قبل، وأخذوا في العمل بالكتاب والسنة « بدلا من الأعراف والعادات وتحكيم الأشخاص »[1].

(١) عطية محمد سالم، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها، ص ٣٠.

الفصل الثاني

أثرها في المذاهب والفرق الدينية

عرفت هذه الأجزاء من جنوبي الجزيرة العربية - كما قيل من قبل - عددا من المذاهب الدينية، والفرق المختلفة، ولعل من أشهرها: الشافعية، والزيدية، والصوفية، والإسماعيلية الباطنية، إذ نتج عن وجودها صراع مذهبي قوي أنهك الفكر بتلك الأنحاء، وأحال نشاط علمائها عندئذ إلى اتجاهات دينية مختلفة، مما زاد حالها الاجتماعي والسياسي حينذاك فرقة واختلافا.

ولعل ظهور هذه الدعوة السلفية في جنوبي الجزيرة العربية قد خفف من ذلك الصراع المذهبي، وساعد على إذكاء روح اليقظة السلفية[١] لدى كثير من العلماء والأهلين، وبخاصة حينما أصبح هنالك وضع سياسي موحد ينتظم معظم تلك الأجزاء، فقد أشار عبد الرحمن بن أحمد البهكلي إلى ذلك الواقع السياسي الذي نشأ بين العسيريين وأهل تهامة في منتصف العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري[٢]، مما يدل على حقيقة أثر هذه الدعوة السلفية.

أولا : في الشافعية

يعد المذهب الشافعي من أكثر المذاهب الدينية انتشارا في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، إذ كان انتشاره في اليمن - كما قال الجعدي - في القرن الرابع الهجري[٣]، ولعل من أشهر مواطنه قبل ظهور الدعوة السلفية بهذه الأنحاء: تهامة اليمن[٤] ممثلة في مدينة زبيد العلمية الشهيرة، هذا إلى جانب انتشاره

(١) سيد محمد إبراهيم، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٤٢.

(٢) كتابه السابق، ص ١٦٥، وانظر كذلك: تاريخ عسير، لهاشم النعمي، ص ١٤٠.

(٣) طبقات فقهاء اليمن، ص ٨٨.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٢٧. انظر: الصراع الدامي، لإبراهيم الشريقي، ص٨.

في: تعز، وإب، والبيضا، وحضرموت[١]، وعدن[٢]، ورجال ألمع[٣]، ومعظم مدن المخلاف السليماني[٤]، وقبائل عسير[٥]. ورغم تأثر معظم هذه البلدان بالمذهب الحنبلي في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنها من بعد ذلك بقيت على مذهبها الشافعي، وبخاصة بلدان اليمن. أما تهامة وعسير، فقد أصبح مذهبهما السائد المذهب الحنبلي، منذ أواخر العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، حين ضمتا إلى بقية أجزاء البلاد السعودية.

ورغم شيوع المذهب الشافعي بتلك الأنحاء، إلا أن الناس في عسير وبعض بلدان تهامة يحتفظون بتعاليم الدعوة السلفية[٦]، ويعولون في كثير من قضاياهم الشرعية[٧] والتعليمية[٨] على مؤلفات الحنابلة، وكتب الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، إذ إن علماء الدعوة السلفية في نجد لا يمنعون الانتساب إلى

(١) أحمد حسين شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٤٠. انظر: مجلة الدارة، ع٣، س٨، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ، ص ١٧٦.

(٢) قال أحمد حسين شرف الدين: «ويعتبر اليمن أهم الأقطار احتضانا للمذهب الشافعي في العصر الحاضر، فمعظم سكان اليمن، وبالأخص الذين يقطنون المنحدرات من حدود لواء إب الشمالية حتى عدن جنوبا، ومن الحديدة وزبيد غربا حتى تخوم الربع الخالي شرقا...». تأملات في تراثنا الإسلامي، ص ٧١.

(٣) محمد بن أحمد الحفظي، اللجام المكين، ورقة ٣.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٥) يدل على ذلك وجود نسخ مخطوطة من كتاب منهاج الطالبين للنووي في المكتبات الخاصة في عسير، كما يدل على ذلك انتساب العلماء إلى المذهب الشافعي عند كتابة أسمائهم مثل قول أحد فقهاء عسير: مسفر بن مانع الأحمري وطنا، والشافعي مذهبا، وقول آخر: مسفر بن حسن الأسمري بلدا، والشافعي مذهبا.

(٦) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٥٣.

(٧) شاع بين العلماء كتاب المقنع لابن قدامة (... - ٦٢٠هـ).

(٨) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١١٠، وقال أحمد بن عبد الخالق الحفظي في معرض حديثه عن الشيخ مسفر بن عبد الرحمن الحنبلي أحد علماء عسير في القرن الثالث عشر للهجرة: «وأتممت عليه عمدة الأحكام للحنابلة، وزاد المعاد لابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ) والتوحيد نحو أربع مرات». من إجازة علمية لأحد الدارسين عنده.

أي من المذاهب السنية المعروفة الأخرى[١]. وذلك ما ساعد على إيجاد يقظة سلفية نشطة بتلك الأنحاء في هذا المجال، وبخاصة إذا أدرك كره الشافعيين[٢] للمذهب الزيدي في اليمن[٣]، وما يضمره نحوهم الأئمة الزيود في صنعاء من البغض الشديد[٤].

وحينما تدرك حقيقة الفكر السلفي بهذه البلدان من خلال نشاط علمائها في ظل المذاهب الدينية السائدة، فإن قبائل عسير التي كانت من قبل تعتنق المذهب الشافعي في حدود ضيقة، قد أفادت كثيرا من هذه الدعوة السلفية من حيث إقبال العلماء حينذاك على ارتياد قراها، ونشر تعاليم الإسلام فيها، إذ إنها كما قال محمد بن أحمد الحفظي: « استقرت الشريعة المحمدية، وثبتت دعائم التوحيد في البلاد العسيرية »[٥]. ولعل ما يثبت تلك اليقظة السلفية لدى أهالي عسير إقبالهم على طلب العلم واقتناء الكتب، فقد دلت مكتباتهم الخاصة المخطوطة على رغبتهم الجادة في إحياء واقعهم الديني بجمع كتب الحنابلة والشافعية[٦]، والمحافظة على منهج الدعوة السلفية وتعاليمها، فقد قال أحد مشايخ بللحمر ـ على حد تعبيره ـ بأنه « على حكم الشرع »[٧] من عهد الدولة السعودية الأولى.

---

(١) عبد الله الصالح العثيمين، كتابه السابق، ص ١٤٨.

(٢) أشار العمودي في تلخيص اللامع إلى تلك المناظرة التي نشأت بين قضاة آل شافع بدنقور بالمخلاف السليماني، وبين علماء من الزيدية، وقد ذكر أبياتا منها. ورقة ٤٤.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص ٩٥، ١٠٤. انظر كذلك: اليمن، لحسن محمد جوهر، ومحمد السيد أيوب، ص ٤٧. وانظر: الدول الإسلامية، لستانلي لين بول، القسم الأول ص ٢١٨.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص١١٢٠، ١١٢١.

(٥) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٢.

(٦) انظر أماكن هذه المكتبات في: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث، وانظر كذلك: علماء نجد لابن بسام، ج٢، ص١٧. ومن تلك الكتب المخطوطة: المقنع، والإقناع، ومنهاج الطالبين، وتفسير البغوي.

(٧) شرح على الورقة الأولى من كتاب بهجة المحافل « المخطوط »، لدى الباحث.

ولعل ما يثير انتباه الدارس في الحالة الدينية المذهبية بعسير بعد ظهور الدعوة السلفية فيها سعة انتشار الكتب الفقهية الشافعية، والحرص على اقتنائها[1] وتجليدها[2]، وكتابة التملك عليها[3]، فقد أصبح الناسخون المحترفون حينذاك يقبلون على علماء عسير وأمرائها. وذلك من أجل الكتابة والنسخ[4]، كما أصبحت الأسئلة الفقهية تصدر من لدن هؤلاء العلماء إلى: تهامة اليمن، والمخلاف السليماني، ورجال ألمع[5]؛ وذلك لتحقيقها والإجابة عليها. وربما كان هذا التأثير المذهبي راجعا إلى ميل العلماء السلفيين بعسير إلى مذهب الشافعية، وإلى أثر علماء اليمن فيهم، وبخاصة علماء زبيد وما حولها، فقد أصبح طلبة العلم في عسير يفضلون الرحلة العلمية - في الغالب - إلى علماء الشافعية بتهامة اليمن. ولعل ما يظهر في كتبهم المخطوطة من إجازات شيوخهم[6]، وتملكاتهم لها[7] يدل على ذلك الإقبال

---

(١) من أشهر العلماء الذين كانوا يملكون تراثا مخطوطا من الكتب الفقهية الشافعية: مشايخ بللحمر آل مانع، وعلماء آل مسبل ببللحمر، والفقهاء في بني شهر، وغامد وغيرهم.

(٢) كان هنالك نفر من المحترفين الذين كانوا - فيما يبدو - يتنقلون بين الأسر العلمية في عسير من أجل الكتابة والتجليد. ويوجد لدى الباحث شيء من كتبهم المجلدة.

(٣) كذلك يظهر هذا العمل واضحا في الكتب المخطوطة بمكتبات عسير الخاصة، ولدى الباحث شيء منها.

(٤) من أمثلة أولئك النساخ: جعفر بن أحمد الحفظي، ومثال ذلك قول أحدهم: «تم تجليد كتاب . . . بيد محمد بن أحمد بن فرج الأسمري . . . والنسخ نسخ جعفر بن أحمد الحفظي» انتهى.

(٥) من أمثلة ذلك السؤال الذي بعثه بعض الأهلين في عسير إلى الشيخ حسن بن عبد الرحمن الحفظي، حول بعض المسائل الفقهية، مخطوط يوجد لدى الباحث.

(٦) ومثال ذلك ما أثبته عبد الله بن حسن بن عسكر المنصوري في آخر كتاب منهاج الطالبين «المخطوط» من ذكر لإجازته العلمية حين كان في زبيد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. ويوجد هذا الكتاب المخطوط لدى أسرة هذا الدارس بالعلاية في بلقرن.

(٧) يدل على ذلك الكتب التي اشتراها - فيما يبدو - أحمد بن محمد الجداوي من أحد علماء زبيد، حيث ذكر انتقالها إلى ملكه بالشراء الصحيح.

العلمي، ويؤكد الأثر السلفي الذي نشأ بين الشافعية وأتباع الدعوة السلفية. وذلك أيضا ما جعل المذهب الشافعي ينتشر في عسير مع محافظة أمراء عسير وعلمائها على مبادئ الدعوة السلفية في ظل هذا المذهب السنِّي الواسع، إذ وصفهم سليمان شفيق كمالي - فيما بعد - بأنهم « أصحاب صلابة دينية »[1]، كما وصف الأمير عايض بن مرعي بأنه « شديد التمسك بالدعوة السلفية، كما كان من قبله علي بن مجثل، وسعيد بن مسلط . . . »[2]. وذلك ما ورثوه من اتصال أسلافهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية من قبل.

وإذا كان هذا حال اليقظة السلفية المحدودة في عسير، فإن رجال ألمع، والمخلاف السليماني، وتهامة اليمن، حضرموت، قد عاشت حياة علمية نشطة لا تقاس بتلك الحياة العلمية الضئيلة الناشئة في عسير، وأن تلك البلاد التي يعتنق أهلها المذهب الشافعي، قد عرفت من خلال تأثرها بالدعوة السلفية يقظة نشطة في ظلال هذا المذهب الديني المعروف حين كان علماؤها المجتهدون يحيون شيئا من أسباب اليقظة السلفية الصحيحة.

ولعل ما يشير إلى أسباب يقظة الفكر السلفي برجال ألمع في ظل هذه الدعوة الإصلاحية، وفرة رسائل علمائها المذهبية إلى علماء الدعوة في نجد، واهتمامهم بالنقاش الفقهي حول كثير من قضاياهم الدينية المختلفة، وربما دل على تلك اليقظة السلفية الجادة لدى أولئك العلماء رغبتُهم في إطلاق حرية اختيار المذهب الديني، وعدم حمل الناس على تحديده، فقد قال محمد ابن أحمد الحفظي مخاطبا الإمام عبد العزيز بن سعود: « فالمراد من الأمير - أيده الله - تأييد هذا القول وتشييده وإظهاره للكافة وتعضيده وإلزامهم أن

(١) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج١، س٧، رجب ١٣٩٢هـ، ص ٥٣.

(٢) عبد الله بن علي مسفر، أخبار عسير، ص ١١٠.

من حكم أو أفتى أو عمل على أي مذهب من المذاهب المشهورة لا اعتراض عليه ولا نكير من مأمور أو أمير»(١)، كما يؤيد هذا القول السؤال الذي بعثه محمد بن أحمد الحفظي نفسه إلى الشيخ سعيد بن حجي(٢) (. . . - ١٢٢٩هـ) حول حكم التزام المذهب الواحد، وإمكان الانتقال منه إلى غيره(٣). وقد دلت المصادر جميعها على أن العلماء النجديين يجيزون هذا الانتساب الديني(٤)، ويقرونه، شأن غيرهم من علماء الإسلام(٥)، وذلك - دون شك - ساعد على إيقاظ روح السلفية لدى علماء تلك الأنحاء، وجعلهم يديمون الاتصال العلمي بعلماء نجد السلفيين من بعد ذلك، ويفيدون منهم في كثير من جوانب الشريعة الإسلامية(٦).

وإلى جانب اهتمام العلماء الحفظيين برجال ألمع بكتب الشافعية المختلفة(٧)، كان أولئك العلماء أنفسهم منذ ظهور الدعوة السلفية بمدينتهم يحرصون على جمع كتب الحنابلة واقتنائها، فقد دلت المصادر على قلة شيوعها من قبل ذلك في تهامة وما حولها، ويؤيد هذا ما ذكره محمد بن أحمد الحفظي،

---

(١) اللجام المكين، ورقة ٣.

(٢) أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تولى القضاء في حوطة بني تميم وفي الحريق في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز وابنه عبد الله، وممن أخذ عنه: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وراشد بن هويد. توفي سنة ١٢٢٩هـ، وصفه ابن بشر بأنه «الشيخ العالم قاضي حوطة الجنوب والحريق». عنوان المجد، ج١، ص ١٩١، ٣٤١.

(٣) سعيد بن حجي، جواب رسالة من سعيد بن حجي الحنبلي النجدي إلى الشيخ محمد بن أحمد الحفظي الشافعي التهامي، مخطوط، ورقة ١٨٠ - ١٨٣.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين، كتابه السابق، ص ١٤٨.

(٥) محمد بن أحمد الحفظي، اللجام المكين، ورقة ٣.

(٦) انظر: المسائل والرسائل النجدية، ج١، ص ٢٤٥، ٣١٠، ج٤، ص ٥٤٢، ٥٩٢.

(٧) محمد حسن غريب، حول ديوان نفحات من عسير، مجلة المنهل، ج١١، مج ٣٥، س ٥، ذو القعدة وذو الحجة، ١٣٩٤هـ، ص ٩١٥، انظر كذلك: فهارس كتب آل الحفظي الموقوفة.

حين قال بأنه « في نحو عشر مراحل من جهاتنا لا يوجد مؤلف للحنابلة ما عدا الهدي النبوي[1] لابن القيم ـ رحمه الله ـ، فهو ما حصلناه لأنفسنا في هذه المدة»[2]، إذ أخذ أولئك العلماء يجمعون من بعد ذلك كتب الحنابلة وغيرها، ويحرصون على تزويد مكتباتهم الخاصة بها، فالناظر في فهارس كتب علماء آل الحفظي الموقوفة برجال ألمع في القرنين الماضيين[3] يدرك حقيقة هذا القول، ومدى ما بذله أولئك العلماء في سبيل جمع تلك الكتب وغيرها من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن سواه من علماء نجد السلفيين الذين أتوا من بعده، فقد ذكر أحمد بن عبد القادر الحفظي في معرض حديثه عن كتابي المغني والمقنع[4]: « وكل من الكتابين المذكورين موجود عندنا بكماله، ولله الحمد»[5]، كما أضاف إلى ذلك قوله: إن مختصر الإنصاف الذي صنعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد كان من الكتب الموجودة لديه[6].

هذا إلى جانب وفرة نسخ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من مؤلفاته الأخرى بمكتبات آل الحفظي في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إذ ربما يعود هذا الاهتمام بجمع هذه المؤلفات إلى اتصال هؤلاء العلماء بنجد، ورغبتهم في مسايرة الفكر السلفي فيها. ويؤيد هذا كذلك حرص أولئك العلماء الحفظيين على جمع ما يجري بينهم وبين

---

(١) يُعرف كذلك بزاد المعاد في هدي خير العباد، وقد طبع مرارا.

(٢) اللجام المكين، ورقة ٣.

(٣) توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها، وتوجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع.

(٤) كتاب في فقه الإمام أحمد بن حنبل، وهو لموفق الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ).

(٥) ترجمة جد شيخ الإسلام وغيره، ورقة ٤.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٥.

علماء نجد من الرسائل العلمية، والمسائل المختلفة، فقد أشار مصنف كتب إبراهيم الزمزمي إلى تلك المسائل ووصفها بأنها مفيدة عظيمة[1]. هذا بالإضافة إلى عناية هؤلاء العلماء بجمع كتب ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، وابن الجوزي (٦٩١ - ٧٥١هـ)، وابن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠هـ). وذلك من بعد قبولهم لهذه الدعوة السلفية. وقد ظل هذا النهج السلفي يقظا لدى علماء آل الحفظي المتأخرين، وبخاصة لدى أحمد بن عبد الخالق الحفظي الذي تأثر كثيرا بابن تيمية، ومنهجه السلفي.

وقد نجم عن هذا التأثير السلفي لدى هؤلاء العلماء الشافعيين أن أقبلوا على إحياء وضعهم الديني بالعمل الخالص بما يقوي عقيدتهم. وذلك حينما أخذوا يقبلون على اقتناء الكتب السلفية وما ألفه علماء الإسلام المشهورون، كذلك بدؤوا يرفضون ما يردهم من علماء التصوف والتشيع في اليمن، إلا ما ألَّفه العلماء المتأثرون بالدعوة السلفية، فقد حفلت مكتباتهم بكتبهم، من أمثال: الأمير الصنعاني، وحسين بن مهدي النعمي، ومحمد بن علي الشوكاني، ومن نحا سبيلهم. هذا إلى جانب أنهم أخذوا ينافحون عن عقيدتهم السلفية، ويؤلفون في مبادئها، وذلك مثلما وجد لدى أحمد بن عبدالقادر الحفظي، وولديه محمد وإبراهيم الزمزمي، وما كانوا ينصحون الناس به من الرسائل والمواعظ ونحوها.

ومن الملاحظ أن أبرز آثار اليقظة السلفية التي أوجدتها دعوة الشيخ

---

(١) بيان كتب إبراهيم الزمزمي، مخطوط. وقد ورد في هذا البيان كتب أخرى للشيخ محمد بن عبدالوهاب منها: كتاب التوحيد، مختصر السيرة، الثلاثة الأصول، تفسير لا إله إلا الله، تفسير الفاتحة، تفسير آيات قرآنية، رسالة من محمد بن عبد الوهاب إلى من أنكر عليه، ستة أصول، أربع قواعد، ورسائل كثيرة للشيخ»، إلى جانب: «مسائل إلى آل الشيخ، وحمد بن ناصر وأجوبتها»، بالإضافة إلى كتب أخرى لعلماء الحنابلة، مثل: ابن تيمية، وابن القيم.

محمد بن عبد الوهاب بالمخلاف السليماني وتهامة اليمن وحضرموت في هذا المجال المذهبي، أنها دعت نفرا من العلماء إلى العمل بالكتاب الكريم والسنة النبوية، والأخذ بهما دون سواهما من كتب الفروع[1]. ولعل من أشهر أولئك العلماء أحمد بن عبد الله الضمدي، والحسن بن خالد الحازمي. أما الضمدي فقد كان له ـ كما قال عاكش ـ: «فضيلة إحياء السنة النبوية بهذه الجهات»[2]، وأما الحازمي فقد منع الناس في المخلاف السليماني وزبيد وغيرهما من القراءة في الفروع «في كل مذهب من مذهب الشافعية ومذهب أهل البيت وغيرهم في حدود مملكة الشريف حمود، وأمر بالقراءة في الحديث، وحرّج على من اشتغل بغير ذلك»[3]، وحضَّهم على العمل بالكتاب والسنة، وذلك على الرغم من أن هذا العمل لم يكن بذلك الوضوح في نجد، إذ ليس هذا حقيقة ما يذهب إليه علماء الدعوة، بل هم يرون الأخذ بالفروع الفقهية ومتابعة أئمة السلف في ذلك.

ولعل خير ما يوصف به حال علمائها بأنه كما قال عبد الوهاب أبو سليمان: «الاجتهاد في التقليد»[4]، وأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كما قال الشوكاني - «يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما»[5]، وربما كان عمل الحسن بن خالد الحازمي هذا قد دعا عبد الرازق البيطار إلى أن يقول بأن الحازمي «حمل الناس على العمل بالسنة، ومنعهم من التدريس في فقه المذاهب بأسرها، فعظم ذلك

(١) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٨.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١، ٥، ٦.
(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٤.
(٤) خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٢١.
(٥) البدر الطالع، ج٢، ص ٦.

على المقلدة »[1]، وربما كان لرحلة الحازمي إلى نجد، ثم إقباله على نصرة هذه الدعوة أثر في إحياء الفكر السلفي في مذهب الشافعية بتهامة، بالإضافة إلى ما أحدثه الحازمي نفسه من يقظة سلفية في كثير من مواقفه، وبخاصة مع بعض علماء اليمن[2]. وقد نتج عن ذلك كله أن عكف الناس في تلك الأنحاء على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

وإلى جانب هذه الآثار السلفية التي نشأت في محيط المذهب الشافعي بتهامة نشأ حينذاك شيء من النقاش الديني بين نفر من علماء المخلاف السليماني أنفسهم حول بعض المسائل الفرعية مثل: حكم القصر في السفر وحكم البسملة في الصلاة الجهرية، وهل يجوز فيها الجهر أو الإسرار؟ وقد كان الحسن بن خالد الحازمي « يرى وجوب القصر في طويل السفر وقصيره من غير تحديد بمسافة »[3]. وذلك - كما قال عاكش - « مذهب طائفة من العلماء، وإليه جنح ابن القيم في كتابه زاد المعاد »[4]. وكان الحازمي وكذلك ممن دعا إلى وجود الإسرار « لما اقتضاه حديث أنس »[5] رضي الله عنه، ولما قال به أبوحنيفة (... - ١٥٠هـ)، وأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)، ومالك (٩٣ - ١٩٧هـ) أئمة المذاهب الثلاثة السنية المعروفة[6]. أما الجهر بتلك الأنحاء فقد نشأ نتيجة لشيوع المذهب الشافعي بتهامة، بالإضافة إلى أن محمد

---

(١) حلية البشر في تاريخ أعيان القرن الثالث عشر، ج١، ص ٤٨٥.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٢٣. انظر ج٣ ص ٢٩ من هذا الكتاب، فقد قال ابن القيم نفسه في كتابه المذكور: «... وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر، سواء طالت أو قصرت...».

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٣٦.

(٦) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٣.

ابن إبراهيم الوزير قد اختاره من «أئمة أهل البيت»[1] - كما قال عاكش - ، ناهيك عما أحدثه هذا النقاش الديني بالمخلاف السليماني من: يقظة فكرية، ومناظرات علمية[2].

وربما يضاف إلى ما تقدم ما كان ينشأ في ميدان المذهب الشافعي من المناقشات الجدلية التي كانت تجري بين علماء المخلاف السليماني ونفر من علماء نجد خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد دلت المصادر على نشوء شيء من المناقشات بين الحسن بن خالد الحازمي وأبابطين من علماء نجد؛ وذلك ما دعا أحد علماء رجال ألمع إلى ذكر تلك المناظرة في بيان كتبه بقوله: «ثم كتاب ألفه بابطين[3] في مناظرة[4] وقعت بينه وبين حسن ابن خالد»[5]، ولعل ذلك قد نشأ حينما وفد الحازمي إلى نجد في أواخر العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري.

والحق أن هذه الدعوة السلفية قد استطاعت أن تنبه كثيرا من العلماء في جنوبي الجزيرة العربية إلى العمل بكتاب الله الكريم، وسنة نبيه الأمين، وأن توقظ في قلوبهم روح السلفية الحقيقية دون الركون إلى التقليد، ولعل ذلك قد تجلى لدى علماء المخلاف السليماني في هذه الفترة من القرن الثالث عشر الهجري، إذ لولا ابتلاء هذه الدعوة الإصلاحية بنوايا الدولة التركية لبقيت آثارها فعالة في كثير من بلدان تلك المنطقة.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٢٣.

(٢) انظر: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث، ص ٨٤.

(٣) لعله عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (١١٩٤ - ١٢٨٢هـ)، انظر: روضة الناظرين لمحمد بن عثمان القاضي، وانظر كذلك: علماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام.

(٤) في الأصل «مناضرة».

(٥) بيان كتب إبراهيم بن أحمد الزمزمي، مخطوط.

ومع ذلك بقي شيء من أثرها السلفي في كثير من بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة في مجال المذاهب الدينية السائدة بتلك البلدان، فقد ظل علماء الدعوة السلفية الحنابلة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري يفدون على تلك الأنحاء، وينشرون بين أهلها مبادئ دعوتهم السلفية، مما أوجد لهم أثرا حقيقيا واضحا، ولعل من أشهر أولئك العلماء الدعاة: الشيخ عبد الله بن أحمد آل رواف (١٢٩٢ - ١٣٥٩هـ) الذي وفد إلى حضرموت عام ١٣٢٩هـ، فتولى منصب القضاء بمدينة المكلا منذ ذلك التأريخ[١]. وعلى الرغم من شيوع المذهب الشافعي بتلك الأنحاء، فقد كان يسير في أحكامه على منوال هذا المذهب نفسه[٢]، مما جعل أثره السلفي واضحا بين الأهلين والحكام.

ولم يقتصر هذا الأثر السلفي على جهود أولئك العلماء فحسب، وإنما كان لجهود غيرهم من العلماء السلفيين خارج الجزيرة العربية أثر في إعادة فعالية هذه الدعوة السلفية ونشرها، فقد كان للشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ) أثر في إيقاظ الفكر السلفي بحضرموت وعدن ويافع وما حولها. وذلك عن طريق انتشار مجلة المنار بين الأهلين فيها، إذ استطاعت أن تنقل أفكار الدعوة السلفية ومبادئها إليهم، ولعل ما أولاه محمد رشيد رضا نفسه تلك الأنحاء من العناية والاهتمام قد أبرز واقعها الديني والفكري من خلال ما يظهر في مجلته هذه من المقالات والتحقيقات التي ساعدت على بث الروح السلفية بين علمائها الشافعيين[٣]. ويؤيد هذا إشارة عطية محمد سالم إلى

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٢، ص ٥١٠، ٥١١.

(٢) محمد بن عثمان بن صالح القاضي، روضة الناظرين، ج١، ص ٣٩١.

(٣) المنار، ج٦، مج ٩، جمادى الثانية سنة ١٣٢٤هـ، ص ٤٥٠، وانظر كذلك: مجلة المنار نفسها ج٣، مج١١، ربيع الأول ١٣٢٦هـ، ص ١٧٦ - ١٨١، وانظر كذلك ص ٦٠٤، مج ٢٩.

جمعية الإرشاد والدعوة، وبما يبذل في سبيلها من إحياء الفكر السلفي بحضرموت وعدن وغيرهما[1]، فقد كانت تلك الجمعية تدعو « إلى الكتاب والسنة، ونبذ البدع والخرافات طبق مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب »[2].

أما أثر هذه الدعوة السلفية في هذا العهد السعودي الحاضر في مجال المذاهب السنية بجنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة المذهب الشافعي، فقد برز لدى علماء المخلاف السليماني في منتصف القرن الرابع عشر وما بعده، إذ كان الشيخ عبد الله بن علي العمودي يستحسن ذكر المذهب الحنبلي في مؤلفاته، ويشير إلى شيء من الصراع المذهبي الذي كان ينشأ بين الحنابلة والشافعية في القرون الماضية. وكان في الغالب يربط تلك الخلافات بما عرفه عن بعض علماء المذهب الحنبلي في عهده، فيقول: « هذا حاصل منقولات المؤرخين عن الطائفتين، وهو محض التعصب المذهبي، وإلا فقد اتفقنا برجال من القضاة النجديين كالقاضي العلامة السلفي محمد عبد الله التويجري . . . فرأيناه رجلا ديّنا ورعا زاهدا عالما محققا صحيح العقيدة السلفية ليس بذي تفريط ولا إفراط كما عليه الفريقان من الشافعية والحنابلة»[3]، ويضيف إلى ذلك قوله: « وهكذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومتابعوه كما بذلك تشهد مؤلفاتهم طبقا لعقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم »[4].

وقد ذكر العمودي في موضع آخر موقفه من الإمام الغزالي في التأويلات، وأنه عرض ذلك الموقف على بعض علماء الحنابلة النجديين

(١) بحثه السابق، ص ٣٦. انظر: تاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري، ج٢، ص ٢٥٧.

(٢) أحمد بن حجر آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٨٠.

(٣) عبد الله علي العمودي، تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع، ورقة ٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٦.

الوافدين للقضاء بمدن تهامة، « فقالوا: الغزالي كلامه فلسفي محض»[١]، ثم « أعرضوا عن ذلك [كما قال العمودي] على إغماض »[٢]. وهذا جميعه يدل على أن هنالك يقظة سلفية حقيقية، قد نشأت مع ظهور هذه الدعوة السلفية في هذا العهد السعودي الحاضر، وأن علماء الشافعية في تهامة قد بدؤوا يدركون صفاء العقيدة السلفية لدى علمائها الوافدين عليهم، كما أقبل طلبة العلم من حضرموت وغيرها على الدراسة والتحصيل في الحجاز ونجد[٣] خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

ومن الملاحظ أن هذه اليقظة السلفية التي أحيتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتهامة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، قد هيأت لنفر من علماء الشافعية بتلك الأنحاء السبيل للبحث والنقاش الفكري، بل إنها في بعض الأحيان قد دعتهم إلى المعارضة وإظهار الحجة، ولعل من أولئك العلماء عبد الله بن علي العمودي نفسه الذي ناقش بعض مسائل الخلاف المذهبية بين الحنابلة والشافعية[٤]، وحاول أن يحيي بعض المذاكرات العلمية مع بعض علماء نجد الحنبليين[٥]، كذلك ربما تعرض العمودي في بعض الأحيان إلى الحديث عن عقيدته الدينية[٦]، أو تفصيل ما أجمل الحديث عنه في بعض

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٩.

(٣) يدل على ذلك هجرة الحضرميين إلى الحجاز ونجد من أجل التجارة والتحصيل العلمي، انظر: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، ورقة ٢٣٥.

(٤) عبد الله بن علي العمودي، خلاصة الكلام فيما أشكل واستطار بين الأنام، مخطوط، ورقة ٤٥.

(٥) الجواب الوافي، مخطوط، ورقة ١٤١.

(٦) النبذة الوجيزة في المسائل الفريدة، مخطوط، ورقة ٤٤.

مؤلفات العلماء النجديين[١] أو تقريظها[٢]، كما أنه قد خصص للشيخ محمد ابن عبد الوهاب شيئا من نشاطه العلمي في مجال بيان دعوته وبعض مآثره[٣]، ولعل ذلك يدل على حقيقة أثر الفكر السلفي في أتباع المذهب الشافعي بتلك الأنحاء.

ويبدو أن من أثر هذه الدعوة السلفية بتهامة أن أقبل علماؤها الشافعيون على مطالعة كتب الحنابلة ودراستها، وربما عمد بعضهم إلى نظمها أو التأليف حولها، فقد كان من أولئك العلماء صالح بن عبد الله العمودي الذي نظم "عمدة الفقه" لابن قدامة الحنبلي[٤]، كما أن هذا العالم نفسه حاول أن يوائم بين مذاهب الأئمة الأربعة في كتاب مستقل موحد، فألّف كتابه "إرشاد الأمة إلى توحيد مذاهب الأئمة"[٥]. وهذا دون شك يشير إلى نزعة التفكير السلفي الصحيح عند هذا العالم، وأنه قد تأثر بحقيقة هذه الدعوة السلفية ومبادئها، وبخاصة عندما أشار إليها في مقدمة كتابه هذا[٦]. ولعل من آثار هذه الدعوة في يقظة الفكر السلفي بتلك الأنحاء في محيط المذهب الشافعي ما أحدثته

(١) رسالة الإيراد، مخطوطة، ورقة ٢٠، وقد قال في مقدمتها في معرض حديثه عن رسالة الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد الموسومة بـ " نصيحة المسلمين عن بدع المبتدعين وعوائد الضالين " : «غير أنها أجملت في بعض المسائل عن البيان فرأيت أن أنبه على ذلك لأفيد وأستفيد، وما قصدي بذلك المناظرة بل لأجل المذاكرة».

(٢) انظر تقريظ العمودي، على رسالة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مخطوط، بدون رقم.

(٣) النبذة في معنى الترجمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مخطوط، ورقة ٣٧.

(٤) أحمد بن صالح العمودي، مع رجال العلم والقضاء، مجلة المنهل، ج٨، مج ١٩، س ٢٣، ١٣٧٨هـ، ص ٣٧٢.

(٥) ناصر قاسم، مع رجال الفكر في صوامعهم، مجلة المنهل، ج٤، مج ١٨، س ٢٣، ١٣٧٧هـ، ص٢٥١.

(٦) توجد نسخة منه بالمكتبة السعودية في الرياض، رقم ٢٨٧/ ٨٦. انظر منه ورقة ١.

جهود عبد الله القرعاوي التعليمية في تهامة من أثر حقيقي ملموس، وذلك حين أخذ الوافدون إليه من تهامة اليمن يبثون دعوته الإصلاحية العلمية في عبس وبني مروان وبني حسن وما حولها[1] من بلدان اليمن.

ثانيا: في الزيدية

يدرك الباحث في تاريخ الفكر اليمني خلال القرن الثاني عشر الهجري ما وجد في محيطه الديني من خلافات مذهبية مختلفة، لعل من أهمها تلك الخلافات التي نشأت بين السنة والزيدية في اليمن، إذ لفت ذلك أنظار المؤرخين ومن سواهم من الرحالة [2] الوافدين إلى تلك الأنحاء. وربما كان لظهور الدعوة السلفية بتلك البلدان أثر في إيجاد شيء من التحرر الفكري واليقظة السلفية الصحيحة، فإلى جانب ما أحدثته تلك الدعوة من غبطة لدى علماء اليمن المشهورين، من أمثال: محمد بن إسماعيل الأمير بصنعاء[3]، أوجدت صحوة فكرية لدى كثير من علماء اليمن في شتى مدنه، إذ انهال على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدرعية حينذاك عدد من الرسائل المختلفة حول دعوته، وما لقيته في جهاتهم من التأييد والقبول، ولعل من أشهر أولئك العلماء: أحمد بن محمد العويلي، وإسماعيل الجراعي. أما العويلي فقد ذكر في رسالته أن أكثر مواطنيه طائعون لكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما أمر به عليهم[4]. وأما الجراعي فقد قال بأن الذي سره في تلك الدعوة إقامة

(١) مقابلة شخصية مع أحمد بن يحيى النجمي، (سامطة في ١٢/ ١٠/ ١٤٠٢هـ).

(٢) جاكلين بيرن، اكتشاف جزيرة العرب، ص ١٥٧.

(٣) محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ص ٧٣.

(٤) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

الشريعة الإسلامية[1]، وبأنه في قومه لا يستطيع « بيان الحق والإعلان بالدعوة»[2]. وذلك كله بمثابة الإرهاصات الأولى لتأثير الدعوة السلفية في الزيدية.

ولم يكد العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ينصرم حتى بدأت أغلب بلاد اليمن في محيط مذهبها الزيدي تدرك كثيرا من مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية، وتشهد صحوة فكرية سلفية لدى أئمتها وعلمائها، فقد ورد في بيان كتب إبراهيم بن أحمد الزمزمي قول كاتبه: « ثم كلام عظيم للمنصور في التوحيد »[3]، ولعله أراد به الإمام المنصور علي بن المهدي عباس (١١٥١ - ١٢٢٤هـ)، إذ يبدو أن له ميلا إلى الدعوة السلفية، كما كان محمد بن علي الشوكاني زيديا، ثم نزع إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[4]، فكان لا « يحصر نفسه في دائرة المذهب الزيدي »[5] عندئذ، وإنما كان يشتغل بالاجتهاد، ويدعو إليه، وبذلك يلتقي مع محمد بن إسماعيل الأمير في سلفيته، إذ هما على الرغم من تأثرهما الفكري بهذه الدعوة السلفية كانا « من أكبر شيعة الآل لكنهما من الإنصاف والعمل بالسنة بمكان»[6]، إذ كان لهما مواقف جليلة تدل على أنهما قد هجرا ما عليه معظم قومهما وبعض علمائهما، وبأنهما على قدر كبير من الدراية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
(٣) يوجد هذا البيان المخطوط لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي، أبها.
(٤) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ٨٠.
(٥) عبد الحليم الجندي، الإمام محمد بن عبد الوهاب، وانتصار المنهج السلفي، ص ١٩١، ١٩٢.
(٦) عبد الله بن علي العمودي، لطائف الإرشاد والتثقيفات، مخطوط، ورقة ٣.

وبخاصة إذا أدرك استحسان النجديين وغيرهم لمؤلفات الأمير[1]، والشوكاني[2] ومصنفاتهما المختلفة[3]. وذلك يشير إلى أن هذه الدعوة الإصلاحية قد أوجدت يقظة سلفية صحيحة لدى علماء اليمن.

وربما كان الباعث لهذه اليقظة السلفية حسن تجاوب هؤلاء العلماء الأجلاء وعدم مكابرتهم في الحق والصواب، وبأنهم « أصبحوا في شبه ثورة على الأحوال السائدة في بلادهم »[4]، بالإضافة إلى الدعاة السلفيين الوافدين على اليمن، ووفرة الرسائل الإخوانية التي كان يبعث بها أمراء الدعوة وعلماؤها إلى أئمة اليمن وبخاصة: الإمام المنصور، وابنه المتوكل[5]، وبعض علماء اليمن المجتهدين مثل: الشوكاني، والقاضي أحمد مشحم[6] وغيرهما، كما كان للردود الفكرية التي كان ينشئها علماء الدعوة حول آراء علماء الزيدية وأئمتهم أثر في بيان حقيقة هذه الدعوة ومبادئها، هذا إلى جانب ما كان ينقله الحجاج اليمنيون من أخبار صلاح هذه الدعوة، وما شاهدوه في الحجاز من آثارها الدينية[7]، وكل ذلك ساعد على إيقاظ الصحوة الفكرية السلفية التي كانت قد نشأت في اليمن عندئذ.

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مجلة العرب، ج٩، س٧، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، ص ٦٨١.

(٢) محمد بن حسن الشجني، التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار، مخطوط، ورقة ١٠.

(٣) قال ابن بشر: « ومنها ذكر الإمام العالم العمدة الحافظ شارح المنتقى محمد بن علي الشوكاني اليمني الصنعاني ». عنوان المجد، ج١، ص ٢٥٦.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ)، ج١، ص١٦٢.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٦ - ٨.

(٦) انظر: مجموع الحموية الكبرى لأحمد بن تيمية، مخطوط، المكتبة السعودية، رقم ٨٦/٥٦٧.

(٧) عبد الله بن محمد الحبشي، تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط يمني، مجلة العرب، ج١، س ٧، رجب ١٣٩٢هـ، ص ٢٧.

ومما يدل على ذلك الاتصال الفكري وأثره السلفي في الزيدية باليمن، ذكر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن لرسالته التي بعث بها للشوكاني عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وبأنه كتبها خلال « إقامته في بلد خب»[١] باليمن. كذلك يدل على أثر ذلك الاتصال الفكري ماذكره الشوكاني في معرض حديثه عن هذه الدعوة وصاحبها، إذ ذكر أنه رأى كتابا للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعث به إلى بعض علماء اليمن، فوجده - كما قال - « مشتملا على اعتقاد حسنٍ موافق للكتاب والسنة »[٢]، وأنه كذلك اطلع على مجلدين للشيخ محمّد بن عبد الوّهاب أُرسلا من نجد، فكان أحدهما يشتمل على رسائل للشيخ نفسه حول إخلاص التوحيد وذم الشرك، وقد استحسنها الشوكاني كثيرا. أما الآخر ففيه رد من الشيخ محمد ابن عبد الوهاب على بعض علماء صعدة وصنعاء حول مسائل في أصول الدين، وما يتصل بالصحابة رضوان الله عليهم، وقد عاب الشوكاني على أولئك العلماء اليمنيين[٣] عملهم، ووصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه « من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة »[٤]، وأضاف الشوكاني إلى ذلك قوله بأنه وصل « إلى صنعاء عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م جماعة من الدعاة النجديين لبعضهم معرفة في العلم»[٥]، وأنه كذلك وصل إلى تلك الأنحاء نفر من علماء الدعوة السلفية في عامي ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م، ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، حيث جرى لهم مع الشوكاني - كما قال - شيء من النقاش الفكري والمناظرة[٦]،

---

(١) رسالته ضمن مجموع الحموية الكبرى، مخطوطة، المكتبة السعودية رقم ٨٦/٥٦٧، ورقة ١٣.
(٢) البدر الطالع، ج٢، ص ٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٨.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ٨.

وذلك جميعه يدل على موقف بعض علماء اليمن وأئمتها من هذه الدعوة السلفية، وأنها قد نبهت فيهم صلاح المعتقد وحقيقة التوحيد، مما أوجد لها أثراً لدى كثير من الأهالي والعلماء بتلك الأنحاء.

وربما كان لاختلاف وجهات النظر لدى أولئك العلماء الوافدين على اليمن من قبل أثر في إيجاد تلك الصحوة الفكرية السلفية لدى أولئك العلماء الزيديين، فقد كان منهم نفر من العلماء النجديين الذين عارضوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أمثال: مربد بن أحمد التميمي الذي وفد على صنعاء عام ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، وهو ينقل إلى علمائها وجهة هذه المعارضة[١]، ويطلب منهم «تحقيق مسألة في العقيدة»[٢]، كما كان محمد بن أحمد الوهيبي يسعى بين علماء صنعاء في تشويه هذه الدعوة والعمل على معارضتها[٣]. أما العلماء المؤيدون الذين وفدوا إلى تلك الأنحاء، فقد كان أثرهم محمودا، ولعل من أشهرهم: عبد العزيز بن حمد بن مشرف[٤] (١١٩٠ - ١٢٤١هـ)، وعبد الله بن المبارك الأحسائي، وعبد العزيز بن أحمد[٥]، وحفيظ الدوسري[٦]، «والأمير محمد، ويوسف القرماني»، وجملة من مطاوعة الدرعية[٧] ومحمد بن سعدون بن مانع، وعبد الله بن محمد بن

(١) ديوان محمد بن إسماعيل الأمير، مخطوط، ورقة ٥٩، انظر كتاب: الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ حياته وفكره ـ، لعبد الله الصالح العثيمين، ص ١١٥، والدرعية العاصمة الأولى، لعبد الله بن خميس، ص ١١٧.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، كتابه السابق، ج٣، ص ٩٤٧. وانظر رسالة: لفحات الوجد بالمكتبة الغربية، جامع صنعاء الكبير.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١.

(٤) محمد بن عثمان القاضي، كتابه السابق، ج١، ص ٢٤٧.

(٥) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ١٣، ٤٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٤٦٠.

(٧) حوليات يمنية، ص ٧.

هـويشل[1]. وقد أثنى على الشيخ عبد العزيز بن حمد بن مشرف جماعة من علماء صنعاء ومشايخها[2]، ومهما يكن من أمر في كلا الحالين، فإن ذلك العمل يُعَدّ من نشاط الدعوة وأثرها في إحياء اليقظة السلفية بين علماء اليمن في تلك الفترة، وبخاصة حينما كان بعض أولئك العلماء يُعنى بفقه الحنابلة وتفاسيرهم في أثناء إقامته في صنعاء[3].

ولعل خير ما يدل على أثر الدعوة السلفية في الزيدية باليمن إقبال علمائه على العمل بالكتاب الكريم والسنة النبوية، والبعد عن الاعتقاد في غير الله تعالى، فقد دلت المصادر على جهود الشيخ محمد بن إسماعيل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري في سبيل تطهير الاعتقاد والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، فقد ألّف في ذلك جميعه، وحذّر من الاعتقاد في الأولياء وكراماتهم[4]. وكان يحرص على اقتناء كتب الحنابلة ومطالعتها[5]. وكان إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير يعمل بمقتضى الكتاب الكريم، ويميل إلى السنة النبوية حيث أوذي في سبيلها[6] شأن غيره من العلماء المعتدلين في اليمن.

كذلك كان محمد بن علي الشوكاني يشبه محمد بن إسماعيل الأمير من حيث الخروج على المذهب الزيدي في معظم الأحيان، وذلك حين كان لا

(١) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ٤٥٤.
(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، كتابه السابق، ج٢، ص ٤٤٣.
(٣) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٤٤٩.
(٤) انظر: جوابه على السؤال الذي وُجِّه إليه حول الأولياء وكراماتهم، وهو بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ١٦ علم الكلام.
(٥) قاسم غالب وآخرون، ابن الأمير وعصره، ص ١٢٧.
(٦) محمد مرتضى الزبيدي، معجم المشايخ، غير مرقم الأوراق.

يرتبط « بقاعدة الإمامة الضيقة »[1]، فقد ألف "نيل الأوطار" شرحا لكتاب عبد السلام بن تيمية[2]، كما ألف كتابه "السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار" ؛ فعُدَّ بذلك عند الزيود مخالفا للفرقة الهادوية المعروفة[3]، وبأنه بهذا العمل لدى فرقة الرافضة قد « طمس مذهب العترة المطهرة»[4]، وقدح كما يقولون : في كتاب الأزهار « معتمدهم ومعتمد شيعتهم »[5]، وقد نسبوا عمله هذا إلى أثر الدعوة السلفية فيه، وذلك بأسلوب مقذع عار من الإنصاف والحقيقة. ولم يسلم الشوكاني من هؤلاء الروافض في حياته، وإنما أوذي من قبلهم بعد مماته حينما همُّوا بنبش قبره وإحراق رفاته[6]، وقد ندَّد بهم الشوكاني من قبل في كتابه "أدب الطلب" ، وبذل في سبيل نقدهم ونصحهم الشيء[7] الكثير، مما عُدَّ من أثر يقظة الفكر السلفي[8] عند الشوكاني ومن سلك طريقه من علماء صنعاء وطلبة العلم فيها.

ومن الملاحظ أن إمام اليمن المنصور حينما رأى نشاط الدعوة السلفية عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م يسري بين مواطنيه ؛ آثر عندئذ مشاورة القاضي محمد بن علي الشوكاني الذي أرشده إلى طريق العدل واتباع السلف[9]، وأن يصرف عن الرعية المكوس والجبايات التي فرضت عليهم حينذاك. وقد كتب الشوكاني

---

(١) أحمد بن حافظ الحكمي، الإمام محمد بن إسماعيل الأمير - حياته وشعره، ص ٢١.
(٢) عبد الله بن محمد الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٧.
(٣) عبد الله بن علي العمودي، لطائف الإرشاد والتثقيفات، ورقة ٣، ٤.
(٤) محمد صالح حريوة، الغطمطم الزخار المطهر لحدائق الأزهار، ورقة ١.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ١.
(٦) حوليات يمنية، ص ٦٧.
(٧) أدب الطلب، ص ٦٢، ٦٤، ٧٣، ٧٤.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٧٥.
(٩) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٤٤٠.

بذلك إلى جميع بلدان اليمن يحذِّر عمالها من معاملة الناس بغير ما فرضه الله عليهم[(١)] . وقد كان من نتائج ذلك أن وُجد في صنعاء حينذاك آثار فعالة لهذه الصحوة السلفية التي دل عليها الشوكاني في تلك الفترة، وسار على نهجها، ناهيك عن مدى أثر الشوكاني نفسه في أبنائه من بعده[(٢)] وطلبة العلم [(٣)] عنده .

وقد ظل هذا الإحساس السلفي قويا عند نفر من علماء اليمن، على الرغم من انقطاع الاتصال الفكري بين علماء الدعوة في نجد وعلماء الزيدية في اليمن، وبداية تأثير الحكم التركي في تلك الأنحاء، إلى جانب وجود طائفة من علماء اليمن المعارضين لهذه الدعوة السلفية[(٤)]، إذ بقيت بلاد اليمن من أجل ذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجريين بعيدة - إلى حد كبير - عن تأثير هذا التيار السلفي الذي أحيته هذه الدعوة الإصلاحية، ولكنه ظهر من بعد ذلك في تلك الأنحاء حينما توافرت أسباب الطباعة والنشر، وبدأت اهتمامات العلماء وطلبة العلم في اليمن ترمي إلى نهضة سلفية سليمة تزيح عن أنفسهم ومواطنيهم آثار التقليد والتعصب والجمود .

أما تأثير السلفية في إحياء التراث الزيدي، واشتغال علمائه بتحقيقه ونشره، فقد نشأ منذ أخذ أولئك العلماء الزيديون « ينشرون كتبهم القديمة، ويؤلفون كتبا جديدة في الفقه والتوحيد والحديث»[(٥)] دفاعا عن مذهبهم

---

(١) محمد بن حسن الشجني، كتابه السابق، ورقة ٧٣، ٧٤ .

(٢) حوليات يمانية، ص ٢٤٨ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، ص ٣٥ .

(٤) انظر: مجموع ١٢٩، ورقة ١٣٨، المكتبة الغربية بجامع صنعاء.

(٥) طه حسين، ألوان، ص ٤٦ .

الزيدي، إذ يبدو أن الإمام يحيى حميد الدين قد شكَّل هيئة للتأليف والنشر سمَّاها هيئة التأليف ولجنة التأريخ[1]. ولعل ما يثبت ذلك اشتغال القاضي عبدالواسع بن يحيى الواسعي (٢٩٥هـ - . . .) بالسياحة في البلاد الإسلامية من أجل طبع الكتب اليمنية ونشرها، وبخاصة تراث الزيدية المخطوط[2]. هذا بالإضافة إلى جهود القاضي محمد زبارة (. . . - ١٣٨٠هـ) في سبيل طبع الكتب اليمنية و نشرها منذ عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م[3]، إلى جانب عمله على تزويد بعض المكتبات في البلاد السعودية من بعد ذلك بشيء من التراث اليمني المخطوط والمطبوع[4]، وربما دل على ذلك قول إسماعيل بن علي الأكوع عن عبد الواسع بن يحيى الواسعي بأنه كان له «فضل كبير هو والمؤرخ محمد محمد زبارة في تعريف العالم الإسلامي بتراث اليمن»[5]. وكل ذلك ساعد على إيقاظ الفكر اليمني[6]، رغم وجود جماعة من المؤيدين المعجبين بهذه الدعوة السلفية الذين أخذوا في الدفاع عن مبادئها[7]، والعمل على إيجاد صحوة إسلامية سلفية في أدنى البلاد اليمنية وأقصاها.

ويأتي أثر هذه الدعوة السلفية في مجال إيقاظ الفكر السلفي لدى علماء الزيدية وأئمتهم باليمن خلال القرن الرابع عشر الهجري منذ بدؤوا يدركون

---

(١) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج١، ص ١١٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤١١.

(٣) محمد محمد زبارة، الأنبياء، ص ٦١.

(٤) محمد محمد زبارة، الأنبياء، ص ٦٣.

(٥) المدارس الإسلامية في اليمن، ص ٢٩٨.

(٦) سيد إبراهيم، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٣٦.

(٧) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، قيام الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ - ١٨١٨م) وأثرها على مجتمع شبه الجزيرة العربية، مجلة الخليج والجزيرة العربية، ع٢٥، س٧، صفر١٤٠١هـ، ص ٧٥.

حقيقة هذه الدعوة من خلال هجرة طلبة العلم إلى نجد وغيرها[1]، وحينما أخذ بعض علماء الحجاز في هذه الفترة يوثقون علاقاتهم بأولئك الأئمة الزيود وعلمائهم، ويدعونهم إلى مذهبهم السلفي[2]، إلى جانب توثيق العلاقات والمعاهدات بين أئمة اليمن والحكام السعوديين[3] منذ العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري، بالإضافة إلى هجرة كثير من اليمنيين إلى هذه البلاد السعودية للتجارة والإقامة والمعيشة.

ولعل ما يثبت ذلك في هذه الفترة ميل أهالي قرية قَهْلاَن بقبيلة الحَدَاء من مخلاف كُمَيمْ وما حولها - كما قيل من قبل - إلى مبادئ الدعوة السلفية. وذلك حين وفد إلى نجد في هذه الأثناء جماعة من أبنائها في سبيل طلب العلم، وهذا ما دعا صالح بن محمد الغفيلي إلى أن يقول بأن ذلك الميل والتأييد «ينبئ باحتمال تحول تلك القرية والقرى المجاورة لها لتنحو منحى النجديين فيما يتعلق بالمذهب الحنبلي موئل ومصدر»[4] الدعوة السلفية، هذا إلى جانب تفضيل بعض علماء اليمن في هذه الفترة لمذهب أهل السنة والجماعة، وميلهم لما رجحوه أنفسهم من: الضم، والرفع، والتورك، ونحوها. ولعل من أبرز أولئك العلماء أحمد بن عبد الوهاب الوريث (١٣٣١ - ١٣٥٩هـ) الذي قال في هذا الشأن:

ما مذهبي إلا الكتاب وسنة الـ مختار لا قول بلا سلطان[5]

---

(١) صالح بن محمد الغفيلي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الجندي المسلم، ع ٢٠، س٦، ١٣٩٩هـ، ص ٧٠.

(٢) مجهول، الشيخ محمد نصيف، مجلة العرب، ج١، س٦، رجب ١٣٩١هـ، ص ٦٤.

(٣) محمد بن عبد الله بن ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ص ٦١ - ٦٢.

(٤) الغفيلي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الجندي المسلم، ع ٢٠، س ٦، ١٣٩٩هـ، ص ٧٠.

(٥) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج١، ص ١٠٩.

وقد يضاف إلى ذلك التأثير رغبة نفر من علماء الزيدية في هذه الحقبة إلى قراءة كتب أهل السنة والجماعة والدراية بها، فقد أخبرني أحمد حسين شرف الدين أن الشيخ محمد بن إسماعيل الوادعي كان يحض أصحابه على قراءة تلك المؤلفات، وأنه - كما قال أحمد شرف الدين - يدعو أصحابها السلفيين بالقوم[١]. وقد نتج عن ذلك التأثير السلفي أن أقبل كثير من اليمنيين الزيود على تأييد هذه الدعوة، والتأثر بمذهب دعاتها، فقد كان منهم: لطف بن زيد الديلمي[٢] (١٣٢٠هـ- ...)، وصالح بن محمد البيحاني[٣] (١٣٣٤هـ- ...)، وعلي ابن عبد الله صوفان[٤] (١٣٣٥هـ - ...)، وأحمد بن حسين شرف الدين[٥] (١٣٤٧هـ- ...)، وغيرهم ممن تأثر بهذه الدعوة مثل: الحسين بن يحيى حميد الدين (...-١٣٤٨هـ)، والعباس بن أحمد إبراهيم، ومحمد بن حسين الوادعي، وأحمد بن عبد الله الجنداري، وغيره من آل الجنداري باليمن[٦].

ثالثا: الصوفية

من الواضح أن التصوف في جنوبي الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة السلفية في تلك الأنحاء قد كان معروفا في: رجال ألمع، والمخلاف السليماني، وتهامة اليمن، وحضرموت. وكان أثر هذه الدعوة الإسلامية واضحا في إحياء اليقظة السلفية لدى علماء التصوف بتلك الأنحاء، مما دعاهم في الغالب إلى التخلص من آثار التصوف وما يقرب إليه. ولعل انصراف

---

(١) مقابلة شخصية معه، الرياض ١/ ٤/ ١٤٠٢هـ.
(٢) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج٢، ص ٤٩١.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٢١.
(٤) مقابلة شخصية معه، نجران، ٨/ ٨/ ١٣٩٩هـ.
(٥) مقابلة شخصية معه، الرياض، ١/ ٤/ ١٤٠٢هـ.
(٦) المصدر نفسه.

أولئك العلماء في أوائل القرن الثالث عشر الهجري عن العمل بطرق أهل التصوف قد دل على ذلك الأثر السلفي وحقيقته، وذلك على الرغم من معاداة الترك والمصريين لهذه الدعوة السلفية في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، والعمل على إحياء الطرق الصوفية فيها.

والحق أن المتتبع للأثر السلفي الذي أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بعض الطرق الصوفية بتلك الأنحاء، يجد أنه قد تجلى في ابتعاد علماء رجال ألمع بتهامة عن التصوف وطرقه منذ أقبلوا على هذه الدعوة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، فقد كان أحمد بن عبد القادر الحفظي من أشهر أقطاب التصوف في تهامة. وكان يُلْبس الخرقة[1] للمريدين من الأتباع، وينظم الشعر الروحي[2]، ويديم الاتصالَ بشيوخه الصوفيين بتهامة اليمن وحضرموت[3]، ويحرص كثيرا على جمع كتب التصوف[4] ومعرفة علومه، فقد وصف بأنه كان «واحد عصره في تلك العلوم»[5]، كذلك لم ينج أبناؤه والمحيطون به من آثار التصوف في تلك الفترة، إذ كان إبراهيم بن أحمد الحفظي يناقش أحيانا علماء المخلاف السليماني «فيما يسند إلى الطوائف الصوفية»[6]، ويدافع عنهم، ويؤكد هذا ما وجد من تراث أولئك العلماء،

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٢. يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأما لباس الخرقة التي يُلبسها بعض المشايخ المريدين، فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة» انتهى. فتاوى ابن تيمية، كتاب التصوف، ١١/ ٥١٠.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٣٨.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، كتابه السابق، مخطوط، ورقة ١.

(٤) بيان كتب آل الحفظي الموقوفة.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٢.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٢٥.

وما أخبر به بعض أحفادهم من بعد ذلك[1].

وحينما أراد الله بهم الخير نبذوا التصوف وراء ظهورهم، وأخذوا يعملون على نصرة هذه الدعوة، ويدعون إلى الله في جهاتهم بالحسنى والقول الثابت، فقد ذكر عبد الرحمن بن أحمد البهكلي أن أحمد بن عبد القادر الحفظي وولده محمد بن أحمد الحفظي قد ناصرا هذه الدعوة الإصلاحية، وبذلا في سبيلها ما في وسعهما من قول وعمل[2]، وذكر بأنهما ممن عاضد دعاتها بالأقوال «في الرسائل إلى أهل الرئاسة»[3]، وأيده في ذلك الحسن بن أحمد عاكش حينما ذكر بأن محمد بن أحمد الحفظي قد عمد إلى نصرة هذه الدعوة وعمل على إرشاد الناس إليها[4]، وقال كذلك بأنه «كاتب صاحب نجد وكاتبه، وكان يقبل ما يرد إليه من جهته»[5]. وقد أثنى عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ على أحمد بن عبد القادر الحفظي وولده محمد الحفظي، وذكر بأنهما قد أقلعا عما كانا فيه من عمل أهل التصوف وطرقهم[6]، إذ يبدو أنهما قد انشغلا بشيء من أعمال المتصوفين ونحوها من قبل. ولعل من أشهر تلك الأعمال الصوفية برجال ألمع العناية بقصيدة البردة للبوصيري من حيث: تخميسها، ومعارضتها، والاعتقاد فيها، إلى جانب ما وجد من الطرق الصوفية الأخرى التي كانت تجري بتلك المدينة. كما أن أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد كانوا من قبل يتعهدون هؤلاء العلماء بالرسائل الموسومة

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٩.

(٢) كتابه السابق، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٤) عقود الدرر، ورقة ١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٠٥.

(٦) الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٨٤.

بالنصح والإرشاد، ويحذرونهم الوقوع في البدع وما سنه المتأخرون من المحدثات في الدين[1]. مما أثر كثيرا في إذكاء جذوة الفكر السلفي في واقعهم الديني حينذاك.

وقد يضاف إلى ذلك الأثر السلفي انصراف علماء رجال ألمع الحفظيين عن الغلو في التشيع والانهماك فيه، فقد دلت المصادر على أن أحمد بن عبدالقادر الحفظي قد كان يميل ميلا واسعا نحو التشيع بدليل اتصاله الفكري بأئمة اليمن وشيعتهم[2]، إذ ألف مؤلفا سمّاه "ذخيرة المال في شرح جواهر اللآل" « في نسب أهل البيت باليمن »[3]، وما أن قبل هذه الدعوة السلفية حتى قل دافع هذا الميل، وأخذ يعتدل في قوله وعمله، وربما انطبق هذا القول على بقية علماء آل الحفظي فيما بعد، إذ أخذوا يفضِّلون اقتناء الكتب السلفية التي ألفها العلماء المتأخرون ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى جانب أنهم بدؤوا يتخلصون في الغالب من مؤلفات علماء التصوف. والناظر في فهارس كتب أولئك العلماء برجال ألمع من آل الحفظي[4] يدرك هذه الحقيقة، ويرى مدى تأثرهم في هذا الميدان الديني.

وإذا كان علماء آل الحفظي برجال ألمع قد عادوا إلى شيء من أعمال التصوف، وفضلوا العناية بطرقه وما إليها من الاهتمام بالبردة للبوصيري ونحوها، فإنما يأتي ذلك نتيجة لتشجيع الترك لهم، وانقطاعهم - إلى حد ما -

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٤٢ - ٥٤٤.

(٢) انظر: مجموعي ١٢٩، ٢٦٩، المكتبة الغربية بجامع صنعاء.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مجلة العرب، ج ٩، س٧، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، ص ٦٨٢.

(٤) توجد تلك الفهارس لدى الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع، وعبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها.

عن مصدر الدعوة السلفية في نجد، فقد كانوا على الرغم من اتصالهم المحدود بعلماء الدعوة عندئذ يتلقون رسائلهم على سبيل النصح والإرشاد لا غير، إذ كان موقف أولئك العلماء السلفيين بنجد من البردة مثلا واضحا من حيث ما «فيها من الشرك»[١]، وبأنهم كانوا يطعنون فيها كما فعل ابن تيمية تجاهها من قبل[٢]. ومع ذلك فإن هذه الأعمال الصوفية قد زالت حينما انضمت تلك الأجزاء إلى بقية البلاد السعودية، إذ ابتعد أولئك العلماء الحفظيون عن العمل بآثار التصوف التقليدي، وأخذوا يتخلصون من مؤلفات: التصوف، والتشيع ونحوهما، وذلك بإحراقها أو إغراقها والتخلص منها، إما رهبة أو رغبة.

أما التصوف في المخلاف السليماني، فقد نشأ - فيما يبدو - ضعيفا، ثم أخذ ينتشر من بعد ذلك حين تهيأ له المناخ الديني المناسب، وقد وُجد شيء من أسبابه لدى نفر من علماء ضمد إبان ظهور هذه الدعوة السلفية بالمخلاف السليماني. وذلك لدى أحمد بن عبد الله النعمان (... - ١٢١٢هـ)، وأحمد ابن عبد الله الضمدي وغيرهما. فأما النعمان فقد كان «له مقام عريق في التصوف»[٣]، على حين كان للضمدي رغبة في اتباع طرق أهل التصوف. وكان يفضل الرحلة في سبيلها[٤]، ورغم ذلك فإن هذا النشاط الصوفي المحدود قد تلاشى أمام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حينما ظهرت بتلك الأنحاء في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك عندما أخذ دعاتها السلفيون يُحيون السنة النبوية، ويعملون على نشر مبادئها السلفية

---

(١) الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٨٢.

(٢) ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص ٣١.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٨.

(٤) محمد محمد زبارة، نيل الوطر، ج١، ص ١٣٦.

الصحيحة، مما أذكى روح اليقظة السلفية بتلك الأنحاء[1]، وأخمد كثيرا من التيارات الدينية المختلفة خلال تلك الفترة.

ولعل ظهور الدور الثاني للترك في المخلاف السليماني عام ١٢٣٤هـ، قد ساعد على إضعاف تلك الصحوة السلفية التي أحيتها هذه الدعوة الإصلاحية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، مما أوجد مجالا رحبا لظهور كثير من الاتجاهات الدينية المختلفة. وقد وصف عاكش ذلك الحال المتردي بقوله: « استحال الحال، وأعقب ذلك الأمر الصافي ما كدر البال، وعفت تلك المعارف تعاور جهال العمال، واستولى على هذا القطر نواب الترك، وتسلطوا على كل من قام بشعار الحق من أهل البلد نهبا وأسرا وتشريدا»[2]؛ مما هيأ المناخ الديني لظهور التصوف في المخلاف السليماني مرة أخرى، إذ أقبل الصوفيون على تهامة حينما صلح لهم ذلك المناخ الديني، وعندما وجدوا الترحيب لدى الأهلين والعلماء[3].

ولعل أشهر من قدم تهامة من أولئك الصوفيين أحمد بن إدريس المغربي الذي وصل زبيد بتهامة اليمن عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، وما لبث حتى غادرها إلى بندر المخا، ثم إلى موزع، حيث أقبل عليه الناس، « وازدحم عليه الخاص والعام»[4]، وقد عاد ابن إدريس من بعد ذلك إلى زبيد، وأخذ يجري على سنن المتصوفين وأصحاب الطرق، إذ كان له مجالس معروفة تغص بالمريدين والأتباع[5]، ولم يلبث ابن إدريس طويلا بزبيد، بل غادرها إلى صبيا عام

(١) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٧، وقد قال عاكش - على سبيل المثال - عن الحسن بن خالد الحازمي بأنه « لم يزل ينشر السنن ».

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٤١.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ٣٨.

(٤) عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، النفس اليماني، ص ١٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٦٢، ١٦٣.

١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، حيث أصبحت « محط الرحال ومنتجع القصاد لبغاة التبرك والابتهال الصوفي »[١].

وكان أحمد بن إدريس قد أدرك من قبل ظهور الدعوة السلفية بمكة المكرمة، وعاش في ظل إمامها عندئذ سعود بن عبد العزيز خلال الفترة (١٢٢٠ - ١٢٢٧هـ). وقد نهاه حينذاك الإمام سعود عن التدريس في كتابي: الفصوص واليواقيت لمحيي الدين بن عربي[٢]، وكان - كما قال علي بن محمد السنوسي - يثني على مؤلفات السلفيين من أهل نجد، ويوصي طلبته بنقلها[٣]، ومع ذلك فقد ذكر العرشي في كتابه "بلوغ المرام" أن أحمد بن إدريس « كان يكره الوهابيين، ويحمل عليهم وعلى عقيدتهم حملات شديدة حين كان في أم القرى »[٤]، ولعل ذلك كان قبل دخول مكة المكرمة في حكم السعوديين (١٢١٧هـ/ ١٩٠٢م)، إذ ربما كان لاحتكاكه بعلماء الدعوة السلفية بمكة المكرمة من بعد ذلك أثر في اعتداله الصوفي حينذاك[٥]، ومهما يكن من أمر فقد كان يفد على ابن إدريس في صبيا جماعة من السودان والجبرت وغيرهما. وكان يقع له الإملاء في كتب الصوفية حيث وجد له عندئذ أتباع من الطلبة المريدين[٦]، إلى جانب إقبال العلماء حينذاك على مؤلفاته ونتاجه الفكري[٧].

وفي هذه الأثناء ظهر في المخلاف السليماني جماعة من طلبة العلم

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص ٦٢٠.
(٢) علي بن محمد السنوسي، السماط الممدود في رباط المحبة ما بين الأدارسة وآل سعود، مجلة المنهل، ج١، ٢، مج ٣٨، محرم وصفر ١٣٩٦هـ، ص ١١٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٦.
(٤) ص ١١٠.
(٥) محمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، ص ٢٢١.
(٦) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير، ورقة ٢.
(٧) فهارس كتب علماء آل الحفظي برجال ألمع.

السلفيين من أهالي عسير يناهضون الصوفية عند ابن إدريس، ويرون فيها خروجا على تعاليم الدعوة السلفية، مما جعلهم ينادون بدحضها والعمل على إيقاف نشاطها، فقد أنكر أولئك السلفيون - كما قال عاكش - اعتقاد ابن إدريس « مذهب ابن عربي من الاتحاد والحلول . . . وأن أصحابه يعظمونه بما لا يستحقه إلا الله تعالى »[1]، كما أنكروا عليه كثيرا من الأمور الأخرى[2] التي أدت جميعا كما قيل من قبل إلى عقد مناظرة علمية بين ابن إدريس وهؤلاء السلفيين.

والحق أن هذه المناظرة قد أحدثت يقظة سلفية عند أولئك الصوفيين أنفسهم بصبيا ولدى غيرهم من أهالي تهامة، ودلت كذلك على موقف الشيخ ناصر بن محمد الكبيبي الجوني (. . . - ١٢٤٩هـ) والذين معه من علماء عسير، فقد وصفهم العمودي بالتشدد، وزعم أن الأمير علي بن مجثل المغيدي عندئذ اعتذر من ابن إدريس، وقال: « إن هؤلاء المطاوعة لا يمكنني إلا الموافقة معهم »[3]، فإن صح هذا فإنما يدل على أثر هذه الدعوة السلفية في علماء عسير تجاه الصوفية والمتصوفين، مما جعل هذه الدعوة الإصلاحية سبيلا جادا ليقظة الفكر السلفي بتلك الأنحاء، وربما يضاف إلى ذلك التأثير إحساس الأهلين في عسير وغيرها من مؤيدي الدعوة السلفية بضرورة مناهضة الصوفية، والعمل على إيضاح سلوك ابن إدريس الصوفي الذي لا يوافق سلفيتهم[4]، مما أوجد شعورا سلفيا جاداً لدى كثير من العلماء والأهلين بتلك المنطقة.

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير، ورقة ٤.

(٢) انظر هذه المناظرة نفسها.

(٣) عبد الله بن علي العمودي، تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع، ورقة ٩٠.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٥٥.

19192

إحدى الوثائق العثمانية في

الثلث الأول من القرن الثالث

عشر الهجري

ومن الملاحظ أن قواعد التصوف التي أوجدها ابن إدريس في المحيط الفكري بالمخلاف السليماني منذ عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، قد أسهمت إسهاما كبيرا في قيام الدولة الإدريسية بصبيا من بعد ذلك عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، إذ نهج محمد بن علي الإدريسي سبيل جده أحمد بن إدريس، من حيث المحافظة على روح التصوف لدى الأهلين في تهامة، والعمل على تطبيق تعاليمه الصوفية، إذ أبقى على مزاراته، وأخذ يحافظ على الحفلات السنوية التي كانت تقام من أجله، بالإضافة إلى ما كان يعتقده الناس في كراماته، مما جعل تعاليمه الصوفية تنتشر في معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية[١]. وقد ظل هذا المنهج ماثلا في إمارته الإدريسية، وبين مواطنيه حتى ظهور الدولة السعودية الحاضرة بتلك الأنحاء.

وذلك حين بدأ تيار الإصلاح السلفي يغشى بلدان تهامة، وأخذ يؤثر في الأهلين، ويحدث لديهم الرغبة في اتباع هذه الدعوة ونبذ ما سواها، إلى جانب انتشار الدعاة، وترتيب العمل السياسي الحربي؛ ولذلك فقد أحدثت هذه المؤثرات جميعها لدى محمد بن علي الإدريسي شيئا من الإحساس الديني الجاد، إذ أخذ يدرك حال بلاده المتردي، وشرع يعمل على التخلص مما شاع في تلك البلاد من الطرق الصوفية المخالفة لقواعد الإسلام، ولعل إبطاله لطقوس التصوف التي كانت تجري بين ظهرانيه في صبيا[٢] قد دل على هذا الأثر السلفي المباشر.

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) عبد الله بن علي العمودي، نبذة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٢، فقد أورد العمودي في هذا المخطوط رسالة من محمد الإدريسي نفسه إلى الملك عبد العزيز آل سعود بَيَّنَ فيها استجابته لهذه الدعوة، وأنه قد أزال ما ينافيها من البدع والمحدثات.

ولعل ما يدل على هذه اليقظة السلفية عند محمد بن علي الإدريسي ما رواه أمين الريحاني، حينما زار صبيا عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م، إذ بدأ يلمس بين الناس في تلك الأنحاء الشعور السلفي الجاد نحو هذه الدعوة الإصلاحية، فقد روى شيئا مما دار بين نفر من علماء نجد وآخرين من علماء الإدريسي نفسه حول التوحيد والأولياء ونحو ذلك. وقد ألمح الريحاني كثيرا إلى موقف النجديين المتشدد نحو وحدانية الله تعالى، وعدم الاعتقاد في غيره من الأولياء والصالحين. وذلك ما دعا الريحاني إلى إيراد قول الإدريسي عند ذاك، وقد لاحظ الإدريسي نفسه حيوية النقاش وفعاليته، إذ قال: «لا تشعلوها يا أبناء نجد، وجادلوا بالتي هي أحسن»[1]، وربما يستدل من هذا على اقتناع الإدريسي بحقيقة ما تدعو إليه الدعوة السلفية، وذلك في بطلان ما تجري عليه أمور دولته الدينية، إذ ربما عدّ هذا الإحساس، وما عمله الإدريسي من بعد ذلك بداية فعلية لأثر هذه الدعوة الإصلاحية في مجال التصوف بالمخلاف السليماني.

وعلى الرغم من وفرة طرق أهل التصوف بتهامة اليمن وحضرموت إبان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتلك الأنحاء، فإن الباحث لا يكاد يدرك أثراً واضحا للدعوة السلفية في ذلك المجال إلا في حدود ضيقة. وذلك حين انحسر مد هذه الدعوة السلفية السياسي عن تهامة اليمن في وقت مبكر. وكان كذلك انتشارها في حضرموت في تلك الفترة قليلا محدودا، ومع ذلك فقد وُجد في محيط المذهب الزيدي باليمن من يناهض التصوف ويعاديه، وبخاصة لدى أولئك العلماء المتأثرين بالدعوة السلفية، فالحق أن الزيدية باليمن ترفض مبادئ التصوف، وتنكر على أتباعه أفعالهم[2]، إذ أشبهت بذلك

---

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص ٣٦٥.

(٢) عبد الله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ٢١.

المذهب الحنبلي في رفضه لمبادئ الصوفية وطرقها[1].

ولعل خير من تصدى للصوفية في منهجها المتطرف الشيخ علي بن إبراهيم بن محمد الأمير (١١٧١ - ١٢١٩هـ)، ومحمد بن علي الشوكاني، فأما الأمير فقد ألف فيها، ونبه إليها[2]، وأما الشوكاني فقد كان ينكر على أتباعها شدة غلوهم فيها، ويرى أن فلاح هؤلاء الصوفيين الغالين يتأتى في إقبالهم على كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين[3]، إذ ألف في الرد عليهم كتابه "الصوارم الحداد القاطعة لأعناق أهل الإلحاد"[4]. وقد سلك منهج هذين العالمين في القرن الرابع عشر الهجري الشيخ أحمد بن محمد الجرافي (. . . - ١٣١٦هـ)، والشيخ محمد بن سالم البيحاني (١٣٣٤هـ - . . .)، إذ ألف الجرافي كتابًا في الرد على الصوفية هو "الدليل القاهر في الرد على الصوفية الأشرار"، ومثله البيحاني في كتابه "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار"[5].

هذا بالإضافة إلى ما كان للدعاة السلفيين والأمراء الذين وفدوا إلى تهامة اليمن في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري من أثر في إيقاظ الفكر السلفي لدى الصوفيين بتلك الأنحاء، وذلك حين حلت الفوضى بين الشيوخ والمريدين، وظهر بينهم أصناف من الدراويش والمشعوذين[6]، ولعل اتصال العلماء المتأخرين والأهلين - فيما بعد - بمجاوريهم من علماء المخلاف السليماني قد خفف كثيرا من آثار التصوف، وحدَّ منها.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢) عبد الله بن محمد الحبشي، مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مجلة العرب، ج١٠، س٧ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ، ص٧٨٧. ومن تلك المؤلفات: الفتح الإلهي في تنبيه اللاهي (في التصوف).

(٣) أدب الطلب، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٤) عبد الله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٠.

أما حضرموت فقد أثرت الدعوة السلفية في متصوفيها خلال القرن الرابع عشر الهجري. وذلك حين كان محمد رشيد رضا يتصل بالمثقفين من أبناء حضرموت وما حولها، ويفسح لهم المجال للكتابة في مجلة المنار عن أوطانهم، وما يكتنف مجتمعاتهم من أضرار التصوف ونحوها، هذا إلى جانب انتشار مجلة المنار نفسها بين المواطنين بتلك الأنحاء بما تحمله من أفكار سلفية سليمة، بالإضافة إلى هجرة نفر من العلماء وطلبة العلم إلى البلدان المجاورة التي ترفض تلك الطرق الصوفية، وكل ذلك كان له أثر ظاهر في إيقاظ الفكر السلفي بتلك الأنحاء، وإيجاد صحوة إسلامية جادة.

ومن أجل ذلك؛ فإن من الإنصاف أن يقال بأن هذه الدعوة السلفية قد نبهت عددا من علماء التصوف وأتباعهم في القرن الثالث عشر الهجري، وما بعده بجنوبي الجزيرة العربية لما فيه صلاح عقيدتهم وتنشيط ثقافتهم وفكرهم. وذلك شأن غيرهم من المتصوفين في العالم الإسلامي الذين تأثروا بهذه الدعوة، وأخذوا عندئذ يتخلصون من معظم عاداتهم الصوفية[1]، ويتأثرون - إلى حد كبير - بالفكر السلفي الإسلامي الصحيح.

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ٣٤٣.

الفصل الثالث

أثرها في التأليف والتعليم والحسبة والقضاء

توطئة:

تتباين بلدان جنوبي الجزيرة العربية في الحياة الفكرية التي كانت تعيشها عند ظهور الدعوة السلفية فيها، مما جعل أثر هذه الدعوة في تلك البيئات العلمية متفاوتا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى وفرة العلماء ومستوى الثقافة والتعليم، فحينما كانت عسير تحيا حياة فكرية محدودة كان أمراؤها الدعاة يضطلعون بمهام الدعوة ونشرها، مما جعل أثرهم الفكري ملموسا معروفا خلال القرن الثالث عشر الهجري[1]. وهذا يختلف عن الحياة الفكرية النشطة في اليمن وتهامة، إذ كان العلماء أنفسهم هم الذين يقومون بنشر الدعوة السلفية وبيان حقيقتها[2]، وذلك ما جعل هذين الفريقين سببا في إيجاد يقظة سلفية بتلك الأنحاء.

ولعل من نتائج نصرة الأمراء في عسير للدعوة السلفية أن أقبل العلماء على تلك المنطقة، وأخذوا يلتفون حول أمرائها؛ لما وجدوا فيهم من تشجيع

---

(١) أولئك الأمراء هم: محمد بن عامر «أبو نقطة» (١٢١٥ - ١٢١٨هـ)، عبد الوهاب بن عامر المتحمي (١٢١٩ - ١٢٢٤هـ)، طامي بن شعيب (١٢٢٥ - ١٢٣٠هـ)، محمد بن أحمد المتحمي (١٢٣١ - ١٢٣٣هـ)، سعيد بن مسلط (١٢٣٩ - ١٢٤٢هـ)، علي بن مجثل (١٢٤٢ - ١٢٤٩هـ)، عايض بن مرعي (١٢٤٩ - ١٢٧٣هـ)، محمد بن عايض (١٢٧٣ - ١٢٨٨هـ). وقد وصفهم العمودي بأنهم «كانوا دعاة في هذه السهال[تهامة] على ما دعا الناس عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، مجموعة أوراق مخطوطة.

(٢) عبد الله بن سعد الرويشد، قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، ص ٢٥١. انظر كذلك: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، لمحمد أحمد الفقي، ص ٧٣. انظر كذلك: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، ص ٢٥.

للعلم ونصرة للحق والدعوة إلى الله[1]. وذلك لم يتيسر لعلماء اليمن الذين ناصروا هذه الدعوة السلفية من أمثال: محمد بن إسماعيل الأمير، ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهما، مما جعل يقظة الفكر السلفي تظهر بسبب مؤلفات هذين العالمين التي أخذت تنتشر في اليمن ومعظم بلدان العالم الإسلامي[2]، هذا إلى جانب النشاط الفكري الذي وُجد لدى أشراف تهامة وعلمائها في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري[3].

ولذلك فقد أفادت تلك الأجزاء من جزيرة العرب من ظهور هذه الدعوة السلفية في مجال الحركة العلمية، ويقظة الفكر السلفي، شأن غيرها من بلدان الجزيرة العربية الأخرى[4]، إذ أخذ علماؤها في هذه الأنحاء يؤلفون في ظلال مبادئها السلفية، ويدفعون عنها الشبهات، كذلك أخذت مدنها العلمية تحيا حياة سلفية مناسبة، وبدأت تتخلص مما علق بواقعها الفكري من آثار الركود الذي كان قد حل بها، ولعل ما يشير إلى مظاهر هذه اليقظة السلفية في تلك الأنحاء ما تميَّزت به ملامح: التأليف، والتعليم، والحسْبة، والقضاء من السمات السلفية الواضحة، والشعور الإسلامي الجاد.

---

(١) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٦. عثمان بن بشر، كتابه السابق، ج٢، ص ٢٣، ٨٥. الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٠٣. عقود الدرر، ورقة ٩٥. عبد الله بن علي بن مسفر، كتابه السابق، ص ١١٠. عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٣٩، ٤٠، ٤١، محمد محمد زبارة، نيل الوطر، ج٢، ص ٣٤١. حسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين، ص ٦، ٣٢، ٧٢.

(٢) أحمد محمد الشامي، قصة الأدب في اليمن، ص ١٨١. وانظر كذلك: مجلة الحكمة اليمانية، وحركة الإصلاح في اليمن، للسيد مصطفى سالم، ١٧٦.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٤٠.

(٤) سبق الحديث عن الحركة العلمية في هذا البحث قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أولا : في التأليف

الحق أن بلدان جنوبي الجزيرة العربية قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها، لم تكن محرومة من التأليف، والنتاج الفكري، وإنما شهدت خلال تلك الفترة نشاطا وافرا في هذا المجال[1]، ولعل خير ما أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه البلدان من بعد ذلك أن شجعت على التأليف، وأوجدت لدى العلماء الرغبة في النتاج العلمي المستمر، هذا إلى جانب إذكاء الروح السلفية لدى المؤلفين، والعمل على إحياء التراث المذهبي، وبخاصة المذهب الحنبلي، بالإضافة إلى شرح معظم مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونظمها في بعض الأحيان، وكذلك الحرص من لدن هؤلاء العلماء على دفع الشبهات عن هذه الدعوة السلفية، وتبيان موقفها وما كان عليه علماؤها؛ ولذلك نشط هذا المجال الفكري في بلدان جنوبي الجزيرة العربية[2]، وأصبح يساير نشاط هذه الدعوة، ويعكس أثرها، فقد أثرى ذلك النتاج الفكري المكتبة الأدبية بما أنتجه المؤيدون وأمثالهم من المعارضين لهذه الدعوة[3]. وذلك أمر أدركه العلماء والكتاب في معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

وحينما نتتبع الأثر السلفي الذي أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجال التأليف العلمي بتلك الأنحاء، نجد ظاهرة التأليف في ميدان ذم البدع وتطهير الاعتقاد من أول آثار هذه الدعوة السلفية، فقد ألف محمد بن إسماعيل الأمير كتابه " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "[4]، ورسالة

---

(١) عبد الكريم جرمانوس، الأدب السعودي الحديث، مجلة المنهل، ج٦، جمادى الثانية ١٣٧٢هـ، ص ٢٨١.

(٢) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ٨٤.

(٣) محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث في نجد، ص ٢٧٩.

(٤) عبد الله بن محمد الحبشي، مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير، مجلة العرب، ج٩، س ٦، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، ص ٦٨٧.

"وجوب إزالة الأصنام التي للبانيان في بندر المخا"[1]. هذا إلى جانب أبحاث أخرى حول كلمة التوحيد والشرك بالله[2]، كما ألف حسين بن مهدي النعمي رسالة "مدارج العبور على مفاسد القبور"[3]، وكتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، حول بناء المشاهد والقباب، وتعطيل الانتفاع بالكتاب الكريم، والسنة النبوية"[4]، وكان تأليف هذه الكتب في القرن الثاني عشر الهجري، أي: قبيل انتشار هذه الدعوة السلفية في اليمن. ولعل باعث تأليفها ناجم عن تأثر مؤلفيها بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبخاصة إذا أدركت نزعة هذا التأليف في زمن درج علماؤه على التقليد، إلى جانب التفات هذين العالمين إلى هذا العمل بعيد سماعهما بخبر ظهور الدعوة السلفية في نجد.

ولما أخذت هذه الدعوة السلفية تنتشر في تلك الأنحاء من جنوبي الجزيرة العربية، كان علماء آل بكري[5] برجال ألمع خير من قام بنصرتها وسعى في نشرها، فقد نهض أولئك العلماء يؤرخون لهذه الدعوة السلفية، ويشرحون مؤلفات علمائها، كما شرعوا في تبيان موقف علماء تهامة واليمن في مؤلفات مستقلة، هذا إلى جانب إقبال هؤلاء العلماء على مكاتبة علماء نجد والإفادة منهم في مجال الأحكام الشرعية، إذ أخذوا يجمعون ما يردهم من تلك الرسائل، ويحتفظون بها[6]، ولعل من أبرز مؤلفات هذه الفترة في ميدان

---

(١) المصدر نفسه، ٦٨٧.

(٢) مجموع ٢٦ المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.

(٣) مقدمة كتاب معارج الألباب، ورقة ٦.

(٤) حققه محمد أحمد الفقي، وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الرياض السعودية.

(٥) هم علماء رجال ألمع الذين عرفوا فيما بعد بآل الحفظي، انظر: مقدمة كتاب ذوق الطلاب، لمحمد ابن أحمد الحفظي، تحقيق الباحث، ص ٦.

(٦) انظر - على سبيل المثال - ما ورد في بيان كتب بعض علماء آل الحفظي الموقوفة.

الدعوة السلفية: كتاب أحمد بن عبد القادر الحفظي في خروج عرار[1]، إلى جانب المنظومات الطوال التي كان ينشئها الحفظي في سبيل الدعوة من مثل: "القصيدة الحفظية في الدعوة المرجية"[2]، و"النفحة القدسية والتحفة الأنسية"[3] وغيرهما، وكتاب "الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود" لمحمد بن هادي بن بكري العجيلي[4]، وكتاب "نفح العود في الظل الممدود"[5]، و"اللجام المكين"[6] لمحمد بن أحمد الحفظي، إلى جانب أراجيز كثيرة ذُكِرَ فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته[7]، و"كتاب التجريد في شرح التوحيد" لعبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري[8]، إذ ربما كان إقبال العلماء برجال ألمع على شرح مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جعلهم يشرحون كتاب "التوحيد" - فيما يبدو - أكثر من مرة[9]، بالإضافة إلى شرح كتب بعض أبناء الشيخ نفسه[10].

ومن ملامح هذه الحركة العلمية في ميدان التأليف يتبين أن هؤلاء العلماء الأُول من آل بكري برجال ألمع، قد سعوا في بث الروح السلفية في مدينتهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٥. وبعض المصادر تنسبها لمحمد بن أحمد الحفظي، ولعل ذلك هو الصواب، انظر - على سبيل المثال - المجموع رقم ٨١٤م، جامعة الملك سعود، بينما قال محمد بن إبراهيم الحفظي في "نفحات من عسير" بأن هذه المنظومة من نظم الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي، ص ٢٥.

(٣) طبعت هذه المنظومة سنة ١٣٤٥هـ بمطبعة المنار بمصر.

(٤) توجد منه نسخة مصورة لدى عمر غرامة العمْري.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٤٥. توجد نسخة لدى محمد عبد الله آل زلفة.

(٦) توجد نسخة منه لدى الباحث، وهو في سبيل تحقيقه.

(٧) انظر نفحات من عسير، ص ٤٥.

(٨) توجد منه نسخ مخطوطة منها: نسخة لدى عمر غرامة العمْري، وأخرى لدى علي بن محمد أبو زيد، بضمد، المخلاف السليماني، وثالثة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٦٣١.

(٩) توجد لدى الباحث مقدمة إحدى شروحات هذا الكتاب.

(١٠) رأيت شيئا منها في مجموع مخطوط لدى عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي بشوحط من عسير.

حينما ناصروا هذه الدعوة وعرّفوا بها شيوخهم في اليمن وغيرها، إذ عُدَّت مؤلفاتهم في هذا المجال مصدرا حقيقيا لمعرفة واقع هذه الدعوة في تلك الأنحاء من جزيرة العرب، فقد صدق أحد أحفادهم عندما وصفهم بالاشتغال الجاد في هذا الميدان العلمي للتأليف[1]. ولعل هذه العناية الجادة بهذا العمل الفكري قد انعكس على ما خلفه أولئك العلماء من التراث العلمي الواسع، ويدل عليه قول عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي، وقد فهرس كتب أبيه إبراهيم الزمزمي، إذ قال: « جميع ما ذكره الوالد إبراهيم -رحمه الله- أنه من كتب الجد أحمد الحفظي - غفر الله له - صار قسمة للوالد إبراهيم من كتب والده، نفع الله بها »[2]. ويمكن حصر هذه اليقظة العلمية في مجال التأليف في ميدان الدعوة لدى أحمد الحفظي، وابنيه محمد وإبراهيم، ولدى عبد الهادي بن محمد بن بكري، إذ هم ـ فيما يبدو ـ من أبرز علماء تلك الأسرة ارتباطا بهذه الدعوة السلفية حيث لا يظهر ذلك النشاط الفكري واضحا لدى أبنائهم وأحفادهم من بعدهم، ما عدا أحمد بن عبد الخالق الحفظي (١٢٨٤ - ١٣١٧هـ)، فقد كان ـ إلى حد ما ـ منشغلا بالتأليف والنتاج الفكري، ورغم ذلك فقد سلك المتأخرون من آل الحفظي نهج أسلافهم من حيث نصرة هذه الدعوة السلفية وتأييدها.

ولعل تأليف هؤلاء العلماء الحفظيين في مجال التأريخ قد ميزهم عن سواهم، حينما قصروا إنتاجهم في هذا الميدان ـ إلى حد كبير ـ على أخبار هذه الدعوة ودعاتها، هذا إلى جانب حرصهم على شرح مؤلفات علمائها، وكتابة الرسائل والمنظومات في سبيل الدعوة إليها، وذلك دون التركيز على التأليف المستقل في علوم الدين في محيط الدعوة نفسها، كما كان يفعل أمثالهم من علماء المخلاف السليماني، واليمن.

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٠.

(٢) فهرس الكتب المذكورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي الإسلام للمؤمنين دينا ونصب الأدلة على
صحته وبينها تبيينا وغرس التوحيد في قلوبهم فأثمرت بإخلاصه
فنونا وأعانهم على طاعته هداية منه ولطفا فكان لهم وليا ومعينا
والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الذل وكبره تكبيرا الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وكان الكافر على ربه ظهيرا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
في ربوبيته وإلهيته تعالى عن ذلك علوا كبيرا الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم
تسليما كثيرا أما بعد فهذا شرح كتاب التوحيد تأليف
الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له المآب وأجزل له الثواب
وافٍ إن شاء الله تعالى بالتنبيه على بعض ما تضمنه من بيان أنواع التوحيد
إذ هو المقصود بالأصالة هنا ولم أخله أيضا من التنبيه على بعض
ما يتضمنه من غير ذلك إلا أن الأولى بنا هو بيان ما وضع لأجله الكتاب
لعموم الضرر والبلاء الواقع من جهة الغفلة عنه والأصل في ذلك
الإعراض عن الهدى والنور الذي أنزل الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
من الكتاب والحكمة والاستغناء عن ذلك بمتابعة الآراء والأهواء والعادات
المخالفة لذلك ولهذا أكثر الله تعالى الأمر بمتابعة الكتاب والسنة
في مواضع كثيرة من القرآن وضرب الأمثال لذلك وأكده وتوعد على الإعراض

صورة للصفحة الأولى من

شرح كتاب التوحيد

أما أثر الدعوة السلفية في مجال التأليف بعسير فقد كان محدودا؛ وذلك لأن البيئة الفكرية بتلك الأنحاء تفتقر إلى النتاج الفكري المناسب؛ وذلك نتيجة لضعفها العلمي السابق الذي عرفت به من قبل، هذا إلى جانب اعتماد أمراء عسير على علماء آل بكري برجال ألمع عن سواهم في مجال التعليم والحسبة والقضاء، ومع ذلك فقد وجد من علماء عسير من يؤلف ويسلك نهج العلماء في الجزيرة العربية، من حيث الاهتمام بالوصايا والشروح والتعليقات، فقد وجد من هذا العمل العلمي: «وصية عبد الله اليامي لأحمد ابن هادي»[1]. ولعل إقبال العسيريين على طلب العلم قد ساعد على إحياء الروح السلفية فيما وجد لهم من تأليف، وذلك في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده.

ولعل مما يدل على ذلك كتابة الحوليات والمذكرات التاريخية؛ إذ راج تأليفها بين علماء عسير، وبخاصة في غامد وزهران، فقد ذكر أحد أولئك المؤرخين في مقدمة حولياته خبر ظهور الدعوة السلفية، وأن ظهورها يعد ظهورا للإسلام، إذ أخذ من بعد ذلك يصف ما جرى من أحداث في غضون القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجريين[2]، كذلك وُجِدَ في إحدى المذكرات التاريخية ذكرٌ للإمام سعود بن عبد العزيز وعهده، وما أتى بعده من أحداث، وبخاصة في عهد الأمير عايض بن مرعي المغيدي الذي وصفه الكاتب بأنه ملتزم بمبادئ الدعوة السلفية، وأنه يعمل على نشر الدين وتعاليمه، ولعل ما يثير الانتباه في هذه المذكرة التأريخية أن كاتبها

---

(١) فهارس كتب آل الحفظي المخطوطة.

(٢) توجد هذه الحولية المخطوطة لدى محمد سعد البركي، ببلجرشي من غامد، وقد أخبرني نفسه أن الذي كتبها أحد أجداده.

يستخدم لفظ: «جنود المسلمين»[1] عند الحديث عن عايض بن مرعي وجيشه[2]. وذلك مثلما وجد لدى المؤرخين النجديين[3] ومن سلك نهجهم، إذ يدل ذلك على أثر هذه الدعوة السلفية في مجال التأليف، وتدوين الأخبار التاريخية. أما في القرن الرابع عشر الهجري، فربما كان من أشهر دعاة الدعوة في عسير الذين تأثروا بمنهجها السلفي في العهد السعودي الحاضر، عبد الله بن سعدي الغامدي الذي ألف "الإيضاحات السلفية"[4]، في نقد الأوضاع السائدة في بلاد غامد في مجال البدع ومحدثاتها خلال هذه الفترة المتأخرة، هذا بالإضافة إلى اليقظة الفكرية النشطة التي نشأت لدى أبناء هذا الجزء من الجزيرة العربية في هذا العهد السعودي الأخير.

أما أثر الدعوة السلفية في مجال التأليف بالمخلاف السليماني، فقد تميز عن سواه في رجال ألمع وعسير، وذلك حينما سلك علماؤه منهج الدعاة السلفيين في نجد، فألفوا في ميدان الشريعة الإسلامية بما يُعَدُّ مماثلا لمناحي التأليف عند أولئك العلماء النجديين، وعندما يُضرب لذلك بمثال، فإن الحسن ابن خالد الحازمي يُعَدُّ من أبرز علماء المخلاف السليماني تأثرا بهذه الدعوة السلفية. وذلك في مجال التأليف الديني، ولعل من أشهر مؤلفاته: رسالة "وجوب هدم المشاهد والأضرحة والقباب"[5]، ورسالة "قوت القلوب بمنفعة توحيد علاَّم الغيوب"[6] التي وصفها عاكش بأنها «متضمنة لبيان أدلة التوحيد

---

(١) ورقة ٣، ٤.

(٢) لاحظ ذلك - على سبيل المثال - عند ابن بشر.

(٣) توجد هذه المذكرة التاريخية المخطوطة بمكتبة آل رقوش ببني سار بزهران.

(٤) توجد منه نسخة مطبوعة في مكتبة جامعة الملك سعود المركزية.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٣٦.

(٦) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٨.

العملي، وإنكار ما عليه غالب العوام من الاعتقاد في القبوريين وغيرهم المنافية لتوحيد العبادة بجميع أنواعها »[1]، هذا إلى جانب ما اختاره من فرعيات المسائل[2]، وما شرحه من أراجيز[3] معاصريه العلماء والذين سبقوهم. وقد يضاف إلى آثار هذه الدعوة السلفية في مجال التأليف ما كان يؤلفه علماؤها السلفيون وغيرهم عندما ينشأ بينهم شيء من النقاش الفقهي، ولعل ما أُلِّف حول حكم التوسل، والبسملة في الصلاة الجهرية[4] يدل على أثر هذه الدعوة الإصلاحية في النتاج الفكري، إلى جانب ما ألفه حسين بن شبير الحسني من رسائل في معرفة التوحيد[5].

وقد كان أثر هذه الدعوة السلفية بالمخلاف السليماني مميزا في مجال تدوين التأريخ وكتابته، وذلك عن سواه في رجال ألمع واليمن، ولعل ما يميزه عن رجال ألمع أن مؤرخي المخلاف السليماني - في الغالب - قد قصروا تاريخهم على أحداث وطنهم وما يجري لحكامهم الأشراف، كما أنهم حينما تعرضوا لأخبار هذه الدعوة، فإنما يتعرضون لها من خلال أحداث عصرهم. أما المؤرخون الحفظيون في رجال ألمع فقد كانوا يقصرون مؤلفاتهم التاريخية - كما قيل من قبل - على أخبار هذه الدعوة؛ وذلك لأنهم قبل ظهورها لم يكونوا

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٣٦.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٨.

(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٢٢١.

(٤) انظر: حدائق الزهر، ورقة ١٧، ٤٢. انظر: عقود الدرر، ورقة ٩٣. انظر: الأعلام للزركلي، ج٧، ص٣٣٤.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٤٠، قال عاكش نفسه في كتابه "الديباج الخسرواني" في معرض حديثه عن حسين بن شبير: « وجعل له رسائل مشتملة على معرفة التوحيد الذي هو حقيقة ما بعث الله تعالى به الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، مع إفراد الله بالعبودية وترك الاعتقاد بالضر والنفع في سوى خالقهم ومعرفة معنى لا إله إلا الله التي هي كلمة الإسلام.. ». ورقة ٦٩.

يتسمون في رجال ألمع بشخصية سياسية مستقلة، بينما كان علماء المخلاف السليماني يرتبطون حينذاك بأمراء مستقلين في جهاتهم، مما جعل نتاجهم الفكري خليطا لما يجري في عصرهم من أحداث، ولعل ما يميزهم عن زملائهم المؤرخين في اليمن أنهم يتسمون بالعدل والإنصاف، وأنهم يخالفون بعض أولئك المؤرخين اليمنيين الذين كانوا في الغالب لا ينصفون هذه الدعوة ولا أصحابها.

وربما كان من أبرز هذه المؤلفات التاريخية التي تعرضت لهذه الدعوة وأخبارها: كتاب "نفح العود وذيله" لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي، والحسن ابن أحمد عاكش[١]، وكتب عاكش نفسه في التاريخ مثل: "عقود الدرر"، و"حدائق الزهر"، و "الديباج الخسرواني"، و "الذهب المسبوك"[٢]، كما كان "مختصر اللامع اليماني" لعبد الله بن علي العمودي[٣] من أوفى هذه المؤلفات اشتمالا على أخبار هذه الدعوة ورجالها، كذلك تعرض علي بن محمد السنوسي في كتابه "السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود"[٤] إلى شيء من أخبار هذه الدعوة وأحداثها.

ولعل مما يدل على أثر هذه الدعوة السلفية في التأليف بالمخلاف السليماني ما وجد بسببها من حماسة لدى نفر من علماء تلك الأنحاء، حول دفع الشبهات، والعمل على كشفها، فقد ألف محمد بن ناصر الشريف مؤلفا سماه "إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان"[٥] في الرد

---

(١) طبعت هذا الكتاب دارة الملك عبد العزيز بالرياض سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) ما تزال هذه المؤلفات مخطوطة لم تطبع.

(٣) يوجد نسخة منه لدى ابنه إبراهيم بن عبد الله العمودي.

(٤) نشر هذا المؤلف في مجلة المنهل، ج١، ٢، ٣، مج ٣٨، ص ١١٣، ٢٠٦.

(٥) يوجد نسخة مخطوطة لهذا المؤلف بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود تحت رقم ٥٥٤.

على داود بن سليمان البغدادي، فقد ذكر الشريف في مقدمة كتابه هذا أن البغدادي بنى رسالته على ثلاثة أمور منها: « الانتقاد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأن ما جاء به وألفه مخالف للحق »[1]، وقد أجاب الشريف التهامي بقوله: « فرأيت الواجب عليّ أن أنبه على ما تضمنته تلك الرسالة من الاختلال »[2]، وقد أخذ من بعد ذلك يبين الحق ويفند حجج البغدادي. ويضاف إلى مؤلفات الشيخ محمد بن ناصر في هذا المجال "رسالة في المشاجرة مع أهل مكة المشرفة في المسائل التي اختلف فيها الوهابية وغيرهم"[3]. وله أيضا: "رسالة أخرى في إثبات الصفات"[4]، كذلك دل على أثر هذه الدعوة السلفية في ميدان التأليف بالمخلاف السليماني، تلك الرسالة المجهولة التي أُلفت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد وجدتها لدى أحد الأهلين بضمد[5] في الوقت الحاضر، مما يشير إلى إقبال أولئك العلماء على هذه الدعوة ونصرتها.

وإذا كان هذا أثر هذه الدعوة الإصلاحية في مجال التأليف بالمخلاف السليماني خلال القرن الثالث عشر الهجري، فإن أثرها في القرن الرابع عشر الهجري قد كان واضحا معروفا، وربما تجلى ذلك في مؤلفات نفر من علماء هذه الفترة، إذ كان من أبرزهم: الشيخ عبد الله بن علي العمودي، وصالح بن عبد الله العمودي (١٣٣١هـ - ...)، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي،

---

(١) ورقة ٣.

(٢) ورقة ٣.

(٣) صديق بن حسن القنوجي، كتابه السابق، ص ٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٥) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الأستاذ علي أبو زيد، وقد ذكر أبو زيد أنها من آثار الحسن بن خالد الحازمي. ولكنها - فيما يبدو - لا ترقى إلى أسلوبه وفكره.

وحافظ بن أحمد الحكمي، وأحمد بن يحيى النجمي، وغيرهم من مؤرخي المخلاف السليماني وعلمائه في هذا العهد السعودي الحاضر.

أما عبد الله العمودي فقد شهد انضمام المخلاف السليماني إلى بقية أجزاء البلاد السعودية في العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، حيث شهدت البلاد عندئذ تحوُّلا فكريا. وكان عبد الله العمودي حينئذ من أشهر قضاة الدولة الإدريسية، مما جعله يشارك في هذه اليقظة الفكرية بنتاجه العلمي الوافر، إذ ألف في تاريخ تلك الأجزاء من جزيرة العرب، وربط أحداثها بالنهضة السلفية التي صاحبت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أنشأ الرسائل العلمية المختلفة، وبخاصة في مجال المذاهب الدينية، إذ كان حريصا على مناظرة العلماء النجديين الوافدين على تهامة، وتقريظ مؤلفاتهم[1]. مما أوجد عندئذ يقظة سلفية جادة في ميدان التأليف.

أما صالح بن عبد الله العمودي، فقد تأثر حقيقةً بالدعوة السلفية، فألف في ظلالها كتاب "إرشاد الأمة إلى توحيد مذاهب الأئمة"[2]، وكتاب "مفتاح الجنة عقيدة أهل السنة"[3]، كما نظم شيئا من مؤلفات الحنابلة[4]، مثل:

(١) انظر مؤلفاته في هذا المجال في كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث، وانظر شيئا منها كذلك لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي، إلى جانب الرسالة المسماة بـ "الجواب الوافي من الاعتراض من قاضي أبي عريش عبد الله بن عبد العزيز الجافي"، و"تحفة الأدب بسيرة ملك العرب" في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود، و"خلاصة الكلام فيما أشكل واستطار بين الأنام"، ورسالته التي ألفها في تقريظ إحدى رسائل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

(٢) ناصر قاسم، مع رجال الفكر في صوامعهم، مجلة المنهل، ج٤، مج ١٨، س ٢٢، ١٣٧٧هـ، ص ٢٥١.

(٣) أحمد بن صالح العمودي، مع رجال العلم والقضاء، مجلة المنهل، ج ٨، مج ١٩، س٢٣، ١٣٧٨هـ، ص ٢٧٢.

(٤) مثل: عمدة الفقه لابن قدامة الحنبلي.

منظومته الزمردة نظم العمدة[1]، التي يقول فيها:

وقـــد نظمت هذه الأرجـــوزه حـــاوية مـــذهبـــه نفـــيســـه
لأنني قـــد طالما فـــتـــشت في مـذهب الإمـام[2] مـا وجـدت
مـؤلفـا مـخـتـصـرا مـهـذبا منظمـا مـقـربا مـا صـعـبـا [3]

وكان المعلمي من قبل قاضيا للإدريسي، ثم أصبح من علماء البلاد السعودية، إذ عكف على تحقيق التراث، وأفاد في مجاله بروح سلفية جادة[4]. وقد تأثر حافظ الحكمي بشيخه عبد الله القرعاوي حينما وفد القرعاوي إلى سامطة في العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري، فألّف عدداً من المؤلفات السلفية النافعة[5]. وقد سلك زميله أحمد بن يحيى النجمي سبيله، فألّف في هذا الميدان قدرا نافعا من المؤلفات[6]، هذا بالإضافة إلى نتاج مؤرخي المخلاف السليماني، وكُتّابه الآخرين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

والحق أن أثر هذه الدعوة السلفية في مجال التأليف بالمخلاف السليماني،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٢) يعني الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، فقد قال في المنظومة نفسها:

فلم أر مـحـقـقـا منقـحـا في مذهب مصححا مدققا
مـثل الإمـام العـالم الرباني أحـمـد بنَ حنبل الشـيـبـاني

ص ٢٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(٤) أحمد بن محمد الضبيب، على مرافئ التراث، ص ١٢٣.

(٥) أحمد بن حافظ الحكمي، من أعلام الجزيرة العربية، مجلة اليمامة، ع٢٤٣، س٦، ٤ / ٢ / ١٣٩٣هـ، ص ٣٠. وانظر: مجلة العرب، ج٣، س ٧، ص ٢٣٠.

(٦) من مؤلفاته: تأسيس الأحكام، وهداية الحائر إلى تحقيق الحق في زيارة قبر النبي وسائر المقابر، تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة.

قد تميَّز عن سواه بالوفرة والشمول، إذ صاحب ظهور هذه الدعوة الإصلاحية منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري يقظة فكرية جادة، اتسم نتاجها بصلاح العقيدة وصفائها. وعلى الرغم من تقلُّص مدى هذه الدعوة السياسي، وضعف نتاج العلماء من بعد ذلك فإنها لم تخمد جذوتها حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث غدت تلك الأنحاء من خير البلاد السعودية نشاطا في مجال التأليف واليقظة العلمية، إذ توافر لها من أسباب النهضة العلمية ما هيأ لها المناخ العلمي المناسب؛ مما جعل أبناءها يقبلون على بناء حياتهم الفكرية والثقافية في ظلال نهج هذه الدعوة الإصلاحية.

أما أثر هذه الدعوة السلفية في مجال التأليف باليمن، فقد كان واضحا رغم تغافل بعض الباحثين في تأريخ الفكر اليمني له، فقد نجم عن ظهور هذه الدعوة الإصلاحية بتلك الأنحاء اختلافات في وجهات النظر، أدت إلى يقظة في النتاج الفكري، فحينما كان مؤيدو هذه الدعوة السلفية ينافحون عنها ويشرحون مبادئها، كان المعارضون لها يسعون في تعطيل نشاطها، ويوسِّعون دائرة الخلاف حولها، مما تسبب في إيجاد حركة فكرية في ميدان التأليف باليمن، ولعل علماء الزيدية في صنعاء وما حولها من أكثر علماء اليمن حماسة في مناهضة الفكر السلفي بتلك الأنحاء، وربما أشبههم في ذلك علماء حضرموت، ولكنهم كانوا أقل نشاطا منهم، إذ برز من أولئك العلماء الحضرميين علوي بن أحمد الحداد[1] (. . . - ١٢٣٢هـ) الذي لقي بسبب معارضته ردودا جادة من لدن علماء الدعوة السلفية في نجد، من أمثال: سليمان بن سحمان في كتابه "الأسنة الحداد". أما العلماء الشافعيون في

(١) انظر مؤلفاته التي عارض بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، لعبد الله بن محمد الحبشي، ص ١٤٠.

تهامة. فقد كانوا رغم مشاركتهم الضئيلة في سبيل الدعوة السلفية من خير علماء اليمن تفهُّما لحقيقتها، وربما دل على ذلك تأريخ أحمد بن أحمد النعمي الذي صوَّر حال تهامة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ورغم ذلك فإن أثر هذه الدعوة السلفية في مجال التأليف باليمن يشبه - إلى حد كبير - ذلك الأثر السلفي الذي ظهر في مؤلفات علماء المخلاف السليماني ورجال ألمع من حيث العناية بتسجيل أخبار هذه الدعوة والاهتمام بتدوينها، فقد أفاض العلماء اليمنيون في ذكر أحداثها، إذ كانت كما قال عبدالله بن محمد الحبشي: « حديث القرن الثالث عشر الهجري وشُغْله الشاغل »[1]، ولعل من أشهر هذه المؤلفات التي تعرضت لذكر هذه الدعوة الإصلاحية في هذه الفترة: "البدر الطالع"، و"رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين"[2] لمحمد بن علي الشوكاني، و"درر نحور العين" للطف الله جحاف، و"التقصار" لمحمد بن حسن الشجني، و"فتح الكبير المتعال الفارق بين الهدى والضلال"[3] لإبراهيم بن محمد الأمير.

وإذا كان خير ما يميِّز تلك المؤلفات اليمنية السابقة الإنصاف المعتدل إلى حدٍّ ما، فإن ظهور هذه الدعوة السلفية باليمن قد أوجد عند طائفة من علمائها ومؤرخيها دافعا للمعارضة والتأليف، ورغم تطرف تلك المؤلفات المعارضة وبعدها عن الإنصاف، فإن نشوءها يُعَدُّ أثرا فكريا من آثار هذه الدعوة

---

(١) انظر مقالة: تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط يمني، مجلة العرب، ج١، س٧، رجب ١٣٩٢هـ، ص ٣٣.

(٢) ذكر محمد بن حسن بن أحمد الغماري في كتابه "الإمام الشوكاني مفسرا" أن هذه الرسالة توجد في المكتبة المتوكلية بجامع صنعاء في مجموع ٩٥، وحينما زرت اليمن في رحلة علمية عام ١٤٠٢هـ لم أجد هذه الرسالة في المجموع الذي ذكره الغماري.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٠.

الإصلاحية في مجال التأليف، وربما كان من أبعدها شططا عن الحق كتاب "الغطمطم الزخار المطهر لحدائق الأزهار"[1] الذي ألّفه محمد بن صالح حريوة السماوي (. . . - ١٢٤١هـ) ردا على مؤلف "السيل الجرار" للشوكاني، إذ غالى السماوي في ردّه، وقال في مقدمة كتابه: إن آثار هذه الدعوة السلفية حينذاك قد «علقت ببعض من ينتحل العلم ويدعيه من أهل صنعاء»[2]، ورغم القسوة التي نقد بها السماوي كتاب الشوكاني فإن حججه قد أتت واهية، إذ كان مردّها التعصب والهوى.

هذا بالإضافة إلى المؤلفات التاريخية الأخرى التي نالت من هذه الدعوة السلفية، ومنها: رسالة "لفحات الوجد من فعلات أهل نجد"، لمحسن بن عبد الكريم بن إسحاق[3]، ورسالة "السيف الهندي في إبانة طرائق الشيخ النجدي"[4] لعبد الله بن عيسى الكوكباني، ورسالة أخرى ليوسف بن إبراهيم الأمير[5]، وكتاب "صاعقة العذاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب في هدم القبور والقباب لأحد علماء زبيد"[6].

ويبدو أن دافع الحقد والتعصب قد دعا أحد ولد محمد بن إسماعيل الأمير[7]، أو بعض تلامذته إلى شرح المنظومة المزعومة في نقض ما قاله محمد ابن إسماعيل الأمير من قبل في تأييد هذه الدعوة السلفية، وقد سمّى الشارح

(١) توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، مجموع ١٧٦ فقه.
(٢) ورقة ١.
(٣) توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٢١ علم الكلام.
(٤) محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، لفحات الوجد، ورقة ٣.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٦) إسماعيل بن علي الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن ص ١٦٦.
(٧) سليمان بن سحمان، تبرئة الشيخين، ص ٣.

هذا الشرح: "إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبدالوهاب"[1]، والحق أن هذا الشرح لتلك المنظومة المنحولة لم يكن لمحمد ابن إسماعيل الأمير، وذلك بحجة مخالفة منهجه العلمي عند التأليف، إذ كان هذا الشرح - فيما يبدو - أقرب إلى شرح طلاب العلم المبتدئين، وبخاصة حينما برزت ملامح الإلحاح والتقصّي، وهذا لن يكون صادرا من عالم جليل مثل محمد بن إسماعيل الأمير، فليس في الغالب بحاجة إلى إيراد أقوال العلماء بهذه العناية الفائقة، وذاك على الأقل لا يهيئ للأمير فرصة مثل هذه للبحث والتقصّي. هذا بالإضافة إلى أن ما يلفت نظر الباحث قول الشارح نفسه: « ولما اطلع على ما نظمه سيّدي العلامة شيخ الإسلام - رحمه الله - الشيخ العلامة ناصر بن حسين المحبشي - رحمه الله - سأل سيدي العلامة . . . »[2]، مما يدل أن هذا القول وغيره مضاف إلى الشرح وليس من كلام الأمير، كما يدل على أن هذا الشرح، قد وُضع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث وُجد عندئذ صراع مذهبي جاد حول هذه الدعوة ومؤيديها.

ومهما يكن من أمر فإن أثر هذه الدعوة السلفية في ميدان التأليف باليمن كان واضحا في نتاج العلماء اليمنيين في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين ألّف نفر من علماء اليمن أنفسهم في هذا المجال السلفي متأثرين بهذه الدعوة الإصلاحية وعلماء الحنابلة المشهورين، ولعل من أشهر تلك المؤلفات: "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار شرح كتاب عبد السلام بن تيمية"[3] (. . . - ٦٥٢هـ) و "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد"[4]،

(١) توجد نسخة من هذه الرسالة المخطوطة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير في مجموع ٦٠ حديث.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٨.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، مصادر الفكر اليمني، ص ٧١.

(٤) أحمد بن حافظ الحكمي، الإمام محمد بن علي الشوكاني أديبا شاعرا، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٧، ١٣٩٧هـ، ص ٣٢٥.

و "شرح الصدور في تحريم رفع القبور "[1]، و "التحف على مذهب السلف " [2] لمحمد بن علي الشوكاني الذي نهج منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حيث الاجتهاد ومحاربة التقليد[3]، فقد ألف في هذا الجانب رسالته " القول المفيد في حكم التقليد "[4]. كذلك سلك لطف الله جحاف طريق شيخه الشوكاني، فألف كتابه " المرتقى إلى المنتقى في أحاديث الأحكام لعبد السلام ابن تيمية "[5] (. . . - ٦٥٢هـ)، مما جعل الشوكاني يتميز بمدرسة سلفية معروفة في اليمن.

وإذا كان أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجال التأليف باليمن في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري قد أصبح ضعيفا، فإنما ظل من بعد ذلك مسايراً للاتجاه المذهبي الذي نشأ لدى اليمنيين في القرن الرابع عشر الهجري من أجل إحياء المذهب الزيدي، وربما نتج عن ذلك تأليف بعض المؤلفات الدينية ذات الطابع السلفي، وأخرى فكرية في ميدان التأريخ. أما المؤلفات ذات الصبغة السلفية، فلعل من أبرزها: " إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين " ، لمحمد بن محمد الصنعاني، و "كشف مشتبهات الأمور، عما يشرع ويمنع من زيارة القبور "[6]، و " السبائك اللازمة على الأسئلة الحجازية "[7] لمحمد بن علي الشرفي، و "إعانة المسترشدين على اجتناب البدع

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٢٢٣.

(٢) أحمد بن حافظ الحكمي، محمد بن علي الشوكاني أديبا شاعرا، ص ٣٢٦، انظر كذلك مجموع ١٩٣ المكتبة الغربية بجامع صنعاء.

(٣) أحمد أمين، زعماء الإصلاح، ص ٢٤.

(٤) طبعت هذه الرسالة مرارا.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٨١. انظر كذلك: حدائق الزهر، ورقة ٥٦.

(٦) إسماعيل بن علي الأكوع، كتابه السابق، ص ٣٠٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

في الـدين "[1]، لعثمـان بن عبد الله بـن عـقيل العـلوي (. . . - ١٣٣٣هـ) و "السيف الباتر لعباد المقابر "[2]، لعقيل بن يحيى بن محمد الأرياني (. . . - ١٣٤٦هـ).

أما في التاريخ فقد حفل بهذا الجانب عدد من المؤلفات، على الرغم من أنهـا لم تخـصص لهـذه الدعـوة السلفـيـة - فـيمـا يـبدو - مـجـالا مناسـبـا لنقل أخبـارها، ومع ذلك فـقـد وُجـد منهـا في هذا الميـدان كـتب وافـرة، لـعل من أشـهـرها: "نيل الوطر في تراجم علمـاء القرن الثـالث عشـر" لمحمـد محـمـد زبارة، و "بلوغ المرام في شـرح مـسك الختـام" لحسين بن أحـمـد العـرشي، و "فرجة الهموم والحزن" للواسعي. هذا إلى جانب إيقاظ الروح المذهبية لدى علماء اليمن أنفسهم، حينما أخذوا يؤلِّفون في ميدان مذهبهم الزيدي الذي استطاع أن يؤثر بفاعلية في نشاط الحركة الفكرية في مجال التأليف والنتاج الفكري باليمن، إلى جانب اهتمام أولئك العلماء أنفسهم بطبع كتب الزيدية وإخراجها، وقد قال في ذلك محمد محمد زبارة:

والعزم في السبع بعد الأربعين إلى   مصر لطبع علوم الآل والسنن[3]

وفي الحقيقة أن المتتبع لأثر الدعوة السلفية في التأليف والنتاج الفكري باليمن يدرك اتجاهين مختلفين: أحدهما مؤيِّد، والآخر معارض، وكلاهما يسلك منهجا خاصا به، فالعلماء اليمنيون المؤيدون كانوا أسبق زمنا في مجال البـحث والتـدوين، وهم الذين أسسـوا فكرة السلفـيـة في اليمن، وأصبـحت نتائجهم مثمرة نافعة منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ولعل

(١) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج٢، ٥٥٧.

(٢) عبد الله بن محمد الحبشي، مصادر الفكر اليمني، ص ١٤٦.

(٣) الأنباء، ص ٦١.

اليقظة التي وُجدت في اليمن عبر أدواره التاريخية والسياسية في العصر الحديث كان مردّها هذه السلفية الصالحة. أما العلماء المعارضون فقد أدى بهم التعصب والتزلُّف من حكام اليمن الزيديين إلى تجاوز عرف العلماء ووقارهم، فقد شطَّ بهم الهوى، وأخرجهم عن طورهم الإنساني المعهود، إذ ظل تعصبهم المذهبي يسري في مؤلفاتهم حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث فتر ذلك الميل، وأخذوا يتبصرون في أمورهم، ويدركون الحقيقة، ولعل هذين الاتجاهين قد أثرا في تاريخ اليمن الفكري من حيث اليقظة الفكرية السلفية والنشاط العلمي في مجال: التأليف، والتدوين.

ثانيا: في التعليم

لقد كان لهذه الدعوة السلفية أثر في إيقاظ الفكر السلفي في مجال التعليم التقليدي بجنوبي الجزيرة العربية. وذلك حينما نفر طائفة من أبناء: عسير، ورجال ألمع، والمخلاف السليماني، واليمن إلى الدرعية[1] للأخذ عن علماء الدعوة الأصليين، حيث انتشرت من بعد ذلك تعاليم هذه الدعوة الإسلامية بتلك الأنحاء، وأخذ أمراؤها ودعاتها يفضلون تطبيقها والسير على منهجها، هذا إلى جانب شيوع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين الأهلين وطلبة العلم، مما هيأ المناخ العلمي المناسب ويسر سبله، ولعل الأثر

(١) منهم: محمد وعبد الوهاب من طبب، وعرار بن شار، وأحمد الفلقي من المخلاف السليماني، وبعض طلبة العلم من خثعم وغامد ورجال ألمع. وقد ذكر عبد العزيز بن مشيط أن جده مشيطا ورجلين من ناهس بشهران قد رحلوا إلى الدرعية عندئذ من أجل طلب العلم، وأنهم قد عادوا ومعهم أحد مشايخ الدرعية، وذلك من أجل تعليم الأهلين بخميس مشيط، انظر: جريدة الجزيرة، ع ٣٩٠٩ في ٢٢/ ٨/ ١٤٠٣هـ ص ٨. وقد قال المؤرخ عثمان بن بشر في معرض حديثه عن أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦هـ: «ولقد رأيت لهؤلاء الأربعة العلماء الأجلاء مجالس ومحافل في التدريس في بلد الدرعية، وعندهم طلبة علم من أهل الدرعية، ومن أهل الآفاق من أهل صنعاء وزبيد...». عنوان المجد، ج١، ١٨٦.

الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في مجال التعليم بتلك الأنحاء يتجلى في عسير، إذ عُرف عن بقية بلدان جنوبي الجزيرة العربية حينذاك تقدمها النسبي في ميدان التعليم، ولكنّها رغم ذلك كانت جميعها تحتاج إلى مثل تلك اليقظة السلفية التي تدعو إليها هذه الدعوة الإصلاحية، فقد دل على ذلك ما كان يفعله أمراء عسير من أجل نشر مبادئ هذه الدعوة وتعاليمها، إذ وُصف عبد الوهاب بن عامر المتحمي بأنه كان يقوم بدفع شيء من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى ذوي الجاه والأعيان، حينما كان يغشى بلادهم[1]. ويمكن للباحث تتبع ذلك الأثر السلفي من خلال المنهج الجاد الذي اضطلع به أولئك الدعاة، والأمراء السلفيون بتلك الأنحاء.

ولعل ذلك المنهاج السلفي يبرز لدى الأمراء العسيريين منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، حين كانوا يحرصون على إحياء حلقات التعليم. وذلك بما يقرؤونه فيها من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبخاصة كتاب التوحيد، فقد ذكر لطف الله جحاف أنه كان يحضر القراءة عند كل صباح جَمْعٌ كبير من الأهلين للاستماع والمذاكرة، إذ هم - كما وصفهم جحاف - يقبلون على حفظ ما يلقى عليهم بشغف ورغبة[2]، وذلك ما مكنه في قلوبهم. وربما كان هذا المنهج التعليمي السلفي لا يقتصر على الأهلين المقيمين في عسير فحسب، وإنما كان منهجا تعليميا يسلكه الأمراء العسيريون أنفسهم أثناء نشاطهم العسكري بتلك المنطقة، فقد ذكر محمد بن أحمد الحفظي أن إسماعيل الحفظي قد كان يتولى « الدرس والتدريس»[3]، وأنه كان

(١) وثيقة خطية توجد لدى الباحث.

(٢) درَر نحور العين، ورقة ٢٦٥.

(٣) نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٤.

يرافق الجيوش التي بن يعقدها أولئك الأمراء العسيريون في تلك الأثناء[1]، وقد أضاف محمد بن أحمد الحفظي إلى ذلك قوله: إنه هو ونفر من علماء آل بكري برجال ألمع قد كانوا «ملازمين على الكتاب والسنة ومقيمين على الدرس والتدريس»[2] أثناء عقد الجيوش وسيرها، هذا إلى جانب الحلقات العلمية التي كانت تقام في المساجد المشهورة، وبخاصة مسجد طبب المعروف الذي بُني عام ١٢٢٠هـ. وكان موئلا للدارسين وطلبة العلم[3].

وإذا كانت هذه الملامح الأولى للتعليم السلفي في عسير قد برزت في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فإن الأثر الحقيقي لهذا التعليم قد نشأ من بعد ذلك في تلك الأنحاء حين وُجد الأمراء السلفيون المخلصون الذين عُرِفُوا بمحبة العلم وأهله والتشجيع عليه، ولعل من أبرزهم الأمير علي بن مجثل، والأمير عايض بن مرعي.

أما ابن مجثل فقد كان محبا للعلماء، كثير الاجتماع بهم[4]، ولعل من أشهر مدارسه السلفية الأولية: مدرسة جامع الرَّوْشَن ببيشة[5] التي عرفت في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري.

أما عايض بن مرعي فقد كان يشجع التعليم، ويحض الناس عليه، إذ دلَّت الوثائق على حقيقة نهجه السلفي الجاد في مجال التعليم، وليس أدل على

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٨.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٦.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٥٦.

(٤) عبد الله بن علي بن حميد، دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب، ج ١١، ١٢، س٩، جماديان ١٣٩٥هـ، ص ٨٦٤.

(٥) Moruice, Temsier. Vorjage en Arabie, Parice. 1840/1256.
رحلة في بلاد العرب، ترجمة محمد عبد الله آل زلفة.

ذلك من تلك الوثيقة التي بعثها إلى ابنه محمد بن عايض، حينما كان نائبا عنه ببلاد غامد وزهران في العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري، إذ ألزمه فتح الكتاتيب في كل قرية، وحثّه على نشر التعليم والتشجيع عليه، ومما ورد في منشور محمد بن عايض إلى الأهلين بغامد وزهران قوله - على حد تعبيره - بأن الأمير عايض بن مرعي «أمرنا أن نأمر عليكم بالمعاليم[1] في كل قرية»[2]، وذلك يدل على الأثر السلفي الذي وُجد لدى الأمراء العسيريين في هذه الفترة.

وربما كان من أشهر المدارس السلفية بعسير في عهد الأمير عايض بن مرعي المدرسة الأولية التي أنشئت قبل عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م[3]، ومدارس التوحيد التي أمر بإنشائها عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م في قبائل: سحار، وبني جماعة، وبادية يام، وفي قبائل قحطان من قبل ذلك[4]. هذا بالإضافة إلى حلقات التعليم التي كانت تنشأ في أروقة المساجد والدور وبخاصة في مسجد السقا المشهور[5]. وقد كان عهد هذا الأمير حافلا بالنشاط، إذ «خصص في كل قرية معلّما لتدريس أهلها الفقه، وجعل جائزة لكل من يحفظ الكتب المقررة، وهي: الأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، وموجز عن فقه الشافعي»[6]. ويتضح من هذا النص أن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد كانت من مقررات التدريس بمدارس عسير في هذه الفترة، وأن الأمراء

---

(١) المعاليم: الكتاتيب.

(٢) توجد هذه الوثيقة المخطوطة لدى إبراهيم الحسيل بغامد.

(٣) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٩١.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٠٢, ١٠٣.

(٥) عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٦٩.

(٦) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١١٠.

والعلماء بهذه الأنحاء كانوا يحافظون على مبادئ هذه الدعوة السلفية، ويتمسكون بمؤلفاتها، ويسيرون على منهجها السلفي.

وقد كان عهد الأمير محمد بن عايض من بعد ذلك نشطا - إلى حد ما - في مجال التعليم، فقد كان من أبرز العلماء الذين تولوا التدريس في عهده الشيخ حمد بن عتيق الذي وفد إليه من نجد في نفر من أهالي الأفلاج[1]، مما دل على أثر هذه الدعوة السلفية، واتصالها في إمارة عسير وقبائلها. وقد دلت المصادر كذلك على أن جماعة من أهل العلم بنجد وفدوا إلى هذه الأنحاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري[2]، وذلك من أجل الاستقرار فيها والعمل على نشر التعليم. هذا إلى جانب هجرة نفر من علماء اليمن وتهامة إلى قبائل عسير، وإقبال علماء عسير أنفسهم[3]، وطلبة العلم عندهم على التنقل بين القبائل والقرى من أجل طلب العلم[4] ونشره، مما دل على أثر هذه اليقظة السلفية في مجال التعليم بهذه الأنحاء من جزيرة العرب.

ولعل من أبرز العلماء القائمين بالتعليم في عسير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري الشيخ مسفر بن عبد الرحمن الحنبلي[5] الذي عُمِّر

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٣) من أمثال: سحمان بن مصلح الخثعمي الذي وفد على الأمير عايض بن مرعي.

(٤) ورد في إحدى نسخ منهاج الطالبين المخطوطة القول التالي: «تمت القراءة في منهاج الطالبين وعمدة المفتين على يدي الشيخ العلامة البحر الفهّامة أحمد بن مسبل - أسبل الله على الجميع برضاه -، وهم: أولاد طه عبد الله وعبد الوهاب من بني شهر، وأولاده سعد وسعيد وعلي، سنة ١٢٨٩هـ».

(٥) قال أحمد بن عبد الخالق الحفظي في معرض حديثه عن شيوخه: «ومنهم الشيخ العلامة اللابس من التقى أفخر لامة شيخنا الشيخ المشهور بالعرفان، المعروف بالتحقيق والإتقان مسفر بن عبدالرحمن، الحنبلي مذهبا والدوسري بلدا. كان إمامًا جليلاً عالمًا، زاحم التسعين ولم يختل من حواسه ما يخل بمن زاحم تلك السنين، جلس بحجاز أزد شنوءة أكثر من ثلاثين سنة..» إجازة مخطوطة منه لأحد تلاميذه.

طويلا. وكان يتم كما قال أحمد بن عبد الخالق الحفظي: «في كل سنة إملاء الست الأمهات بغير إخلال، ويحل عن الطالب الإشكال»[1]. وكان له حلقة علمية يؤمها طلبة العلم من تهامة وعسير، إذ كان يدرس فيها الفقه الحنبلي، فقد ذكر أحمد بن عبد الخالق الحفظي بأنه قرأ عليه: «عمدة الأحكام للحنابلة، وزاد المعاد لابن القيم، والتوحيد[2] نحو أربع مرات»[3]، وإلى جانب ذلك وُجد من العلماء في عسير في هذه الفترة محمد بن حوقان الدوسري، وظافر ابن سعيد. فأما الدوسري، فقد كان على اتصال بالأمير عايض بن مرعي المغيدي[4]. وأما ظافر بن سعيد فكان عالما في الحديث، وقد لبث في مدينة زبيد سبع سنوات يطلب العلم[5].

وقد ضعف هذا الأثر السلفي في التعليم بعسير منذ استولى الترك عليها عام ١٢٨٩هـ، حيث دبَّ الخوف في قلوب الأهلين، وأخذوا ينفرون من الترك ومدارسهم، ولكنهم ظلوا محافظين على ميولهم السلفية، وعلى نشاطهم العلمي المحدود، فقد ذكر سليمان شفيق أن لكل قرية في عسير جامعا ومدرسة[6]، ولعله أراد بالمدارس الكتاتيب التعليمية، إذ يدل بقاؤها مرتبطة بالمساجد على أثر النهج السلفي في الأهلين بتلك الأنحاء.

---

(١) إجازة مخطوطة من أحمد عبد الخالق الحفظي إلى أحد طلبة العلم عنده. توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) الإجازة العلمية السابقة.

(٤) الإجازة العلمية السابقة.

(٥) الإجازة العلمية السابقة.

(٦) سليمان شفيق، بلاد العرب، مجلة العرب، ج١١. س٦، جمادى الأولى ١٣٩٢هـ، ص٨٦٢.

أما رجال ألمع فقد عُرفت من قبل بوفرة علمائها ونشاطهم، وأنهم كانوا قبل ظهور الدعوة السلفية في مدينتهم يحيون حياة علمية يقظة إلى حد ما، وما أن دخلوا في هذه الدعوة الإصلاحية حتى أقبلوا على نشر تعاليمها، وتعليم مبادئها، إذ اقترن واجبهم الديني بالعمل السياسي لدى أمراء عسير، فكانوا يصاحبون الجيش، ويقومون بتعليم أفراده ونصحهم منذ منتصف العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فقد أشار محمد بن أحمد الحفظي إلى بعض علماء آل بكري في جيش عبد الوهاب بن عامر المتحمي، وقال بأنهم كانوا يتولون التعليم، والإرشاد الديني[1]، وذلك يؤيد رغبة الأمير عبد الله بن سعود في ملازمة القاضي محمد بن عبد الهادي بن بكري للأمير عبد الوهاب المتحمي، حينما بعث إلى ابن عبد الهادي برسالة قال فيها: « فيوم صار ما في ديرتكم ما ينشبكم فانْحن نلزم عليكم ونعزم أنكم تنتقلون يم عبد الوهاب لأجل أنه مشفى عليكم ويعتاز لكم »[2]، وبمثل هذه الرسالة أُلزِم الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من قِبَل الإمام سعود بن عبد العزيز[3] بالبَقاء في عسير عند أميرها عبد الوهاب المتحمي من أجل: التعليم، وإرشاد الناس.

ولعل مصاحبة هؤلاء العلماء لعبد الوهاب المتحمي لا تقتصر فائدتها على تعليم أفراد الجيش فحسب، وإنما تبرز كذلك في تعليم الأهلين ووعْظهم أثناء التحرك الحربي، إلى جانب أثر أولئك العلماء في مجال التعليم حين عودة الأمير وأفراد جيشه، ولعل ما حفل به مسجد طبب وغيره من حِلَق التدريس يشير إلى عناية هؤلاء الحفظيين بالتعليم السلفي خارج مدينتهم.

---

(١) نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٤.

(٢) توجد هذه الرسالة الخطية في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة برجال ألمع.

(٣) تشير إلى هذا المعنى الرسالة الخطية التي بعثها محمد بن أحمد الحفظي إلى الأمير عبد الله بن سعود، وتوجد هذه الرسالة الخطية بمكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة برجال ألمع.

من عبدالله بن سعود الى الاخ محمد بن عبدالهادي بن داود سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد وصل الخط وصلكم الله لرضوانه وما ذكرت من نصر الله للاسلام واهله
فانه الحمد على ذلك وهو من الله نعمة قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد والذي نوصي به انفسنا ونوصيكم به بتقوى الله
وبالدعوة الى الله قال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال
انني من المسلمين فانتم اجتهدوا في حث الناس وامرهم بما يصلح دينهم ودنياهم
وارجو ان الله يستعملنا واياكم في طاعته والذي بخاطرنا لكم من مواصلة امرنا
العمال يقبضونها على عبدالوهاب ويشرفون عليها ان شاء الله ويذكر لنا ان
ديرتكم منشطرة عن عبدالوهاب والذي مثل عبدالوهاب سيرته عليكم بالملازمة
والمعاضدة في امور دينه ودنياه فيوم صار في ديرتكم ما يشبكم
فانحن نلزم عليكم ونعرفكم انكم تستقلون عن عبدالوهاب لاجل انه مسلط
عليكم ورعيتاً لكم وواجبكم نقوم به ان شاء الله وما نابكم من الدقيق الامور
وجليلها نقوم به والمأمول فيكم الامتثال ساعة يجيكم الكتاب ان شاء الله
وهذا امر لكم فيه مصلحة امر دينكم وامر دنياكم وانتم بحفظ الله وامانه والسلام

رسالة الإمام عبدالله بن سعود

إلى الشيخ محمد بن عبدالهادي

وإذا كان هذا جزءاً من عمل علماء آل بكري خارج مدينة رجال ألمع ، فإن مقامهم في مدينتهم قد ازداد نشاطا حين كانت تضع الحرب أوزارها في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري وما بعده، إذ دل حال أولئك العلماء في ظلال هذه اليقظة السلفية على نشاطهم التعليمي المستمر ، فقد كان أحمد ابن عبد القادر الحفظي يتولى التدريس في مسجد رجال ألمع[1] . وكان لإبراهيم ابن أحمد الزمزمي مجالس للتدريس[2]، كما كان لعبد الخالق بن إبراهيم الحفظي حلقات تعليمية في المسجد برُجَال . ويؤكد هذا أحمد بن عبد الخالق الحفظي الذي ذكر بأنه قرأ عليه « صحيح البخاري بجامع رُجَال المشهور بالعلم والعمل وإخلاص الوحدانية لله عز وجل»[3] .

هذا إلى جانب المدرسة الحفظية التي اشتهرت برجال ألمع . وكان يفد إليها طلبة العلم من أنحاء عسير ومن غيرها . إذ وجدوا عندئذ من أمراء عسير التأييد والموافقة، ولعل ما كان يعتمد إليه الأميرعايض بن مرعي من تشجيع طلبة العلم في عسير على الرحلة في سبيل العلم إلى المدرسة الحفظية برجال ألمع[4] يدل على ما كانت عليه رجال ألمع عندئذ من يقظة سلفية في مجال التعليم . وقد دل على استمرار نشاط هذه المدرسة من بعد ذلك ما قاله أحمد بن عبدالخالق الحفظي عند الحديث عن شيخه سليمان بن محمد الحفظي ، وبأنه كان « رئيس المدرسة الحفظية ، وجامع دفاترها المرضية »[5] ، ولكن هذا الحال

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ص ٢٣ .

(٢) الحسن بن أحمد عاكش ، عقود الدرر ، ورقة ٥٩ .

(٣) إجازة أحمد عبد الخالق الحفظي لأحد تلامذته ، وتوجد هذه الإجازة لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها .

(٤) عبد الرحمن بن محمد الحفظي ، تأريخ المُلْك العسيري ، مخطوط ، ورقة ٢ .

(٥) إجازة خطية من أحمد عبد الخالق الحفظي لأحد تلامذته .

لم يدم حيث استولى الترك على تلك الأنحاء أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأخذوا يشرِّدون علماءَها ويأسرونهم، مما جعل مدينة رجال ألمع تعيش من بعد ذلك حياة علمية ضعيفة إلى حد ما.

ومن الملاحظ أن أثر الدعوة السلفية في مجال التعليم بالمخلاف السليماني، قد كان واضحا في غضون الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري شأن بلاد اليمن. وذلك حينما قبلت هذه الأنحاء دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وأخذت بتعاليمها، فقد نتج عن ذلك أن عاد دعاتها السلفيون من نجد وهم يحملون مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «في قواعد الإسلام والإيمان وتوحيد الربوبية والألوهية»[1]. وكان العلماء الحفظيون حينما يغشون المخلاف السليماني في منتصف العقد الثاني من القرن الثاني عشر الهجري يسلكون منهجا مميزا في التأثير العلمي، إذ كانوا يختارون شيئا من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويدفعون بها إلى بعض أشراف المخلاف السليماني وعلمائه الذين «أطربهم ذلك وبهرهم»[2] كما قال الحفظي.

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق ذكره جهود الدعاة[3] السلفيين الوافدين من نجد إلى هذه الأنحاء، حيث كانوا يتولون القراءة في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويتدارسون مسائله وفوائده، وذلك في أوقات معلومة. وقد أشار إلى هذا الحال أحد أولئك الدعاة في رسالة بعث بها إلى

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٩١.

(٢) حولية مخطوطة لأحد علماء آل الحفظي.

(٣) ذكر لطف الله جحاف أن أولئك الدعاة هم: جمعان بن ناصر، وعبد الله بن عيسى، وسعيد بن سعيد، وقد أورد لهم جحاف خطابا جاء فيه أن الإمام سعود بن عبد العزيز أوجب عليهم السفر إلى «الشريف حمود لأجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى». انظر درر نحور العين، ورقة ٤٦٣.

أحد علماء عسير المقيمين في اليمن، إذ قال بأن الناس كانوا يرجعون عليهم في « وقت الضحى وبعد المغرب »[1] من أجل القراءة « عليهم في التوحيد»[2].

ولعل المتتبع لهذا الأثر الفكري يدرك أن مدن المخلاف السليماني في تلك الفترة أصبحت - كما قال عاكش - « منهل وارد، وبغية قاصد »[3]، وذلك حين « عمرت . . . المدارس، وانتعش من المعارف كل دارس»[4]، وغدا لكل مسجد معلم يتولى التدريس والإرشاد[5]، حيث أصبح « التعليم في كل مسجد»[6]. كما تقرر للعلماء الوافدين على تلك الأنحاء جرايات مستمرة[7]، مما هيأ سبل ازدهار العلم وحض الناس عليه[8]، ولعل من أشهر المدارس السلفية بالمخلاف السليماني في هذه الفترة مدرسة الحسن بن خالد الحازمي، فقد وُصِف صاحبها بأنه « في أيامه عمرت بالعلوم المدارس »[9].

والحق أن الحازمي من أبرز علماء تهامة تشجيعا للعلم، ونصرة لهذه الدعوة السلفية، فقد نتج عن اتصاله الفكري بالدرعية في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أنه - فيما يبدو - منح بعض علمائها إجازات علمية، فقد ذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام أنه اطلع على إجازة

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٤٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٦٣.
(٣) الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٥.
(٤) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ٣٨.
(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٣٦.
(٦) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٧٠.
(٧) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٩.
(٨) الحسن بن أحمد عاكش، الذهب المسبوك، ورقة ١٠١، ١٠٢.
(٩) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٤.

للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٠١ - ١٢٣٣هـ) من الشيخ الحسن بن خالد[١] . وذلك يشير إلى أثر هذه الدعوة السلفية في مجال التعليم، وأن علماء نجد قد كانوا يستجيزون من علماء تهامة، مما يصور الفكر السلفي المعتدل الذي اتفق في ظلاله هؤلاء العلماء السلفيون.

ومهما يكن من أمر فإن الظاهر في حال هذه المنطقة أنها أصبحت مُهَاجَرا لطلب العلم، والاتصال الثقافي بين علماء اليمن وأمثالهم من علماء المخلاف السليماني، فقد شهدت هذه الأنحاء كثيرا من العلماء الوافدين وطلبة العلم[٢] خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ولعل خير مثال لاتصال الأثر السلفي من بعد ذلك في مجال التعليم بالمخلاف السليماني، ما التزمت به مدرسة الحسن بن أحمد عاكش خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري من المحافظة على نهج مدرسة الحازمي السلفية التي يعد أحد طلبتها المشهورين، فقد ظلت هذه المدرسة تستقبل طلاب العلم السلفيين من رجال ألمع وغيرها. وكان صاحبها عاكش عندئذ من المتأثرين بالشيخ الحسن بن خالد الحازمي، ومن الذين ناصروا فيما بعد أمراء عسير بالقول الثابت والعمل المفيد[٣] . وقد أشار الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي في إحدى إجازاته العلمية إلى هذه المدرسة وصاحبها بقوله: « لقد بت معه دام فضله وانبسط من عرفانه ظله استماع صحيح البخاري بحضرته وقراءة ما قرأت بمدرسته، منها:

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، ج١ ، ص٢٩٤ . وقد قال ابن بسام: « اطلعت على إجازة له، فيها ما يلي: « هذه إجازة للشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب التميمي النجدي من الشيخ الإمام الحسن بن خالد الشريف الحسني إجازة أن يروي عنه دواوين الإسلام الستة: صحيح البخاري وصحيح مسلم. . . ». ص ٢٩٤ .

(٢) انظر - على سبيل المثال - نيل الوطر لزبارة، ج١، ص ٣٠، ٤٠ .

(٣) انظر رسالته: الدر الثمين، وهي مطبوعة.

" عمدة الأحكام لابن قدامه الحنبلي . . . "[1]، ومع ذلك فقد عُدَّ العهد التركي الأخير بداية لضعف الأثر السلفي في مجال التعليم بهذه الأنحاء، فلا غرو، فذلك موقف تركيا من هذه الدعوة السلفية ورجالها.

وربما تُعَدّ بلاد اليمن من أقل أجزاء جنوبي الجزيرة العربية تأثرا بهذه الدعوة السلفية في مجال التعليم، وذلك لتعصب علمائها الزيديين، ولكون المد السياسي لهذه الدعوة الإصلاحية لم يغش سوى تهامة اليمن في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وهذا لم يفسح المجال لانتشار مبادئها وتعاليمها، ورغم ذلك فقد وُجد شيء من الأثر، وبخاصة في تلك الفترة التي ظهرت فيها الدعوة ببلاد اليمن ، وفي العهد السعودي الحاضر.

ولعل من آثار هذه الدعوة السلفية في ميدان التعليم بتهامة اليمن ما ذكره أحد علماء آل الحفظي في إحدى حولياته المكتوبة حينما أشار إلى ظهور الدعوة بتلك الأنحاء، وأنها ظهرت بسببها الطاعات « وتعلُّم الجهال»[2]، وربما كان إقبال الأهلين بتهامة اليمن عندئذ على تعليم مبادئ الدعوة السلفية، وما ترمي إليه من إصلاح، يُعَدّ من آثار هذه الدعوة في مجال التعليم التقليدي الذي عُرف عندئذ بتلك الأنحاء، هذا بالإضافة إلى أن هجرة جماعة من طلاب العلم بتهامة وعسير إلى بيت الفقيه، والزيدية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجريين، يهيئ أثرا سلفيا في مجال التعليم. وذلك حينما وفد هؤلاء الطلاب على الشيخ محمد حسن فرج[3] (١٣٤٠ - ١٣٠٦هـ)، والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله القديمي[4]

---

(١) إجازة الحفظي السابقة.

(٢) حولية مخطوطة لأحد علماء آل الحفظي، توجد لدى الباحث.

(٣) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ١٤.

(٤) محمد محمد زبارة، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ج١، ص ٣٤١.

(١٢٥٤ - ١٣٣٠هـ)، إلى جانب هجرة بعض طلبة العلم من نجد الى تهامة اليمن[1]، مما قد يهيئ فرص التأثير العلمي في مجال التعليم بتلك الأنحاء.

أما أثرها في صنعاء وما حولها في تلك الفترة الأولى، فربما كان للوافدين إليها من الدعاة السلفيين أثر في التعليم نتيجة لما كان يجري بسببها من النقاش العلمي، فقد ذكر لطف الله جحاف أن هنالك نفرا من الدعاة السلفيين وفدوا إلى اليمن، وأقاموا فترة في كوكبان[2]. وكان لهم مشاركات علمية وأدبية[3]، ثم ذكر بأن هؤلاء النفر وفدوا إلى صنعاء بعد ذلك[4]، ولعل مثل هذا - على الأقل - يبعث لدى العلماء اليمنيين أنفسهم وطلبة العلم عندهم شعورا علميا قد يناقشون بسببه - في حلقاتهم العلمية - شيئا من القضايا الدينية المختلفة.

ولقد أشار إلى مثل هذا الشوكاني حينما تحدث عن أولئك العلماء الذين كانوا يفدون إلى صنعاء، إذ ناقش فكرة مجيئهم إلى اليمن، ثم إن الشوكاني نفسه قد منح رجالا من علماء الدعوة السلفية بنجد إجازات علمية، لعل من أشهرهم سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[5]. وربما كان لرحلة طلاب العلم اليمنيين إلى علماء الدعوة السلفية في القرن الثالث عشر الهجري أثر في التعليم باليمن[6]. وذلك حينما يفيدون من أولئك العلماء، ويتأثرون بهم.

أما حضرموت وما حولها، فقد ذكر صلاح البكري أن السلفيين حينما

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، كتابه السابق، ج٢، ص ٨٦٣.

(٢) درر نحور العين، ورقة ٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٤٩، ٤٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٤٥٤.

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، كتابه السابق، ج١، ص ٢٩٤.

(٦) عبد الله بن سعد الرويشد، كتابه السابق، ص ٢٠٥.

وفدوا إليها عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، ألزموا عبد الله بن أحمد بن يماني، وعبدالله عوض غرامة بنشر الدعوة السلفية، ومحاربة الخرافات شريطة عدم تدخل أولئك الدعاة السلفيين في شؤون تريم[١]، وإذا صح هذا، فإن ذلك الاتفاق يُلزم هذين الرجلين بعقد الحلقات العلمية، وتعليم الناس مبادئ هذه الدعوة، مما سيكون له أثر في التعليم التقليدي بتلك الأنحاء.

أما الأثر الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في مجال التعليم بجنوبي الجزيرة العربية، فقد نشأ منذ أخذ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يؤلف بين أجزاء البلاد السعودية، إذ ضُمت عسير إلى هذه الأجزاء عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وأصبحت تهامة جزءا من هذه البلاد عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ومنذ ذلك التاريخ أخذ القائمون على هذه البلاد يعملون على نشر التعليم في تلك الأنحاء متخذين منهج الدعوة السلفية سبيلا لنشره وتعميمه، وذلك في ضوء كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين. وقد كان ذلك أيضا سببا في إيجاد أثر حقيقي للدعوة السلفية في ميدان التعليم باليمن، فقد صور عبد الله بن علي العمودي هذا الحال في المخلاف السليماني بقوله: «لقد عادت البلاد أحسن ما كانت عليه من العمران.. والديانة وترقية الأبناء في المدارس العلمية والأدبية»[٢].

ولعل ذلك العهد قد أوحى للنابهين من أبناء تلك الأنحاء بفتح الكتاتيب التعليمية وإحياء الحلقات العلمية، والرحلة في طلب العلم، إذ أخذ أولئك المهاجرون في طلب العلم من بعد عودتهم يتولون القضاء ويرشدون الناس، ويحيون الحلقات العلمية بالدرس والتعليم، هذا إلى جانب جهود الوافدين لهذه الأنحاء من القضاة والمرشدين. ولم يأت العقد السادس من القرن الرابع

(١) في جنوب الجزيرة العربية، ص ١٤١.

(٢) مجموعة أوراق للعمودي، مخطوط، وغير مرقم الأوراق.

عشر الهجري حتى فُتحَت المدارس النظامية، فقد أُنشئ عندئذ مدرسة ابتدائية في الظَّفيرْ بغامد عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م[١]، وبعد ذلك فُتحَتْ في أبها وبيشة مدرستان عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م[٢]، وكانت قد فُتحَتْ في هذه الأثناء مدرسة ابتدائية في جازان[٣]. كما فُتحَتْ في صبيا ومُحايَل مدرستان عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، وكانت مدرسةَ بني سار بزهران قد فُتحَتْ عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م[٤].

وفي هذه الأثناء وفد الشيخ عبد الله محمد القرعاوي إلى سامطة بجازان، وأخذ ينشر مبادئ الدعوة السلفية، وينشئ مدارسه الدينية في تهامة وعسير[٥]، معتمدا في الغالب في تدريسه على مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وآثار الشيخ ابن تيمية، وابن القيم رحمهم الله[٦]. وذلك برعاية الدولة السعودية، وجهوده الخاصة، وما يبذله طلبة العلم المخلصون عنده. وقد نتج عن انتشار مدارس القرعاوي بهذه الأنحاء من جزيرة العرب أنْ أقبل طلبة العلم من تهامة اليمن إلى سامطة ينهلون العلم من هذه المدارس، ويعودون من بعد ذلك إلى بلادهم، حيث يقومون بفتح المدارس المماثلة في أوطانهم[٧]، إذ يُعَدّ هذا الأثر من آثار الدعوة السلفية في مجال التعليم، هذا

---

(١) حامد عطاس، التعليم في منطقة الباحة، جريدة الجزيرة، ع٢٤٢٥ (الإثنين ٧ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ)، ص ١٦.

(٢) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٧٣.

(٣) وثيقة مطبوعة بالآلة الكاتبة، برقم ١٩٨٨ في ١٣/ ٩/ ١٣٥٥هـ، مكتبة الوثائق التربوية، وزارة المعارف، الرياض.

(٤) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٦٨، ٦٩.

(٥) عبد القدوس الأنصاري، مؤسس مدارس الجنوب، مجلة المنهل، ج٥، س ٨، جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، ص ١٨٩ - ١٩٥.

(٦) أحمد بن حافظ الحكمي، الشيخ عبد الله القرعاوي، مجلة العرب، ج٧، ٨، س ٨، محرم وصفر ١٣٩٤هـ، ص ٣٢٥.

(٧) مقابلة شخصية مع أحمد بن يحيى النجمي، (سامطة في ١٢/ ١٠/ ١٤٠٢هـ).

إلى جانب أن اتجاه الرحلة في طلب العلم إلى اليمن من تهامة وعسير، قد ضَعُفَ نشاطه منذ عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، حيث أخذ الطلاب يفضلون الدراسة في أوطانهم.

وقد كان القرعاوي حينئذ يمنح النابهين من طلبة العلم عنده إجازات علمية، لعل من أهمها إجازته للشيخ أحمد بن يحيى النجمي، التي شملت سند إجازة القرعاوي نفسه، ومما يثير الانتباه فيها قول القرعاوي وهو يوصي تلميذه النجمي: «أن يداوم على التعليم، ويحافظ على المتعلمين خاصة الغرباء والمنقطعين منهم»[١]، وقد أخبرني النجمي أن القرعاوي أراد بالغرباء المنقطعين: الطلاب الوافدين من اليمن، إذ كان يفد عليه كثير من طلبة العلم باليمن، وبخاصة من عَبْس وبني مروان وبني حسن، وغيرهم من طلبة العلم بتهامة اليمن.

وربما يضاف إلى جهود القرعاوي في نشر التعليم بتلك الأنحاء جهود القاضي أحمد هيجان الذي سعى في فتح عدد من المدارس في تهامة قبل مجيء القرعاوي إليها[٢]، ومثله غرامة بن عمر العمْري الذي أسس في قرية الشيخين ببني عمر بعسير المدرسة الرشدية مع نفر من زملائه الدعاة[٣]. وقد أخذت المدارس النظامية الحكومية - من بعد ذلك - تعم القرى والقبائل في تهامة وعسير، وتؤثر بقدر في مجال التعليم باليمن، إذ أصبح التعليم ميسّراً لمن يبحث عنه.

وإذا أُدركت آثار هذه الدعوة السلفية في التعليم بتهامة وعسير ومدى

---

(١) إجازة خطية، توجد لدى صاحبها أحمد بن يحيى النجمي، سامطة.

(٢) مقابلة شخصية مع أحمد بن محمد هيجان (الشُقَيق في ٦/٨/ ١٤٠٠هـ).

(٣) مقابلة شخصية مع عمر بن غرامة العمْري، الرياض.

٨

إلى الله عز وجل وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته
في حياتي وبعد موتي ووالدي وأولادي ومشايخي
وفقنا الله وإياه لما يرضاه وسلك بنا وبه طريق النجاة الحمد لله
رب العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وحسبنا الله ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وأنا المجيز العاجز المسكين أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي
مسكناً هندي والله آبادي مسقطاً غفر الله لهما وستر
عوراتهما وجعلهما من ورثة جنات النعيم للعالم المذكور
في يوم الأحد وقد مضت ثلاثة عشر من شهر شعبان سنة
ألف وثلاثمائة وسبعة وخمسين من هجرة الأبر الشافع في يوم
المحشر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحزابه إلى يوم المحشر
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

أقول وأنا كاتب الأحرف عبدالله بن محمد القرعاوي
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه
أجمعين أما بعد فقد أجزت الأخ أحمد بن يحيى بن محمد شبير النجمي
بما أجازني به شيخي أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي
بسنده المذكور وأوصيه بما أوصي به نفسي بتقوى الله عز وجل وبما
أوصاني به شيخي وأن يداوم على التعليم وبما [illegible] على المتعلمين
وخاصة الفقراء والمنقطعين منهم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه

عبدالله بن محمد القرعاوي

من إجازة الشيخ

عبدالله بن محمد القرعاوي

أثرها في تهامة اليمن، وما بذله الشيخ القرعاوي في سبيل نشر العلم فيها عن طريق أبنائها؛ فإن بلدان اليمن الأخرى قد تأثرت بهذه الدعوة الإصلاحية في ميدان التعليم إلى حد ما، ولعل من أثارها ما وُجد لدى الطلاب فيها من رغبة طلب العلم، وبخاصة الرحلة في سبيله إلى نجد وغيرها، ولعل أبناء قرية قهلان بمخلاف الكُمَيْم من أكثر طلبة العلم باليمن تأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذلك حينما فضلوا الرحلة إلى «نجد لتلقي العلم هناك والعودة إلى أوطانهم .. ليزاولوا التدريس ونشر الدعوة»[1]. وقد تحقق ذلك، فأصبح عدد أولئك المهاجرين لطلب العلم كثيرا بالنسبة للمهاجرين الأُوَل[2] من هذه القرية.

كذلك كان من آثار هذه الدعوة السلفية في ميدان التعليم أن فضَّل بعض علماء اليمن الرحلة إلى مكة المكرمة وغيرها من أجل المشاركة في حلقاتها العلمية والأخذ عن علمائها، وبخاصة ما يدرس فيها من كتب الحنابلة وغيرهم، فقد ذكر محمد محمد زبارة رحلته العلمية والعملية إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ، إذ قال في إحدى منظوماته:

والأخذ في الأمهات الست عن عمر	حمدان شيخ الشيوخ المكي[و] المدني
وفي الموطأ وتيسير الوصول ومسند	ابن حنبل أياماً بلا وهن [3]

---

(١) صالح محمد الغفيلي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الجندي المسلم، س ٦، ع ٢٠، ١٣٩٩هـ، ص ٧٠.

(٢) قال محمد بن أحمد بن سنان: إن عدد الذين وفدوا إلى نجد في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري يزيد عن مائة رجل، وإن من أبرزهم: أحمد بن سنان، ومحمد بن أحمد السحامي، وحسين بن غنام.

(٣) الأنباء، ص ٥٩. لعل الواو المثبتة ساقطة من المصدر في عجز البيت الأول.

ولعل من أشهر المدارس السلفية التي أُنشئت في اليمن مدرسة الشيخ محمد بن سالم البيحاني (. . . - ١٣٩٢هـ) التي « كان لها أثر في إحياء علوم السنة »[١].

أما حضرموت وما حولها فقد تأثرت - كما قيل من قبل - بهذه الدعوة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري عن طريق مجلة المنار، وجمعية الإرشاد، وما بذله في سبيلهما محمد رشيد رضا[٢] من التوجيه والتعريف والتحقيق، مما ساعد على إيجاد مدارس للتعليم السلفي بتلك الأنحاء. وذلك على الرغم من نشوء بعض المدارس والاتجاهات الفكرية المعارضة التي وجدت بحضرموت من أجل مناهضة الفكر السلفي، وربما كان لهجرة الحضرميين إلى الحجاز أثر في نشر التعليم السلفي في بلادهم[٣]، إلى جانب إقبال طلبة العلم الحضرميين وغيرهم على طلب العلم في مدينة الرياض منذ فُتِحَت المعاهد العلمية.

ولعل من أهم آثار هذه الدعوة السلفية في مجال التعليم بجنوبي الجزيرة العربية، أنها قضت على التعليم الصوفي، وما كان يُجرى له من التقاليد التعليمية الموروثة، فقد كان بعض العلماء الصوفيين برجال ألمع خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ينصُّون في بعض الإجازات العلمية التي يمنحونها طلاب العلم عندهم على طرق التصوف وعلومه وكتبه، فقد كان أحمد بن عبد الخالق الحفظي يميل إلى هذه التقاليد العلمية، ومن قوله في إحدى إجازاته: « ثم أجيزه بجميع ما تجوز لي روايته . . . من: تفسير وحديث

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء باليمن، ص ٩٢.

(٢) أحمد بن حجر آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٨٠.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ص ٢٣٥.

وفقه وتصوف وآلات ذلك، وما لي من إجازات في كتب التصوف والتفسير والحديث والرقايق والمواعظ والأوراد»[1]، وقد نتج عن هذا التأثير السلفي أن زال مثل هذا العمل.

وإلى جانب أثر هذه الدعوة الإصلاحية في التعليم الصوفي، وُجد أثرها كذلك في مجال التعليم التقليدي الموروث، فقد كان الناس في تلك الأنحاء يعتادون قراءة صحيح البخاري في شهر رجب، وصحيح مسلم في شهر محرم[2]، مما جعل لهذين الصحيحين أوقاتا معلومة للقراءة، ولكن نهج هذه الدعوة السلفية في هذا العهد الحاضر أزال هذه الأعمال، فلم تَعُدْ تظهر من بعد ذلك بين الدارسين وطلبة العلم. ولم ينحصر هذا التأثير في تلك المظاهر فحسب، بل عمد بعض دعاة الدعوة في تلك الأنحاء إلى هدم المدارس التعليمية التي لا توافق منهجهم السلفي، فقد دلت المصادر على أن أولئك الدعاة هدموا إحدى المدارس في مدينة زبيد، وأن بعض علمائها قد استنكر ذلك، وألَّف من أجله مؤلفًا[3].

ثالثا: في الحسبة

من الواضح أن أثر الدعوة السلفية في ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجنوبي الجزيرة العربية؛ قد برز منذ انتشرت هذه الدعوة بتلك الأنحاء عن طريق أمرائها الدعاة وعلمائها، فقد ذكر محمد بن أحمد الحفظي بأن محمداً وعبد الوهاب ابني عامر المتحمي قد رحلا إلى الدرعية عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، وأنهما لبثا هنالك سنة واحدة، ثم عادا من بعد ذلك إلى عسير

(١) إجازة خطية من الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي لأحد تلامذته.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إسماعيل بن علي الأكوع، كتابه السابق، ص ١٦٦.

يأمران بالمعروف، وينهيان عن المنكر[1]، إذ « انتشر الإسلام بأسبابهما في هذه الجهات »[2]. وكان - كما قال الحفظي - قد لحق بهم رجال من أهالي عسير ورجال ألمع إلى الدرعية[3]. وقد تولى عندئذ محمد بن عامر أبو نقطة[4] إمارة عسير، حيث « أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر »[5]، وسلك سبيل الجهاد، بينما أخذ العلماء البكريون برجال ألمع يكاتبون العلماء في البلدان المجاورة، ويدعونهم إلى قبول هذه الدعوة السلفية.

ولعل أمراء عسير ورجال ألمع أول من نهج هذا الطريق، ثم أتى من بعد ذلك أمراء تهامة وبعض علمائها يسيرون على نهجهم ويقتفون طريقهم، فقد نتج عن هذا التضافر الديني أن أقبل الناس في تهامة وعسير على هذه الدعوة الإصلاحية والعمل بتعاليمها. وربما يعود نجاحها في هذا الميدان إلى أنَّ القائمين عليها من رجال ألمع وعسير يعدون الدعاة الأول، إذ ليس في هذين البلدين من يناهضهم أو يعترض نشاطهم، هذا إلى جانب الحال الديني المتردي الذي كان قد أصاب تلك الأجزاء من هذه الجزيرة العربية، وبخاصة في عسير وما حولها. أما ما عداها من البلدان؛ فإنها - وإن كانت ذات نشاط علمي مناسب - فإن انغماس بعض أهلها في البدع والخرافات قد أنهك حالها الديني، ويسَّر طرق الدعوة إليها، وربما ساعد التأثر العملي بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على إذكاء نشاط الحسبة في مجال التطبيق، فقد ارتبط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتباطا عمليا بهذه الدعوة الإصلاحية نفسها[6].

---

(١) نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٤) انظر كتاب : نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٢.

(٥) المصدر السابق، ورقة ٢.

(٦) علي عبد الحليم محمود، صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف، ص ١٣٥.

ويبدو أن نشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوزيعها بين الأهلين والعلماء، قد كان سببا من أسباب إرشاد الناس ونصحهم، فقد كان الدعاة والأمراء بهذه الأنحاء يحرصون على هذا الجانب، ويأخذون به، إذ إنهم كانوا يوفِّرون نسخا من هذه المؤلفات، أو يختارون منها، ثم يرمون إلى توزيعها ونشرها[1]، كما أن انتشارها بغير هذه الطريقة - في اليمن بخاصة - قد كان سببا في ميل نفر من علمائه إلى هذه الدعوة، وذلك حينما نزعت أنفسهم إليها، وأخذوا يعبرون عن وجهات نظرهم عن طريق مكاتبة العلماء في نجد[2]، إذ لم يستطيعوا الإعلان عن ذلك لدى أمرائهم وولاة أمورهم. هذا إلى جانب أن انتشار الدعاة في تلك الأنحاء قد ساعد حقا على إقناع الناس وحضِّهم على العمل الصالح، فقد كان ولاة الأمر في نجد يولون البلاد التي تدخل في حكمهم العناية والرعاية، إذ كانوا يسعون إلى توفير القضاة والمحتسبين فيها[3]، فقد بات حال البلاد المجاورة مترديا في شتى المجالات الدينية والفكرية[4]، مما استدعى وفرة رجال الحسبة والدعاة إلى الله الذين أخذوا ينتشرون في اليمن، وتهامة، وعسير، والبلاد المجاورة من أجل إرشاد الناس وتعليمهم. وذلك ما اعتاد ولاة الأمر في نجد، من حيث إرسال الدعاة لتعليم الناس التوحيد[5]، عن طريق الحلقات العلمية والخُطب والوعظ في الأسواق والمساجد وغيرها[6].

---

(١) حولية مخطوطة لأحد علماء آل الحفظي.

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، «الرسائل الشخصية»، ص ١٠٠.

(٣) رابح لطفي جمعة، حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٨، ١٩.

(٤) محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني، ص ٩١.

(٥) عبد الحليم الجندي، الإمام محمد بن عبد الوهاب و انتصار المنهج السلفي، ص ١٦٥.

(٦) عبد الفتاح أبو علية، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٠٥.

والحق أن المتتبع لأثر هذه الدعوة السلفية بهذه الأجزاء في ميدان الحسبة يدرك أن هذا الأثر السلفي قد وُجد لدى نفر من علماء اليمن منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولعل من أبرز أولئك العلماء المتأثرين بهذه الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الذي وُصف بأن حياته العلمية والعملية «يغلب عليها طابع الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1]، وأنه كان يسعى طوال حياته في صلاح مجتمعه ودينه. وقد كان هذا الأمر واضحا لدى أحمد بن عبد القادر الحفظي برجال ألمع، إذ عمل منذ اتصل بهذه الدعوة في نجد على نصرة الدين والدعوة إلى الله. وقد أصبح هذا الحال الديني واضحا ملموسا لدى علماء آل الحفظي الآخرين.

ففي الوقت الذي كان فيه أمراء عسير يقومون بالدعوة إلى الله في القبائل والبلاد المجاورة لهم، كان علماء آل الحفظي برجال ألمع يكاتبون العلماء في اليمن والمخلاف السليماني، ويدعونهم إلى قبول هذه الدعوة وتأييدها، كما كانوا يرافقون الأمراء العسيريين في أعمالهم العسكرية من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد شهد العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري نشاطا ملموسا للأمراء العسيريين في منطقتهم عسير نفسها وفي المخلاف السليماني وتهامة اليمن، ولعل ما ذكره لطف الله جحاف عن أثر هذه الدعوة في بعض قبائل عسير يبيِّن مدى فعاليتها في مجال الحسبة، فقد ذكر أن هؤلاء الأمراء قد ألزموا أحد مشايخ قبائل قحطان «أن يجمع الناس على الصلاة في وقتها»[2]، وأن يحث الناس على: «تطهير الأبدان[3] من لوث الشرك»[4]. وقد كان هذا

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مجلة العرب، ج٩، س٧، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، ص ٦٨٠، ٦٨١.

(٢) درر نحور العين، ورقة ٢٦٨.

(٣) هكذا ورد في الأصل، ولعله أراد بالأبدان: النفوس.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٦٨.

الأمر ساريا في قبائل عسير الأخرى، وبخاصة: بنو شهر، وبيشة، وشهران وغيرها، وقد وصف هذا الحال الشوكاني بعد ظهور الدعوة في عسير بقوله بأن الأهلين « يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها »[1].

وإذا كان هذا حال أمراء عسير في هذه الفترة، فإن علماء رجال ألمع قد كانت لهم مشاركة جادة في هذا المجال، فقد ذكر عاكش أن محمد بن أحمد الحفظي حينما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رجال ألمع، وما حولها أخذ في « نشر لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[2]، كما ذكر الحفظي أنه كتب من أجل ذلك «إلى بعض ملوك اليمن وقضاتهم»[3]، وأنه كان يصاحب الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي في غزواته المستمرة من أجل نشر الدعوة السلفية، فقد ذكر بأنه منذ سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م كان يساند الأمير، ويلازمه، وبأنه كان عندئذ يملي « في المسائل الفقهية والمباحث الأصولية وفي سيرة النبي ﷺ»[4]، وأضاف إلى ذلك قوله بأن إسماعيل الحفظي « قد عزم على التوجه مع جيوش الموحدين.. ليوصيهم بالهدى والرشد، وتقوى الله، ... والمذاكرة للمجاهدين في أحكام السفر، وما يرخص منه الجمع والقصر، ويملي عليهم الواردات في فضل الجهاد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية »[5].

وقد دلت المصادر على أن هذا السبيل المتعب في مجال الحسبة؛ قد كان

(١) البدر الطالع، ج٢، ص ٥.

(٢) عقود الدرر، ورقة ١٠٥.

(٣) اللجام المكين، ورقة ٢.

(٤) نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٣.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٩.

يقتضي من أمراء عسير أن يصطحبوا معهم بعض الفقهاء من الحفظيين وغيرهم؛ لكي يتولوا إرشاد الناس ونصحهم، فقد ورد في إحدى الرسائل الإخوانية ذكرٌ لهؤلاء الفقهاء، إذ قال محمد عبد الهادي بن بكري: « وكافة أهل الخيمة والمطاوعة»[1]، ومن هذا القول وغيره نستدل على أن ملازمة العلماء البكريين وغيرهم للجيش قد دل على الأثر السلفي الذي ظهر من خلال ما يوعظ به الجند والأهالي في تلك الغزوات المختلفة، ولعل هذا « يعلل انتصار دعوة الشيخ بالجهاد الذي جعلته أساسا لها »[2]، وأنه يدخل في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]. وهذا ما كان يسير عليه العلماء الحفظيون ويؤيدونه[4]، إذ كانوا يدعون الناس إليه، ويحضونهم عليه.

وكان أثر هؤلاء الفقهاء واضحا، إذ إنهم حينما يدخلون البلاد المجاورة يقومون في الناس بالنصح والإرشاد، وأن الذين تفقهوا من لدنهم يؤثِّرون في الأهلين من بعدهم، فقد دلت المصادر على أن العسيريين حينما قضوا حربهم مع أهالي المخلاف السليماني « بينوا لهم أصول التوحيد ما يسره الله وسهله[5] »، وأنهم كذلك حينما دخلوا اللُّحية بتهامة اليمن دعوا الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، إذ ظهرت في تلك الأنحاء « شعائر الإسلام. . . وأقيمت الجمعة والجماعات»[6]. وقد قال أحد علماء

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٣.

(٢) مجهول، كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة العرب، ج١، ٢، س١٣، رجب ١٣٩٨هـ، ص ٣٣.

(٣) انظر الرسائل والمسائل النجدية، ج٤، ص ٣٨٠، ٥٥٥، وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب- حياته وفكره، لعبد الله الصالح العثيمين، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) وثيقة مخطوطة لدى الباحث.

(٥) الوثيقة نفسها.

(٦) الوثيقة نفسها.



إحدى الوثائق الخطية ذات الصلة
التاريخية بأخبار الدعوة

آل الحفظي في هذا الشأن: « وكل هذه الحسنات والبركات مكتوبة إن شاء الله في صحائف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام عبد العزيز، جزاهم الله خير الجزاء »[1].

وقد أيد نشاط هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الحسبة اهتمام الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي من بعد ذلك بنشر مبادئ الدعوة في أنحاء جازان، وبعض مدن تهامة اليمن بمساندة أمراء تلك النواحي[2]، فقد ذكر لطف الله جحاف أن هذا الأمير ألزم الشريف حمود بن محمد الحسني «حضور الجماعات، وحض الناس عليها، وضرب المتخلفين عنها »[3]، كذلك عمد الأمير طامي بن شعيب عام ١٢٢٦هـ إلى بعث « الشيخ العلامة عبد القادر بن أحمد إلى بادية عسير وقبائلها، يعظهم، ويفقههم في الدين»[4]، كذلك كان لهذا العالم نفسه جهود في مجال الحسبة في القنفذة وما حولها منذ عام ١٢٢٩هـ، حيث لبث هنالك زمنا يعظ الناس، ويعلمهم أمور دينهم[5].

ومن الواضح أن المعارضة التي نشأت لدى أشراف المخلاف السليماني وعلمائه نحو الدعوة السلفية في نحو منتصف العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري؛ قد زالت حين أدرك المعارضون حقيقة هذه الدعوة، وأخذوا يناصرونها، فقد دلت المصادر على أن الأشراف ونفراً من علماء المخلاف السليماني قد أخذوا يلتزمون بمبادئ هذه الدعوة الإصلاحية، ويسعون في نشرها. وكان من نتائج تلك المبادرة أن نشط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) الوثيقة نفسها.

(٢) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٥٢.

(٣) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٦.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٦٧.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفحات من عسير، ص ١٢٠.

فقد كان الشريف منصور بن ناصر نفسه يدعو إلى العمل بمبادئ الدعوة السلفية منذ سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وأخذ يحرم التنباك[١]، وينهى عنه. كما كان الشريف حمود بن محمد الحسني منذ عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م يدعو إلى التوحيد، ويلزم الناس « بأوامر الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[٢]، وأخذ يرتب « الناس على وظائف الدين »[٣]، فقد وصفه حينذاك أحمد بن أحمد النعمي بأنه « يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر »[٤]. وقد برز من علماء المخلاف السليماني في هذا العهد الوزير الحسن بن خالد الحازمي، إذ اتسم نشاطه في مجال الحسبة بالجد والمثابرة، وكان شديد الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد امتد نشاطه في هذا الميدان إلى عسير وقبائلها، حيث وُصِفَ عندئذ بأنه « بث فيهم النصائح الدينية »[٥].

ويُعَدّ الشريف حسين بن شبير بن مبارك الحسني (١١٦٠ - ١٢٤٢هـ) من أشهر علماء المخلاف السليماني نشاطا في مجال الحسبة والدعوة إلى الله، فقد ذكر عاكش أن الشريف حمود بن محمد، ووزيره الحسن بن خالد الحازمي قد أسندا إليه « عهدة [٦] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس أمور دينها[٧]، فقام بذلك وسلك في إرشاد الناس أحسن المسالك، وباشر بنفسه الأمور وجعل من تحته طائفة من الفقهاء يمشون على الناس من أهل القرى في

(١) درج المؤرخون والعلماء والأهلون في جنوبي الجزيرة العربية على استخدام هذا المسمى، وإلا فهو يعرف كذلك عند غيرهم بالتبغ والدخان والتتن.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٤) تاريخ النعمي، ورقة ١٨١.

(٥) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٦٥.

(٦) وظيفة.

(٧) كذا في الأصل.

جميع ممالك الشريف المذكور يعلمونهم ما أوجب الله عليهم من إفراده سبحانه بتوحيد العبادة ونفي غوايل الشرك وشرايط[1] الصلاة، ومعرفة مقادير الزكاة»[2] . وقد أضاف عاكش إلى ذلك قوله: « وكل مسجد جعل لأهله معلما يرشدهم كل يوم إلى أمور دينهم، ويفهمهم ما في تلك المسائل المؤلفة في هذا الشأن، ويتفقد المتخلفين عن صلاة الجمعة، ومن تخلف لغير عذر أنزل به ما يستحق من المعاقبة »[3] . ومن هذا يتبين مدى أثر هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الحسبة، وأنها قد أشبهت عندئذ ما كان يجري في الدرعية من حيث تطبيق نظام الحسبة والإشراف عليه[4]، وإلى جانب ذلك عُرِفَ موسى بن حسن الحازمي بميله الجاد نحو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5] . وكان أحمد بن عبد الله الضمدي يحرم التنباك، وينهى عنه[6] .

والحق أن الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، قد شهد نشاطا ملموسا في مجال الحسبة، وذلك يعود إلى أثر هذه الدعوة السلفية، ومدى اهتمام ولاة الأمر في ذلك العهد، وبخاصة الحسن بن خالد الحازمي الذي عُدَّ من أبرز العلماء المتأثرين بهذه الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، وأنه قد بذل في سبيل نصرتها ونشر مبادئها الشيء الكثير، ولعل ما يمكن أن يوصف به هذا العهد قول عاكش مشيرا إلى جهود حسين بن شبير الحسني في ظل هذه اليقظة السلفية بالمخلاف السليماني: « فانتشر في هذه القطر التهامي بعنايته لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهرت شعائر الإسلام في كل مكان، وعمرت

(١) كذا في الأصل.

(٢) عقود الدرر، ورقة ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٠ .

(٤) انظر كتاب: محمد بن عبد الوهاب ـ حياته وفكره، لعبد الله صالح العثيمين، ص ١٢٩ .

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١١٥ .

(٦) محمد محمد زبارة، نيل الوطر، ج١، ص ١٣٧ .

في القرى المساجد، وحافظ الناس على الجمعة والجماعات. . . وأُحييت السنن، وأُميتت البدع وأُقيمت الحدود الشرعية، وأُزيلت الأعراف المخالفة للشريعة المحمدية. . . ، وصارت لتلك الأيام في جبين الدهر غرر وحجول، وصار بهذه الجهات ربع الإسلام مأهولا أي مأهول»[1]، وقد ذكر عاكش نفسه بأنه كان في هذا العهد «التذكير لعامة الناس في كل أسبوع»[2]، وبخاصة في جامع أبي عريش الكبير[3].

ويبدو أن أثر الدعوة السلفية في مجال الحسبة باليمن قد كان واضحا، وبخاصة في تهامة اليمن، وذلك منذ أخذ الدعاة السلفيون يفدون على تلك الأنحاء، فقد تنبه إلى ذلك - كما قيل من قبل - بعض المؤرخين، حينما كانوا يثنون على الشريف حمود بن محمد، وما يفعله في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ أخذ هذا الشريف نفسه يسلك هذا الطريق الديني من خلال بسط نفوذه السياسي على تلك الأنحاء في ظل الدولة السعودية الأولى. وقد نتج عن هذا الاتصال السياسي أن أخذ أمراء الدعوة أنفسهم الذين كانوا يفدون إلى تهامة اليمن، يسعون في إرشاد الناس وإلزامهم بشعائر الإسلام، والمحافظة على الجمعة والجماعات، ومعاقبة المتخلف عنها، كما نهوا عن التنباك، وحَذَّروا من استخدامه[4]. وقد ظل هذا النشاط الديني في مجال الحسبة مستمرا من بعد ذلك في أنحاء تهامة اليمن.

---

(١) عقود الدرر، ورقة ٤٠، ٤١.

(٢) الديباج الخسرواني، ورقة ٦٩، ٧٠.

(٣) عقود الدرر، ورقة ١٣٩، نسخة مكتبة زبارة الخاصة بصنعاء، وقد أضاف عاكش إلى قوله: إنه «انتفع العامة والخاصة بذلك التذكير، وكان من يتخلف من العامة عن مجلس الذكر مسته العقوبة». المصدر نفسه، ورقة ١٣٩.

(٤) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٦.

وفي الحقيقة أن ما أحدثته هذه الدعوة السلفية بتهامة اليمن من يقظة سلفية في ميدان الحسبة أواخر العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، قد نبه أئمة اليمن أنفسهم إلى الإصلاح الديني من بعد ذلك، فقد روى لطف الله جحاف أن الإمام المنصور حينما أحس بما يجري في تهامة اليمن من نشاط رجال الدعوة السلفية[1]، أخذ يستشير علماءه، ويسعى في مجاراة تلك التيارات الإصلاحية، إذ أشار عليه القاضي محمد بن علي الشوكاني بأن يسلك سبيل الإصلاح الديني، ويدعو إليه. وقد نتج عن ذلك - كما قال جحاف - أن «بادر الإمام بجمع الحكام[2] والوزراء ومشايخ الأسواق، وأعلن نشر العدل، وأمرهم بهدم خانات الجبا[3] المعمورة على أبواب صنعاء، وأعلن بتحريم الربا، وأعلن بإسقاط المرجوعات[4] والقبالات[5] وضمان الأسواق[6]، وبعث معلمي الخير والصلاة. . .، وزجر البغايا، ونفي القائم عليهن، وأن كل متعد تناله حدود الله، وبعث بها إلى جميع بلاده»[7]. ومن هذا يتبين مدى أثر هذه الدعوة الإصلاحية في إيقاظ الشعور السلفي عند العلماء والأئمة في اليمن، ولئن كان الشوكاني - رحمه الله - قد سعى في هذا الجانب حينئذ، فإنه قد ظل من بعد ذلك داعيا إلى الخير مرشدا إليه طوال حياته، ثم إنه «بموته ضعفت قوائم الشريعة»[8] باليمن. إلى جانب جهود

(١) المصدر نفسه، ورقة، ٤٤٠، وقد عبر عن ذلك جحاف بقوله: «أنشطة النجدية»، إذ هي السبب في هذه اليقظة كما قال هذا المؤرخ.

(٢) الحكام: القضاة.

(٣) الضرائب.

(٤) معونة من المال تؤخذ بعد الزكاة.

(٥) استحصال رسوم الدولة المقررة من التجار عاجلاً، على أن يستحصل التجار ما قدموا آجلاً من المزارعين عند حصاد حاصلاتهم.

(٦) ما يؤخذ من ضريبة عندئذ على كل سلعة تدخل السوق.

(٧) المصدر السابق، ورقة ٤٤٠.

(٨) حوليات يمنية، ص ٥٨.

إبراهيم بن محمد الأمير الذي « حصل له امتحان من سلطان اليمن بسبب أمور مقتضاها القول بالحق والأمر بالمعروف »[1].

ومن الواضح أن إقبال الدعاة السلفيين على بلاد اليمن منذ أوائل العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري، قد ساعد على نشاط الحسبة في هذه الفترة، إلى جانب أن رحلة العلماء من بلدان اليمن إلى المخلاف السليماني في هذه الأثناء، قد أوجدت أثرا واضحا للحسبة في بلادهم من بعد عودتهم إليها، فقد أشار عاكش إلى يحيى بن إسماعيل النجم، وأنه وفد إلى أبي عريش، وأقام زمنا فيها، حيث أخذ على الحسن بن خالد الحازمي، وحينما فضَّل العودة إلى بلاده، رحل الى صعدة ثم إلى خولان[2]، وقد ظهر بسببه - كما قال عاكش - « منار الشرع الشريف في تلك الجهات، وانتفع به عالم من الناس، وتركوا بإرشاده المنكرات، وهجروا أحكام الطواغيت، وتقيَّدوا بالأحكام الشرعية »[3]، ولذلك فإن هذه الإشارات المتفرقة تعد من نتائج الدعوة الإصلاحية في مجال الحسبة باليمن، إذ أحسَّ أولئك القوم بجدية الموقف، والسبيل الذي يسلكه الدعاة السلفيون بسببها من الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه.

وحينما ظن الترك والمصريون أنهم قضوا على هذه الدعوة السلفية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م فإنما كان ذلك ضربا من الوهم والخيال، إذ إن هذه الدعوة قد تمكنت من قلوب الناس، وأصبح هنالك إمارات ناشئة تسير على منهجها، وتسلك سبيلها، ولعل من أشهر تلك الإمارات إمارة عسير التي ظلت مستمرة

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي، معجم المشايخ، مخطوط، غير مرقم الأوراق.

(٢) عقود الدرر، ورقة ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٢٠.

على ولائها للحكام السعوديين، ومحافظة على مبادئ الدعوة السلفية، وعندما يتتبع الدارس آثار هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الحسبة من بعد ذلك بتلك الأنحاء، يدرك هذه الحقيقة، ويعلم مدى أثر دعاتها وأمرائها في هذا الميدان الديني.

فمن الواضح أن أمراء عسير في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري وما بعده قد عَدُّوا الجهاد سبيلا لإقامة الشريعة والدعوة إلى الله. وذلك حين كانت رسائلهم تحفل بشيء من الإشارات إليه والاهتمام به، فقد قال سعيد بن مسلط (١١٧٧ - ١٢٤٢هـ) في رسالة له إلى أحد أشراف المخلاف السليماني: « وإذا طابت النفس وركدت البلاد، فالجهاد فريضة، ولا منه عذر إلا من عذر الله في محكم كتابه »[١]، كما كان هذا شأن الأمراء العسيريين الذين أتوا فيما بعد، فقد كان علي بن مجثل يركز كثيرا على هذا الجانب، ويدعو الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد ذكر في إحدى رسائله إلى أهالي جزيرة دهلك بأن يلتزموا « العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وإقامة ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه»[٢]، وقال في العهد الذي منحه آل أبي طالب وآل مسعود بتهامة عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م بأن « عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسمع والطاعة لله »[٣]، كما أن هذا الأمير نفسه لم يكتف بالرسائل فحسب، وإنما كان يباشر الدعوة إلى الله بنفسه، ويحض عليها، وبخاصة في تهامة اليمن وما حولها، فقد توالت غزواته عليها في أواخر النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري. وكان يسعى فيها بالصلاح

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٨.

(٣) وثيقة خطية رقم ٣٦، بمكتبة محمد حسن غريب، الرياض.

والأخذ على أيدي الخارجين على قواعد الإسلام[1]، ويتولى بعث الدعاة والمرشدين من قبله، ويؤكد هذا القول ما فعله ابن مجثل نفسه عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م حينما بعث الشيخ عبد الرحمن الحفظي إلى تهامة اليمن يعلم أهلها، ويرشدهم[2].

وكان الأمير علي بن مجثل يحض على الجهاد ضد الترك ومن والاهم، فقد وصف بأنه في إحدى غزواته إلى تهامة اليمن عام ١٢٤٩هـ/ ١٩٣٣م جمع جنده خارج مدينة المُخَا، وخطب فيهم خُطبة حماسية، حضَّهم فيها على الجهاد[3]. وذلك يدل على أن أثر هذه الدعوة السلفية في مجال الحسبة قد ظل ساريا لدى هؤلاء الأمراء العسيريين، وأنهم كانوا يقومون عليها في جهاتهم وفي البلدان المجاورة لهم.

وقد دلت المصادر كذلك على أن عايض بن مرعي المغيدي كان يسير في جنح الليل مصطحبا معه القاضي سحمان بن مصلح الخثعمي؛ لتفقد أحوال الرعية[4]، وأن في إمارته رجالا يقومون بالحسبة، وكان رئيسهم الشيخ موسى ابن جعفر الحفظي[5]، هذا إلى جانب عمارته للمساجد في السقا وأبها ورَيْدَة[6]. ومن أعماله في هذا المجال اتفاقه مع أمير صعدة محسن بن العباس على «إقامة شعائر الدين ونشر التوحيد ومباينة أهل الشرك»[7]. وذلك حينما

(١) أحمد بن أحمد النعمي، كتابه السابق، ورقة ١٩٧، ٢٠٣.

(٢) عمر رفيع، في ربوع عسير، ص ٢١٨.

(٣) حوليات يمنية، ص ٥٥. وقد قال هذا المؤرخ اليمن: «فلما قرب منهم النجدي» وهو يعني عبد الوهاب المتحمي، وذلك يشير إلى مدى أثر هذه الدعوة في الأمراء والأهلين في تلك الأنحاء.

(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ١٠٩.

(٦) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٩١.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

وفد إليه هذا الأمير اليمني في أبها عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م في طائفة من رجاله. وكان الأمير عايض بن مرعي نفسه قد بعث في سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م رسالة إلى ابنه محمد بن عايض، وهو في بلاد غامد وزهران يأمره بالقيام بالحسبة، مما دعا ابنه محمداً هذا إلى مكاتبة الأهالي وإلزامهم بشعائر الإسلام[١]، كما ورد في خطابه الذي وجهه إلى أهالي زهران قوله: «الأخ جمعان بن راشد بن رقوش أمَّرناه عليكم فأنتم اسمعوا له، وأطيعوا مما يأمركم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

ويتبين من الوثائق التي كتبت في عهد هذا الأمير، أنها كانت تنص على إلزام الناس بشعائر الإسلام في ضوء الشريعة الإسلامية، فقد ورد في إحداها أنَّ قبائل زهران اجتمعوا «وعاهدوا على الإسلام وعلى دين الله ورسوله، ثم بعد دخولهم في الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة بالجمع والجماعات وأمان الأسباك[٣] وقطع الفتن»[٤]. وقد تكرر مثل هذا لغامد وزهران من قبل الأمير عايض بن مرعي، فقد كان حينما يصل إلى بلادهم يثبت الأمن فيها، ويأخذ العهد منهم على الولاء والطاعة وإقامة شعائر الدين، ومن ذلك أنه حينما وصل إلى تلك الأنحاء في العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري أخذ منهم العهد «على دين الله ورسوله»[٥]، وسار فيهم بالعدل.

وتتفق المصادر على أن محمد بن عايض المغيدي قد نهج منهج أبيه من

---

(١) وثيقة مخطوطة توجد لدى إبراهيم الحسيل، غامد.

(٢) رسالة خطية توجد لدى الباحث.

(٣) الطرق.

(٤) وثيقة خطية توجد لدى الباحث.

(٥) مذكرات تاريخية، موجودة في مكتبة آل رقوش الخاصة بزهران.

حيث العمل على خدمة الدين ونصرته، فقد «انتشر في ممالكه لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمعالم الدين من إفراد الله تعالى بالعبودية وزجر العوام عن اعتقاد الضر والنفع في سوى خالقهم»[1]، مما جعل بلاده عندئذ ملاذا لكثير من المسلمين، فقد دلت المصادر على أنه في عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م كاتبه «أعيان اليمن وعلماؤهم وفضلاؤهم لما يرونه من المناكر[2] الظاهرة في الأتراك الذين باليمن من شرب الخمور وارتكاب المحرمات»[3]. ولم يكن منه إلا نجدتهم بجيش كثيف سلك طريق تهامة متجها إلى اليمن، ويبدو أن نشاط هذا الأمير في مجال الحسبة قد جعل عاكشا يقول: إنه «ظهر في أيامه شعار الدين»[4]، ولكن عهد الترك الأخير أعقب هذا العهد، فظهر بسببهم التهاون في الدين، وانتشرت المنكرات في صنعاء وعسير وغيرهما. وقد ظفرت عسير بشيء من عناية الحسن بن علي بن عايض عقب خروج الترك من عسير، وذلك حين اهتم بوضع الحسبة، وعيَّن لها الوعاظ والمرشدين[5].

ويمكن أن يقال بأن الأثر الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في مجال الحسبة بجنوبي الجزيرة العربية؛ قد وُجد منذ ظهر العهد السعودي الحاضر، إذ سعى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في توجيه نفر من العلماء إلى قبائل عسير من أجل وعظ الناس وإرشادهم[6]، فقد بعث الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى تلك الأنحاء عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، فعمد إلى

---

(١) حسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) كذا في المصدر.

(٣) مجموع رقم ١٦٢، ورقة ب، بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء. انظر كذلك: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٢٠٨، ٢٠٩. وانظر: حوليات يمنية، ص ٣٠٨.

(٤) الدر الثمين، ص ٢٥.

(٥) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٥٣.

(٦) إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، كتابه السابق، ج٢، ص ٣٠٢.

تعليم الناس أمور دينهم، «وبين لهم أصول الإسلام وشرائع الدين، وحقيقة ما [دعا] إليه الأنبياء والمرسلون»[1]. وقد امتد نشاط الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى حدود اليمن. ومن رسائله في هذا الشأن تلك الرسالة التي بعثها إلى مانع ابن منصور شيخ قبائل بللحمر، وقد اشتملت هذه الرسالة على نصائح مفيدة، بيَّن فيها الواجبات الشرعية التي يجب على المسلم اتباعها، ونهى عن أمور كثيرة تجري في تلك الأنحاء[2]، وبمثل هذه الرسالة اعتاد محمد بن عبد اللطيف مكاتبة القبائل وشيوخها برسائل مستقلة[3]، إلى جانب رسالة أخرى ألفها في هذا المجال[4].

وقد دعا استحسان الأهلين في تلك الأنحاء لهذه اليقظة السلفية في ميدان الحسبة إلى طلب المرشدين والدعاة من أولي الأمر في نجد، فقد طلبت قبيلتا غامد وزهران مرشدين من الدعاة السلفيين[5]، ثم توالى المرشدون والدعاة في التوافد على تلك الأجزاء من جزيرة العرب، ولعل من أشهرهم عبد الله بن حسن آل الشيخ[6] (١٢٨٧هـ - . . .)، وعبد الله بن راشد بن جلعود[7]، وإبراهيم بن عبد العزيز السويح[8] (١٣٠٢ - ١٣٦٩هـ)، وفيصل بن عبدالعزيز آل مبارك[9] (١٣١٣-١٣٧٧هـ)، وإبراهيم المحمد العمود[10]

(١) عبد الرحمن بن ناصر، عنوان السعد والمجد، مخطوط، ورقة ١٨٥.

(٢) توجد هذه الرسالة الخطية لدى علي بن محيا الأحمري في بللحمر في الوقت الحاضر.

(٣) سليمان بن سحمان، الهدية السنية، ص ٨٥.

(٤) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، مجلة العرب، ج٣، ٤، ص١٤، رمضان وشوال سنة ١٣٩٩هـ، ص ٢٢٧.

(٥) انظر: مجلة المنار، ج٥، مج ٢١، ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٧هـ، ص ٢٢٩.

(٦) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، كتابه السابق، ج١، ص ٨٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٤١.

(٨) محمد بن عثمان بن صالح القاضي، روضة الناظرين، ج١، ٥١.

(٩) عبد الله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، كتابه السابق، ج٣، ص ٧٥٦.

(١٠) محمد بن عثمان القاضي، كتابه السابق، ج١، ص ٥٧.

(١٣٢٤ - ١٣٩٤هـ)، وعبد العزيز بن فواز[١] وغيرهم، إلى جانب أبناء هذه البلاد أنفسهم الذين وجدوا في سفرهم خارج أوطانهم سبيلا للتفقه في الدين، ثم العودة من بعد ذلك إلى العمل في مجال الحسبة، وربما كان من أبرزهم : فقهاء آل الحفظي، وآل مسبل وغيرهم.

ومن الملاحظ أن إمارة عسير قد بدأت تهتم بشؤون الحسبة وما إليها، إذ دلت الوثائق على ما كان يجري من مكاتبات رسمية بين أمراء عسير ومن حولهم من القبائل. ومن تلك المكاتبات الخطاب الذي وُجِّهَ إلى شيخ بللحمر منصور بن مانع عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م حول منع زراعة التنباك[٢]، إلى جانب تعاميم أخرى أرسلت إلى شيخ بللحمر[٣] نفسه في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م حول منع بعض فئات المجتمع بتهامة من أكل الطعام في أيام شهر رمضان[٤]، وحول نهي النساء السافرات من الدخول في الأسواق[٥]، هذا بالإضافة إلى ما تضمنته القواعد القبلية من رعاية لحقوق الله[٦].

وإذا كان هذا حال الحسبة في عسير ونشاطها، فإن تهامة قد حظيت بشيء من الجهود في هذا المجال، فقد ذكر محمد بن أحمد العقيلي أن الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود بعث في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م هيئة دينية

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١.

(٢) خطاب خطي، رقم ٩٠ في ٢/ ٨/ ١٣٥٢هـ، يوجد لدى الباحث.

(٣) شيخ بللحمر في هذه الفترة عبد الله بن مانع سويد.

(٤) تعميم خطي برقم ٤٣٩١ في ١/ ٩/ ١٣٦٥هـ، ويوجد لدى الباحث.

(٥) تعميم خطي برقم ٣٨٩٦ في ٧/ ٨/ ١٣٦٥هـ، يوجد لدى الباحث.

(٦) نصت الوثيقة التي أبرم عهدها أفراد قبيلة آل معافا بتنومة بني شهر على المحافظة على الجمعة والجماعة، فقد تضمنت إحدى فقراتها النص التالي: « والذي يتغيب عن الجمعة أول مرة مسموح، وثاني مرة صحفة، وثالث مرة شاة ». وهذا حكم عرفي، وإنما حكم الشريعة في ذلك واضح ومعروف.

تنظر في أحوال الناس بتلك الأنحاء، وترد مظالمهم، وأضاف العقيلي إلى ذلك قوله: إن أفراد هذه الهيئة كانوا ينادون في الناس عقب صلاة الجمعة، وفي الأسواق لمن له مظلمة أو حق[1]. وقد كان لهذا العمل الإصلاحي أثر في تسوية الخلافات القبلية، والمؤثرات العصبية[2] بين قبائل تهامة وغيرها، ولعل خير ما حظيت به تهامة عن سواها جهود الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي في ميدان الحسبة والدعوة إلى الله[3]. وذلك حينما وفد على سامطة منذ عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

وعندما يُدْرَكُ حال بعض القبائل في المخلاف السليماني قبيل انضمامها إلى البلاد السعودية، يُرَى مدى أثر هذه الدعوة الإصلاحية فيما بعد، فقد وصف العقيلي حال الساكنين بجبل الريِّث، فذكر أنهم لا يعرفون شيئا من القرآن الكريم[4]، كما وصفهم العمودي من قبل فقال: إنهم كانوا لا يراعون واجبات الدين، ولا يتقون الوقوع في المحرمات[5]. وقد تبدَّل حالهم - فيما بعد - إلى حد ما، وأصبحوا يدركون شيئا من الواجبات الإسلامية المفروضة نتيجة لما بُذلَ في سبيل ذلك من الوعظ والإرشاد. ولعل ما يأسف له الباحث أن بعض الأهلين في تهامة وعسير، قد تخلصوا من مكتبات أسلافهم، وما يملكون من الكتب المخطوطة، وذلك إما بإحراقها أو إغراقها، أو التخلص منها بطرق أخرى، وليس عذرهم في ذلك غير أنهم أوجسوا خيفة من نشاط المحتسبين في جهاتهم في هذا العهد[6].

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص ٦٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٨.
(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، كتابه السابق، ج٢، ص ٦٣٢.
(٤) تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص ١١٦٤.
(٥) مختصر اللامع، ورقة ٧.
(٦) أخبرني أبناء الشيخ عبد الخالق بن مانع الشهري بنُعْص بتهامة بني شهر، بأنهم جمعوا كتب أبيهم المخطوطة بعد وفاته، وأحرقوها. وأمثالهم كثير في عسير وتهامة.

رسالة الشيخ من محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى الشيخ

مانع بن منصور

ويمكن إدراك نشاط الحسبة في اليمن من خلال هذه اليقظة السلفية في تهامة وعسير، وما كان يبذله الشيخ عبد الله القرعاوي في هذا المجال من الجهد والعناية، وذلك لمن يفد عليه من تهامة اليمن من أجل العلم، فقد كانوا حينما يعودون إلى أوطانهم يؤثِّرون في أهليهم ومن جاورهم[١]. أما صنعاء وما حولها فإن المهاجرين في سبيل العلم إلى نجد وغيرها من هذه البلاد قد أفادوا من هجراتهم العلمية وسَعَوْا في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة حين عودتهم إلى أوطانهم[٢]، إلى جانب الاتصال الفكري الذي كان يجري بين العلماء، وما تشهده هذه البلاد السعودية في الوقت الحاضر من هجرة اليمنيين للدراسة والتجارة وغير ذلك. أما حضرموت فإن اتصال بعض علمائها بالحجاز في عهد الملك عبد العزيز آل سعود؛ قد خفف شيئا من آثار الجهالة بتلك الأنحاء[٣]، إلى جانب ما كانت تقوم به جمعية الإرشاد والدعوة[٤] من نشاط في مجال الحسبة.

رابعا: في القضاء

تدل المصادر على اهتمام الحكام السعوديين بشأن القضاء بهذه الأنحاء منذ عهد الدولة السعودية الأولى، مما يبين أثر هذه الدعوة السلفية في هذا المجال، فقد كان أولئك الحكام حينما يتولون أمر هذه البلاد يسعون في تعيين القضاة من قبلهم وتوجيههم إليها[٥]، مع إبقائهم لكثير من قضاة هذه المنطقة في القضاء

(١) مقابلة شخصية مع أحمد بن يحيى النجمي، سامطة في ١٢/ ١٠/ ١٤٠٢هـ.

(٢) صالح بن محمد الغفيلي، مقاله السابق، الجندي المسلم، س٦، ع ٢٠، ١٣٩٩هـ، ص ٧٠.

(٣) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ج ٢، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) أحمد بن حجر أبو طامي، كتابه السابق، ص ٨٠.

(٥) يذكر ابن بشر في هذا الحال أن الحكام السعوديين حينذاك كانوا يبعثون إلى هذه النواحي قاضيًا كل سنة، ثم يستبدلونه بآخر، انظر ذلك في عنوان المجد، ج ١، ص ٢٧٩، ٣٦٤.

والإرشاد ونحوهما، فقد كان أغلب قضاة عسير من العسيريين ومن علماء آل بكري برجال ألمع الذين كانوا يتولون القضاء في مدينتهم، بالإضافة الى الإرشاد والتعليم، كما كان القضاة في المخلاف السليماني يشغلون مهام القضاء في تهامة إلى جانب القضاة النجديين أو غيرهم الذين كانوا يُوَجَّهون إلى هذه الأنحاء.

وبالإضافة إلى وضوح هذا الأثر السلفي في تهامة وعسير، فإن هناك شيئا من التأثير السلفي اليسير قد نشأ ببلاد اليمن في ميدان القضاء؛ نتيجة للاتصال الفكري بين تلك البلدان، ولما كان يقوم به الوافدون إلى بعض أجزاء اليمن من نشاط في مجال القضاء، فلعل ما قام به القاضي عبد الله بن أحمد بن رواف من جهود في سبيل القضاء بالمكلا بحضرموت يدل على أثر هذه الدعوة السلفية في هذا المجال[1]، وبخاصة عندما أثَّر هذا القاضي في الأهلين والسكان. ومع ذلك فإن الدارس لا يجد أثرا واسعا لهذه الدعوة الإصلاحية في ميدان القضاء باليمن، مثلما يجده في تهامة وعسير وربما كان ذلك بسبب الوضع السياسي الذي ارتبطت به تهامة وعسير عن سواهما.

ومن أبرز قضاة هذه المنطقة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري القاضي عبد الرحمن بن هبَّاد الذي وصفه محمد سعد البركي بأنه قاضي بلاد غامد في العهد السعودي الأول[2]، وبأنه عُرِفَ ببراعته في القضاء، وأن « الوثائق التي حكم بموجبها تدل على سعة علمه ومقدرته الفقهية »[3]، كذلك اشتُهر من قضاة هذا العهد في عسير: عثمان بن

(١) محمد بن عثمان القاضي، كتابه السابق، ج١، ص ٣٩١.

(٢) بلجرشي في سطور، ص ١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١. ولعل الصواب أن يقال: الوثائق التي ضمنها أحكامه الشرعية.

عبد الجبار[1] (. . . - ١٢٤٢هـ)، وأحمد عبد القادر الحفظي[2]، ومحمد ابن سند الودعاني، ومحمد بن أحمد الحفظي، وعبد الهادي بن بكري، ومحمد بن موسى[3] وغيرهم، وكان هؤلاء القضاة إلى جانب عملهم في القضاء يتولون إرشاد الناس وتعليمهم.

وقد كان أمراء عسير من بعد هذا العهد ينهجون نهج الدعوة السلفية، ويتبعون تعاليمها، فقد اشتهر من قضاتهم في هذه الفترة: زين العابدين الحفظي[4] (. . . - ١٢٦٨هـ)، وعلي بن الحسين بن عبد الهادي[5] (١٢١٧ - ١٢٧٥هـ)، وعبد الخالق بن إبراهيم الزمزمي، وأحمد بن عبد الخالق الحفظي[6]، وأحمد بن مسبل الأحمري[7]. وقد دلت المصادر على أن عهد عايض بن مرعي، كان موسوما بالعدل واستتباب الأمن[8]، مما يشير إلى أثر هذه الدعوة السلفية في هذه الأنحاء من خلال وفرة القضاة في تلك البلدان، إلى جانب جهود بعض أمراء عسير المتأخرين في هذا المجال[9].

ويبرز أثر هذه الدعوة جليا في مجال القضاء حينما ضُمَّتْ هذه الأجزاء إلى بقية البلاد السعودية، حيث سعت الدولة السعودية الحاضرة إلى بعث القضاة إلى معظم قبائل هذه المنطقة. وقد اتسع انتشارهم في عسير والمخلاف

---

(١) عثمان بن بشر، كتابه السابق، ج٢، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ص ٤٢.

(٣) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٥.

(٦) الحسن بن عاكش، عقود الدرر، ورقة ٦٧.

(٧) مذكرة تاريخية مخطوطة، توجد بمكتبة آل رقوش الخاصة بزهران.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٥٢، ١٥٣.

السليماني وبقية بلدان تهامة، وربما كان من أسباب نشاط القضاء في هذه الأنحاء أن الدولة السعودية أيضا قد استفادت من علماء هذه المنطقة، حينما ولتهم القضاء في أوطانهم، وبخاصةتهامة، بالإضافة إلى القضاة النجديين الذين وُجِّهوا إلى هذه الأنحاء[1] كما قيل من قبل، ولعل سبب وفرة القضاة في تهامة وعسير في النصف الثاني من القرن الرابع عشر يعود إلى ما قام به الشيخ عبد الله القرعاوي من جهود علمية مخلصة؛ إذ أدى ذلك إلى اتجاه معظم أبناء المخلاف السليماني حينذاك إلى القضاء، مما هيأ وفرة في القضاة والدعاة والمرشدين.

ومن آثار هذه الدعوة السلفية في مجال القضاء بهذه الأنحاء؛ اليقظة السلفية الجادة التي نشأت في عسير خلال القرن الثالث عشر الهجري، إذ يبدو أن أمراءها كانوا على قدر كبير من العلم، وبخاصة طامي بن شعيب الذي قيل بأنه كان من الحافظين لكتاب الله الكريم، كما كان علي بن مجثل المغيدي على دراية علمية مناسبة، فقد كان يجيب على أسئلة مواطنيه الدينية، كذلك عُرِفَ الأمير عايض بن مرعي بميله السلفي الواضح[2]، وبأنه كان يستمع إلى نصائح العلماء عنده، ويسعى إلى تطبيقها، فقد روى عمر رفيع أن الشيخ زين العابدين الحفظي قد طلب من الأمير عايض نفسه مقابلته خارج مقر حكمه من أجل نصحه وحثه على التقوى، فأجابه على ذلك، إذ اجتمع به الحفظي وبذل له «وصايا ونصائح ومسائل، هي لثبات الدين والملك من أعظم الوسائل»[3]. وكانت ترده النصائح من قبَل بعض علماء آل الحفظي فيقبلها ويطبِّق فَحوَاها،

(١) انظر: علماء نجد لابن بسام، ج١، ص ٣٢، ص ٤٤٠، ٤٦٦، ٥٤٤. وانظر كذلك ما ذكره عبد الله العمودي في مجموعه المخطوط.

(٢) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١١٠.

(٣) في ربوع عسير، ص ٢٣٦.

وهذا ما جعل عهده موسوما بالأمن والاستقرار. وهذا الميل السلفي ينطبق في الغالب على أمراء عسير وقضاتها، وبعض مشايخ القبائل فيها[1]، فقد دلت المصادر على أن الأمير محمد بن عايض كان يهتم كثيرا بتطبيق حدود الله وتنفيذها، وبخاصة قضايا الدماء، إذ ورد في إحدى رسائله التي بعث بها إلى حيدر بن علي بالمخلاف السليماني قوله بأن من أهل ضَمَد والمَلْحَا « محابيس[2] في صبيا، لهم سنة في قتيل قُتِل من أهل صبيا قتلوه في غير وجه، فنطلبكم حكم الشرع فيهم، ومن منع من الشرع فيلزم ولي أمر المانع إكراهه منا ومنكم . . . »[3].

ويبدو أن هؤلاء الأمراء العسيريين وقضاتهم، قد كانوا يرجعون في أحكام القضاء المختلفة إلى علماء نجد، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد دلت المصادر على حرص علماء نجد عندئذ على دقة الأحكام القضائية ووضوحها، إذ كانوا كثيرا ما يوجِّهون النصح لقضاة تلك الأنحاء، ويحذِّرونهم الزلل فيها. ومن أمثلة ذلك قول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالة رد بها على سؤال بعث به الأمير عبد الوهاب المتحمي: « فأنتم اذكروا لابن عبد الهادي كلامنا، ولا يخالف، ويهوّن عن

(١) ومن الملاحظ في تراث علماء عسير المخطوط أن هنالك من مشايخ القبائل من يتسم بخصائص العلماء من حيث المحافظة على كتب التراث وإثبات التملك عليها، ومن حيث الاتصال المستمر بالعلماء في البلدان الأخرى، فقد كان أولئك المشايخ ينصون على ذلك في مقدمات كتبهم، ويستحسنون إهداء شيء منها - على سبيل المثال - إلى علماء نجد، ومكاتبتهم من أجل أمورهم الدينية، ولعل من أشهرهم مشايخ بللحمر والنماص ببني شهر. ومن أمثلة ذلك ما فعله الشيخ سعيد بن بن فايز العسبلي حينما أهدى إلى الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ كتاب تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، وقد شفع ذلك الكتاب ببعض الأسئلة الدينية المهمة. انظر ذلك في مقدمة المخطوط نفسه بالمكتبة السعودية ٦٣١/ ٨٦، الرياض.

(٢) سُجَناء. انظر اللسان ١/ ٦٤، ويمكن جمعها على سَجْنَى.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٥٦٠.

فتياه »[1]، وقال كذلك في رسالته هذه: إن ما قال به القاضي محمد بن عبد الهادي عن التلفظ بالنية عند الصلاة « خطأ وجهالة»[2]. ويدل ذلك كله على أن أثر هذه السلفية قد تجلى فيما كان ينهجه قضاة هذه المنطقة في ضوء منهج الدعوة نفسها، وما كانوا يُوَجَّهُونَ به من لدن علمائها في نجد.

وبمثل هذا التوجيه والملاحظة سار علماء الدعوة وقضاتها - فيما بعد - على هذا النهج السلفي، من حيث توجيه النصح وتخصيص أعمال القضاء، فقد ورد في إحدى الرسائل التي بعث بها الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن الشيخ إلى الشيخ عبد العزيز بن محمد الغامدي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م قوله: «تذكر - سلمك الله - من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحنا مجزينك على ذلك. . . وغيره بارك الله فيك من جهة الأمور والأحكام الشرعية، فهذه على كل حال مرجعها للشرع يكون لديك معلوم »[3]، وبمثل هذه الرسالة بعث عبد العزيز التويجري رسالة إلى الشيخ عبد الخالق بن مانع الشهري يسأله فيها عن طريقته في الحكم الشرعي بين مواطنيه وهل لديه إذن من ولي الأمر أم لا؟، ومما قاله في رسالته: « بلغنا أنك تجلس في سوق الثلوث[4]، وفي بيتكم لفصل قضايا الشهارية[5] في مواريث وجروحات وغيرها، ولم نعلم هل عندك أمر من الحكومة أم من نفسك، وهل ذلك صحيح أم لا . . . »[6]. ويشير هذا إلى

(١) الرسائل والمسائل النجدية، ج ١، ص ٣١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١١.

(٣) رسالة خطية توجد لدى عبد الوهاب بن عبد العزيز الغامدي، بلجرشي بغامد.

(٤) الثلاثاء: من أسواق تهامة الشهيرة.

(٥) قبائل الشهارية.

(٦) رسالة خطية، توجد لدى الباحث.

مدى الدقة والعناية بأمور الشريعة، وما يمس المواطنين بسببها، وأن هذه بداية حقيقيَّة ليقظة سلفية في ميدان القضاء، وما يتصل بحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وإذا كان الأمراء في عسير ومواطنوهم قد أدركوا شيئا من هذه اليقظة السلفية في مجال القضاء، حينما كانوا يُلاحظونَ من قبل علماء الدعوة وأمرائها، فإن علماء تهامة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري قد تأثروا كثيرا بمنهج الدعوة، وبدؤوا يتمسكون بأحكام الشريعة دون التفريط فيها أو الإهمال، كما بدؤوا يستفيدون من نهج علماء الدعوة أنفسهم في فصل الخصومات والقضايا في ضوء المذهب الحنبلي، فقد ذكر محمد بن أحمد العقيلي أن عام ١٢٢٠هـ يُعَدّ بداية لإقامة الحدود في المخلاف السليماني[١]، في وقت لم يكن حكامها من قبل يطبقونها، وبخاصة «قطع يد السَّارق، وقتل القاتل، وجلد الزاني المحصن»[٢]، وقد دلل العقيلي على ذلك بقوله: «إن تسجيل مؤرخي ذلك العهد لها دليل على عدم إقامتها قبل ذلك التاريخ»[٣].

أما تمسك علماء تهامة بأهداب الشريعة فقد ذكر عاكش أن القاضي يحيى ابن حسين الضمدي كان صارما في أحكامه الشرعية متشددا فيها[٤]. وكان لا

---

(١) تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٦١.

(٢) المصدرنفسه، ج ١، ص ٤٦١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٤٦١. وقد قال صاحب "نفح العود": إن الشريف حمود بن محمد الحسني في سنة ١٢٢٠هـ «ابتدأ بإقامة الحدود الشرعية على من وجب عليه، فقطع أيدي رجال وأرجلهم من بعد أن تقررت عليهم السرقة. وكان لذلك في قلوب المفسدين وأهل المعاصي موقع عظيم». ص ١٨٥.

(٤) عقود الدرر، ورقة ١١٩.

يقبل تعطيل حدود الله، فقد روى عاكش أن امرأة قَذَفَتْ امرأة أخرى، فَرُفِعَ أمرهما إليه، فثبتت عنده حقيقة القذف، وحكم عند ذلك بحد القذف الشرعي، فما كان من أمير البلدة إلا أن اعترض على الحكم، وعَطَّل تنفيذه؛ مما أدى بهذا القاضي إلى لزوم بيته، ومنع نفسه من القضاء[1]. وقد أضاف عاكش إلى ذلك قوله: إنه «لما روجع في وجه المنع، فقال: لا يكون هذا على طريقة بني إسرائيل، لا يؤخذ الحق للضعيف»[2]. وكان هذا الأمر قد بلغ الحسن بن خالد الحازمي المعروف بنصرته للدعوة السلفية وتأثره بها، إذ تحقق من هذا الأمر، ولما ثبت عنده تحقيقه أمر «أمير القرية أن يحضر المرأة، ويقام عليها حد القذف»[3]. وقد ظل هذا الأثر مستمرا لدى أولي الأمر بالمخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فقد وُصِفَ عهد الشريف الحسين بن علي بن حيدر بشيوع العدل والأمن، وبأن هذا الشريف قد «نصب القضاة العدول في كل بلدة، ونُفِّذَتْ أحكام الشرعية على الرفيع والوضيع»[4]، وبأن له ميلاً - كما ذكر عاكش - إلى كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم[5].

أما إفادة علماء تهامة من المذهب الحنبلي والأخذ به، فمن الواضح أن علماء رجال ألمع قد بدؤوا منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري يفيدون من هذا المذهب، ويحرصون على جمع كتب علمائه، وبخاصة ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما، وقد دلَّ على ذلك استناد أحد علماء آل الحفظي

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٤٥.

برجال ألمع على بعض كتب الحنابلة وغيرها في حكم شرعي أصدره في إحدى القضايا الشرعية في تلك الفترة[1].

ولعل ما نشأ بين القضاة النجديين وإخوانهم القضاة بالمخلاف السليماني في منتصف القرن الرابع عشر الهجري من مناقشات علمية وردود فقهية[2]، يشير إلى مدى أثر هذه الدعوة الإصلاحية في علماء الشافعية وقضاتها بتهامة.

وإذا كان قد برز أثر هذه الدعوة السلفية في ميدان القضاء لدى الأمراء والعلماء، فإن أثرها قد برز كذلك لدى الأهلين. وذلك حينما كانوا يستأنفون أحكامهم الشرعية لدى علماء الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، فقد ذكر محمد سعد البركي أن أحد الأهلين ببلجرشي من غامد، قد رحل إلى نجد في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري من أجل إطْلاع العلماء في الدرعية على حكم القاضي عبد الرحمن بن هباد الذي قضى به عليه، وقد ذكر البركي أن علماء الدرعية أقروا حكم هذا القاضي، وأيدوه[3]، مما دعا هذا المتقاضي إلى إرسال مثل مشهور لا زال ساريا - كما قال البركي - في بلاد غامد حتى اليوم[4]. وهذا دليل واضح على اتصال الأهلين بعلماء نجد، وأن أثر هذه الدعوة قد تبين حين اتفقت الأحكام الشرعية التي يصدرها كل من قضاة نجد وغامد، في حدود المذهب الواحد، والمجال السياسي الموحد.

والحقُّ أن الوثائق الشرعية التي صدرت من القضاة والهيئات القضائية

(١) وثيقة مخطوطة تحوي حكما شرعيا لأحد علماء آل الحفظي في سنة ١٢١٨هـ في عهد الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي.

(٢) انظر: مؤلفات عبد الله بن علي العمودي.

(٣) بلجرشي في سطور، ص ١٣.

(٤) المثل هو: «الماء مخارم منا إلى الدرعية»؛ يعني أن الحكم الشرعي واحد في غامد وفي الدرعية.

بتهامة وعسير بعد انضمامهما إلى بقية البلاد السعودية، تدل على شيء من التنظيم القضائي في طريقة الحكم الشرعي، وتشير كذلك الى دقة الضوابط الشرعية لدى القائمين على القضاء، واتساع نشاطهم بهذه الأنحاء. وذلك يدل على أثر هذه الدعوة السلفية ممثلة في ولاة الأمور القائمين على شؤون هذه البلاد، ويتضح هذا القول في الوثائق الشرعية التي صدرت من لدن القاضي علي بن محمد السنوسي بجازان، والقضاة بداري: الجبل والرمادة بغامد، ولدى الفقهاء من أسرة آل مسبل ببللحمر[1] وغيرهم.

(١) يوجد لدى الباحث شيء من هذه الوثائق الخطية التي صدرت عن هؤلاء القضاة بهذه الأنحاء. وبخاصة من القاضي علي بن محمد السنوسي.



الفصل الرابع

موقف العلماء بهذه الأنحاء من أمر هذه الدعوة وحقيقتها

اختلف العلماء في جنوبي الجزيرة العربية حول تأييد هذه الدعوة السلفية ومعارضتها، فقد نشأ عندئذ شيء من الخلافات الدينية، والاتجاهات الفكرية إزاء كثير من القضايا المختلفة، شأن معظم العلماء في الجزيرة العربية وفي غيرها. ولعل ذلك يعود إلى وفرة الاتجاهات الدينية بتلك الأنحاء، وتفاوت الأوضاع الفكرية والسياسية، وربما كان العلماء في البيئات العلمية المحدودة خير من أيد هذه الدعوة ونصرها. وذلك بخلاف البيئات العلمية الأخرى ذات التميز المذهبي والفكري، ولعل عسير ورجال ألمع من أبرز تلك البلدان تجاوبا لهذه الدعوة، فقد كانت عسير - كما قيل من قبل - لا تتصف بشيء من أسباب اليقظة الفكرية قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها، كما أن رجال ألمع لم يتحقق لها من قبل ذلك الوضع السياسي المناسب؛ مما جعل العلماء والأمراء بهما يُقبلون على هذه الدعوة، ويؤيدونها.

أما بلدان اليمن ومعظم بلدان تهامة فقد كانت متميزة بميلها المذهبي واتجاهها السياسي؛ مما أوجد شيئا من الاختلافات في وجهات النظر، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ومع ذلك وُجد بها نفر من العلماء البارزين الذين أيدوا هذه الدعوة ونصروها[1]. وذلك على الرغم من العداء السافر الذي نصبته تركيا عندئذ لهذه الدعوة ودعاتها[2].

ويمكن للباحث في هذا المجال الفكري أن يقسم مواقف العلماء بهذه

---

(١) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ١٣٠.

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٣٢١.

الأنحاء إزاء الدعوة الإصلاحية ثلاثة أقسام. وذلك في ضوء المصادر الأولية لظهور هذه الدعوة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، فقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد الحفظي في معرض حديثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه « لما انشقت[1] دعوته، وفاضت من وجه الأرض بركته، وانتفع به كلٌّ الخاص والعام، وارتفعت قواعد الإسلام انقسم الناس ثلاثة أقسام، وتحزبت أكثر الأنام، وكل حزب بما لديهم فرحون، وكل طائفة في مسارحهم يسرحون »[2]. ومن أجل ذلك فإنه يمكن مناقشة آراء أولئك العلماء من خلال دراسة هذه الأقسام الظاهرة التي وصفها الحفظي بنفسه بأنها في نهجها المتفاوت تسير « على عادة القرون السوالف في التوافق والتخالف »[3]، وهذا أمر طبعي بالنسبة لمثل هذه الدعوة الإصلاحية، وربما أمكن تتبع مواقف العلماء من خلال تقسيمهم إلى: علماء مؤيدين معتدلين، وعلماء مؤيدين غالين، وعلماء معارضين.

أولا: المؤيدون المعتدلون

أمّا العلماء المؤيدون المعتدلون فإنَّهم يعدون خير من أيَّد هذه الدعوة ونصرها، إذ سلكوا في سبيلها نهج الرشد والاعتدال. وقد كانوا من أولئك العلماء المهاجرين إلى الدرعية، الذين أخذوا مبادئ هذه الدعوة من دعاتها الأوائل بنجد، فقد وصفوا بأنَّهم ممن « أجاب الدعوة، وقَرُبَتْ محلته[4] من

---

(١) انشقت: انبثقت.

(٢) اللجام المكين، ورقة ١.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١.

(٤) منزلته.

الدعاة الصفوة»[1]، وأنَّهم كذلك ممن « شَرب العين من مجراها، وعاينها، ورآها . . . ، فحصلت لهم الموافقة لا المباينة، وليس الخبر كالمعاينة»[2]، ولعل من أبرزهم الدعاة الأُوَل من عسير ورجال ألمع والمخلاف السليماني الذين أخذوا على عواتقهم نشر مبادئ الدعوة في تلك الأنحاء، وربما كانوا قليلاً عند ذلك بالنسبة للطائفتين الأخريين[3].

ومن الواضح أن علماء آل الحفظي برجال ألمع قد كانوا من أبرز هؤلاء العلماء المؤيدين، فقد أخذوا يدعون إلى هذه الدعوة السلفية بالحكمة والموعظة الحسنة، وشرعوا في مكاتبة علماء اليمن والمخلاف السليماني من أجل قبولها، إذ قال محمد بن أحمد الحفظي: « لم نزل نناضل عن الشيخ ودعوته، ونناظر عن الأمير وطريقته، ولقد كتبت إلى بعض ملوك اليمن وقضاتهم »[4]، وبأنه نظم في ذلك منظومة شعرية ذات « أبيات كثيرة في هذا المعنى معاونةً [كما قال] مني على توحيد من أغنى وأقنى »[5]. ومن هذه المنظومة قوله في الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

بل قام يدعو الناس للتوحيد والـ ... تجريد والتفريد للرَّب العَلي
ويذب عن شرع النبي محمد ... ويَذمُّ من يدعو النبي أو الولي[6]

وكان العلماء الحفظيون كثيرا ما يكاتبون علماء الدعوة أنفسهم في نجد، ويبينون لهم واقع الدعوة في جنوبي الجزيرة العربية، وليس أدل على موقفهم

(١) محمد بن أحمد الحفظي، اللجام المكين، ورقة ١ .
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١ .
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٤) اللجام المكين، ورقة ٢ .
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢ .
(٦) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ص ٢٠.

هذا من تلك الرسالة التي ألفها محمد بن أحمد الحفظي نفسه سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، وبعث بها من بعد ذلك إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حول موقف العلماء بهذه الأنحاء من هذه الدعوة السلفية، إذ أخذ يطلب منه عندئذ إيضاح موقف الدعوة من أولئك الدعاة، ويبين له ما يسلكه بعضهم من الغلو في نشر الدعوة. وذلك في مثل قوله: «فأفيدوا عن ذلك، وعن حال من سلك هذه المسالك، وألجموا العامة عن الاعتراض على ذلك، فإن قولكم يقطع النزاع، ويحصل معه الاجتماع»[1]، ويتضح من هذا القول ما كان عليه أولئك الدعاة من إلزام الناس ببعض الأمور المخالفة لمبادئ الدعوة السلفية[2]. وذلك ما كان يجعل علماء آل الحفظي يصاحبون الجيوش العسيرية من أجل «السعي في سلامة أهل العلم من أهل اليمن»[3]، إذ كانوا ربما يتعرضون لشيء من الأذى بسبب غلو بعض الدعاة المؤيدين.

ولعل من أبرز علماء رجال ألمع المؤيدين: أحمد بن عبد القادر الحفظي، ومحمد بن أحمد الحفظي، وإبراهيم بن أحمد الحفظي، وعبد الهادي بن بكري، ومحمد بن عبد الهادي بن بكري، وغيرهم. ويتضح موقف أولئك العلماء جليا في قول محمد بن أحمد الحفظي: «وإن ممن قوي إيمانه وانبسط على البسيطة سلطانه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الثواب، وحصل له من التجديد ما يجل عن القدر خصوصا في إخلاص التوحيد، وصرف العبادات كلها للغني الحميد، وترك دعوة غيره من العبيد،

---

(١) اللجام المكين، ورقة ٣.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١٣١.

والعمل بالكتاب والسنة لله، وترك البدع المضلة »[1]، هذا إلى جانب أنه أسهب في وصف غبطته بهذه الدعوة، وبين حاجة تلك الأنحاء إليها، كما أوضح عذره في عدم قدرته على الرحلة إلى الدرعية، من أجل الإفادة من دعاتها والأخذ عنهم[2].

وقد ظل موقف علماء رجال ألمع ثابتا في تأييد هذه الدعوة ودعاتها. وذلك على الرغم من ضعف الأثر السياسي لهذه الدعوة بتلك الأنحاء. ويدل على ذلك موقف أحمد بن عبد الخالق الحفظي من الترك أعداء الدعوة الألدَّاء. وذلك حينما نُفي إلى بلادهم من أجل هذه الدعوة السلفية، ولعل ذلك الموقف المؤيد يتجلَّى في قصائده التي كان ينظمها، وفي خطبه التي كان يلقيها حينذاك، إلى جانب مواقف بعض فقهاء عسير وشيوخها الذين اعتُقلوا من قِبل الترك سنة ١٢٨٩هـ[3].

وإذا كان هذا التأييد قد دل على موقف علماء آل الحفظي برجال ألمع من هذه الدعوة السلفية، فإن علماء المخلاف السليماني قد سلكوا أيضا هذا السبيل ولكنهم لم يكونوا في أول عهدهم بهذه الدعوة الإصلاحية بتلك الصورة التي وُجدت لدى علماء رجال ألمع وأمراء عسير. ولعل السبب في ذلك - كما قيل من قبل - يعود إلى الحالة الفكرية والأدبية التي يحياها المخلاف السليماني حينذاك، إلى جانب الاستقلال السياسي والتأثير اليمني في المذهب الديني السائد آنذاك، بالإضافة إلى الاتصال الفكري المستمر مع البلدان المجاورة. ومع ذلك وُجد نفر من الدعاة المؤيدين المعتدلين الذين سعوا في نشر هذه

(١) اللجام المكين، ورقة ١.

(٢) نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٣.

(٣) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٢٥ - ١٣٠.

الدعوة، وأيدوها، ولعل من أشهرهم: أحمد بن حسين الفلقي، وعرار بن شار الشعبي، ومنصور بن ناصر الحسني[1]، ومن إليهم من الدعاة الأول في المخلاف السليماني.

ولعل مايدل على اعتدال أولئك الدعاة بتلك الأنحاء ما سلكه الفلقي من سبل الدعوة والعمل على نشرها، فقد دعا إليها بالحكمة، وأجرى بسببها المناظرات والمناقشات[2]، كذلك كان الحسن بن خالد الحازمي بعد ما قبل أمر هذه الدعوة، يثني على علمائها، ويشير إلى تمكنهم العلمي، مما يدل على موقفه المعتدل نحوهم، فقد ذكر عاكش أن الحسن بن خالد الحازمي حينما التقى بعلماء نجد في الدرعية «جرت بينه وبينهم مذاكرات علمية في الأصول والفروع»[3]، وأنه - كما قال عاكش - قد «وصفهم بكمال الإدراك والمعرفة»[4]. ويؤيد هذا من قبل قول عبد الرحمن بن أحمد البهكلي بأن الحسن بن خالد الحازمي حينما وفد إلى الدرعية في تلك الفترة ذكر بأنهم «على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنهم يقدمون العمل بالنص على العمل بقوله»[5]، كما ذكر أشهر الكتب الفقهية المنتشرة حينذاك بنجد[6]، ولعل موقف الحازمي من هذه الدعوة السلفية قد أثر في حياته العلمية والعملية بعد عودته من الدرعية، إذ شرع - كما سبق ذكره - يدعو الناس إلى العمل بالكتاب الكريم، والسنة النبوية.

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٨٣، ٩٠.

(٢) لطف الله جحاف، درر نحور العين، ورقة ٣١٤.

(٣) الديباج الخسرواني، ورقة ١٧.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٧.

(٥) كتابه السابق، ص ١٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

وقد تميَّز من بعد ذلك في المخلاف السليماني عدد من العلماء البارزين الذين اتسموا بالاعتدال في مواقفهم تجاه هذه الدعوة، ولعل من أبرزهم: الشيخ حسين بن شبير الحسني، ومحمد بن ناصر الشريف، والحسن بن أحمد عاكش، وربما دل على موقف حسين بن شبير الحرص التام الذي أولاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على تأييد هذه الدعوة بالقول والعمل[1]. وأما محمد بن ناصر فقد ذبَّ عن الدعوة السلفية، وناهض في سبيلها المغرضين، وفنَّد حججهم، إذ قال في وصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه « بيّن للناس من أنواع التوحيد بالإيضاح والتحقيق ما لا يعرفه أكثر العلماء، وأوضح لهم ما كان عليه السلف الصالح »[2]، وقال كذلك بأنه « انتفع بدعوته الخلق الكثير من أهل القرى والأمصار؛ وذلك أنه - رحمه الله تعالى - قام بهذه الدعوة لما اشتدت غربة الإسلام، وعفت آثاره»[3]. وذلك ما يدل على موقف هذا العالم، وأنه يتصف بالتأييد والاعتدال، إذ قرر ذلك بقوله: « ونحن ما نصرنا في هذا الرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل نصرنا الحق من غير تعصب لموافقته الأدلة »[4]. وقال كذلك في رسالته التي ألفها في إثبات الصفات[5]، بأنه قد بين فيها «عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأن عقيدته وعقيدة أتباعه هي عقيدة السلف الماضين من الصحابة والتابعين، وسائر أئمة الدين»[6].

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٤٠.

(٢) كتابه السابق، ورقة ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣٣.

(٥) صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، ص ٢٠٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٠. وقال في موضع آخر: « إن هذا الاعتقاد الذي حكيناه عن محمد بن عبدالوهاب وأتباعه - يعني في آيات الصفات وإجرائها على الظاهر - هو الاعتقاد، والحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وكلام الصحابة وسائر الأمة ». المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

وبمثلما تميز به موقف محمد بن ناصر من التأييد والاعتدال، كان موقف الحسن بن أحمد عاكش في آخر حياته معتدلا يميل كثيرا إلى الوضوح والتأييد، فقد قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه « القائم بالدعوة التي رفع بها قواعد التوحيد وشاد، وخفض بها منازل الشرك وأباد »[1]، وقال أيضا في أحد أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب: « وقد رأيت من حسين بن محمد مذاكرات دارت بينه وبين سيدي الوالد -رحمه الله تعالى-، فرأيت في أبحاثه ما يبين عن اطلاع تام وجودة فكر وألمعية مساعدة »[2]. وقد دل عاكش بموقفه هذا على اعتداله وحسن تقديره للأمور، هذاَ إلى جانب إفاضته في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض كتب التراجم التي ألَّفها عن علماء اليمن والمخلاف السليماني وغيرهما.

وربما تميز بعض علماء المخلاف السليماني عن سواهم، بأنهم ظلوا محافظين على مواقفهم المؤيِّدة نحو هذه الدعوة ودعاتها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الاتصال العلمي المستمر الذي اتسمت به بلدان المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. وذلك ما ميَّزها عن رجال ألمع وعسير، إذ فتر فيهما النشاط الفكري في تلك الفترة، ولعل من أبرز علماء المخلاف السليماني تأييدا لهذه الدعوة السلفية: الشيخ عبد الله بن علي العمودي، والشيخ صالح بن عبد الله العمودي.

أما عبد الله العمودي فقد تبيَّن موقفه من هذه الدعوة من خلال مؤلفاته العديدة، وما كان يجرى له من المناظرات العلمية مع علماء نجد الحنابلة، وذلك حينما كانوا يفدون على تهامة من أجل القضاء والإرشاد وغيرهما، ويمكن بيان

(١) عقود الدرر، ورقة ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٠٤.

موقفه من حقيقة هذه الدعوة في معرض حديثه عنها، إذ قال: «هذه الدعوة الدينية من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إخلاص التوحيد، وترك الشرك الذي هو أخفى من دبيب النمل، فلا نكير فيها عليه فيما شاهده من المحسوسات الشركية في جميع الأقطار، ولا ناه، ولا زاجر، ودبَّ عليه الصغير، وشاب عليه الكبير»[1]، وقال كذلك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موضع آخر: «هذا حاصل خلاصة الكلام عن الإمام محمد بن عبد الوهاب في التسليم له بالاجتهاد»[2]. وهذا جميعه يدل بوضوح على تأييد هذا العالم لما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن تلك الأعمال من محاسنه رحمه الله تعالى، وقد أكد هذا بمنظومة شعرية مختصرة[3]. أما صالح العمودي فقد كان يثني كثيرا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ويصفه بأنه قد أحيا «عقيدة أهل السنة... بعد اندثارها»[4]. وذلك كله يشير إلى موقف بعض علماء المخلاف السليماني المتأخرين.

أما علماء اليمن فإن الغالب على مواقفهم المعارضة، ومع ذلك فقد كان أبرز علمائهم في تلك الفترة يؤيدون هذه الدعوة، ويثنون عليها، ولعل من أشهرهم: محمد بن إسماعيل الأمير، وإبراهيم بن محمد الأمير، ومحمد بن علي الشوكاني. فأما محمد بن إسماعيل الأمير فقد بيَّن موقفه من خلال مقدمته للقصيدة الدالية التي أيَّد فيها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ قال: «لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبد الوهاب، ووصل إلينا بعض تلامذته، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى،

(١) معنى الترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورقة ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.

(٤) إرشاد الأمة إلى توحيد مذاهب الأئمة، مخطوط، ورقة ٣.

وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات»[1]. وكان بهذه الأبيات قد وافق الشيخ محمد بن عبد الوهاب «فيما ذهب إليه من الآراء والاجتهادات»[2]. أما إبراهيم بن محمد الأمير فقد كان موقفه من هذه الدعوة واضحا معتدلا، إذ يُعَدُّ خير من أنصفها، فقد وصفه عاكش بأنه في مؤلفاته قد أنصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب «بما لا يبقى لمنصف بعده ارتياب أنه على طريق الصواب»[3].

أما الشوكاني فإنه يُعَدُّ من أبرز علماء اليمن نصرة لهذه الدعوة، وتأييدا لها، إذ عرف بمواقفه المؤيدة تجاه علمائها والقائمين عليها، ولعل ما ألفه بسببها وما قام به من مناهضة أعدائها يُعَدُّ من مواقفه المعتدلة تجاهها، فقد وصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه «الداعي إلى التوحيد، المنكر على المعتقدين في الأموات»[4]. وكان الشوكاني - رحمه الله - منصفا لم يصرفه التعصب ولا الهوى إلى ما ذهب إليه علماء اليمن الآخرون، إذ كان كلما أورد شيئا من الشبه التي رمي بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يقول: «وتبلغ أمور غير هذه، والله أعلم بصحتها»[5]، كما كان يقول بما يوافق الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، وذلك بأن من يستغيث بغير الله من نبي أو ولي وهو يعتقد بأن تأثيره مثل تأثير الله فإن ذلك كفر، «يصير به صاحبه مرتدًا»[6]، وبأنه «إذا لم يتب

---

(١) الديوان، ورقة ٥٦.

(٢) أحمد بن حافظ الحكمي، الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير - حياته وشعره، رسالة ماجستير، ص ١٧٣.

(٣) الديباج الخسرواني، ص ٢٤.

(٤) البدر الطالع، ج ١، ص ٢٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.

كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين»[١]، ولعل مما يدل على موقف الشوكاني المعتدل تلك القصيدة التي رثى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما بلغته وفاته، إذ قال في مطلعها:

مصاب دهى قلبي فأذكى غلائلي وأصمى بسهم الإفتجاع مقاتلي[٢]

ومن الواضح أن موقف علماء اليمن المعتدلين من هذه الدعوة، قد كان واضحا لدى العلماء المشهورين بتلك الأنحاء، وذلك فيما ظهر من مؤلفاتهم وشعرهم، وما كانوا ينصحون به الأئمة في نواحيهم، مما جعل أثرهم واضحا في مواطنيهم وتلاميذهم، وفي من تأثر بهم. وقد تنبه إلى هذا محمد فتحي عثمان، حينما قال في معرض حديثه عن الشوكاني: «وإذا كان صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قلب شبه الجزيرة العربية، قد وصل إلى اليمن على هذه الدرجة من الوضوح والقوة، وكان له مثل ذلك الأثر الفعال، فكيف بصوت الشوكاني هناك؟ لقد كان له دون شك... أثره في إقناع الكثيرين باليمن»[٣]، ولكن هذا الأثر الذي وجد قد تأثر - فيما يبدو - بالميول المذهبية التي كانت تتحكم في مواقف كثير من علماء اليمن، مما جعل هذا الأثر الذي أوجده الشوكاني في غيره يتبدد ويضيع، بينما تبقى آثاره منتشرة بين الناس داخل اليمن وخارجها، وذلك لاشتهاره وشيوع ذكره. ويمكن إدراك موقف بقية علماء اليمن المؤيدين تجاه هدم القباب من خلال جوابهم على الإمام المتوكل عام ١٢٢٩هـ، إذ قالوا: «بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.
(٢) أحمد حافظ الحكمي، الإمام محمد بن علي الشوكاني أديبا شاعرا، مجلة كلية اللغة العربية، ع ٧، ١٣٩٧هـ، ص ٣٨٣.
(٣) السلفية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ص ٧٧.

أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع »[1]. وهذا يدل حقيقة على أثر هذه الدعوة السلفية في هذا المجال.

ثانيا : المؤيدون الغالون

تدل المصادر الأولى لظهور الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية على أن هنالك عددا من القائمين على هذه الدعوة بتلك الأنحاء، قد كانوا كثيرا ما يغالون في نشر تعاليمها وإيضاح حقيقتها. ولعل ذلك يعود إلى جهلهم بمبادئها، وانصرافهم عندئذ إلى تحقيق العمل السياسي دون سواه. وقد تنبَّه إلى ذلك عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم حينما قال: « ومما يؤخذ على بعض أصحاب الدعوة وأتباعها أنهم غالوا في كثير من الأمور، واعتقدوا أن من يرى غير رأيهم فيها كافر حلال الدم والمال»[2]. وقد نجم عن ذلك الغلو سفك كثير من الدماء، إذ لم يكن ذلك العمل يوافق الدعاة الأول بنجد وما يدعون إليه؛ مما دفع دعاتها المخلصين بجنوبي الجزيرة العربية إلى مكاتبة أولي الأمر في الدرعية من أجل إيضاح الحقيقة حول ما يرمي إليه أولئك الدعاة بهذه الأنحاء.

ولعل خير من تنبَّه لذلك الأمر الشيخ محمد بن أحمد الحفظي الذي ألَّف رسالة في هذا الجانب بين فيها موقف أولئك الدعاة الغالين المتشددين، وطلب من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بيان الحقيقة تجاه أفعالهم وأقوالهم. ومما ذكره الحفظي عنهم قوله بأنهم قد أخذوا « بظاهر الأمر، واختطفوا الكلام في السر والجهر »[3]، مما أبعدهم عن إدراك الحقيقة الإصلاحية التي ترمي إليها هذه الدعوة السلفية، فقد وُصِفُوا بأنهم « أطلقوا القول بالتحليل والتحريم

(١) حوليات يمنية، ص ٧.
(٢) الدولة السعودية الأولى، ج ١، ص ٥١.
(٣) اللجام المكين، ورقة ٢.

والتكفير بغير هدى من الله ولا كتاب منير»[1]. وذلك على الرغم مما كان يُجرى لهم من النصح والتأنيب.

وقد بيّن الحفظي للإمام عبد العزيز بن سعود حالهم في موضع آخر بقوله: «وسأذكر لك - أيها الأمير الشهير والشيخ الكبير - جُملاً من أفعالهم وأقوالهم طلبا للجواب المهوِّن لأهوالهم»[2]، ثم أخذ الحفظي نفسه من بعد ذلك يبيِّن ما كان يسلكه أولئك الدعاة من الأقوال والأفعال، فقال بأن من أقوالهم: «إطلاق الشرك والكفر والردة»[3]، إلى جانب أن ذلك يجري منهم إما «بالسبِّ والتقريع والتهويل والترويع، وتارة بالحرب والقتل وسبي الأولاد والأهل»[4]. وقد أكد الحفظي هذا القول، وطلب عندئذ من الإمام عبد العزيز نفسه: «تقييد ما يطلقون، وإلجامهم عما فيه يجمحون»[5]. هذا إلى جانب أنهم - كما ذكر - الحفظي ينكرون إسلام من قد أسلم[6]، وأنهم كانوا يلزمون الناس باتباع المذهب الحنبلي مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الوقت الذي كان فيه علماء هذه الدعوة السلفية لا يلزمون أحدا باتباع مذهبهم دون سواه[7]. وقد ظلّ الحفظي يلح على ضرورة تدارك هذا الأمر والنهي عن الغلو فيه.

والحق أن ما ذهب إليه أولئك الدعاة ينافي حقيقة الدعوة السلفية، وأن ما

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٧) انظر جواب سعيد الحجي على سؤال محمد بن أحمد الحفظي، يوجد بقسم المخطوطات - جامعة الملك سعود برقم ٨١٤م.

كان يجري في تلك الأنحاء لم يكن في نجد نفسها، ولعل خير ما يوصف به أولئك القوم أنهم غير مدركين لحقيقة هذه الدعوة الإصلاحية وما تدعو إليه من إخلاص التوحيد للواحد القهار، وأن أعمالهم هذه قد تسببت في إتلاف كثير من الأموال والأنفس والتراث الفكري، وبخاصة في تهامة حيث الصوفية والزيدية وغيرهما. ويبدو أن هذا الحال قد أثر في بعض الأهلين بعسير، إذ رأوا ما يراه بعض الغلاة من أمرائهم، ويصور ذلك قول الشوكاني في معرض حديثه عن واقع الدعوة في عسير حين قال: «ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارجٌ عن الإسلام»[1]، وأضاف إلى ذلك قوله: إن جماعة منهم خاطبوا «أمير حجاج اليمن السيد محمد بن حسين الكبسي... هو ومن معه من حجاج اليمن بأنهم كفار غير معذورين عن الوصول إلى صاحب نجد للنظر في إسلامهم»[2]، وقد أضاف أن هذا الأمير والذين معه من الحجاج لم يتخلصوا منهم «إلا بجُهد جَهِيد»[3]، وإن صح هذا فهو لا يخلو من الغلو والمبالغة في الدعوة، ولكنه مع هذا يبين أثر الدعوة في الأهلين بعسير على وجه الخصوص.

وقد صوّر عاكش شيئا من أفعالهم هذه حينما تعرض لذكر إسماعيل بن إبراهيم النعمان الضمدي (... - ١٢٢٥هـ)، وأنه قتل بسبب غلو بعض أولئك الدعاة حينما «صادفوه خارج البلد»[4] بالمخلاف السليماني. وقال عاكش في موضع آخر بعدما أثنى على مبادئ الدعوة السلفية وما جرى بسببها من الإصلاح: «ولكنما شيب صفو هذه الدعوة بما كدرها من الغلو الذي تأباه

(١) البدر الطالع، ح ١ ص ٥، ٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥، ٦.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ٥، ٦.
(٤) عقود الدرر، ورقة ٣٠.

محاسن الشريعة المحمدية»[1]، وأضاف إلى ذلك قوله: «وكم جرى في أيامهم من عظائم على أيدي أمراء انتهكوا المحارم، وأحلوا ما حرم الله من المآثم. . .، ولم يكن في أيديهم حجة غير دعواهم أن الناس بما أحدثوا من الأفعال والأقوال صاروا غير مسلمين»[2]. ولعل ما وَصَفَ به عبد الرحمن بن أحمد البهكلي أهل ضمد وما نالهم من الأذى يشير إلى غلو أولئك الدعاة[3] الذين لم يكونوا على بصيرة من حقيقة هذه الدعوة الإصلاحية.

وكان المؤرخون العلماء بتلك الأنحاء يفيضون في ذكر هذه الأحداث؛ وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ولكنها لم تكن تخلو تلك الأخبار - في الغالب - من المبالغة؛ فقد ذكر عبد الرحمن بن أحمد البهكلي طرفا[4] منها، كما أشار لطف الله جحاف إلى شيء من أخبارها[5]، إلى جانب كثير ممن تعرض لذكرها من المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث والذين أتوا من بعده، ولعل خير شاهد على غلو أولئك الدعاة بالمخلاف السليماني ما وُصِفَ به علي بن داحش بن عقيل من «إقذاع في القول»[6]، وبأنه كان «يسارع إلى إطلاق الشرك»[7].

وقد وصفَ الدعاة الذين وفدوا إلى تهامة بأنهم قد أسروا «الأطفال والنساء. . .، وتحكموا هنالك في الغني والفقير، وقتلوا خلقا لا يُحصى»[8]،

(١) الديباج الخسرواني، ورقة ١٧.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٧.
(٣) كتابه السابق، ص ١٢٣.
(٤) انظر: كتاب نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود.
(٥) انظر: درر نحور العين.
(٦) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١١٦.
(٧) المصدر نفسه، ص ١١٦.
(٨) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٢، ٣٢٣.

كما أنهم حينما دخلوا المخلاف السليماني عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م « أخذوا القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي ـ وإليه ترجع أمور الشريعة بتلك الجهات ـ، فألزموه كلمة الإسلام، وطلبوا منه الشهادة على تلبسه بالكفر وأن أبويه ماتا عليه، ففعل ذلك كله، وبعثوا من جهلتهم من يحفِّظه ويُعلِّمه أمر الدين»[١]، إلى جانب ما وصفوا به من الأخذ بمبدأ حلق الرؤوس، وبخاصة في تهامة وبعض قبائل عسير، إذ وصف عام ١٢١٥هـ كما ذكر محمد عمر رفيع « بعام الدرماح »[٢]، وقد بالغ لطف الله جحاف كعادته حينما قال بأن أولئك الدعاة حلقوا رأس الشريف حمود بن محمد الحسني، وأنه من أجل ذلك كاد « يموت من الغيظ »[٣].

والحق أن هذا الفريق من الدعاة المؤيدين لهذه الدعوة، قد كانوا رغم مناصرتهم لها يغالون في تطبيق تعاليمها، وأنه إن صح ذلك عنهم قد شوهوا حقيقتها، بما أثاروا حولها من الشُّبَه والمفتريات التي وجد منها المغرضون سبيلاً للقدح في علمائها ومنهجها السلفي، ولكن ربما كان ذلك من صنع المؤرخين المغرضين الذين يشط بهم الهوى والتعصب، وإلا لما كان بقي أثرها الفعال يسري بين الأهلين والعلماء بعد الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث أصبح لهذه الدعوة من الدعاة الحقيقيين المعتدلين من يدفع عنها الشبهات، ويتمسك بتعاليمها.

ثالثا : المعارضون

وُجِدَ العلماء المعارضون لهذه الدعوة السلفية في المخلاف السليماني

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٣.

(٢) في ربوع عسير، ص ١٧٧.

(٣) كتابه السابق، ورقة ٣٢٣.

واليمن ونجران في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. فأما المعارضون بالمخلاف السليماني فقد زال اعتراضهم منذ قبلت بلادهم أمر هذه الدعوة. وأما فقهاء نجران فربما كان اعتراضهم واضحا في مواقفهم السياسية لا الفكرية. وأما اليمن فقد ظل علماؤها ماضين في معارضتهم حتى قضى الترك والمصريون على الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، حيث أرضاهم ذلك وأسعدهم، إذ بدؤوا يؤرخون لهذا الحدث ويذكرونه في نهايات مؤلفاتهم وما إليها من الوثائق والأوراق المستقلة[١]. وقد خَفَتَ دافع المعارضة في اليمن من بعد ذلك، فلم يبرز إلا في حدود ضيقة في القرن الرابع عشر الهجري، حين أحدثت قضية العُصْبَة[٢] في تَنُومة بني شهر شيئا من الصراع الفكري، وبخاصة في مجال الشعر[٣]، ولم يلبث ذلك الأمر حتى أخذ يتلاشى، وذلك حينما أدرك أبناء اليمن حقيقة هذه الدعوة السلفية، بدؤوا يميلون إليها بصورة واضحة، وحينما أخذوا في الهجرة في سبيل العلم إلى نجد وغيرها.

ولعل خير ما يوصف به أولئك العلماء، أنهم - كما قال الحفظي - ممن «ناظر وجادل أو صاول وقاتل»[٤]. وذلك يتصح فيما نشأ من أجل هذه الدعوة من المناظرات والمناقشات العلمية، إذ قال فيهم محمد بن أحمد الحفظي: «أما أهل الشُّبه والجدال فلا بد من المحاجة والاستدلال حتى يُرَى الحق من

(١) من ذلك - على سبيل المثال - الرسالة التي بعثها أحد علماء اليمن إلى محمد علي باشا والي مصر، انظرها في المكتبة الغربية بجامع صنعاء تحت رقم ١٢٩ مجموع، ورقة ١٣٨، وانظر كذلك في المكتبة نفسها مجموع ١٦٢، تراجم وتاريخ، ورقة ج.

(٢) انظر أخبارها في مخطوطة حوادث عسير واليمن والحجاز، مج١، لمقبل الذكير، ورقة ٣٠.

(٣) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج١، ص ٥١.

(٤) اللجام المكين، ورقة ٣.

الضلال»[1]، إلى جانب الحروب المتكررة والمعارك التي نشأت حينذاك بدافع من أولئك العلماء الذين وصفهم الحفظي بقوله: «أما أهل الصَّولة والقتال لرد توحيد ذي الجلال فلا تنفع فيهم المناظرة إلا بالسيوف الباترة»[2]. ولعل السبب في تلك المعارضات يعود إلى موقف هؤلاء العلماء المعارضين من هذه الدعوة السلفية، وما يميلون إليه من التعصب المذهبي والسياسي، بالإضافة إلى ما يذكيه الترك والمصريون في قلوب العلماء حينذاك من الدعاية المغرضة ضد هذه الدعوة الإصلاحية. إذ تسبب هذا الدافع عند أولئك العلماء المعارضين في اليمن بخاصة إلى مكاتبة الأشراف بمكة المكرمة، وولاة الترك، والمصريين من أجل مناهضة الفكر السلفي، وما تدعو إليه هذه الدعوة الإصلاحية.

ويمكن تتبع آثار هذه المعارضة عند علماء المخلاف السليماني، منذ بدأ الداعية أحمد بن حسين الفلقي ينشر مبادئ الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، إذ كان عندئذ الحسن بن خالد الحازمي وجماعة من علماء ضَمَد قبل قبولهم لهذه الدعوة يرفضون مبادئها[3]، ويرون أن «أهل نجد خوارج، حكمهم حكم الخوارج أهل النهروان»[4]، إلى جانب موقف الحازمي الذي ظهر جليا في ميدان الشعر حينما عبر عن رأيه في منظومته التي وجهها للشيخ محمد بن أحمد الحفظي برجال ألمع[5]، بالإضافة إلى موقف بقية علماء المخلاف السليماني المعارضين الذين عبروا كذلك عن آرائهم في قصائدهم التي نقضوا

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٤. والنهروان: «كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وهو لعلي على الخوارج» في سنة ٣٧هـ، انظر: أيام العرب في الإسلام لمحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ص ٣٧٩.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٢.

بها قصيدة الحفظي المرسلة إليهم من أجل قبول الدعوة وتأييدها[1]. ولعل ذلك ناجم عما وجد بتلك الأنحاء من المذاهب والفرق الدينية المختلفة خلال تلك الفترة[2].

وقد نجم عن تلك المعارضة وجود شيء من النقاش الفكري، إذ قال عاكش: إنه نشأ بين الحسن بن خالد الحازمي وعلماء عصره حينذاك شيء من النقاش العلمي حول هذه الدعوة السلفية وهل يمكن أن « يطلق على هؤلاء الطائفة[3] أنهم خوارج»[4]. كما أنهم ألَّفوا في هذا الميدان بعض الرسائل المختلفة[5]، لعل من أشهرها رسالة أحمد بن حسن علي البهكلي في حكم الخوارج[6]. هذا إلى جانب ما كان يسلكه محسن بن علي الحازمي من نقل وجه المعارضة إلى علماء اليمن فيما يصدر عنه في شعره وأقواله[7]. ولكن جميع ما ذهبوا إليه مخالف للحق واضح الافتراء، وليس أدل على نقضه من قول عاكش متحدثا عن هذه الدعوة: « ومن أنصف واطلع على سيرتهم علم عدم اتصافهم بتلك العلامات الواردة »[8].

وقد وُجد كذلك بالمخلاف السليماني في تلك الأثناء من يقف من علماء الدعوة السلفية موقفا مخالفا يشبه - إلى حد كبير - موقف علماء اليمن وغيرهم

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، نفحات من عسير، ص ٦٢.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، من أدب الدعوة في الجنوب، مجلة الدارة، ع١، س٨، شوال ١٤٠٢هـ، ص ١٥٢.

(٣) كذا كان بعض العلماء يطلق على الدعوة السلفية مثل هذه الأسماء.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

(٦) انظر: لفحات الوجد من فعلات أهل نجد، لمحسن بن عبد الكريم بن أحمد بن إسحاق، مخطوط.

(٧) لطف الله جحاف، درر نحور العين، ورقة ٢٣٤، ٣٢٥.

(٨) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٤.

من حيث إنهم يقولون: إن أصحاب الدعوة السلفية يطلقون الشرك ويعممونه[1]، هذا بالإضافة إلى أمور أخرى كان يتم بها أولئك العلماء المعارضون دعاة هذه الدعوة، ويرمونهم بما ليس فيهم. وعلى أية حال فقد زال كل ذلك تماما، بعد ما قبلت تلك الأنحاء هذه الدعوة الإصلاحية، إذ يُعَدُّ هذا ما يميز علماء تلك المنطقة عن سواهم.

أما علماء اليمن المعارضون فقد كانوا كثيرا بالنسبة لغيرهم، إذ هم - فيما يبدو - أوسع جدلاً، وأكثر أعوانا، ولعل من أبرزهم: عبد الله بن عيسى الكوكباني (١١٧٥ - ١٢٢٤هـ)، وعلوي بن أحمد الحداد (. . . - ١٢٣٢هـ)، ومحسن بن عبد الكريم بن إسحاق (١١٩١ - ١٢٦٦هـ)، ويوسف بن إبراهيم الأمير، ومحمد بن صالح حريوة السماوي (. . . - ١٢٤١هـ). فأما عبد الله بن عيسى الكوكباني، فقد ألف رسالة في هذه الدعوة سمَّاها " السيف الهندي في إبانة طرائق الشيخ النجدي "[2]، قال فيها: «سألت - عافاك الله - عن الشيخ النجدي الناجم في جهة نجد، وماذا عندي منه وماذا يكون حكمه، وحكم من والاه، وحكم من قتله أو قتله أصحابه أو قاتلهم فأقول. . . »[3]. وأما علوي الحداد فقد ألف في هذا الميدان رسالتين هما: " مصباح الأنام في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب "، و " السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر في الرد على الوهابية "[4]. وأما محسن بن عبدالكريم فقد ألف كذلك رسالة في هذا المجال، هي "لفحات الوجد من

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ١٣١، ١٤٠.
(٢) محسن بن عبد الكريم بن أحمد، لفحات الوجد، ورقة ٣.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٤) عبد الله بن محمد الحبشي، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٤٠.

فعلات أهل نجد"، قال فيها متحاملاً: «وإن من أعظم الحوادث في الزمن الذي أدركناه، بل وفيما مر من الأزمنة القليلة ظهورَ الفتنة النجدية، فإنها من الحوادث العظمى، والفتن العميا الصماء...»[1].

وكان موقف يوسف بن إبراهيم الأمير من هذه الدعوة واضحا في رسالته التي ألَّفها - كما قال محسن بن عبد الكريم - في ظهور هذه الدعوة السلفية[2]، إذ سلك سبيل غيره من علماء اليمن المعارضين، وعدَّ هذه الدعوة الإصلاحية فتنة[3]، إلى جانب قصيدته الجائرة التي «عملها[4] عند مسير الشريف الأمجد حمود بن محمد لقتال أبي[5] نقطة»[6]. وأما محمد بن صالح حريوة فقد تَجَاسَرَ على مؤيدي هذه الدعوة في اليمن ونال منهم بكلام مقذع لا يقوى المنصف على إيراده، ولا الاستشهاد به[7]، وإنما هو لا يعدو أن ينحصر في ذكر أثر هذه الدعوة في اليمن، وأن أثرها لا يزال يسري بين علمائها، وقد لامه عاكش، وقال بأنه تكلم في هذا المؤلَّف «بكلام ليس من جنس كلام العلماء، ملأه بالسب والخصام»[8]. هذا إلى جانب ما وُجد من الرسائل المتفرقة والوثائق المختلفة حول موقف بعض العلماء المعارضين الآخرين باليمن من هذه الدعوة السلفية.

وما دعا أولئك العلماء لهذه المعارضة غير دافع التعصب والهوى، وما

---

(١) ورقة ١، ٢.

(٢) لفحات الوجد، ورقة ٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٤) كذا في الأصل، وقد سماها "ريحانة".

(٥) في الأصل «أبو».

(٦) محسن بن عبد الكريم، كتابه السابق، ورقة ١٣.

(٧) انظر مقدمة كتابه الغطمطم الزخار، ورقة ١.

(٨) عقود الدرر، ورقة ٨٤.

كان يميل إليه بعضهم من الغلو المذهبي المُخل، إذ كانوا يرون في هذه الدعوة الإصلاحية خروجا على ما ألِفُوه في مذهبهم الزيدي، ولعل تلك المعارضة التي نشأت لدى علماء اليمن قَد ظهرت - كما قال أحمد بن حجر أبو طامي - بسبب رغبتهم في المحافظة على مكانتهم الدينية والاجتماعية بين مواطنيهم، إذ إنهم لو قالوا بغير ذلك لهبطت تلك المكانة، ولاحتقرهم الناس[1]، هذا إلى جانب التعصب المذهبي، والميل السياسي، اللذين سيطرا على معظم علماء اليمن عندئذ.

وربما كان من أبرز الشُّبَه التي أثيرت حول هذه الدعوة السلفية من قِبَل علماء جنوبي الجزيرة العربية المعارضين؛ ما ذكره محمد بن أحمد الحفظي في رسالته التي بعثها إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، إذ قال له فيها: « وها أنا أسوق لك ما يقولون، وما به علينا وعليكم ينقمون... قولهم: إن إطلاق الكفر الأكبر بدعاء غير الله غير مسلَّم لوجوه»[2]، عَدَّدَ منها الحفظي: « عدم النص الصريح»[3]، وأنها « كالحلف بغير الله»[4]. وقد أفاض الحفظي من بعد ذلك في الحديث عن التوسل وحكمه عند أولئك العلماء[5]، ثم أورد قولهم: « إن سلمنا هذا القول وظهر دليله فالجاهل له معذور؛ لأنه لم يرد الشرك والكفر بذلك، ومن مات قبل البيان فليس بكافر، وحكمه حكم المسلمين في الدنيا والآخرة»[6]، وقد

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٤٧.
(٢) اللجام المكين، ورقة ٣.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ٣.

أضاف الحفظي إلى ذلك قضية أخرى ذكر فيها: « استنكارهم القتال لمن قال: لا إله إلا الله»[1] في الوقت الذي كانوا فيه يقرون « بناء القباب على القبور في كل بلدة، وعلى اتخاذ أعيادها في الغالب، فلكل شيخ يوم معروف في شهر معلوم يُؤتَى إليه من النواحي، وقد يحضر معهم بعض العلماء، ولا ينكر»[2] ذلك عليهم.

ويمكن إضافة إلى ما تقدم ما كان يدَّعيه بعض العلماء المعارضين في تلك الأنحاء من أن أصحاب هذه الدعوة السلفية يطلقون الشرك على عامة المسلمين[3]، وأنهم يتصفون - كما ذكر من قبل - بالخوارج، هذا إلى جانب ما أثاره بعض علماء اليمن من القضايا المختلفة، مثل: حكم الصلاة في المسجد، وحلق الرأس، والقيام للناس، وتقبيل اليد، واستخدام السبحة، وإطلاق لفظ سيِّد، وضرب الدُّفّ، وتدخين التنباك[4]، وإطلاقهم « شُبهة الحديث أن نجداً قرن الشيطان»[5]، إلى جانب زعمهم أن دعاة الدعوة السلفية يبطلون المذهب الزيدي[6]، وأغلب ذلك يحتاج إلى شيء من البيان والإيضاح، إذ إن ما ذهب إليه أولئك القوم لا يخلو من التعصب والهوى.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٤.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤.
(٣) انظر لفحات الوجد.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) أحمد عبده ناشر، الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١١.
(٦) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٣.
انظر موقف علماء الدعوة السلفية من ذلك في كتاب: خلاصة الكلام، لعبد الله العمودي، مخطوط، ورقة ١٦٦. وانظره كذلك في كتاب: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، إذ قال جامعها: « وسُئل أيضا - يعني الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - عن مذهب الزيدي، فأجاب: مذهبَ الزيدي الصحيح منه ما وافق الكتاب والسنة، وما خالفهما فهو باطل، لا مذهب الزيدي ولا غيره من المذاهب »، مج ١، ص ١٢٥.

وإزاء تلك الشُّبه التي أثارها أولئك المعارضون بجنوبي الجزيرة العربية، يمكن القول بأن ما ذكره الحفظي منها يوافق سؤاله الذي بعثه إلى الشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب حينما سأله مستفسرا عن «بناء القباب هل يكون علامة على الكفر بمجرد البناء، وكيف حال أهل العصر الثاني[1]؟ وكيف إذا كانت لم يذبح عندها ألبتة، ولم تتخذ وثنًا يُعبد أبدا... »[2]، وقد أجابه الشيخ عبد الله جوابا بيَّن فيه البناء على القبور، وأنه من علامات الكُفر، وقال بأن من «بلغه هدي الرسول ﷺ في هدم البناء عليها ونهيه عن ذلك، وعاند وعصى أو منع من أراد هدمها من ذلك، فذلك من علامة الكفر. وأما من فعل ذلك جهلاً منه بما بعث الله به رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فهذا لا يكون علامة على كفره، وإنما يكون علامة على جهله وبدعته»[3].

وأما مسألة تكفير الناس بعامة، فإن الشيخ محمداً وأتباعه لا يرون إطلاق الكفر على من يزور القبور في ضوء السنة النبوية، وذلك إذا لم يُسْأل الميت أو تطلب منه الحاجات، أو ينذر له، أويذبح عنده[4]، ويؤكدون ذلك بقولهم: «لا نكفِّر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبرا معاندا»[5]. وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه: «أما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدُّون عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»[6]. وقد قال الشيخ سليمان

---

(١) أي: الذي بعد عصر بنائها، انظر: المسائل والرسائل النجدية، ج١، ص ٢٤٥.

(٢) المسائل والرسائل النجدية، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٧.

(٤) كتاب التوحيد، ص ٦٠، ٦٧، ٩٥، ٩٩.

(٥) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج ١، ص ١٣٠.

(٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - القسم الخامس «الرسائل الشخصية»، ص ١٠١.

ابن سحمان بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب « لا يكفِّر إلا من كفره الله ورسوله، وأجمع على تكفيره الأمة»[1]. وهذا يعد موقف علماء الدعوة تجاه من رماهم من علماء اليمن وغيرهم بما ليس في دعوتهم ، ولا عبرة بمن بالغ في نشر هذه الدعوة دون تثبت من واقعها الحقيقي، وإنما العبرة بما قاله أولئك العلماء السلفيون من أفواههم، أو ما أثبتوه في كتبهم[2].

أما قول أولئك المعارضين بأن أتباع الدعوة السلفية خوارج، فذاك أمر باطل قد فرغ منه، إذ بان وجه الحق، ولا سبيل للخوض فيه، قال تعالى: ﴿ ... **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾[3]. وربما عُدَّت هذه الشُّبهة من أوسع الشُّبه انتشاراً على ألسنة المعارضين بهذه الأنحاء وغيرها، وقد وقف منها علماء الدعوة أنفسهم موقفا واضحا ملموسا، كما وقف منها بعض علماء جنوبي الجزيرة العربية المعتدلين موقفا واضحا أبطل تلك الشبهة وأزالها، وحسبُنا ما قاله الشوكاني وعاكش شاهدا على ذلك، إذ قال الشوكاني عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب: « وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج. وما أظن ذلك صحيحا »[4].

أما عاكش فقد قال: « سمعت جماعة من علماء العصر يصرِّح بأن مذهبهم مذهب الخوارج... ولكن هذا خروج عن الإنصاف، وركوب متن الاعتساف، فإن عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد، وهدم ما أمر الشرع بهدمه... »[5]، وأضاف عاكش إلى

(١) الأسنة الحداد في رد شُبهات عَلوي الحداد، ص ٥٦.
(٢) أحمد عبده ناشر، بحثه السابق، ص ١١.
(٣) من الآية ١٧ من سورة الرعد.
(٤) البدر الطالع، ج ٢، ص ٦.
(٥) الديباج الخسرواني، ورقة ٢٤.

ذلك قوله: « وكلام من تكلم، إنما هو بحسب العصبية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية، فإن بدعوتهم زالت بدع كثيرات، وارتدع الناس عن المنكرات؛ فجزاهم الله خيرا »[1]. وقد قال عاكش في موضع آخر: « ولكن هذا القول لا يصح أن يحكم عليهم بمجرد التسمية بمذهب الخوارج، وليس هذا من قواعد الاستدلال، ولا مما يرضاه ذو الجلال »[2].

أما الشُّبه الأخرى التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبَل أولئك المعارضين من علماء جنوبي الجزيرة العربية، فإنها وإن وجدت، فإنما مردها الدعاة الغالون الذين ساروا في محيط نشر الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، إذ لم يعرف عن أتباع الدعوة في نجد أن حلقوا رأسا قط، إلا إذا كان الحال حينذاك بتلك الأنحاء مغايرا للوضع الشرعي الذي انطلقت منه هذه الدعوة. أما السبحة فالظاهر أن علماء الدعوة ينكرون التسبيح بها وبالحجارة[3]. وأما تدخين التنباك فربما نشأ منعه من أجل أنه داخل في إضاعة المال والإضرار بالصحة، ومع ذلك « فالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه لا يحرِّمون تدخين التنباك لكونه بدعة »[4]. وقد نشأ في المخلاف السليماني واليمن فريقان: أحدهما يحرِّم الدخان، والآخر يُحلُّه[5]، كذلك كان أتباع

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٦.

(٣) يستندون في ذلك إلى حديث ابن مسعود. انظر: سنن الدارمي، ج ١، ص ٦٨ - ٦٩. ومنه قول ابن مسعود: « . . . ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا عبد الله، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعُدُّوا سيئاتكم؛ فأنا ضامن ألاَّ يضيع من حسناتكم شيء . . . ». المصدر نفسه.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين، كتابه السابق، ص ١٣٠.

(٥) من أولئك العلماء الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي، الذي ألف « رسالة في حكم التنباك، جزم فيها بالتحريم». انظر: مجلة المنهل، ج٤، مج ٢١، ربيع الثاني ١٢٨٠هـ، ص٤٢٣. ومن العلماء =

الدعوة السلفية يرفضون: تقبيل اليد، والقيام للآخرين، وهاتان خصلتان من محامد الشريعة الإسلامية، فلا غرو أن رفضتا من قِبَل هؤلاء السلفيين. ومثل ذلك يقاس بقية المسائل التي أنكرها علماء اليمن المعترضون.

أما ما أثاره بعض علماء اليمن حول شبهة الحديث: « أنَّ نجدا قرن الشيطان »، فلعل من أشهرهم إشاعة لهذا الحديث محمد بن صالح السماوي الذي يقول: « وقرن الشيطان الإلحاد لا يزال يطلع من نجد»[1]، ومثل ذلك قول علوي الحداد الذي ذكر بأنه « يصدق في النجدي الأثر والخبر سيظهر من نجد شيطان تُزلزل جزيرة العرب من فتنته »[2]، وقد بيَّن العلماء القصد من نجد، وأنه ربما كان ما يلي العراق، إلى جانب احتمال أنَّ نجدا ما ارتفع من الأرض، كذلك ربما أريد بالقرن الأمة[3]. ولعل خير من تعرض لهذا الأمر بالرد والإجابة الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه: "الأسنَّة الحداد في رد شبهات عَلَوي الحدَّاد"، وأحمد عبده ناشر في بحثه "الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"، إذ قال ابن سحمان: إن هذا القول لا سند له، وإن من أورده لم يعزه لكتاب[4]، بينما قال أحمد عبده ناشر بأن الاستشهاد بهذا الحديث من قِبَل أولئك المعترضين ليس إلا وحي شيطان، وبأن لا أساس له من الصحة[5].

= الذين قالوا بالتحليل محمد بن إسماعيل الأمير، وهناك فريق يرى أن ذلك من الشبهات، مثل: القاضي مطهر بن علي النعمان الضمدي، انظر ما سبق في نيل الوطر لزبارة، ج١، ص ١٣٧.

(١) كتابه السابق، ورقة ١.

(٢) كتابه السابق، ص ٩٤، ٩٥.

(٣) أحمد عبده ناشر، بحثه السابق، ص ١١.

(٤) ص ٩٤، ٩٥.

(٥) ص ١١.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الشُّبه التي أثارها أولئك العلماء المعارضون، قد نشأت نتيجة للدوافع المذهبية والسياسية، وما كان يروِّجه الترك من الدعاية المغرضة الممقوتة، إذ بان زيفها وبُعدها عن الحق، وقد صدق في هذا الحال قول محمد رشيد رضا حينما قال: «لم نكن يومئذ نعلم أن الوهابية[1] يعتصمون بمذهب السلف، بل كنا نصدق الدعاية التركية التي أذيعت في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث عشر للهجرة النبوية، وجدَّدها السلطان عبد الحميد منذ أوائل القرن الرابع عشر لأسباب سياسية من أن الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنّة وأهلها...»[2].

---

(١) دَرَج على استخدامه كثير من المؤرخين والكُتّاب.

(٢) بيان علاقتنا بالإمام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد، مجلة المنار، ج١، مج ٢٨، ٢٩ شعبان ١٣٤٥هـ، ص ٣.

الباب الثاني

أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في النثر الأدبي



توطئة:

عرفت هذه الأنحاء من جنوبي الجزيرة العربية شيئا من الأنواع النثرية التقليدية المعروفة خلال القرون الأخيرة الماضية . وذلك شأن بلدان الجزيرة العربية الأخرى، ولعل من أشهر تلك الأنماط الأدبية حينئذ: الرسائل، والمقامات، والمناظرات، والخطابة، والوصايا، والرسائل التعليمية[١] وغيرها، مما كان يجري في المحيط الأدبي حينذاك، إذ هي امتداد لحال الأدب في عصوره الأدبية السابقة[٢]. وقد ظهر أثر الدعوة السلفية واضحا في معظم هذه الأنواع الأدبية خلال هذه الفترة، وامتد من بعد ذلك في أدب المعاصرين خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

والحقُّ أن ظهور هذه الدعوة الإصلاحية في جنوبي الجزيرة العربية قد أذكى النشاط الأدبي في ميدان النَّثر، من حيث استخدام قوالبه في تنقُّل أفكار الدعوة وتوضيحها، كما يسَّر ظهور هذه الدعوة في كثير من البلدان بهذه الأنحاء سبل التعرف على بعض الأنماط الأدبية التي لم تكن معروفة بها من قبل، إلى جانب الاتصال الفكري الذي بدأ بفضله العلماء مع مجاوريهم والذين يلونهم من العلماء والكُتَّاب، وذلك عن طريق المكاتبات الإخوانية، والمناظرات الأدبية، والمناقشات العلمية، كما أضحت أنواع ذلك النثر الأدبي مجالا لبسط أغراض الدعوة وبيان أهدافها.

وربما اختلف تطور تلك الألوان الأدبية خلال المراحل الزمنية التي تفاوت فيها تدرج انتشار الدعوة السلفية بتلك البلدان، إذ يبدو اختلاف المستوى

---

(١) محمد كامل الفقي، الأدب في العصر المملوكي، ص ١١٤.

(٢) انظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، لمحمود رزق سليم، مج ٥.

الأدبي بين تلك المراحل المختلفة ظاهرا، ولعل الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري خير تلك الفترات نموا ونشاطا، رغم الضعف الفني الظاهر عندئذ في بعض الرسائل الديوانية التي أخذت - فيما بعد - تستقر في نهجها الأدبي على أيدي كُتّاب الإنشاء المتخصصين. أما الرسائل الإخوانية وبقية الأنواع الأدبية الأخرى فقد ظلت خاضعة لظروف النشاط الأدبي، وتوافر العلماء، وظهور بعض المؤثرات الاجتماعية والسياسية التي كانت تدفع ببعض الأدباء والعلماء عندئذ إلى المشاركة في النتاج الأدبي.

وفي الحقيقة أن لغة الإنشاء في ميدان النثر الأدبي بجنوبي الجزيرة العربية قد كانت تميل إلى الصنعة اللفظية والتكلف البديعي، وبخاصة في ميدان السجع[١]، والمحسنات البديعية، وهذا شأن أساليب الإنشاء حينذاك في الأدب العربي[٢]. ومع ذلك فمن الواضح أن الحكم التركي الذي غشي تلك الأنحاء من جزيرة العرب قد أثَّر - إلى حد كبير - في لغة الكتابة وأسلوب التعبير[٣]، ولكن أثر هذه الدعوة السلفية حينذاك قد بات واضحا في تلك الأساليب النثرية، وبخاصة في مجال الكتابة الديوانية والخطابة[٤]، وليس ذلك التأثر شأن بلدان جنوبي الجزيرة فحسب، وإنما هو شأن معظم أجزاء الجزيرة العربية في تلك الفترة.

---

(١) حسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام، ص ١٥٤، انظر كذلك: تاريخ اليمن، لعبد الواسع بن يحيى الواسعي، ص ١٣٢.

(٢) أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص ٣٥١.

(٣) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص ١٩٦.

(٤) محمد بن سعد حسين، الأدب الحديث في نجد، ص ٢٧٩.

الفصل الأول

أثرها في الرسائل

يبرز أثر هذه الدعوة السلفية جليا فيما وُجد من رسائل ديوانية وإخوانية، إذ هما - فيما يبدو - خير الأنواع الأدبية التقليدية تأثرا بهذه الدعوة في مجال النثر الأدبي؛ وذلك لأن هذين النوعين من الرسائل كانا من أكثر الألوان النثرية استخداما في هذا الميدان السلفي. فقد كانت حاجة الأمراء والعلماء بهذه الأنحاء ماسة إلى استخدامها في نقل أفكار الدعوة وتوجيه نشاطها، وبخاصة في بعض هذه الأجزاء[1] التي لم تكن لتعرف هذا اللون الأدبي لولا ظهور هذه الدعوة السلفية، فقد كانت من قبل محرومة من ذلك إلا في حدود ضيقة محدودة، ولعل هذا التأثير لم يكن قاصرا على المضمون الأدبي لهذه الأنماط، وإنما هو ظاهر في جانب الشَّكل، والاستخدام اللفظي.

ومن الواضح أن هذين النوعين من الرسائل، قد كانا من أكثر الأنواع الأدبية شيوعا وانتشارا، فقد قل انتشار الرسائل الأدبية المعهودة إلا في حدود ضيقة، وذلك لعدم وضوح المجال الثقافي المناسب وانعدام الدوافع الأساسية للإنشاء والكتابة. ولعلَّ ما وُجد لدى بعض أدباء المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري من أسباب الاتصال الأدبي مع بعض أدباء العراق ونجد[2] قد هيَّأ شيئًا من الرسائل الأدبية المستقلة، ولكنها رغم ذلك تظل محدودة الرواج عديمة الانتشار والظهور.

---

(١) وبخاصة عسير.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، مجموعته الشعرية. مخطوط، أوراقه غير مرتبة ولا مرقمة.

ويمكن تتبع نشاط هذا النمط التقليدي لفن الرسائل من بداية ظهور الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية، وحتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حين بدأت تلك الأنواع التقليدية المعروفة تضمحل، ويقل انتشارها؛ نتيجة لما توافر في تلك المجتمعات من أسباب الثقافة والاتصال الفكري، ولما ظهر من ألوان نثرية جديدة، إذ أخذت تلك الأجزاء تتصل بغيرها من البلدان الأخرى، مثل الحجاز ونحوها، وتشهد يقظة جادة في مجال الأدب وفنونه.

وعلى أية حال فإن الرسائل الديوانية الإخوانية الموجودة الآن بين أيدينا، تكاد تكون أكثر وفرة من الألوان النثرية الأخرى، إذ يلحظ الباحث في هذا الميدان كثرة الرسائل ووفرتها، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. وذلك حين أخذ العلماء والأمراء في تلك الأنحاء يشاركون في بسط أخبار الدعوة، ويحثون الناس على قبولها، إلى جانب مشاركتهم في ميدان الحركة الفكرية التي عرفتها بلادهم بعد ظهور الدعوة السلفية، فقد تبدل حالها الفكري عند ذلك، حيث نفض أثر الإصلاح السلفي وسن الركود، وبعث اليقظة السلفية بين الأهلين. وذلك ما كانوا يتمنونه من قبلُ ويأملونه، ولعل ما يمكن دراسته في هذا المجال أثر الدعوة السلفية في الرسائل الديوانية والإخوانية، ومدى تطورهما من خلال مراحلهما المختلفة في هذه الأجزاء من جزيرة العرب.

أولا : في الرسائل الديوانية

يدرك الباحث في ميدان هذا اللون الأدبي، مدى اختلاف أنماطه بين مواطن اليقظة الفكرية بتلك الأنحاء، إذ برز نشاط الرسائل الديوانية في عسير

والمخلاف السليماني واليمن، مراكز الوضع السياسي حينذاك. فأما عسير فقد أقبل العلماء على أمرائها حين أضحت مركزا من مراكز الدعوة السلفية؛ مما هيَّأ سُبُل الكتابة الديوانية، وجعل أولئك الأمراء يفيدون من هذا اللون الأدبي فيما يدعون إليه من قبول تعاليم الدعوة ونصرتها، وذلك عن طريق تلك الرسائل التي كانت تُحَرَّر من قِبَلهم إلى البلدان المجاورة لهم، إلى جانب ما كان يصل منها إلى الدرعية وعلمائها وأولي الأمر فيها، من أجل تصوير حال بلادهم في ظل هذه الدعوة الإصلاحية، وما يتعلق بنشاط نشر الدعوة في ربوعها.

وإذا كان هذا حال عسير في هذا العهد، فإن تهامة وبلاد اليمن قد أدركت شيئا من هذا النتاج الأدبي، ولكنه ظل محدودا إذا ما قيس بغيره من البلدان المتأثرة بالدعوة. وربما برز هذا النمط الأدبي في عسير نتيجة لاتصالها المستمر بنجد، وما شهدته على مدار القرن الثالث عشر الهجري من يقظة سلفية ومحافظة عملية على تعاليم الدعوة. ولعل النصف الثاني من هذا القرن قد شهد يقظة سلفية جادة، حين بدأ الأمراء العسيريون أنفسهم يخصصون لدواوين الإنشاء عندهم الكُتَّاب المحترفين الذين كانوا يبسطون في رسائلهم أخبار منطقتهم، وما يطلبه وضعها السياسي، وبخاصة الرسائل الديوانية التي كان يبعثها أولئك الأمراء إلى الولاة العثمانيين بالحديدة وجدة وغيرهم من أمثال: أئمة اليمن، وأشراف تهامة ومكة المكرمة. فقد عُدَّت هذه الفترة من أخصب فترات العهد العسيري في مجال الإنشاء الديواني، ولعل ما دُوِّنَ في تلك الفترة يُعَدُّ وثيقة رسمية لتسجيل الأحداث ووصفها شأن عهود الأدب العربي السابقة[1].

---

(١) محمود رزق سليم، كتابه السابق، مج٥، ص ١١٢.

أما المخلاف السليماني فيبدو أن المستوى الأدبي الذي كانت تُحرَّر به الرسائل الديوانية قد كان أكثر جودة من غيره، وبخاصة إذا أُدركَ عندئذ توافر العلماء والأدباء في تهامة. ولعل ما يظهر للدارس عندئذ من هذه الرسائل نوعان: أحدهما سهل الأسلوب، يميل إلى أساليب الرسائل الديوانية في عسير، والآخر متكلف الأسلوب يكاد يتلاشى وضوحه من جرَّاء التقليد المتكلف في الشكل، وهذا يشير إلى وجود كُتَّاب محترفين، يتخذون من هذه الأنماط ميدانا لبراعتهم اللفظية المتكلفة. فقد دل على ذلك قول عاكش بأنَّ الأديب خيري بن عمر قد «كان كاتب الإنشاء»[1] في إمارة الشريف الحسين ابن علي بن حيدر، كما يؤكد هذا القول أيضا البناء الشكلي، وأسلوب التعبير اللذان وُجدَا في رسالة الشريف حمود بن محمد التي بعثها إلى طوسون باشا عام ١٢٢٨هـ[2]، فقد اتصفت تلك الرسالة بالإغراق في التكلف البديعي، والصنعة اللفظية، مما وسم مضمونها الفكري بالغموض وعدم الوضوح.

وأما اليمن فلا شك أن وضعه الأدبي في مجال الرسائل الديوانية، قد كان نشطا لا يقاس بغيره، ولكنه رغم هذه اليقظة الأدبية لا يكاد يحس بشيء من التخلص من تلك التقاليد، ورغم ذلك فقد حفلت دواوين الأئمة عندئذ بكثير من الرسائل الديوانية التي كانت تُحَرَّر من أجل هذه الدعوة السلفية، وما كان ينشأ بسببها من النقاش الفكري المستمر.

ويمكن تتبع أثر هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الرسائل الديوانية من خلال تقسيم هذه الفترة ثلاث مراحل: تحدد أولها بالظهور السياسي للدعوة

(١) عقود الدرر، ورقة ٤٥.
(٢) الوثيقة رقم ١٩٦٤٠ (مجموعة الوثائق التركية) رقم ٢/ ٥-٣، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

السلفية في جنوبي الجزيرة العربية، وانقضاء عهد الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام ١٢٣٣هـ، والمرحلة الثانية منذ بدْء اضمحلال أثر هذه الدعوة في اليمن والمخلاف السليماني واستمراره في عسير، إذ تركز النشاط السلفي فيها عندئذ. وتظهر المرحلة الثالثة واضحة من بعد ذلك في عسير والمخلاف السليماني واليمن، منذ عام ١٢٨٩هـ، وذلك حينما حافظ أمراء عسير على موقفهم تجاه هذه الدعوة، وأخذ محمد بن علي الإدريسي - فيما بعد - يدرك حقيقتها، ويكاتب من أجلها القائمين عليها في نجد[١]، إلى جانب ما كتبه بعض أئمة اليمن حينذاك من الرسائل الديوانية إلى أمراء عسير[٢] من أجل الثبات في جهاد الترك أعداء هذه الدعوة المتربصين.

ومن الواضح أن الرسائل الديوانية التي كانت تصل عسير من مركز الدعوة الأول في الدرعية، قد ساعد على ظهور بوادر هذا اللون الأدبي عند أمراء تلك الأنحاء، وبخاصة لدى الدعاة الأوائل في: عسير، ورجال ألمع، وبني شُعْبَة، وبَارِق، وصَبْيَا. فقد دلت المصادر على وجود رسالة من الإمام سعود بن عبد العزَيز إلى «عبد الوهاب وعرار ومنصور ومعدي»[٣]، كذلك دلت تلك المصادرعلى رسالة أخرى للإمام سعود بن عبد العزيز عبَّر عن وجودها مصنف الكتب الموقوفة في أسرة آل الحفظي بقوله: «منها رسالة لسعود»[٤]، كذلك أشارت بعض المصادر اليمنية إلى شيوع رسائل السلفيين بنجد بين علماء اليمن وأئمتها، فقد قال صاحب حوليات يمنية: إن الإمام

(١) انظر: رسالة العمودي في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، مخطوطة غير مرقمة الأوراق.

(٢) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ٣٢٧.

(٣) بيان كتب آل الحفظي الموقوفة، مخطوط. وهم: عبد الوهاب المتحمي، وعرار بن شار، ومنصور ابن ناصر، ومعدي بن شار.

(٤) المصدر نفسه.

19640-A

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الشريف حمود بن محمد

إلى طوسون باشا

سعود بن عبد العزيز « بث الرسائل والكتب إلى كل محل»[1]، إلى جانب تلك الرسائل التي كان يحررها أمراء الدعوة إلى الأمراء والأهلين بتلك الأنحاء من أجل قبول الدعوة[2]. وهذا دون شك ساعد على إيجاد أسباب الحركة الأدبية في مجال الرسائل الديوانية بهذه الأنحاء، فقد شهدت بلدان جنوبي الجزيرة العربية من أجل ذلك وفرة في الرسائل الديوانية التي كان يتبادلها أمراء عسير وغيرهم من أشراف تهامة وأئمة اليمن، إلى جانب المكاتبات التي نشأت بين شيوخ القبائل وأمرائها.

المرحلة الأولى:

تُعَد هذه المرحلة من أوسع مراحل الرسائل الديوانية نشاطا في ميدان الكتابة الفنية، وتشمل هذه المرحلة بنتاجها أغلب بلدان جنوبي الجزيرة العربية، فقد نجم عن نشاطها الأدبي صراع سياسي فكري واضح، وبخاصة بين أمراء عسير وبين الذين يناهضونهم من أشراف تهامة وأئمة اليمن. ويبدو أن تلك الرسائل الديوانية قد بدأت في عسير منذ أخَذ أمراؤها يجاهرون بنشر الدعوة السلفية في المخلاف السليماني وتهامة اليمن، فقد بعث الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي، والشريف حسن بن مشاري، ، والشيخ محمد بن أحمد الحفظي رسالة إلى أشراف تهامة، يدعونهم فيها إلى قبول دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب واتباع تعاليمها، ومنها قولهم:

« . . . وصلنا إلى هذه الجهات ندعوكم إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله، أولها التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً، ثم قبول توابعه من الفرائض، وترك

---

(١) مجهول، ص ٦.

(٢) انظر: محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية للعقيلي، ص ١٣ وغيرها.

الشِّرْك جليًا وخفيًا، ثُمّ ترك توابعه من المعاصي، فإن أجبتم ولبيتم فأنتم في ذمـة الَله وفي وجـه الله ثم فـي وجـه عـبـد الوهاب[1]، وكل من دخل في مـدخلكم. وإن أردتم استـخبـار مـا لدينا من الأمـور الدينية فـمن وصل منكم بصحبة مندوبنا فـهو في ذمة الله ثم في ذمة عبد الوهاب، فإن دخل ورضي واتبع وإلا رجع آمنًا، ثم النصر بيد الله. وقد وعدَنا بنصر دينه، وهو لا يُخلِف الميعاد...»[2].

ويبـدو أثر هـذه الدعـوة السلفـيـة واضـحـا في هذه الرسـالـة من حـيث مضمونها الجاد الذي يرمي إلى حقيقة الدعوة إلى الله، وما يجب أن تقوم عليه من العمل بكتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين، والإقرار بتوحيد الله العظيم في القول والعمل، ودفع الشرك جليِّه وخفيِّه، كما تظهرالروح السلفية في ميل مرسليها إلى الجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء الدين، إلى جانب الوضوح في طريقة الدعوة وما تدرج فيه كاتبها من تسلسل الأفكار وبسطها.

ويتبين كذلك أثر الدعوة السلفية في هذه الرسالة، من خلال الاستخدام اللفظي الذي يصدر من لدن دعاتها بما يناسب أهداف الدعوة الإصلاحية، وما تروم إليه من توحيد الله الكريم، ونبـذ ما يمسُّ وحدانيته من القول والعمل. ورغم الوضوح الذي انتظم الرسالة، فإنها لم تخل من ضعف الأسلوب وعدم تناسقه، مما يشير إلى أسلوب الرسائل الديوانية لدى أمراء عسير في هذه الفترة التي لا تعتمد على الجهد البديعي المتكلف، وإنما تتسم بالإيجاز والوضوح إلى جانب السهولة في التعبير وعدم التكلف في الألفاظ.

---

(١) عبد الوهاب بن عامر المتحمي.

(٢) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص ٤٦. انظر كذلك: أخبار عسير، ص ٤٨، ٤٩.

ولعل نشاط الأمراء العسيريين في مجال الدعوة خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، قد دفع بعض المؤرخين المغرضين في الجزيرة العربية إلى كتابة الرسائل الموضوعة على ألسنة أولئك الأمراء العسيريين، رغبة منهم في تشويه ما هم عليه، وميلاً إلى وصفهم بما ليس فيهم. فقد أورد أحمد الحضراوي رسالة منحولة زعم أن الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي بعثها إلى الشريف عبد المعين بن مساعد أثناء مرور الجيش العسيري بمكة المكرمة عام ١٢١٨هـ، إذ قال:

«. . . اعلم أن قصدي أخذ جدة، واستعديتُ لها بالسلاح والعُدَّة، ومُذْ حللت بهذا النادي نَفَدَ زادي، فخذ لي بخمسة ريال دقيق، وخمسة عَليق، وخمسة ريال سمن، فلربما يطول زمن الحصار، ويلحقنا من عدم الزاد مضار، وأرسل لنا قدر مائة سُلّم ننقز عليها السُّور، ونهجم على البندر المذكور. . »[١].

ويتبين من هذه الرسالة مدى حقد المؤرخين المعارضين بعامة لهذه الدعوة حين دفعهم ما في قلوبهم من غلٍّ إلى وضع هذه الرسالة المزعومة التي يتضح بطلانها من خلال منطوقها الزائف، إذ لم يكن بالإمكان لدى أمراء عسير تنميق مثل هذا النمط الأسلوبي المتكلف، حين لم يكن متوافراً عندئذ لدى علماء تلك المنطقة ولا أمرائها، ثم هذه السذاجة الظاهرة التي فرضها الكاتب على عبدالوهاب المتحمي، إذ ليس من المعقول فعل مثلها، بل إن العرف القبلي في عسير يمجها، ويرفضها.

وما مَرَدُّ هذا العمل سوى الرغبة في تشويه مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية

---

(١) الجواهر المعدة في فضائل جدة، مجلة العرب، ج ٩، ١٠، س ١٣، الربيعان سنة ١٣٩٩هـ، ص ٦٧٣، انظر كذلك: من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى، مجلة العرب، ج ١١، ١٢، س ١٠، الجماديان سنة ١٣٩٦هـ، ص ٨٣٥.

بصورة منكرة، وإلاَّ فالفارق واضح بين الأسلوبين في رسالة عبد الوهاب ابن عامر المتحمي إلى أشراف تهامة وهذه الرسالة المنحولة، من حيث المضمون وأسلوب التعبير في كل منهما. وقد تنبه حمد الجاسر حين حقق رسالة الحضراوي هذه، فقال: «لا شك أن هذا الكتاب مختلق، وليس صحيحا، يدل على ذلك أسلوبه»[1]، رغم أن كاتب هذه الرسالة قد أراد أن يضل الناس، فاستخدم كلمات يَدْرُجُ استخدامها اللغوي في قبائل عسير، مثل قوله: «عَليق»، «نَنقُز» وغير ذلك.

ومن الواضح أن أثر الدعوة السلفية في ميدان الرسائل الديوانية بجنوبي الجزيرة العربية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري قد كان قويا، وبخاصة حينما أخذ كثير من أمراء تلك الأنحاء وعلمائها يناهضون دعاتها القائمين على نشرها حينذاك، وذلك قبيل تمكن هذه الدعوة من قلوبهم. ومما يدل على ذلك الحال الرسالة التي بعث بها الشريف حمود بن محمد الحسني إلى علي بن إسماعيل صاحب شهارة باليمن، يخبره فيها بمقتل عبد الوهاب بن عامر المتحمي، وبأن جيش المتحمي قد انهزم، ومما قاله فيها:

« فصدرت للسلام عن أحوال قارة، وأمور سارة بعد وصول كتابكم، وحمدنا الله على عافيتكم، وما صَدَّ من أمور التحقيق، إلا الاشتغال بجهاد هذا الفريق. وقد قدَّر الله ـ سبحانه ـ في سابق علمه، وأكد بإيجاب جهادهم في كثير من الأحاديث وكرر، فوافقنا جمعهم في «بَيْش»، فأخذ الله ـ تعالى ـ منهم في ذلك اليوم . . . ، وعقرت من خيلهم أكثر من الخمسين، وولوا مدبرين، ثم خَفَّتْ أقدام بعض من معنا بسبب العجب الذي نَهَى الله ـ تعالى ـ عنه ﴿ . . . **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** . . . ﴾[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨٦.

(٢) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

ثم انتقلنا إلى أبي عَرِيش[١]، ودارت الحرب بيننا وبينهم، وكلما توجَّه لهم جمعٌ اعترضناه، فيعذبهم الله بأيدينا. . . إلى أن قارب قتلهم في تلك المرة إلى الألفين أو يزيد، ثم ولوا منهزمين لا يلوي بعضهم على بعض، ولا يهتدون إلى إبرام ولا نقض.

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنَّه رجُلا [٢]. . . »[٣].

ولعل ما يميز الرسائل الديوانية في المخلاف السليماني عنها في عسير خلال هذه الفترة أن أسلوبها كان أقوى إلى حد ما، وأن كُتَّابها كانوا يصدرون عن ثقافة دينية ولغوية واسعة، وذلك يظهر في الاستشهاد بالآيات القرآنية والشعر، وما كان يتعمده أولئك الكتَّاب من التكلف الأسلوبي الذي كان يظهر واضحا في بعض الأحيان عند رغبتهم في تناسق أواخر الكلمات وتوافقها.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة التي قيلت من أجل مناهضة الدعاة السلفيين من أهالي عسير حين دخولهم المخلاف السليماني عام ١٢٢٤هـ تدل على ما كان يعانيه أولئك الدعاة في سبيل نشر الدعوة، وأن الميل السياسي الديني قد كان واضحا لدى أشراف تهامة وأمثالهم من شيوخ قبائل اليمن وأمرائها، ورغم اشتهار هزيمة الشريف حمود بن محمد في هذه المعركة، إلا أن

---

(١) تُعَدُّ هذه المدينة من أشهر مدن المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري، إذ كانت مركز السلطة السياسية عندئذ، وملتقى العلماء وطلبة العلم. انظر: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، للباحث، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٣، ص ١٦٨، والشطر الأول ورد في الأصل على النحو التالي: «وضاقت عليهم الأرض حتى كان».

(٣) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٥٣٣.

لباقة كاتب هذه الرسالة قد خففت عندئذ من آثار الهزيمة في مثل قوله: « ثم خَفَّت أقدامُ بعض من معنا بسبب العجب »، وما ذاك الانهزام نحو أبي عريش سوى نكوص واضح لجيش الشريف حمود، مثلما روته كتب التاريخ وتناقلته الأخبار[1]. والحق أن هذه الرسالة تعد وثيقة تاريخية لأحداث تلك الحقبة، وبخاصة حين أشار الكاتب إلى مكان المعركة، وعدد القتلى، وخبر وفاة عبدالوهاب وتاريخها[2]، بالإضافة إلى أخبار الدعوة وتطور نشاطها في تلك الفترة.

وإذا كان هذا موقف الشريف حمود بن محمد الحسني من أمر هذه الدعوة قبل أن يقع في قلبه الميل إليها، فإن مناصرته لها فيما بعد قد غيرت ذلك الميل وبدَّلته. ولعل ما كتبه وزيره الحسن بن خالد الحازمي في هذا الميدان يدل على موقف أشراف المخلاف السليماني في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حينما أخذوا في مناهضة الترك وصدهم عن مطامعهم الرامية للقضاء على هذه الدعوة ومناصريها، وعلى الرغم من قضاء الترك على الدولة السعودية الأولى في الدرعية عام ١٢٣٣هـ، إلا أن أشراف المخلاف السليماني قد ظلوا عندئذ ملتزمين بولائهم لمبادئ الدعوة الإصلاحية وتعاليمها.

ولعل ما يدل على موقف أولئك الأشراف بالمخلاف السليماني في تلك الفترة رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي إلى: هَمْدَان[3]، والدواسر[4]،

---

(١) انظر: تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٢٦٨.

(٢) انظر ذلك في: درر نحور العين لجحاف.

(٣) توجد بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع رقم ١٨٤.

(٤) توجد نسخة مخطوطة لدى الباحث.

وإلى الأمير عبد الله بن سعود في نجد[1]، إذ اتصفت تلك الرسائل بالميل الحقيقي لهذه الدعوة، وأنها تتسم كذلك بملامح الجهاد والدعوة إلى الله، والعمل على تحقيق التوحيد ودفع ما سواه. وحينما نضرب لذلك بمثال، فإن رسالة الحازمي إلى قبائل همدان[2] خير ما يصور ذلك الحال السلفي الذي برز جليا في رسائل هذا الوزير بعد ما أصبح ذا تدبير في إمارة المخلاف السليماني، بعد وفاة أميرها الشريف حمود بن محمد الحسني عام١٢٣٣هـ. ومن هذه الرسالة قول الحازمي في تحذير الهمدانيين مغبَّة بقاء التُّرك بين أظهرهم وفي أرضهم.

« . . . ولما أن قدَّر الله - وله الحمد - دخول هذه الطائفة إلى تهامة اليمن، واختلال مراتبها وحصونها بلا طعنة ولا ضربة، وإلا فهذه الطائفة من التُّرك ليسوا شيئا، ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [3]. وقد أخبر الله عنهم، وعن مثلهم أن كيدهم ضعيف، فقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[4].

وأمر الترك فهو أمر مكشوف يعرفه من له في الإسلام نصيب. ومن يظن أنهم على شيء من الإسلام، فليس يعرف من الإسلام شيئا، وأيضا ليسوا من أهل جلدتكم ولا دينكم، وقد أوجب الله موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وقال في من والى عدو الله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[5].

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) يبدو أن كتابة هذه الرسالة كانت في عام ١٢٣٤هـ، بدليل قول الناسخ الذي أثبتها في أحد المجاميع المخطوطة: « وصلت في شهر شعبان ١٢٣٤هـ ». ورقة ٢٣٦، مجموع ١٨٤، المكتبة الغربية بجامع صنعاء.

(٣) من الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٤) من الآية ٧٦ من سورة النساء.

(٥) من الآية ٥١ من سورة المائدة.

19648.E

إحدى الوثائق العثمانية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري

والآن أذكركم الله كل من بلغه كتابي أن يذكر قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾(١)، وأن يستحضر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢).

وأقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣)، ﴿وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ...﴾(٤)..»(٥).

ويتضح من هذه الرسالة أنها تشبه - إلى حد كبير - رسالة الحازمي نفسه التي بعثها إلى الدواسر، إذ هما - فيما يبدو - قد كتبتا في زمن واحد، وأنهما متفقتان في الشكل والمضمون(٦). ولعل هذا التوافق قد نجم نتيجة للموقف الذي كان يعيشه الحازمي، حينما كان في عسير يتعقب جيوش الترك، ويحارب من والاهم من الأهلين. ومن الواضح أن موقف الحسن بن خالد الحازمي من الترك قد نشأ من تأثره بهذه الدعوة، فقد كان للجرأة التي اتسم بها الحازمي في رسالته أثر في اتصاف موقفه بالوضوح والاعتدال.

كما أن أسلوب التعبير عند الحازمي يتسم بوفرة الاستشهاد من القرآن الكريم، والاعتماد على الدليل. وذلك يُعَدُّ من أهم ملامح الأسلوب الفني عند

(١) الآية ١١٣ من سورة هود.
(٢) الآيتان ١٨، ١٩ من سورة الجاثية.
(٣) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.
(٤) من الآية ٣٢ من سورة الأحقاف، وفي الأصل ورد: «وليس لهم من أولياء».
(٥) توجد هذه الرسالة المخطوطة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع رقم ١٨٤.
(٦) انظر: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، للباحث، ص ١٢٨ - ١٢٩.

هذا الوزير، إلى جانب الوضوح والسهولة في الألفاظ، وعدم التكلف في البديع والصنعة اللفظية، فقد وَصَفَ العقيلي أدب الحازمي في مجال النثر، فقال: «أما نثره فغالبه من النثر المرسل، تغلب عليه الناحية العلمية عن الناحية الفنية، ويتسم بالوضوح وأسلوب العالم الديني مع كثرة الاستشهاد بالآيات البينات والأحاديث النبوية»[١].

ويمكن أن يقال بأن الحازمي قد تأثر بأساليب التعبير عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدعوة السلفية، وذلك من حيث «الاعتماد على الدليل القوي المباشر الواضح المستقى من كتاب الله وسنة نبيه وسلوك الأئمة»[٢]، بالإضافة إلى الوضوح، وعدم المداراة، والاتصاف بالشعور السلفي الجاد الذي لا يقبل المداهنة ولا المحاباة[٣].

وإذا كان أثر هذه الدعوة السلفية قد ظهر في مجال الرسائل الديوانية في المخلاف السليماني وعسير خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فإن أثرها كذلك قد برز في جانب الكتابة الأدبية في ميدان الرسائل الديوانية باليمن، وبخاصة في الفكر السلفي الذي مال إليه علماء اليمن المؤيدون، فقد تبيَّن من قبلُ أن إمام اليمن المنصور، حينما أدرك نشاط رجال الدعوة في تهامة عمل على مجاراة ذلك التيار الإصلاحي، من حيث العودة إلى مصادر التشريع

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، من مشاهير المخلاف السليماني الحسن بن خالد الحازمي، مجلة العرب، ج ٣، ٤، س ٩، رمضان وشوال ١٣٩٤هـ، ص ١٨٧.

(٢) عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، ص ٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.

الإسلامي، والعمل على نشر العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة ما يخالف الدين[1].

وقد عبَّر عن هذا الموقف محمد بن علي الشوكاني عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م في رسالة بعث بها إلى عمال المنصور في أنحاء اليمن. وقد قال في ذلك محمد ابن حسن الشجني في معرض حديثه عن الشوكاني: « وكتب على لسان المنصور بالله أبي أحمد بن المهدي... رسالة في نشر العدل وإزالة البدع، وكان هو المشير بذلك، وبعث بها إلى كل عامل من عمال اليمن»[2]. وقد أشار إليها لطف الله جحاف، وذكر بأنها « سميت بمستهلها طلوع الشمس »، وأن الداعي لتحريرها - كما قال - « أنشطة النجدية »[3]. ومن تلك الرسالة قول الشوكاني بعد ديباجة مطوَّلة:

« ... إن جميع رعاياه في جميع الأقطار، وكل من شملته دعوته المباركة في الأنجاد والأغوار، ليس عليهم من المطالب إلا ما أثبته الشرع الشريف في جميع ما يملكونه كائنا ما كان، مما فيه حقٌّ لله - عز وجل - لا يُخاطبون بغير ذلك، فمن طلب منهم نقيرا أو قطميرا زائدا على ما أوجبه الله فلا طاعة له، وعلى المسلمين أن يأخذوا [على] يده، ويُنهوا أمره إلى القاضي في الجهة، وعلى القاضي أن ينهي ذلك إلى الحضرة الإمامية حتى يناله من العقوبة ما يزجر به من رام أن يفعل كفعله.

وإذا داهن القاضي، أو حابى[4] رجلا رام غير ما فرض الله، فقد استحق

(١) لطف الله جحاف، درر نحور العين، ورقة ٤٤٠.

(٢) كتابه السابق، ورقة ٧٣، ٧٤.

(٣) كتابه السابق، ورقة ٤٤٠.

(٤) في الأصل « حابا ».

أن يُعزَل من هذه الوظيفة[1] الدينية، فليس بمستحق لها، ولا مأمون عليها، فليفرخ[2] روع الرعية، وتثلج صدورهم، وتطمئن قلوبهم، فلا خطاب عليهم بجباية[3] ولا قبال[4] ولا سياسة[5]، ولا فرقة[6]، ولا دُفعَة[6]، ولا ما يجري من هذه الأمور المحدثة التي لم يأذن الله بها، بل يأخذ العامل عليهم ما أوجبه الله - عز وجل - من كل شيء يعنيه، كما ورد به الشرع الشريف.

ومن زاغ عن شيء من هذا، فقد استحق أغلظ العقوبة، وأعظم النكال. وهكذا من عامل معاملة مشتملة على نوع من أنواع الربا، فماله حلال بحكم ذي الجلال، وعقوبته واجبة على كل مسلم. وعلى الجاهل أن يتعلم، وعلى العالم أن يُعَلِّم. فليَطَّلع حُكام الجهات على ما رسمه إمامُنا، وأمر بإنفاذه...»[7].

ويتبين أن هذه الرسالة الديوانية تخالف ما اعتاده كُتَّاب الدواوين في ترسُّلهم الأدبي في مجال الكتابة الديوانية بالمخلاف السليماني وعسير، وذلك من حيث الشكل الفني الذي انتظم الرسالة، وما كان يحافظ عليه الشوكاني من التوازن في الألفاظ والعبارات، على الرغم من الضعف الواضح في استخدام الدلالات اللغوية المناسبة. ومع ذلك فقد كان أسلوب التعبير في هذه الرسالة واضحا استطاع الكاتب أن يصوِّر من خلاله الواقع الديني والاجتماعي في اليمن خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين بسط حديثه عن تلك المناحي، وحاول أن يفيد من اللغة المحلية بعض العبارات والألفاظ في نقل أفكاره ومعانيه.

---

(١) في الأصل «الوضيفة».
(٢) في الأصل «فليفرح».
(٣) ضريبة.
(٤) الضمان الشخصي.
(٥) الالتزام باتجاه معيَّن.
(٦) العبء المالي المفروض.
(٧) محمد بن حسن الشجني، كتابه السابق، ورقة ٧٣، ٧٤.

وعلى أية حال فإن أثر الدعوة السلفية في هذا اللون الأدبي يبدو واضحا في مجال الفكر السلفي، وما تدعو إليه هذه الدعوة من إصلاح، فقد أحدثت يقظة دينية واسعة، وذلك فيما انصرف إليه أئمة اليمن من العمل على تشجيع الحسبة وتوعية الأهلين في اليمن، ورفع ما يجري في مجتمعاتهم من الربا والرُّشَا[1] وضياع الحقوق ونحوها، فما تلك الصحوات الدينية التي عرفتها اليمن في هذه الحقبة غير رد فعل لهذا التيار السلفي الذي أدركه الإمام المنصور، وأحس به[2].

والحقيقة أن أثر هذه الدعوة الإصلاحية في ميدان الرسائل الديوانية خلال هذه المرحلة، يُعَدّ واضحا بحكم الاتصال المباشر بعلماء الدعوة أنفسهم في الدرعية، وإقبال معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية على هذه الدعوة في الوقت الذي كانت فيه بقية البلدان الأخرى تشهد آثارها، وتأخذ بأسباب ما أحدثته من اليقظة السلفية، مثلما ظهر لدى أئمة اليمن الزيود في صنعاء، وهذا يغاير الفترة التي ستأتي من بعد ذلك، حيث انحصر أثرها في عسير ورجال ألمع إلى حد كبير، إذ كان أثرها ظاهرا فيهما من قبل، ولَكنهما لم يكونا في حكم المقلد، كما زعم العقيلي، حين قال: « وهم وإن كانوا يتمسكون بالدعوة السلفية تمسك المقلِّد لا الأصيل، فإنه يُعوزهم الكثير مما اشتملت عليه حركة تلك الدعوة الإصلاحية »[3].

وأظن ذلك غير صحيح، إذا قيس حال عسير وما بذله أمراؤها في سبيل نشر مبادئ الدعوة السلفية، والذود عن حمى الدين، إذ تدل المصادر جميعها

---

(١) جمع رشوة، بكسر الراء وضمِّها.

(٢) انظر: ص٢٠٦ من هذا البحث.

(٣) تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٥٥٣.

على تشبث هؤلاء الأمراء السلفيين بتعاليم هذه الدعوة الإصلاحية ومبادئها، فقد ظهر هذا الأثر واضحا في موقفهم من الفرق الدينية الأخرى، وما ظل عليه حال بلادهم من المحافظة على سنَّة المصطفىَ ﷺ، ودفع ما ينافيها من البدع والمحدثات.

المرحلة الثانية:

تُعَدُّ نهاية الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري بداية لمرحلة جديدة من مراحل الإنشاء الديواني في معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية. وذلك من حيث وضوح أثر الفكر السلفي الذي أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أساليب التعبير ولغة الإنشاء، ولعل أمراء عسير خير من ظهر فيهم هذا التأثير. وأما المخلاف السليماني واليمن فإن أساليب التعبير في دواوين الكتابة فيهما أخذت تستقر على تقاليد إنشائية متميزة تعتمد في الغالب على الميول المذهبية الواضحة التي تنصرف إلى مصطلحات التشيع ونحوها، وبخاصة في رسائل الأئمة والأشراف بالمخلاف السليماني التي كانت تُحَرَّر إلى أشراف مكة المكرمة، والولاة العثمانيين.

أما رسائل الأمراء العسيريين في أواخر النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فإنها وإن كانت أقل نضجا من سواها في جانب جزالة الأسلوب وجودته، فقد تميزت بوضوح الاستخدام اللغوي المناسب الذي يوافق حقيقة الدعوة السلفية، وبخاصة ما يخدم العقيدة، ويوافق مبدأ هذه الدعوة الإصلاحية، إلى جانب سهولة أسلوب التعبير وصراحته، فقد كان ذلك الأسلوب يعتمد على وضوح الفكرة قبل العناية بالشكل. وهذا ما يخالف نهج الرسائل الديوانية التي نشأت من بعد ذلك في عسير نفسها والمخلاف السليماني واليمن، إذ كان كُتّاب الدواوين في هذه الأنحاء يعمدون إلى العناية

بالشكل الفني، وما تستهل به من الديباجات المطولة، والأساليب البديعية المتكلفة.

ومن هذا التحديد الزمني والإطار الفني يمكن دراسة بعض النماذج البيانية من رسائل أمراء عسير الديوانية، وذلك في ضوء النهج السلفي الذي ظل أمراء عسير يحافظون عليه ويسلكون سبله، فقد أخذ ذلك الأثر السلفي ينمو في تطور الأساليب الديوانية عند هؤلاء الأمراء العسيريين حتى أصبح - إلى حد كبير - ناضجا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وبخاصة تلك الرسائل التي صدرت عن ديوان الأمير عايض بن مرعي، والأمير محمد بن عايض.

ومهما يكن من أمر فإن من نماذج تلك الرسائل الديوانية رسالة الأمير علي بن مجثل المغيدي إلى حبيش بن موسى وكافة أهل جزيرة دهلك عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، إذ يقول:

«. . . ذكرتم قصدكم الدخول في حوزة المسلمين والاستحسان إلى دعوة أهل الإسلام فلا بأس، هذا أحب ما إلينا، والصادر إليكم عمالنا: مفرح، والقاضي عبد الله؛ لأخذ العهد على دين الله ودين رسوله، والسمع والطاعة لله ثم لنا، وهذا خط منا بأيديكم لجناب «تركي ألماس» أن قد حالكم حال المسلمين، وأيضا يكون بأيديكم شاهد من التعرض لكم. . ، وقد جعلنا أمركم إلى الشريف محمد بن حسن، فأنتم اسمعوا له وأطيعوا. . . فيما يأمركم به من أمر الله وأمر رسوله. . . ، والله يهدينا صراطه المستقيم»(١).

ورغم السهولة في الأسلوب، والوضوح في المعنى، فإن الأثر السلفي ظاهر في رسائل علي بن مجثل بعامة، من حيث العمل على نشر مبادئ الدعوة في

---

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٩٣، انظر كذلك: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٥٨.

البلدان المجاورة لعسير، وأخذ العهد من الأهلين فيها على اتباع تعاليم الإسلام والأخذ بها، ولا غرو في هذا فابن مجثل في عسير معروف بتأثره البالغ بهذه الدعوة وتعاليمها، فهو الذي وُسمت رسائله في هذا العهد المبكر بوضوح الاتجاه السلفي، والحرص على نشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورفع شعار الدين، إلى جانب رغبة كُتَّابها في الاستشهاد بالقرآن الكريم(١).

والواضح أن رسالة علي بن مجثل هذه تمثل نشاطه السلفي في نشر مبادئ الإسلام والدعوة إليه، وأنه كان يحض من حوله على اتباع تعاليم هذه الدعوة الإصلاحية. ورغم انعدام الأثر السياسي في تلك الأثناء بين عسير ونجد فقد حافظ ابن مجثل على النهج السلفي المعهود في رسائل الدعاة النجديين، وذلك على الرغم من التكوين الأسلوبي اليسير الذي برز في هذه الرسالة وأمثالها.

وربما كان من الأفضل أن يوصف ذلك الترسل الإنشائي في هذه المرحلة بالجمع بين أسلوب الفصاحة والعامية، وأنه يتميز بوضوح شخصية الحاكم القبلي في عسير، دون وضوح الملامح الرسمية للإمارة نفسها(٢)، إلى جانب اتصاف هذا النوع من الرسائل بسمات القبلية وملامحها، من حيث الوضوح والصراحة والدهاء(٣)، والميل إلى الإيماء، والرمز في بعض الأحيان.

وإذا كان هذا مستوى الكتابة الفنية في ميدان الرسائل الديوانية في عهد الأمير علي بن مجثل المغيدي، والذين سبقوه من أمراء عسير في هذه المرحلة، فإن أسلوب كتابة هذا النوع من الرسائل في النصف الثاني من القرن الثالث

---

(١) انظر: تاريخ عسير، لهاشم النعمي، ص ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٥٣.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ١٢٢.

عشر الهجري قد تطور، ولكنه - فيما يبدو - حافظ على الاتجاه المعهود عند أمراء عسير، من حيث مراعاة مقام المخاطب، ومكانته بما يوافق الحال الاجتماعي المعروف في تلك الأنحاء. وأما ظاهرة التطور التي وُجدت في الرسائل الديوانية؛ فإنها تتمثل في مسايرة الأسلوب المتكلف المعروف في القرون الأخيرة الماضية، وأنه على الرغم من شيوعه لدى أمراء عسير في هذا العهد، ربما وُجد لدى غيرهم من الأمراء السابقين، وبخاصة لدى علي بن مجثل حين كان يهتم بمراسلة الولاة الحجازيين وغيرهم من الولاة العثمانيين، وهذا الأسلوب البياني يكاد يختص بمراسلة أولئك الولاة، وأنه ربما رُفِع شيء منه إلى مقام السلطان العثماني حينذاك، إذ يبدو أن للأمير علي بن مجثل كُتَّاباً محترفين، فقد أشار عاكش إلى أحدهم، حين تعرض لذكر ابن مجثل نفسه، بقوله: «وقام بعد ذلك كاتب الأمير الفقيه علي بن يحيى...»[1].

وعلى أية حال فإن كتابة الديوان في عهد الأمير عايض بن مرعي قد أصبحت أكثر نضجا مما ألفَته إمارة عسير من قبل، فقد توفر لهذا الأمير عدد من الكُتَّاب المحترفين، وأصَبحت مهام إمارته أكثر شمولا من ذي قبل، كما أضحى الحال السلفي عند الأمير عايض بن مرعي واضحًا معروفا، يكاد يتفرد عن سواه من حكام تلك الأنحاء، وذلك من حيثُ رؤيته الجادة في المحافظة على مبادئ الدعوة السلفية، بحجة أن أساليب رسائله الديوانية تكاد تتفق - إلى حد كبير - مع رسائل أمراء نجد السلفيين وعلمائها، من حيث المحافظة على نمط الرسائل الديوانية المعهودة، والإفادة من أساليب التعبير المعروفة عند السلفيين من قبل، وذلك ما وسم رسائل الأمير عايض بن مرعي بالمحافظة على ملامح هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الأدب.

---

(١) مناظرة ابن إدريس مع فقهاء عسير، نسخة هاشم النعمي المخطوطة.

ولعل ما يثبت ما قيل من قول المحاورة التي نشأت بين الأمير عايض بن مرعي ومندوب والي الحجاز العثماني في "مَنَاظِر" بأبها عام ١٢٧٣هـ، حين أشار هذا الأمير إلى كتاب الديوان عنده بقوله مخاطبا المندوب: «إن كُتَّابي تقدموني في المسير، تعالَ ورافقني لأكتب لك الجواب»[١]، ويمضي هذا المندوب العثماني في قوله: «وهكذا رافقته في مرحلتين حتى أدركنا محمد بن مفرح معتمده»[٢]. ومن هنا يمكن للباحث أن يجعل لهذا المستوى الأدبي في كتابة الديوان في إمارة عسير اتجاهين مختلفين، هما: الاتجاه التقليدي المحافظ على نمط الأساليب البيانية المتكلفة، والاتجاه العامي المعهود في محيط إمارة عسير وما حولها. وحينما نضرب لكل من الاتجاهين بمثال في هذه الفترة من حكم عايض بن مرعي، فإن رسالته إلى محمد كمال باشا عام ١٢٧٢هـ تمثِّل الاتجاه الأول، إذ قال:

«... وصل كتابكم المكرم، وفهمت خطابكم المفخم المبشِّر باستقامة الأحكام الشرعية، كما أمر الله في بلد الله المرعية، وخمولة الأحكام الكفرية من الطائفة النصرانية، ومن والاهم من كافة البرية، فحمدنا الله على ذلك، وشكرناه على ما هنالك، وصادف وصول هذا الخبر، وقد فرَّقنا شوكات[٣] المسلمين، وحققنا لعساكر الموحدين بغرض الجهاد على كافة العباد...

ولا وصل إلا وقد نشرت الأعْلاَم، وبُرِّزَت الخيام، وتزاحفت الجنود من

---

(١) محمد بن عبد الله آل زلفة، دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة ما بين (١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م - ١٣٧٢هـ/ ١٨٥٥م) في عهد الشريف عبد المطلب في ضوء الوثائق العثمانية، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) الشوكات: الأفراد الذين ينذبون من القبائل عند الحروب. وهم مجموعات الجند في جيش عايض ابن مرعي. وقوله: «وخمول الأحكام الكفرية من الطائفة النصرانية» يشير إلى ما كان قد ظهر في مكة المكرمة عندئذ من الاضطرابات السياسية.

كل فَجّ، وامتلأ من العساكر الإسلامية كل نَهْج[1]، وقصدنا تطهير بيت الله الحرام، وإقامة شرائع الإسلام، ونصرة المستضعفين من الأنام، وقمع أعداء الله الطغام الناقضين من عرى الحق الأحكام، المغيِّرين شريعة المصطفى، النابذين ملة السادات الحنفاء، وما كان عليه الأربعة الخلفاء . . . »[2].

ويتبين من هذه الرسالة الديوانية أسلوب التعبير الذي أصبحت عليه الكتابة الفنية في عسير، من حيث التقيد بالصنعة اللفظية، واستخدام البديع. وذلك - فيما يبدو - لم يكن ظاهرا في أساليب الديوان عند العسيريين، وما أوجده سوى الرغبة في مراعاة مقتضى الحال عند مخاطبة الولاة العثمانيين وغيرهم من حكام الحجاز واليمن، ورغم ذلك لم يكن الكاتب في هذه الرسالة - فيما يبدو - متمرسا بكتابة مثلها من قبل، إذ يظهر فيها القلق اللفظي، وعدم الانسجام، مما ينبئ بأن كاتبها أحد علماء آل الحفظي؛ نظرا لتوافق أسلوب هذه الرسالة مع أساليب أولئك العلماء في رسائلهم الإخوانية[3]، إلى جانب محاكاة الكاتب لأسلوب القرآن الكريم في مثل قوله: « بُرِّزَت الخيام »[4]، «نُشرت الأعلام »[5]، « ممن حادّ »[6] ونحوها.

ويظهر أثر الدعوة السلفية جليا في وضوح المضمون السلفي الذي يرمي إليه الأمير عايض بن مرعي من نصرة الدين، ورفع راية الجهاد، إلى جانب ما

---

(١) النهج: الطريق.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢، ١٣، وقد بعث في هذه الأثناء الشيخ جاري بن ظافر رسالة مماثلة إلى الشريف عبد الله بن ناصر، انظر ذلك في كتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث، ص١٤١.

(٣) انظر: رسالة زين العابدين الحفظي، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٤) انظر: آية ٩١ الشعراء، وآية ٣٦ النازعات.

(٥) انظر: آية ٣٢ الشورى، وآية ٢٤ الرحمن.

(٦) انظر: آية ٢٢ المجادلة.

ظهر من استخدامات الكاتب لبعض المعاني والألفاظ التي كانت قد ظهرت من قبل عند النجديين، مثل قوله: « عساكر الموحدين » و« غرض الجهاد » و « الطائفة النصرانية »، وغير ذلك، بالإضافة إلى المعنى السلفي الذي انتظم الرسالة، وما ظهر في فحواها من غيرة دينية متشبعة بروح السلف، وبخاصة حينما أظهر الكاتب رغبة الأمير في الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وما كان عليه المصطفى ﷺ وخلفاؤه الأربعة من بعده، مما يظهر حقيقة السلفية التي تستقي تعاليمها من مصادر التشريع الأول، إلى جانب التركيز على دحض ماينافي التوحيد، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة - على الرغم من تعمُّد كاتبها للأساليب المتكلفة - قد اتسمت بصدق العاطفة وجدية الموقف؛ مما يدل على حقيقة تأثر الكتابة الديوانية بهذه الدعوة الإصلاحية. ولا غرو في ذلك، فالأمراء العسيريون حينذاك يرون أنهم الوارثون لتحقيق مبادئها ونشر تعاليمها في تلك الأثناء، إذ هم عندئذ متشبعون بما يستقونه من الكتاب والسنة مصادر هذه الدعوة الأولى، إلى جانب نجاحهم المستمر في ميدان القتال، مما أكسبهم تشجيعا وإقبالا على نصرتها والقيام بتعاليمها.

أما الاتجاه العامي في ميدان الرسائل الديوانية بعسير، فربما عُدَّ أكثر وفرة من الرسائل الديوانية الأخرى ذات الأسلوب البياني الفصيح، ويمكن تحقيق ذلك من تلك الرسالة التي بعثها الأمير عايض بن مرعي إلى الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش شيخ قبائل زهران، ومما ورد فيها قول هذا الأمير:

« . . . صدرت للسلام، وخطكم المكرم وصل وتحققته، وصل الله الجميع رضاه، وما ذكرت أنه حصل في بعض قبائلكم من فساد. . . فهذه[1] عادات

(١) في الأصل «هذا».

أهل النفاق، ولا لهم بحمد الله سلطان، ولا منهم مضرة، إذا استقمت استقام معك كل طيب من زهران، وصارت الدائرة[1] بحول الله على كل خبيث.

وبحول الله أن تسمع ما يسرُّ خاطرك، وأن ترى ما يقر ناظرك[2] في قريب، وأن من قدم مد يده عند أهل الباطل أن يلوم نفسه، وأن يلعن من أشار عليه، وترى عبد المطلب قد طلبنا صلحا[3] على بعض القبائل، وأبينا ما نصالحه على رجل واحد من المسلمين . . .، ولا تغرك زهقات الباطل وأهله، فإنها تضمحل، وهم أقل وأذل . . . »[4].

ومن الواضح أن هذه الرسالة قد وافقت مقتضى الحال حين توخى كاتبها التعبير المناسب الذي يوافق موضوعه، فهذه الرسالة لا تعدو أن تكون معالجة لبعض القضايا القبلية التي تنشأ في المحيط القبلي العسيري في ذلك العهد، وبخاصة قبائل زهران، إذ هي غير مستقرة في ولائها للحكام العسيريين بحكم تجاذبها السياسي بين أشراف مكة المكرمة وأمراء عسير.

ومهما يكن فإن الروح السلفية تسيطر على ملامح التعبير في هذه الرسالة، مما يدل على النهج السلفي الذي يسلكه عايض بن مرعي، حينما يرى صلاح المجتمعات في طلب المثل الرفيعة في ظلال الشريعة الإسلامية، وربما يظهر استخدام هذا الأمير للفظ « المسلمين » واضحا في رسائله. إذ هو بهذا يوافق ما كان يجري من رسائل ديوانية وغيرها عند الأمراء النجديين وغيرهم من العلماء.

---

(١) الهزيمة، يقال: « عليهم دائرة السوء ». انظر: مختار الصحاح للرازي، ص ٢٠٥.

(٢) في الأصل «ناضرك».

(٣) في الأصل «صلح».

(٤) رسالة مخطوطة، توجد لدى الباحث.

وربما كان يأتي الداعي لتحرير مثل هذه الأساليب بسبب الرغبة في تثبيت الأمن، وفرض الولاء، والمحافظة على نشر الدين. ولعل كاتب هذه الرسالة يُعَدُّ من الكتاب المتخصصين في شؤون القبائل[1]، إذ ربما كان الكُتَّاب المتخصصون في كتابة الرسائل الديوانية الفصيحة لا يشاركون في هذا المجال القبلي، بحكم انصرافهم إلى الكتابة الديوانية الأخرى.

ويمكن أن يضاف إلى هذين النوعين من الرسائل الديوانية نوع ثالث، يكاد يجمع بين الاتجاهين: الاتجاه الفصيح المتكلف، والاتجاه العامي اليسير، وربما ظهر هذا النوع الوسيط بين الاتجاهين لدى هؤلاء الأمراء العسيريين الذين مثلوا هذا المرحلة، وحافظوا على مبادئ الدعوة السلفية فيها. ولعل خير ما يمثل هذا النمط الأسلوبي رسالة الأمير عايض بن مرعي نفسه التي بعثها عام ١٢٦٤هـ إلى الحسن الحسني بالمخلاف السليماني[2]، إذ ربما ميزها عن سواها الديباجة التي استهل بها الكاتب رسالته، إلى جانب ورود بعض الألفاظ التي تناسب الأشراف من أهل تهامة، وما مرد ذلك النهج الديواني سوى الحال الفكري والأدبي الذي كان عليه المخلاف السليماني عندئذ، ومنها قول كاتبها: «صدورها لأداء التحية، والسؤال عن أحوالكم، جعلها الله جميلة مرضية، وأحال عنها وعنكم جميع المكروهات... ما لدينا سارة قارة، ولا به علم حادث يوجب رفعه إليكم، سوى ما ذكرنا من الأخبار الجميلة، ولا يخفى على شريف عملك، ولطيف فهمك، ما قد جرى على الشريف الحسين بن علي من التضييق والحبس والقهر..»[3].

---

(١) يدل على هذا تشابه الرسائل العامية التي أنشئت في هذا المجال، من حيث أسلوب التعبير والبناء الشكلي.

(٢) رسالة خطية توجد في مكتبة آل عاكش الخاصة بضمد.

(٣) المصدر نفسه.

وعلى أية حال فقد كان الكُتَّاب العسيريون في مجال الكتابات الديوانية يراعون في الرسائل التي كانوا يحررونها مقتضى الحال، فلا يساوون في أساليبهم التعبيرية بين شيوخ القبائل في عسير، وبين الأشراف في تهامة، كما لا يساوون في ألفاظهم وأساليبهم بين مقام الخلافة، وبين الولاة العثمانيين، فلكل مقام مقال.

وبمثلما عَرَفَ ديوان الكتابة عند الأمير عايض بن مرعي من الرسائل الديوانية المختلفة، عَرَفَ كذلك عهد الأمير محمد بن عايض شيئا من تلك الرسائل، ولكن ربما كان هذا العهد الأخير أكثر انطلاقا في هذا الميدان، وبخاصة في مجال التعبير والاستخدام اللفظي، ولعل ذلك بسبب اتساع إمارة عسير في عهد الأمير محمد بن عايض، ورغبته في مسايرة التطور الذي كان قد ظهر في بعض المجالات لدى غيره من أمراء البلدان المجاورة[١].

ورغم اتهام هذا الأمير بالتقليل من شأن العلماء، وعدم محافظته على الرعاية التي كان يخصهم بها والده الأمير عايض بن مرعي من قبل، فإن تلك الاتهامات لم تشكل أثرا على مستوى الكتابة سوى أنها ربما أضعفت - فيما يبدو - أثر الدعوة، إذ لم تعد تحفل تلك الرسائل بمثل النهج السلفي الذي عرف من قبل عند ابن مجثل والأمير عايض بن مرعي. ولكي نتحقق مما قيل، فإن من الأفضل الاستئناس بقول هاشم النعمي الذي ذكر بأن الأميرمحمد بن عايض «لم يحذ حذو أبيه من حيث تقدير العلماء والاستفادة منهم»[٢]، وأضاف إلى ذلك قوله: إنه استبدلهم «بأناس هم إلى الشر أقرب منهم إلى الخير، اتخذوا

---

(١) ويمكن أن يضاف إلى ذلك: موقفه السياسي من الترك والمصريين، والمحاباة الظاهرة التي كانت تظهر في رسائله، إذ كانت تلك الرسائل - فيما يبدو - تخلو من صدق المشاعر وصفائها.

(٢) تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٢٠٦.

من الأعراف القبلية منهجا لسياستهم »[1] . وقد أضاف النعمي إلى أن هذا العمل قد أثار نقمة بعض العلماء عليه[2] .

وإذا صح هذا فإن أثر هذه المباينة من لدن أولئك العلماء قد أثَّر - كما قيل من قبل - في أساليب التعبير ، وأفقد الرسائل الديوانية ملامحها السلفية الجادة ، وجعلها تميل كثيرا إلى أساليب الكتابة المعروفة في العهد التركي ، وتفيد من مظاهر التطور الحضاري والاجتماعي المعهودة عندئذ في عسير ، وربما ظهر ذلك التأثير في رسالة الأمير محمد بن عايض التي بعثها إلى الخديوي إسماعيل والي مصر عام ١٢٨٧هـ ، يُظهر له فيها مشاعره ، ويطلب منه فنيين لإصلاح المدافع لديه ، ومما قال فيها :

« . . . إلى حامي حمى الأقطار المصرية بفرمانه الصادق ، ومشيِّد بنيان أركان الممالك اليوسفية بآرائه الثاقبة ، حضرة فخامة دولة الخديوي الأعظم لا زالت شمس إقباله في بروج السعد شارقة ، ونحور أعدائه في دمائهم غارقة ، وبعد :

فلينهي إلى الحضرة التي هي محط الآمال أن الداعي المخلص ؛ لم يزل مشتاقا إلى مكاتبتكم ، وسائلاً عن عافيتكم التي هي غاية المقصود من الرب المعبود . وقد صدر كتابان قبل هذا ونرسلهما عن طريق وكيل القومبانية بجدة . . . ، وإذا رأى حضرة أفندينا إرسال واحد سبَّاك لفك المدافع خاصة ، وتوضيب جميع ما يتعلق بها ، فهو لدينا من جزيل الإحسان ، وقوتنا

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٢) مثل : الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي ، والشيخ سحمان بن مصلح بن عامر ، والشيخ عبد الله ابن محمد النعمي ، والشيخ محمد بن صالح .

لأفندينا، والله يعلم إنا صادقون في ذلك، والدهر مجرب، ولا خير في قول بلا عمل. . »[1].

والحق أن أثر الدعوة السلفية في ميدان الكتابة الديوانية قد قل، وبخاصة حينما أخذت المصطلحات المعهودة في رسائل الأمراء العسيريين من قبل تقل وتضمحل، وأخذ كُتَّاب الديوان في عسير من بعد ذلك يحلون محلها بعض المصطلحات الجديدة التي لم تُعْرَفْ من قبل، ولعل ذلك بسبب ما أحدثه الكُتَّاب الوافدون على عسير، إذ هم في الغالب من المخلاف السليماني واليمن[2]، ولم يعد أولئك الكُتَّاب من آل الحفظي في هذه الفترة وغيرهم يصبغون الرسائل الصادرة من ديوان الإمارة بعسير بصبغة الدعوة السلفية التي جبلوا عليها، وإنما بدأت الرسائل في عهد الأمير محمد بن عايض تميل إلى الألفاظ المستحدثة ومصطلحاتها، مثل قول كاتب الرسالة السابقة: « بفرمانه»، و« الممالك اليوسفية »، و« فخامة دولة »، و« الحضرة »، و« القومبانية »، إلى جانب العناية بذكر الآلات الحديثة ومن يقوم عليها من العاملين ونحوهم.

وربما ميَّز هذه الرسالة عن سواها أنها تتصف بسمات المحاباة، والتزلف في القول، مما صرفها عن سمات الرسائل الديوانية السالفة التي تعتمد على الوضوح والصراحة، وهما من سمات الرسائل السلفية بعامة التي تتصف «بالجرأة والروح الإيمانية الواثقة غير الهيابة »[3]. ولعلها قد ظهرت من قبل في

(١) شوقي عطا الله الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣م - ١٩٧٩م)، ص ٤٣٠.

(٢) ورد في الرسالة السابقة قول كاتبها: أحمد اليمني. وكان من الواضح أن الحسن بن أحمد عاكش قد لازم الأمير محمد بن عايض فترة من الزمن، فلا بد أن يكون قد اشترك في كتابة الديوان.

(٣) عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، ص ٣٢.

رسائل الحازمي، وعايض بن مرعي السابقة التي وصفت بالوضوح والصراحة.

والحق أن هذه الملامح الأسلوبية في رسائل محمد بن عايض، لم تكن تعم رسائله الديوانية، وإنما هي بقدر التجديد الذي طرأ على إمارته، وإلا فقد وُجد من رسائل هذا الأمير نفسه في أول عهده ما يشبه رسائل الإمام فيصل بن تركي[1]، من حيث الشكل والمضمون، والمحافظة على نمط الرسائل الديوانية المعهودة عند علماء الدعوة السلفية وأمرائها. وإنما اضطره الحال السياسي في بعض رسائله الديوانية - فيما بعد - إلى المداهنة والمحاباة، اتقاءً للشر ودرءاً للفتنة، وهذا موقف لا يُحمد له.

ومن رسائل هذا الأمير التي تمثل الاتجاه السلفي في مطلع عهده السياسي تلك الرسائل التي بعث بها إلى محمد كمال باشا والي جدة سنة ١٢٧٣هـ، ومنها قوله: «ونظنكم تحبون سداد الفتن عن الأمة المحمدية، ولله الحمد لا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما توفيقي إلا بالله، ونريد نبذل النفس والنفيس فيما يعز هذا الدين، ونصرف القوة والمنعة فيما يرضي رب العالمين...»[2]، هذا النهج السلفي في هذه الرسالة يدل على أثر الدعوة السلفية في الرسائل الديوانية، وبخاصة في هذا العهد السابق الذي ينم عن اتصال مستمر بنشاط الدعوة المعهود.

أما الاتجاه العامي في رسائل الأمير محمد بن عايض، فيبدو أنه أقل وضوحا مما عرف في العهود السابقة لهذا العهد، وربما كان بسبب عدم توافر نماذجه الآن بين أيدينا، ومع ذلك فقد وُجِد من نمط هذا الأسلوب العامي عند

(١) يوجد شيء من هذا - كما أخبرني محمد عبد الله آل زلفة - في أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول. وانظر: تاريخ نجد للآلوسي، ص ١٠٦.

(٢) محمد بن عبد الله آل زلفة، مقاله السابق.

هذا الأمير رسالتان: إحداهما بعثها إلى الشيخ غرم الله بن علي يسأله فيها علاجا لما يشتكيه حينذاك من الآلام[1]، والأخرى رسالة منه إلى الشيخ عبدالخالق بن إبراهيم الحفظي حول بعض القضايا والأحكام الشرعية[2]، وليس في مثل هذه الرسائل العامية ما يثير الانتباه، غير أسلوبها الضعيف الذي لا يُفْتَرَض فيه الأثر السلفي، مثلما افترض في رسائل غيره من أمراء عسير؛ نظرا لاختلاف الأغراض وبساطتها، وإنما هو دون شك يصدر عن طبيعة سلفية واضحة، شأن العهود السابقة التي كان فيها الأمراء العسيريون يعبرون عن أفكارهم ومطالب الحياة عندهم بهذه الطريقة المعهودة في هذا النوع من الرسائل.

وعلى أية حال فإن هذه المرحلة تُعَدُّ من أوسع مراحل الكتابة الديوانية تطورا في عسير، وأن هذه الأنحاء من أكثر البلدان في جنوبي الجزيرة العربية حفاظا على الروح السلفية، وبخاصة في عهدالأميرين: عايض بن مرعي، وعلي بن مجثل اللذين يعدان من أبرز أمراء عسير نصرة لهذه الدعوة وتمسكا بها. ويمكن اعتبار تطور نمط الرسائل الديوانية في هذا العهد من أسباب تأثير الدعوة السلفية التي أوجدت من أنصارها مَنْ يحافظ على مبادئها، ويتخذ من أجلها سبيلا لعرض مبادئها ومواقف مؤيديها في قوالب نثرية تناسب الأغراض، وتسمو بها، وذلك في وضوح وصراحة، وجرأة في الحق، وميل إلى التثبت بالدليل.

المرحلة الثالثة:

ويمكن تحديد بداية هذه المرحلة بعام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م العام الذي قضى فيه الترك على إمارة آل عايض في عسير، إذ أخذ يدب في قلوب الناس

---

(١) رسالة خطية توجد لدى محمد بن سعد البركي ببلجرشي بغامد.

(٢) رسالة خطية توجد في مكتبة أحمد بن الحسن بن عبد الخالق الحفظي، بعثالف رجال ألمع.

الخوف، وبدأ التيار السلفي في دواوين الإنشاء يفتر ويقل حين تفرَّق العلماء، وشُرِّدوا في الأرض، فلم يبق سوى جذوة الفكر السلفي التي لم تخمد في نفوس أمراء عسير من آل عايض الذين أُقصوا عن إمارة البلاد، إذ لم تعد بلادهم تشهد سوى ثورات مستمرة من قبلهم تجاه المتصرفين الترك في عسير. وكان هذا الصراع السياسي يعجب أئمة اليمن، فيدفعهم هذا الإعجاب إلى كتابة الرسائل إليهم بالثناء على جهودهم، وهذا ما يُعَدّ من ملامح الأثر السلفي لدى هؤلاء الأمراء في عسير.

كذلك كان لانضمام تلك الأنحاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية الأخرى أثر في ظهور تيار سلفي لدى حكام تهامة وأمرائها، مما يُعَدّ من ملامح التأثير السلفي الذي أحيته الدعوة السلفية في هذه العهود الأخيرة، فقد أخذ محمد ابن علي الإدريسي منذ أواخر العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري يؤيد هذه الاتجاهات السياسية، ويبعث بالرسائل الديوانية إلى نجد من أجل تأييد مظاهر الإصلاح التي بدأت تغشى بلاده، وما يليها من البلدان الأخرى، وذلك ما يمكن اعتباره من أثر التيار الإصلاحي السلفي الذي أوجدته هذه الدعوة، ودعت إليه.

فأما ملامح التأثير السلفي التي نشأت في بلاد اليمن من أجل تأييد الأمراء العسيريين ضد الترك، فهي ممثلة في بعض الرسائل الديوانية التي أنشأها بعض الأئمة الزيديين في تأييد أولئك الأمراء العسيريين المناهضين للترك. ومن تلك الرسائل الديوانية رسالة بعث بها الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى إلى الأمير علي بن محمد بن عايض سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، يستحثه فيها قتال الترك، ويشد من أزره في جهادهم، إذ قال:

«. . . بلغنا تشميرك للساق، والعزم للجهاد الشاق ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1]، فتعمم بالسحاب، وتمنطق بآلة الطعن والضراب، وقد ذللنا لكم العدا، وجرَّعناهم كؤوس الردى. وقد علمت أنهم خرجوا علينا في العام الماضي بسبعين ألفا كالجراد المنتشر، فغلبوا هنالك، وانقلبوا صاغرين، بعد تقليل أعدادهم، وذهاب إمدادهم ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

أسمعاني تحمحم الصافنات وارتجاز الكماة فوق الكمات[3]
أسمعاني الولوال[4] تحت العجاج وضجيج النسا على الأزواج . . »[5].

ويتجلّى في مضمون هذه الرسالة الديوانية وضوح الاتجاه الديني الذي أحياه تيار الإصلاح السلفي في عسير، حينما كان الأمراء العسيريون يدفعون الترك عن بلادهم، ويناهضونهم من أجل جلائهم عن عسير، فقد دلت هذه الرسالة على مدى كره الأئمة الزيود في اليمن للترك، وسعيهم إلى استنهاض همم الأمراء السلفيين في عسير، حين كانوا يؤلبونهم ضدهم، ويذكّرونهم بموقفهم أنفسهم منهم، ويمكن تتبع هذا الأثر السلفي من خلال اتفاق أمراء عسير السلفيين وأئمة اليمن الزيود في مدافعة الترك، وأن الرؤية السياسية لدى الزيديين قد جعلت أمراء عسير خير من يناهض الترك، ويقف في سبيل أطماعهم.

ويبدو أن أسلوب التعبير في هذه الرسالة قد كان أكثر تكلفا في اللفظ عما وجد في عسير، وأنه كذلك أوسع جهدا في الصنعة والتكوين اللفظي، فقد

(١) الآية ٢١٦ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٧ من سورة محمد.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) الوَلْوَال: الدعاء وإلهام الذّكر، انظر: القاموس المحيط، ج ٤، ص ٦٦.
(٥) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ٣٢٧.

ظهر بين أجزاء عباراته التفكك وعدم الانسجام، مما يشير إلى حال الأدب في اليمن ، وما أصبح عليه في هذه الفترة المتأخرة من التكلف والصنعة ، إذ ربما بدا على أسلوبه القصور في نقل الأفكار والتعبير عنها ، نتيجة للجهد المبذول في تنميقه وإخراجه ، ولكنه مع ذلك قد انتظم قوالبه أغراضٌ تناسب أهداف الإصلاح وتوافقها ، ولعل هذا المجال اليقظ الذي عرفته بلدان اليمن في هذا الميدان ، قد ميَّز الكتابةفيها بشيء من الخصائص التي لم تكن معروفة من قبل .

أما أثر هذه الدعوة السلفية في الرسائل الديوانية بالمخلاف السليماني في هذه الفترة فقد ظهر بوضوح في بعض رسائل محمد بن علي الإدريسي الذي أدرك في هذه الأثناء حقيقة ما ترمي إليه هذه الدعوة السلفية من إصلاح ، وخاصة في ميدان تطهير الاعتقاد وذم البدع وإخلاص التوحيد لله تعالى ، ويبرز ذلك الموقف في رسالة الإدريسي نفسه التي بعثها إلى الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٤٠هـ ، وفيها يصف غبطته بهذا الإصلاح ، ويبين موقفه من هذه الدعوة ، إذ قال :

« . . . أما بعد ، فإنَّا وَجَّهنا إليكم هذه الجملة لحضرتكم الشريفة ، ومعاليكم المنيفة ؛ لأنه قد سرَّنا ما أنتم عليه من الدعاية[1] إلى الله - تعالى - ، ونشر دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإظهار شعائر الدين ، ومن متماته الصلاة التي هي بمنزلة الرأس من الجسد ، والأمان الساري في القفار والبراري ، والعدل المساوي بين الضعيف والقوي الضاري ، والسير على الاتباع ومجانبة الابتداع ، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين ما هو أهله . . .

(١) كذا في الأصل ، وهو يريد الدعوة .

فبوجودكم ستُزال تلك البدع، وترجع العامة إلى ما هو أنفع، وأنتم مثابون على ذلك، ونحن بالغون لكم هنالك، كما قد شاهد القاضي عبد الله ابن راشد وأصحابه عند وصولهم اليمن في تلك الدفعة، من تسوية كل بناء على رجل صالح بخراب المشاهد والقبب، مع النهي والزجر للعامة أن ذلك يجر إلى الاعتقاد في العباد من دون الله، وهذا عين الشرك، وقد انتبه كثير من الناس...

وتمام الجملة أنه لما قمتم الآن - بحمد الله - في هذا المقام العالي المنصب السامي ستُزال أمور الضلال، ويُعلم عابد الدّنا من عابدي ذي العظمة والجلال، ونحن في مقامكم نأمر بالمعروف وإزالة المنكرات وفعل الخير، وحب المساكين، والتقرب إليهم بستر عاريهم وإشباع جايعهم، والمحافظة على الجمعة والجماعات، وتوحيد الله بإخلاص في جميع الحالات، فلا يسعنا وكافة المسلمين إلا الامتثال لأمركم المطاع رضاء لذي الجلال. وهذا جدير بكم؛ لما نسمع عنكم من حسن سيرتكم وهديكم...»[1].

وتدل هذه الرسالة الديوانية التي صدرت عن ديوان الإدريسي أن موقفه قد تبدَّل، وأن هواه قد وافق هذه الدعوة، إذ كان من الواضح من قبل ميل الإدريسي إلى الصوفية وطرقها، ولكنه - فيما يبدو - في آخر عمره بدأ يستشعر حقيقة هذه الدعوة، وما ترمي إليه من إصلاح[2]، فقد ظهر الأثر السلفي جليا في الرسائل الديوانية بهذه الفترة، من حيث الشعور السلفي الواضح والميل إلى الإحساس بتعاليم هذه الدعوة الإصلاحية، إذ أبدى

---

(١) عبد الله بن علي العمودي، نبذة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، مخطوطة، ورقة ٢، ٣.

(٢) ويدل على أثر هذه الدعوة الإصلاحية في الأهلين بتهامة قول الإدريسي بأن كثيرا منهم في تلك الأنحاء قد «علموا أنه على خطأ فيما مضى، فتابوا، وحسن حالهم، وأرشدوا من دونهم». ورقة ٢.

الإدريسي غبطته بشيوع العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهور شعائر الدين، كما أوضح أثر هذه الدعوة في إزالة ما يخالف الدين من المشاهد والقباب، وأبدى تأثره بها حينما أخذ يفيد من مبادئها، ويصدر عن تعاليمها، إلى جانب العداوة التي كان يُكنُّها الإدريسي للدولة العثمانية[1] حينذاك.

أما ملامح الأسلوب البياني في رسائل هذه المرحلة، فإنها تظهر فيما التزمه الكاتب - إلى حد ما - من التكلف في بعض العبارات، ومحاولة التمسك بنغم البديع واتفاق الألفاظ والعبارات، ولكنه حينما ينتاب الإدريسي الجِدُّ في رسالته يهمل الالتزام بهذا المنهج البديعي، مما يدل على إحساسه بتطور هذه الأساليب، وأنها يجب أن توافق ما يجري في المحيط الأدبي حينذاك مع ملامح التجديد والتطور. ورغم ذلك فقد ظهر في هذه الرسالة صدق الإحساس النفسي عند الإدريسي، وذلك يشبه ما اعتاده في رسائله الديوانية المعهودة من الصدق النفسي والشعور الجاد، بالإضافة إلى ما يورده من الحجج المقنعة والأدلة الواضحة.

وإلى جانب ما وُجد لدى بعض علماء اليمن وأمراء تهامة في هذه الفترة من الإحساس بالأثر السلفي والميل إليه، فإن إمام اليمن يحيى حميد الدين قد كان يدرك شيئا من ذلك الإحساس، فقد كان كثيرا ما يبعث بالرسائل الديوانية إلى الملك عبد العزيز آل سعود حول بعض القضايا السياسية المختلفة التي كانت تنشأ بين البلدين[2]، مما يشير إلى وجود أثرسلفي واضح في ميدان الرسائل الديوانية بتلك الأنحاء من جنوبي الجزيرة العربية خلال هذه الفترة الأخيرة.

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، ج ٢، ٧٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٧١ - ٩٣٥.

ثانيا : في الرسائل الإخوانية

من الواضح أن الحركة الأدبية في مجال كتابة الرسائل الإخوانية قد ازدادت منذ أخذت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تغشى بلدان جنوبي الجزيرة العربية. فقد كانت البيئات العلمية حينئذ في واقع من الركود والجمود، وما أن تلاقف العلماء أخبار هذه الدعوة حتى بدأ نشاطهم الأدبي ينتعش من خلال هذا اللون النثري حيث شرع العلماء، وبخاصة الأدباء منهم يكاتبون زملاءهم في البلدان المجاورة، ويشرحون لهم وجهات نظرهم تجاه هذه الدعوة السلفية، إلى جانب الاتصال الفكري والثقافي الذي نشأ بين نفر من علماء اليمن والشيخ محمد بن عبد الوهاب من أجل هذه الدعوة الإصلاحية، إذ لم تألف هذه البلدان مثل هذا الاتصال من قبل.

وبالإضافة إلى يقظة الشعور السلفي بين مراكز الفكر بهذه الأنحاء في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، نشأ بسبب ذلك اتصال مستمر بعلماء الدعوة السلفية في نجد، حيث أصبحت الرسائل الإخوانية وسيلة للاتصال المباشر بأمراء الدعوة وعلمائها في الدرعية[1]، إذ أخذ العلماء برجال ألمع بخاصة، ومن سواهم بالمخلاف السليماني، يكاتبون أولئك الدعاة السلفيين بنجد، ويشرحون لهم ما يختلج في صدورهم من الأحاسيس تجاه هذه الدعوة، بل ويصوِّرون لهم انطباعهم وما يلقاه الدعاة منهم في سبيلها، فقد نشأت بينهم عند ذلك الروابط الأخوية، وأصبحت تلك الرسائل تهتم ببعض المناقشات العلمية، وما يختص بشؤون الدعوة السلفية. ولعل بداية أثر الدعوة في هذا الميدان الأدبي تُعَدُّ منذ نشأ هذا الاتصال الفكري بين علماء

(١) ولكونها على هذه الصفة، فقد صُنِّفت ضمن الرسائل الإخوانية، إذ يغلب عليها الصبغة الفردية والميول الشخصية.

اليمن والشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ بدأ الناس في هذه الأنحاء ينتبهون لحقيقة أمر هذه الدعوة، ويحسون بأهميتها.

وإلى جانب ما تتسم به الرسائل الإخوانية في هذا العهد من ملامح الصدق النفسي والشعور الذاتي، اتصفت من بعد ذلك بعلامات اليقظة السلفية والروح العلمية، وذلك حين بدأ كُتَّابها يعرضون أفكار الدعوة، ويناقشونها، إلى جانب اتصاف هذه الرسائل بما اعتاده كُتَّابها من التعبير عن حالاتهم النفسية، وبخاصة حينما يدركهم ذلك الشعور النفسي وهم خارج بلدانهم، فقد كان معظم علماء آل الحفظي - على سبيل المثال - يخرجون في سبيل هذه الدعوة خارج بلدانهم؛ وذلك ما يثير تأملاتهم وحنينهم إليها في رجال ألمع، فينشئون بسبب ذلك الرسائل الإخوانية إلى أولي الأمر في نجد من أجل السماح لهم بالعودة إلى أهليهم. وقد عُدَّ هذا المجال من معالم النشاط الأدبي لدى أولئك العلماء الحفظيين بهذه الأنحاء خلال تلك الفترة.

وفي ضوء هذه المؤثرات الأولى في بعض هذه الرسائل الإخوانية يمكن تمييز تلك الرسائل الإخوانية التي وجدت في هذا المجال إلى مرحلتين زمنيتين: مرحلة أولى حفلت بنشاط هذه الدعوة المبكر، وما حفل به عهدها الجاد في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري وما قبله، إلى جانب المرحلة الثانية المتأخرة التي حفلت بنشاط هذه الدعوة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. وقد كانت المرحلة الثانية أقل نشاطا مما عرف في المرحلة الأولى؛ وذلك بحكم اليقظة السلفية الجادة التي وُجدت عندئذ في تلك الأنحاء. ورغم ضعف الأثر السلفي الذي نشأ في مجال الرسائل الإخوانية من بعد ذلك، فإن تلك الجذوة السلفية التي وجدت عندئذ لم تخمد حتى عمَّ أثر هذه الدعوة أرجاء البلاد المختلفة.

والناظر في هذا اللون الأدبي يدرك اهتمام الكُتَّاب عندئذ بتجاربهم الخاصة، ومعالجة قضاياهم الفكرية، إلى جانب إيضاح ما يرمون إليه من تحقيق آمالهم في نشر مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية في جهاتهم، وما يرمون لمعرفته عنها، ولعل علماء اليمن ورجال ألمع والمخلاف السليماني يُعدُّون أوسع نشاطا من غيرهم، إذ كانت حياتهم الفكرية أكثر نشاطا، وأخصب نتاجا من عسير التي اتضح نشاط أمرائها في الرسائل الديوانية من قبل.

وعلى الرغم من معرفة هذه الملامح الذاتية الخاصة عن تلك الرسائل الإخوانية، فإنها كذلك قد اتسمت بملامح التكلف البديعي، ووفرة الاستخدام اللفظي المتفاوت، وليس هذا فحسب من خصائص الكتابة في هذه المنطقة، وإنما كان شأنها شأن غيرها من البيئات العلمية، وربما كانت الرسائل الإخوانية أوسع سبقا من الرسائل الديوانية؛ وذلك لأن العلماء بتلك النواحي هم الذين أبدوا استعدادهم لقبول هذه الدعوة، قبل أن يتحقق انتشارها المعهود في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ومن المعروف أن الاتصال العلمي الذي نشأ بين علماء نجد وعلماء جنوبي الجزيرة العربية من أجل الدعوة السلفية، قد وُجد منذ العقد السادس من القرن الثاني عشر الهجري. وذلك يجعل الرسائل الإخوانية أقدم انتشارا من الرسائل الديوانية، فقد واكبت الرسائل الإخوانية انتشار الدعوة السلفية في تلك الأثناء، إذ ربما يُعَدّ ما كتبه علماء اليمن من أجل هذه الدعوة حينذاك بداية أولية للرسائل الإخوانية التي بدأ العلماء يعبرون بها عن مواقفهم تجاهها. ومن تلك الرسائل رسالة بعث بها الشيخ أحمد بن محمد العويلي البكيلي إلى الإمام عبد العزيز ابن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ يطلب منهما إيضاح أمر دعوتهما، ويبين لهما رغبته في قبولها والعمل على نشرها، حيث قال:

«. . . بلغنا ما أنتم عليه وما دعوتم العباد إليه، وجاءنا عنكم أخبار مجملة غير مفصَّلة، فبعثنا إليكم هذه الإشارة، وننتظر مقصدكم، فإن كنتم مجتهدين في العلم عرِّفونا حقيقة الاجتهاد، وما عقيدتكم ونيتكم، فإن كنتم على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، أجيبونا عنها، وإن كنتم مقلدين أحداً من أئمة أهل العلم أجيبونا، وعرِّفونا ما حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان عندكم، وما تقولون في آل محمد ﷺ، وما تقولون في أصحابه، رضي الله عنهم أجمعين، وما تقولون في توحيد الله عز وجل؟

فإن جاءنا منكم حقيقة أنكم على ما جاء به محمد ﷺ، وعلى كتاب الله العزيز فنحن ملازمون على إجابتكم من وسط اليمن، بيننا وبين صنعاء ثلاثة أيام، وأكثر أهل أرضنا طائعون لكتبكم وأمركم علينا، وما أمرتموه علينا سمعنا وامتثلنا، ونحن - إن شاء الله - نرحل إلى دياركم، ونعاهدكم على مطابقة أمر الله ابتغاء وجهه الكريم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء هذا الدين الذي ضيَّعه أكثر الناس. . . »[١].

ويظهر أثر هذه الدعوة السلفية واضحا فيما أوجدته من نشاط أدبي في مجال الرسائل الإخوانية، إلى جانب تجاوب العلماء بهذه الأنحاء وإقبالهم عليها، فقد ظلت البلاد بعامة تعيش من قبل ذلك حياة رتيبة لا تدرك الحال الذي يجب أن تكون في معاشها وأمورها الدينية، وذلك جعل الدعوات الإسلامية التي ينادي بها المجدِّدون من العلماء[٢] تواجه بالاستنكار العميق. وهذا ما كان يجري في اليمن، إذ لم يكن السبيل ميسرا لقطع رباق التقليد الذي جبل عليه الناس.

(١) رسالة مخطوطة، توجد لدى الباحث.

(٢) أمثال: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وغيرهما.

وقد تجلَّى في هذه الرسالة حقيقة ما كان يذاع حول هذه الدعوة، وبخاصة في المجال المذهبي، إذ شوَّه المغرضون حالها، وأصبح العلماء المخلصون في اليمن يكرِّرون الرسائل والاستفسارات من أجل معرفة حقيقتها، ورغم ذلك فقد ألمح الكاتب إلى ذلك التأييد الذي كان قد ظهر بين الأهلين في اليمن، وأن العلماء من قبل ذلك قد أحسُّوا بغربة الدين، وأدركوا ما أصبح عليه حاله من التقليد والابتداع.

ومهما يكن الأمر، فإن ملامح الأسلوب الإنشائي في رسائل علماء اليمن الإخوانية تبدو مخالفة لما درج عليه كُتَّاب الدواوين من التكلف البديعي والصنعة اللفظية، وما معيار الاختلاف بين الاتجاهين غير الصدق النفسي الذي يصدر عنه كُتَّاب الرسائل الإخوانية، فقد ظهر في هذه الرسالة شعور الكاتب الصادق وميله إلى السهولة في التعبير، دون الاشتغال بالألفاظ وتنميقها، ولعل كاتب هذه الرسالة قد أحس بجدية الموقف، وأن من يخاطبه لا يروم إلى مثل ذلك التعقيد والإبهام الذي درج عليه الكُتَّاب حينئذ.

وتشبه رسالة العويلي ما كتبه إسماعيل الجراعي من رسائل إخوانية، فهما في الواقع يتفقان فيما ينتظم رسائلهما من أغراض ومضامين، فقد بعث الجراعي رسالة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يستوضح منه حقيقة دعوته، ويخبره أن الناس في اليمن قد انقسموا في أمره، إذ قال:

«. . . بلغني على ألسن الناس عنك ممن أصدق علمه، ومن لا أصدق. والناس اقتسموا[1] فيكم بين قادح ومادح، فالذي سرَّني عنك الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان، وفي غُرْبة الإسلام، أنك تدعو به، وتقيم أركانه،

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب «انقسموا».

فوالله الذي لا إله غيره، مع ما نحن فيه عند قومنا ما نقدر على ما تقدر عليه من بيان الحق والإعلان بالدعوة.

وأما قول من لا أصدق: إنك تكفِّر بالعموم، ولا تبغي الصالحين، ولا تعمل بكتب المتأخرين، فأنت أخبِرْني واصدقْني بما أنت عليه، وما تدعو الناس إليه؛ ليستقر عندنا خبرك ومحبتك»[1].

وقد نتج عن هذا الاتصال الفكري بعلماء نجد أن نشطت الرسائل في هذا الميدان، حينما كان علماء الدعوة حينذاك يتولون الإجابة على ما يرِدهم من اليمن، فيوضحون حقيقة الدعوة، ويبيِّنون حالها، كما كانوا يكرِّرون دَعوتهم لقبولها، ودفع ما ينافي التوحيد ويشوب العقيدة[2]، ولعل علماء اليمن في ميدان الرسائل الإخوانية قد تفردوا من حيث إقبالهم على مكاتبة علماء نجد والاستفسار منهم، مما لا نجده عند أحد من علماء تهامة في هذه الفترة المتقدمة من عهد الدعوة، وما مردُّ ذلك غير الحال الفكري المناسب الذي كانت تعيشه بلدان اليمن.

ولعل ما يظهر في هذه الرسالة من ملامح البيان الإنشائي: سهولة العبارات والألفاظ، وعدم التقيُّد بالبديع والصنعة اللفظية، إلى جانب الاختصار والتركيز. وما سبب ذلك غير وضوح الفكرة لدى الكاتب وسهولتها، وهذا ما يبرز من سمات الرسائل الإخوانية عند علماء اليمن وكُتَّابها، إذ كانوا في مثل هذه المواقف لا يتقيدون بأساليب الكتابة المعهودة عند كُتَّاب الدواوين.

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٤، ١٠٠، وانظر كذلك: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج ١، ص ٢٣٣.

وربما تبيَّن في هذه الرسالة حال العلماء في اليمن، وما يبلغ أسماعهم عن هذه الدعوة من الأخبار المكذوبة والأباطيل المزعومة، إلى جانب الشُّبَه التي اتُّهم فيها أصحاب هذه الدعوة الإصلاحية ظلما وبهتانا، مما دعا هذا العالمَ إلى دفع تلك الخلافات، والبحث عن الحقيقة التي يودُّ معرفتها عن طريق مكاتبة صاحب هذه الدعوة نفسه، وما هذا الاتصال الفكري في مجال الرسائل غير أثر من آثار الدعوة نفسها في ميدان النثر الأدبي بعامة، والرسائل الإخوانية بخاصة[1].

وإذا كان هذا حال علماء اليمن في مجال الرسائل الإخوانية، فإن علماء رجال ألمع يُعدُّون أوفر نتاجا وأكثر شمولا لنشاط الدعوة في جهاتهم، ولكنهم أقرب عهدا من علماء اليمن بهذه الرسائل الإخوانية، وبخاصة مع علماء نجد وربما كان السبب في ذلك أن ظهور الدعوة في عسير ورجال ألمع قد نشأ متأخرا عنه في اليمن، ثم إن الدعاة في عسير هم في الغالب من الأمراء؛ ولذلك نشأ الاتصال بالدرعية عن طريقهم، وقد ظهر أثرهم واضحا في رسائلهم الديوانية التي كانوا يبعثونها إلى نجد، ويدل عليها الردود التي كانت تصل إليهم من أمراء الدعوة وعلمائها في الدرعية[2]، ولعل ما يفسِّر سبق علماء اليمن كذلك في المكاتبات الإخوانية أنهم كانوا أسبق ميلا إليها من أئمة اليمن أنفسهم، وذلك يخالف حال العسيريين، وهذا أمر طبعي من المفروض أن ينشأ؛ لأن الاختلاف كبير بين حال عسير وحال اليمن في مجال الوضع الثقافي والمذهبي والاجتماعي وغير ذلك.

---

(١) ربما يعود هذا النشاط الأدبي في ميدان الرسائل الإخوانية إلى ضعف التيارات السياسية المذهبية في ميدان الدعوة عندئذ باليمن، إذ لم تظهر تلك التيارات بتلك الأنحاء - فيما يبدو - إلا في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

وعلى أية حال فإن علماء رجال ألمع قد أثْرَوا واقع الحركة الأدبية في جهاتهم بما أحيوه من المكاتبات الإخوانية المستمرة مع علماء اليمن وأئمتها، ومع أشراف تهامة وعلمائها، إلى جانب نشاطهم الواسع مع الأمراء والعلماء في نجد وعسير. وكان الغالب على رسائلهم هذه الاقتصارُ على شؤون الدعوة أو أخبارها، ومدى انتشارها في جنوبي الجزيرة العربية، إذ قال محمد بن أحمد الحفظي في شأنها: «بل الدعوة إليها شأننا، وبيان وجوبها حالنا»[1].

أما اتصال علماء آل الحفظي بنجد في هذه المرحلة، فقد نشأ - فيمايبدو - منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين أخذ العلماء الأوائل من آل بكري برجال ألمع يكاتبون الأئمة من آل سعود[2]. ولعل من أبرز أولئك العلماء: أحمد بن عبد القادر الحفظي، ومحمد بن أحمد الحفظي، ومحمد بن عبد الهادي بن بكري. فأما أحمد بن عبد القادر، فقد ذكر له مصنف كتب إبراهيم الزمزمي رسالة إلى سعود بن عبد العزيز[3]. وأما محمد ابن عبد الهادي فيدل على اتصاله الفكري بنجد ما يصله من الرسائل المستمرة من قِبل الأمراء والعلماء في نجد[4]. وأما محمد بن أحمد الحفظي، فقد كاتب الإمَام سعود بن عبد العزيز، وابنه عبد الله بن سعود[5]. وكان يقول - مثلاً - في معرض رسائله الإخوانية إلى الإمام سعود بن عبد العزيز: «. . . سبق إليكم كتب صحبة الإخوان: رشيد ومسفر بالامتثال لأمركم في يسرنا وعسرنا،

---

(١) من رسالة خطية بعث بها محمد بن أحمد الحفظي نفسه إلى الإمام سعود بن عبد العزيز.

(٢) انظر: ص٣٠٥ من هذا البحث.

(٣) بيان كتب آل الحفظي الموقوفة.

(٤) توجد رسالة مخطوطة من عبد الله بن سعود إلى محمد بن عبد الهادي بمكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة، برجال ألمع.

(٥) انظر: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، للباحث، ص ١٣٦، ١٣٧.

والتزام طاعتكم في سرنا وجهرنا »[1]. ويؤكد هذا قول مصنف كتب علماء آل الحفظي برجال ألمع، إذ قال: « ثم رسالة الوالد محمد إلى سعود»[2]. وكان الغالب على رسائل علماء رجال ألمع في هذه المرحلة أنها تتصف بملامح الهدوء النفسي والصدق الذاتي، إذ لم يظهر فيها شيء مما اعتاده أمثالهم من علماء هذه الأنحاء في ميدان براعة الأسلوب والتلاعب اللفظي؛ وذلك لأن الغالب على أولئك العلماء أنهم لم يكونوا في الواقع منصرفين للأدب.

ومن رسائل علماء آل الحفظي الإخوانية رسالة بعث بها محمد بن أحمد الحفظي إلى الإمام سعود بن عبد العزيز يذكر له فيها نشاط الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، وبأنه آخذ في نشر تعاليمها، ويشكو له سوء مقامه في عسير بعيدا عن أهله ووطنه، إذ قال:

« . . . صدرت للتحية والعهاد، وتأكيد صافي الوداد، وللسؤال عن أحوالكم المرعية، وسيرتكم الشرعية، ونحن نحمد الله إليكم، ونشكره لديكم، الأحوال جميلة، وآلاء الله علينا جزيلة، وفي نعمة القرآن والإسلام ما تعجز عن تسطير شكره الأقلام ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**...﴾[3].

وقد نزلت بأهلي عند الأمير عبد الوهاب أول هلال ظفر[4] الخير ﴿**رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾[5]، وبعد الإذعان باللسان والأركان،

---

(١) من رسالة خطية توجد لدى الباحث.

(٢) يوجد هذا البيان المخطوط لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها. وقد أراد كاتب هذا البيان محمد بن أحمد الحفظي نفسه، والإمام سعود بن عبد العزيز.

(٣) الآية ٥٨ من سورة يونس.

(٤) يعني شهر صفر.

(٥) من الآية ٢٩ من سورة المؤمنون.

أرجو[1] من الله اللطف في القضا، والسلامة من القضا، وقد خلفت أبي شيخا كبيرا، وأولادي صغيرا وكبيرا، مع ضعف الحال عن السكنى في تلك المحال، لعظم ضررها على الخلال. وهذا أمر يشق علينا جدا، فارفق بنا جزاك الله خيرا، ومثلك لا يحسن لديه التطويل لمعرفتك بما دلت عليه السنة، وندب إليه التنزيل، فارحم يرحمك الله، واغفر يغفر الله لك، وجوابك مطلوب عجِّل به جزاك الله خيرا، وسابقْ إلى الخيرات بجمع الشتات... وسلِّم على أولادكم الفضلاء وآل الشيخ النبلاء، ولا زلتم في حفظ الله وحمايته ورعايته...»[2].

وتشبه هذه الرسالة رسالة الكاتب نفسه التي بعثها إلى عبد الله بن سعود[3]. وذلك من حيث إنهما تعالجان موضوعا واحد، وربما كان الفارق بينهما مراعاة المقام بين الإمام سعود وابنه عبد الله، ومع ذلك فالصدق النفسي واضح في الرسالة السابقة، حيث أوضح الحفظي حالته النفسية ورغبته في العودة إلى وطنه وأهله؛ وذلك لعدم توافق المناخ البيئي بين رجال ألمع في تهامة، وطبب في عسير، وذلك ما يجري في محيط الحياة الاجتماعية بتلك الأنحاء.

كذلك دلت هذه الرسالة على مدى إفادة أمراء عسير من علماء رجال ألمع في تنظيم أحوال إمارتهم، إذ إنهم كثيرا ما يلازمونهم من أجل الفصل في القضايا الشرعية والفائدة العلمية، وفي شؤون التعليم والإرشاد. وذلك ما

(١) في الأصل «أرجوا». وهو خطأ إملائي.

(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

(٣) تتميز هذه الرسالة بالإلحاح الشديد والرغبة الأكيدة في العودة إلى رجال ألمع، فقد أظهر ألمه بوضوح، وأبان عن مشاعره وحنينه إلى مسقط رأسه.

حدث في تلك الفترة، بسبب ما أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المواءمة بين البيئة السياسية في عسير والبيئة العلمية في رجال ألمع، إذ أصبح أثر هذا الاتفاق واضحا في مجال نشر الدعوة، وإذكاء روح الأدب التقليدي فيما وجد من أنواعه المختلفة، ومنها الرسائل الإخوانية التي لم تكن لتنشط لولا أن هيأ الله لها هذه الدعوة الإصلاحية.

ولعل ما يظهر في هذه الرسالة أنها رغم تقيُّدها بالبديع، وبخاصة في ديباجتها قد كان أسلوبها سهلا لا تعقيد فيه ولا تكلف، إذ هو سلس العبارات، ينقل الأفكار بيسر، وذلك شأن رسائل العلماء في رجال ألمع الذين يراعون المقام عند الكتابة، ويحاولون احتذاء أساليب العلماء المعروفة حينذاك، وربما يتحقق هذا القول في رسائل محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي، ورسائل بعض علماء آل بكري برجال ألمع، من أمثال: محمد بن عبد الهادي ابن بكري، وإسماعيل الحفظي[1]، ومع ذلك فمن سمات هذا النمط من الرسائل حُسن الاقتباس من القرآن الكريم، والإشارات الموحية للمعاني الدينية والاجتماعية المختلفة.

وحين كان الشيخ محمد بن أحمد الحفظي يحتذي منهج معاصريه في رسائلهم المتكلفة، فإن أسلوبه يأتي مضطربا غير متناسق في ألفاظه وعباراته؛ وذلك لأنه لم يكن مهيأ لمثل تلك الصنعة اللفظية التي تستلزم البراعة الأسلوبية في تكوين الجمل والعبارات. ومن أمثلة هذا النهج رسالة محمد بن أحمد الحفظي نفسه التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، والشيخ عبدالله ابن محمد بن عبد الوهاب رداً على رسالتهما التي سبق أن بعثا بها إليه، حيال نشاطه في نشر الدعوة بتلك الأنحاء، ومما قاله فيها:

---

(١) انظر: الظل الممدود، ونفح العود للحفظي.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الشيخ محمد بن أحمد الحفظي إلى

الإمام عبدالله بن سعود

« . . . وصل كتابكما الكريم الحاوي للدر المنثور، والعقد النظيم[1]، فسرّحت في رياضة النَّاظر ، وشرحت به صدرا، وتنهدت لبلاغته معنى، « إن من البيان لَسحرا . . . »[2]، فشربنا من مناهل عيونه، وقطفنا من زهر ثمار فنونه، وجنيناَ من جواهر مكنونه، فوجدنا روضه « جوهري[3] »، وحوضه « كوثري[4] »، وقمتُ له إجلالا وإعظاما . . .

وما ذكرتما[5] من شأن البلاد وأهلها، وطلب الأخبار دقيقها وجليلها، وتعريف أمر القبائل، فلله الحمد البلاد بسعادتكم ساكنة، ومستقيمون على الوفا بالعهود، مقيمون على استمرار التوبة[6] بلا جحود، وإقامة الحق على كل جبار عنيد، ونحن[7] نتفقد الأحكام الشرعية، وطلب استمرار القبائل على الأعمال الصالحة المرضية، فلَعَمْري إنها الضالة المنشودة، والبغية المقصودة. ولقد سرَّ ذلك النفس، وشرح الصدر مرقومكم إلينا، ومواصلتكم ومكاتبتكم؛ لأنها المشاهدة. . . »[8].

ويتضح من هذه الرسالة الجهد الإنشائي الذي بذله الحفظي في إخراج رسالته هذه، إذ يلاحظ أنه حاول مجاراة معاصريه الأدباء، من حيث التكلف البديعي، والصنعة اللفظية، ولكن الحفظي لم يعهد هذا من قبل، ولم يكن يبلغ منزلة أولئك الأدباء المعهودين، إذ لم يكن منصرفا للأدب وأساليبه، وإنما وضحت جهوده في العلوم الشرعية ونحوها، وما دعاه إلى هذا الأسلوب غير

(١) كذا في الأصل، ولعلها « المنظوم ».
(٢) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول، ١١/ ٧٣٣، ٧٤٤.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) كذا في الأصل
(٥) في الأصل «ذكرتم».
(٦) كذا في الأصل.
(٧) في الأصل «وحنا».
(٨) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٥، ١٦.

محاولة التعبير عما يكنه نحو الدعاة السلفيين في نجد، إذ يبدو من خلال رسالته هذه اغتباطه بتلك الرسالة التي أرسلت إليه، فأراد التعبير عن تلك الغِبْطَة بهذا الأسلوب المتكلف.

ومهما يكن فإن هذا الإنشاء البياني يُعَدّ أثرا من آثار هذه الدعوة السلفية في أدب جنوبي الجزيرة العربية، إذ دفعت الكُتَّاب والعلماء عندئذ بهذه الأنحاء إلى الاتصال بالعلماء خارج محيطهم المحدود، فأصبحوا يتبادلون الرسائل والآراء مع علماء نجد واليمن وغيرهم، كما يسَّرت هذه الصحوة الفكرية سبل الاتصال العلمي والثقافي بين بلدان جنوبي الجزيرة العربية، ولعل ما يعكس تلك الصحوة في مجال الأدب بخاصة المستوى الأدبي الذي أصبحت عليه آثار أولئك العلماء الأدبية.

هذا إلى جانب ما دلت عليه هذه الرسالة من أخبار انتشار الدعوة في هذه الأنحاء، وما يضطلع به العلماء من آل الحفظي في سبيل نشرها والدعوة إليها، وذلك فيما ظهر في هذا الاقتباس المحدود من هذه الرسالة المطوَّلة، إذ إن محمد الحفظي قد أطال في رسالته هذه، وبخاصة إذا ما قورنت مقدمتها الطويلة المسجوعة بما أتى بعدها من التفصيل المُسْهَب، وذلك كله أتاح للكاتب فرصة التلاعب بالألفاظ دون التقيُّد بالمدلول المناسب الذي لو وجد لاستغنى الكتاب عن كثير من العبارات.

أما المكاتبات الإخوانية التي جرت بين علماء رجال ألمع وأمراء عسير، وغيرهم من أئمة اليمن وعلمائها، وأشراف تهامة وعلمائها، فإنها تكاد تكون متشابهة من حيث الأسلوب البياني، والمضمون الفكري، وربما اختلفت تلك المكاتبات في هذه المرحلة في طريقة معالجة القضايا التي تعرضها هذه الرسائل،

ففي الوقت الذي كان فيه أولئك العلماء يشيدون بجهود أمراء عسير، ويثنون عليهم[1]، كانوا يدعون أئمة اليمن وأشراف تهامة إلى قبول الدعوة، والعمل على نصرتها، فقد أشارت المصادر إلى وفرة تلك الرسائل التي كان يوجهها علماء آل الحفظي إلى اليمن وتهامة، إذ ذكر محمد بن إبراهيم الحفظي أن محمد بن أحمد الحفظي قد كاتب إمام اليمن المنصور عليا من أجل قبول الدعوة، وبأنه أردف - كما قال - مع رسالته قصيدة حثَّه فيها على المسارعة لنصرة هذه الدعوة وتأييدها[2]. إلى جانب مكاتبة هذا العالم نفسه لأشراف المخلاف السليماني وعلمائه[3].

وقد أثمرت تلك الجهود، وأصبحت تلك الأنحاء تشعر بفعالية هذه الدعوة، وانتعش الأدب بسببها، إذ كَثُرَ في ميدانه النتاج الأدبي، وبخاصة الرسائل الإخوانية وما إليها. ولعلّ ما يدل على هذه اليقظة في ميدان الرسائل الإخوانية الرسائل التي كان يبعثها أولئك العلماء لأمراء عسير. ومنها رسالة محمد بن عبد الهادي بن بكري التي بعثها إلى الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي، يذكر له فيها غِبْطَتَه بالنصر الذي أحرزه هذا الأمير، ويحذره العجب والتقصير في شكر الله والثناء له، إذ قال:

«. . . بلغنا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمدكم بالظَّفَر والنصر، وأتتنا[4] البشائر التي اهتزت[5] منها أعطاف كل موحد، وأرغمت أنوف كل ملحد،

---

(١) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٢ - ١٤.

(٢) نفحات من عسير، ص ٥٦. وانظر كذلك: ديوان الروض المرضي في شعر آل الحفظي، ورقة ٢١٧، ٢١٨.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٩.

(٤) في الأصل «وأتانا».

(٥) في الأصل «اهتز».

وشهدت بالحسن سيرتكم، وصفاء سريرتكم، وبصدق نيتكم، فسجدنا لله شكرا، وحمدنا الله جل جلاله على ما أعطاكم سرا وجهرا، وعرفنا مصداق [قول] النبي ﷺ «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمتي عَلَى الحقِّ ظَاهِرين لا يضرُّهم مَنْ خذلهم..»(1).

وهذه نعمة جليلة ومنحة جزيلة يجب علينا شكرها، والتنويه بذكرها، وتعطير المجالس بنشرها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(2)، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾(3).

فإن لله علينا نعما يعجز الإنسان يحصرها
لم تزل بفضله دائرة لاحقة أولها آخرها

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تعم البركات..، ألا وإن الله خصَّ بها عسير. إن الله أخرج العدو إلى أرض الخلاء ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾(4)، هذا مما يسَّره الله، وأعظم نعمه من هذه الغزوة، فيبلغ خبرها إلى أقصى بلاد المغرب إلى عرب السودان... لكنها تحتاج إلى شكر عظيم، وأن يعرف العبد أن هذه نعمة جليلة، وأن الذي أيدكم بالنصر والمعونة والتسديد، وتيسير الأمور اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ عالم بما في الصدور..»(5).

وقد أشبه هذه الرسالة رسالة أخرى بعث بها إسماعيل الحفظي إلى هذا الأمير نفسه، وذلك من حيث اتفاقهما في المضمون، وتشابهما في الأسلوب،

(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ثوبان، وهو في البخاري من طرق أخرى، صحيح الجامع، ٦/١٤٦.
(2) من الآية ٢١ من سورة الحديد.
(3) من الآية ١٨من سورة النحل.
(4) من الآية ٤٢ سورة الأنفال.
(5) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٣.

ولا غرو في ذلك؛ فعلماء رجال ألمع يكادون يتفقون فيما يحرِّرون من الرسائل، فالمعين الذي ينهلون منه واحد، والثقافة التي يصدرون عنها تكاد تكون واحدة؛ ولهذا فقد تشابهت الرسالتان إلى حد كبير.

ومهما يكن فإن هذا الأسلوب الذي عرض به محمد بن عبد الهادي مضمون رسالته يتسم بالوضوح والصراحة، وأن التركيز على ملامح النصر ليشير إلى الأثر السلفي الذي يتصف به علماء رجال ألمع، فقد كانوا يسلكون سبيل علماء الدعوة في نجد من حيث الوضوح في القول، والجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبعد عن المداهنة والمحاباة. إلى جانب الميل المستمر إلى الدليل في القول والتثبت بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر. وربما أضعف هذا النوع من الرسائل الإخونية لدى هؤلاء العلماء أنهم كانوا لا يحافظون على النسق اللغوي المناسب، مما أوقعهم في كثير من الأخطاء النحوية والإملائية، وجعلهم - في الغالب - لا يحسنون استخدام الدلالات اللغوية المناسبة.

ويبدو أن أثر الدعوة السلفية في الأهلين في تهامة وعسير قد تجلَّى من خلال إقبالهم على تعاليمها ونصرتها، وأن الأحداث التي كانت تغشى بلادهم بسبب أعدائها - وبخاصة الترك والمصريون في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري - قد جعلت العلماء يبثون في رسائلهم الإخوانية آلامهم، وما مسَّهم من ضيق الحروب والفتن، إذ أخذوا يتبادلون الرسائل، ويتواصون بالمحافظة على وشائج الدين، فقد غدا هذا اللون الأدبي سبيلاً للترويح عن النفوس، ونهجًا يخفِّفون به كدر الأنفس وآلامها، ولعل ما يصوِّر هذا الحال رسالة بعث بها الشريف يحيى بن درع، والشريف محمد بن يحيى إلى الشيخ محمد بن أحمد الحفظي ونفر من علماء آل الحفظي؛ يشكوان لهم فيها حالهما

وقد أوذيا بسبب الفتن في بلادهما، ويدعوان أولئك العلماء إلى نصرة الدين والتمسك به، ومما قالا في رسالتهما:

«. . . صُدُور الخط من عند آل عاصمي، ونحن منتقلون[1] من بلادنا إليهم يوم كَثُرَتْ هذه الفتن في بلادنا، ولا والله قَعَدتُ[2] في بلادنا شهرا كاملا[3]؛ إلا وأنا أخرج ويبقى عيالي بعدي فَشَقَّ عليَّ[4] طوال هذه المدة في ديني ودنياي. . .

ولكن نبشِّركم بخصلتين: الأولى[5] -وهي العمدة - كلام الصادق جلَّ وعلا؛ قوله تعالى في حفظ[6] هذا الدين، ولا له شريك فيه، ولا في ملكه، وهو المتصرف في خلقه، فهذا الدين أرسل له رسله وأنزل به كتبه. وقد تكفل الله بحفظه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[7]، ووعد المؤمنين النصر وجعله حقا على نفسه، فقال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[8]، وفي الصحيح عن الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، قال: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي عَلَى الحَقِّ ظَاهرين لا يضرهم مَنْ خذلهم. . .»[9]، ولا والله نعلَم أنَ به طائفة في الأرض تَدعي[10] إلى التوحيد إلا هذه الطائفة،

(١) في الأصل «وحنا منتقلين». وفي صدر هذه الرسالة «. . . ثم تنتهي الأحرف من الأشراف يحيى ابن درع، ومحمد بن يحيى. . .».

(٢) في الأصل «قعت».

(٣) في الأصل «شهر كامل».

(٤) في الأصل «عليه».

(٥) في الأصل «لوله».

(٦) في الأصل «حفض».

(٧) الآية من ٩ سورة الحجر.

(٨) من الآية ٤٧ من سورة الروم.

(٩) انظر: ص٣١٢ من هذا البحث.

(١٠) كذا في الأصل، ولعلها «تدعو».

وهذا من فضل الله علينا جميعا[1] بالثبات على الإسلام. . . »[2].

ورغم الضعف الأسلوبي الذي عمَّ هذه الرسالة ـ وبخاصة في جانب اللغة ـ إلا أن صدق العاطفة قد جلَّلَ هذه الرسالة بجدية الموقف، وساعد على تصوير الحالة النفسية التي يعيشها الكاتب. وذلك ما يدل على حال أولئك العلماء الذين أقضَّت مضجعهم الفتن والقلاقل بسبب أعداء الدعوة، وما يكيدون به أنصارها والقائمين عليها، كذا ساعد على نقل أفكار الكاتب الذي كانت تُعوزه الأداة اللغوية وفرةُ الاستشهاد من القرآن الكريم والحديث النبوي.

وقد دل على أثر هذه الدعوة السلفية وضوح المنهج السلفي الذي يسلكه العلماء في هذه الأنحاء من الحفاظ على دين الله، وأن ما مكَّنهم من إفراد التوحيد الخالص لله دون شوائب الشرك التي كانت قد انتشرت حينذاك ليدل على حقيقة الأثر السلفي لدى أولئك العلماء، وأن الحال الذي يعيشونه ليشير إلى ما يلاقيه دعاتها، والقائمون عليها في تلك الأنحاء، كذا تدل هذه الرسالة على صدق المشاعر الذاتية بين العلماء في مثل هذه الظروف القاسية.

وبمثلما أثَّرت هذه الدعوة الإصلاحية في الرسائل الإخوانية التي كانت ينشئها العلماء برجال ألمع وغيرهم من علماء هذه الأنحاء، أثَّرت كذلك بقدَر في الكتابة الفنية في هذا النوع من الرسائل لدى العلماء بالمخلاف السليماني، ولكن ذلك الأثر لم يكن بذلك الوضوح الذي وُجد لدى العلماء البكريين برجال ألمع الذين كانوا أقرب إلى العلماء التصاقا بهذه الدعوة وأخبارها.

---

(١) في الأصل «جميع».

(٢) رسالة مخطوطة توجد لدى الباحث.

وعلى أية حال فإن من الرسائل الإخوانية التي وُجدت من آثار هذه الدعوة السلفية بالمخلاف السليماني رسالةً بعث بها الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، يخبره فيها بحال تهامة في تلك الفترة، ويشير إلى صلاح هذه الدعوة، ويستوصي بالوفد[1] الذي قرر إرساله الشريف حمود بن محمد الحسني إلى الدرعية عام ١٢٢٠هـ. ومن تلك الرسالة قوله:

«... أحوال البلاد صالحة إن شاء الله. وقد حصل فيها من الجدب، وحصل الفرج بعد الشدة، كما جرت عادة الله [*] في خلقه، وإذا صلحت أمور الدين فذاك غاية مقصد الموفَّقين من أهل الإيمان واليقين، وإلا أمَّا الدنيا فعليها العفا، وليست لخلاصة الموحدين بدار صفا، وفق الله الجميع لما يرضيه، آمين اللهم آمين، وأعِنْ هذا القائم[2] لدينك، وتولَّه بتوفيقك وتسديدك، واهدنا جميعا الطريقَ الموصلة رضاك، الذائدة عن تعدي حدودك، اللهم وأتمَّ لعباد ك هذا النور الطالع[3]، وأثلِجْ صدورهم بصلاح هذا الأمر الذي هو للخير جامع.

صدرت بيد الشريف العلامة حسن بن خالد الحازمي، ومن في صحبته من الأشراف أصحبهم الله السلامة والكرامة، وبلَّغهم الأمل من صالح العمل، وهم ممن عرفتهم يستحقون الرعاية والإجلال، فأنزلهم منازلهم على حال

---

(١) ترأس هذا الوفد الوزير الحسن بن خالد الحازمي، والشريف أحمد بن حمود الحسني.

(*) الصواب أن يقال: كما جرت سنة الله في خلقه.

(٢) يعني الإمام سعود بن عبد العزيز.

(٣) يشير إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

يكون الكل منهم طامعا - إن شاء الله - في شفقتكم ورحمتكم وحنوكم عليهم، وكذلك إيناسهم وبسط الوجه، فاستوصوا بهم - إن شاء الله - خيرا وأُنسا.

كذلك الشريف حمود مستقيم بقدر الاستطاعة، ولا يقوم غيره مقامه في هذه البلاد، ولو سافر إليكم لظهر في الأرض الفساد، ولتمادى في الضلال أهل العناد، وياسُبْحَانَ الله لو تحققتم الحال الذي هو فيه لأوجبتم عليه ترك السفر لو أراد، فإن جلوسه في البلاد متحتم لا يسوغ معه الخروج إليكم، فإن الأمور المرجحة بجلوسه عن الوفود إليكم لا يتسع لإيرادها المقام، منها: مطرح... الطَّغَام، لو سافر إليكم لهتكوا حرم أهل الإسلام، ولا يردهم عن ذلك راد، إلا الله سبحانه، ثم هيبة الشريف حمود؛ لما يعلمون فيه من شدة الإقدام...»[1].

وتأتي هذه الرسالة واضحة الأهمية من حيث ما اشتملت عليه من الأمور الكثيرة التي كانت تجري في محيط الحياة السياسية والاجتماعية بالمخلاف السليماني. فقد صوَّر الكاتب حال البلاد في تهامة، فذكر خبر الوفد الذي وفد من قبل الشريف حمود إلى الدرعية، كما بين السبب الذي من أجله بقي الشريف حمود في إمارته دون مقابلة الإمام سعود بن عبد العزيز، إلى جانب خطورة بعض قبائل المنطقة، وكل ذلك هيأ سبلا واضحة يدل عليها أثر هذه الدعوة السلفية في المخلاف السليماني، إذ أصبح الناس في واقع جديد مختلف.

ورغم ذلك تبدو في ثنايا هذه الرسالة المُحاباة في القول، وروح المهادنة،

---

(١) توجد هذه الرسالة لدى علي محمد أبو زيد، ضمد، المخلاف السليماني. وقد اشتملت هذه الرسالة على قضايا متفرقة لا تقل أهمية عن سواها، إلى جانب اتسامها بالإسهاب، وحسن التخلص في خاتمتها، كما أنها لم تخل من التكلف في ديباجتها، انظر: ص ٤٠٣.

مما جعلها - فيما يبدو - تصدر بإيعاز من الشريف حمود نفسه، إذ يغلب عليها التكلف في المعنى والمضمون، إلى جانب تصوير الحال الاجتماعي والسياسي، وما يدعو إليه الضمدي من العناية بالوفد الذي عزم على الرحلة إلى الدرعية.

ويأتي أسلوب الرسالة ميَّالا إلى ما درج عليه الكتاب في العصور الأدبية الضعيفة من التكلف البديعي، والصنعة اللفظية، ولكنه رغم ذلك يظل حيا في عرض الأفكار وتنسيقها، ولعل ذلك قد نشأ من أجل جدية الموقف وأهمية الأخبار التي اشتملت عليها الرسالة، مما يجعل القارئ المهتم بشؤون هذه الدعوة، وتلك الأجزاء من جزيرة العرب يتابع المعاني بعناية لما فيها من التحقيق، إذ ربما لا يتوفر مثلها في المصادرالتاريخية الأولى لهذه الفترة. وذلك ما خفَّف آثار التكلف البديعي في الرسالة.

وإذا كان قد بقي أثر هذه الدعوة السلفية واضحا في مجال الرسائل الديوانية بعد سقوط الدرعية عام١٢٣٣هـ، فإن الرسائل الإخوانية - فيما يبدو - قد خف وضوح أثر الدعوة فيها حين انصرف العلماء إلى أنشطتهم الخاصة، وبدؤوا يفقدون التشجيع من الفئات السياسية الجديدة، شأن غيرهم في البلدان الأخرى، مما جعل أثر الدعوة ضعيفا، قد لا تمثله الرسائل المحدودة التي وُجدت في هذا المجال، ذلك على الرغم من الاتصال الأدبي بين علماء تهامة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بعلماء نجد وغيرهم، فقد دلت المصادر على أن الحسن بن أحمد عاكش وأحمد بن محمد الضحوي قد عارضا بعض أدباء نجد، وكتبا في ذلك شيئا من الرسائل الأدبية والقصائد الشعرية[1]، ولكن ذلك لا يمكن الاطمئنان إلى الاستشهاد به، إذ إن تلك الرسائل أقرب إلى الرسائل المستقلة منها إلى الإخوانية.

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، مجموعته الشعرية، مخطوطة غيرمرقمة الأوراق.

ويمكن أن تُعَدَّ بداية المرحلة الثانية لظهور أثر هذه الدعوة السلفية في ميدان الرسائل الإخوانية منذ انضمت تهامة وعسير إلى بقية أجزاء البلاد السعودية. وذلك حينما بدأ العلماء في تلك الأنحاء يشعرون بالرغبة في الاتصال العلمي والأدبي عن طريق هذه الرسائل، فقد حفل مختصر اللامع اليماني لعبد الله بن علي العمودي[١] بشيء من تلك الرسائل، كما وُجدت بعض الوثائق التي تدل علي تلك الرسائل التي كتبت من قبل بعض شيوخ القبائل إلى أولي الأمر في نجد[٢]، كما وُجد شيء من الرسائل التي كتبها نفر من الأمراء الذين فضَّلوا الإقامة في نجد، حينما كانوا يبعثون بالرسائل إلى ذويهم وأهليهم في عسير وغيرها، وذلك ما يجعل هذا العهد بداية لتوافر هذا النوع الأدبي التقليدي في ظل الدعوة السلفية.

والحق أن ما وُجد من هذه الرسائل بين أيدينا الآن لا يكاد يمثل حقيقة الرسائل الإخوانية، وإنما هو أقرب إلى الرسائل الأدبية، ولكن للتقارب بين الرسائل الإخوانية والأدبية أطلق عليه - تجاوزا - الرسائل الإخوانية؛ وذلك لأنها لم تصدر من دواوين الإمارات عندئذ، ولم تكن كذلك تصدر من لدن مسؤولين فيها، وإنما هي قضايا يبثها العلماء فيما يحررونه من رسائل إلى أولي الأمر في نجد[٣]، ومن أمثلتها رسالة بعث بها أحد علماء تهامة إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، يشكره فيها «على ما بعثه من النهضة»[٤] بتلك الأنحاء، وما أزاله من «المظالم التي عمت الأهالي بسبب الاستبداد»[٥] الذي

(١) يوجد هذا المخطوط لدى إبرهيم بن عبد الله العمودي.

(٢) الوثيقة رقم (٢٣٥)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(٣) انظر - على سبيل المثال - مجاميع عبد الله بن علي العمودي المخطوطة.

(٤) من مجاميع عبد الله العمودي المخطوطة، أوراقه غير مرقمة.

(٥) المصدر نفسه.

كان قد أصابها من قبل، ومنها قول كاتبها :

«. . . أمَّا بعد فسلام الله الأتم ورضوانه الأعم، نخص به حضرة مقام الخلافة الإسلامية الإيمانية، والملَّة السمحة الحنيفية، جلالة مليكنا وولي نعمتنا المعظم والدستور الأفخم إمامنا عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، لا برحت رايات[1] أعلامه تخفق على مفرق الإسلام، منصور على مَمَرِّ الليالي والأيام والأعوام. وإنَّا لكم - سيدي - داعون وشاكرون، فيما أبديتموه من العواطف والمراحم والتفضل والالتفات علينا[2] . . . ، وخاصة ببعث المندوبين الكرام، والهيئة الكاشفة العظام، على ما نالنا من الخسف والظلم والاستبداد من أمراء المقاطعة، وعدم السيرة الحسنة التي تطلبها طبيعة الاجتماع الطبيعي . . . ، وبحمد الله - سيدي - قد أزلتم المحظور، فجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، ونحن - يا سيدي - معترفون بالعجز عن أداء الشكر لكم في أقل واجب مما أسديتموه إلينا من النعم، فعسى الله أن يسلك بالأمراء مسلككم وحسن سيرتكم، فنحن مقصرون في جنابكم، فعاملونا بالعفو والتجاوز . . . »[3].

ورغم وضوح المحافظة على تقاليد الكتابة المعروفة في هذه الرسالة ، إلا أنها قد اتسمت بشيء من ملامح التجديد، وذلك حين اتصف مضمونها بالوضوح وأسلوبها بالتطور، إذ ربما أحسَّ الكاتب في هذه الفترة الأخيرة بضرورة التخلص من الأساليب المتكلفة المعهودة، على الرغم من استخدام

(١) في الأصل «راياة».

(٢) كذا في الأصل، ولم تسلم هذه الرسالة من الضعف في الحس اللغوي. رغم وجود شيء من ملامح التجديد في أسلوبها.

(٣) المصدر نفسه.

بعض الألفاظ المنتشرة في تلك الأنحاء، وما ظهر منها في العهد التركي الأخير.

ولعل تصوير كاتب هذه الرسالة لحالة تهامة قبل انضمامها إلى بقية البلاد السعودية، يدل على أثر هذه الدعوة السلفية التي بسط مبادئها الملك عبد العزيز في أنحاء البلاد عندئذ، واتخذ من منهجها سبيلا لتثبيت الأمن، ورفع المظالم ودفعها، والأخذ على يد من يعيث في الأرض، ويفسد فيها، والعمل على نشر لواء الحسبة، وإقامة شعائر الدين.



الفصل الثاني

أثرها في الخطابة والوصايا والمناظرات

توطئة:

يبرز أثر الدعوة السلفية في ميدان الخُطَب والوصايا والمناظرات بجنوبي الجزيرة العربية واضحا في بعض البيئات العلمية بهذه الأنحاء. وذلك بحكم التأييد للدعوة التي نشأت في تلك البلدان نتيجة للاتصال الفكري بمركز الدعوة الإصلاحية في الدرعية، فقد أخذ الدعاة السلفيون عندئذ ينقلون أفكار الدعوة ومبادئها، من خلال استخدام بعض هذه الأنماط الأدبية، حيث أصبحت الحاجة ماسة لمثل هذه الأنواع التقليدية، وبخاصة حين أضحى الواقع الأدبي بتلك الأنحاء يستدعي الإفادة منها، فقد أضحى لهذه الدعوة فريق من المؤيدين، كما أصبح لها فريق آخر من المعارضين. ولذلك فإن السبيل لبسط حجج كلا الفريقين وميوله يحتاج إلى مثل هذه الألوان النثرية المعروفة.

ولعل النشاط الأدبي في ميدان الخطب قد برز منذ كان العلماء والأمراء بتلك البلدان يضطلعون بنشر تعاليم الدعوة، ويدعون الناس إليها، فقد كانوا يعمدون إلى إذكاء الروح السلفية عن طريق الخطابة سواء كان ذلك في المساجد أو المحافل، أو في الأسواق[1]، كما عمدوا إلى هذا اللون الأدبي، حينما كانوا يميلون للجهاد من أجل تحقيق «أهداف الدعوة، إذا عجزت

---

(١) قال عبد الرحمن بن أحمد البهكلي بأنه نشأ خلاف بين الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي وعرار ابن شار الشعبي، وأنه من أجل ذلك «خطب الفقهاء في الأسواق بحفظ عهد عبد الوهاب والصراحة ببغي عرار، وأنه ممن يسعى في الأرض بالفساد». ولم ينشأ هذا الخلاف إلا من أجل الدعوة، وبخاصة إذا أدركت آمال المتحمي ورغبته في نشر مبادئ الدعوة وتعاليمها. كتابه السابق، ص ١٨١.

الرســائل »[1] عن تحقيقها، إذ يرغبون في الجهاد، ويذكونه في روح الجند[2].

ورغم وضـوح العـمل السيـاسي في ذلك النتـاج الأدبي، فـإن الملامح الاجتماعية والدينية تكاد تسيطر بوضوح على تلك النماذج الأدبية. إلى جانب أنها صورت مواقف العلماء بتلك الأنحاء، وبيَّنت مدى وضوح جهودهم في حَضِّ الناس على تأييد هذه الدعوة وقبولها، كذلك ظهر أثر هذه الدعوة في تجديد الخطباء فيما بعد لخُطَبهم التقليدية في المواعظ والجُمَع، إذ لم يركنوا إلى الخطب المكتوبة، وبخاصة في رجال ألمع[3].

كذا تبرز أهمية الوصايا جلية فيما كان يسهم به العلماء في هذا الميدان من نتـاج معلوم. وذلك من خـلال مـا يقـومـون بتـحـريره ونتـاجـه من هـذا اللون النثـري، فقـد أضـحى الحـال الاجـتمـاعي عندئذ مستدعيا لمثل ذلك النتاج، وبخاصة بتلك البيئات التي أقبلت على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ كان القائمون عليها يتتبعون ما يطرأ في مجتمعاتهم من ظواهر تخالف الدين، فيكتبـون من أجلهـا النصـائح الدينيـة المحـذرة من الوقـوع في الآثام، وذلك بأسلوب أدبي مناسب يتخذ الأسلوب العلمي مجالا لبسط الأفكار وتوضيحها في ضوء المنهج السلفي القويم.

وقد كان من نتائج هذه الدعوة السلفية في تلك الأجزاء أن أقبل العلماء على كتابة هذا النوع النثري، فقـد شجعهم على تحريره والكتابة في مجاله ما لحظوه أنفسهم من ميل سلفي لدى مـواطنيهم، حين أضـحت البلاد حينذاك تدرك ما يخالف أوضاعها الدينية، وبخاصة حينما أخذت هذه الدعوة تغشى

(١) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ١٩.

(٢) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٨.

(٣) مثل: خطبة محمد بن حسن الحفظي المخطوطة.

تلك الأنحاء، وتبسط نفوذها السياسي على معظم البلدان في جنوبي الجزيرة العربية، مما جعل الأهلين يحسُّون بهذا الإطار السياسي، ويَقبلون ما يصدر إليهم من النصح والإرشاد، وربما اختلف حال هذا النمط الأدبي بهذه البلدان عما اعتاده مؤرخو الأدب في التفريق بين أنواع الوصايا وأقسامها، وذلك من حيث: الصيغة الأسلوبية، والمضمون الفكري[1]، إذ هي في هذه الأنحاء تميل إلى النصائح الدينية[2]، وتحرص على الصلاح، وتدعو إلى المُثل الرفيعة، والطريق القويم، ناهيك عما ترمي إليه من الاعتدال في السلوك الاجتماعي والانضباط الديني إلى جانب الرضا بالأقدار والصبر عليها.

ولم تكن المناظرات وما ينشأ في محيطها من جدل ونقاش علمي بأقل أهمية من الألوان الأدبية السابقة، وإنما تأتي أهميتها في تصويرها للحال الأدبي الذي كانت عليه تلك الأنحاء، إلى جانب بيانها لمواقف العلماء تجاه هذه الدعوة بأساليب بيانية لا تخلو من الجدل والنقاش، ولعل أخصب فترات هذه المنطقة اشتمالا على هذا اللون الأدبي النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري حيث كانت الحاجة ماسة لبيان حقيقة هذه الدعوة، وما تدعو إليه، بالإضافة إلى القضايا الوافرة التي كانت تُطرح للنقاش والمناظرة.

ويمكن للدارس في هذا المجال أن يستجلي أثر هذه الدعوة السلفية من خلال ما كان ينشأ في هذا المحيط الأدبي من المناظرات[3] والجدل المستمر، فقد أضحى هذا البيان مجالاً تبرز من خلاله الأوضاع الدينية والاجتماعية التي كان

---

(١) محمود رزق سليم، كتابه السابق، مج ٥، ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٣) كان دافع النقاش المذهبي بين العلماء وما يجري في تلك الأنحاء من تيارات دينية يتسبب في إنشاء المناظرات التي تُعَدّ من نتاج الدعوة وأثرها في هذه البلاد.

عليها الناس في مجتمعاتهم خلال تلك الفترة. وذلك يُعَدُّ أثرا من آثار هذه الدعوة السلفية في تلك المنطقة، إذ لم يكن العلماء ولا الأدباء فيها يدركون مثل هذه الأوضاع من قبل، لولا مايسَّر الله لهم من ظهور هذه الدعوة وانتشارها في أوطانهم وبين مواطنيهم.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الأنماط الأدبية التي برزت في بعض بلدان جنوبي الجزيرة العربية تشير إلى اتساع أثر هذه الدعوة في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية، وأن العلماء والأدباء أصبحوا في حاجة إلى بسط أفكارهم من خلالها. وذلك على الرغم من المحافظة على تقاليدها الشكلية الموروثة التي تميل إلى المحسِّنات البديعية المتكلَّفة، إذ يبدو تفاوت مستواها الأدبي بين البيئات العلمية بهذه الأنحاء، ولكنها لا تكاد تعمُّ بوفرتها أغلب بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وإنما تظل محصورة في بعض تلك الأجزاء التي انطلقت منها هذه الدعوة السلفية، وذلك حسب الحاجة إليها، وما يقتضيه الأمر من أجلها، ولعل تهامة وعسير خير من يمثل هذا النشاط الأدبي، وبخاصة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

أولا : في الخطابة

يظهر أثر الدعوة السلفية واضحا في مجال الخطابة بجنوبي الجزيرة العربية منذ بدأ العلماء والأمراء يفيدون من هذا اللون الأدبي في نقل أفكار الدعوة ونشرها، فقد عُدَّت الخطابة عندئذ سبيلا واضحا لبسط أخبار الدعوة والتعريف بها، وحضِّ الناس على قبولها، والجهاد في سبيل تحقيقها، وبخاصة في عسير ورجال ألمع، إذ لم تكن البلدان الأخرى قد مالت إلى هذه الدعوة وناصرتها، كما أنها بعد قبولها إياها حفلت بهذا النوع الأدبي المعهود، ورغم أن الحروب

عندئذ قد خمدت، وأصبح الناس يدركون حقيقة هذه الدعوة وما تدعو إليه.

والحق أن هذه الدعوة الإصلاحية تُعَدُّ من أسباب انتعاش الخطابة في بعض أنحاء تلك البلاد التي لم تكن تحفل بمثل هذا اللون الأدبي من قبل، إذ لم تكن تلك الأجزاء من جزيرة العرب تشهد شيئا من الخلافات المذهبية والصراعات السياسية التي نشأت في ميدان الدعوة السلفية عندئذ. وليس هذا شأن الخطابة فحسب، وإنما هو شأن الألوان الأدبية الأخرى، إذ عُدَّت هذه الدعوة السلفية سببا في إيقاظ هذه الحركة الخامدة التي كانت من قبل لا تشهد غير نشاط محدود في محيطها الأدبي، ناهيك عن أثرها فيما وجد بعد ذلك من يقظة فكرية وأدبية.

وعلى أية حال فإن أمراء الدعوة وبعض علمائها بهذه الأنحاء، قد أفادوا من تطبيق هذا النوع الأدبي في نقل أفكار الدعوة، وبسط الحديث عنها، إلى جانب إذكاء الروح السلفية لدى الجُند المنتظمين في الجيوش العسيرية ذات النشاط الواسع في نشر تعاليم هذه الدعوة وبيان حقيقتها. فقد كان الأمراء والعلماء عندئذ يلقون خُطَبهم في أولئك الأفراد من أجل إيقاظ حماستهم الدينية، مثلما كان يفعل عبد الوهاب بن عامر المتحمي[1]، وعلي بن مجثل[2] وغيرهما. وقد برزت جهود العلماء واضحة في ميدان الخطابة، حينما كانوا يعتمدون عليها في إقناع الناس لقبول هذه الدعوة، وعندما كانوا يُعَبِّرُونَ فيها عن آلامهم النفسية، وهم منفيون خارج أوطانهم من أجلها[3].

أما نشاط الأمراء في ميدان الخطابة فقد نشأ منذ العقد الثاني من القرن

---

(١) انظر - على سبيل المثال - درر نحور العين، للطف الله جحاف، ورقة ٣٢٣.

(٢) حوليات يمنية، لمجهول، ص ٥٥.

(٣) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٢٦.

الثالث عشر الهجري. وذلك حين كان أولئك الأمراء يخرجون إلى البلدان المجاورة في سبيل نشر الدعوة، فقد ذكر لطف الله جحاف أن الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي قد خطب في جنده في إحدى غزواته الحربية بتهامة «خطبة حماسية»[1]، وأضاف جحاف إلى ذلك قوله بأنه «وعدهم بخير إن صبروا»[2]، كما قال في موضع آخر: إن هذا الأمير العسيري كان يجمع الناس، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر[3]، فربما عُدَّ هذا المنهج سبيلا يسلكه الأمراء العسيريون في التأثير في مواطنيهم، والذين يلونهم عن طريق الخطابة، وما ينقلونه لهم فيها، فلعل هذا السبيل من خير الوسائل إذكاءً للروح السلفية في قلوب الجند ومن سواهم.

ولم يكن استخدام الخطابة في إذكاء همم الجند محصورا في حروب أمراء الدعوة مع مجاوريهم، وإنما برز استخدامها في مناهضتهم للترك ومن يرونه دخيلا على بلادهم، فقد تحدث صاحب "حوليات يمنية" عن الأمير علي ابن مجثل المغيدي، فذكر أنه خرج إلى تهامة اليمن في عام ١٢٤٩هـ من أجل قتال الترك وجلائهم عن تلك الأنحاء، حيث باشر قتالهم بعد ما جمع جنده خارج مدينة المُخَا، «وخطبهم خطبة عظيمة، وحرَّضهم على الجهاد»[4]. وكان من نتائج تلك الحماسة الدينية التي أذكتها خطبة هذا الأمير في قلوب الجند أنهم كما قال هذا المؤرخ: «باعوا أنفسهم من الله... حتى إنهم يقعون لأهل السلاح كالدَّرِق وكالمتارس»[5].

---

(١) درر نحور العين، ورقة ٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٣.

(٤) ص ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٥.

وبمثلما كان ابن مجثل يذكي في قلوب جنده روح الجهاد بما يعلنه فيهم من الخطب الحماسية، كان الأمير عايض بن مرعي - المعروف بمواقفه السلفية - يعتاد - كما قال الرحالة موريس تماسيه - إلقاء الخطب في مجلس العشائر بعسير[(١)]، وإن صح هذا القول فلا شك أن الاتجاه السلفي الذي كان عليه هذا الأمير سيكون له أثر في خطبه التي يلقيها، وذلك شأن رسائله الديوانية، وما اعتاده في سياسته المحلية بين القبائل، ولعل شيئا من هذا قد برز في خطب محمد بن علي الإدريسي، منذ أدرك حقيقة هذه الدعوة ومال إليها، فربما كانت مباشرته لإزالة البدع بتهامة تلزمه بسط الحديث عنها فيما كان يلقيه بين مواطنيه من الخطب السياسية والوعظ الديني، فقد وصفت مواقفه في هذا المجال بالحماسة الدينية والشعور السلفي، وبخاصة حينما كان يناهض الترك في تهامة[(٢)] ويقف ضدهم.

ولم يكن نشاط العلماء بهذه الأنحاء في مجال الخطابة بأقل وضوحا مما وُجد لدى الأمراء، وإنما كان لهذه الدعوة السلفية أثر مباشر وغير مباشر على ميول العلماء واتجاهاتهم، فحينما يلاحظ إحساس بعض علماء اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري تجاه التقاليد الموروثة المبتدعة في مجال الخطابة، فإنما يدل على يقظة سلفية بتلك الأنحاء، فقد اعتاد علماء اليمن وخطباؤهم تمجيد الأئمة في آخر خطبهم، مما دعا الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير إلى نقض هذا التقليد والتخلص منه، إذ أثار هذا العمل غضب العامة والمتعصبين[(٣)]، وأوجد في صنعاء صراعا مذهبيا كلاميا جادا، وما ذاك

(١) رحلة في بلاد العرب، ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفة، لم يطبع.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ص ٨٣٠، انظر كذلك رسائله ومنشوراته في هذا الكتاب نفسه.

(٣) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج ٢، ص ٥٠٨.

العمل من لدن هذا العالم غير إحساس سلفي بما طرأ على حال اليمن من صحوة فكرية إصلاحية، فقد حاول في حياته شد الناس إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقطع ربَاق التقليد والابتداع، ولا جرم أن عُدَّ هذا الأمر في مجال الخطابة في اليمن تأَثيرا سلفيا غير مباشر من قبَلِ هذه الدعوة الإصلاحية في نجد، إذ كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتبَاعه يرون تمجيد الحكام في آخر الخطبة من البدع التي أحدثت في الدين[1]، وذلك الحال لم يكن خافيا على عالم مشهور مثل محمد بن إسماعيل الأمير . وقد يقاس هذا الأمر على ما طرأ لدى علماء اليمن من التحرر في هذا المجال الخطابي، وما نشأ من أجله من المعارضة أو التأييد، فذاك أمر قد عرفته بلاد اليمن إبان ظهور الدعوة في تلك الأنحاء[2].

وإذا كان قد افترض مثل ذلك التأثير في علماء اليمن منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، فإنما يدل على ما نشأ من أثر بعد ذلك في اليمن نفسها، ومعظم بلدان تهامة وعسير، فقد يبدو أثر الخطابة في علماء المخلاف السليماني بما يقاس على نشاطهم السلفي الواضح في مجال الأنواع النثرية الأخرى، وبخاصة لدى الحسن بن خالد الحازمي الذي كان من أشد مناوئي الترك وأكثرهم حماسة، وكان يستنهض همم الأهلين لقتالهم فيما كان يكتبه لهم من الرسائل المختلفة، فلا بد عندئذ أن يكون في تلك الفترة قد عمد إلى إلهاب حماسة الجند حين كان يقودهم لحرب الترك أنفسهم في عسير، وذلك عن طريق خُطبه، وبخاصة إذا أدرك قرب الفترة التي قام فيها مناهضا، وتلك الفترة التي قوَّض فيها الترك والمصريون دعائم الدولة السعودية الأولى في نجد،

(١) حسين بن غنام، كتابه السابق، ج١، ١٣٢ .

(٢) وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

بالإضافة للإصلاح السلفي الذي ظهر في المخلاف السليماني حين كان الوزير الحسن بن خالد الحازمي نفسه شديد الاتصال بالدرعية، وكثير الاعتماد على تعاليم الدعوة نفسها. هذا إلى جانب الآثار التي وُجدت في المخلاف السليماني من فتح باب الذكر والإرشاد والخطابة في المساجد ببلدان تهامة[(١)] حينذاك. بالإضافة إلى اتصال الأثر السلفي في هذا الميدان فيما بعد، وبخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، حين وفد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، وأثَّر في هذا الجانب، وبخاصة في تلميذه حافظ بن أحمد الحكمي الذي عُرف له شيء من هذا النتاج الخطابي[(٢)].

أما علماء رجال ألمع فقد كان لمناصرتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثر في نشاطهم الأدبي في ميدان الخطابة، إذ أخذوا عندئذ يدعون إلى قبول هذه الدعوة ونشرها، وذلك فيما يحرِّرونه في سبيلها من خطب متفاوتة سواء كان ذلك في محيطهم الاجتماعي في رجال ألمع، أم خارجه في البلدان المجاورة، وبخاصة في عسير مركز السلطة السياسية عندئذ، إلى جانب المشاركات المختلفة في نشر الوعي الديني في مختلف بلدان عسير وتهامة، فقد وُصف أحمد بن عبد القادر الحفظي - على سبيل المثال - بأنه « لَمَّا بلغته دعوة التجديد التي انبثق نورها من نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة الأئمة آل سعود. . . لبَّاها، واتصل بها، وعمل على نشر أفكارها في منطقته بالحكمة والموعظة الحسنة »[(٣)]. إلى جانب جهود بقية علماء آل الحفظي

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٦٩، ٧٠.

(٢) أحمد حافظ الحكمي، الشيخ حافظ الحكمي، مجلة اليمامة، ع ٢٤٣، س ٦، الجمعة ٤ صفر ١٣٩٣هـ، ص ٣٠. ويظهر تأثيرالدعوة السلفية من قبل هذا واضحا لدى الشيخ عبد الله بن علي العمودي الذي وُجد له شيء من النتاج الأدبي في هذا الميدان الخطابي، مجاميعه الأدبية المخطوطة لدى ولده إبراهيم العمودي.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٤.

وخطبائهم في هذا الميدان الأدبي، فربما وُجد في محيطهم الأدبي عندئذ شيء من أنواع الخطابة المعهودة، التي تكاد تنحصر بتلك الأنحاء في الخطابة المحفلية والدينية والأدبية.

ومهما يكن من أمر فإن علماء رجال ألمع يُعَدُّون خير من شارك في مجال الخطابة بجنوبي الجزيرة العربية، حيث ظهر في نتاجهم الأدبي عندئذ أثر هذه الدعوة السلفية، ولعل أبرزهم ارتباطا بهذا اللون الأدبي: محمد بن هادي بن بكري العجيلي، وأحمد بن عبد الخالق الحفظي (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ)، وكلاهما حاول استخدام هذا النوع النثري مجالا للتعبير عن مواقفه الذاتية تجاه أوضاع مجتمعه، وما يجري حوله من الفواجع والأحداث، فقد أثار خبر وفاة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م العلماء في تلك الأنحاء، فأراد محمد بن هادي العجيلي أن يعبر عن موقفه إزاء ذلك الأمر الفادح بخُطبة جادة، قال فيها بعد ديباجة تقليدية مسهبة:

«... أما بعد فإن الله - سبحانه - جعل هذه الدار متاعا، ومجازا إلى الآخرة يجاز عليها إلى الساهرة، وأودع فيها الابتلاء والامتحان ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[1] في كل أوان، ثم إن أشرف مخلوقاته على الإطلاق سيد ولد آدم بالاتفاق قد ناله ضروب من الأذى في ذات الله وصبر. وكان ذلك[2] من تحقيق الامتحان الذي هو مدرجة التعب، ومطية الصبر على القدر، ومضمار[3] التكليف، ورأس التأسي وعنوان الإيمان، وتحقيق مقام النبوة الذين هم أشد الناس بلاء وامتحانا[4]، وإنما يبتلي الله الأمثل فالأمثل،

(١) الآية ١٤١ من سورة آل عمران، وفي الأصل «ليمحص».

(٢) في الأصل «ذاك».

(٣) في الأصل «مظمار».

(٤) في الأصل «امتحان».

وأولي الفضائل والإفضال، وبذلك[1] يتباين جواهر الرجال»[2].

وبعد هذه المقدمة الاستهلالية التي مهد بها العجيلي خطبته، وشد السامع إلى ما سيأتي بعدها، قال:

«... أيُّها الناس، إنَّه لَمَّا قُبضَ رسولُ الله ﷺ دهش أصحابه دهشة عظيمة، وركَّت عقولهم، وطاشتَ أحلامُهم، وفدحتهم تلك المصيبة العميقة، وجلّ الخطْب، واضطرب الأمر، وأُفحموا، وعيلَ منهم الصبر، فخطبهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فحمدَ الله، وأثنى[3] عليه، ثُمَّ قال: ألا من كان يَعْبُدُ محمدا فإنَّ محمداً قَدْ مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[4]، وقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[5]، فلما فرغ أبو بكر من خُطبته، قال عمر: أشهد أن الكتاب كما أُنزل، وأن الحديث كما حُدِّث، وأن الله - تعالى - حي لا يموت، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فتابعه على قوله السامعون...»[6].

وقد استمر العجيلي في هذه الخطبة يذكِّر السامع بموت رسول الله ﷺ

---

(١) في الأصل «وبذالك».

(٢) الظل الممدود، ورقة ٢٠، ٢١. تعيد بعض المصادر القليلة هذه الخطبة إلى أحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٤٥ - ١٢٣٣هـ)، رغم أن محمد بن هادي بن بكري العجيلي قد زعم أن هذه الخطبة من نتاجه، وأنه ألقاها في قومه حين بلغه هذا الأمر، ومن تلك المصادر التي نسبت هذه الخطبة للحفظي ما ورد في صدر إحدى نسخها المخطوطة من إشارات متفرقة تعيدها للحفظي نفسه.

(٣) في الأصل «أثنا».

(٤) الآية ٣٠ من سورة الزمر.

(٥) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٦) الخطبة نفسها.

والفاجعة التي حلَّت بالمسلمين من أجله، ثم ذكر من بعد ذلك خبر قتل عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحسن، والحسين وغيرهم من شهداء الإسلام. وكان العجيلي عندئذ يحسن التدرج في القول، ويشدّ السامع إلى ما يذكر من الشواهد والأخبار حتى تخلص إلى غرض خطبته، فقال:

«. . . ألا وإنَّ إمام زماننا، ومحيي موات ديننا، الذي جمع شمل الأمة على كلمة التوحيد[1]، وشيَّد حصْنَ لا إله إلا الله على أرسخ وأرفع تشييد، وجدَّد دين الله بعد اندراسه، وبيَّن حق الله على العبيد، من نَفَى[2] بأسياف عزمه الشرك والطَّواغيت والجحود، الداعي إلى الله عبد العزيز بن محمد بن سعود. . .، وقد قُتل شهيدا، ولقي ربه برّا حميدا، وهو بحال جميل نَشيط، ووجهه طلق باسم بسيط، بعد أن مَلأ بالتوحيد واسع الأرض، وجاهد في الله في الأقطار في الطُّول والعرض، وألَّف بين المسلمين، وبيَّن كلمة التقوى التي فيها الخصومة، ومنها حصلت البلوى. وكان يقوده كتاب الله في السِّرّ والنَّجْوى، وانتعش بأسبابه ما وَهَى من الدين وذَوَى، وأبهج سبل الرشاد بعد أن اندرس وعَفَا، وأشاد معالم الدين، وقد كان على شَفَى. . .»[3].

وقد ظل العجيلي يذكي في خطبته حيوية الشعور، ويعمد إلى التنبيه في مواطن الانتقال بين قضايا الخُطْبة، إذ كان يستخدم الأدوات والأفعال المناسبة للمواقف، ويحسن التعبير عند عرض الموقف الخطابي، ومما قاله في نهاية خطبته:

(١) ما أتى في هذه الخطبة من تركيز على التوحيد، وإخلاص للعقيدة، إنما يدل على تأثر العجيلي بهذه الدعوة السلفية، وأنه قد كان حقا من أبرز مناصريها، والداعين إليها برجال ألمع.

(٢) في الأصل «نفا».

(٣) المصدر نفسه.

«. . . واعلموا عبادَ الله - رحمكم الله - أنه قد أقام بعده من لا يخاف في الله لومة لائم، ولا تأخذه رأفة في دين الله، فهو خير قائم، وبذل نفسه ونفائسه في إعلاء كلمة الإسلام، وجمع سيوف عزمه رؤوس الكفرة الفجرة اللئام، الذي جمع بين العدل والإحسان، ودار مع الحقِّ أينما كان، وزعزع برعبه كل قاص ودان، ولده الذهب الخالص الإبريز، الإمام سعود بن عبدالعزيز، شدَّ اللَّه أزره بتأييده ونصره. . »[1].

وتأتي هذه الخطبة مبينة لموقف صاحبها من هذه الدعوة، وأن ما قام به من عرض مناسب في مضمونها يوافق ميله نحو دعاتها والقائمين عليها، فقد بسط حديثه في تسلسل فكري واضح، وحاول أن يمهد لغرض خطبته الرئيس بما جرى في تاريخ المسلمين على مرِّ عصوره. وذلك دون شك خفف آثار الباعث النفسي تجاه رزء الأهلين في إمامهم، ولعل هذا الموقف لدى علماء تلك الأنحاء يشير إلى التلاحم الجاد بين أجزاء هذه الجزيرة الذي نشأ في تلك الفترة، إذ يدرك الباحث مدى أثر هذه الدعوة السلفية في ربط عرى البلاد تحت راية واحدة، وذلك ما أحدثته هذه الدعوة الإصلاحية، وبخاصة إذا أدرك حال علماء تلك الأنحاء وغيرها قبل أن يسودها ظلال الموافقة والوئام.

ولعل ما يُظْهِرُ ملامح المستوى الأدبي عند أدباء تلك الأجزاء من جنوبي الجزيرة العربية وضوح العبارة التي نقل بها العجيلي خُطبته، فقد بيَّن من خلالها حسن التقسيم في هيكل هذا العمل الأدبي، إذ لم يخالف هذا الأديب نهج الخطابة المعهودة من حيث: المقدمة، والعرض، والخاتمة، وإنَّما وُفِّق إلى حسن العرض، والقدرة على التخلص من قضاياه التي أراد مناقشتها في

(١) المصدر نفسه.

خطبته، كما وُفِّق -إلى حد ما- في الإفادة من عنصري: «الإقناع، والتأثير»[1]. وهما من أبرز عناصر العمل الخطابي، فأمَّا الإقناع فقد أتى من وفرة الاستشهاد بالآيات الكريمة والأقوال المأثورة، وأمَّا التأثير فقد برز كذلك في ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وصحابته، رضوان الله عليهم.

ويبدو أن العجيلي كان يُعنى بالشكل الفني في خطبته، مما جعله يسلك نهج من سبقه من أدباء العصور الأدبية الضعيفة[2]، فكان يهتم بالسجع والبديع، ويحاول توافق العبارات، وتناسقها، ولكنه كان لا يتقيد بمنهجها الأسلوبي المتكلف، إذ إنه كان حينما ينتابه الشعور الجاد يتخلص من تلك الرتابة الأسلوبية في الألفاظ، مما جعل لسانه جاريا على الطَّبع، إذ إن ما أتى في خطبته من السجع، إنما هو مما جرى منه على الطَّبْع والسَّجيَّة، وهذا النوع من السجع يزيد الكلام جمالا على جماله. وربما تجلَّى للدارس حسن السبك الفني في أجزاء هذه الخُطبة لو قيست بغيرها من آثار الفن الأدبي حينذاك، وما مردُّ ذلك – فيما يبدو – سوى العناية التي بذلها العجيلي في التأليف بين أجزاء خطبته، والتنسيق بين أفكارها، إذ ربما سبق له كتابتها وإنشاؤها من قبل إلقائها شأن الخطباء في العصور الأدبية الضعيفة[3]، وكما يفعل خطباء زماننا الآن، ولعل العناية في مقدمتها بالآيات القرآنية والأدلة الثابتة قد يسَّر سبل الاستمتاع بذلك العرض الفكري المناسب. وربما أخذ على العجيلي في بعض الأحيان ضعف الاستخدام اللغوي وعدم دلالته، مثل قوله: «ولده الذهب الخالص الإبريز»[4]، وهو نادر عنده.

(١) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ١١٧.

(٢) انظر – على سبيل المثال –: الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، لجودت الركابي، ص ١٤٤، وانظر كذلك: الفن ومذاهبه في النثر العربي، لشوقي ضيف، ص ٣٨٦ – ٣٨٨.

(٣) محمود رزق، كتابه السابق، مج ٦، ص ٥٨.

(٤) الخطبة نفسها.

ويظل أثر هذه الدعوة السلفية ماثلا في قلوب علماء رجال ألمع وعسير خلال القرن الثالث عشر الهجري وما بعده؛ وذلك لأن إقبال أولئك العلماء على هذه الدعوة كان صادقا، لم ينشأ بدافع الضغط السياسي ونحوه، وإنما كانوا - كما قيل - يبحثون عن وجهة سياسية يتفيؤون في ظلالها، فلطالما بحثوا عن ذلك من قبل، ولعل هذا الأثر السلفي يتجلّى في خطبة أحمد بن عبد الخالق الحفظي حين وقف في نفر من أصحابه العسيريين في حضرة السلطان العثماني في إستانبول عام ١٢٨٩هـ، إثر قتل الأمير محمد بن عايض صبرا، ونفي أحمد ابن عبد الخالق الحفظي في ثلة من أعيان عسير وعلمائها. ومن خطبة الحفظي في ذلك الموقف قوله مخاطبا السلطان عبد العزيز بن محمود:

« . . . اعلم أن الله مكّنك في البلاد، واختارك للعباد، وانتظم في سلك خلافتك العرب والعجم، إما ثوابا من فضله، أو اختيارا من عدله. وقد قال رسول الله ﷺ: « اللهم من وَلِيَ من أمور المسلمين شيئا فرفق بهم فارفق به، ومن شَقَّ عليهم فاشقق عليه »[1]. وقد أتيناك من أرض العرب، ومن رحاب عسير فاسمع منا، ولا تطع فينا؛ ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...** ﴾[2]، ونحن ومن نَمَّ علينا ووَشَى بنا مجتمعون، وسنُسأل ويُسألون ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾[3]، واعلم أن الله أوجدك وأنت لا تعلم أنك تقوم بهذا المقام الذي أنت فيه، ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[4]، وأن أقاويل

---

(١) أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٨.

(٢) من الآية ١١٦ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٣١ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٧٨ من سورة النحل، وقد ورد في الأصل « قليلا ما تشكرون »، وهو خطأ.

المنافـــقين لا تغنيك بين يدي الله حين قـــال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1] . . . »[2].

ويستمر الحفظي في مقدمة خطبته يبسط الحديث حول قضيه أسره هو والذين معه، ويذكِّر السلطان مغبة ظلم الرعية، وأخذهم بغير ما اقترفت أيديهم، حيث بدأ من بعد ذلك يفصح عن حال العسيريين قبل التنكيل بهم، إذ قال:

«. . . وإنا وفدنا إليك من غير جُرم أجرمناه، أو سوء فعلناه، أو شر قدَّمناه، أو عمل فاسد عملناه، بل أتتنا رسلك، ودخلنا مداخل الاستطاعة، ونحن -ولله الحمد- من أهل السنة والجماعة، نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت الحرام، ونؤمن بأركان الإيمان الستة، ونصل الرحم، ونحمل الكَلَّ، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونقيم الجمعة والجماعات . . ، بل لما أشرفنا على الإعلانات التي فيها عهد الله وميثاقه - بعد قتل إمامنا محمد بن عايض - أن من بقي من الرعية آمنون ظامنون . . . »[3].

وبعد أن أبدى الحفظي خيانة رديف باشا، وخفره للذمة، أراد أن يصوِّر للسلطان العثماني ما بلغ الرعية في عسير من الأذى، وما مسهم من الآلام، فقال:

«. . . وقد حصلت علينا - أيُّها الخليفة - ما لا يخفى من هتك المحارم، وترويع الأطفال، وجرى علينا ما يعلمه الله من التعب والمشقة والسفر في البر والبحر، ولا يجوز أن يكون أحدنا أسيرا؛ لأن الأسير من أُسر محاربا مقاتلا،

---

(١) من الآية ١٨ من سورة هود.

(٢) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧، ١٢٨.

فمن أخفر ذمتنا فسننتصر عليه بالله، وإن كنت أخذتنا بقول فاسق كذاب أشر فاقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، فتراجع - هداك الله - ؛ فإن الله يمحو ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وهو رب الأرباب»[2].

ويبدو أن هذه الخطبة التي ارتجلها[3] الحفظي - كما قال عبد الله بن مسفر - قد أثارت في نفس السلطان العثماني الرحمة والشفقة، ودفعته إلى التعاطف مع الأسرى من أهالي عسير، إذ أمر «بإطلاق سراحهم من السجن، ورفع الأغلال عنهم، وأنزلهم في القصور، وأمر بإكرامهم، ورتَّب لهم الرواتب، وأجرى لهم ما يبعث على سرورهم وراحة معيشتهم»[4]. ولكنهم - فيما يبدو - ظلوا قلقين لا يهدأ لهم بال، حيث ظل يستجد بهم الشوق والحنين إلى أوطانهم، ولا شك في هذا، فقد شهد مقامهم في تركيا وفرة في نتاج الأدباء منهم[5].

وعلى أية حال فإن أثر هذه الدعوة السلفية قد ظل ماثلا لدى أمراء عسير وعلمائها من حيث تأييدهم الثابت لهذه الدعوة الإصلاحية والقائمين عليها. وما الغدر الذي حلَّ بالأمير محمد بن عايض سوى تأكيد لعداء الدولة التركية للطموح السلفي الذي كان يبرز عند الأمراء في عسير، وذاك أمر قد علم كل الناس حقيقته، إذ دلَّ عليه عندئذ موقف الأدباء والمؤرخين الذين شهدوا تلك الأحداث، وما خطبة أحمد بن عبد الخالق هذه سوى أثر من آثار هذه الدعوة

(١) الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٨، والآية من سورة الرعد رقم ٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٥) انظر: نفحات من عسير، وكتاب الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ومذكرات أحمد بن عبد الخالق الحفظي المخطوطة.

السلفية في تلك الأنحاء[1]، ولعل الروح السلفية الجادة التي برزت في ثنايا هذه الخطبة تشير إلى حقيقة أثر هذه الدعوة في علماء تلك المنطقة، وما ينتجونه من نتاج فكري وأدبي، إلى جانب التركيز الذي عمد إليه الحفظي حين ذكر مذهب أهل السنة والجماعة، وأن الأهلين في عسير يسلكون نهجه وسبله.

وربما عُدَّت هذه الخُطْبة وثيقة تاريخية تدل على أحداث تلك الفترة، وما آل إليه الحكم في عسير في أواخر القرن الثالث عشر الهجري من المحن والزوال. وذلك بسبب عسف الترك وجورهم، وما كانوا يشغلون به أنفسهم من حرب أنصارالدعوة السلفية في سائر أنحاء الجزيرة العربية، منذ أوائل الثلث الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، هذا بالإضافة إلى وضوح الأثر السلفي في الأهلين بعسير وشدة الانتماء القبلي فيهم، فقد صورت هذه الخطبة ملامح الحياة الاجتماعية في تلك الأنحاء، حين طفق الحفظي يعدِّد مناقب الأهلين في تلك الأنحاء وعاداتهم، وأنهم يصدرون في طباعهم مصدر العربي المسلم الذي لا يخفر الذمة، ولا يهمل العهود.

ومهما يكن من أمر فإن أسلوب التعبير في هذه الخطبة يكاد يتناسب مع حقيقة الإلقاء الخطابي الذي فضله الحفظي حين مَثُلَ بين يدي السلطان العثماني في إستانبول، وذلك يؤكد تفاوت عناية الكاتب بالمحسنات البديعية التي لم تظل مستمرة في نسق واحد، وإنما خفف وجودها الموقف السياسي المهم الذي انتظم الخطبة، إلى جانب الاختلاف الأسلوبي الناشئ من أثر العرض المتفاوت في أفكار الحفظي نفسه، ومع ذلك فقد اتسمت هذه الخطبة بالنغمة الحزينة التي

(١) تدل المصادر على أن الأتراك كانوا يعدون الحفظي والذين معه من السلفيين أنهم يصدرون عن تعاليم الدعوة السلفية ومبادئها، وقد أكد هذا القول الحفظي نفسه في شعره عندما قال بأن الترك إذا غضبوا منه قالوا: « أنت وهابي ».

امتزج فيها عنصر القوة بالألم. بالإضافة إلى وفرة الاستشهاد من الكتاب الكريم والحديث النبوي، إذ دعا إلى ذلك حاجة الحفظي إلى تعزيز موقفه وتثبيته. وذلك على الرغم من التفاوت في الاستشهاد بين أجزاء الخطبة نفسها، وما ذلك غير اختلاف الدافع النفسي عند الحفطي الذي ربما انصرف بسببه في بعض الأحيان إلى التعبير الذاتي، رغم الموقف الجماعي الذي كان يصدر عنه الحفظي، وما يبرز من روح القوة والاعتداد بالنفس، إذ يكاد ينحصر الألم النفسي في مقتل الأمير محمد بن عايض، ولذلك عُدَّت القوة النفسية في هذه الخطبة أقوى من الألم نفسه، وهذا أثر الاتجاه السلفي الذي يبرز عند أولئك الحفظيين برجال ألمع، ويمكن في هذا الحال أن يقال بأن هذه الخُطبة قد أشبهت ـ إلى حد كبير ـ «الخطب التي كان يلقيها وفود العرب بين يدي الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية»[1] في العصور الأولى للأدب العربي[2]، وذلك من حيث الهيكل الشكلي الذي حافظ عليه أحمد بن عبد الخالق في خطبته، كما أنها امتازت بكونها قيلت ارتجالا، وذلك يخالف ـ إلى حد ما ـ الخطابة في الأدب العربي خلال عصر المماليك، حيث فقدت - كما قال محمود رزق - أهم عناصرها «وهو عنصر الارتجال»[3]، وهذا الحال قد استقر على ذلك الوضع منذ أخريات العصر العباسي حتى العصر الحديث.

ويأتي أثر الدعوة السلفية واضحا في الخطابة الدينية فيما بعد، وبخاصة في خطب الجُمَع والوعظ الديني[4]، ومما يصوِّر ذلك الأثر خُطب بعض

---

(١) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ١٧٥.

(٢) انظر: جمهرة خطب العرب، لأحمد صفوت، ج ١، ص ٥٠ - ٦٤.

(٣) عصر سلاطين المماليك، مج ٦، ص ٥٨.

(٤) يظهر ذلك لدى نفر من علماء رجال ألمع والمخلاف السليماني وأدبائهما، ولعل الشيخ عبد الله بن علي العمودي بجازان يتميز بوفرة نتاجه الأدبي في هذا الميدان. انظر مجاميعه المخطوطة، لدى ولده إبراهيم العمودي.

العلماء في رجال ألمع الذين كانوا - فيما يبدو - لا يعتمدون في خطبهم التي يلقونها على الخطب التقليدية المكتوبة، إلى جانب صدورهم في هذا المجال عن روح سلفية تصوِّر أثر الدعوة فيهم، حين عمدوا إلى تصوير واقعهم الاجتماعي، وما يجب أن يكون عليه حالهم من حيث الوعي الديني والتضافر العلمي في دفع المنكرات والعمل على حَضِّ الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن أمثلة ذلك: الخطبة الوعظية التي ألقاها محمد بن حسن بن عبد الرحمن الحفظي (. . . - ١٣١٨هـ) في إحدى خُطب يوم الجمعة، وقال في مقدمتها: « هذه خُطْبَةُ مَوْعِظَة »[١]، ومنها:

« . . . فكم من عِبَر سمعتموها كل جمعة ولا رجوع إلى الله . . . أما ظهر الفساد وعَمَّ، أما غَلب الشقاء على أهله وطَمَّ، أما ضُيِّعت الصلاة وهي عماد الدين، أما مُنعت الزكاة حق اليقين، أما عرفتم الله فلم تطيعوه، أما عرفتم الرسول فلم تتبعوه، أما عرفتم إبليس اللعين وهو عدوكم فأطعمتوه، فالمنكرات بينكم غير منكرة، والمحرمات بينكم ظاهرة، والزنا قد فَشَا بين الأنام وذاع، والرُّشَا قد دخلت في الأحكام فأفسدتها وغيرت الأوضاع، فالباطل به ينصر، والحق به يقهر، والجاهل يعتبر، والعالم يحتقر، والمساكن تعمر، والمساجد تهجر . . . »[٢].

وتَظهر في هذه الخطبة الروح السلفية الجادة ذات الملامح الوعظية المناسبة، إلى جانب أنها ـ إلى حد ما ـ قد أشبهت خطب الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣]، من حيث البناء والمضمون الوعظي ذو السمات السلفية الواضحة،

---

(١) توجد هذه الخطبة المخطوطة لدى الباحث.

(٢) المصدرنفسه.

(٣) انظر: الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولعل ما يبرز في هذه الخطبة أنها حافظت على النهج التقليدي المعتاد، وبخاصة في خطبتها الثانية، إذ لم يطرأ عليها شيء من التجديد، كما ظهر في الخطبة الأولى التي اتسمت بملامح التجديد في المضمون.

ويبدو أن علماء آل الحفظي كانوا يولون الخُطبة في هذا الميدان عنايتهم، إذ كانوا يحرِّرون خُطب الجُمع في جهاتهم، ويدفعون بها للقائمين على شؤون المساجد، ومن أمثلتها خُطبة مسجد جامع الوغل بآل عاصمي التي حرَّرها الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي(١).

ثانيا: في الوصايا

يتجلى أثر الدعوة السلفية في مجال الوصايا والنصائح الدينية واضحا فيما برز لدى علماء جنوبي الجزيرة العربية المؤيدين من دوافع الإرشاد والنصح والتحذير من المخالفات الشرعية، إلى جانب الدعوة إلى المحافظة على مبادئ الدعوة السلفية والاقتداء بدعاتها والقائمين على أمرها، فقد غدت ملامح الصحوة الدينية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري تظهر في مشاركة العلماء حين توجيه النصح والإرشاد للأهلين، وحين تحذيرهم خطورة الميل لما يضطرب في منطقتهم من الفرق الدينية والفتن المحلية، كما اعتاد هؤلاء العلماء الارتباط بأئمة الدعوة ودعاتها في الدرعية ومتابعة ما يجري في محيطهم من حوادث.

ولعل علماء رجال ألمع أقرب العلماء بتلك الأنحاء حفاظا على مبادئ هذه الدعوة السلفية، وأشد ارتباطا بدعاتها في نجد، وربما كان مرد هذا

---

(١) توجد هذه الخطبة المخطوطة لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها.

الإخلاص من لدن أولئك العلماء إقبالهم بصدق على هذه الدعوة منذ بلغت أسماعهم أخبارها.

ولا غرو في ذلك فقد وجدوا فيها ما يوافق اتجاههم الديني، ويرضي شعورهم السلفي، إذ طالما بحثوا عن ذلك من قبل، ولعل من أبرز أولئك العلماء مشاركة في هذا الميدان النثري: أحمد بن عبد القادر الحفظي، وعبد الله اليامي[1]، وإبراهيم بن أحمد الحفظي. فأما أحمد الحفظي فقد بعث إلى مواطنيه وصية دينية، ينصحهم فيها بالتمسك بالدين، ويندب لهم وفاة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حين بلغه ذلك عام ١٢١٨هـ، ومما قال فيها:

«... من أخيكم أحمد "الحفظي" بن[2] عبد القادر[3]، واعلموا ـ معاشر المسلمين ـ أن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا[4]، فإن المصاب من حُرم الثواب. معاشرَ المسلمين، إن إمامنا وآمرنا وراعينا، ومن هو كالأب الشفيق، مجدِّد الإسلام الخليفة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قد لحق بربه شهيدا، والتحق بركبه سعيدا حميدا، وعرجت روحه إلى الملأ الأعلى، وناداه الرب الأعلى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[5]...»[6].

(١) انظر: بيان كتب آل الحفظي الموقوفة، ولعله عبد الله بن سرور اليامي.

(٢) في الأصل «ابن»، وهو خطأ.

(٣) الحفظي: لقب تسمى به الشيخ أحمد نفسه؛ وذلك لقوة حافظته، إذ تميز بذلك وهو يتلقى العلم في تهامة اليمن. انظر هذا القول في: مقدمة رسالة ذوق الطلاب، لمحمد بن أحمد الحفظي، ص ٦.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ من سورة الفجر.

(٦) وصية أحمد بن عبد القادر الحفظي، ورقة ١، ٢.

ويمضي الحفظي في بيان وفاة هذا الإمام، ويضرب لقوله الأمثال بما جرى في صدر الإسلام الأول من الفواجع المماثلة، ثم يثني من بعد ذلك، فيبلغ وصيته لبني قومه ولعامة المسلمين وولاة أمورهم، حيث قال: «. . . إنه لا يسع إلا التسليم وإن عَظُم المصاب وعمَّ وطَمَّ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فاعتصموا بحبل الله، وجاهدوا في سبيل الله. . . ، وجدِّدوا التوحيد، وقوموا في هدم الشرك وقواعده وسَنَن الجاهلية كما قام عليه الإمام، وكونوا من التابعين للصحابة، فإنهم قاموا واستقاموا بعد موت رسول الله ﷺ، وما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا، ولم يردهم عن الجهاد جموع المشركين، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، هذا أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة في خلافته، وعمر بن[2] الخطاب فتح الشام ومصر، وهزم قيصر وكسرى، ووصلت جنوده سمرقند وبخارى، ولم يمت إلا والأذان في أطراف القسطنطينية، ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾[3].

فاللهَ اللهَ معاشرَ المسلمين، اصدقوا بالعهود، واستقيموا على الحدود، وأعلنوا بالتوحيد الخالص، وقاتلوا عليه كل ناكص، ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾[4]، واعلموا - معاشر المسلمين - أن إمامكم قد

---

(١) آيتا ١٧٣، ١٧٤ من سورة آل عمران، وقوله تعالى: ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ لم يرد في الأصل.

(٢) في الأصل المخطوط «ابن».

(٣) من آية ٢٣ من سورة الأحزاب، ولم يقتبس الحفظي قوله تعالى: ﴿ من المؤمنين ﴾.

(٤) من آية ١٢٣ من سورة التوبة.

استخلف عليكم سعودا[1]، وقد أحسن إليكم الوالد والمولود، وأخذوا بمحجزكم عن النار، وهذا كتاب الله ينطق بالحق، وهذا إمامكم يجول ويصول على أهل الشِّقّ والعق، ويقيم الحُجَّة بالدليل القاطع، ويهز سيفه على كلِّ مانع، فمن أجاب داعي الله واستقام على عهد الله فليس له جزاء إلا الجنة، ومن راغ كما يروغ الثعلب ﴿ **فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ** ﴾[2] ولي ولا نصير، ولله الحمد والمنة.

أيُّها الناس، اذكروا العهد الذي أخذه عليكم الإمام، ثم استقيموا عليه، فوالله لتعلمن نبأه بعد حين. ومن تخلَّف عن الخليفة، أو قعد عن القيام بالوظيفة خسرت صفقته، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾[3] فلا تطلبوا الإقالة، ولا تفسخوا البيع، فقد ربحتم ﴿ **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ** ﴾[4]، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ﴿ **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[5].

فالله َالله َمعاشرَ المسلمين، لا يتخبطنكم الشيطان، ولا يستخفنكم من ليس له إيقان، فليس في الإمكان أبدع مما كان، فكونوا من التوحيد في مزيد، ومن متابعة المشروع على تجديد، وأعلنوا بالأذان والإقامة والجمعة والجماعة، وعلِّموا وتعلَّموا، واضربوا على الصلوات، واحبسوا على الخطيات، واجتمعوا ولا تفرقوا، فإن يد الله على الجماعة، والذئب لا يأكل إلا القاصية من الغنم.

---

(١) سعود بن عبد العزيز [المعروف سعود الكبير] حكم في الفترة (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ).

(٢) من آية ٣٢ من سورة الأحقاف.

(٣) من آية ١١١ من سورة التوبة، وفي الأصل «فإن».

(٤) من آية ١١١ من سورة التوبة.

(٥) من آية ١٠ من سورة الفتح، وقد زاد الحفظي لفظ الجلالة قبل قوله تعالى: ﴿ أجرا عظيما ﴾.

وبهذا أوصي نفسي وإخواني، والوصية للقائم ـ أيده الله ـ[1] بتقوى الله، وأن يجعل جنوده العواصم والقواصم من سنة أبي القاسم، ويجعل دعوته القرآن بلفظه ومعانيه. ومن اختاره الله فالله يكفيه فيما يوليه، والوصية للأمير عبد الوهاب[2] أن يلزم التقوى في السر والنجوى، وأن يأخذ بغرز إمامه الذي استرعاه، فإنه سوف يلقاه، ويحتج به بين يدي مولاه، ﴿ **وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ... ﴾[3]، ومن باع نفسه من الله ربح، ومن باع آخرته بدنياه هو مغبون، وأوصيه بتنفيذ جيش أسامة[4]، وأن يمكّن أقدامه على الاستقامة، ونحن ـ ولله الحمد ـ نشايعك[5]، ونتابعك بالمؤازرة والمناصرة، فنحن إخوان وعلى الخير أعوان، والمؤمنون كالبنيان أو كالبنان، وكل الناس يغدو فبايعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها، والله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (٩٢) **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[6]، فاستعدوا ـ يا إخواني ـ للجواب ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ** ﴾[7]، أعظم الله لنا ولكم على فقد إمامنا أجرا، وأفرغ على القلوب صبرا. . . »[8].

وتأتي هذه الوصية الدينية واضحة الملامح التقليدية، من حيث المقدمة والعرض والخاتمة شأن النصائح الدينية المعهودة، ذات الديباجات والخواتم

---

(١) يعني سعود بن عبد العزيز.

(٢) عبد الوهاب بن عامر المتحمي، تولى إمارة عسير منذ ١٢١٥هـ حتى ١٢٢٤هـ.

(٣) من آية ٤٧ من سورة الحج.

(٤) يعني أنه يوصيه بالاستمرار على الوفاء، بمثلما كان في زمن أبيه عبد العزيز بن محمد، أسوة بما صنع أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عندما نفذ جيش أسامة.

(٥) ضمير المخاطب هنا عائد إلى عبد الوهاب. وفيه التفات.

(٦) آيتا ٩٢، ٩٣ من سورة الحجر.

(٧) آية ٢١ من سورة الأنفال.

(٨) وصية أحمد بن عبد القادر الحفظي، ورقة ٢، ٣، ٤.

المعروفة، إذ يبرز في بنائها الفني المحافظة على « الحمد والثناء والصلاة على النبي، والدعاء والمديح »[1]، وما إلى ذلك من تقاليد الكتابة، ولعل ما دعا إلى تصنيفها في ميدان الوصايا كونها ابتدأت من بعد ديباجاتها بقول كاتبها: « من أخيكم أحمد الحفظي بن عبد القادر ». كذلك ظهر تركيز الكاتب نفسه على ذكر الوصية، وأنه أراد بها تنبيه أولي الأمر والأهلين على المحافظة على الدين والعهود التي في أعناقهم، إذ قال في ثنايا وصيته: « وبهذا أوصي نفسي وإخواني »، « الوصية للقائم أيده الله »، « الوصية للأمير عبد الوهاب »، إلى جانب العموم ومخاطبة أناس ليسوا في مدينة واحدة أو مكان واحد، مثل: وصيته لسعود بن عبد العزيز في نجد، وعبد الوهاب المتحمي في عسير، وليس هذا من أسباب الخطابة. ويمكن ملاحظة أسلوب الوصايا في هذا المجال بأن المتبع لدى الأئمة وكبار العلماء أنَّهم يكتبون الوصايا ويدوِّنونها، ثم تُرسَل بعد استنساخها إلى الأقاليم لقراءتها في جميع المساجد والمحافل، وبخاصة بعد صلاة الجمعة. ومن تقاليدهم في ذلك أنهم كانوا يحرصون على استنساخ هذه الوصايا في ديوان كاتبها، ثم ترسل نسخها إلى كثيرمن المناطق والأقاليم، وذلك يرجح تصنيفها في هذا اللون النثري المعهود، رغم ورود بعض العبارات التي هي من مقومات الخطابة، مثل قول الكاتب: « أيُّها الناس »، و « معاشر المسلمين »، « اعلموا ». وذاك ما جعل الحفظي - فيما يبدو - يخلط بين النهجين في: الخُطَب، والوصايا، وهذا ما تشترك فيه الخطابة والنصائح الدينية ذوات الملامح الوعظية العامة.

ومهما يكن من أمر فإن أثر الدعوة السلفية واضح في هذه الوصية الدينية، وذلك في كونها أنشئت في ذكر إمام الدعوة السلفية نفسه، إلى جانب

(١) محمود رزق سليم، كتابه السابق، مج ٥، ص ١٥٣.

الوضوح المعنوي الذي جلل النَّصَ، فقد كان الكاتب يركن إلى مبادئ الدعوة السلفية التي تعتمد الإخلاص في العقيدة، والبعد عن مواطن الشرك والاعتقاد في غير الله، فترى الحفظي يكرر ذكر التوحيد وما يثبت قواعده في قلوب الأهلين، بالإضافة إلى ذكر الواجبات الشرعية حسب أهميتها ، والميل إلى الاستخدام اللفظي المناسب الذي يقوي ارتباطه بهذه الدعوة الإصلاحية. ولعل خير ما يدل على أثر هذه الدعوة السلفية في هذا الميدان الأدبي أن هذه الوصية الدينية قد دلت على موقف صاحبها من هذه الدعوة، وأنه يُعَدُّ من أقطابها الدعاة في تلك الأنحاء، وأن أسلوبه الواضح الذي بسط به نصحه الديني قد دل على الجُرْأة السلفية المعتدلة التي لا تأخذ في الله لومة لائم، وما نصحه لولاة الأمور المتكرر سوى دليل على هذا الميل السلفي الذي لا يقبل المحاباة والمداهنة، فقد دل إخلاصه لهذه الدعوة السلفية أنه نزع الكُلْفة بينه وبين ولاة الأمر عندئذ. كذا دل على أثر هذه الدعوة في مجال النثر الأدبي في تهامة أن هذه الألوان النثرية أضحت مجالا لبسط أغراض الدعوة، وأنها كذلك أصبحت تسهم في نقل مواقف العلماء بتلك الأنحاء التي لم تكن لتظهر لولا أن يسَّر الله سبل الانتظام في هذه الدعوة، والإقبال على تعاليمها. وهذا أمر واضح يتجلى من خلاله الحال الذي كان عليه علماء آل الحفظي قبيل ظهور هذه الدعوة في بلادهم، وحالهم بعد ظهورها في حين أصبحوا من الداعين إليها والقائمين على نشرها.

وإذا كان ما قيل يتصل بمضمونها الفكري، فإن شكلها الفني لا يكاد يخرج عن التقليد الشكلي الذي عرف في تلك العهود، من حيث المحافظة على الصنعة اللفظية والتكلف البديعي، ولكن تلك القيود الأسلوبية كانت تتلاشى من جراء الموقف الجاد الذي كان لايدع للكاتب أحيانا فرصة التأنق في الألفاظ

واختيار الكلمات. ولولا سبل الإقناع التي كان يعمد إليها الكاتب، وما يصدر عنه من ثقافة دينية لفقدت هذه النصيحة الدينية جدية الموقف الذاتي الذي يصدر عنه الكاتب، وربما يؤخذ عليه أنه لم يراع أحيانا تناسق العبارات وترابطها، مما أوقعه في كثير من التكرار في المعاني والألفاظ، وهذه أمور تفرضها طبيعة الكتابة في مجال الوصايا والنصائح الدينية. ولكنه مع ذلك قد وَسَمَ وصيته بالجد والوضوح، إلى جانب أنه يميل إلى الاستشهاد من القرآن الكريم، ويحرص على إبراز النماذج المؤثرة من المجتمع الإسلامي الأول، ناهيك عن الخاتمة التي خَتَمَ بها الحفظي قوله، حين حاول أن يستميل مشاعر مواطنيه والمسلمين بعامة، فيما حرَّره من كلمات مؤثرة وعبارات موحية، في الوقت الذي كان فيه الحفظي يستلهم القرآن الكريم، والحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي بعامة.

وبمثلما وُجدَ لدى أحمد بن عبد القادر الحفظي من ميل سلفي واضح في كتابة الوصايا والنصائح الدينية، وُجدَ كذلك لدى ابنه إبراهيم بن أحمد الحفظي شيء من ذلك، حين أحسَّ بصلاح الوضع الديني في عسير ورجال ألمع وما حولهما بعد ظهور هذه الدعوة السلفية فيهما، فقد أدرك عندئذ رغبة رجال من مواطنيه في الرحلة إلى بلاد أخرى لَمْ يتخلص أهلها من درن الضلال وآثاره، وأراد أن يوصيهم من خلال نصيحة دينية حررها لهم، إذ قال فيها:

« . . . أمَّا بعد:

فإنَّ الدين النصيحة، كما وردت بذلك الأحاديث الصريحة الصحيحة، وبلغنا أن ناسًا يريدون الخروج من هذه البلاد التي قد منَّ الله على أهلها بظهور شعائر الإسلام إلى بلاد قد ظهر فيها الفساد، وعفت فيها سبل الرشاد،

لغرض دنيوي الله أعلم هل يدركه الإنسان أو لا؟ ثُمَّ إن أدركه هل يعود إلى أهله أم لا؟ وكيف يحب العاقل أن يخرج من النور إلى الظُّلمة، وينزع يده من طاعة الأمير العدل إلى الولاة الظَّلَمة، ولن يسلم له دينه وإن زَعَمَ، كيف وهو يرى[1] . . . وأشباههم من اللئام متلطخين بالشِّرك والمعاصي من الأقدام إلى النواصي، ولا يأمر بمعروف، ولا ينهى[2] عن منكر، والطبع لِصٌّ، وكما قال الشاعر:

[و] ما يُبرِئ الجرباء قُربُ صحيحةٍ إليها[3] ولكن الصحيحة تجربُ

والمسلم بين أولئك تجب عليه الهجرة، فكيف يعكس الأمر؟! إنَّا لله وإنّا إليه راجعون . . .»[4].

وقد سرد إبراهيم بن أحمد الحفظي من بعد ذلك في وصيته أحاديث نبوية شريفة، أعقبها بمسائل استخلصها من الأحاديث التي أوردها. وهذا مظهر من مظاهر تأثير الدعوة السلفية، وبخاصة أثر أسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أساليب علماء هذه الأنحاء، من حيث استنباط الفوائد والمسائل الدينية، وهذا واضح في كتاب التوحيد ومعظم مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى جانب غلبة الأسلوب العلمي الموضوعي على هذه النصيحة، ووضوح الملامح السلفية عند الكاتب، وما يصدر عنه في نصيحته من الثقافة الدينية المعتدلة.

---

(١) في الأصل المخطوط «يرا».

(٢) في الأصل «ينها».

(٣) في الأصل «منها»، ولعل الصواب «إليها»؛ وذلك ليستقيم وزن البيت، كما أضيف حرف (و) في أول البيت من أجل الوزن كذلك.

(٤) وصية إبراهيم بن أحمد الحفظي، مخطوطة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من ابراهيم بن احمد الحفظي الى من يراه من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد
فان الدين النصيحة كما ورد بذلك الاحاديث الصحيحة وبلغ ان ناسا
يريدون الخروج من هذه البلاد التي قد قوّى الله اهلها بظهور شعاير الاسلام
الى بلاد قد ظهر فيها الفساد وعفت فيها سبل الرشاد لغرض دنيوي
الله اعلم هل يدركه الانسان ام لا ثم انه ادركه هل يعود الى اهله ام لا
وكيف يجب العاقل ان يخرج من النور الى الظلم وينزع يده من طاعة
الامير العدل الى الولاة الظلمة ولن يسلم له دينه وان زعم كيف
وهو يرا ايام واشباههم من اللئام متلطخين بالشرك والمعاصي من
الاقدام الى النواصي ولا يأمر بمعروف ولا ينها عن منكر والطبع لص وكما قال
الشاعر ما يرى الجرباء قرب صحيحة منها ولكن الصحيحة تجرب ٥
والمسلم بين او تلك تجب عليه الهجرة فكيف يعكس الامر انا لله وانا اليه
راجعون وقد قال صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله
وقال عليه الصلاة والسلام انا بريء من كل مسلم اقام مع المشركين وقال صلوات
الله وسلامه عليه لا يقبل الله من مشرك عملا بعدما اسلم وزهق المشركين
وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لعين ترا الله يعصى وتطرف حتى تغير او تنتقل ففي
الحديث الاول ان المساكن للشرك مثله وفي الثاني تبرا منه صلى الله عليه وسلم ومن
اخسر ممن تبرا منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفي الثالث نفي قبول عمله وقد قال
تعالى انما يتقبل الله من المتقين فهذا ليس من المتقين وفي الرابع الاخبار
انه لا يحل له ان يرا المعصية الا ويغيرها او ينتقل والحرام عند الحلال وماذا
بعد الحق الا الضلال ٥ انتهى الموجود منها بخطه رحمه الله

رسالة الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي إلى مَنْ يراه

من المسلمين

ويبدو أثر الدعوة السلفية واضحا في مجال الفكر والأدب بهذه الأنحاء، حين أشار الكاتب إلى الحال الديني في بلدان عسير ورجال ألمع وما حولها، وأنها - كما قال الحفظي - « قد منّ الله على أهلها بظهور شعائر الإسلام »[1]، كما دل على هذا الأثر السلفي شدة حرص العلماء السلفيين بتلك الأجزاء من جزيرة العرب على عقيدتهم من دنس الفِرقَ الضالة التي عُرِفَت بتلك الأنحاء، هذا إلى جانب يقظة الحركة الأدبية، ورغبة العلماء عندئذ في الإفادة من القوالب النثرية لبسط آرائهم وأفكارهم من خلالها. وربما تجلى أثر الدعوة الإصلاحية في بعض علماء تلك الأنحاء حين سلكوا سبل علماء نجد، وبخاصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حيث استنباط الفوائد - كما قيل - من الأحاديث النبوية، إذ لم يكن أولئك العلماء في الغالب يسلكون هذا المنهج، ويبدو أن العلماء في رجال ألمع قد سلكوا هذا النهج في جوانب أخرى من نشاطهم الفكري، إذ لم يكن استنباط الفوائد من الحديث النبوي مقصورا على الوصايا فحسب، وإنما برز في جانب التأليف، وتفسير الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وذلك مثلما وُجد لدى محمد بن أحمد الحفظي[2] وغيره.

وربما خالف إبراهيم بن أحمد الحفظي، أسلوب أبيه أحمد بن عبد القادر الحفظي من حيث القدرة الأسلوبية والعلم بأحكام الشرع، والميل الى الصنعة اللفظية والمحسنات البديعية، فقد تبين من نتاج أحمد بن عبد القادر تفوقه في هذ المجال واعتناؤه به، بينما كان إبراهيم بن أحمد لا يحفل بها إلى حد كبير، ولكنهما يتفقان في الروح السلفية، والشعور الديني الجاد، وبخاصة في محيط

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) تفسير آية وحديث، مخطوطة توجد لدى الباحث.

المبادئ السلفية التي تتضح في متابعة أهل السنّة والجماعة، وإخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ دون سواه، ونبذ البدع والمعتقدات الباطلة، وبخاصة الاعتقاد في الصالحين والتوسل بهم وشد الرحال إلى قبورهم، كذا تبرز لديهما العناية بأمور الجهاد والحسبة، إذ وضح الميل إلى الجهاد عند أحمد بن عبد القادر الحفظي، ويتبين الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى إبراهيم بن أحمد، حين قال في وصيته الدينية: «ولا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر».

ولئن كان قد عمد علماء هذه الأنحاء إلى الوصايا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فإنَّ العلماء من بعد ذلك في هذه الأنحاء خلال القرن الرابع عشر الهجري لم يهملوا هذا النوع النثري، وإنما وجدوا في رحاب هذه الدعوة السلفية مجالا لبسط نصحهم وتوجيههم إلى ولاة أمورهم ومواطنيهم، ومن أولئك العلماء الشيخ عبد الله بن علي العمودي بالمخلاف السليماني الذي اعتاد إنشاء مثل هذه النصائح والوصايا الدينية، ويشهد لهذا القول ما وُجِدَ في مجاميعه المخطوطة من نماذج مكتوبة لهذا النوع الأدبي(١).

ثالثا: في المناظرات

يدرك الباحث في ميدان النثر الأدبي مدى أثر الدعوة السلفية في أنواعه الأدبية المختلفة، وبخاصة في المناظرات، إذ عُدَّتْ مجالا لمناقشة بعض الآراء الفكرية والاتجاهات المختلفة، فقد جعلها السلفيون والمعارضون لهم سبيلا لإيضاح مواقفهم وميولهم الذهبية، وهم بهذا قد نهجوا نهج أصحاب المذاهب

(١) انظر ذلك في تراثه المخطوط لدى ابنه إبراهيم بن عبد الله العمودي، ومن إحدى نصائحه الدينية قوله: «... وقد قال الله ـ عز وجل ـ مرشدا ومعلما لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ... وكان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة...، وإنكم - يا أيها الملك - بالمكانة السامية من الاستقامة...» مخطوط غير مرقم الأوراق، والآية من سورة الذاريات رقم ٥٥.

الفقهية الذين اعتادوا فتح باب الجدل والمناظرة حول آرائهم الفقهية المختلفة[1]، إذ يبرز هذا العمل من خلال الجدل والنقاش العلمي الذي ينشأ في الغالب بين اثنين على الأقل « يحاول كل منهما إثبات رأيه وإبطال رأي خصمه بالحُجَّة والبُرهان »[2]، وربما عُدَّ هذا اللون النثري من أبرز أنواع المُناظرات في أدب جَنوبي الجزيرة العربية تأثرا بالدعوة السلفية في تلك الأنحاء، إذ تكاد الأنماط الأخرى من المناظرات تتسم بملامح الخيال والإبداع الفني، وبخاصة لدى أدباء اليمن الذين لا يصبغون مناظراتهم في هذا المجال بشيء من الاتجاهات الدينية[3].

وربما انحصر ما وُجدَ من مناظرات فقهية جدلية في المناظرات المذهبية التي كانت تنشأ بدافع فقهي مذهبي، ولعل من أبرز تلك الأنحاء حرصا على هذا العمل الجدلي البيئات العلمية ذات الميل المذهبي الوافر، مثل: المخلاف السليماني، واليمن. أمَّا رجال ألمع فإنَّها وإن اتسمت بشيء من اليقظة الفكرية فإن تأييد علمائها لهذه الدعوة قد صرفها - إلى حد ما - عن الاهتمام بمثل هذا اللون النثري، إذ يبدو أن علماءَها ومن ماثلهم من علماء عسير قد اتخذوا إزاء تلك المناظرات الجدلية مواقف مختلفة، برزت في شيء من ردودهم الظاهرة في مناظراتهم المحدودة التي كانوا يعقدونها مع معارضيهم[4]. ويمكن أن يُعَدَّ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري من أخصب الفترات اشتمالا على هذه المناظرات الجدلية، إلى جانب وجود شيء منها في العقد الخامس من

---

(١) أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) يراد بهذا القول: ما كان يجرى في ميدان الأدب من مناظرات أدبية على لسان الحيوانات والجمادات ونحوها.

(٤) وبخاصة مع علماء المخلاف السليماني.

القرن الرابع عشر الهجري، حين جُدِّدَ عهدُ هذه الدعوة السلفية ببعض بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

وعلى أية حال فإنَّه يمكن حصر هذه المناظرات المذهبية التي نشأت بجنوبي الجزيرة العربية بسبب ظهور الدعوة السلفية في محيط المذاهب الدينية المعروفة، وما وُجدَ من فرق دينية مختلفة، ومن ذلك على سبيل المثال: الشافعية، والصوفية، والزيدية ونحوها، ولعل الصوفية والزّيدية من أبرز الاتجاهات الدينية إيقاظاً لحركة الجَدَل والمُناظرة التي نشأت بتلك الأنحاء من أجل ظهور الدعوة السلفية فيها[1]، وذلك ما يُعَدُّ من آثار هذه الدعوة الإصلاحية بتلك الأجزاء من جزيرة العرب.

ومن الواضح أن هذه المناظرات المذهبية التي وُجدَت في هذه الأنحاء من أجل الدعوة السلفية، قد انقسم منشئوها في النصفَ الأول من القرن الثالث عشر الهجري إلى اتجاهين ظاهرين: أحدهما اتجاه المؤيدين في رجال ألمع وعسير، والآخر اتجاه المعارضين في المخلاف السليماني واليمن. فأما المؤيدون فربما عُرفَ شيءٌ من مواقفهم الفعلية تجاه معارضيهم، وبخاصة لدى نفر من فقهاء عسير[2]. أما من سواهم في رجال ألمع فالظاهر أنهم كانوا يشغلون أنفسهم بشيء من تلك المناظرات، ويدل على ذلك قول محمد بن أحمد الحفظي: «ولم نزل نناضل عن الشيخ[3] ودعوته، ونناظر عن الأمير[4] وطريقته»[5]، وقال في موضع آخر: «وأما أهل الشُّبَه والجِدَال فلا بد من

(١) قد وُجد لدى أئمة الدعوة السلفية بالدرعية ما يسمى بالرسائل والمسائل، وهي في الواقع ضرب من المناظرات والجدل، وبخاصة إذا وجهت إلى أناس يعارضون الدعوة، أو يترددون في قبولها.

(٢) انظر: مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٤) الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٥) اللجام المكين، ورقة ٢.

المحاجة والاستدلال حتى نرى الحَقّ من الضَّلال »[1]، ويبدو أن هذا الموقف من لدن علماء رجال ألمع لم يكن ناجما عن مناظراتهم المذهبية، وإنَّما كان ناتجا عن نشاطهم الواسع في النقاش العلمي، والردود المختلفة.

أما اتجاه المعارضين في المخلاف السليماني واليمن ومن ذهب مذهبهم، فقد برز واضحا في رغبتهم الأكيدة في عقد المناظرات، وفتح مجال الجَدَل والنقاش العلمي[2]، إذ دلت المصادر على حرص أمراء المخلاف السليماني وعلمائه على عقد مثل تلك المناظرات. فقد ذكر لطف الله جحاف أن الشريف حمود بن محمد أرسل يحيى بن حيدر لمناظرة الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي وهو في مكة المكرمة، أثناء اجتماعه بالإمام سعود بن عبد العزيز[3] عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، وقد أضاف لطف الله جحاف إلى ذلك قوله: « قال بعض الناس: حدثني بمكة من حضر موقف المناظرة بين عبد الوهاب ويحيى بن حيدر، وأنه سمع يحيى بن حيدر وهو يقول: الموجب لتأخر حمود اشتغاله لأمر الدين، ومقاتلته للمشركين، وأن عبد الوهاب تكلم بكلام كاد سعود[4]... يحيى بن حيدر »[5]. وكان الدَّاعي لهذه المناظرة رغبة الإمام سعود بن عبد العزيز في سد باب الفتنة بين الشريف حمود والأمير عبدالوهاب المتحمي فيما شَجَرَ بينهما من خلاف سياسي[6].

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٢) محمد محمد زبارة، نيل الوطر، ج٢، ص ٣٢٠.

(٣) كتابه السابق، ورقة ٤٩٢.

(٤) سعود بن عبد العزيز.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٤٩٢، ٤٩٣.

وإذا كان أثر هذه الدعوة السلفية قد وضح فيما وجد من المناظرات بين أمراء الدعوة السلفية ومن سواهم من أمراء تهامة، فإنَّ مناظرة علماء المخلاف السليماني لدعاة الدعوة السلفيين كانت أكثر وضوحا وإثارة، فقد دلت المصادر على أن الشريف حمود بن محمد الحسني بعث القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي لمناظرة الدعاة السلفيين من أهالي المخلاف السليماني الذين عادوا من نجد[1] إلى بلادهم من أجل نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية في ربوعها. وكان الغرض من تسيير هذا القاضي لمناظرتهم أن «يكشف عن حال دعوتهم، وهل هم - كما يزعمون - أهل دين رادع عن الضلالة والجهالة؛ فيكون حمود أول مجيب لنصرتهم»[2]. وقد سار القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي إليهم «وانتصب لمناظرته»[3] أحمد بن حسين الفلقي. وقد ذكر لطف الله جحاف أنهما «اختلفا هنالك أشد الاختلاف، وافترقا عن مباينة ولوم»[4]، وأضاف بأن القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي عاد إلى الشريف حمود بن محمد، وأسرَّ له «ضَلالَ الفلقي، وأنه وإن أدلى بحُجَّة فليس المراد بها سلوك المحَجَّة»[5]. وهذا تحامل دون شك من المؤرخ جحاف الذي كان في الغالب يميل إلى معارضي الدعوة ويؤيدهم.

وقد تكرر مثل هذا من الشريف حمود الحسني تجاه الدعاة السلفيين بالمخلاف السليماني، ويؤيد هذا القول موقف الشيخ حمود نفسه من عرار بن

---

(١) من أمثال: عرار بن شار الشعبي، وأحمد بن حسين الفلقي الذي عاد عام ١٢١٥هـ من الدرعية يحمل مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسالة من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى أهالي المخلاف السليماني. انظر تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٨١ - ٤٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣١٤.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣١٤.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣١٤.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣١٤.

شار الشعبي، وأحمد بن حسين الفلقي وغيرهما حين بعث - كما قال لطف الله جحاف - «عالمه الحسن بن خالد الحازمي؛ ليأخذ له الحقيقة. . . وأن يفتتح بينه وبينهم مناظرة، فإن ألزموهم وإلا ثوروا[1] الحرب»[2]. وإن صَحَّ هذا فقد دَلَّ على مدى معارضة الشريف حمود لهذه الدعوة قبل أن يقع في قلبه تأييدها ونصرتها[3].

وبمثلما نشأ من المناظرات بين علماء المخلاف السليماني ودعاة الدعوة السلفية الأُول، كان ينشأ كذلك شيء من تلك المُنَاظرات بين الفقهاء السلفيين الذين يفدون مع جيوش الدعوة إلى المخلاف السليماني، وبعض علماء تهامة المشهورين. ولكن تلك المناظرات - إن صَحَّت - لا تخلو من الجَوْر والتعسف. ومنها ما رواه لطف الله جحاف أيضا حين ذكر أن الفقهاء الذين وفدوا إلى تهامة سألوا القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي «المُنَاظرةَ، فناظرهم بالحق، فألجموه بالمجادلة. . .، و ألجؤوه[4] إلى السكوت، ورموه بالعِيّ»[5] على حد تعبير جحاف، وهذا إن لم يكن من صنع المؤرخين والرواة، فهو من غُلُوّ بعض أولئك الدعاة وتطرفهم.

وتبرز آثار هذه الدعوة السلفية أيضا في ميدان المناظرات من خلال ما يعقد منها مع علماء نجد حين وفَادة بعض علماء تهامة عليهم في الدرعية، إذ دلت المصادر على أنه جرى بين الشيخ الحسن بن خالد الحازمي والشيخ عبد الله ابن عبد الرحمن أبابطين (١١٩٤ - ١٢٨٢هـ) مناظرة، أشار إليها أحد علماء آل

(١) ثوروا: بدؤوا القتال، وأشعلوا نار الحرب.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣١٤.
(٣) كان ذلك قبل سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م.
(٤) في الأصل «ألجوه».
(٥) كتابه السابق، ورقة ٣١٤.

الحفظي عند تصنيف كتب أسلافه الحفظيين الموقوفة[1]. هذا إلى جانب ما جرى للحازمي في نجد من المذاكرات العلمية، والنقاش الديني المذهبي[2].

ومن المعروف أن الدعاة السلفيين الذين وفدوا إلى اليمن عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م كانوا - فيما يبدو - يجرون شيئا من المناظرات المذهبية والمطارحات الأدبية، وبخاصة الرسل الموفدون من نجد، ولعل ما يدل على ذلك قول لطف الله جحاف في معرض حديثه عن رسل الإمام سعود بن عبد العزيز الذين استقروا في كوكبان[3]. وكان « منهم رجلان من علمائهم، « أحدهما عبدالعزيز بن أحمد بن إبراهيم . . . ، والعالم الآخر عبد الله بن مبارك »[4]، وقد ذكر في شأنهما أن عبد الله بن مبارك الأَحسائي « لما استقرّ هنالك رَغبَ في أدبه أهل كُوكَبَان، ودعوه من مكان إلى مكان، وطارحوه مع عبد العزيز غُرر المسائل »[5]. هذا إلى جانب ما كان يُجرى للعلماء الذين كانوا يفدون على الإمام المنصور وابنه المتوكل من النقاش العلمي والمذاكرة مع علماء صنعاء من أمثال: القاضي محمد بن علي الشوكاني[6]. بالإضافة إلى ما ذكره محمد رشيد رضا عن بعض علماء حضرموت، وأن منهم من حضر المناظرة التي جرت عام ١٢١٨هـ بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة، وقد أشار إلى أن حسين بن محمد الأبريقي الحضرمي قد حضر تلك المناظرة وهو بمكة عندئذ[7]. فقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بأن حسين بن

---

(١) بيان الكتب الموقوفة، مخطوط، وهو لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٧.

(٣) كتابه السابق، ورقة ٤٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٤٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٤٥٢.

(٦) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٨.

(٧) الوهابيون والحجاز، ص ١١.

محمد الحضرمي « حضر مع علماء مكة، وشاهد غالب ما صار »[1]، وأضاف إلى ذلك قوله: إنه كان يتردد على علماء نجد، وإنه كان « يجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة »[2].

وقد نشط مجال المُناظرات بالمخلاف السليماني - إلى حد ما - في منتصف القرن الرابع عشر الهجري حينما ضُمَّت تلك الأنحاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية، فقد وجد بعض علماء تهامة الشافعيين المجال مناسبا لعقد شيء من تلك المناظرات مع القضاة النجديين الحنابلة الذين كانوا يفدون إلى تلك الأنحاء من أجل القضاء والإرشاد، ولعل من أبرز علماء المخلاف السليماني ولعًا بهذا النوع الأدبي الشيخ عبد الله بن علي العمودي الذي أشار إلى شيء من مناظراته ومناقشاته العلمية في بعض مؤلفاته ومختصراته المختلفة[3]، وكل ذلك كان يبعث على اليقظة الأدبية[4].

ومن المناظرات التي عُقدت من أجل هذه الدعوة السلفية مناظرة أحمد ابن إدريس المغربي مع فقهاءَ عسير في سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، حين كانت صَبْيَا تابعة لإمارة عسير في عهد الأمير علي بن مجثل المغيدي. وقد أفاض

---

(١) رسالة لأهل مكة، مخطوطة، ورقة ١٦، رقم ٢٥٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦.

(٣) انظر - على سبيل المثال - رسالة الجواب الوافي من الاعتراض من قاضي أبي عريش عبد الله بن عبد العزيز الجافي، ورقة ١٤٣، وانظر كذلك رسالة الإيراد على بعض مسائل في نصيحة المسلمين في الإرشاد التي هي للشيخ الفاضل عبد الله بن سليمان بن حميد القصيمي النجدي، ورقة ٢٥٥. انظر رسالته المختصرة التي يقول فيها: « وبعد، فقد دارت ما بيننا وبين صديقنا وأليفنا القاضي الفاضل عبد الله بن عبد العزيز النجدي - حماه الله تعالى - مذاكرة علمية...». رسالة مخطوطة غير مرقمة الأوراق.

(٤) قال العمودي كذلك في هذا الميدان: « مذاكرة أدبية مع أخينا القاضي عبد الله بن عودة النجدي...». من مجموع مخطوط، ورقة ٢٥.

الناس في ذكرها، وحرص العلماء والمؤرخون على تدوينها وشرحها، وبخاصة العلماء المتصوِّفون في المخلاف السليماني وتهامة اليمن، ولعل أبرز من عُنِيَ بهذه المناظرة الحسن بن أحمد عاكش الذي كان - فيما يبدو - ذا ميل صوفي محدود، وبخاصة في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، حين كان أحمد بن إدريس موجوداً في صَبْيَا، وربما كان الداعي لتدوين هذه المناظرة وشرحها أن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل قد طلب من الحسن بن أحمد عاكش نسخة منها(١).

ويبدو أن هذه المناظرة قد اشتهرت بين العلماء والمؤرخين في جنوبي الجزيرة العربية، فقد أشار إليها - على سبيل المثال - الشيخ عبد الله بن علي العمودي في كتابه "تُحْفة القارئ والسامع"، وقال بأن القاضي الحسن بن أحمد عاكش دَوَّنَ « تلك المُناظرة في كراسة »(٢)، وقال في موضع آخر بأن القاضي الكبيبي الجوني « هو الذي ناظره شيخ الإسلام أحمد بن إدريس الحسني بصبيا »(٣).

وبمثل ذلك أشار هاشم سعيد النعمي إلى هذه المناظرة في كتابه "تاريخ عسير"، وقال بأن الحسن أحمد عاكش « دوَّن ما جرى فيها ضمن رسالة مستقلة »(٤).

ومن الواضح أن سبب عَقْد تلك المُناظرة بين أحمد بن إدريس وفقهاء عسير ما أنكره بعض طلبة العلم المقيمين في صبيا من أهل عسير، إذ أدركوا

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة بين بين إدريس المغربي مع فقهاء عسير، نسخة جامعة الملك سعود، مخطوطة، ورقة ٢.

(٢) تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع، ورقة ٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٨٩.

(٤) ص ١٨٣.

بعض المخالفات الشرعية التي كانت تجري في حلقة ابن إدريس التعليمية بصبيا، مما دفع الفقيه عبد الله بن سرور إلى كتابة رسالة إلى أمير عسير علي بن مجثل[١]، حَصَرَ فيها جميع ما أنكره على ابن إدريس، فلمّا وعاها ابن مجثل أراد أن يُطلِعَ عليها الشيخ إبراهيم بن أحمد الزمزمي الذي « أرشد الأمير [كما قال عاكش] إلى طي بساط ما في هذه الرسالة وإعدامها بالتمزيق، وأن لا يصغي إلى شيء من تلك المقالة»[٢] . وأضاف عاكش إلى ذلك قوله: إن ابن مجثل لم يصغِ إلى كلام الزمزمي، بل « استخفه مطاوعته مثل الفقيه ناصر الكبيبي »[٣] . وذلك - فيما يبدو - تحامل من عاكش، إذ كان في الظاهر حينذاك شديد الميل الصوفي، الذي نزع عنه فيما بعد. وقد كان من نتائج هذا الخلاف أن الأميرعلي بن مجثل « أرسل بخط إلى السيد محمد بن حسن بن خالد عامل صبيا : أن من قال بهذه المقالة من أصحاب السيد[٤] يُخْرج من صبيا، ويسفّر إلى الجهات البعيدة»[٥]. وهذا دون شك يمثل موقف الأمراء العسيريين، ومدى تأثرهم بالدعوة السلفية.

وقد تجدد باعث ذلك الخلاف بين فقهاء عسير وأحمد بن إدريس حين وفد الأمير علي بن مجثل إلى صبيا عام ١٢٤٨، إذ فضَّل أن يعقد بينهم مناظرة، فقد جمع هذا الأمير « العلماء من أهل المخلاف السليماني والحاضرين في صبيا »[٦]، وقال - كما روى عاكش - : « إني لم أجمعكم إلا وقد علمتم ما نحن

---

(١) عُرف ابن مجثل بنصرته للدعوة السلفية، ومحافظته على مبادئها وتعاليمها.

(٢) مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير، ورقة ٤، ٥.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٥. ويظهر تحامل عاكش واضحا في قوله: « مطاوعته »، « الفقيه ».

(٤) يعني: أحمد بن إدريس.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٥.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٥.

عليه من الدعوة الإسلامية، وإنَّا لم نزل قائمين في تجديد التوحيد، وهدم الشِّرك. وهذه رسالة كتبها المطوع عبدالله بن سرور فيها حوادث جارية، مما ينافي التوحيد، ويقدح في جانب الإسلام وأهله »[1]. وقد دار في مجلس هذا الأمير كثير من النقاش العلمي بين علماء تهامة وفقهاء عسير[2]، إذ قرَّر من بعد ذلك عقد مُنَاظرة بين أولئك الفقهاء العسيريين وأحمد بن إدريس، وقال: « لا نقر أحدًا في بلادنا على البواطل[3]، وحَبْل الدين متين »[4].

وقد بدأت المُناظرة في مَحْفل من العلماء والأهلين، بمثلما اعتاده المتناظرون من المقدمة، والاستهلال، والتقسيم[5]، والمحاورة، والجَدَل، فقد قال عاكش بأن الكبيبي بدأ مناظرته « بخُطْبَة في الوعظ.. وثنَّى بدعوة النجدي »[6]، وبأن « براعة استهلال كلامه أن الناس كانوا في جاهلية يعبدون الأصنام، ويستحلون المحرمات، فتجرد للدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب... »[7].

« فقال السيد أحمد: صواب الكلام، فبعث الله رسوله محمد بن عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأنه هو الذي أنقذ الناس من الجهالة، وتحمَّل أعباء الرسالة، وشرّع شرائع الإسلام.

فقال الكبيبي: محمد بن عبد الوهاب مجدِّد الإسلام.

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٥، ٦.

(٢) عدّد عاكش في مقدمة هذه المناظرة عددا وافرا من العلماء وطلبة العلم.

(٣) كذا في الأصل، ورقة ٨.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٨.

(٥) أحمد الشايب، كتابه السابق، ص ١٠٠.

(٦) مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير، ورقة ٨.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ٨.

واورد هذه المسائل التي نقلها الأمير عباس رضي الله عنه وعن أصحابه عليه وبعدا استفسر بجوابها استدعا الأمير بجميع العلماء من أهل المخلاف والحاضرين فجيبا فمن من حضر من أعيانهم السيد العلامة يحيى ابن محسن النعمي والسيد العلامة علي ابن محمد العقيلي الحازمي والسيد العلامة عيسى ابن علي والقاضي العلامة عبدالله بن محمد السبعي والقاضي العلامة احمد ابن علي والسيد العلامة احمد ابن علي عودان والسيد العلامة اسماعيل ابن شبير والسيد العلامة علي ابن محمد الشوش والسيد الفاضل حسن ابن محمد ابن عبده والفقيه محمد ابن عبده الحازمي وغير ذلك من فقهاء البلد وكنت ممن الزم بالحضور في ذلك المجلس فحضرت فلما حضر هؤلاء بين يدي الأمير استدعى بعضها ثم حضر ثلاثة وهم ناصر الكبيبي وعبدالله بن سرور وعباس ابن محمد الرفيدي وقال الأمير ما معناه اني لم اجمعكم الا وقد علمتم ما عزمنا عليه من الدعوة الاسلامية وانا لم نزل قايمين في تجديد التوحيد وهدم الشرك وهذه رسالة كتبها المطوع عبدالله بن سرور فيما هو ذات جاية مما بيننا في التوحيد وبينه ح [illegible]

من مناظرة ابن إدريس مع فقهاء عسير

فقال السيد أحمد: لا ننكر فضله ولا مقصده الصالح فيما صنع. وقد أزال بدعا وحوادث، ولكن شاب تلك الدعوة بالغلو، وكفّر من لا يعتقد في غير الله - تعالى - من أهل الإسلام، واستباح دماءهم وأموالهم بلا حُجَّة.

فقال الكبيبي: ما فعل إلا ما هو صواب[1].

فقال السيد أحمد بن[2] إدريس: هو عالم من العلماء، والعصْمة مرتفعة من غير الأنبياء، وهو يخطئ ويصيب، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وهو معفو عنه في خطئه[3]، ولكن لا يحل لكم التقليد له فيما أخطأ فيه؛ لأن ذلك هو ما كلَّفه الله - تعالى - على مبلغ علمه، وأنتم لجهلكم بمعزل عن أخذ دليله، ومعرفة مَهْيَع سبيله.

فقال الكبيبي: الشِّرْك الأكبر قد عَمَّ الأقطار كلها، والناس كلهم قد ارتدوا عن الإسلام في المشرق والمغرب واليمن والشام، ولولا أن الشيخ محمداً جدَّد الإسلام لكان الناس في ظلمات الكفر.

فقال السيد أحمد: مَعَاذ الله - تعالى -! ما كان الشيخ محمد مَذْهَبه هذا، أنت رجل حديث السن، وأنا عرفت في مكة سعود بن[4] عبد العزيز، وعلماء حضرته أولاد الشيخ محمد بن[5] عبد الوهاب، عبد الله بن محمد، وأخوه حسين وسليمان، وهم علماء يعرفون الحُجَّة، ويلتزمون اللوازم عند واضح المحجة، ولم يكن اعتقادهم ما أنت عليه، وهم مبرؤون مما تنسبه إليهم . . .

---

(١) لم يوفق الكبيبي للرد، إذ كان المفروض أن يبين وجهة نظره، ثم يثبت حُجَّتَه من بعد ذلك.

(٢) في الأصل «ابن».

(٣) في الأصل «خطايه».

(٤) في الأصل «ابن».

(٥) في الأصل «ابن».

فقال ناصر[1]: هذه المشاهد والقِبَاب الموضوعة في اليمن، إنَّما هي للاعتقاد في أهلها.

فقال السيد أحمد: لا شك أنه وقع من كثير من العامة، ومن هو قريب منهم من الخاصة شيء من العقائد المفضية إلى الشِّرْك، وتنوسي الشرع المحمدي بسبب إهمال الملوك لذلك، وعدم استماعهم لإرشاد أهل العلم، والدنيا مؤثرة في كل زمان ومكان. . . ، وأمَّا القِبَاب والمشاهد فهي بِدْعة منافية للشرع المحمدي، لم يحدثها على القُبُور سوىَ جهلة الملوك من غَير مشاورة لعالِم، والباطل لا قيد له »[2].

وقد استمر النقاش الديني بين أحمد بن إدريس وناصر الكبيبي محتدا يثيره وضع الحوار الذي كان ينشأ بينهما، ولكن عاكشا - فيما يبدو - كان ذا ميل واضح نحو ابن إدريس بحجة تصويره لمواقف الكبيبي الكلامية واقتضابه لجوابه والتهوين من شأنه في القول والمقام، فتراه يقول مثلا: « قال ناصر »، « فوَجَمَ ناصرُ، وأحصرَ عن الجواب ». وهذا القول في الواقع يدل على التقليل من شأن الكبيبي لَدى عاكش راوي هذه المُناظرة ومدوِّنها، ولا غرو في ذلك؛ فموقف عاكش عندئذ يخالف موقفه من هذه الدعوة فيما بعد.

ومهما يكن من أمر فقد مضى عاكش يصور حال المُتَنَاظِرَيْن، ويورد حوارهما وجدالهما المستمرين، إذ قال:

« ثم قال ناصر: أنت تعتقد نِحْلَةَ ابن[3] عربي، وهو يقول بوحدة

---

(١) ناصر الكبيبي.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٨، ٩.

وهذا يخالف ما عرفته تهامة من القباب والمساجد التي تبنى على القبور، ومنها قبر ابن إدريس نفسه الذي لم تهدم مشاهده إلا في القرن الرابع عشر الهجري.

(٣) في الأصل «بن».

الوجود . . . ، فقال السيد أحمد : هذا ابن [1] عربي توفي في سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وبينك وبين زمانه فوق الخمسمائة من السنين ، فهلاً شافهك بهذه المقالة حتى تهتك ما حرم الله ـ تعالى ـ عليك من رَمْي مسلم بالكُفْرِ ، ونحن من إسلامه على يقين ، فلا ننقل عنه إلا بمثله .

قال ناصر : هذا الاعتقاد مذكور في كتبه صريحا .

قال السيد أحمد : وما أدراك أنه قائله ، والاحتمال قائم . . .

فقال ناصر الكبيبي : وأنت ـ يا أحمد ـ يُقَبِّلون يديك ورجليك ، [ويخضع] لك أصحابُك خُضُوعا لا يستحقه إلا الله تعالى . وهذا عين الشِّرك والتذلل عن العبادة ، والعبادة لا تصح لمخلوق »[2] .

«قال السيد أحمد : إن كنت متقيِّدا بالشرع المحمدي فاسمع ما أقول لك »[3]، حيث انطلق ابن إدريس في حديث طويل حول جواز تقبيل اليد ، والتفريق بين العبادة والتعظيم[4] ، ثم بادره ناصر الكبيبي[5] بعد إسهاب ابن إدريس الطويل بقوله : « أما نحن فعندنا مثل هذا شِرك » .

فقال السيد أحمد : سُبحان الله تعالى ! أورد لك الأدلة كتابا وسنةً ، وتقول : شرك؟! هذا من الضَّلال البعيد . فاستشاط ناصر من الغيظ ، وقال : إن الشِّرك تحت هذه العِمَامة ، فتبسَّم السيد أحمد ، وقال : إن كان الشِّرْك ما في

---

(١) في الأصل «بن».

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٩ ، ١٠ .

(٣) مناظرة ابن إدريس مع فقهاء عسير ، نسخة هاشم سعيد النعمي ، ورقة ١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١٣ ، ١٤ .

(٥) كان ناصر الكبيبي يمثل جملة من فقهاء عسير الذين حضروا من أجل هذه المناظرة ، وربما كان معظمهم من الدارسين وطلبة العلم المقيمين في صبيا عندئذ .

اعتقادك فلا يضرنا نسبته إلينا، وإن كان باعتبار ما عند الله فنحن على قدم راسخ من التوحيد. . . ، ثم قال ناصر: وأنت ـ يا أحمد ـ تفسِّر القُرآن بغير ما دلَّت عليه لغة العرب، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[1]. وهذا تحريف لكتاب الله تعالى.

فقال السيد أحمد: حَاشَ الله أن نفسِّر القرآن بغير مدلوله الظاهر منه، وهذه تفاسيرنا للآيات معروفة، ونحمل النصوص على ظواهرها من اللغة العربية. . . »[2].

ويطيل ابن إدريس الجواب، ويتحامل عاكش على الكبيبي كعادته، فيقول: « فسكت الكبيبي، ولم يهتد لجواب، ثم قال: وأنت ـ يا أحمد ـ تُميتُ صلاة العَصْر وتؤخِّرها عن وقتها، وهذا لا يصح.

فقال السيد أحمد: هذا لا نعتمده ولا نقصده حتى يكون من إماتة الصَّلاة، ولا ندخل في الصَّلاة إلا في وقتها المضروب، لكن يقع التطويل فيها، كما هو الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ . . . »[3].

ويبدو أن فقهاء عسير الآخرين قد كانوا يشاركون عندئذ في هذه المُنَاظرة، فقد ذكر عاكش أن عبد الله بن سرور كان ينبِّه الكبيبي إلى ما فاتَ عليه ذكره من المسائل التي أعدَّها للمناظرة، وذلك مما دوِّن في الرسالة الأولى التي سبق رفعها للأمير علي بن مجثل، إذ قال عاكش: « فسكت الكبيبي، فقال له عبدُالله بن سرور: نسيت ما عليه أصحابه، وكانت النسخة في يده. . . »[4]،

(١) من الآية ٣ من سورة الزخرف.

(٢) المناظرة، ورقة ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٦، ١٧.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٨.

وقد أجاب ابن إدريس على ما احتج به عليه الكبيبي في هذه المسألة، ومسألة أخرى، ثم ختم عاكش روايته لهذه المناظرة، بقوله: « وقد دنت الشمس للغروب، وبقيت في النفس أشياء، فقال له[1] السيد الطيب بن محمد: إن غربت أتينا بالفوانيس والسرج، وتمم اعتراضاتك...، فما أصغَى لذلك سمعا، بل قام من الموقف، وتفرق الجميع، وأذن المؤذن للمغرب، وتقدم السيد، وصلى بالناس »[2].

ومن هذه المناظرة يتبيَّن أثر الدعوة السلفية في إيقاظ الفكر السلفي بتلك الأنحاء، وإحياء مثل هذه المناظرات التي لم تكن معهودة من قبل في تلك البلاد بمثل هذه الصورة الجدلية المذهبية، كما بيَّنت موقف علماء عسير وأمرائها من هذه الدعوة، وأنهم ظلوا متمسكين بمبادئها، رغم ضعف الاتصال السياسي عندئذ بنجد، إلى جانب الوضوح السلفي الذي كان يصدر عنه الفقيه ناصر الكبيبي، وما اتسم به نقاشه من روح سلفية جادة.

ولكن يؤخذ على عاكش موقفه المتحامل من الفقيه ناصر الكبيبي والذين معه من فقهاء عسير، وتسميتهم بالفقهاء والمطاوعة، فقد تبين ذلك كما قيل من قبل في تتبعه للضعف الجدلي عند الكبيبي، ومحاولة وصف موقفه بالضعف والفتور رغم نشوء بعض المواقف لدى أحمد بن إدريس التي تنم عن إحساسه بالحقيقة التي يُحَاجّه من أجلها الكبيبي، وذلك في مثل قول الكبيبي: إن ابن إدريس يعتقد نحلة ابن عربي، إذ بدا على ابن إدريس الإحساس بالواقع الصوفي الذي ينهجه عندئذ، إلى جانب وجود بعض الإشارات الكلامية التي تدل على موقف ابن إدريس من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه قد

(١) يعني ناصر الكبيبي.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٢، نسخة هاشم سعيد النعمي، وقد أراد بـ« السيد »: ابن إدريس نفسه.

كان يسلك سبل معاصريه العلماء الذين وقفوا من هذه الدعوة موقف المعارض؛ لما يظنونه معروفا لديهم[1]. وإلا فما اتهم به ابن إدريس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته في أول مناظرته يشير إلى موقفه من هذه الدعوة، وبخاصة حينما قال: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب «كفَّر من لا يعتقد في غير الله من أهل الإسلام» وبأنه «استباح دماءهم وأموالهم بلا حُجَّة». وهذا أمر باطل قد فرغ منه، وقد تبين وجه الحق، وما كان عليه موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذه الافتراءات[2]، وإذا كان قد صدر مثل هذا من لدن بعض الغلاة الذين اندسوا في صفوف الدعوة، فهذا ما لا يصح أن ينتقد به صاحب هذه الدعوة، رحمه الله.

ويتبين واقع الحياة العلمية في المخلاف السليماني، وما كان عليه علماؤه من اليقظة الفكرية ذات الاتجاهات المختلفة، كما دلت هذه المناظرة على طبيعة الحياة الاجتماعية حينما تعرَّض عاكش لوصف مجلس المناظرة وتفرُّق الناس، ومغيب الشمس، ثم عودة خاصة ابن إدريس إلى منزله بعد ذهاب الناس، إلى جانب مجالسة ابن مجثل لابن إدريس فيما بعد، وكانت تلك النهاية التي ختم بها عاكش روايته لهذه المناظرة توحي بحسن التخلص، وجمال الأسلوب، وبخاصة في ذلك الموقف الذي تفرق فيه الناس.

ولعل ما يشير إلى ملامح الأسلوب في هذه المناظرة ما تجلى في مضمونها من حوار متفاوت بين الأسلوب الشفوي القلق، وبين الأسلوب الموضوعي

---

(١) ولم يكن هذا شأن ابن إدريس فحسب، وإنما هو شأن كثير من معاصريه الذين أدركوا الحقيقة، ولكنهم حادوا عنها.

(٢) يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أما القول: إنَّا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان مبين». مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، «الرسائل الشخصية»، ص ١٠١.

الجاد الذي برز بوضوح في مقدمة المناظرة، وربما وافق أسلوب التعبير في هذه المناظرة ما اعتاده المتناظرون في أساليبهم المعهودة في الأدب العربي من حيث: « استخدام الأسلوب الخطابي »[1]، والحرص على الإفادة من الألفاظ الاصطلاحية المناسبة لموضوع المناظرة[2]، إلى جانب الابتعاد عن « الغلو والصنعة »[3]، وما يدعو « إلى السخرية والسقوط »[4] في أثناء إبراز الحُجَّة وإيضاحها، بالإضافة إلى احتواء هذه المناظرة على الأدلة والبراهين من الكتاب الكريم والحديث النبوي، والتراث الإسلامي[5]، حيث يحتاج كل من المتناظرَيْن في هذا الحال إلى إثبات الحُجَّة، واستنباط الدليل، وكلُّ ذلك كان لا يدع للمتناظرين فرصة التكلف في البدَيع، والتلاعب بالألفاظ، إلا ما أتى بطبع دون تكلف، وذلك من أجل جدية المواقف، وما يلزمه من سرعة البديهة والجواب، فتلك مجالس تغص بالعلماء والأهلين، وذلك واضح في هذه المناظرة.

---

(١) أحمد الشايب، كتابه السابق، ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٥) محمود رزق سليم، كتابه السابق، مج ٦، ص ٤٩.

الفصل الثالث

سمات هذا النثر وخصائصه الأسلوبية

من المعروف أن النتاج الأدبي في معظم المراكز الفكرية ببلدان جنوبي الجزيرة العربية قبيل ظهور الدعوة السلفية فيها؛ يكاد يتشابه في كثير من السمات المعنوية وأساليب التعبير واللغة، وبخاصة في مجال النثر، وربما نجم ذلك عن الحال الفكري بتلك الأجزاء، وما كان عليه المستوى الأدبي حينذاك من الضعف والركود، ولعل خير ما شهدته الجزيرة العربية في عهودها الأخيرة الماضية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، فقد نجم عن ذلك يقظة سلفية جادة عاد الناس بسببها إلى واقع متميز واضح، إذ تخلصوا مما كان قد حَل بدينهم من فساد المعتقد، ومما أصاب مجتمعاتهم من الفرقة والخلاف، هذا إلى جانب المستوى الفكري والأدبي بخاصة، الذي أضحت عليه بلدانهم من بعد ذلك.

وربما كانت بلدان جنوبي الجزيرة العربية من أكثر هذه البلدان تأثرا بهذه الدعوة السلفية؛ وذلك لما كان عليه حالها من الاختلاف المذهبي، والاتجاه الديني، فقد نشأ بسببها يقظة فكرية نشطة بَانَ أثرها فيما وُجدَ من صراع فكري ونتاج أدبي مستمر، فقد أذكى انتشار هذه الدعوة الإصلاحية عندئذ روح النشاط الأدبي بين الأدباء المؤيدين ومن سواهم من المعارضين بتلك الأنحاء، مما جعل الأنواع النثرية بخاصة تشهد مضامين جديدة لم تكن تعهد مثلها من قبل، وذلك في مجال الرسائل، والخطابة، وفي الوصايا، والمُنَاظرات[1]

---

(١) ويمكن أن يضاف إلى هذه الأنماط الأدبية بعض كتب التاريخ والمصنفات الأخرى، وبخاصة تلك =

ونحوها، بالإضافة إلى أساليب التعبير التي كانت تنقل بها تلك المعاني. وهذا ما جعل لهذا النثر بتلك الأنحاء في ظلال هذه الدعوة السلفية شيئا من السمات المعنوية، والخصائص الأسلوبية.

أولا : السمات المعنوية

يدرك الباحث في النثر الأدبي بهذه الأجزاء من جزيرة العرب وضوح أثر هذه الدعوة السلفية في كثير من النماذج النثرية المختلفة، وذلك لما تميز به هذا النتاج الأدبي من المضامين الجديدة ذات الملامح الفكرية المتميزة، فقد اتسمت تلك المضامين النثرية بخصائص معنوية بارزة لم تكن معهودة من قبل في أدب هذه الأجزاء من جزيرة العرب.

ويمكن توضيح هذه المعاني الجديدة فيما برز من اتجاهات أدبية مستحدثة، واكبت هذه الدعوة السلفية، ونشأت من أجلها، فقد كان النثر الأدبي من قبل لا يكاد يخرج عن المضامين التقليدية المعهودة ذات الملامح الأسلوبية واللغوية المتكلفة، ولعل من أهم تلك الاتجاهات الجديدة المستحدثة: الاتجاه السلفي الذي برز بوضوح في معظم الأنواع المعروفة، إلى جانب الاتجاه الوطني[1] الذي ناهض الترك والمصريين. ومن سلك نهجهم من المعارضين لهذه الدعوة من خارج الجزيرة العربية ومن داخلها. هذا بالإضافة إلى الاتجاه الوجداني الذي برز في بعض الأنماط النثرية التي نشأت بدافع الألم والحنين، وذلك حين كان أولئك الكُتَّاب يخرجون إلى البلدان المجاورة من أجل نشر الدعوة،

= المؤلفات التي تأثرت بأساليب علماء الدعوة وأدبائها، إلى جانب كتب التاريخ الوافرة التي شملت أخبار هذه الدعوة ونشاطها.

(١) الواقع أن الاتجاه الديني والوطني شيء واحد، كما يعتقده المسلمون، وكما يعتقده أبناء هذه البلاد بعامة، وإنما ذكرنا هذا ليفهمه الآخرون.

أو حينما يشرَّدون من قبل أعدائهم إلى خارج الجزيرة العربية بسبب ولائهم لهذه الدعوة ونصرتهم لها .

الاتجاه السلفي:

الحق أن هذا الاتجاه السلفي الذي برز في النتاج الأدبي بهذه المنطقة يعد من آثار الدعوة السلفية في أدب هذه الأنحاء، إذ لم تعهد هذه الأجزاء من جزيرة العرب في القرون الأخيرة الماضية تياراً إصلاحياً يشبه هذا التيار السلفي، فقد كانت البلاد عندئذ تجتر موروثها الأدبي من خلال أنماط نثرية معروفة، ولكنها حينما استوعبت مبادئ هذه الدعوة، وأدركت جدوى ظهورها، أضحت تشهد صحوة فكرية في واقعها العلمي والأدبي، إذ كان لا بد لها عندئذ من مجال أدبي تبسط من خلاله أفكارها وأهدافها الإصلاحية، إلى جانب ما واجه تلك المبادئ الإصلاحية من الآراء المعارضة التي كانت تحتاج في الغالب إلى نقض وتوضيح ذلك عن طريق الألوان النثرية المعهودة؛ ولذلك فقد أحدثت تلك الخلافات في وجهات النظر شيئا من الصراع الفكري الموسوم بالروح السلفية .

ويمكن تمييز هذا الاتجاه السلفي من خلال أنماط النثر الأدبي المعروفة التي واكبت أحداث هذه الدعوة الإصلاحية من : رسائل وخُطب ومُنَاظرات ونصائح دينية ، فلكل من هذه الألوان النثرية نصيب من التأثير السلفي الإصلاحي. ويُدْرَكُ ذلك الاتجاه فيما كان يحرره الكُتَّاب من نماذج أدبية في تهامة وعسير واليمن، إذ كان الدعاة السلفيون في هذه البلدان يصدرون في نتاجهم الأدبي عن روح سلفية واضحة .

ويبرز هذا الاتجاه جليا في رسائل الأمراء الديوانية، حين اضطلعوا بمهام

نشر تعاليم الدعوة السلفية، فقد كانت تلك الرسائل تصدر عن روح سلفية واضحة، إذ يتجلى مضمونها فيما يدعو إليه أصحابها من تطهير الاعتقاد، وإخلاص التوحيد لله تعالى، فقد ورد في إحدى رسائل عبد الوهاب بن عامر المتحمي أمير عسير قوله: «... فقد وصلنا إلى هذه الجهات ندعوكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله، أولها التوحيد قولا وعملا واعتقادا، ثم قبول توابعه من الفرائض، وترك الشرك جليا وخفيا...»[1]. وهذا الوضوح السلفي يشير إلى وجود هذا الاتجاه الجديد في أدب الرسائل الديوانية منذ أضحت سبيلا لبسط أفكار الدعوة ونشرها.

وبمثل هذا النهج السلفي أصبح الكُتَّاب اليمنيون - فيما بعد - يدركون جدوى هذه الدعوة الإصلاحية، حينما رأوا نشاطها في البلدان المجاورة لبلاده، وفي المحيط السياسي لأئمة اليمن، فقد حرَّر من أجل ذلك القاضي محمد بن علي الشوكاني رسالة ديوانية، ضمَّنها رغبة إمام اليمن عندئذ في الإصلاح الديني الذي رآه حينذاك سبيلا قويا لمضاهاة الإصلاح السلفي الذي أحيته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان تهامة[2]، فقد وصف محمد بن حسن الشجني هذه الرسالة بأنها رسالة «في نشر العدل وإزالة البدع»[3]، ومما قاله الشوكاني في هذا المجال: إنّ الإمام المنصور «رجَّح نظره الشريف المؤيّد بالفلاح والنجاح، وجزم رأيه العالي المنيف المؤسس - إن شاء الله تعالى - على الخير والصَّلاح، أن جميع رعاياه في جميع الأقطار، وكل من شملته دعوته المباركة في الأنجاد والأغوار، ليس عليهم من المطالب إلا ما أثبته

---

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٤٦.

(٢) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٤٤٠.

(٣) كتابه السابق، ورقة ٧٣.

الشرع الشريف. . . فليَطّلع حُكَّام الجهات على ما رسمه إمامنا، وأمر بإنفاذه، وسمعناه منه، كما يقتضيه تنفيذه الشريف على هذا، وعلى كل حاكم أن يقرأ هذا على رعية القطر الذي هو فيه، ويجمعهم، وينقل لأهل كل قرية صورة بخطه وعلامته لتبقى بأيديهم مستمرا يدفعون بها ظلم كل ظالم وجور كل جائر »[١].

وهذا الاتجاه السلفي في رسائل أئمة اليمن الديوانية يدل على أثر هذه الدعوة الإصلاحية في وضوح مثل هذه الخصائص المعنوية في ميدان الرسائل الديوانية بتلك الأنحاء، إذ لم تشهد بلاد اليمن في تلك الفترة مثل هذه المظاهر الإصلاحية.

ويبرز هذا الاتجاه السلفي جليا في رسائل الأمراء العسيريين الديوانية التي كانت تصدر عندئذ بروح سلفية متميزة، وربما برز هذا الاتجاه بوضوح في رسائل الأمير علي بن مجثل، وعايض بن مرعي، ومن سَلَكَ مسلكهما، وسار على منهجهما. ومما يُمثِّل الاتجاه السلفي لدى الأمير علي بن مجثل قوله في إحدى رسائله إلى الشريف محمد بن الحسن: « فلا شَرَطنا عليهم شيئا في القاعدة من أمر الدنيا، إلا أنَّا قيدناه بشرط الاستقامة على ما يُرضي الله، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتعلم أن الأمر بالمعروف ما هو حاصل منهم. . . »[٢]. أما الأميرعايض بن مرعي، فقد وضَّح هذا الاتجاه في رسالته التي بعث بها إلى والي جدة، ومنها قوله: « . . . وقصدنا تطهير بيت الله الحرام، وإقامة شرائع الإسلام، ونصرة المستضعفين من الأنام، وقمع أعداء الله الطغاة الطِّغام، الناقضين من عرى الحق الأحكام، المغيِّرين شريعة المصطفى، النابذين ملة سيِّد السادات الحنفاء، وما كان عليه الأربعة

(١) المصدر نفسه، ورقة ٧٣، ٧٤.

(٢) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٨٠.

الخلفاء. . . »[1]، وهذا النمط النثري يمثل روح الإصلاح، وما دَرَجَ عليه أمراء عسير في رسائلهم من التركيز على نصرة الدين، والمحافظة على نهجه السلفي القويم، المتمثل في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه الأمين. وليس هذا الوضوح السلفي قاصرا على رسائل هذا الأمير فحسب، وإنما هو بارز في رسائل الأمراء المحافظين على مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية في تهامة وعسير.

وبمثلما بَرَزَ هذا الاتجاه السلفي في الرسائل الديوانية بتلك الأنحاء، برز كذلك في الرسائل الإخوانية، حيث غَلَبَ على الكُتَّاب عندئذ الروح السلفية المتميزة، ولعل علماء آل الحفظي الأول خير من تميَّز بهذا الاتجاه، إذ بدأت رسائلهم تتخذ منهجاً سلفياً واضحا لم يكن معهودا من قبلُ في مكاتباتهم الأدبية، ويتضح ذلك في رسالة بعث بها أحمد بن عبد القادر الحفظي إلى ولده محمد بن أحمد الحفظي، وهو يتلقى العلم في المخلاف السليماني[2] عندئذ، إذ قال: « . . . والوصية بتقوى الله ودوام مراقبته، وبذل النَّصيحة للأمير والمأمور، وإظهار الدين الذي عليه خير القرون، ومجانبة المحدثات. . . »[3]. وقد أخذ الحفظي في رسالته هذه يؤكد النُّصح، ويكثر التحذير من التهاون في أمور الدين، والميل إلى محدثاتها، فقد رَبَطَ نُصحه هذا بما يقتضيه حال الولاء لمصدر الدعوة السلفية نفسها بالدرعية، وما ترمي إليه من صلاح المعتقد، ونبذ البدع ومحدثاتها كما قال في رسالته.

وقد غلب هذا الاتجاه السلفي على معظم رسائل عُلماء آل بكري التي

---

(١) محمد بن عبد الله آل زلفة، مقاله السابق، ص ١٢، ١٣.

(٢) يعتاد العلماء بتلك الأنحاء بعث أبنائهم لطلب العلم خارج بلدانهم.

(٣) رسالة مخطوطة توجد لدى الباحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن احمد الحفظي الى الاخ عبدالله بن سعود جعله الله عبدًا لله فذاك اعظم الشرف واعلى الجاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد حمد الله المولف بين الارواح على بعد الديار وتنائي الاشباح فانها صحبتنا لخبة [illegible] في الله ومعاهدة ومراسلة الكتب ومواصلته في السوال عنكم وما انتم عليه اسعفا الله عنكم كل سالم ونحن بحمد الله وشكره لديكم في خير وعافية وصلنى من والدكم الامام سلمه الله تعالى كتابين جهة كتب في [illegible] ونحن كتبنا في ذلك رسالة قراناها وكررناها والامر على السمع والطاعة منطوية على حب هذه الدعوة واهلها وتحقيقها الا الناس وسابقتهم فصلها وان كنا الى غيرنا [illegible] فما ان ندعوهم الى التوحيد او الكلمات منهم والمرتد نغريه بالداخل منه ونكون للمطلوب نعاود به ونصرح بالشهادة ان هذه الدعوة صريح الشهاده وان التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة وان كنا في قبل لفي ضلال مبين والحمد لله رب العالمين واعلمك الامر عندنا الى لما كتبنا الى من ابيكم الامام فيه تلزم علي ان ازل مع الاخ محمد ابو الكتاب سلمه الله فامتثلت الامر وسارعت اليه ونزلت باهلي في الثغر اظهارًا للطاعة له والموالاة وابتغاء الثواب وعاداه ولكن اعلم يا اخي ان تلك البلاد غير مناسبة لنا بل يحصل منها ضرر نخشى منه الهلاك مع مفارقة الاهل والوطن شيخ الى شيخ كبير وبرهم واجب مقدم على الجهاد والنفير والحقته بهذا ضرر بيّن والكافي [illegible] به مني لاجل سفره عنه محرم اجماعا والاحاديث في فضل البر والشفقة كثيرة جدًا وانتم اهلها ومحلها وما جزاء من يحب الاخ وانتم اصحابنا واخواننا وخير مقامنا اخلانا لم يحصل لنا منكم الا الخير الكثير والحشمة والتعزيز فنرجو الرضا الي والاصلاح في التوجه على ابيك ان يعاملني بالرفق ويعيدني الى وطني سالما فانت تفضل اشفع لي فيه واجرك في هذا على الله سبحانه [illegible] في هذا [illegible] وبكتابك مغبوط بحبك وهذا اوان انقطع مع [illegible]

رسالة الشيخ أحمد بن عبدالقادر الحفظي إلى

ولده الشيخ محمد بن أحمد الحفظي

كانت تحرَّر من قبلهم إلى أمراء عسير، ومن سواهم في تهامة واليمن، فقد سيطر على مضمون الرسائل الشعور السلفي الجاد الذي يشد الناس إلى صلاح المعتقد، والعودة بالمسلمين إلى الكتاب والسنة، ويتضح ذلك في الرسالتين اللتين بعث بهما: محمد بن عبد الهادي بن بكري، وإسماعيل الحفظي إلى أمير عسير عبد الوهاب بن عامر المتحمي، حول ما وصلهما من أخبار النصر الذي أحرزه هذا الأمير، حيث طفقا يشرحان له فضل الله عليه بالنصر، وما يلزم هذا الظَّفر من الثناء لله تعالى، والقيام بواجب عبادته خير قيام، والتمسك - كما قالا - بالكتاب الكريم والسنة النبوية[1]، ولا غرو في ذلك؛ فقد كان علماء آل بكري برجال ألمع يتعهدون أمراءهم بالنصح والإرشاد، فقد دلت المصادر على أنهم في هذا الجانب كانوا لا يداهنون في الحق، مما يشير إلى وضوح هذا الاتجاه السلفي في عقيدتهم، ومن أمثلة ذلك قول أحد علمائهم في معرض حديثه عن الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي، وقد تجهَّز للجهاد من أجل نشر الدعوة: «ولمَّا تحقق عندي عزمه، وصحت نيته وحزمه، تكلفت الوصول إليه، واستظهرت ما عنده ولديه، حتى تطيب النفس بصلاح النية، فإن على دين الرَّاعي يكون دين الرَّعية. . . ، فظهر منه ما وافق وطاب، وطابق مقتضى السُّنَّة والكِتَاب»[2].

وليس هذا الاتجاه السلفي مقصورا على من ناصَر الدعوة من علماء رجال ألمع فحسب، وإنما هو ظاهر في رسائل من سواهم من علماء تهامة وعسير، ولعل ما يؤيد هذا القول رسالة الشريفين: يحيى بن درع، ومحمد بن يحيى إلى نفر من علماء آل الحفظي، إذ قالا في رسالتهما هذه: «. . . ولا والله

(١) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ص ١٢ - ١٣.
(٢) ورقة مخطوطة توجد لدى الباحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على من بلغ البلاغ المبين وعلى آله
وصحبه أنصار الدين وعلى من تبعهم بإحسان خصوصًا إمام هذا الزمان
أما بعد فإن الجهاد ذروة الإسلام وسنامه ومنار الدين
وأعلامه ندب إليه الكتاب العزيز وتكررت فيه الآيات بما فهمه
أهل التمييز ورتب الله على ذلك من الثواب ما لا يدخل تحت حساب
فيا لغنيا للمجاهد وبشراه ومن أوفى بعهده من الله ثم إنه ورد
في فضله وثوابه ووجوبه بأسبابه من الأحاديث النبوية والأخبار
المصطفوية ما يهون عليه بذل الأرواح والنفوس ويخف عنده
إنفاق النفيس والمنفوس وكم له من رتب عالية وسلعة الله
غالية ولما كان في شهر شعبان المعظم بالليلة التي يفرق فيها
كل أمر حكيم ويبرم انتدب للخروج إلى الجهاد واحتسب
بجمع الجموع والأجناد الأخ في الله والحبيب في دين الله الإمام عبد الوهاب
ابن عامر عمر الله به أركان الدين وجعله من المنهج المقتدين
بسيرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى الأمراء
في كل ناحية وندب الجيوش من كل بادية ولما تحقق عندي عزمه
وصحة نيته وجزمه تكلفت الوصول إليه واستظهرت ما عنده
ولديه حتى تطيب النفس بصلاح النية فإن على دين الراعي تكون
دين الرعية وقد ورد أيضًا كما تكونوا يولى عليكم فظهر منه ما
وافق وطاب وطابق مقتضى السنة والكتاب وفي حديث الثلاثة
الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة أنه لا عبرة بالسيرة بل بالسريرة
وفي الحديث الذي في صحيح البخاري في قوله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية

من آثار علماء آل الحفظي

برجال ألمع

نعلم أن به طائفة في الأرض تدعي[1] إلى التوحيد إلا هذه الطَّائفة. وهذا من فضل الله علينا جميعا بالثبات على الإسلام»[2]، وليس أدل على هذا الاتجاه السلفي من حرص هذين الشريفين على التمسك بأهداب الدين، والثبات عليه.

أمّا وضوح الاتجاه السلفي في بقية الأنواع النثرية الأخرى؛ فقد برز من خلال نماذج تلك الأنماط التقليدية في ميدان: الخطابة، والوصايا، والمُناظرات. فأمَّا الخطابة فقد تجلى فيها هذا الاتجاه السلفي حين كان قائلوها يصدرون عن روح سلفية واضحة، ومن ذلك قول أحمد بن عبد الخالق في خُطبته التي ألقاها بين يدي السلطان العثماني عبد العزيز بن محمود في إستانبول بتركيا عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م: «... ونحن - ولله الحمد - من أهل السنة والجماعة نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ، ونقيم الصَّلاة، ونؤتي الزَّكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت الحرام، ونؤمن بأركان الإيمان الستة...، ونقيم الجمعة والجماعات»[3]، مما وَسَمَ هذا الاتجاه الديني بكمال الاتباع السلفي الواضح الذي يغاير بعض الاتجاهات الدينية المعروفة في جنوبي الجزيرة العربية.

أمّا وضوح هذا الاتجاه السلفي في مضمون الأنماط النثرية في ميدان الوصايا والنصائح الدينية، فقد وضح كذلك في قول أحمد بن عبد القادر الحفظي حين قال في إحدى نصائحه الدينية: «... الله الله معاشر المسلمين لا يتخبطنّكم الشيطان، ولا يَسْتَخفنَّكُمْ من ليس له إيقان، فليس في الإمكان أَبْدَعُ مما كان، فكونوا من التوحيد في مزيد، ومن متابعة المشروع على تجديد،

(١) كذا في الأصل، والصواب «تدعو».
(٢) رسالة خطية توجد لدى الباحث.
(٣) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٢٧.

وأعلنوا بالأذان والإقامة، والجُمُعَة والجماعة، وعلِّموا وتعلَّموا، واضربوا على الصلوات، واَحبسوا عن الخطايا، واجتمعوا، ولا تفرقوا، فإن يد[1] الله على الجماعة. . . »[2]، وقال في موضع آخر: « . . . جدِّدوا التوحيد، وقوموا في هدم الشِّرك وقواعده وسنن الجاهلية. . . »[3]. وهذا يدل على أن هذا الاتجاه السلفي قد انتظم هذه المضامين النثرية، وأصبح سمة من سمات المعاني في النثر الأدبي بهذه الأنحاء من جزيرة العرب.

وإذا كان قد تجلَّى أثر الاتجاه السلفي في الخطابة والوصايا، فإنَّ المناظرات تُعَدُّ من أكثر تلك الألوان النثرية انتظاما لهذا الاتجاه؛ وذلك لأن نشوء الجَدَل فيها، وما يذكيه المتناظرون من نقاش فكري يعود إلى ذلك الشعور السلفي الذي برز لدى معظم علماء تلك الأنحاء مُذ قبلوا هذه الدعوة ونصرُوها، وحينما يُضرب لذلك الاتجاه بمثال، فإنَّ مُناظرة علماء عسير لأحمد بن إدريس الصوفي تشير إلى اتجاه علماء عسير السلفيين وبُعدهم عن أفكار التصوف التي كان يصدر عنها ابن إدريس، وتدل على مناهضة الأمراء في عسير أيضا لهذه التيارات الدينية المخالفة لمنهج السلف رحمهم الله، فقد قال الأمير علي بن مجثل قبيل بدء المُنَاظرة لنفر من علماء المخلاف السليماني: « . . . إني لم أجمعكم إلا وقد علمتم ما نحن عليه من الدعوة الإسلامية، وإنَّا لم نزل قائمين في تجديد التوحيد، وهدم الشِّرك. . . »[4]، وقد كانت تلك المُنَاظرة تنم عن روح سلفية واضحة، إذ أنكر الشيخ ناصر الكبيبي على ابن إدريس كثيرا من الأمور الصوفية التي كان يجري عليها.

---

(١) في الأصل «يدي».

(٢) وصية أحمد الحفظي، ورقة ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٠٦.

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة أحمد بن إدريس مع فقهاء عسير، ورقة ٥.

ولعل من أبرز تلك الأمور التي أنكرها علماء عسير على ابن إدريس كونه « يعتقد مذهب ابن عربي من الحلول والاتحاد. . . وأن أصحابه يعظِّمونه بما لا يستحقه إلا الله - تعالى - من الخضوع له وتقبيل اليد، وأنهم يحملونه على السَّرير إن دخل إلى بيته وإذا خرج، ولا يرضون أنه يمشي على الأرض إكبارا وتعظيما، وأن هذا عين الشِّرك؛ لأنه لا يستحق التعظيم بمثل هذه العبادة إلا الله تعالى »[1]، إلى جانب إنكار علماء عسير على بعض أصحاب ابن إدريس الذين « يقدحون فيما ألفه علماء الإسلام »[2]، وبخاصة « مَنْ يُبْطل علوم الشرع »[3] منّ الصوفيين أصحاب ابن إدريس، وهذه الاعتراضات من قبَل علماء عسير تدل - دون شك - على أثر هذا الاتجاه السلفي في ميدان المُناظرات المذهبية التي نشأت بسبب هذه الدعوة الإصلاحية، التي كانت تفتقر إليها معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

ويبدو أن أثر هذا الاتجاه السلفي قد غلب على كثير من المؤلفات التاريخية بهذه الأجزاء من الجزيرة العربية، حيث تبين ميل مؤلفيها إلى التعبير بروح سلفية صادقة، يأتي مبعثها دون شك من قبولهم لهذه الدعوة ونصرتهم لها، وليس أدل على هذا الميل من مؤلفات علماء تهامة، حينما كانت تصدر من أجل تصوير أحداث هذه الدعوة الإصلاحية، ونقل أخبارها.

الاتجاه الوطني(*)

برز هذا الاتجاه الوطني في نتاج بعض الأدباء بجنوبي الجزيرة العربية،

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٤.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤.

(*) انظر هامش ص ٣٧٤ من هذا البحث.

وذلك من خلال آثارهم الأدبية في مجال النثر التي نشأت من أجل مناهضة التُّرك ومن سواهم من أعداء الدعوة السلفية، فقد كان لموقف التُّرك والمصريين من هذه الدعوة الإصلاحية أثر في إيجاد شيء من النماذج النثرية في هذا الميدان، وبخاصة بعد سقوط الدرعية، وتعقُّب جيوش التّرْك لأنصار الدعوة الإصلاحية في أنحاء الجزيرة العربية، فالحقُّ أن ما ابتُليت به الدرعية من عَسْف الترك وجورهم قد أضر كثيرا بعلماء جنوبي الجزيرة العربية، وزاد في آلامهم.

ولعل خير ما يمثل هذا الواقع المؤلم لدى تلك الأنحاء قول الحسن بن أحمد عاكش في معرض حديثه عن أحداث الدرعية: «ولقد رأيت خطًا من السيد العلامة حسن بن خالد إلى شيخنا القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي يعظم عليه أخذ الدرعية، ويراها براعة استهلال للبَلَيَّة بأنواع من ضروب الكلام يذيب قلب الجماد، ويفصح له باستيلاء أيدي الأتراك على هذه البلاد، والله أعلم من أين استمد هذا الخاطر»[1]. وهذا - دون شك - يدل على إدراك الحازمي لعواقب الأمور، وأن ما فعله الترك بالسلفيين في نجد ليثير القلق تجاه أطماعهم في استئصال مواطن التأييد السلفي في جنوبي الجزيرة العربية، فقد خاض هذا الوزير - كما قال عاكش - «من الوقائع مع الترك وغيرهم ما ينيف على العشرين»[2]، وهذا أمر يجعل الحازمي كثير الحذر من الترك وأفعالهم.

وقد برز موقف الحازمي من هذه الأحداث واضحا فيما حرَّره من رسائل ديوانية إلى كثير من الأمراء والعلماء والأهلين في أنحاء الجزيرة العربية، فقد وصف الترك في رسالة بعث بها إلى عبد الله بن سعود بأنهم من

(١) الديباج الخسرواني، ورقة ١٠٥.
(٢) حدائق الزهر، ورقة ١٧٠.

« أعداء الله »[1]، وبأنه قتل منهم في إحدى معاركه « أكثر من ألف قتيل »[2]، وقال: إنَّ أشياعهم المرتزقة قد أُخذوا « كما أخذَ الترك »[3]، وقال في وصفهم: « وقد بلغنا استيلاء هذه الطائفة الكفرية[4] على الوشم والقصيم وسدير ودخولهم، واضطراب العارض، وهذه ثمرات الذنوب. . . »[5]. ومن هذه الرسالة يبرز مدى كره الحازمي للتُّرك، وأنه يرى في أفعالهم خروجا على منهج الإسلام والمسلمين.

ومما ورد في بعض رسائل الحازمي الأخرى قوله في رسالة بعث بها إلى أحد أمراء تهامة: « . . . وهذه الطائفة التركية، فمن أسباب وصولها من مصر رفع أيدي الأشراف عن اليمن، ولعل الله يحدث من بعد ذلك أمرا. . . »[6]، وقال في رسالته التي بعث بها إلى الدواسر: « وقد قضى الله ـ وله الحمد على كل حال ـ خروج هذه الطائفة الباغية عقوبة لعباده المؤمنين بما ارتكبوه من

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٧٨.

(٤) قال عاكش في كتابه الديباج الخسرواني أن الحسن بن خالد الحازمي يرى أن الترك كفار، وذلك في رسالة رد بها على: علي بن محمد بن عقيل الحازمي الذي نهاه عن إطلاق الكفر عليهم، وقد التمس عاكش للحسن بن خالد عذرا قال فيه: « والذي يغلب على الظن أنه أراد كفر العمل؛ يعني أن أفعالهم كفعل الكفار؛ لأن غالب أجنادهم يرتكبون الأمور التي حرمها الشرع، وهي ظاهرة فيهم فاشية بينهم ». ورقة ١٢٥.

والحق أن الدولة التركية لم تكن كافرة، وإنما كانت مساعيها في إخماد هذه الحركة السلفية غير محمودة، فقد ظلت حريصة عبر القرن الثالث عشر الهجري والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري على تقويض دعائم هذه الدعوة في نواح كثيرة من الجزيرة العربية، وإلا فليس أحد ينكر جهود الدولة العثمانية في الوقوف في وجه الغزو الشمالي الصليبي، إلى جانب وقوفها في وجه التشيع والشيعة منذ قرون عديدة.

(٥) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٠٣.

الذنوب والإعـراض عن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر . . . »[1]، وقـال كذلك في رسالته التي بعث بها إلى قبائل همدان باليمن عام ١٢٣٤هـ: « . . . وإلا فهذه الطائفة من الترك ليسوا شيئا ، ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا»[2]. وقـال أيضـا : « وأمـر التـرك فـهـو أمـر مكشـوف يعـرفـه من له في الإسـلام نصيب . . . »، وقال : « ومن يظن أنهم على شيء من الإسلام فليس يعرف من الإسلام شيئاً، وأيضا ليسوا من أهل جلدتكم ولا دينكم »[3]. وهذه الأقوال جميعها تدل على الاتجاه الوطني في رسائل الحسن بن خالد الحازمي ، حين شـرع يناوئ التـرك ، وذاك أثر واضح من آثار الدعـوة السلفيـة في النثـر الأدبي بجنوبي الجزيرة العربية .

وإذا كـان هذا الاتجاه قد برز في رسائل العلماء بهذه الأنحاء ، فإن الأئمة والأمراء أيضا قد سلكوا هذا المسلك ، واتخذوا من رسائلهم الديوانية سبيلا لإظهار معارضتهم تجاه الترك ومن سار على نهجهم ، ومن أولئك المؤيدين الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى الذي بعث رسالة إلى أمير عسير علي بن محمد بن عايض عام ١٣١٨هـ حول تأييده له في معارضة الترك وحربهم ، ومما قال في تلك الرسالة : « بلغنا تشميرك للسّاق ، والعزم للجهاد الشاق . . . ، وقد علمت أنهم خرجوا علينا في العام الماضي بسبعين ألفا كالجراد المنتشر : ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[4] . . . »[5]، وهذا يدل على نشوء هذا الاتجاه الوطني في رسائل أئمة اليمن الديوانية ، حينما جعلوها نهجا لبسط ميولهم الوطنية ومنازعة أعدائهم عن طريقها . وهذا الاتجاه قد برز جليا لدى أمراء

(١) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث .
(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير ، مجموع ١٨٤ ، ورقة ٢٣٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٢٣٦ .
(٤) الآية ١١٩ من سورة الأعراف .
(٥) محمد محمد زبارة ، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجري ، ص ٣٢٧ .

عسير من قبل، كما أصبح واضحًا من بعد ذلك لدى محمد بن علي الإدريسي الذي تأثر - فيما يبدو - بهذه الدعوة في آخر أيامه، وبخاصة من سنة ١٣٣٨هـ[١]، كما برز لدى علماء عسير ومن نهج منهجهم.

ويظهر هذا الاتجاه الوطني بارزاً في ميدان الخطابة بجنوبي الجزيرة العربية حين كان الأمراء والعلماء حينذاك يستثيرون مشاعر الأهلين ضد التُّرْك ومن سلك سبلهم من أعداء الدعوة السلفية، فلقد دلت المصادر على أن أمراء عسير حينما يخرجون لجهاد الترك، يرتجلون الخطب في جموع الجند من أجل بعث الحماسة في نفوسهم، ولعل من أمثلة ذلك ما فعله علي بن مجثل عام ١٢٤٩هـ حينما خرج لحرب الترك في تهامة اليمن، إذ خطب في جنده عندئذ خطبة حماسية، حثهم فيها على القتال، والجهاد في سبيل الله[٢].

ولم يكن هذا العمل الخطابي مقصورا على الأمراء فحسب، وإنما كان ظاهرا لدى علماء هذه الأنحاء الذين كانوا يفضلون السير مع الجند من أجل إذكاء الحماس الديني في قلوبهم، فقد دلت المصادر على أن الفقيه إسماعيل الحفظي كان في إحدى معارك[٣] العسيريين مع الترك يذكي الحماس الحربي في قلوب أفراد الجيش، حيث كان كما قيل: «يصيح فيهم[٤]... بآيات قرآنية»[٥]، منها قوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي**

---

(١) انظر: رسالة العمودي في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٢، ٣، وذلك على الرغم من نشوء هذا الدافع الوطني لدى الإدريسي منذ سنة ١٣٢٦هـ، حين ناهض الترك، وطردهم من تهامة.

(٢) مجهول، حوليات يمانية، ص ٥٥.

(٣) ورد في المصدر أنّ هذه المعركة وقعت في نواحي بلاد غامد وزهران.

(٤) في الأصل «عليهم».

(٥) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٣.

الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[1]. وهذا الأمر دون شك يشير إلى وضوح الاتجاه الوطني في أدب النثر بجنوبي الجزيرة العربية، إذ غدا دافع الوطنية سبيلا لنتاج شيء من ألوان أدب الحماسة، وبخاصة في ميدان الخطابة والرسائل الديوانية.

والناظر في تراث جنوبي الجزيرة العربية يدرك هذا الاتجاه الوطني بوضوح فيما سطره مؤرخو هذه الأنحاء وغيرهم[2]، حينما كانوا يصورون أحداث منطقتهم ومامسَّ مواطنيهم من المشقة والآلام، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، عندما أخذ الترك يتتبعون مواطن الدعوة السلفية في عسير وتهامة وغيرهما، إذ شُرِّد بسببهم العلماء، وأُسِر الأمراء، وأضحت البلاد مسرحا لمعارك الترك وحروبهم، وذلك ما دفع معظم مؤرخي تلك المنطقة إلى الكتابة في هذا الشأن بأساليب تعبيرية هي أقرب إلى أساليب الأدباء، من حيث تصوير الواقع الاجتماعي والوطني[3].

الاتجاه الذاتي:

من الواضح أن الدعوة السلفية حينما بدأت في الانتشار ببلدان جنوبي الجزيرة العربية، أحدثت يقظة سلفية في مجال الأدب لم تكن تلك البلاد تشهد مثلها من قبل، حيث نشط الاتصال الفكري والأدبي بين العلماء في تلك الأنحاء، وأخذ أولئك العلماء عندئذ ينتشرون في أنحاء تلك البلاد من أجل

(١) آيتا ٣١، ٣٢ من سورة الأحقاف، وقد ورد في المخطوط: «وليس له من دون الله من ولي ولا نصير».

(٢) كان يجري من بعض أدباء هذه الأنحاء في مذكراتهم الخاصة، كتابة بعض العبارات التي تدل على مواقفهم من الترك وأشياعهم، ومما وجد في مذكرات أحمد بن عبد الخالق الحفظي المخطوطة، قوله: «اترك الترك ماتركوك إن أحبوك أكلوك، وإن أبغضوك قتلوك». ولعله قبس هذا القول من الأثر: «اتركوا الترك ما تركوكم». حديث حسن، انظره في مختصر المقاصد الحسنة، ص ٤٥.

(٣) انظر مؤلفات الحسن بن أحمد عاكش التاريخية.

نشر تعاليم الإسلام وتوضيحها، فقد أضحت الحاجة ماسَّة إلى رجال منهم يتولون إرشاد الناس وتعليمهم، إذ كانت بيئات الفكر والثقافة عندئذ محصورة في رجال ألمع، والمخلاف السليماني، وبعض بلدان اليمن، وذلك ما استدعى بعض أولئك العلماء إلى الخروج من أجل هذه الدعوة إلى البلدان المجاورة ذات المستوى الفكري المحدود. وكان هذا الحال يستدعي من العلماء الإقامة خارج بلدانهم؛ مما زاد في حنينهم إلى أوطانهم وأهليهم.

كذلك كان الوضع السياسي الذي ابتليت به بلدان جنوبي الجزيرة العربية قد أثَّر كثيرا في استقرار علماء هذه المنطقة وأمرائها، فقد كانت تركيا عندئذ شديدة العداء للدعوة السلفية، إذ صرفت كثيرا من جهودها الحربية على مدى القرن الثالث عشر الهجري في إخضاع الإمارات السلفية الناشئة في تلك الأنحاء؛ مما تسبَّب في حروب طاحنة مستمرة أدت إلى تشريد العلماء والأمراء وأسرهم في تركيا ومصر، مما دفع نفرا منهم إلى بث آلامهم من خلال رسائلهم الأدبية التي كانوا يبعثون بها إلى ذويهم وأهليهم، إلى جانب المذكرات الخاصة التي كان يكتبها بعض الأدباء منهم. وقد صوَّر ذلك النتاج الأدبي مدى المعاناة النفسية التي كان يقاسيها أولئك العلماء بسبب الحنين الذي يشدُّهم إلى أوطانهم، ومع ذلك فقد برز ذلك الحنين جليّا في مجال الشعر، إذ استطاع الأدباء منهم أن يصوِّروا آلامهم، وما يختلج في صدورهم من خلال قصائدهم التي كانوا ينشئونها.

ومهما يكن من أمر فإن من النماذج النثرية التي قيلت في هذا المجال الأدبي رسائل بعض العلماء برجال ألمع، إذ كانوا حينئذ يُكلَّفون بملازمة أمراء عسير من أجل نشر تعاليم الدعوة بين مواطنيهم، وكان أولئك العلماء يحرِّرون من أجل ذلك الرسائل الإخوانية إلى أمراء الدعوة في نجد، يلتمسون منهم

الإذن بالعودة إلى أوطانهم وذويهم في رجال ألمع . وذلك الحال لم يكن معروفا عندئذ في رسائل الأدباء بتلك الأجزاء من جزيرة العرب ، إذ كان الغالب في رسائل الحنين أن تنشأ نتيجة لما ألفه العلماء من التقاليد التعليمية الموروثة التي تقتضي الرحلة في طلب العلم ، إلى جانب هذا الحنين الذي برز في أدب الدعوة السلفية ، قد كان ينشأ بسبب الدعوة نفسها ، وأن الذين يحسون ببواعثه كانوا من العلماء الفضلاء الذين قضوا من قبل في طلب العلم السنوات العديدة ، ولم يكونوا من الناشئين في طلب العلم[1] .

ومما يدل على ذلك الاتجاه الذاتي رسالة محمد بن أحمد الحفظي التي بعث بها إلى الأمير عبد الله بن سعود من أجل التوسط عند أبيه سعود بن عبد العزيز بالسماح له بالعودة إلى بلده رجال ألمع ، ومما قاله في هذه الرسالة : « . . . وأعطاني الأمير عبد الوهاب[2] كتابا آخر من أبيكم الإمام فيه تلزيم[3] عليَّ أن أنزل مع الأخ عبد الوهاب سلمه الله ، فامتثلت الأمر ، وسارعت إليه ، ونزلت بأهلي في الثَّغر إظهاراً للطاعة له والموالاة ، وإرغاماً لمن نابذه وعاداه ، ولكن اعلم - يا أخي - أن تلك البلاد غير مناسبة لنا ، بل يحصل منها ضرر نخشى منه الهلاك مع مفارقة الأهل والوطن ، ثم أبي شيخ كبير ، وبرُّه واجب مقدَّم على الجهاد والنَّفير ، ويلحقه بهذا ضرر بيِّن ، وإلحاق الضَّرر به مني لأجل سفري محرّم إجَماعا . . . والحاصل أني أتوجه بك على أبيك أن يعاملني بالرفق ، وأن يردني إلى وطني سالما مسلما ، فأنت تفضَّلْ اشفع لي عنده ، وادّخِر هذا عند الله سبحانه . . . »[4] .

---

(١) يراد بهذا القول إيضاح الفرق بين أدب الناشئين طلبة العلم وأدب العلماء الذين خرجوا من ديارهم بسبب ولائهم لهذه الدعوة ، فقد تغيرت ملامح ذلك الأدب بقدر تجارب العلماء أنفسهم .

(٢) هو عبد الوهاب بن عامر المتحمي ، أمير عسير .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) توجد هذه الرسالة المخطوطة بمكتبة الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع .

وقد تبين في هذه الرسالة الشعور الذاتي الذي دعا محمد بن أحمد الحفظي إلى كتابة هذه الرسالة من أجل العودة إلى بيئته العلمية التي اعتادها، والمُقام الحسن الذي فضله في رجال ألمع بين أهله وذويه. وربما اختلف عرض المعنى في رسائل محمد بن أحمد الحفظي حين كان يخاطب أولي الأمر في نجد، فقد أتت رسالته إلى الإمام سعود بن عبد العزيز مخالفة لرسالته إلى الأمير عبد الله بن سعود، من حيث الإلحاح الذاتي الذي بسطه في رسالته إلى عبد الله بن سعود، على حين أتى في رسالته إلى الإمام سعود مقتضبا إلى حد ما. وذلك الفارق يشير إلى المكانة بين المقامين. ومما قاله محمد بن أحمد الحفظي في رسالته إلى الإمام سعود بن عبد العزيز في هذا المعنى نفسه:

«. . . وقد نزلت بأهلي عند الأمير عبد الوهاب أول هلاَل ظفر الخير ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[1]، وبعد الإذعان باللسان والأركان أرجو من الله اللطف في القضا، والسلامة من القَضا. وقد خلفت أبي شيخا كبيرا، وأولادي صغيرا وكبيرا، مع ضعف الحال عن السكنى في تلك المحال؛ لعظم ضررها على الخِلاَل. وهذا أمر يشق علينا جدا، فارفق بنا جزاك الله خيرا، ومثلك لا يحسن لديه التطويل. . ، فارحم يرحمك الله، واغفر يغفر الله لك، وجوابك مطلوب عجِّل به، جزاك الله خيرا، وسابِقْ إلى الخيرات بجمع الشتات»[2].

وما دعا محمد بن أحمد الحفظي إلى كتابة هاتين الرسالتين سوى الإحساس الذاتي الذي نشأ لديه، حينما فارق مسقط رأسه برجال ألمع،

---

(١) من آية ٢٩ من سورة المؤمنون.

(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث. وقد أراد الكاتب بعبد الوهاب: أمير عسير عندئذ عبدالوهاب بن عامر المتحمي (. . . - ١٢٢٤هـ).

وعندما افتقد كذلك مقامه بين أهله وذويه، وأحس بفارق المُقام في عسير ذات المناخ البارد، ورجال ألمع ذات المناخ الدافئ المناسب، إذ هما في الواقع مختلفتان في مناخهما البيئي، إلى جانب وضوح التجربة الصادقة التي عبَّر عنها الحفظي في هاتين الرسالتين بأسلوب تعبيري مناسب، وذلك ما عكس مدى صدق التجربة وحقيقتها، فقد نشأ هذا الاتجاه الذاتي بسبب هذه الدعوة السلفية التي غشيت معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وأضحت ذات أثر واضح في مجالات الحياة الفكرية والأدبية.

ويكاد يبرز وضوح الاتجاه الذاتي عند العلماء السلفيين الذين أخرجوا من ديارهم بسبب عداء الترك لهم. وذلك حينما كان أولئك العُلماء يسجِّلون أخبار أسْرِهم ومقامهم في تركيا بشيء من العناية في مذكرات خاصة، تشير إلى كثير من المناجاة النفسية والأدعية والابتهالات، ولعل أحمد بن عبد الخالق الحفظي من أبرز علماء هذه المنطقة تسجيلا لتلك اليوميات واهتماما بها، فقد دلت مذكراته هذه على كثير من أخباره المتفرقة وأخبار أصحابه الأسرى الذين كانوا معه[١]. إلى جانب الرسائل الإخوانية التي كان يبعثها لشيوخه وذويه في تهامة وعسير، وذلك حين كان منفيًا في تركيا منذ عام ١٢٨٩هـ، فقد ذكر عبدالله بن علي العمودي أنه رأى « منظومات إلى شيخه شيخ الإسلام القاضي الحسن بن أحمد عاكش امتدحه فيها... لمَّا كان في أسر السلطان في بلاد الروم، ويذكر فيها ألم البين وعدم الرضا على رجال عسير وتخاذلهم»[٢].

ويبدو أن عَتَبَ أحمد بن عبد الخالق الحفظي على العسيريين قد أتى بسبب

---

(١) أحمد بن عبد الخالق الحفظي، مذكراته اليومية، مخطوطة.

(٢) مجموع أوراق، مخطوطة، أوراقها غير مرقمة.

تقصيرهم في السؤال عنه، والاتصال به في أسره، فقد تنبه الحفظي نفسه إلى ذلك حين قال: « وأني مع ما أنا فيه من العَرَب، كما قال الحارث بن سعيد في ديوانه المسمى ديوان أبي فراس، كان أسيراً في بلاد الروم هذين البيتين:

أقمت بأرض الروم عامين لا أرى من الناس محزونا ولا متضعضعا
إذا خِفتُ من أخوالي الروم خَصْلَةً تَخَوَّفْتُ من أعمامي العُرب أربعا[1]

ثم أعقب بقوله: « فلا أرى الله صُحبة عسير حيثُ كانت، وأنى بَانَت»[2].

والحقُّ أن أحمد بن عبد الخالق الحفظي، قد كان ذا مواقف إسلامية ووطنية جادة دلت عليها آثاره الأدبية، حينما كان في منفاه يدعو إلى وحدة إسلامية شاملة رغم المعاناة التي كان يقاسيها في غربته خارج وطنه الَّتي دل عليها قوله لشيخه عاكش في إحدى رسائله له: « صدرت على عجل، وقد ذهب من الليل نصفه أو أقل، وهي بنت ساعتها، ومثلها لا يدرج إلى أعتابكم الكرام، ولا إلى مزاياكم العظام، ولكن الحبيب ستّار، ومقيل للعثار»[3]. وذلك كله يشير إلى وضوح هذا الاتجاه الذاتي والحنين إلى الوطن في مدوَّنات علماء هذه المنطقة الذين نُفُوا خارج بلادهم من أجل هذه الدعوة السلفية التي كانت في الواقع سببا في إيجاد كثيرمن القضايا المختلفة التي لم تكن لتحدث لولا أن الله قيّض ظهور هذه الدعوة بهذه الأنحاء من جزيرة العرب وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، والبيتان واردان في ديوان أبي فراس، ص ١٨٤. وكلمة « متضعضعا » في البيت الأول وردت « متصنِّعا »، وكلمة « خصلَة » في البيت الثاني وردت « خطة ».

(٣) المصدر نفسه.

ثانيا : الخصائص اللغوية والأسلوبية

يغلب التقليد الشكلي على أنماط النثر الأدبي بجنوبي الجزيرة العربية، خلال العصور الأدبية المتأخرة الماضية، ولكن ظهور الدعوة السلفية بهذه الأنحاء قد جعل لهذه الأنواع التقليدية شيئا من الملامح الأسلوبية المتميزة، وذلك في الشكل الفني للعمل الأدبي، وفي الاستخدام اللغوي المناسب ذي الدلالة المعبرة، فقد نشأ في هذا المحيط الأدبي عندئذ عديد من الأساليب التعبيرية المختلفة ذات الخصائص الفنية المتفاوتة.

ولعل دراسة الخصائص الأسلوبية للنماذج الأدبية التي نشأت في ظلال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تعكس أثر هذا الفكر السلفي في تكوين النتاج الأدبي حين كانت الحاجة ماسَّة إلى بسط آراء الدعوة والتعبير عن مواقف رجالها، إلى جانب تصوير الأحداث التي صاحبت انتشارها؛ وذلك من أجل التعرف على معالم هذا الأدب النثري من خلال سماته وخصائصه الأسلوبية، وبخاصة البناء الفني لتلك الأعمال الأدبية، وأساليب التعبير فيها. فالحق أن التطور الذي نشأ في اللغة والأسلوب عند أولئك العلماء يؤكّد أثر هذه الدعوة فيهم، وما اقتضاه إقبالهم عليها من الرجوع إلى كتب السلف الصالح، وبخاصة تلك التي كُتبت قبل عصور الضعف الأدبي، ناهيك عن إقبالهم من قَبْلُ على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما يتصل بهما من الدراسات والشروح المختلفة، وهذا دون شك قد ترك أثره بالتأكيد.

البناء الفني:

من المعروف أن هيكل البناء الفني لهذه الأنواع النثرية يتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي: المقدمة، والعرض، والخاتمة، ولكل من هذه المظاهر

الشكلية سبل معلومة عند البناء والتكوين، فهي في الواقع متشابهة من حيث التقسيم الفني، ولكنها مختلفة في طريقة الكتابة والبناء، إذ ربما راعى كُتَّابها مقتضى الحال، والمقام الذي تنشأ هذه الأعمال الأدبية من أجله، فقد انحصرت هذه الألوان النثرية في أنماط تقليدية معهودة، هي: الرسائل، والخطابة، والوصايا، والمناظرات. وتلك الأنواع النثرية وُجدت في محيط أدب الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية خلال الفترة الزمنية الماضية.

فأما الرسائل فإن الغالب على تكوينها الديباجة التي تُستهل بها مقدمتها، والخاتمة التي تُختتم بها معانيها وأفكارها، فقد بات التمييز واضحا بين الرسائل الديوانية والإخوانية، من حيث البدء والختَام، إذ تكاد العناية بهذا الجانب تبرز في الرسائل الإخوانية، ولعل ذلك راجعَ إلى تقيُّد الرسائل الديوانية بتقاليد الكتابة الفنية المعهودة في الدواوين، إلى جانب مراعاتها لمقتضى الحال، وانصرافها إلى شؤون الدعوة وأخبارها في هذه المنطقة.

ومن تتبَّع النماذج الأدبية لهذا النمط النثري في مجال الرسائل الديوانية يدرك وضوح الاختصار في ديباجات تلك الرسائل وخواتيمها. ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقدمة رسالة الأميرعبد الوهاب بن عامر المتحمي وبعض علماء عهده إلى أشراف المخلاف السليماني من أجل هذه الدعوة، حيث قال: « من عبد الوهاب بن عامر، والشريف حسن بن مشاري، ومحمد بن أحمد الحفظي، إلى من يراه من أشراف أبي عريش حمود بن محمد وإخوانه . . . وحسن بن خالد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمابعد . . . »[1].

---

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٤٨.

وبمثل هذه السهولة في ديباجة هذه الرسالة أتت خاتمتها يسيرة موجزة مثل مقدمتها، إذ قال كاتب هذه الرسالة نفسه: « ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم »[1]. وحينما يبرز اهتمام الكاتب بنسق المقدمة واستخدام لفظ (أما بعد) يتبين إهماله لذكر السلام في نهاية مضمون الرسالة، ولا شك أن هذا النهج يشبه - إلى حد ما - الكتابة المعهودة للرسائل الديوانية في الأدب العربي، وبخاصة في العصور الأدبية الأولى.

وإذا كان كُتَّاب الديوان في إمارة عسير قد سلكوا هذا السبيل المعهود، فإن كُتَّاب الديوان في إمارة المخلاف السليماني قد نهجوا نهجا آخر ينمُّ عن واقع الحياة الأدبية المزدهرة في بلادهم، إذ قال الشريف حمود بن محمد في رسالة بعث بها إلى أحد مشايخ اليمن حول إحدى معاركه المشهورة مع أمراء عسير السلفيين: « وبعد: حمداً لله، من جعل العاقبة للمتقين، ووعد أولياءه بالنصر على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين... وعلى آله الطاهرين وأصحابه الراشدين... »[2]، وبعد ما فرغ كاتب هذه الرسالة من مضمونها قال في خاتمتها: « ... والحمد لله الذي صدَقنا وعده، وهزم الأحزاب وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[3].

ومن الواضح أن نهج هذه الرسالة يخالف ما كان عليه الحسن بن خالد الحازمي وزير الشريف حمود نفسه، من حيث المحافظة على تقاليد الرسائل الديوانية، ومن حيث التخلص من بعض لوازم الديباجة الاستهلالية المعهودة، وذلك ما يجعل رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تشبه رسائل أمراء عسير

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٥٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٥٣٣.

من حيث تأثرها برسائل علماء نجد وأمرائها، وهذا - دون شك - يدل على أثر هذه الدعوة السلفية في بناء الهيكل الفني لرسائل هذا الوزير ومن سلك مسلكه. ومن رسائله في هذا المجال رسالته التي بعث بها إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز التي قال في مقدمتها: « من حسن بن خالد الحازمي إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز آل سعود... [1] وإياه بالباقيات الصالحات، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته: فموجب الخط السلام والسؤال عن حالك، أحال الله عن الجميع كل مكروه... »[2]. وهذه الديباجة المختصرة تكاد تتفق في معظم رسائل الحازمي التي كان يبعثها بدافع من هذه الدعوة الإصلاحية التي وقع أثرها في قلبه، وأضحت مرامًا يرمي إلى تحقيقه. ومن أمثلة رسائله الديوانية التي نهج فيها هذا المنهج رسالتاه اللتان بعث بهما إلى الدواسر وقبائل همدان، فقد قال في الأولى: « من حسن بن خالد إلى من يراه من الدواسر، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد»[3]، وقال في الثانية: « من حسن بن خالد الحازمي إلى من يراه من المسلمين ومن يراه من كافة رجال همدان، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد»[4]. وقد كانت خاتمة كل من الرسالتين متشابهتين، إذ هما منتهيتان بآيات من القرآن الكريم، ولفظ موحَّدٌ فحواه: « والسلام ختام »[5].

وإذا كان هذا نظام الديباجات والخواتم في الرسائل الديوانية بهذه الأنحاء في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فإن هذا النظام في النصف

---

(١) كلمة لم تتضح في المصدر، ولعلها « أكرمني الله ».

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٨٠.

(٣) توجد هذ الرسالة الخطية لدى الباحث.

(٤) توجد هذه الرسالة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ١٨٤، ورقة ٢٣٥.

(٥) انظر كلا المصدرين السابقين.

الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، قد تبدَّل نوعا ما لدى بعض الأمراء السلفيين بعسير، وذلك من حيث العناية الواضحة بديباجات الرسائل ومقدماتها. ومن هذا اللون رسالة عايض بن مرعي المغيدي التي بعث بها إلى أحد أشراف المخلاف السليماني، حيث قال: «من عايض بن مرعي إلى جناب الأخ الهمام، والليف الضرغام الشريف المنيف الحسن. . .[1] الحسني عافاه الله وتولاه، ومن كل سوء وقاه وكفاه، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: حمداً لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وصدورها لأداء التحية والسؤال عن أحوالكم. . .»[2].

وربما نشأ هذا التكوين اللفظي في ديباجات رسائل أمراء عسير السلفيين في هذه الفترة؛ نتيجة لرغبتهم في مراعاة المقام الذي تُوجَّه إليه رسائلهم، وما يناسبه من الديباجة والبراعة في الاستهلال، وبخاصة حينما كان هؤلاء الأمراء يكاتبون أشراف تهامة[3]، أو الولاة العثمانيين[4]، أو حكام مصر[5]، مما يدل على مراعاة مقتضى الحال، وإلا فالغالب على رسائل أمراء عسير الديوانية في هذه الفترة السهولة والإيجاز، وذلك مثلما نشأ لدى أسلافهم الأمراء العسيريين في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. ومن أمثلة ذلك رسالة عايض بن مرعي نفسه إلى قبائل زهران التي يقول فيها: «من عايض بن

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، ولعلها «أحمد».

(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة في مكتبة آل عاكش الخاصة بضمد.

(٣) انظر: الرسالة السابقة.

(٤) انظر: رسالة عايض بن مرعي إلى والي جدة (ضمن بحث قدمه محمد آل زلفة إلى مؤتمر الدراسات العثمانية العربية الذي عُقِدَ بتونس).

(٥) انظر: رسالة محمد بن عايض إلى والي مصر، (الوثائق التاريخية لسياسة مصر، لشوقي عطا الله، ص ٤٣٠).

مـرعي إلى من يراه من كـافـة زهران حَزْوَتْهم، سـلام عليكم ورحـمـة الله وبركاته، وبعد»[1]، ومثل: رسـالته أيضـا إلى الشريف الحسن الحسني التي يقول في مقدمتها: «إلى الأخ في الله الشريف الهمام الحسن حمود الحسني، سلمـه الله، سـلام عليكم ورحـمـة الله وبركـاته، وبعـد: صـدرت للسلام...»[2]. وقد كانت خواتم رسائل هذا الأمير الديوانية في مثل هذا المجال متشابهـة، إذ نجد أنه يقـول مثلا في رسـالته إلى أهالي زهران: «والله المسؤول أن يهدينا وإياكم في مَنْ هدى، وصلى الله على سيدنا محـمـد وآله وصحبه وسلم»[3]. وتشبه هذه الخاتمة خواتم رسائل الأمير محمد بن عايض في أول عـهده مثل قوله في إحداها: «... والله يختار للإسلام والمسلمين ما علم فيه الخير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم...»[4].

ويظهر مثل هذا النهج عند الأمير محمد بن عايض في الربع الرابع من القرن الثالث عشر الهجري، حين بعث برسالة إلى أحد علماء رجال ألمع قال فيها: «من محمد بن عايض إلى جناب الأخ العلامة عبد الخالق بن إبراهيم الزمـزمي، سلـمـه الله تعـالى آمين، السـلام عليكم ورحـمـة الله وبركـاته، وبعد». ويبدو ظهور شيء من الاختلاف بين هذه الرسالة والرسائل السابقة من حيث إدخال أل التعريف على كلمة سلام[5]، ومن حيث الختام الذي ختمت

(١) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث. وحزوتهم: سكان السراة منهم.

(٢) توجد هذه الرسالة لدى حسن قاضي، بجازان.

(٣) من رسالة الأمير عايض بن مرعي السابقة. وقد ورد في خاتمة رسالة هذا الأمير إلى الحسن بن أحمد حمود بن الحسني، قوله: «ومثلك لا يحتاج وصاة فيه، والسلام».

(٤) محمد آل زلفة، بحثه السابق.

(٥) ينطبق هذا الحال على رسائل هذا الأمير الديوانية، ومثال ذلك قوله في إحدى رسائله: «من محمد ابن عايض إلى جناب المكرم الأعز الأحشم محـمد كامل باشـا، سلمه الله كيف شاء وبما شاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد». المصدر نفسه.

به هذه الرسالة، إذ قال كاتبها: «. . . والله يرعاكم، والدُّعاء[1] وصيتكم، والسلام»[2]. والظاهر أن هذه الخاتمة تُعَدّ من سمات البناء الفني في رسائل هذا الأمير، إذ نجده يقول في خاتمة إحدى رسائله الأخرى التي بعث بها إلى أحد مشايخ غامد: «هذا ما نعرفكم وأنتم في حفظ الله، والسلام»[3]، ويبدو أن هذا النظام الفني في خواتم رسائل الأمير محمد بن عايض المحلية قد تأثرت بنظام الرسائل الإخوانية، كما سيأتي بعد.

ويظل هذا النظام الفني ساريًا في معظم الرسائل الديوانية التي أُنشئت في ظلال الدعوة السلفية بتلك الأنحاء حيث بقيت تزاوج بين النظم الفنية السهلة، والنظم الأخرى المتكلفة في مقدمات تلك الرسائل وخواتمها، ولكن ذلك النظام يخالف بعض الرسائل التي أنشأها محمد بن علي الإدريسي حينما كان يكاتب الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود[4]، من حيث الديباجات المطولة ذات الملامح الأسلوبية التي تشبه كثيراً الرسائل الأدبية.

أما الرسائل الإخوانية فإنها تعد أكثر عناية بالديباجات اللفظية منها في الرسائل الديوانية، ولكنها في الغالب تجمع بين النهجين اللذين برزا في الكتابة الديوانية، وبخاصة في الاستهلال اللفظي الذي تفتتح به الرسائل الإخوانية مضامينها، ويمكن معرفة بعض تلك الديباجات المختلفة من خلال دراسة بعض النماذج الأدبية من هذه الرسائل الإخوانية، ولعل من أقدم تلك الرسائل في ميدان الدعوة السلفية رسالة أحمد بن محمد العويلي التي بعث بها إلى الإمام عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، حينما بلغت دعوتهما

(١) في الأصل «الدعى».
(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة بمكتبة أحمد بن الحسن عبد الخالق الحفظي بعثالف.
(٣) رسالة خطية توجد لدى محمد سعد البركي، بلجرشي.
(٤) انظر هذه الرسالة في مجاميع عبد الله بن علي العمودي، المخطوطة.

بلاد اليمن، إذ قال في مقدمتها: «. . . ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، من العبد الفقير إلى الله ـ عز وجل ـ أحمد ابن محمد العويلي إلى حضرة الشيخ الداعي إلى الله عبد العزيز بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، حفظهما الله تعالى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد»[2]. وقال في خاتمتها: «. . . الله سبحانه يوفقنا لما يحب ويرضى، وأنتم في أمان الله وحفظه وصلى الله على محمد وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[3].

ويشبه العويلي في هذا المجال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي الذي قال في مقدمة إحدى رسائله إلى الإمام سعود بن عبد العزيز: «من محمد بن أحمد الحفظي إلى الأخ الإمام أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز، حرس الله مُهْجَتَه، وأدام بَهْجَتَه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: حمداً لله على نعم الإسلام، وصلى الله وسلم على سيد الأنام، وآله وصحبه الكرام. . .»[4]، وقال في خاتمة رسالته نفسها: «. . . لا زلتم في حفظ الله وحمايته ورعايته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[5]. وتشبه هذه الخاتمة التي برزت في رسالة الحفظي هذه ورسالة العويلي السابقة خواتم الرسائل الإخوانية التي كان يحررها بعض أمراء نجد وعلمائها، ومثال ذلك قول الأمير عبد الله بن سعود في خاتمة رسالة له إلى الشيخ محمد بن عبد الهادي بن بكري: «. . . وأنتم بحفظ الله وأمانه، والسلام»[6]. ولعل هذا التشابه في

(١) الآية ٣٣ من سورة فُصِّلت.

(٢) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) توجد هذه الرسالة المخطوطة لدى الباحث.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) توجد هذه الرسالة المخطوطة في مكتبة الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع. ومن الواضح أن=

اللفظ يعكس مدى أثر هذه الدعوة السلفية في النهج الفني لبناء الرسائل وتكوينها.

وإذا كان العويلي والحفظي[1] قد نهجا في مقدمات رسائلهما نهج أمثالهما من كُتَّاب الدواوين، فإن أحمد بن عبد الله الضمدي قد خالف مسلكهما من حيث الأسلوب المطول في مقدمات بعض رسائله الإخوانية إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، حين قال في إحداها: «من أحمد بن عبد الله الضمدي إلى من أقام الله به الحق في هذه الأعصار، وانتشر العدل بحمى سعيه في جميع الأقطار، وملأت هيبته قلوب أهل البوادي والأمصار، وقمع أهل البغي والفساد بسيفه البتار، حتى استقام من قناة الشَّريعة اعوجاجها، وخلص فراتها النمير من زُعاق البدعة وأجاجها، الأخ الأمير سعود بن عبد العزيز حفظه الله الملك العلاَّم، وتولى عونه في إقدامه والإحجام، وأخذ بناصيته إلى خير القول والعمل، وبلَّغه من إقامة دين الله غاية الأمل، وألهمه السداد، وبصَّره الرشاد، وجعل قيامه خالصا لرب العباد، وفتح به الثغور، وأصلح به أحوال الجمهور، ، وأغاث به المستضعفين، وجعله قُرَّة عين للصالحين، وتولاه بلطفه الخفي وإعانته، ومسح على صدره[2] بيد توفيقه وهدايته، فقد لاحت منه لوائح الصلاح، فخيعل منادي الأمل منا إلى ذلك بحي على الفلاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد. . .»[3].

ويلاحظ في مقدمة هذه الرسالة سِعَة حجم ديباجتها، إذ بذل فيها

= الرسالة قد كتبت قبل ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، تاريخ وفاة الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي.

(١) وذلك على الرغم من اختلاف رسالتيهما.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) توجد هذه الرسالة لدى علي أبو زيد الحازمي، بضمد. انظر كذلك: مجلة المنهل، ج٤، مج ٢١، ربيع الثاني ١٣٨٠هـ، ص ٤٢٣.

الضمدي ـ فيما يبدو ـ جَهْدا كبيرا من أجل توافق عباراتها وانسجام ألفاظها، إلى جانب أنه شَغَل بها جُزْءا كبيرا من صدر رسالته، وهذا أمر يتحقق في الرسائل الإخوانية المتكلفة، حيث نجد ما يشابهها لدى محمد بن أحمد الحفظي في إحدى رسائله إلى بعض علماء نجد وأمرائها[1]، ولكن الحفظي لم يكن يبلغ منزلة الضمدي في القدرة على سَبْك الكلام واختيار الألفاظ، إذ يبدو من خلال قراءة رسالة الحفظي التنافر اللفظي بين أجزائها، وعدم اتفاق معانيها.

وعلى الرغم من التفصيل الذي جرى في جانب الرسائل السابقة، فإن هذا النظام الفني الذي برز فيما وجد منْ رسائل في ميدان أدب الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية، يشبه ـ دون شك ـ ما عُرِفَ في الأدب العربي، وبخاصة في مجال البدء والختَام، وفيما كان يستخدم فيهما من الألفاظ والعبارات[2]، ولكن أثر الدعوة السلفية قد برز من خلالهما بوضوح في مظاهر التكوين الفني والنسق اللفظي، مما يبين مدى تأثر تلك الأنماط الأدبية بآثار هذا الفكر السلفي الذي أوجدته هذه الدعوة.

وحينما تُدْرَسُ أنماط الخَطَابة التي وُجدت في أدب الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية، فإن عناصر تكوينها تنحصر في مظاهر شكلية معلومة، تتمثل في مقدمة الخُطْبة وديباجتها، وفي عرض معطياتها، وما يُخْتَمُ به مضمونها. وتتجلى تلك العناصر في خطبة محمد بن هادي بن بكري العجيلي التي ألقاها حين بلغه نبأ وفاة الإمام عبد العزيز بن سعود -كما قيل من قبل - ، وقد ابتدأ العجيلي خطبته بديباجة حَمدَ الله فيها، وأثنى عليه، وأردف

---

(١) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٥. وقد بعث بها الحفظي إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. وهي رسالة مسهبة، وبخاصة في مقدمتها.

(٢) أحمد الشايب، كتابه السابق، ص ١١٥.

بالشهادتين، وصلى على رسول الله ﷺ، ثم على آله صحبه، حيث قال:

« الحمد لله المنفرد بدوام البقاء الذي جعل الموت سبباً للقائه، وياحبذا اللقاء، وبُشرى الكئيب للقاء الحبيب الذي له رأس المحبة لحبيبه قد شقا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتوحد في جبروته، المنفرد بعظمته وكبريائه وملكوته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي خاطبه الله في الكتاب المكنون بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وعلى آله المُطهرين، أسرة لكل محزون، وعلى أصحابه الراشدين أهل السر المصون، أمّا بعد »[2].

وبعد أن فرغ العجيلي من مقدمة خطبته انطلق إلى مضمونها، فعرض لمعطياتها ورتب أفكارها، ثم قال في خاتمتها: « . . . رزقنا الله وإياكم كمال الهداية، وجنبنا وإياكم موارد الضلال والغواية، وتولانا وإياكم بالمعونة والرعاية، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »[3]. ولم يكن العجيلي في نهجه هذا مخالفًا لنهج الخطابة المعهود، وإنما هو في هذه الخطبة قد سلك السبل الخطابية المعروفة من حيث البناء الفني لخطبته[4]. ويبدو أن علماء آل بكري برجال ألمع قد اهتموا بهذا اللون النثري، حيث دلت المصادر على نماذج مكتوبة أُنشئت ـ فيما يظهر ـ من أجل الدراية بعناصر الخطبة والدربة في تكوينها[5].

---

(١) آية ٣٠ من سورة الزمر.

(٢) الظل الممدود، ورقة.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) محمود رزق، كتابه السابق، مج٦، ص ٦٣. وانظر كذلك: كتاب الأسلوب، لأحمد الشايب، ص ١١٦، ١١٧.

(٥) يوجد من ذلك أنموذج مخطوط لدى الباحث.

وإذا كان قد تبين نظام التكوين الشكلي لفن الخطابة في ظلال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجنوبي الجزيرة العربية، فإن تكوين الوصايا والنصائح الدينية في هذا الميدان نفسه ينقسم قسمين واضحين: أحدهما يشبه - إلى حد كبير - نظام الخطابة من حيث المقدمة والعرض والخاتمة، ويمكن معرفة ذلك في وصية أحمد بن عبد القادر الحفظي السابقة[1]. وأما القسم الآخر فإنه ينهج نهج النصائح الدينية المعهودة من حيث البداية التي توجه بها الوصية، والمضمون الذي يستوعب الأغراض جميعها، إلى جانب الخاتمة المقتضبة. ولكن ربما ميَّز هذا النمط عن سابقه أن الأخير لا يهتم بالديباجات، وإنما ينصرف إلى غرض الوصية نفسه، مثل قول إبراهيم الحفظي: «من إبراهيم بن أحمد الحفظي إلى من يراه من المسلمين، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن الدين النصيحة. . . »[2]. وبمثلما كان العلماء الحفظيون يهتمون بكتابة النماذج الخطابية من أجل معرفة أصولها كانوا كذلك يعنون بكتابة الوصايا، وتدوين الوصايا، وتدوين النماذج لها[3].

وبمثلما أمكن التعرف على نُظم البناء الفني في الخطابة والوصايا فإنه يمكن كذلك معرفة نظام التكوين الشكلي للمناظرات من خلال أسس الهيكل الشكلي المعروفة في الأدب العربي، إذ تتكون عناصر هذا الإطار الشكلي من «المتن والسند والمقدمة والدليل والتقسيم وغيرها»[4]، إلى جانب أن هذه العناصر تتقيد بمسائل مختلفة يدور حولها النقاش الفكري والحوار الجدلي[5]،

(١) انظر: ص ٣٤٤، ٣٤٧.

(٢) توجد هذه الوصية المخطوطة لدى الباحث.

(٣) يوجد من ذلك أنموذج مخطوط لدى الباحث.

(٤) أحمد الشايب، كتابه السابق، ص ١٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠١.

حين يشرع المتناظرون في نقاشهم، ولعل مناظرة ابن إدريس وعلماء عسير[١] توضح هذا النظام الفني الذي تقوم عليه المناظرات المذهبية الفقهية التي نشأت في ظلال هذه الدعوة السلفية بتلك الأنحاء.

اللغة وأسلوب التعبير:

اتصف أسلوب التعبير في أدب هذه الأنحاء بشيء من الملامح الأسلوبية المعهودة في الأدب العربي خلال عصوره الأخيرة؛ وذلك لأن هذه الأجزاء من جزيرة العرب قد حافظت على موروثها الأدبي من حيث: الاستخدام اللفظي المتكلف، والإغراق في الصنعة اللفظية، والمحافظة على التقاليد الأدبية الموروثة، إلى جانب الاهتمام بالأساليب التقريرية، والمصطلحات العلمية، والاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، بالإضافة إلى أن هذا النثر الأدبي لم يسلم في بعض الأحيان من الهنات اللغوية، والنحوية، والإملائية، ومع ذلك فقد برز في هذا المحيط الأدبي التقليدي شيء من المظاهر الأسلوبية بسبب ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، مما أوجد يقظة أدبية واضحة، وصحوة فكرية مميزة، إذ طَفِقَ الأدباء والعلماء يشاركون في نشاط هذه اليقظة السلفية، ويشهدون كثيرًا من الصراعات الفكرية ذات الملامح المذهبية والسياسية، وذلك بأسلوب لا يخلو من التجديد في اللغة والأسلوب، إذ أحدث ارتباطهم بتراث السلف الأول شيئًا من ذلك في معظم الأحيان.

وقد تفاوتت هذه الأجزاء في مستوى نشاطها الأدبي، ولكنها - في الغالب - أضحت أفضل من ذي قبل، إذ عرفت بعض بلدانها شيئًا من أنماط الأدب التقليدي التي لم تظهر فيها، إلا حين دعت هذه الدعوة إلى الإفادة منها

(١) انظر المناظرة نفسها.

في بسط أفكارها والتعبير عن آرائها وأهدافها، فقد أضحت سبيلا لبسط كثير من القضايا التي تحتاج الدعوة إلى بيانها. ورغم ذلك فإن التفاوت بين مستوى هذه البلدان، ومدى ارتباطها بالدعوة السلفية؛ قد ميز هذا الأدب النثري، وجعله متفاوتا في خصائصه الأسلوبية والمعنوية، وبخاصة تلك البلدان التي ناصرت هذه الدعوة السلفية، وأصبحت متأثرة بميولها السلفية وأفكارها الإصلاحية، ولعل رجال ألمع والمخلاف السليماني وعسير خير من أفاد من هذه الدعوة الإصلاحية، فقد كانت الحياة الأدبية في عسير - على سبيل المثال - ضعيفة إبان ظهور الدعوة السلفية فيها، إذا ما قورنت بما أصبحت عليه من بعد ذلك، وربما تأثرت بلاد اليمن بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكن ذلك التأثير لم يكن واضحا - إلى حد كبير - في ميولها الأدبية شأن غيرها من بلدان الجزيرة العربية. ومع ذلك لم تخل ألوانها النثرية من آثار هذه الدعوة الإصلاحية.

ومهما يكن من أمر فإن من أبرز ملامح أسلوب التعبير في هذه الأنحاء، وضوح الاستخدام اللفظي ذي السمات السلفية، إذ يعكس هذا الاستعمال أثر الدعوة السلفية في وفرة الألفاظ ذات الدلالة المباشرة التي تخدم أغراض الدعوة، وذلك مثل قول الأمير عبد الوهاب المتحمي في إحدى رسائله الديوانية: «... التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً»[1]، «ترك الشرك جلياً وخفياً»[2]، قول الحسن بن خالد الحازمي في إحدى رسائله إلى عبد الله بن سعود[3]: «وعاهد الجميع من عسير وغيرهم على العمل بكتاب الله وسنة

---

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٣) لعل تاريخها بعد ١٤/ ٣/ ١٢٣٣هـ تاريخ وفاة الشريف حمود بن محمد الحسني. انظر تاريخ: أخبار عسير، ص ٧٨.

رسول الله »[1]، وقوله: « وجهنا المسلمين »[2]، « لجهاد أعداء الله »[3].

وإذا كان إحياء مثل هذه الألفاظ قد نشأ نتيجة لأثر هذه الدعوة السلفية في الرسائل الديوانية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري عند الكُتَّاب بتهامة وعسير، فإن الحال من بعد ذلك يكاد ينحصر في رسائل أمراء عسير الديوانية في الثلثين الأخيرين من القرن الثالث عشر الهجري. وذلك مثل قول سعيد بن مسلط في إحدى رسائله: « فالجهاد فريضة »[4]، وقول علي بن مجثل المغيدي: « ذكرتم قصدكم الدخول في الإسلام »[5]، « الانحياز إلى دعوة أهل الإسلام »[6]. ومثل قول الأمير عايض بن مرعي: « شرذمة على المسلمين »، « شوكات المسلمين »، « لعساكر الموحدين »، « بغرض الجهاد »[7]. ومثل قول الأمير محمد بن عايض: « فنطلبكم حكم الشرع فيهم »[8]. وقوله: « ائتلاف شمل أهل الإسلام » « فيما يعز هذا الدين »، «والله يختار للإسلام والمسلمين ما علم فيه الخير »[9].

ويبرز هذا الأسلوب اللفظي من بعد ذلك في رسائل محمد بن علي الإدريسي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، حين غلبت على رسائله التي كان يبعثها إلى الملك عبد العزيز آل سعود الروح السلفية في مثل

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٤٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨٠
(٤) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٧٥.
(٥) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٥٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٥٨.
(٧) من رسالة خطية لدى الباحث، ومن رسالة الأمير عايض نفسه إلى والي جدة.
(٨) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٥٦٠.
(٩) محمد آل زلفة، بحثه السابق.

قوله: « نشر دعوة الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »، «إظهار شعائر الدين »، « ستزال تلك البدع » ، « تسوية كل بناء على رجل صالح »، « بخراب المشاهد والقبب»، « وهذا عين الشرك »[1] .

وقد درج الأدباء كذلك في رسائلهم الإخوانية على استخدام مثل تلك الألفاظ المباشرة ذات الدلالة الواضحة، وذلك في مثل قول بعض علماء اليمن في رسائلهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد العويلي الذي يقول: « ونعاهدكم على مطابقة أمر الله »، « والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »، « وإحياء هذا الدين الذي ضيعه أكثر الناس»[2]. ومثل قول محمد بن أحمد الحفظي في رسالته إلى عبد الله بن سعود: « حب هذه الدعوة »، « لدعوتهم إلى التوحيد »، « إن هذه الدعوة »، « وإن التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة »[3] . كذلك برز هذا الاستخدام اللفظي لدى بقية علماء آل الحفظي في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث اتضح ذلك في رسائلهم الإخوانية التي كانوا يبعثون بها إلى بعض أمراء جهاتهم، ومن أولئك العلماء: الشيخ محمد بن عبد الهادي بن بكري، وإسماعيل الحفظي وغيرهما[4] . كذلك يبرز هذا الاتجاه السلفي عند بعض الأشراف بتلك الأنحاء، من أمثال الشريف يحيى بن درع الذي قال في إحدى رسائله إلى علماء آل الحفظي: « ولا والله نعلم أن به طائفة في الأرض تدعي إلى التوحيد إلا هذه الطائفة »[5] .

---

(١) عبد الله بن علي العمودي، رسالة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٢، ٣.

(٢) رسالة خطية توجد لدى الباحث.

(٣) رسالة خطية توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي.

(٤) انظر: نفح العود في الظل الممدود، لمحمد بن أحمد الحفظي، ورقة ١٢ - ١٥.

(٥) رسالة خطية توجد لدى الباحث.

ويمكن القول بأن هذه المعاني السلفية التي برزت لدى الكتاب بهذه الأنحاء في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ قد خف أثرها في الرسائل الإخوانية، فلم يكد يبرز واضحاً في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث أخذ نفر من علماء تلك الأنحاء يحرصون على مثل تلك الاستخدامات اللفظية، ومنهم: عبد الله بن علي العمودي بالمخلاف السليماني، وعبد العزيز بن محمد الغامدي من بلاد غامد بعسير. ويتضح ذلك الاستعمال اللفظي ذو الدلالات السلفية المناسبة في رسالة الغامدي التي بعث بها إلى عمر بن غرامة[1].

وبمثلما برز هذا الاتجاه اللفظي السلفي في مجال الرسائل بهذه الأنحاء، فإنه قد برز كذلك في ميدان الخطابة والوصايا، والمناظرات، إذ نجد كُتَّاب هذه الألوان النثرية يصدرون عن روح سلفية. وذلك في مثل قول: محمد بن هادي ابن بكري العجيلي في إحدى خُطَبه: «كلمة التوحيد»، «بعد أن ملأ بالتوحيد واسع الأرض»[2]. ومثل قول إبراهيم بن أحمد الحفظي في إحدى وصاياه الدينية: «شعائر الإسلام»، «إلى بلاد ظهر فيها الفساد»[3]، وقول أحمد عبد القادر الحفظي في هذا اللون نفسه: «جدِّدوا التوحيد»، «قوموا في هدم الشرك»[4]. ومما يشير إلى وضوح هذا الاتجاه اللفظي في المناظرات ما وُجد من مناظرات فقهية، إذ الغالب على تلك المناظرات الروح السلفية البارزة في الألفاظ المستخدمة في بسط الحجج والآراء المختلفة، وذلك واضح في بعض

(١) رسالة خطية توجد لدى الباحث.
(٢) الظل المدود، ورقة ٢٢.
(٣) توجد هذه الوصية لدى الباحث.
(٤) وصية أحمد الحفظي بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود ذات الرقم ٨١٤م.

مناظرات الدعاة السلفيين التي وجدت في تلك الأنحاء في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ومن آثار هذه الدعوة السلفية في أساليب التعبير عند الكُتَّاب بهذه الأنحاء؛ ظهور بعض الاستخدامات اللفظية الجديدة، مثل قول الأمير عايض بن مرعي في إحدى رسائله الدِّيوانية: « الموحدين »، « الطائفة النصرانية »[١]، وقوله في رسالة أخرى: « ونحن مُولَّمِيْن »[٢]، وقوله: « وأبينا ما نصالحه »[٣]. إلى جانب وجود شيء من هذه الألفاظ في بعض الرسائل الإخوانية، وبخاصة لدى علماء آل بكري، إذ ورد في إحدى رسائل محمد بن عبد الهادي إلى الأمير عبد الوهاب المتحمي قوله: « كل موحد »، « المطاوعة »[٤]. ومع ذلك لم تخل أساليب الكُتَّاب بهذه الأنحاء من الألفاظ التركية مثل استخدام الحسن بن أحمد عاكش للفظة « تخت » بدلا من عرش[٥]. كذلك كان لمدافعة الأمراء في رسائلهم للترك أثر في إقبال الكُتَّاب على الألفاظ التركية والمصرية، مثلما ورد في رسالة محمد بن عايض إلى والي مصر، إذ قال كاتبها: « بفرمانه »، « المماليك اليوسفية »، « فخامة »، « دولة الخديوي »، « الحضرة »، « القومبانية »، « أفندينا »، « محسوبكم »[٦]. وقد تنبه أمين الريحاني إلى ذلك حين قال: « ولكنهم في ما دخل من بلادهم في

(١) محمد بن عبد الله آل زلفة، مقاله السابق، ص ١٢، ١٤.
(٢) مولمين: مجهزون.
(٣) من رسالة عايض بن مرعي الخطية إلى قبائل زهران.
(٤) محمد بن أحمد الحفظي، نفح العود في الظل الممدود، ورقة ١٢، ١٣. والمطاوعة: هم الذين أخذوا بطرف من العلم، وقاموا من بعد ذلك بتعليم الصبيان ونحوهم، وهم أقل مرتبة من العلماء.
(٥) الحسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين، ص ٣٦. انظر كذلك قوله: « وكانت تخت مملكتهم الدرعية ». الديباج الخسرواني، ورقة ١٦، ١٧.
(٦) شوقي عطا الله الجمل، كتابه السابق، ص ٤٣٠.

حكم الأتراك كالحجاز مثلا، وبعض نواحي اليمن وعسير أمسوا أتراكا فيما يكتبون »[1] على حد زعمه. وفي هذا القول مبالغة؛ لأن ظهور ما ذهب إليه الريحاني مقصود على بعض الرسائل الديوانية التي كان يرجى منها اتقاء شر الترك، والرغبة في مهادنتهم. هذا إلى جانب استخدام بعض الكتاب بهذه المنطقة الألفاظ المحلية مثل قول محمد بن أحمد الحفظي: « أول هلال ظفر الخير »[2]، وهو يعني شهر صفر. وهذا جميعه أثَّر في أساليب التعبير عند هؤلاء الكتاب.

وإلى جانب هذه الخصائص الأسلوبية، برز اهتمام الكتّاب بالسجع والمحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية، وبخاصة الجناس والطباق والمقابلة، إذ تكاد هذه الألوان الشكلية تعم معظم نتاج الأدباء بهذه الأنحاء. ومن ظاهرة السجع - على سبيل المثال لا الحصر - قول محمد بن هادي بن بكري العجيلي في إحدى خُطَبه: « ألا وإن إمام زمننا، ومحيي موات ديننا، الذي جمع شمل الأمة على كلمة التوحيد، وشيد حصن لا إله إلا الله على أرسخ أساس، وأرفع تشييد . . الداعي إلى الله عبد العزيز بن محمد بن سعود، قد قُتل شهيدا، ولقي ربه برا حميدا، وهو بحال جميل نشيط، ووجه باسم بسيط . . . »[3]. ويشبه العجيلي في الميل إلى السجع عند الكتابة الشيخ محمد ابن علي الشوكاني الذي ظهرت عنايته الفائقة بهذا اللون في رسالته التي حررها إلى عمال الإمام المنصور بالله في أنحاء بلاد اليمن. ويبدو أن الأدباء في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، كانوا يميلون ميلا واسعا إلى السجع، فقد تنبه إلى ذلك

(١) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج ١، ص ١٩٦.
(٢) من رسالة مخطوطة لدى الباحث.
(٣) الظل الممدود، ورقة ٢٢.

حسين بن أحمد العرشي حين قال: « وكل ما يرمي إليه كُتَّابنا اليمانيون السجع المل »[1]، ولكن ربما جرى السجع في بعض المواطن على الطبع والسجية، وبخاصة لدى بعض الكُتَّاب، مثل أحمد بن عبد القادر الحفظي في أعماله الأدبية السابقة.

ومن أمثلة الجناس والطباق والمقابلة، قول إبراهيم بن أحمد الحفظي في الجناس: « الظُّلمة »[2]، وقول محمد بن أحمد الحفظي: « مُهْجَته » و« بَهْجَتَه »[3]، ومثل قول إبراهيم الحفظي نفسه في الطباق: « من الأقدام إلى النواصي »[4]، ومثل قول الحسن بن خالد الحازمي في المقابلة: « الدار الفانية »، و« الدار الباقية »[5]، وأمثلة هذه الضروب وغيرها من ألوان البديع كثيرة في أنماط النثر الأدبي بهذه الجهات، ولا غرابة في ذلك؛ فكُتَّابها متأثرون بالعصور الأدبية الضعيفة[6].

ومن الخصائص الأسلوبية البارزة في أساليب النثر الأدبي التي وُجدت في أدب الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية، ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي، إلى جانب أن بعض الأدباء كانوا يضمنون نتاجهم الأدبي شيئا من الشعر العربي. فمن أمثلة الاقتباس من القرآن الكريم قول محمد بن أحمد الحفظي: « وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين، والحمد لله رب

---

(١) عبد الواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن، ص ١٣٢.

(٢) نصيحته الدينية السابقة.

(٣) رسالة خطية توجد لدى الباحث.

(٤) نصيحته الدينية السابقة.

(٥) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص ٤٧٨.

(٦) ورغم ذلك، فالظاهر على أدباء هذه الأنحاء الذين تأثروا بالدعوة السلفية، أنهم لم يكونوا منصرفين إلى البديع والصنعة اللفظية، نتيجة لما هم فيه من شاغل عنهما.

العالمين»[1]، فقد قُبس من قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2].
ومن أمثلة الاقتباس من الحديث النبوي قول أحمد بن عبد الله الضمدي «. . . فإني أحمد الله إليك الذي لم يزل يبعث لهذ الأمة من يجدد لها دينها ويحملها على أحكام الكتاب والسنة»[3]، وهذا القول مقتبس من قول رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها»[4].

أما ظاهرة التضمين بالشعر فقد برزت في رسالة الشريف حمود بن محمد التي بعثها إلى أحد مشايخ اليمن، إذ قال: «. . . ثم ولوا منهزمين لا يلوي بعضهم على بعض، ولا يهتدون إلى إبرام أمر ولا نقض.

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا[5]. . .»[6].

كذلك من مظاهر أساليب التعبير في أدب الدعوة السلفية بتلك الأنحاء وقوع بعض الكُتَّاب في الهنات اللغوية والنحوية والإملائية، إلى جانب ولعهم بتسهيل الهمزة، ومد المقصور، وقصر الممدود. وتلك أمور تكاد تعم بوفرتها معظم نتاج الأدباء بهذه الأنحاء، إذ ربما كان سبب تلك الهنات فيما وجد من نماذج نثرية، يعود إلى كون الكُتَّاب - في الغالب - لا يعتنون بسلامة نصوصهم الأدبية التي كانوا يحرِّرونها، وإنما يرمون إلى مدى استيعابها للمعاني التي

(١) من رسالة مخطوطة لدى الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع.
(٢) من الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.
(٣) من رسالة خطية توجد لدى علي بن محمد أبو زيد، بضمد.
(٤) حديث صحيح، انظر: سنن أبي داود، ٤/ ١٥٦، ومختصر المقاصد، ص ٧٣.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج٣، ص ١٦٨. والشطر الأول ورد في الأصل على النحو التالي: «وضاقت عليهم الأرض حتى كان».
(٦) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٥٣٣.

يريدون تبليغها، هذا إلى جانب ما جرت عليه الكتابة من نُظُم معهودة، وبخاصة لدى العلماء الذين ينهجون نهج من سبقهم في مجال تسهيل الهمزة، وعدم العناية بقواعد الرَّسم المختلفة بين المقصور والممدود، والأمر أوضح من أن يُضرب له بأمثلة، فالمعروف عن أنماط النثر الأدبي بجنوبي الجزيرة العربية، وفرة الرسائل ذات الأسلوب العامي. وليس هذا شأن بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وإنما هو غالب على رسائل العلماء، والأمراء في سائر أنحاء الجزيرة العربية حينذاك[1].

وعلى أية حال فإن مما يمكن إضافته إلى أساليب التعبير التي عرفت في ميدان النثر الأدبي بجنوبي الجزيرة العربية، أن الرسائل الديوانية تختلف عن الرسائل الإخوانية من حيث: أنها تتسم بالإيجاز، وبأن كُتَّابها يتقيدون في تحريرها بتقاليد معلومة قد لا تتحقق في الرسائل الإخوانية، إلى جانب أن الرسائل الديوانية كانت أكثر إغراقا في الصنعة والتكلف البديعي، إذ إن كتّابها في الغالب محترفون، بينما الرسائل الإخوانية وإن كانت كذلك تهتم بالبديع والصنعة اللفظية والديباجات، إلا أن الاشتغال بالتعبير عن الذات يصرف الكاتب - إلى حد ما - عن الإغراق في الصنعة اللفظية المتكلفة.

وأما الخطابة فإنها كذلك تتسم بميل كتّابها إلى الأسلوب التقليدي ذي الملامح اللفظية المتكلفة. إلى جانب اتصافها بالتكرار اللفظي والمعنوي، واعتمادها على أساليب معلومة توافق انفعال الكاتب وتفاعله مع خُطبته[2]،

---

(١) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ٧٥، ٧٦. وربما كان السبب في وجود بعض الهنات اللغوية والنحوية والإملائية، ما أصاب بعض المخطوطات التي نقلت إلينا من: التصحيف والتحريف وسوء التدوين ونحو ذلك.

(٢) أحمد الشايب، كتابه السابق. ص ١١٨.

هذا إلى جانب ما اتصفت به الخطابة في هذه الأنحاء من الاعتماد على التراث الإسلامي في بسط الأمثلة وضربها للسامعين.

وربما توافر شيء من هذه الخصائص الأسلوبية في أسلوب الوصايا، ولكن الذي يميز هذه النصائح الدينية أنها تشبه في أساليبها الرسائل الديوانية والإخوانية من حيث الشكل الفني، والمنهج الذي تسلكه في مخاطبة الناس وتبليغهم، بالإضافة إلى أن الموضوعات التي انتظمت النماذج النثرية التي وُجدت في ميدان النصائح الدينية، تتسم بأنها أنشئت من أجل الدعوة، وفي ظلالها شأن غيرها من الألوان النثرية الأخرى، ولذلك اشتملت على عناصر تقليدية معهودة، وانصرفت إلى احتذاء أساليب أئمة الدعوة السلفية الذين كانوا يفضلون استنباط الفوائد الدينية من الأحاديث النبوية التي يختارونها، وربما يُؤخذ عليها في هذا الميدان أنها تتصف بتكرار المعاني والألفاظ شأن الخطابة في هذه الأنحاء.

ولعل ما يميِّز أساليب التعبير التي وُجدت في المناظرات المذهبية بهذه المنطقة أنها تعتمد على الحوار والجدل، وذلك يبرز في أسلوب التعبير الذي تبسط به آراء المتناظرين، إلى جانب التكرار وعدم العناية بالسجع واختيار الكلمات، فذلك أمر قد يتوافر في الأعمال الأدبية الأخرى، أمّا المناظرات فإن اعتمادها على إثبات الحُجَّة من خلال الأسلوب الجدلي الخطابي الذي يصاحب النقاش الفكري يبدِّد الجهود الأسلوبية التي تبذل في تنميق الألفاظ واختيارها. وهذا واضح فيما وُجِدَ من نماذج أدبية في ميدان المناظرات التي أنشئت في ظِلاَل الدعوة السلفية بهذه الأنحاء.



الفصل الرابع

موقف الأدباء والمؤرخين بهذه الأنحاء من أمر هذه الدعوة وحقيقتها

لقد أحدثت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى الأدباء والمؤرخين بجنوبي الجزيرة العربية دافعا جاداً نحو التأليف والنتاج الفكري، إذ انصرفوا إلى التعبير عن أحاسيسهم تجاه أحداث هذه الدعوة، وما يلاقونه في سبيلها. إلى جانب أنهم أخذوا يصوِّرون نشاطها، ومدى أثرها في مجتمعاتهم، كما أخذ المؤرخون منهم يتابعون أحداث هذه الدعوة، ويدوِّنون أخبارها.

والحقُّ أن ما أوجدته هذه الدعوة الإصلاحية من نشاط فكري يُعَدُّ ثمرة من ثمارها الصالحة، إذ لم يكن للناس في تلك الأنحاء عهد بمثلما أحدثته من يقظة فكرية[1]. ولعل من المشاق التي تصادف الباحث في دراسة مواقف المفكرين بهذه الأنحاء، أن ما كتبوه يعد وافرا متشتتًا قد لا يُحَاط به، وأن الأهواء السياسية التي صدروا عنها قد تعوق عمل الدارس في دراستها وتقييمها، إلى جانب الصعوبة في تمييز ميولهم الفكرية، إذ هم علماء مؤرخون مثلما هم أدباء. وذلك يجعل الباحث يدرس تلك الاتجاهات في مواضع مختلفة[2]، وذاك شأن الحياة الفكرية والأدبية في هذه الأنحاء وفي غيرها.

ومن الواضح أن بعض المؤرخين والأدباء الذين تعرضوا لذكر هذه الدعوة

---

(١) انظر - على سبيل المثال - أقوال بعض مؤرخي اليمن وعلمائه، مثل محسن بن عبد الكريم بن أحمد في: لفحات الوجد، ورقة ٢ وما بعدها، وقد أورد فيه جملة من آراء علماء اليمن ومؤرخيه.

(٢) يراد بهذا القول تداخل مواقف الأدباء والمؤرخين فيما خلّفوه من نتاج فكري، وذلك يجعل التمييز بين مواقفهم شاقا.

وأخبارها بتلك الأنحاء، قد كانوا قليلاً ما ينصفونها حقها؛ وذلك لأنهم كانوا - فيما يبدو - يعتمدون على آراء أعدائها والمغرضين لها، عندما يدوِّنون مؤلفاتهم، ويحرِّرون نتاجهم الفكري والأدبي. إلى جانب أنهم كانوا يميلون مع أهواء ساستهم الذين ناهضوا أفكار الدعوة، وزعموا أن ما هم عليه من إقرار البِدَع وفساد المعتقدات هو الحقُّ، مما أوجد نشاطا فكريا مميَّزاً، وبخاصة في مجال التأريخ، إذ حَفِل تراثهم الفكري بشيء من التدوين، والنشاط الفكري، ولعل المخلاف السليماني ورجال ألمع واليمن خير من شهد مثل تلك اليقظة في جنوبي الجزيرة العربية.

أولا : موقف الأدباء

تظهر مواقف الأدباء جلية في نتاج نفر من علماء هذه الأنحاء الذين تميزوا بروح أدبية بارزة، ولعل أدباء أسرة آل بكري برجال ألمع خير من نصر هذه الدعوة وأيدها، إذ ظهرت مواقفهم واضحة من خلال مكاتباتهم المستمرة لعلماء اليمن والمخلاف السليماني وغيرهم، فقد ذكر القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي أن أحمد بن عبد القادرالحفظي وولده محمد بن أحمد الحفظي كانا ممن ناصر هذه الدعوة السلفية « بأشعار الحماسة والأقوال في الرسائل إلى أهل الرئاسة »(١). فأما أحمد بن عبد القادر الحفظي، فقد ظهرت مواقفه إزاء هذه الدعوة جلية من خلال الخطب والوصايا التي كان ينشئها. فمن إحدى نصائحه الدينية قوله في نُصح أمير عسير حينذاك: « والوصية للأمير عبدالوهاب أن يلزم التقوى في السِّر والنَّجوى، وأن يأخذ بغرز إمامه الذي

---

(١) نفح العود في سيرة الشريف حمود، ص ١٣١.

استرعاه . . . ، ونحن -ولله الحمد- نشايعك ، ونتابعك بالمؤازرة والمناصرة ، فنحن إخوان ، وعلى الخير أعوان »[1] .

وأما محمد بن أحمد الحفظي فقد وافق ما ذكره البهكلي عنه قول عبد الله ابن علي العمودي الذي قال بأنه قد « نَصَرَ هذه الدعوة الميمونة . . . بالدعاية والهداية والرعاية بما شَنَّفَ الأسماع من المناظيم والرسائل »[2] . ويظهر ذلك الاتصال الفكري في مكاتبة الشيخ محمد بن أحمد الحفظي لأشراف المخلاف السليماني عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م[3] ، ومكاتبته كذلك لإمام اليمن المنصور في تلك الأثناء[4] ، فقد وصفه عاكش بأنه كان يكاتب إمام الدعوة في نجد و «يقبل ما يرد إليه من النصائح من جهته »[5] . ومما صور إدراك هذا العالم نفسه لأثر هذه الدعوة السلفية في واقع حياتهم الدينية والفكرية قوله في إحدى رسائله إلى الأمير عبد الله بن سعود : « . . . وكتبنا في ذلك رسالة وقرأناها ، وكررناه ، والأمر بحمد الله واضح ، والقلوب منطوية على حب هذه الدعوة وأهلها ، وتحبيبها إلى الناس وبيان فضلها ، وإن كتبنا إلى غير أهل بلادنا ، فذاك لدعوتهم إلى التوحيد ، أو لطلب التمكين منهم والمزيد ، نفرح بالداخل فيه ، ونكره المتمادي ونعاديه ، ونصرِّح بالشهادة أن هذه الدعوة صريح الشهادة ، وأن التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة ، وإن كنَّا[6] من قبل لفي ضلال مبين ، والحمد لله رب العالمين»[7] .

---

(١) توجد هذه الوصية المخطوطة ، بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود ، تحت رقم ٨١٤م .

(٢) مجموعة أوراق للعمودي ، لم ترقم أوراقها .

(٣) عبد الله بن علي العمودي ، تحفة القارئ والسامع ، ورقة ٨٥ .

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ص ٥٦ .

(٥) عقود الدرر ، ورقة ١٠٥ .

(٦) قبس من قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ . من الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .

(٧) رسالة خطية توجد لدى الحسن بن علي الحفظي برجال ألمع .

وقد ظل الأدباء من آل الحفظي برجال ألمع وفيين في مواقفهم تجاه هذه الدعوة السلفية، من بعد أن قضى الترك على الدولة السعودية الأولى في الدرعية. ويؤيد هذا ما دَرَجَ عليه هؤلاء العلماء من المناصرة لمبادئ هذه الدعوة، والمعاضدة لأمراء عسير السلفيين، فقد وُصِفَ الشيخ عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي (١٢٢١ - ١٢٨٤هـ) بأنه كان «يحذو حذو أسلافه، ويقتفي آثارهم، ويسلك منهجهم في الاستقامة على الدَّعوة»[١]. ويُعَدُّ أحمد بن عبدالخالق الحفظي (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ) من أبرز أدباء هذه الأنحاء حفاظا على مبادئ هذه الدعوة السلفية، فقد وُصِفَ بأنه «ربيب الدعوة الإصلاحية»[٢]. ولعل خير ما يدل على مواقفه الجادة ما خلفه من آثار أدبية، وبخاصة في مراسلاته الإخوانية[٣]، ومذكراته الخاصة[٤].

وبمثلما برزت مواقف الأدباء برجال ألمع من خلال آثارهم الأدبية، وما شهد لهم به الآخرون، كان أدباء المخلاف السليماني كذلك يتصفون بمواقف واضحة تجاه هذه الدعوة والقائمين عليها، ولكنهم ربما اختلفوا عن زملائهم في رجال ألمع واليمن، من حيث ميولهم الفكرية، ووضوح اتجاهاتهم الدينية. فحينما ظهرت مواقف التأييد لدى أدباء رجال ألمع، كانت مواقف أدباء المخلاف السليماني مرهونة بأهواء حكام بلادهم الذين لم يلبثوا أن قبلوا هذه الدعوة، وأيدوها. وقد ظهر موقف الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي عندئذ

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣٤.

(٢) عبد الله الحامد، الشعر في ظلال حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١٢٢.

(٣) انظر مجاميع العمودي المخطوطة، أوراقها غير مرقمة.

(٤) انظر مذكراته المخطوطة، غير مرقمة الأوراق. وهذه المذكرات لا تخلو من بعض الخواطر التي سجلها أحمد بن عبد الخالق الحفظي، وهو أسير في تركيا، إلى جانب وضوح الثبات الذي كان عليه، والاتجاه السلفي الذي يميل إليه.

واضحًا من خلال رسالته الإخوانية التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، إذ قال في معرض حديثه عن الدعوة والقائم عليها عندئذ: « اللهم وأعن هذا القائم الناصر لدينك، وتولَّه بتوفيقك وتسديدك. . . ، اللهم وأتْمم لعبادك هذا النور الطالع، وأثلِج صدورهم بصلاح هذا الأمر الذي هو للخَير جامع »[١].

وحينما يُعَدُّ الوزير الحسن بن خالد الحازمي أديبًا مثلما هو عالم، فإن موقفه عندئذ يتسم بالوضوح والاعتدال، فقد وصفه محمد بن أحمد العقيلي بأنه « شُغف بخطة الإصلاح الديني في الدعوة السلفية؛ فاحتذاها »[٢]، وقال في موضعَ آخر بأنه « ينهج نهج النهضة الإصلاحية »[٣]، ولكن العقيلي نقض قوله هذا بما وصف به الحازمي من بعد ذلك، حيث قال: « ولو أنه - رحمه الله - من غير مدرستها »[٤]. ولا ندري ما الذي أراده العقيلي من هذه العبارة، إذ إن الواضح مما سبق أن الحازمي من أبرز علماء المخلاف السليماني نصرة لهذه الدعوة السلفية، ولعل العقيلي أراد بقوله: «إنه من غير مدرستها» الاتجاه المذهبي والميل السياسي اللذين كانا ينهجهما الحازمي من قبل، فهذا شأن كثير من العلماء خارج الجزيرة العربية وداخلها، ممن بدلوا منهج فكرهم ومجالهم السياسي، حينما اقتنعوا بجدوى هذه الدعوة السلفية، وإلا كيف ندرس الأثر والتأثير لهذه الدعوة الإصلاحية في أنحاء العالم الإسلامي؟!.

وعلى أية حال فإن موقف الحازمي من هذه الدعوة السلفية يبرز واضحا من خلال نتاجه الأدبي في مجال النثر، وبخاصة في رسائله الديوانية، وما

(١) من رسالة خطية توجد لدى علي بن محمد أبو زيد، ضمد.
(٢) تاريخ المخلاف السليماني، ج ١، ص ٤٩٥.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩٥.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٩٥.

جرى له من المناظرات مع علماء نجد وغيرهم بسبب هذه الدعوة الإصلاحية.

ولعل مما يدل على ذلك قوله في رسالة بعث بها إلى الأمير عبد الله بن سعود: «... جواباتك صُحْبَة محمد الحويك وصلت بعد وفاة الشريف، وأرسلنا الخط الذي منكم إلى الولد أحمد بن حمود، وصدر إليكم جوابه، وهو معكم إن شاء الله، وقائم على الهمة في جهاد أعداء الله»[1]. هذا بالإضافة إلى الروح السلفية الواضحة التي بَرَزَتْ في رسائله الأخرى[2]، وفي مؤلفاته المعروفة[3]، مما يدل على مواقفه المؤيدة في نتاجه الفكري حينذاك.

وإذا كان ما سبق من القول يصوِّر مواقف أدباء المخلاف السليماني الذين عاصروا أحداث هذه الدعوة وعرفوها، فإن مواقف أدباء المخلاف السليماني الذين أتوا من بعد ذلك، تكاد تبرز من خلال آثارهم الفكرية والأدبية المختلفة، ولكنهم مع ذلك لا يتميزون بدقة الملاحظة وحقيقة المعاينة، وإنما يصدرون في آرائهم عن أخبار من سبقهم، وما نقله لهم المؤرخون المعاصرون للدعوة من قبل. ويؤيد هذا قول الحسن بن أحمد عاكش، بأن أخبار هذه الدعوة قد ظهرت للناس عن طريق ما «هو مسطور في تأريخ علماء اليمن»[4]، وما هو عليه - كما قال عاكش نفسه - «معلوم بالتواتر لمن عقل؛ لأنه ليس بالعهد من قدَم»[5]. ويبدو أن موقف عاكش من هذه الدعوة في نثره الأدبي قد كان محدودا، إذ يغلب عليه في هذا الميدان صبْغة المؤرخ، ولكنه مع ذلك يجمع بين التأريخ والأدب، إذ يبدو أن هذا الأدب في بداية حياته الأدبية، قد كان ينهج

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) انظر رسائله إلى: الدواسر، وقبائل همدان، وإلى الشريف أحمد بن حمود.

(٣) منها: رسالة في الإسرار، ورسالة في وجوب هدم المشاهد والقباب وغيرهما.

(٤) مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير، ورقة ٣.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣.

نهج بعض علماء تلك الأنحاء المعارضين لهذه الدعوة، ولكنه حينما اتصل بأمراء عسير بدَّل في ذلك النهج، وأصبح من مؤيدي هذه الدعوة الإصلاحية. ويدل على هذا القول في النهج الأول موقف عاكش المتحامل على فقهاء عسير، حينما دوّن مناظرتهم مع ابن إدريس الصوفي[(١)]، إلى جانب أقواله المعروفة في كتبه المختلفة[(٢)]. أمَّا موقفه المؤيد في النهج الثاني، فقد بَرَزَ حينما ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقال عنه: بأنه « القائم بالدعوة النجدية التي رفع بها قواعد التوحيد وشاد، وخفض بها منازل الشرك وأباد »[(٣)]. ويصور تعاطف عاكش مع أحداث الدرعية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م قوله بأن إبراهيم باشا قضى على أهلها « بعد أن غنَّت بذكرهم السمار، ونفذت أوامرهم في كثير من الأقطار، وبلغت غزاياهم أطراف العراق، وطبقوا بالسرايا أغلب الآفاق. . . »، فأصبحت الدرعية مأوى للبوم، يتجاوب فيها الصدى، مؤذنة أن هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا، ينشدهم لسان الحال:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر »[(٤)].

ومن الواضح أن مواقف أدباء المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري تجاه هذه الدعوة السلفية وحقيقتها، قَد ظهرت جلية مُذْ ضُمَّت تلك الأجزاء إلى بقية البلاد السعودية. ولعل من أبرز أدباء تلك

---

(١) انظر هذه المناظرة.

(٢) منها قوله في كتابه "حدائق الزهر" بأن أباه أقام في صعدة « مع حضور الفتن في جهتنا من آثار الفتن النجدية ». ورقة ٢.

(٣) عقود الدرر، ورقة ١٠٣.

(٤) الديباج الخسرواني، ورقة ١٠٤. والبيت - كما قال ابن منظور في لسان العرب - لعمرو بن الحارث، وقيل: للحارث الجرهمي. وقد زاد معه:

« بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا ... صُروفُ اللَّيالي والجُدودُ العَواثِرُ » ١٦/ ٢٦٤.

الأنحاء: السيد محمد بن علي الإدريسي، وعبد الله بن علي العمودي. فأما موقف الإدريسي من هذه الدعوة فقد برز من خلال تلك الرسائل التي كان يبعثها إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ومنها قوله: «فإنَّا وجَّهنا إليكم هذه الجملة لحضرتكم الشريفة، ومعاليكم المنيفة؛ لأنه قد سرَّنا ما أنتم عليه من الدعاية[1] إلى الله تعالى، ونشر دعوة الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإظهار شعائر الدين»[2]، وقال: «فلا يسعنا وكافة المسلمين إلا الامتثال لأمركم المطاع رضاء لذي الجلال. وهذا جدير بكم؛ لما نسمع عنكم من حسن سيرتكم وهديكم»[3]، وقال في نهاية رسالته: «وقد شفعنا هذا النثر بهذه المنظومة مادحًا بها جنابكم المعظم، ومشيرا إلى ما تقدَّم، وليس الباعثُ على ذلك إلا المحبة والوداد إرضاءً لمالك العباد»[4]. ومن هذا القول يتبين موقف الإدريسي من هذه الدعوة السلفية، ومدى ميله إليها، ولعل هذا الموقف يدل على رجاحة رأي الإدريسي الذي ينم عن إدراك واسع وبُعْد نظر، حينما رأى الحقَّ فاتبعه.

أما عبد الله العمودي فقد برزت مواقفه الأدبية تجاه الدعوة السلفية من خلال نتاجه الأدبي في مجال النثر، وذلك فيما وُجد له من تقريظات ومذاكرات ورسائل، وبخاصة تقريظاته لرسائل بعض علماء نَجْد، ومذاكراته لنفر ممن وفد منهم إلى المخلاف السليماني من أجل القضاء والإرشاد ونحوهما. ومن تقريظاته لتلك الرسائل قوله في إحدى رسائل الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «. . . وبعد، فإن الحقير أسير التقصير أوقفه

(١) كذا في الأصل.

(٢) عبد الله بن علي العمودي، رسالة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣، وفي الأصل «مشيرة».

فضيلة القاضي الفخري عبد الله بن عبد العزيز العقيل بأبي عَريش المحروسة على هذه الرسالة الوسيمة، والدُّرّة الغالية الفخيمة التي جمعها عَلامة المعقول، ومن أربَى على غيره في المنقول، فخر عنيزة "الغرّاء"، وبدرها الوهَّاج في الليلة الظلماء، عبد الرحمن بن ناصر السعدي...»[1]. وقال في إحدى مذاكراته العلمية[2]: «وبعدُ، فقد دارت ما بيننا وبين صديقنا وأليفنا، القاضي الفاضل عبد الله بن عبد العزيز، قاضي أبي عَريش بنظارة الملك ابن سعود - حماهم الله تعالى - مذاكرة علمية عن مسألة من المسائل المتوقف عليها الحل والحرمية..»[3]. هذا إلى جانب رسائله الأدبية التي كان يبعث بها إلى أولَي الأمر في نَجْد، إذ قال مشيراً إلى إحداها: «وهذه الرسالة صورة ما كتبته إلَى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حفظه الله»[4]، وكل ذلك يدل على مواقف العمودي الأدبية تجاه القائمين على هذه الدعوة السلفية في ميدان النثر الأدبي[5].

أما موقف أدباء اليمن من هذه الدعوة الإصلاحية فالغالب على نتاجهم في مجال النثر تجاه هذه الدعوة، أنه قليل إذا ما قيس بما وجد في ميداني: التاريخ، والشعر، ومع ذلك فقد وُجد من أدباء اليمن من يؤيد هذه الدعوة، كما وُجد منهم من يعارضها. ومما يمثل الاتجاه الأول ما كتبه أحمد بن محمد

---

(١) تقريظ العمودي على رسالة ألفها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ورقة ١.

(٢) انظر مذاكراته الأدبية التي جرت مع: القاضي عبد الله بن عودة النجدي، وعلي بن محمد صالح عبد الحق، وصالح بن عبد الله العمودي، وذلك في داره بأبي عريش، ورقة ٢٥.

(٣) الجواب الوافي من الاعتراض من قاضي أبي عريش عبد الله بن عبد العزيز الجافي، ورقة ١٤١، والحرمية: الحرام.

(٤) من مجاميع العمودي المخطوطة، أوراقه غير مرقمة.

(٥) ويزيد وضوح موقف هذا الأديب العالم قوله في مقدمة إحدى رسائله: «مقدمة النظام في الشوق والحنين، وذكر العقيدة في التوحيد، وما حث عليها والتخلص إلى عالمها المشهور محمد بن عبدالوهاب مجدد القرن الثاني عشر، وما فيها من الاعتذار عن السلف الماضين من المتأخرين...». انظر هذه الرسالة المخطوطة لدى إبراهيم العمودي، وهي غير مرقمة الأوراق.

العويلي البكيلي إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب في إحدى رسائله التي يستفسر فيها عن أمر الدعوة، ويُظهر موقفه منه، إذ قال: « . . . فإن جاءنا منكم أمور موافقة لمراد الله سبحانه، مطابقة لمرضاته على ما ورد به كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، واتباع لما جاء به، اعتمدنا ما جاء منكم وعاضدناكم، ودعونا الناس معكم إلى هذا الدين القويم، وإنكم إخواننا في الله نحب لكم ما نحب لأنفسنا، ونكره لكم ما نكره لأنفسنا . . »[1]. ويبدو أن هذا التأييد الذي برز لدى علماء اليمن في رسائلهم الإخوانية في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجريين، لم يكد يظهر من بعد لدى أدباء اليمن في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إذ الغالب أن الميول السياسية لدى أولئك الأدباء قد غلبت على مواقفهم تجاه هذه الدعوة السلفية، مثلما غلبت تلك الاتجاهات على المؤرخين والعلماء، ومن سلك سبلهم.

ومما يدل على مواقف الأدباء المعارضين لهذه الدعوة قول الأديب محمد الشجني: « . . . فمن ذلك فتنة النجدي التي صمَّت وعمت، واشتد بلاؤها، وعمَّ بلواها، حتى تأججت بأطراف اليمن نارها، واشتعلت بحمى وطيسها أقطارها، واتصلت بالأغوار والأنجاد، وعصف إعصار دخانها بجميع البلاد. . . ، فعجز عن دفعها الملوك، وأذعن المالك والمملوك، ودكدكت الصياصي، وحزت بشفرتها النواصي، وهابها كل دانٍ وقاصي. . . »[2]. وهذا النص يدل على موقف الشجني من هذه الدعوة السلفية، حين سماها فتنة. والحق أن هذه الدعوة السلفية ليست فتنة كما زعم الشجني، ولكنها دعوة

(١) رسالة خطية توجد لدى الباحث.

(٢) كتابه السابق، ورقة ٩.

إلى الله في صلاح المعتقد، ودفع ما ينافي وحدانيته تعالى.

وبمثلما صدر عنه الشجني في موقفه إزاء هذه الدعوة الإصلاحية، كتب أحد أدباء اليمن رسالة إلى محمد علي باشا، ندد فيها بالقائم على هذه الدعوة، وأثنى على جهود محمد علي في حروبه ضده، كما بين موقفه تجاه هدم القباب وإزالتها، إذ قال بعد مقدمة طويلة متكلّفة: «... الحمد لله على ما اختصكم به من إزالة هذا الطاغية الذي مصيره - إن شاء الله - هو ومن تابعه الهاوية، المخالف لجميع المذاهب الموافق للخوارج...، ولم يكن له دليل على خراب القبب إلا طمعًا لما فيها من الفضة والذهب، والدليل لنا على عمارتها قول أحسن القائلين ورب العالمين، حيث يقول في فضل أهل الكهف المؤمنين، قال الكافرون: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾[1]. وقال المؤمنون: ﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[2]...، فما كل نجم بالسماء بثاقب، أقدم على البلاد التهامية، ولا يخفي أنها عائدة إلى البلاد الإمامية، وأرهب على الرعية باعتزاه إلى صاحب الدرعية، حتى قطعت أسباب العترة[3] النبوية جميع ما هو لهم من العادات السلطانية المولوية، فلكم الفضل بإشارة إليه برفع يده عمّا بسط عليه، وتعود إلى أربابها، وترد في أهلها...، زادكم الله سطوةً وعنوة ونصرًا وتأييدًا وقوة»[4].

ويظهر موقف كاتب هذه الرسالة واضحًا، حين التجأ إلى صاحب مصرْ في الوقت الذي كان يجب عليه أن يسارع إلى تأييد هذه الدعوة ونصرتها،

---

(١) من آية ٢١ من سورة الكهف.

(٢) من آية ٢١ من سورة الكهف.

(٣) عتْرَة الرجل: نسله ورهطه الأدنون.

(٤) رسالة مخطوطة، توجد في المكتبة الغربية بجامع صنعاء تحت رقم ١٢٩. وقد قال ناسخها: «انتهى من خط غير معروف كما وجد»، ورقة ١٣٨.

وما دعاه إلى هذا العمل غير التعصب والهوى، كما أنه جانب الحق حينما جعل القائم بهذه الدعوة موافقًا للخوارج. وهذا أمر باطل، لم يثبته التاريخ، ولم يقره العلماء المنصفون، كما مال هذا الكاتب عن الصواب، حينما اتهم أصحاب هذه الدعوة بأنهم يهدفون من وراء هدم القباب إلى جمع الذهب والفضة كما زعم. وإنما دعاهم إلى هدمها توحيد الله تعالى، واتباعًا لسنة المصطفى ﷺ. وقد أساء حينما استشهد بآيات كريمات، زعم أنها توافق رأيه المجانب للحق والصواب. وما هذه المواقف التي برزت من لدن أدباء تلك الأنحاء غير شطحات سجلها التاريخ على أولئك القوم، لم يوافقهم عليها معظم علمائهم الذين عاصروهم، والذين أتوا من بعدهم. ويشبه هذه الرسالة رسالة أخرى بعث بها الأديب يوسف بن إبراهيم الأمير إلى أخيه علي بن إبراهيم، حين كان يوسف الأمير مقيمًا في مكة المكرمة، إبان الصراع السياسي الحاد الذي نشأ بين الإمام عبد العزيز بن سعود والدولة العثمانية[1]. ورغم المعارضة الواضحة لدى هذا الأديب في رسالته إلا أنها كانت أخف ميلاً في الباطل من سابقتها[2]، ويبدو أن هذا الأديب قد شُغِلَ بمعارضة هذه الدعوة السلفية من قبل كتابة رسالته هذه[3]، كما سيأتي بيانه.

ويبدو أن موقف أدباء اليمن من هذه الدعوة السلفية قد بات ضعيفًا، منذ قضى التُّرْكُ على الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ، إذ خف أثرها في بلدان اليمن، بخلاف بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى، ولعل خير ما

---

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، لفحات الوجد من فعلات أهل نجد، مجلة العرب، ع ٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٥٣.

(٢) انظر: رسالة لفحات الوجد نفسها، المكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٢١، ١٥٩ علم الكلام، وانظر كذلك: مجلة العرب، ج ٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٥٧.

(٣) المقال السابق، ص ٧٥٧.

يمكن أن يعد ظاهراً في مواقف علماء تلك الأنحاء وأدبائها، ما ظهر لدى نفر منهم من شعور سلفي جاد، وذلك مردُّه ـ دون شك ـ أثر هذه الدعوة السلفية في علماء اليمن البارزين من أمثال: الشوكاني وتلاميذه الذين أتوا من بعده، حيث أوجدوا في محيطهم الفكري يقظة سلفية واضحة.

ثانيا: موقف المؤرخين

انقسم مؤرخو هذه الأنحاء في مواقفهم تجاه هذه الدعوة، بين مؤيد ومعارض، كما اختلفت مراكز الفكر في بلدان جنوبي الجزيرة العربية في وجهات نظر مؤرخيها إزاء هذه الدعوة، إلى جانب وفرة المؤرخين البارزين في أنحاء معلومة من تلك الأجزاء، مثل: اليمن، والمخلاف السليماني. ولكن الغالب على مؤرخي هذه الأنحاء أن الكثير ممن عاصر هذه الدعوة، أو من أتى بعدها لم تكن تخلو مؤلفاتهم من ذكر لها أو الحديث عنها. وهذه ظاهرة واضحة في ميدان التأليف أتت من أثر هذه الدعوة السلفية في الحركة الفكرية بهذه الأجزاء من جزيرة العرب. ولعل ما يمكن معرفته من مواقف هؤلاء المؤرخين أن تدرس وجهات نظرهم من خلال مؤلفاتهم ونتاجهم الفكري في كل من: رجال ألمع، والمخلاف السليماني، واليمن، وذلك أمر يكاد يتميز بشيء من السمات والملامح الخاصة.

أما مؤرخو عسير فالغالب على مؤلفاتهم في هذا المجال أنها لم تتجاوز الحوليات[1]، والمذكرات الخاصة، وأن معظم علماء عسير في القرون المتأخرة الماضية كانوا يسجلون أحداث أوطانهم، وأخبارها المشهورة في حواشي كتبهم المخطوطة؛ ولذلك لم يتوفر حتى الآن بين أيدينا مؤلف لأحد مؤرخيهم، يشبه

---

(١) هي ما يكتب من أحداث التأريخ في نظام زمني معلوم.

مؤلفات مؤرخي تهامة أو اليمن، ورغم هذا فالذي يميز ما وجد لهم من نتاج محدود في ميدان التأريخ أنه يؤيد هذه الدعوة وينصرها، إلى جانب أن معظم تلك الحوليات والمذكرات تجعل بدايتها منذ ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذه الأنحاء. ومع هذا فمعظم ذلك النتاج التاريخي المحدود يتسم بأن الذين دونوه غير معروفين بأسمائهم.

وعلى أية حال فإن مما يدل على مواقف المؤرخين في عسير أنهم كانوا يترحمون على القائمين على هذه الدعوة السلفية، وأنهم كذلك يتعاطفون مع أحداث الدعوة نفسها، وما يجري لدعاتها، فقد أشار أحدهم إلى عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بقوله: «انقضاء أمر سعود رحمه الله»[1]. وقال آخر في بداية حوليته المختصرة، بأن الترك أخذوا «الإمام عبد الله بن سعود، وراحوا به... إلى الشام سنة ١٢٣٣هـ»[2]. كما عبر أحدهم عن تأريخ ظهور الدعوة السلفية بهذه الأنحاء بقوله: «ثم ظهر الإسلام في بلاد غَامد سنة ١٢١٢هـ»[3]، وعلى هذا النهج اعتاد المؤرخون في عسير أن يُعَبِّروا عن مواقفهم تجاه هذه الدعوة الإصلاحية، والقائمين عليها بهذه الطريقة، مما وسم ميلهم السلفي بالتأييد. ولعل وضوح موقف المؤرخين المعاصرين في هذا المجال يظهر من خلال مؤلفاتهم المعهودة من مثل: "تأريخ عسير" لهاشم سعيد النعمي، و"السراج المنير في سيرة أمراء عسير"، و"أخبار عسير" لعبد الله بن علي بن مسفر، إذ برز فيها حقيقة الواقع السلفي الذي بيَّنه هذان المؤرخان في كتبهما السابقة.

---

(١) مذكرة تاريخية مخطوطة، توجد بمكتبة آل رقوش ببني سار بزَهْرَان.

(٢) عبد الله بن علي بن حميد، دور عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب، ج١١، ١٢، س٩، الجماديان ١٣٩٥هـ، ص ٨٦٢.

(٣) توجد هذه الحولية المخطوطة لدى محمدبن سعد البركي بِبَلْجُرَشِي.

أما موقف مؤرخي رجال ألمع فيتضح من خلال مؤلفات علماء آل الحفظي في مجال التأريخ، إذ تظهر فيها نصرتهم لهذه الدعوة وتأييدهم لها، ولكنهم رغم هذا التأييد لم يكونوا مكثرين في هذا الجانب، مثلما كانوا عليه من نشاط في العلوم الأخرى، ومع ذلك شمل تأليفهم في التأريخ: المذكرات الخاصة، والحوليات، والمؤلفات التاريخية المستقلة. وتكاد أخبار الدعوة السلفية في الغالب تسيطر على مضمون تلك المؤلفات؛ مما يدل على نصرة هؤلاء المؤرخين لهذه الدعوة.

ومن أبرز مؤلفات آل الحفظي التاريخية التي أُنشئت من أجل الدعوة السلفية: كتاب "الظل الممدود في الوقائع والحوادث في عهد آل سعود" لمحمد ابن هادي بن بكري العجيلي، وكتاب "نفح العود في الظل الممدود" لمحمد بن أحمد الحفظي، وقد قال هذا المؤرخ الأخير في مقدمة مختصرة "نفح العود" بأنه قد ألّف هذا المختصر «في ابتداء الدعوة النجدية، والسيرة الميمونة التي هي بكل خير مقرونة»[1]، وقال بأنه لما وصلهم خبر هذه الدعوة في رجال ألمع لم يسعهم «إلا الانتظام في سلك من سمع وأطاع، والاعتراف؛ لأن ذلك هو الحق لا محالة، وأن الذي نحن عليه عين الخطأ والضلال»[2]، وقال كذلك بأن قبائل رجال ألمع وبني بكر بذلوا «نفوسهم وأموالهم في سبيل الله»[3]، وأنهم «قد ألزموا البيعة والمواثيق والعهود»[4] للإمام سعود بن عبد العزيز والأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي[5]. وقال كذلك محمد بن أحمد الحفظي في رسالته: "اللجام المكين" تجاه موقفه من القائمين على الدعوة السلفية في الدرعية: «ونحن بحمد الله ومنّه لدعوتهم من المحبِّين،

(١) ورقة ١.
(٢) ورقة١.
(٣) ورقة ٤.
(٤) ورقة ٤.
(٥) ورقة ٤.

ولدعـواهم من المقـرين »[1]، ويزيد في ثبات موقف الحفظي المؤيد إزاء الدعوة السلفية والقـائمين عليها حسن الاستعمال اللفظي في عبـاراته اللفظية التي ينقل بهـا أخبار منطقتـه. ومن هذا النسق اللفظي قـوله: « ثم إن رجـال ألمع وبني بكر عزموا في جهـاد فَرَسَان يقـودهم كتـاب الله، وسنة رسـوله والتوحيـد الذي هو حق الله على العبيد »[2]، ومثل هذا اللفظ لم يكن معهوداً في هذه الأنحاء قبيل ظهور الدعوة، مما يدل على مواقف التأييد لدى هؤلاء العلمـاء من آل الحفظي، ومن نهج منهجهم.

وتظهر كـذلك مواقف بقيـة المؤرخين الحفظيين من هذه الدعوة السلفية في مذكـراتهم[3] وحـوليـاتهم المختـصرة، وذلك مثلـما كتب جـعفر الحـفظي في مذكراته التاريخية[4]، ومثلما وجد لدى معظم مؤرخي تلك الأنحاء وعلمائها من الحوليات المتفرقة[5]، ومما ورد في إحدى تلك الحـوليات قول أحد مؤرخي آل الحـفظي: إنه بسـبب ظهـور الـدعـوة الإصـلاحـيـة في تهـامـة: « ظهـرت الطاعـات، وتعلَّم الجهـال، وتبدَّلـت الأحـوال، وأصبحنا بحـمـد الله إخـوانًا، وعلى الحق أعـوانًـا، وكل هذه الحـسنات والبـركـات مكتـوبة - إن شاء الـله - في صحائف الشيخ محـمد بـن عبد الوهـاب، والإمـام عبد العزيز، جـزاهم الله خيراً »[6]، مما يدل على مـواقف التأييـد لدى مؤرخي رجال ألمع الذين وجهـوا عنايتهم فيما سجلوه من أخبار إلى هذه الدعوة الإصلاحية، وجعلوا مؤلفاتهم

(١) ورقة ١.

(٢) ورقة ٤.

(٣) انظر: كتاب في ربوع عسير، لمحمد عمر رفيع، ص ١٧٧.

(٤) محمود شاكر، كتابه السابق، ص ١٢٤٩.

(٥) يوجد شيء من هذه الحوليات لدى الباحث، انظر كذلك الحولية التي أوردها عبد الله بن حميد في مجلة العرب، ج ١١، ١٢، س ٩، الجماديان ١٣٩٥هـ.

(٦) من حولية مخطوطة توجد لدى الباحث.

وما كتبوه من مذكرات وحوليات في خدمة هذه الدعوة والقائمين عليها، وهذا أمرمحمود تفرد به مؤرخو تلك البلاد عما سواهم.

ومن الواضح أن مؤرخي المخلاف السليماني قد أشاروا إلى أحداث هذه الدعوة السلفية في مؤلفاتهم التاريخية بشيء من التفصيل، ولكنهم يختلفون عن مؤرخي رجال ألمع وعسير من حيث وفرة نتاجهم في هذا الميدان، وانصرافهم إلى تأليف الكتب التاريخية دون سواها من الحوليات والمذكرات، إذ اشتهر نفر منهم في هذا المجال، ومع ذلك فكانوا في الغالب لا يظهرون مواقفهم المعارضة تجاه الدعوة السلفية، مثلما كان يفعله مؤرخو اليمن، مما يدل على استمرار الأثر السلفي لدى أمراء تلك الأنحاء، وبخاصة لدى أمراء عسير الذين كانوا يغْشون بسياستهم بلدان المخلاف السليماني في معظم الأحوال، كما هو معروف لدى مؤرخي القرن الثالث عشر الهجري.

ويمكن تتبع مواقف المؤرخين بالمخلاف السليماني تجاه الدعوة من خلال مؤلفاتهم التاريخية، ولعل خير من عاصر أحداث هذه الدعوة الإصلاحية المؤرخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلي الذي ألف كتاب "نفح العود في سيرة الشريف حمود"، وأكمله من بعده تلميذه عاكش الذي وصَّلَ أحداثه إلى عام ١٢٣٣هـ، ويبدو موقف البهكلي واضحًا من هذه الدعوة السلفية، إذ يورد الأخبار بأمانة وصدق، وينقل ما جرى من أجلها من أحداث مختلفة، ولكنه كان في مواطن كثيرة يحاول أن يسحب على الماضي أذيال النسيان، إذ يقول: « وتأويل أهل ضمد والسيد العلامة الحسن بن خالد وعلماء ضمد أن أهل نجد خوارج، حكمهم حكم الخوارج أهل النهروان، وهذه مسائل قد فرغ منها:

وَقَد انْقَضَتْ تِلْكَ السّنُون وأهْلُها   وكأنهم وكأنَّها أحلامُ

وعند الله تجتمع الخصوم. . . »[1]، وقال في موضع آخر بأن الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي « عمل بما يعمله أمراء السرايا في قتال الكفار بناءً على ما يعتقده من أهل هذه الديار، من أنه قد عمَّهم الشرك ما بين عامل له وراضٍ به وساكت عن الإنكار، مع ما يعرفه أنه شرك وهم القليل، وهذا باب لا يفتحُ الكلام فيه، فقد أفضى كل من الأمراء والمأمورين وأهل الدعوة بأسرهم إلى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2].

ويذهب عاكش مذهب شيخه البهكلي من حيث محاولة إغفال الأحداث وتناسيها، فقد قال في أحداث سنة ١٢١٧هـ: إنه وقع من قبل أمراء الدعوة العسيريين « صباح قرية السلامة وقرية ضمد، واتفقت أمور منهم ينكرها العقل والشرع:

وكان ما كان مما لست أنكره ... فاكفف لسانك لا تسأل عن الخبر »[3].

ولكن عاكشا - رغم مجاراته لشيخه البهكلي - كان يفصح عن تأييده لهذه الدعوة السلفية في مواطن كثيرة من مؤلفاته المختلفة، فقد ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه "عقود الدرر"، وأثنى عليه وعلى أولاده[4]، بما يدل على إنصاف عاكش لهذه الدعوة، وأنه قد أقلع عما عرف عنه في نحو منتصف القرن الثالث عشر الهجري من ميل لمعارضة مناصريها والداعين إليها. ولعل هذا الموقف قد تبدل منذ اتصل بأمير عسير محمد بن عايض، إذ ذكر العقيلي أنه حينما بلغ نفوذ الأمير محمد بن عايض بعض بلدان المخلاف

---

(١) ص ١٢٤.
(٢) ص ١٤٢. والآية من سورة القمر رقم ٥٥.
(٣) الديباج الخسرواني، ورقة ٣٢.
(٤) انظر: ورقة ١٠٣.

السليماني كان عاكش « محل عطفه وتقديره، فمدحه بغرر القصائد، وألف له رسالة »[1]. ولعل هذا ما جعل عاكشا يبدِّل في مسوَّدات مؤلفاته، ويضيف إليها ما يؤيد موقفه ويثبته، وهذا الأمر يُحمَد لعاكش، حينما عرف الحق فاتبعه[2].

ومن مواقفه المحمودة في الرد على من زعم أن القائمين على هذه الدعوة السلفية خوارج قوله: « ولكن هذا خروج عن الإنصاف، وركوب متن الاعتساف، فإن عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد، وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد، وهدم ما أمر الشرع بهدمه »[3]. وقال في موضع آخر: « لكن هذا القول باطل؛ لأنه لايصح أن يحكم عليهم بمجرد التسمية بمذهب الخوارج، وليس هذا من قواعد الاستدلال، ولا مما يرضاه ذو الجلال »[4]. وهذا الموقف من عاكش يشير إلى إدراكه المنصف لأثر هذه الدعوة الإصلاحية في بلدان تهامة وما حولها.

وإذا كان هذا موقف أشهر مؤرخي المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري، فإن موقف مؤرخي القرن الرابع عشر الهجري يتميز بوضوح الاتجاهات التي يصدرعنها أولئك المؤرخون إزاء الدعوة السلفية، إذ يظهر تأييدهم لها، ويبرز إدراكهم لمبادئها وأهدافها، وذاك عن طريق مؤلفاتهم التاريخية المعروفة، ولعل من أشهر أولئك المؤرخين: عبد الله بن علي العمودي، وعلي بن محمد السنوسي. فأما العمودي فيظهر موقفه من خلال قوله: « وهكذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومتابعوه، كما بذلك

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٥٩.
(٢) انظر: ورقة ٢٤، ٢٦ من نسخة عاكش الأصلية. ويؤكد هذا قول عاكش في نهاية إضافاته: « صح أصل ».
(٣) الديباج الخسرواني، ورقة ٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٦.

تشهد مؤلفاتهم طبقًا لعقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية »[١]. وقال في موضع آخر يصف الكتاب الذي بعث به الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود إلى الشريف حمود بن محمد وأعيان دولته: « وهو كتا ب يشتمل على النصائح والحكم، وضمَّنه من الكتاب والسنة بما فيه الهداية والرشد والمغنم، من وضعيات[٢] شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله »[٣]، وقال العمودي كذلك: « هذا حاصل خلاصة الكلام عن الإمام محمد بن عبد الوهاب في التسليم له بالاجتهاد[٤]، وقال أيضاً: «وهذه الدعوة الدينية من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إخلاص التوحيد وترك الشرك. . . »[٥]. وهذا كله يشير إلى تأييد هذا المؤرخ لهذه الدعوة الإصلاحية، وأنه سلك من أجلها سبلاً واضحةً بيَّن فيها كثيراً من أهدافها ومبادئها، وذلك عن طريق اتصاله بعلمائها والقائمين على نشرها في العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري.

أما السنوسي فقد برز موقفه من خلال مؤلفه الموسوم بـ "السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود "[٦]، وقال: بأنه مهد « منه الأساس على قيام دعوة العلم النبراس الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضاعف الله له الأجر والثواب، وأدخله الجنة بغير حساب »[٧]، ثم تحدث في جانب

(١) تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع، ورقة ٣٦.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٨٥.
(٤) النبذة في معنى الترجمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مخطوطة ورقة ٣٨.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٣٩.
(٦) نشر هذا المخطوط في مجلة المنهل، ج١، ٢، ٣، مج ٣٨، محرم صفر ربيع الأول ١٣٩٦هـ، ص ١١٣، ٢٠٦.
(٧) ص ١١٤.

منه عن حياة هذا الشيخ الجليل، وقال بأن الدولة السعودية « ما أقيمت في نواحي آفاق الوجود، إلا على تمهيد قواعد الدين، ونشر التوحيد لرب العالمين »[١]. ومن هذه العبارات المقتبسة نستدل على موقف السنوسي المؤيد لهذه الدعوة السلفية، وأنه قد دفعه ذلك التأييد إلى تأليف هذه الرسالة. ويعد موقف المؤرخ المعاصر محمد بن أحمد العقيلي واضحًا إزاء هذه الدعوة السلفية، وذلك من خلال كتابه "تاريخ المخلاف السليماني" الذي بسط فيه أخبارها منذ ظهرت في تلك الأنحاء حتى العصر الحاضر، حيث اعتمد في تأليفه على بعض مصادر تأريخ الدعوة بتلك الأجزاء من جزيرة العرب[٢].

وتأتي مواقف المؤرخين اليمنيين تجاه هذه الدعوة السلفية مغايرة لمواقف من سواهم من مؤرخي بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وذلك من حيث وضوح اتجاهي المعارضة والتأييد، والميل الظاهر نحو الأئمة وهواهم السياسي. ورغم وفرة المؤرخين اليمنيين، وإقبالهم على تدوين أخبار الدعوة منذ ظهرت في بلاد اليمن، إلا أن من الأفضل الإشارة إلى بعض تلك المؤلفات من خلال دراسة مواقف مؤلفيها، رغم « ما فيها من تحامل مقصود على تلك الدعوة الإصلاحية»[٣]، فربما دلت دراستها على مدى « تأثر قطر اليمن بالدعوة الإصلاحية في أول عهدها »[٤]. ولعل من أبرز مؤرخي اليمن اهتمامًا بأخبار الدعوة السلفية في تلك الأنحاء المؤرخ لطف الله جحاف (١١٨٩-١٢٤٣هـ)

---

(١) ص ١١٥.

(٢) مثل: نفح العود، الديباج الخسرواني، اللامع اليماني وغيرها.

(٣) عبد الله بن محمد الحبشي، لفحات الوجد من فعلات أهل نجد، مجلة العرب، ج٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٤٦.

(٤) المصدر نفسه - توطئة الموضوع نفسه لحمد الجاسر -، ص ٧٤٦.

الذي تعرض لأخبار الدعوة السلفية في كتابه "درر نحور العين"، وتتبع أخبارها في كثير من بلدان الجزيرة العربية.[1]

وذلك ما جعل عبد الله الحبشي يقول عن جحاف: «وهو في روايته عنها [الدعوة السلفية] يبدو رجلاً محايداً لا يعنيه فيما يكتبه سوى إيراد المعلومات دون تحيز إلى مذهب معين، ولهذا تجده ينقل كل الأقوال التي وصلته من الوهابية المؤيدة والمعارضة، ويسندها إلى أصحابها»[2]. وما أظن هذا القول صحيحا، إذ إن الناظر في كتاب جحاف نفسه، يدرك ميله الواضح إلى المبالغة وانصرافه في الغالب إلى هواه السياسي المذهبي، إلى جانب أنه كان لا يتورع في نقل ما يصل إله من أخبار الدعوة، حتى لو تبين له وجه الحق، وربما صدر الحبشي في رأيه هذا عن جحاف، حين حصر نفسه في دراسة مواطن معلومة لم يتعداها إلى غيرها، ويعني هذا أنه أهمل جوانب متعددة من المواضيع التي بالغ في ذكرها جحاف نفسه.

ومما يظهر في مُؤَلَّف "درر نحور العين" أن صاحبه كان يطلق على أصحاب الدعوة السلفية لفَظ «الموهبة»، وأنه كان لا يتورع في نقل الأخبار التي تبلغه عن هذه الدعوة، في الوقت الذي كان يهمل فيه مواطن تأثيرها في تلك الأنحاء. ومما يدل على موقف جحاف من هذه الدعوة قوله: «ودارت بيني وبين عبد العزيز بن أحمد مسائل أنكرتها على محمد بن عبد الوهاب وقومه...»[3]، وقوله: «وهذا محمد بن عبد الوهاب هو الذي تنتسب إليه

(١) عبد الله بن محمد الحبشي، تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط يمني، مجلة العرب، ج١، س٧، رجب ١٣٩٢هـ، ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) درر نحور العين، ورقة ٣٤٣.

الموهبة نسبة على خلاف القياس، كأنه وهب نفسه لله تعالى، وهي نسبة كنسبة الشراة[1] من الخوارج»[2]، فأين يكون الحياد الذي زعمه الحبشي عند هذا المؤرخ؟ ومع ذلك فقد حفل كتاب "درر نحور العين" بكثير من المعلومات التاريخية المهمة، حول هذه الدعوة في جنوبي الجزيرة العربية قد لا تتوافر في مؤلف سواه.

ومن مؤرخي اليمن العلماء الشيخ محمد بن على الشوكاني الذي تعرض لذكر هذه الدعوة وصاحبها في مؤلفه "البدر الطالع"، ولكنه لم يترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومع ذلك تحدَّث عن دعوته، فكان حديثه معتدلا منصفاً. ومن مواقفه المعتدلة ما وصف به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حين قال بأنه «الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات»[3]. كذلك كان الشوكاني كثيراً ما يتأنى في إبداء رأيه، فيما ينقله له المغرضون، إذ كان يقول عقب كل رواية ينقلها: «فالله أعلم بحقيقة الحال»[4]. وقال في دفع بعض الشبه عن الإمام عبد العزيز بن سعود: «وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج. وما أظن ذلك صحيحًا، فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلَّموه من محمد بن عبد الوهاب...»[5]، وهذا يدل على دراية

(١) قال صاحب اللسان: «الشراة الخوارج، سموا أنفسهم شراة؛ لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله، وقيل: سموا بذلك لقولهم: إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله؛ أي: بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة، والواحد شار». مادة شرى، ص ١٥٨.

وقد قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة وهو خارجي:

رأتْ فئة باعوا الإله نفوسهم ... بجنات عدن عندهم ونعيم

المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٢) درر نحور العين، ص ١٥٨.

(٣) ج١، ص ٢٦٢.

(٤) ج٢، ص ٧، وقوله: «وتبلغنا عنه أخبار الله أعلم بصحتها».

(٥) ج٢، ص ٦.

الشوكاني بحال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، إذ قرر أنَّ أصحابه والقائمين على دعوته يعملون بما دعا إليه رحمه الله. ويمكن أن يضاف إلى تلك المواقف المنصفة من الشوكاني قوله: « وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد... أجاب به على بعض أهل العلم، وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده، فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة »[2]. وقال كذلك في أحداث عام ١٢٢٩هـ: « ومات في هذا العام أمير العرب صاحب نجد »[3]. وكل هذه الأقوال تدل على اعتدال الشوكاني في مواقفه إزاء هذه الدعوة الإصلاحية، وذلك ما يميزه عن غيره من مؤرخي اليمن، وما يدل على أثر هذه الدعوة في نتاجه الفكري.

ولعل مما يدل على انشغال كثير من مؤرخي البلاد اليمنية بأخبار هذه الدعوة السلفية أنه وُجِدَ في مجال التأريخ كثير من المؤلفات التاريخية المجهولة التي لا يُعرف مؤلفوها، ولكنها تحمل مواقف مؤرخيها المجهولين، ومنها: "كتاب حوليات يمنية" الذي قُنِّنَ له هذا الاسم عند تحقيقه، والحق أن هذا الكتاب يشمل كثيراً من الحقائق ذات الأهمية البالغة، من حيث وضوح أثر الدعوة في تلك الأنحاء، وما أصبح عليه أئمتها من الدراية بمبادئ الدعوة وأهدافها، فقد أشار هذا المؤرخ إلى ميل الإمام المتوكل عام ١٢٢٩هـ إلى هدم القباب وإزالتها في نواحٍ كثيرة من بلاده[4]، إلى جانب أن هذا المؤرخ كان يميل

(١) مما يعجب له الباحث عدم ورود ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب في " البدر الطالع "، فهل أهمل الشوكاني ترجمة هذا المصلح وهو الذي رثاه بقصيدته المشهورة، أم أهملها المغرضون فيما بعد؟.

(٢) ج ٢، ص ٦ - ٧.

(٣) ج ٢، ص ٢٤.

(٤) ص ٧.

إلى التفصيل والتدقيق في أخبار الدعوة بما يوافق أحيانا حالها، وما لا يوافقه في معظم الأحيان. ومن ذلك ما وصف به حرب الترك للدرعية عام ١٢٣٣هـ، إذ أتى بأخبار جديدة لا توافق المعهود من أحداث، فقد بالغ في القول حينما زعم أن هلاك أهل الدرعية كان بسبب أعمالهم[١].

ومن هذه المؤلفات التي لا يعرف أصحابها مؤلف آخر أطلق عليه عند تصنيفه "كتاب في تاريخ اليمن"[٢]، ولكنه لا يحمل جديدا غير خبر ظهور الدعوة السلفية، والقائم عليها عندئذ الإمام عبد العزيز بن سعود، وبأنها - كما قال - من "أعظم ما وقع من الحوادث العظيمة والأمور المعجبة الجسيمة"[٣]، ومن الواضح أن هذه العناية بأخبار الدعوة من قِبَل مؤرخي اليمن تدل على أثرها في إيقاظ الحركة الفكرية في أنحاء كثيرة من بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

ومن مؤرخي اليمن الذين تعرضوا لذكر هذه الدعوة السلفية المؤرخ بدر الدين محمد إسماعيل الكبسي (... - ١٢٨٩هـ) في كتابه "اللطائف السُّنية في أخبار الممالك اليمنية"[٤]. ومن هذا الكتاب يبرز موقف صاحبه الذي نهج منهج أمثاله من مؤرخي اليمن المعارضين لهذه الدعوة الذين اتبعوا هوى ساساتهم ومذهبهم الديني، فقد قال هذا المؤرخ: إن القائمين على هذه الدعوة وأتباعها من الخوارج[٥]، وقال بأنهم «كانوا يكفِّرون جميع المسلمين إلا من دان بدينهم، وعاد إلى مذهبهم»[٦]، وأضاف إلى ذلك قوله: إن أحمد

---

(١) ص ١٢.

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة، بقسم المخطوطات، جامعة الملك سعود تحت رقم ١٥.

(٣) ورقة ٦٩.

(٤) توجد منه نسختان مخطوطتان بقسم المخطوطات، جامعة الملك سعود.

(٥) ورقة ١٠٥.

(٦) ورقة ١٠٥.

ابن المنصور كان يكاتب السلطان العثماني في شأن هذه الدعوة، من أجل إعادة البلاد التهامية إلى إمامته[١].

والمنصف تجاه هذه المزاعم يرى مدى غلبة وجه المعارضة على فئات واضحة من مؤرخي اليمن، رغم ضعف الحجج الواهية التي كان يلفِّقها أولئك المؤرخون، فقد زعم الكبسي أن أصحاب الدعوة خوارج، وهذا أمر فُرِغَ منه، وعُرِفَ زيفه وبطلانه، كما زعم أن القائمين على هذه الدعوة يكفِّرون جميع المسلمين، وأن لهم في نظر هذا المؤرخ دينا خاصا بهم مثلما لهم - كما زعم - مذهب متفرد، وتلك أمور قد عَلِم كل الناس بطلانها، وبيَّنها حينذاك صاحب هذه الدعوة رحمه الله، وقال بأن ذلك من البهتان العظيم، وأما أن لهم دينا منفرداً فهذا من الباطل، وما دينهم غير الإسلام الذي عليه السلف الصالح وجماعة المسلمين.

وتأتي مواقف بقية المؤرخين اليمنيين في القرن الرابع عشر الهجري واضحة إزاء هذه الدعوة السلفية، إذ هم في مواقفهم تلك أقل تعرضًا لأحداثها من مؤرخي القرن الثالث عشر الهجري، إلى جانب أنهم في الغالب قد أدركوا حقيقة هذه الدعوة، ومدى أثرها في بلدانهم، ولعل من أبرزهم المؤرخ حسين ابن أحمد العرشي في كتابه "بلوغ المرام"[٢]، ومحمد محمد زبارة في جملة كتبه التي ألفها في تاريخ اليمن وتراجم علمائه[٣].

---

(١) ورقة ١٠٥.

(٢) انظر: ص ٧٠.

(٣) منها: نيل الوطر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، وأئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ونزهة النظر، والأنباء، وغيرها.

وإذا كان مؤرخو اليمن الزيديون الذين سبق ذكرهم قد اختلفوا في مواقفهم تجاه هذه الدعوة السلفية بين مؤيد ومعارض، فإن مؤرخي تهامة اليمن قد شُغلوا بهذا الأمر، ولكنهم كانوا أقل تعصباً من المؤرخين الزيود الذين ناهضوا في الغالب هذه الدعوة الإصلاحية بدافع من ميلهم المذهبي المعروف. وذلك غير واضح لدى المؤرخين التهاميين، إذ هم عندئذْ يتبعون المذهب الشافعي، وهذا ما يفسر ضعف عنايتهم بأخبار هذه الدعوة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر الهجري.

ورغم ذلك فإن من مؤرخي تهامة اليمن في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري المؤرخ أحمد بن أحمد النعمي الذي ألَّف تأريخًا لم يسمِّه، وإنما درج في تأليفه له على نظام الحوليات المعهودة عند مؤرخي تلك الفترة، فقد ذكر في حوادث سنة ١٢٢١هـ أن قبائل عسير خرجت « من أرض السراة وفيهم يومئذ قبيلة تسمى الشروق »[١]، وأنهم - كما زعم - قريبو عهد بالإسلام[٢]. وقد أخذ هذا المؤرخ من بعد ذلك يعدِّد كثيراً من مثالبهم، ويبين سر سيطرتهم على الحديدة التي زعم أنها « لم تُملَّك لأحد[٣] من قبلهم »[٤]. ومن خلال ما ذكره هذا المؤرخ من آثار ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء يتبيَّن موقفه من أحداثها.

وبمثلما تباينت مواقف المؤرخين اليمنيين في معظم بلدان اليمن، نجد أن

---

(١) ورقة ١٧٢.
(٢) ورقة ١٧٢.
(٣) في الأصل «مع أحد».
(٤) ورقة ١٧٢.

مـواقف المؤرخين في حـضـرمـوت تـكاد تنهج المنـهج نفـسـه، من حـيث التـأييـد والمعـارضـة، ولكنهـا تكاد تتفق على بداية ظهـور هذه الدعوة، والغـرض الذي من أجله وفد رجالهـا إلى بلدان حضـرمـوت ومـا حـولهـا، فقـد أخذ المؤرخـون المحـدثون ينقلون في مـؤلفـاتهم أخبـار ذلك الوفـد الذى قدم إلى حـضـرمـوت وعدن في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. ومن المؤرخين الذين أيدوا دخلوهم حضرموت المؤرخ صلاح البكري الذي قـال: « جاء الوهابيـون إلى حضرموت سنة ١٢٢٤هـ بقيادة علي بن قـملا، فراعـهم ما رأوه هناك من الخرافـات »[١]، وأضـاف إلى ذلك قـوله: إنهـم « وجـدوا الحـضـارم يقـدّسـون القـبـور، ويقـدّمـون لبعض الموتى القرابين والنذور، ويطوفـون بقـبـورهـم كـمـا يطوف المسلمون بالكعبة »[٢]. وهذا يدل على اسـتـحسـان هذا المؤرخ لظهـور الدعوة السلفية في تلك الأنحاء.

وأما من نهج سبيل المعارضين ونقل معلومـاته - كما يبدو - من مؤلفاتهم المؤرخ عبد الله بن محـمد حامد السقاف في كتابه "تاريخ الشعراء الحضرميين" الذي أُخذَ - كـمـا قـال - عن تأريخ ابـن حـمـيـد[٣]، ومما قاله هذا المؤرخ: « يحـمل التأريخ الحضرمي بين طياته أنباء حملة نجدية تحت قيادة ناجي بن قـملة النجدي الوهابي، فـاجـأت حـضـرمـوت عـام ١٢٢٤ مـن الهجرة، لإنقاذ حضرموت من الوثنيـة على زعـمـهـا »[٤]. وقـد نـقـل هذا المؤرخ المعـارضـة التي قـادها حـيـنذاك

---

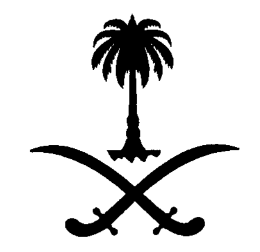
(١) في جنوب الجزيرة العربية، ص ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٤١.
(٣) ص ١١٥.
(٤) ص ١١٥.

طاهر بن حسين بن طاهر ضد دعاة هذه الدعوة السلفية، ولكنها - كما ذكر السقاف - لم تفلح حيث خرج من بلدته مسلية إلى مدينة الشحر، ولم يَعُدْ إلى وطنه حتى خرج مَنْ فيها من الدعاة السلفيين[1] فيما بعد.

---

(١) ص ١١٥ - ١١٦. يلاحظ في النصوص المقتبسة السابقة ورود بعض المصطلحات اللفظية المميزة التي تدل على أثر الدعوة في هذا المجال، وإلا لماذا استخدم لفظ الشروق مقرونا بعسير، ولفظ النجدي الوهابي مرتبطا باسم ابن قملا اليمني الذي ترجع نسبه إلى وادي خب باليمن. ومثل هذا ورد من قبل لفظ النجدي في اسم الأمير علي بن مجثل العسيري، فقالوا: علي بن مجثل النجدي. هذا بالإضافة الى وضوح هذا اللفظ لدى نفر من العلماء بهذه الأنحاء، وبخاصة لدى علماء آل بكري برجال ألمع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ولدى بعض اليمنيين في القرن الرابع عشر الهجري، إذن لم يكن أثر هذه الدعوة محصوراً في الآثار الفكرية، وإنما ظهر في أوضاع الناس الاجتماعية، وهذا ما يؤكد حقيقة أثر هذه الدعوة الإصلاحية في جنوبي الجزيرة العربية.









أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد أبو داهش

الجزء الثاني

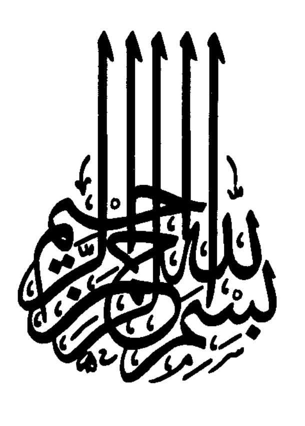
صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أبو داهش، عبدالله بن محمد
أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب
بجنوبي الجزيرة العربية، الرياض.
٨٩٠ ص ؛ ٢مج ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٩-٦٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
x - ٧٧ - ٦٦٠ - ٩٩٦٠ (ج٢)
١ - الأدب العربي - نقد - الجزيرة العربية أ- العنوان.
ديوي ٩٩٥٣، ٨١٠ ١٩/٤٠٧٩

رقم الإيداع : ١٩/٤٠٧٩

ردمك ٩-٦٩-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
x - ٧٧ - ٦٦٠ - ٩٩٦٠ (ج٢)


بسم الله الرحمن الرحيم



الباب الثالث

أثر دَعوةِ الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب في الشِّعر



توطئة :

شهدت بلدان جنوبي الجزيرة العربية صحوة أدبية في مجال الشعر على إثر ظهور الدعوة السلفية فيها، فقد تنبه الشعراء عندئذ، وأصبحوا يشهدون حياة أدبية جديدة. ففي الوقت الذي كانوا فيه منصرفين إلى الموروث الأدبي التقليدي، أضحوا حين ظهور هذه الدعوة في بلادهم يدركون نشاطاً فكرياً أدبيًا في كثير من مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، إذ نفض تيار الإصلاح في الدعوة السلفية وسن الركود الذي كان قد اكتحل به الشعراء والأدباء ومن لفَّ لفَّهم بتلك الأجزاء من جزيرة العرب، حيث أخذوا حينئذ يشاركون في هذه الحركة الشعرية التي لم تشهد لها بلدانهم مثيلا من قبل، وبخاصة حينما أصبح ميدان هذه الحركة عامراً بالاتجاهات المختلفة.

وتتجلى مواطن التأثير السلفي لهذه الدعوة الإصلاحية في مراكز الفكر المعهودة بتلك الأنحاء، مثل: عسير، ورجال ألمع، والمخلاف السليماني، واليمن. ومع ذلك فإن هذه الأماكن تتفاوت في وضوح أثر الدعوة السلفية في نتاجها الشعري، إذ اختلف عندئذ دافع النشاط الأدبي بين تلك المراكز الفكرية، فحينما كان شعراء عسير ورجال ألمع يشدّون من أزر دعاة هذه الدعوة والقائمين عليها، كان نفر من شعراء المخلاف السليماني واليمن يحدُّون من نشاطها ويسعون في معارضتها، رغم وضوح الحق، وبيان الحجة، مما أذكى شعور اليقظة السلفية في ميدان الشعر، وزاد في ميول بعض الشعراء نحو مواقفهم واتجاهاتهم المختلفة.

وإذا كان هذا الأثر السلفي قد ظهر واضحًا في كثير من المضامين الشعرية

الجديدة، فإن الشكل التقليدي المعهود لم يتأثر بقدر التأثير الذي عُرف في مجال المضمون والمعاني. وذلك أمر طبعي؛ لأن أثر هذه الدعوة السلفية قد بان بوضوح فيما ظهر من معان جديدة في مجال الشعر. ورغم ذلك نشأ شيء من التجديد في الألفاظ والبناء الفني للقصائد الشعرية، إلى غير ذلك من الملامح المحدودة التي وُجدت في محيط النتاج الشعري في ظلال هذه الدعوة السلفية بتلك الأنحاء.

والحق أن بعض تلك البلدان بجنوبي الجزيرة العربية، لم تكن من قبل بذات حظ وافر من الشعر، وإنما أضحت من بعد ظهور هذه الدعوة ذات نصيب مناسبٍ في هذا الميدان الأدبي، ويمكن أن تعد عسير من تلك البلدان التي شهدت عندئذ شيئًا من هذه اليقظة السلفية، إذ بدأ شعراؤها يدركون هذا التأثير، ويحاولون أن يسايروا أمثالهم من الشعراء في البلدان المجاورة، فقد دعتهم الحاجة إلى ذلك، حين كانوا يدافعون عن مبادئ هذه الدعوة، وعندما كانوا يضامون في سبيلها، ومع ذلك فقد كان ذلك الشعر لا يسلم في الغالب من الضعف في الأداة الشعرية. وعلى أية حال فإن تتبُّع أثر هذه الدعوة في تلك المراكز الفكرية بهذه الأنحاء يهيئ سبل التعرف على ذلك النتاج الشعري، ومدى تأثره بهذه الدعوة الإصلاحية.

ويمكن تمييز الشعر المحدود في عسير عن سواه في رجال ألمع بأنه يمثل الحياة الأدبية الضعيفة التي عُرفت بها عسير في القرون الأخيرة الماضية، وذلك على الرغم من انضواء كل من رجال ألمع وقبائل عسير الأخرى تحت راية سياسية واحدة، وبخاصة حين قبلت تلك الأنحاء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونصرتها. والناظر في واقع الحياة الأدبية في كل من: رجال ألمع وعسير، يدرك مدى اختلاف النشاط الأدبي بين هذين المركزين الفكريين،

ويلمس الفارق بين السمات المعنوية والفنية التي اختص بها كل منهما، فآثار التصوف والتشيع التي وُجدت في رجال ألمع قبل ظهور الدعوة السلفية فيها، قد بقي شيء منها لدى نفر من شعراء رجال ألمع من بعد ذلك في بعض الأحيان، بينما سلمت عسير من تلك الاتجاهات المختلفة، وبقي أمراؤها وشعراؤها محافظين على اتجاههم السلفي المعهود. بالإضافة إلى أن رجال ألمع تُعَدُّ من قبل مركزا فكريا معروفا، ولم تكن عسير كذلك ! والسبب يعود في الواقع إلى وجود أسرة آل بكري العلمية المعروفة[1] برجال ألمع، وهذه الأسباب مجتمعة دعت إلى فصل رجال ألمع عن عسير في هذا المجال الأدبي، رغم الوحدة السياسية الشاملة لهما.

والحق أن هذا الشمول السياسي قد دفع كثيراً من شعراء رجال ألمع إلى المشاركة الأدبية المستمرة في رحاب الأمراء العسيريين، إذ تُعَدّ بلادهم عندئذ مركز السلطة السياسية الموحدة، ولكن ذلك لا يجعل هذين المركزين الفكريين متحدين في نتاجهما الأدبي، وذلك ما ينصف الحال الثقافي عندئذ، ويجعل لكل من هذين المركزين الفكريين مستوى معلوما مميزا. وعندما يطمئن الباحث إلى إنصاف الواقع الأدبي في عسير ورجال ألمع والتمييز بينهما، فإنه يستطيع دحض حجج القائلين بوجوب دمج الحياة الأدبية فيهما[2]. وذلك ما يجعله يُقبل على دراسة كل منهما على حدة[3]، شأن غيرهما من بقية بلدان جنوبي

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الحفظي، نسب الفقهاء العجيليين، مخطوط، ورقة ٥.

(٢) وقع للباحث في نادي أبها الأدبي مع بعض مثقفي تلك المنطقة شيء من النقاش الأدبي حول هذه القضية؛ مما دفعه إلى التركيز على هذا الجانب، وإيضاح المستوى الحقيقي الذي يجب أن تكون عليه الحياة الأدبية في بلاد عسير الجبلية، الممتدة من نجران في الجنوب حتى زهران في الشمال.

(٣) إن هذا الفصل بين الأقاليم في الحياة الأدبية، إنما كان محتمًا في القرون الماضية. أما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري فقد أصبحت البلاد السعودية وحدة سياسية واحدة، وأضحت مصادر =

الجزيرة العربية الأخرى، وذلك ما يبين أثر الدعوة، وبخاصة في عسير التي لم تكن من قبل تدرك شيئا من هذا النشاط الأدبي، إلا في حدود ضيقة محدودة لا تكاد تذكر. وعندما ابتدأت الدراسة بعسير فإن ذلك من الإنصاف؛ لأن عسير قد كان لها قدم صدق في مناصرة الدعوة وتأييدها، شأن رجال ألمع، إلى جانب أن عسير كانت مركز أمراء الدعوة السلفيين.

= الثقافة ووسائل التوجيه واحدة، ويسرت سبل الاتصال والنقل، ومن هنا لم يعد من المستحسن فصل الأقاليم عن بعضها؛ لأن صورة الأدب متشابهة إن لم تكن متماثلة.

الفصل الأول

أثرها في شعر عسير

لقد كان الشعر في عسير عند ظهور الدعوة السلفية قليلاً، إذا ما قورن بما أصبح عليه من بعد ذلك، إذ وُجد عندئذ شيء من النتاج الشعري المحدود، ومع هذا لم يخلُ ذلك النتاج من ضعف في الأداة الشعرية، واتجاه في الأسلوب نحو الشعر العامي، فقد كان الدافع لإنشاء تلك النماذج الشعرية ما اتسم به علماء عسير وأمراؤها من الحماسة الدينية، والتأييد الصادق لهذه الدعوة السلفية. وذلك ما ميَّز شعر عسير، وجعل معظم الشعراء المشاركين في حركته المحدودة من الأمراء والعلماء الذين «كانوا لا يقدمون على نظمه، إلا حينما يكون هناك حافز من وصف لمعركة حربية، أو تصوير لمأساة شخصية»[1].

ومن الواضح أن النتاج الشعري الذي وُجد في عسير، قد جمع بين الشعر التقليدي الفصيح والشعر العامي الملحون[2]، وربما عُدَّ الشعر العامي أكثر وفرة من الشعر الفصيح؛ وذلك لأن المستوى الثقافي خلال القرن الثالث عشر الهجري وما بعده ضعيف ليس بقدر ما عرفه الشعراء الآخرون في بيئاتهم العلمية المجاورة من القدرة على النظم والإبداع الشعري، مما دعا نفراً من أمراء

(١) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٢٩٣.

(٢) ولما لم يكن من أهداف كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تشجيع الشعر العامي؛ لكونه يناقض أهدافها في إحياء لغة القرآن، لغة الكتاب والسنة، فإنا لم نشأ دراسة هذا الفن والاستشهاد به في كل موضع، وإنما يكتفى بإيراد شيء منه في هوامش البحث وحواشيه؛ من أجل الوفاء بحق أولئك الشعراء العاميين الذين أخلصوا لدينهم وأمتهم، إلى جانب التعرف على أثر هذه الدعوة السلفية في هذا الميدان، فقد ظهر أثرها على ألسن شعراء العامية، مما يدل على أنها تغلغلت في قلوب العامة والخاصة.

عسير وشعرائها إلى المشاركه بشعرهم العامي في أحداث مجتمعهم، وما كانوا يلقونه في سبيل الدعوة من الحروب والمعارك ضد الترك وأشياعهم من أعداء هذه الدعوة. إلى جانب المعاناة النفسية التي كان يلقاها الأمراء منهم في منفاهم خارج أوطانهم بسبب كيد الترك ومكرهم.

والحق أن الشعر في عسير لم يحظ باهتمام الباحثين المحدثين وعنايتهم، وإنما مروا على ذكره عند دراستهم لأدب الجزيرة العربية دون أن يخصُّوه بشيء من الدراسة والتحقيق، ولعل ذلك يعود إلى نَدرة مصادره، وقلة مواده الأدبية، ومع ذلك فإن أولئك الباحثين عند تعرضهم لشعر هذه المنطقة، لم يسلموا من التعميم في أحكامهم النقدية، فقد مر ذكر عسير لدى نفر منهم دون التمييز بينها وبين رجال ألمع والمخلاف السليماني. ومن أولئك الباحثين عبدالله الحامد الذي يقول: « وليس في هذه الجبال والتهائم من عسير والمخلاف شأن لشعر يذكر »[1]، فما أدري ما الذى جعله يصدر عن هذا الحكم النقدي دون النظر في شعر هذه الأقاليم، ومحاولة التمييز بين بيئاتها الشعرية؟ إذ ليست عسير مثل رجال ألمع، ولا المخلاف السليماني يشبه رجال ألمع وعسير، وإنما لكلٍّ من هذه الأنحاء سمات شعرية مختلفة، إلى جانب مكانة شعرائها ووفرة شعرهم، فرجال ألمع والمخلاف السليماني أوفر نصيباً من بعض البيئات التي درسها الحامد نفسه في بقية بلدان الجزيرة العربية. وكان من الأفضل في هذا الحال أن يشار إلى شعر هذه الأنحاء، وبخاصة عسير، دون الركون إلى الأحكام النقدية العامة. وهذا ما يضر بتراث هذه الجزيرة العربية الواسعة.

ويشبه الحامد في هذه الأحكام النقدية عبد الله عبد الجبار الذي لم يفرق بين بيئات الشعر في جنوبي البلاد السعودية، وإنما اكتفى بإطلاق اسم عسير

(١) الشعر في الجزيرة العربية، ص ٤١٧.

عليها كافة، وتعرض في دراسته لها إلى قلة لا تذكر من شعراء المخلاف السليماني فحسب[1]، فلا ندري ما الذي يبتغي الدارسون من أدب هذه الأنحاء ! إذا نظروا إلى نتاج الشعراء في القرون الأخيرة بمثل قول عبد الله عبد الجبار بأن شعر بعض شعراء المنطقة « يمثل عصور الانحطاط »[2]، وأنه «من مخلفات تلك العصور»[3]! ، فهل يريدون منا نبذ تراثنا، أم يريدون أن نطالب أولئك الشعراء بما ليس في طاقتهم؟ وأن علينا أن نخضع أدبهم لمعايير عصرنا.

ومثلما أشار الحامد وعبد الجبار إلى شعر عسير، عمد عبد الله بن قيس الغامدي إلى تأليف كتاب سماه: " الشعر في عسير "، ولم يورد فيه لشعراء عسير الحقيقيين شيئا يذكر من نتاجهم الشعري، سوى قصيدة للأمير مداوي بن محمد المتحمي، وهو في السجن بمصر[4]، ولا أدري كيف أقدم على هذا العمل، وهو يعلم مستوى الشعر في قبائل عسير؟ ولعل خير ما في هذا الكتاب أن صاحبه جمع شعرًا جديدًا لشعراء من اليمن، وآخرين من رجال ألمع.

ولعل ما يؤسف له حقًا أن ديوان شعراء آل الحفظي الموسوم بـ " الروض المرضي في ديوان آل الحفظي " قد أخرج شيء منه في مجموعتين شعريتين إحداهما: " نفحات من عسير "، والأخرى: " شعاع الراحلين "، ولا أدري ما الذي دفع أبناء هذه الأسرة العلمية إلى إهمال مسمَّاه الحقيقي، رغم توافر نسخ منه بين أيديهم ولدى غيرهم؟ إلى جانب أنهم لم يوفقوا في اختيار الأسماء المناسبة لما صدر منه، وقد قال في هذا الديوان عبد الله بن علي بن

---

(١) انظر كتابه: التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، ص ١٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤.
(٤) ص ٨٨.

حميد: إنه اطلع « على ديوان ضخم عنوانه الروض المرضي في ديوان آل الحفظي »[1]، وأقول كذلك: إنني قد اطلعت على نسخة من هذا الديوان نفسه[2]، مما يدل على أحقية الحفظيين برجال ألمع في الإبقاء على مسمى ديوانهم. وربما كان هذا التغيير في عنوان الديوان سببًا في كون أبناء هذه الأسرة وغيرهم يستحسنون إضافة عسير لما يصدرونه من تراث، رغم وضوح مستوى بلاد عسير الفكري والأدبي[3].

وليس هذا القول كله ينم عن وجود شعر مميز في عسير، وإنما هو - كما قيل من قبل - من أضعف شعر تلك البيئات بجنوبي الجزيرة العربية في هذا الميدان، ولعل ما يميزه عن غيره من شعر بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى، أن أصحابه الشعراء من الأمراء والعلماء قد ظلوا وفيين لمبادئ هذه الدعوة السلفية خلال القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجريين، وأن الأمراء السلفيين بتلك الأنحاء كانوا حريصين على رعاية الشعراء في أوطانهم، ومن يرد إليهم من خارجها[4]، حتى إذا تألفت أجزاء البلاد السعودية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود سعوا من بعد ذلك في تنشيط حياتهم الأدبية ورعايتها، وهذا الأمر قد يظهر لدى شعراء رجال ألمع، لولا شطحات نفر من شعرائها في بعض الأحيان إلى شيء من المخالفات

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٤، ١٥. وقد رأيت عام ١٤٠٠ هـ عند عبد الرحمن الحفظي مجموعًا مخطوطًا اسمه " الروض المرضي من شعر آل الحفظي "، وهو الديوان الثاني كما ذكر جامعه، وقال: بأنه هيّأه للطبع، فليته أخرجه على هذه الهيئة كما ذكر ! دون أن يبدل في مسماه.

(٢) اطلعت على هذه النسخة في مكتبة عبد العزيز بن محمد آل الشيخ الخاصة بالرياض.

(٣) انظر: ملامح الحياة الفكرية والأدبية في عسير: ١٢١٥ - ١٣٥١هـ، للباحث.

(٤) يؤكد هذا رعاية الأمير علي بن مجثل لمحمد بن يحيى الضمدي الذي فرَّ من وجه الترك بالمخلاف السليماني، وفضّل العيش في إمارة ابن مجثل حينذاك. انظر: حدائق الزهر لعاكش، ورقة ٥١.

الشرعية، أو الأهواء السياسية[1] . وذلك حينما كان المد السلفي ينحسر عن بلادهم في بعض الأحيان.

وعندما نتتبع أثر الدعوة السلفية في شعر عسير رغم ضعفه، نجده قد واكب أحداث هذه الدعوة الإصلاحية منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، حين طفق الشعراء العسيريون يناهضون بشعرهم أعداء الدعوة نفسها من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها[2] . وقد أتت مشاركة شعراء هذه المنطقة عند ظهور هذه الدعوة في بلادهم ضعيفة على قدر المستوى الأدبي الذي كانوا يحيونه حينذاك. ومن أولئك الشعراء: عبد الله بن محمد النعمي الذي صوَّر بعض المعارك التي خاضها أمراء عسير في سبيل نشر الدعوة السلفية، وذلك حين وصف المعركة التي نشبت بين أمير عسير عبد الوهاب المتحمي، وأمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م في موقعة السَّعْدِيَّة المشهورة، إذ قال:

لَكَ الحَمْدُ والنَّعْماءُ يا مَالكَ الأمْرِ ... فكَمْ لك منْ فَضْلٍ وكَمْ لَكَ مْن شُكْرِ
حَبَانَا وأعْطَانَا الَّذي فَوْقَ سُؤْلنَا ... وأيَّدَنَا بالنَّصْرِ فِي البرِّ والْبَحْرِ
ويقدمُ جَمْعَ الْخَيْلِ منَّا ابنُ عامرٍ ... ويطا[3] عَجَاجَ الْمَوْتِ وطاً عَلَى الْمُهرِ

---

(١) انظر: مؤلفات بعض علمائهم في: سلاطين آل عثمان، وفي: عصر محمد بن علي الإدريسي عند قيام دولته، إلى جانب وجود بعض اتجاهات التصوف لدى بعض شعرائهم في تلك الفترة.

(٢) سواء كان ذلك النتاج الشعري من الشعر الفصيح، أومن الشعر العامي.

(٣) ابن عامر: الأمير عبد الوهاب المتحمي. والصحيح لاستقامة الوزن «وياطا» على لهجة الحجازيين في تسهيل الهمز ومد حرف العلة في المضارع مثل: وياطا. يقول ابن جني في هذا: «ومثله قول العرب من أهل الحجاز: ياتزف وياتعدون». الخصائص لابن جني، ج٢، ص ١٤.

ولَيْسَ لِمَـال قَـاتَلُوا أو رِئَاسـة ... ولَكِنْ لدين الحَقِّ يظْهَرْ[1] عَلَى الكُفْر
لقَـدْ قُطعَتْ أعناقـهم دُونَ دينهم ... هنيئًا لَهُمْ بالْفَـوْزِ بالْخُلْدِ والبِشْرِ[2]

ويبدو أثر الدعوة السلفية واضحًا في كون النعمي في قصيدته هذه، قد احتذى قصيدة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود التي بعث بها إلى الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي « ترغيبا في إقامة الدعوة، ونصيحة في الدين »[3]. ومنها قوله:

حَبَـانَا وأعْطَانَا الَّذي فَـوْقَ وَهْمنَا ... وأمْكَنَنَا منْ كُلِّ طَاغٍ ومعتد
وأيَّدَنَا بالنَّصْـرِ واتسـعتْ لَنَا ... مَمَالكُ لا تَدْعُو سِوَى الوَاحدِ الفَرْدِ[4]

فمن الواضح أن النعمي قد أنشأ قصيدته على وحي من هذه القصيدة التي رجَّح عبد الله الحامد أنها للإمام عبد العزيز بن سعود بقوله: « درج زمن والناس يقرؤون قصيدة مجهول قائلها منسوبة لأحد خدام علماء المسلمين، الذي آثر كتمان اسمه، ورمز له بـ « أحد خدام علماء المسلمين »، فإذا بمصدر مطبوع يبيِّن أنها لم تكن لأحد خدام المسلمين، بل كانت لإمام المسلمين عبدالعزيز بن محمد بن سعود »[5]. ولسنا بصدد مجاراة الحامد في توثيق هذه القصيدة، إذ هي - دون شك - تستحق التحقيق والتوثيق، وإنما الذي

---

(١) هنا عيب، وهو جزم المضارع بدون جازم ليستقيم الوزن، وينكسر البيت لو حرك الفعل « يظهر » بالرفع.
(٢) يوجد الأصل المخطوط لهذه القصيدة لدى هاشم سعيد النعمي، بأبها.
(٣) أحمد بن عبد القادر الحفظي، النفحة القدسية والتحفة الأنسية، ص ٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣١. يغلب على شعر عسير بخاصة وشعر بعض البيئات العلمية بجنوبي الجزيرة العربية بعامة الضعف في الحس اللغوي والعروضي، كما سيلاحظ الناظر في هذا البحث، وإنما هذا الشعر يمثل مستوى الشعراء عندئذ، ويصوِّر تأثرهم بهذه الدعوة ومواقفهم من أعدائها.
(٥) الشعر في الجزيرة العربية، ص ٢٣٨.

يظهر للباحث مدى تأثر شعراء عسير بما يردهم من شعر، وبخاصة من نجد، إذ بدؤوا فيما يظهر يعبرون عن أحاسيسهم وانطباعاتهم في ضوء قصائد الشعراء النجديين الذين كانوا كثيراً ما يكاتبون علماء تلك الأنحاء.

وعلى أية حال فإن المعاني التي صدر عنها النعمي تدل على وضوح الأثر السلفي لدى شعراء هذه المنطقة، وبخاصة حينما أشار إلى هدف تلك المعارك التي أنشئت بسبب هذه الدعوة، وأن القائمين عليها لا يهدفون من ورائها سوى التمكين لدين الله، ومحاربة أعداء الدعوة، ومن يقر ما ينافي التوحيد من قول وعمل، بالإضافة إلى أنه صوَّر الفداء الديني الذي يبذله العسيريون دون مبادئ هذه الدعوة، ولكنه أخطأ حين استخدم لفظ « الكفر » في البيت الخامس، إذ لا يخلو قوله من المبالغة.

وحينما يظهر أثر هذه الدعوة السلفية واضحًا لدى نفر من شعراء هذه المنطقة تجاه أعداء الدعوة من داخل الجزيرة العربية، فإن أثرها قد كان أكثر وضوحًا لدى بعض أمراء عسير الشعراء الذين اصطلوا بنار الحرب، عندماكانوا يخوضون المعارك المستمرة مع أعداء الدعوة من خارج الجزيرة العربية، إذ تسبب ذلك العداء في أسر نفر منهم، ونفيهم خارج بلادهم إلى مِصْرَ وتركيا، مما زاد في آلامهم النفسية، وجعلهم يحنون إلى أوطانهم، وأيامهم الخالية التي شهدت نشاطهم الجاد في سبيل نشر الدعوة والدفاع عنها، ولعل خير من يمثل هذا الجانب من شعراء عسير الأمراء: محمد بن أحمد المتحمي، وابنه مداوي ابن محمد المتحمي اللذان جاهدا في نصرة الدعوة منذ أخذت جيوش محمد علي باشا تغشى بلادهما في إطار تحركها الجائر من أجل القضاء على هذه الدعوة السلفية في الجزيرة العربية. وقد انتهى الأمر بأسر الأمير محمد بن أحمد المتحمي، وابنه مداوي بن محمد المتحمي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م،

وأرسلا إلى مصر، حيث أودعا سجن « القاهرة ». وكان هذان الأميران خلال مقامهما في مصر، يتشوقان إلى أوطانهما، ويستعيدان أيامهما الماضية مع الترك في عسير، إذ شهدت بلادهما مع هؤلاء المعتدين كثيراً من المعارك الضارية خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري من أجل الدعوة السلفية ونصرتها.

أما الأمير محمد بن أحمد المتحمي، فقد برز تأثير الدعوة السلفية في شعره حينما عبر بصدق عن معاناته النفسية، وهو في السجن بمصر بقصائد شعرية لا تخلو من الصدق النفسي، والولاء الحقيقي لمبادئ هذه الدعوة الإصلاحية، فقد ذكر عبد الله بن علي بن حميد، بأن هذا الأمير « قد أرسل بعدة قصائد وهو في مصر »[1] إلى أهله وذويه، يصوِّر لهم ما يكابده من وحشة المنفى وقسوته، ومن تلك القصائد قصيدته التي يقول فيها:

ألاَ أيُّهَا الرَّكْبُ الْيَمَانُونَ وقفوا[2] ... لأصْحبكم منِّي وَصيَّةَ هائم
إذَا جئتمُ الوَادي المنيعَ بتيَّة ... فَعُوجواْ صُدُورَ الْيَعْمُلاَت الرَّوازم
إلَى طَبَب حَيْثُ الصَّوَارمُ والقَنَا ... وفتْيَةُ صدْق كالأسُود الضَّرَاغم[3]
أنَا في رُبَى مصْر، وأنْتُمْ ببلدة ... سَقَاهَا من الْوَسْميِّ صَوْبُ الْغَمَائم
وليَ عندكُمْ لو تعلمُونَ وَيعةً ... يقومُ بهَا ذو نسْبَة في المتاحم
لآلئ عقْد شَتَّتَ الدَّهْرُ شَمْلَهَا ... فأضْحَتْ فرادى مَا بهَا كَفُّ نَاظم[4]

ثم وصف مقامه في عسير، فقال:

وآمرُ بالتَّقْوى وأنْهَى عَن الرَّدى ... وأحْمي حمَى التَّوْحيد عَنْ كُلِّ غَاشم[5]

(١) أديب من عسير، ص ٧٦.

(٢) في المصد «وقفو».

(٣) ورد عجز هذا البيت في كتاب تاريخ عسير كالتالي: « بأيدي رجال من خيار الأكارم » انظر ص ٦٤.

(٤) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ٦٣، ٦٤، ١٦٧، ١٦٩، وانظر كذلك كتاب: الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية: ١٢٠٠ - ١٣٥١هـ، للباحث، ص ٢٩٦، ٢٦٧.

(٥) انظر كتاب: أديب من عسير، جمع محمد بن عبد الله الحميد، ص ٧٧.

ومن الواضح أن هذه الأبيات قد صوَّرت آلام هذا الشاعر، ودلت على صدق تجربته، إذ لم يخرجه من بلاده سوى جور الترك وظلمهم، فقد أشار بصدق إلى منهجه السلفي حين ذكر أيامه السالفة في وطنه، حين كان ناهيًا عن المنكر آمرًا بالمعروف، وحين كان يحمي « حمى التوحيد » كما قال، وتلك أمور تشير إلى نصرة هذا الأمير لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والبلاء الذي بذله في جهاد أعدائها.

ويزيد هذه الأبيات وضوحًا كون هذا الشاعر قد عنى ببيته السادس بناته اللاتى خلفهن وراءه في عسير، إذ لم يكن لهن عائل غيره، ويؤكد هذا القول ما ذكره عبد الله بن علي بن حميد عندما تعرض لهذه القصيدة، حيث قال: بأن الشاعر « في هذه الأبيات يوصي أبناء عمه على حفظ بناته ورعايتهن »[1]، وقال هاشم النعمي كذلك بأنه في هذه القصيدة « يلمح إلى التوصية ببعض ذويه وحرمه »[2]، وهذا يؤكد تضافر هذا النتاج الشعري، مع مبادئ الدعوة السلفية، ويشير إلى المصاعب التي نالها كثير من أمراء عسير من أجل نصرتها وتأييدها.

وبمثلما صدر عنه الأمير محمد بن أحمد المتحمي في شعره من الألم والحنين إلى أهله ووطنه وهو في المنفى بمصر، كان ابنه مداوي بن محمد المتحمي كثير الوله والشوق إلى مسقط رأسه بعسير، ولكنه لم يشبه أباه من حيث التأمل وفسحة النظر، وإنما كان يصدر عن روح فتية نشطة، مما جعل عباراته أكثر صراحة في الحديث عن مواقفه ضد الترك، وهذا ما يفسِّر وفرة شعره وكثرته، فقد جمع في نتاجه بين الشعر الفصيح، والشعر العامي، إذ

(١) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٢) كتابه السابق، ص ١٦٧.

اشتهر حينذاك بما كان يبعثه إلى قومه في عسير من منظوماته الطوال حول أسره، وما كان يجري له مع الترك والمصريين أثناء نفيه ومقامه في مصر، مما لا يخلو من الإبداع الشعري. وذلك حين يصور أحلامه، وما تهمس به نفسه من الأماني التي يعلِّل بها مقامه في السجن[1]، إلى جانب أنه يصف موقفه تجاه أعداء الدعوة السلفية، وما نقموه من أمراء الجزيرة العربية الذين أيدوا هذه الدعوة الإصلاحية ونصروها. وذلك ما يجعل أثرها ساريا لدى الشعراء منهم حين آلمهم فراق أوطانهم، وأضرَّ بهم الحنين إليها، فقد لازمت هذا الشاعر وأباه آلام الغربة وأحزانها وهما بمصر.

وعلى أية حال فإن من الشعر الفصيح الذي نظمه مداوي بن محمد المتحمي وهو بمصر قصيدته التي بعث بها سنة ١٢٣٤هـ[2] إلى شيخه إبراهيم بن أحمد الزمزمي، يصف له فيها حنينه إلى وطنه، ويثني عليه فيها وعلى أسرته العلمية برجال ألمع، إذ قال:

سَلاَمٌ عَلَى عِرْقِ اللّوَى [3] عَدَدَ القَطْرِ ... وحَيَّاهُ هَطَّالٌ يحليه بالزَّهْرِ
دِيَارٌ إذا شَمَّتْ منَ الغَيْث نَفْحَةً ... تَضَوَّعَ مِنْهَا طَيِّبُ النَّبْت بالعطْرِ
فَيَا حَبَّذَا تلْكَ الدِّيَارُ وإنْ نَأَتْ ... ولا حَبَّذَا مصرٌ وإنْ كُنْتُ في مَصْرِ
بِهَا فِتْيَةٌ مِثْل الرَّبِيْعِ لِجَارهم ... وَيَحْمُونَهَا بالبِيضِ والذُّبَّلِ السُّمْرِ

فَيَا أيُّهَا الرِّيحُ اليَمانيَّةُ ابْلغي ... بَني عَمِّنا مني سَلاماً بلا حَصْرِ
فَلَوْلا هُمُو ماحَزَّنِي البَيْنُ والنَّوَى ... فَإنِّي عَلَى ضَيْم الزَّمَانِ لذُو صبْرِ[4]

(١) انظر تلك القصيدة المخطوطة التي بعثها عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي إلى عبد الوهاب بن عبدالعزيز المتحمي، وانظر كذلك: كتاب تاريخ عسير لهاشم النعمي، ص ٦٤، ٦٥، ١٦٩، ١٧٠.

(٢) انظر كتاب: الشعر في عسير، ص ٨٨.

(٣) مسقط رأس الشاعر بوادي طبب.

(٤) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ١٩١، ١٩٢.

ثم قال في مدح الشيخ إبراهيم بن أحمد الحفظي، وأسرته:

إمَامٌ لَقَدْ أضْحَى وحيدَ زَمَانه هُوَ الشَّيْخُ إبْرَاهيمُ مرتفع القَدْر
إمَام هُدًى منْ بَيْت فَخْر وَسُؤْدَدَ مَنَازلهُم فَوقَ الْكَوَاكب والبَدْر
بهم أصْبَحَتْ تلْكَ الدِّيَارُ مُنيرةً وأحيَوا بهَا تلْكَ المَسَاجدَ بالذِّكْرِ[1]

وقد تبيَّن في هذه الأبيات الحنين الذي قاساه هذا الشاعر في منفاه، ومدى شوقه إلى أهله وموطنه، إذ بدأ يستجمع عناصر الحياة من حوله، ويحمِّل ظواهرها مدلولات الواقع الذي يعيشه في السجن. وذلك ما دفعه إلى مخاطبة الريح اليماني ومناجاته، إلى جانب بسط الحديث عن أسرة آل الحفظي وعلمائها في أثناء قصيدته، مما يشير إلى أثر الدعوة السلفية في تلك الأنحاء، وما أصبحت عليه عسير من نشاط علمي في ظلال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبخاصة حينما وصف الشاعر علماء آل الحفظي أنصار الدعوة السلفية بأنهم عمروا المساجد بالذكر والتدريس.

ورغم وضوح الألم والحزن لدى هذا الشاعر، إلا أنه كعادته كان يطيل الفخر والاعتداد بالنفس في مواطن كثيرة من قصيدته هذه. وذلك ما ميَّزه عن أبيه ذي الحكمة والتأمل، ومن قصيدته السابقة قوله:

وكَمْ منْ مَليك غَادرته سُيُوفُنا قتيلاً لَدَى الهَيْجَاء للذئب والنَّسْر
أتَانَا بقَومٍ أهْل بَأس وقُوَّة ولكن لَقينَاهم بقَاصمَة الظَّهْر
طَحناهُمُو طَحْنَ الرَّحَى بثفَالهاً ومَنْ عَاشَ منْ تلْكَ الْجُنُود فَفي الأسرِ[2]

(١) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ١٩١، ١٩٢، انظر كذلك: تاريخ عسير لهاشم النعمي، ص ٦٤ - ٦٦، وكتاب تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي، ج ٢، ص ١٣٥، ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

وإذا كانت هذه القصيدة تمثل مستوى الاتجاه الشعري الفصيح عند مداوي ابن محمد المتحمي، فإن شعره في الاتجاه العامي يصورِّ صدق الموقف تجاه المعارك والحروب التي ابتُليت بها عسير في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، من أجل استئصال مواطن التأييد السلفي، إلى جانب أن هذا الشعور دل على الكرب الذي حل بهذا الأمير ومن معه في الأسر بمصر.

ومن نتاجه الشعري في هذا الميدان قصيدته التي أنشأها في السجن حينذاك، والتي أفاض في ذكرها كثير من المؤرخين المحليين، ومنهم هاشم النعمي الذي قال بأن لهذا الشاعر «قصيدة زجلية [1] شعبية قالها... حينما كان في أسره مع أبيه في مصر يتفجع فيها لما نالهم من الأضداد، ويرثي ملكهم السليب»[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي: في مطلع هذه القصيدة حين استنسخها من أصل مخطوط لديه، بأنها مما قاله مداوي بن محمد المتحمي: «عندما سفَّره الترك إلى مصر ثم إلى إستانبول برفق أبناء عمه...»[3]، وهي في الواقع من عيون الشعر العامي بتلك الأنحاء، ولولا ضعف أداتها اللغوية، والتزام هذا البحث بالنصوص الفصيحة لأخذت بعين الاعتبار، ولتمت

---

(١) كذا في هذا المصدر، والقصيدة ليست كذلك، والزجل: من أوزان الشعر التي أحدثها المولدون، والأزجال والموشحات من اختراعات الأندلسيين وقد تبعهم المشارقة في هذا، والذي استحدثه رجل اسمه راشد، ثم ابن قزمان ٥٥٥هـ وهو إمام الزجالين، ومنه:

وعريش قام على دُكَّان بحَالْ رُوَاقْ. انظر: كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل.

(٢) كتابه السابق، ص ١٦٩.

(٣) ورقة ١.

دراستها، والاستشهاد بها[1] في متن البحث[2].

ومن الواضح أن الأثر السلفي في شعر عسير قد كان واضحًا في الشعر العامي خلال القرن الثالث عشر الهجري، وذلك مايشير إلى وفرته وانتشاره بين الناس. ومن ذلك الشعر ما وُجد من قصائد الأمير محمد بن دهمان في بني شهر الذي عاضد الدولة السعودية الأولى، وعُرف بمواقفه الجليلة تجاه الترك وجورهم، وما زال الناس في تنومة وما حولها، يرددون قصيدة ابن دهمان في ذكر ولده ناصر الذي أسره الترك مع من أسروا من رجال تلك المنطقة وأبنائها[3].

ويشبه شعر ابن دهمان في قصيدته العامية هذه ما وجد في إحدى

---

(١) منها قول الشاعر، وهو بمصر يتشوق إلى أهله ووطنه:

« خله ويا بارق على الحز لماع   كانه بشير بكسب المال طماع
يومي بكفه عند إقبال رعيانه

وكلما ناض شاقتني مساريه   والقلب قد هو على مثل المداريه
والدمع يذرف من عيوني على أجفانه

أنيت يا بارق قد فات مرواه   أين أنت وأين الذي في مصر مأواه
متحير فيه ضاقت به أحزانه

مثيل يوم أقبلوا ترك ابن عثمان   علوى مع رميهم شيب وشبان
من كل رخو يقاد الكحل بأعيانه

مثل السلاقى مع قناصة الصيد   لها الحفى والفنا والجوع لاغير
تشتل ما طاح منهم عقب كوانه »

وهي قصيدة رائعة تجدها في مكتبة عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي الخاصة، بشوحط، بعسير، وفي كتاب: تاريخ عسير لهاشم النعمي، ص ١٦٩.

(٢) انظر: أديب من عسير، ص ٦٧.

(٣) انظر شيئاً من أبيات هذه القصيدة في مقال كتبه محمد عبد الله ناشع بمجلة " صوت الظهارة " التي تصورها المدرسة المتوسطة بالظهارة، ع٢، ١٣٩٦هـ، ص ١١، ١٢.

المذكرات التاريخية ببلاد زهران من شعر عامي، ولكنه يصور كيد الأتراك في دورهم الثاني بتلك الأنحاء حين أَسروا عام ١٢٥٥هـ رجالاً من غامد وزهران، وأخرجوهم من ديارهم إلى مصر وغيرها، وقد أفاض صاحب تلك المذكرات المجهول في إيراد كثير من شعر قومه العامي الوافر[١].

والحق أن ما بين أيدينا الآن من مصادر علمية لا يشير إلى شيء من تراث شعراء عسير السلفيين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، سوى ما ذكره أحمد بن علي بن وابط العمري في مقدمة إحدى قصائده، إذ قال: «وبعد فإنا وقفنا على قصيدة لابن ناصر شاعر محمد بن عايض بن مرعي»[٢]، ولا نعلم شيئاً عن ابن ناصرهذا سوى ذكره في هذه العبارة، ولعله من الشعراء العامين المعروفين في عسير حينذاك بدليل أن القصيدة التي ورد ذكره في صدر مقدمتها النثرية هي من الشعر العامي، ونُظمت نقضًا لقصيدته نفسه، إذ الغالب على شعر عسير أن شعراء رجال ألمع هم الذين عمروا الحياة الأدبية في عسير، وبخاصة في مجال الشعر خلال تلك الفترة. وذلك بحكم اتصالهم

(١) ورد في هذه المذكرة قول كاتبها: «وفي سنة خمس وخمسين مات راشد رحمه الله، وخرج الباشة ثانية٤٧١ حتى نزل الباحة، ولزم جمعان بن راشد، وعمه (محمد وناس) من زهران، وعبد الله الغامدي (وناس) من غامد وسفروهم لمصر، ومما قيل في ممشاهم شعراً»:

«وفي العقبة نمشي بقوم وسلسال	والحاج غاه أوطى بنا من حجرها
ليل بنا في مطرح العين خيال	عند ابن شرفا وحامد سبرها
ومع صلاة العصر والقوم تنجال	لفوا بنا ما نبصر إلا نحرها
... بنا في يبس ما حد لنا سال	إلا العساكر تحت فية شجرها»

وقال كاتب هذه المذكرة: «ومكثوا في مصر تسعة أشهر، وخرجوا من ذلك المكان» انتهى.
وهذه المذكرة المخطوطة غير مرقمة الأوراق، وتوجد في مكتبة آل رقوش الخاصة بزهران.

(٢) من ورقة مخطوطة توجد لدى الباحث.

السياسي بأمراء عسير عندئذ، ومساندتهم لهم في شؤون التعليم والقضاء والإرشاد، وذلك لم يدع لمن سواهم فرصة نظم الشعر والمشاركة فيه. وقد أخطأ من جعل سليمان بن سحمان من شعراء عسير[1]، إذ هو في الواقع من شعراء نجد المشهورين الذين نافحوا عن الدعوة السلفية بإخلاص، وليست العبرة في ولادته بعسير، وإنما في موارد ثقافته التي أفاد منها مذ رحل مع أبيه إلى نجد، وكان أبوه سحمان بن مصلح الخثعمي قد وفد إلى أبها في عهد الأمير عايض بن مرعي.

ورغم ابتلاء عسير بغزوات الترك المتكررة، بقيت الروح السلفية نشطة في قلوب شعراء عسير وبخاصة الأمراء منهم، فعندما قضى الترك على إمارة آل عايض في عسيرعام ١٢٨٩هـ، استمر من بعد ذلك الأثر السلفي في شعر نفر من أمراء هذه الأسرة، ولعل من أبرزهم الأمير علي بن محمد بن عايض (١٢٧٩ - ١٣٢٤هـ) الذي يقول في إحدى قصائده معارضا لأحد شعراء تهامة، ومعرضا بكيد الترك وبغيهم[2]:

نحن مع السادة الأنجاب من قدم	في حب ذات إله يكشف الكرب
وأن يكدره الغـوا[3] في زمني	فربما خطرة في حالة العجب
تعد في قالب الحسن الجميل لمن	يحوطها من دناءات ومن عطب
تحمي حماها فلا تريك إن رفلت	تيها برغم حسود وصل مغتلب
حماتها الأولون السبق نجدتهم	من كل معتقد في الله محتسب[4]

(١) يرى بعض الباحثين والكتاب أن هذا الشاعر من شعراء عسير. وهذا أمر يخالف الواقع الذي يصدر عنه في شعره.

(٢) عبد الله بن مسفر، أخبار عسير، ص ١٧٩.

(٣) كذا في الأصل المخطوط، ولعلها الأغرار، أو الغرار.

(٤) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث. وفيها إقواء. مع ملاحظة إشباع النون في (نحن) في صدر البيت الأول.

ويبدو موقف علي بن محمد بن عايض من أفعال الترك في عسير واضحًا من خلال التعرض لذكرهم، والإشارة إلى إمارة أسلافه الذين هم - كما قال - : « حماتها الأولون » من المعتقدين في الله المحتسبين فيه، ولذلك فقد « اتسمت هذه الأبيات بشيء من خصائص الشعر السياسي »[1]، ناهيك عن الحرقة والآلام التي برزت في هذه الأبيات، إذ دل هذا الحال على موقف هذا الشاعر من الترك أعداء الدعوة السلفية الألداء.

وقد أخرج الله الترك من عسير عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، وعادت البلاد إلى سابق عهدها السلفي، حيث أخذ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يؤلف بين أجزاء البلاد، ويعيد لها عهدها الذي كانت عليه في عهد أسلافه آل سعود منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري، فقد شهدت البلاد شيئا من نشاط الشعراء التقليديين في أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ولعل من أشهر أولئك الشعراء: القاضي عبد العزيز بن محمد الغامدي الذي بعث بقصيدة شعرية إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، يمدحه فيها، ويشكو له آثار الجيش الذي مر ببلاد غامد في هذه الأثناء، حيث قال:

عبد العزيز الذي سارت فضائله	مسيرة الشمس ضحوا ما لها حجبُ
فبلغوه سلاما دائما أبداً	والريح تبلغ ما تأتي به النجبُ
مني السلام عليه كلما طلعت	شمس الضحى إذا[2]لم تحجب الكثبُ
والله ينصر في الإسلام قومته	لينصر الدين حتى ينفد الكذبُ

---

(١) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣٠٤.

(٢) هنا ركاكة في الوزن وضعف.

ولا أباح إمــــام المسلمين لهم ... حــاشــاه لكنهم قــوم بنا لعــبُــوا
ويوم عـاب عليـهم فعلهم رجـعوا ... مــقــاومين وهم عن هديه رغــبُــوا
وكــان من أمـره تفـريق جـمـعـهم ... والحلم يخشى عليه البغي والغضبُ
من قبل أن تسلب الأرواح شاخصة ... منهم ولا سلم المسلوب والسلبُ
ياراحلين إلى اهل العلم قل لهمو[١] ... يحمون شرع رسول الله لا نكبُوا[٢]

وإن طاعــة إمــام المسلمين بهــا[٣] ... يخزى اللعين عليه ترسل الشهبُ
له علينا الوفــا[٤] مــادام آمــرنا ... والله ينصـره مــا دامت النجب[٥]

وقـد حـفل شـعـر هذا الشـاعـر بشيء من المدائح الشعـرية في الملك عبدالعزيز، مثل مقطوعته الشعرية التي مدحه بها فيما بعد[٦]، ولعل الغالب على قصائده التي أنشأها في العهد السعودي الحاضر، أنها تصطبغ بصبغة سلفية واضحة، لم تكن معهودة في نماذج شعره التي وجدت في مدح أشراف مكة والإدريسي في تهامة[٧] ولعل إحساس هذا الشاعر بمبادئ الدعوة السلفية ونصرته للقائمين عليها؛ قد دعواه إلى التأثر بهذا المنهج السلفي، وجعلاه ينظم شعره في ميدانه.

---

(١) هكذا ورد هذا الشطر، وفيه انكسار عروضي، وقد استعمل ضمير المفرد.
(٢) كذا الوزن العروضي في هذا البيت.
(٣) لا يستقيم هذا البيت إلا بتسكين التاء المربوطة في « طاعة ».
(٤) في الأصل « الوفي ».
(٥) يوجد الأصل المخطوط لهذه القصيدة لدى محمد سعد البركي، ببلجرشي، وهكذا ورد النص في الأصل بما فيه من لحن وكسر في أكثر من موضع.
(٦) توجد هذه القصيدة لدى عبد الوهاب بن عبد العزيز الغامدي، ببلجرشي.
(٧) انظر: تاريخ المخلاف السليماني للعقيلي، ج٢، ص ٢٢٤.

والحق أن النهضة الأدبية الحقيقية بعسير، قد ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري شأن بقية أجزاء البلاد السعودية الأخرى. وذلك حين أفادت هذه الأجزاء من أدب الحجاز في أوائل العهد السعودي الحاضر الذي يُعَدُّ بداية للأدب الحديث بهذه البلاد[١]، إلى جانب أنها واكبت التطورات الحديثة التي شهدتها البلاد في مجال الأدب، وبخاصة المؤثرات الأدبية الوافدة من البلاد العربية الأخرى، بالإضافة إلى أن شعراء عسير قد بدؤوا يأخذون كغيرهم بأسباب الثقافة المنتشرة بين معظم إخوانهم في المراكز الفكرية ببقية البلاد السعودية[٢]، إلى جانب شيوع العلم وانتشاره بين الأهلين وطلبة العلم، وارتحال العسيريين إلى مراكز العلم الأخرى.

ومن أشهر شعراء عسير المحافظين في هذه الفترة المتأخرة عبد الله بن علي بن حميد (١٣٢٦ - ١٣٩٩هـ) الذي عُرف بمحافظته على نهج القصيدة المعهودة، وأنه من الشعراء الذين واكبوا نهضة الشعر الحديث في عسير، واتصلوا بمن سبقهم من شعراء هذه المنطقة ومجاوريهم. ومن قصائده في هذا الميدان قصيدته التي مدح بها الملك فيصل بن عبد العزيز إبان زيارته لهذه المنطقة، ومنها قوله:

عج بي على الرّبع أستجلي مجاليها	أجدد الذكرى في ماضي لياليها
أستنشق الشيح والحوذان باكره	وبل مسح ملح من غواديها
تحلب المزن في أرجائها غدقا	واخضرت الأرض واهتزت روابيها
تشدو الطيور على أغصان عرعرها	كأن داود عن قرب يناغيها

---

(١) منصور بن إبراهيم الحازمي، معالم التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين، مجلة الدارة، ع ٢، س ١، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ، ص ١٠.

(٢) محمد بن عبد الرحمن الشامخ، ملامح التجديد في الأدب السعودي، مجلة الدارة، ع ١، س ٥، ربيع الثاني ١٣٩٩هـ، ص ١٥٤.

يســـــبح الله ألحـــــانا ترددها　　جـبـــال تـهلل أصـــداء تغنيــهـــا
تشارك الشعب أفراحاً يعيش بها　　أهل الجنوب بقاصيها ودانيها[1]

وتظهر في هذه الأبيات المحافظة على نهج القصيدة المعهود إلى جانب لغتها المنتقاة، وقافيتها المختارة الموحية، بالإضافة إلى الكلمات المحلية المستخدمة التي أشار من خلالها إلى عناصر بيئته. وذلك كله خدم هذه القصيدة، وساعد على إظهار ملامح اليقظة الشعرية في عسير. ويبدو أن شعر ابن حميد قد حفل بكثير من القصائد التي قيلت في المناسبات[2]، إذ يكاد هذا الجانب يعم معظم ما وُجد له من شعر، ولكنه يوحي ببواعث نهضة شعرية في عسير. وذلك حينما اتصلت تلك الأنحاء ببقية أجزاء البلاد السعودية في هذا العهد السعودي الحاضر. فقد بدأ الشعراء عندئذ يدركون بواعث النهضة التعليمية والثقافية، ويشهدون ما تنعم به بلادهم من الأمن والاستقرار والصحوة الإسلامية الجادة، مما جعلهم يشاركون بنتاجهم الشعري في هذه المظاهر الاجتماعية والفكرية المختلفة.

(١) عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٨٩. وقد ورد في إحدى الأوراق التي حصلت عليها من جامع هذا الكتاب قصيدة مشابهة لهذه القصيدة، لكنها تختلف عنها في بعض ألفاظها وترتيب أبياتها، ممايدل على أن صاحبها قد بدل قصيدته هذه كثيراً من ألفاظها فيما بعد، ولكي يستقيم الوزن في البيت الأول لا بد من اختلاس مدة الألف اللينة في كلمة « الذكرى ».

(٢) يلاحظ في هذه القصيدة السابقة أن ابن حميد قد اقتفى ابن عثيمين في مطلع قصيدتة النونية المشهورة، انظر ص٧٢٣ من هذا البحث، وهذا ما يؤكد اتصال شعراء هذه الأنحاء بنتاج إخوانهم في بقية أجزاء البلاد السعودية الأخرى.

الفصل الثاني

أثرها في شعر رجال ألمع

يعد شعراء رجال ألمع من أبرز شعراء جنوبي الجزيرة العربية نصرة للدعوة السلفية وتأييداً لها؛ وذلك لأن ظهور هذه الدعوة الإصلاحية قد حقَّق لهؤلاء الشعراء وجهة فكرية وأدبية مناسبة لطالما بحثوا عنها من قبل، ثم إن أولئك الشعراء كانوا يمثلون العلماء أنفسهم في رجال ألمع، إذ لم يكن في هذه البلدة وفرة في الأُسر العلمية والاتجاهات الدينية، غير ما تمثله أسرة البكريين آل عجيل، ومن نهج منهجهم من ساكني رجال ألمع والدارسين فيها. ولذلك تميز هذا المركز الفكري بأن شعراءه يمثلون جانب التأييد لهذه الدعوة، وأنهم الذين سعوا في نشرها في بلدان جنوبي الجزيرة العربية عن طريق ما يذيعونه من شعر ومكاتبات نثرية.

والحق أن هذه الدعوة قد أثرت كثيراً في شعر رجال ألمع. وذلك حين صرفت شعراءها عما اعتادوه من الاتجاهات الفكرية المذهبية التي كانوا ينظمون شعرهم في سبيلها، ثم إنهم أصبحوا من بعد تأييدهم لهذه الدعوة، يصدرون عن روح سلفية واضحة غلبت على نتاجهم الشعري السابق، بالإضافة إلى أن اتجاه أولئك الشعراء انحصر فيما بعد - إلى حد كبير - في خدمة هذه الدعوة ومبادئها.

ويظهر أن أثر هذه الدعوة السلفية قد ظل مستمرا في شعر رجال ألمع خلال القرن الثالث عشر الهجري، وأن الثلث الأول من هذا القرن نفسه يكاد يتميز عن سواه بما حفل به من نتاج شعري وافر، إذ عرف رجالاً من البكريين الأُوَل الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذه الدعوة ونصرتها، ومع ذلك بقي الأثر

السلفي واضحًا لدى الشعراء الحفظيين فيما بعد، رغم ضعف المد السياسي لهذه الدعوة السلفية وارتباط نتاجهم الشعري في أغلب الأحيان بأمراء عسير، وإن ظهر شيء من الاتجاهات الدينية في شعر نفر منهم عندئذ، فإنما يأتي نتيجة للعزلة الفكرية التي كان ينكفئ عليها بعض أولئك الشعراء في بلدتهم رجال ألمع، أو حينما يتصلون بغيرهم من شعراء المخلاف السليماني أو اليمن.

وإذا كان هذا حال شعراء رجال ألمع في القرن الثالث عشر الهجري، فإن الظروف السياسية التي ابتُليت بها عسير في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، قد أثرت كثيرًا في نشاط الشعر بهذه البلدة، إلى جانب أن الاتجاهات الدينية التي ظهرت في المخلاف السليماني[1] عندئذ، قد شدت كثيراً من اهتمام شعراء رجال ألمع إليها، مما لا يهيئ فرصة المقارنة بين الشعراء الحفظيين في هذا العهد وأسلافهم، وأسلافهم الأول في القرن الثالث عشر الهجري، ومع ذلك وُجد نفر منهم ممن شهد انضمام تلك الأنحاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية، وشارك بنتاجه الشعري، هذا إلى جانب وجود بعض الشعراء الحفظيين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري الذين شهدوا مثل غيرهم من شعراء تلك الأنحاء اليقظة العلمية في بلادهم وأدركوا الأمن والاستقرار اللذين غشيا منطقتهم في هذا العهد السعودي الحاضر.

ومن الواضح أن شعر العلماء برجال ألمع لم يكن إلا جزءاً يسيرًا من نشاطهم العلمي الوافر الذي كان ظاهرًا في علوم الدين واللغة العربية والتاريخ، وأنهم بهذا الحال قد أشبهوا غيرهم من شعراء الجزيرة العربية، ولكنهم قد تميزوا إثر نصرتهم لهذه الدعوة السلفية، وتأييدهم لها، بأنهم

---

(١) مثل التصوف الذي أحياه محمد بن علي الإدريسي في تهامة.

أخذوا ينظمون شعرهم في كثير من القضايا الإسلامية والوطنية والاجتماعية والذاتية، وأنهم قد خرجوا عن الإطار التقليدي المعهود في شعر العصور الأدبية الأخيرة، إلى جانب أن شعر هؤلاء الشعراء برجال ألمع كان أكثر تحرراً من شعر بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى سواء كان ذلك في المضمون أو الشكل. وربما يعود السبب في ذلك إلى الانصراف الكلي لخدمة هذه الدعوة، ولم يكن هذا الشعر خالياً مما عرف به شعر تلك الأنحاء من الصنعة اللفظية، والضعف في الأداة وأسلوب التعبير، وإنما هو أقل مستوى مما عرف من شعر في المخلاف السليماني واليمن، ومع ذلك فقد كان شعراء رجال ألمع خيرَ من عبَّر عن أحوال تلك الأنحاء، وخير من صوَّر أحداثها إلى جانب وفرة شعرهم وكثرته قياسًا على سواهم[1].

ويمكن للباحث أن يتتبع أثر الدعوة السلفية في شعر رجال ألمع من خلال النتاج الشعري الذي قيل بدافع من تأثير هذه الدعوة الإصلاحية نفسها، فالحق أن أولئك الشعراء لم يكادوا يدركون هذه الدعوة حتى أقبلوا على تأييدها، ونشر أخبارها في بلدتهم وما جاورها من البلدان، ولعل الرسائل الإخوانية في مجال النثر قد سبقت الشعر في تأييد هذه الدعوة ومكاتبة دعاتها[2] في نجد من قبل هؤلاء الشعراء برجال ألمع، ومع ذلك تدل المصادر على أن الشعراء الأوَل بهذا المركز الفكري قد أنابوا عنهم من ينقل مبايعتهم إلى الدرعية، حينما مالت قلوبهم إلى هذه الدعوة، فقد بعث الشيخ محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦ - ١٢٣٧هـ) بقصيدة إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٦٥ - ١٢٢٩هـ)، يعتذر له ولأبيه عن عدم حضورهما إلى الدرعية، ويظهر

---

(١) تهيأ حتى الآن من مصادر الشعر في رجال ألمع عدة مجاميع، منها: الروض المرضي في شعر آل الحفظي، ومجموعة شعر الحفظي، إلى جانب المجاميع الشعرية المطبوعة، مثل: نفحات من عسير، وشعاع الراحلين، وما جمع من القصائد المخطوطة المتفرقة.

(٢) انظر ص (٣٠٠) من هذا البحث.

مبايعتهما له وتأييدهما لهذه الدعوة السلفية، ومما قال فيها:

وها أنا من عجزي سأرسل نائبًا ... يبايع عني ثم يعطي له عهدي

ويتخيل الشاعر عندئذ رحلة نائبه التي سيقضيها في سيره من رجال ألمع حتى يبلغ الدرعية، ثم قال:

وفي العارض المنقاد خَيِّمْ وحطَّ[1] في ... جوانبه واشكر إلهك بالحمد
فمنه ترى الدرعية القصد والمنى ... ومن حل فيها هم مناي، وهم قصدي
وقف بديار الشيخ عبد العزيز من ... دعانا ولبيناه بالصدق والجد
وقل: يا إمام المسلمين وشيخهم ... وقائدهم بالحق في جنة الخلد[2]
أتيت إليكم من بلاد بعيدة ... ولا عجب فالحق يؤتى من البعد
وأرسلني الخل المحب[3] محمد ... ووالده الحفظي[4] فاسمع لما أبدي
فأولها يهدي السلام عليكم ... ورحمة ربي والتحيات كالشهد
ويخبركم بالإستجابة[5] للندا ... وتلبية الداعي إلى أحسن القصد
وهذي يدي عنه لبيعتكم، وذي[6] ... يميني له للعهد[7] والربط للعقد
على وحي ربي واتباع نبيه ... على حسب الطاقات أو مبلغ الجهد[8]

(١) لكي يستقيم وزن البيت فلا بد من فتح حركة هذا الفعل.
(٢) كذا في الأصل، وهو من قبيل التمني، من قولنا: ذهب إلى رحمة الله على سبيل التفاؤل أو التمني. وفي البيت الأول ركاكة في الوزن.
(٣) كذا في نفحات من عسير، وفي الأصل المخطوط «العبد الفقير».
(٤) هو أحمد بن عبد القادر الحفظي.
(٥) ترسم الهمزة همزة قطع تحت الألف؛ لكي يستقيم وزن البيت، وهي ضرورة شعرية؛ لأن الهمزة في هذا اللفظ همزة وصل.
(٦) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير «ذا».
(٧) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير «لعقد العهد».
(٨) توجد هذ القصيدة لدى الباحث. انظر: نفحات من عسير، ص ٤٧، ٤٨.

وتأتي هذه الاستجابة من لدن محمد بن أحمد الحفظي وأبيه واضحة، لم تبرز لدى غيرهما من شعراء جنوبي الجزيرة العربية، وقد دللا على حقيقة مبادرتهما هذه بالعمل الجاد الفعلي لنشر هذه الدعوة في البلدان المجاورة لهما، فقد أخذا يدعوان أئمة اليمن، وأشراف تهامة إلى قبولها ونصرتها، ورغم وفرة المصادر التي تتحدث عن نشاط الشعراء في رجال ألمع، إلا أنه يحدث لبس في تحديد القصائد ونسبتها، فقد اختُلف في تلك القصيدة التي وُجِّهت إلى إمام اليمن المنصور أهي لأحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٤٥ - ١٢٣٣هـ)، أم لوالده محمد بن أحمد الحفظي ؟ رغم اختلاف القصيدة في نسق الأبيات وصياغتها، فقد ذكر جامع " نفحات من عسير " أنها لمحمد بن أحمد الحفظي[١]، بينما تشير مجموعة أشعار الحفظي المخطوطة أنها لأحمد بن عبد القادر الحفظي[٢]، ومع ذلك فالقصيدة أُنشئت من أجل نصيحة أئمة اليمن وساكنيها، ودعوتهم إلى قبول هذه الدعوة ومما ورد فيها قول ناظمها :

ألا بلغا ما تسمعا من عواليه ... وقولا بإسناد ومتن لواعيه
صفا سلسلا أخبار نجد وصححا ... عليا، فآيات الكتاب تعافيه
وإن جزتما أهل المدارس فانشرا ... لمطوي[٣] تبليغ إليهم أوديه
وعما وخصا بالسلام جميعهم ... تحية إسلام لحق تواخيه
وقولا لهم إنا سمعنا مناديا ... ينادي إلى التوحيد أهل أراضيه[٤]
وينهى عن الشرك الكبير بحجة ... من الله ركت من ضلال رواسيه[٥]

---

(١) ص ٥٦.
(٢) ورقة ٢١.
(٣) في الأصل «لطوى»، ولعلها «لمطوى»؛ ليستقيم وزن البيت.
(٤) كذا الوزن العروضي في هذا البيت.
(٥) مجموعة أشعار الحفظي « مجموع » مخطوط، ورقة ٢١.

هلمـوا ألموا أسـرعـوا وتسـمـعـوا أصيخوا أجيبوا أنصتوا لتلقيه[1]
فـإياكم والشـرك يا قـوم فـانتـهـوا ودونكم التوحيد من غير تشبيه[2]

إليكم جـمـيع المسلمين نصـيـحـة عـساها ـ بإذن الله ـ للسقم تشفيه
سرت من رُجَال[3] بلغ الله قصدها إلى اليمن الميمون نصحا لأهليه[4]

وبمثل هذه القصيدة بعث محمد بن أحمد الحفظي بقصيدة مماثلة إلى القاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي[5] (١١٤٨ - ١٢٢٤هـ) وأشراف المخلاف السليماني وعلمائه[6]، لما « كاد الأشراف أن يتواطؤوا [على التراجع] عن إجابة الدعوة والدخول في تلك العقوة »[7]؛ وذلك من أجل نصحهم[8] وترغيبهم فيها، فقد ذكر عاكش أن الحفظي أنشأ هذه القصيدة « يستحث بها أهل الجهة[9] على الدخول في سلك طاعة النجدي[10] »[11]، ومنها قوله:

هام الشـجي وهاج شـوق المـتلي وبدت صـبـابات الغـرام الأول

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٦، والشطر الأخير مكسور الوزن العروضي.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(٣) رجال ألمع.
(٤) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٢١، ٢٢، نفحات من عسير، ص ٥٦، ٥٧. ولعل الحفظي هنا قد قبس من قول محمد بن إسماعيل الأمير: « سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ». انظر: ديوان الأمير الصنعاني، ورقة ٥٦.
(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٩.
(٦) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٨.
(٧) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١١.
(٨) المصدر نفسه، ورقة ١١.
(٩) المخلاف السليماني.
(١٠) الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.
(١١) الديباج الخسرواني، ورقة ١٩.

وتذكرت نفس[1] المشوق عهودها ... وورودها بسعودها[2] في المنهل
وبدت لنا من ثغر دهر بسمة ... هشت لها أرواح قوم كمل
وتعرض النفحات مأمور به ... فيما روينا عن نبي مرسل[3]
ولئن[4] ظفرت بمطلب فلي الهنا ... إن كان قصدي صالحا من أول
ولئن تعذر ما نظمت لأجله ... فبقدرة الله العلي المعتلي
فهو الذي ما شاء كان ولم يكن ... مالم يشأ فاعلم بهذا واعمل
فباسمك اللهم أبدأ أولا ... متعرضا لنوالك المتنزِّل
ومعرضا لا معرضا لنصيحة ... ندبت لها آي الكتاب المُنْزَل[5]

ويتحقق من هذه القصائد السابقة أن شعراء رجال ألمع كانوا كثيراً ما يسعون في إقناع العلماء وأولي الأمر بالبلدان المجاورة لهم ؛ من أجل قبول الدعوة وتأييدها ، وأن العلماء والأهلين في تلك الأنحاء كانوا على معرفة بهذه الدعوة السلفية وبمبادئها وتعاليمها . وقد ظهرت اهتمامات أولئك الشعراء واضحة تجاه هذه الدعوة منذ أخذوا يمهدون لنشرها ويؤيدونها ، مما جعل هذا النتاج الشعري بداية فعلية لبسط مبادئ الدعوة من خلال الشعر ، وتسخيره لخدمتها وشرح أفكارها ومبادئها ، فقد تفاوت الشعراء برجال ألمع من بعد ذلك فيما ينشئونه من قصائد مختلفة في ميدان هذه الدعوة السلفية ، وذلك ما يمكن

---

(١) كذا في نفحات من عسير ص ٥٨ ، وفي نسخة هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث ، والديباج الخسرواني : « بيش » ورقة ١٩ .
(٢) كذا في الأصل المخطوط ، وفي نفحات من عسير «لسعودها » ، ص ٥٨ .
(٣) هذا البيت ساقط في الديباج الخسرواني .
(٤) كذا في الديباج الخسرواني ، وفي نسخة هذه القصيدة المخطوطة « فلئن » .
(٥) مجموعة أشعار الحفظي ، ورقة ١١ ، الديباج الخسرواني ورقة ١٩ ، ٢٠ ، نفحات من عسير ، ص٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على من بلغ البلاغ المبين وعلى آله
وصحبه أنصار الدين وعلى من تبعهم بإحسان خصوصاً إمام هذا الزمان
أما بعد فإن الجهاد ذروة الإسلام وسنامه ومنار الدين
وأعلامه ندب إليه الكتاب العزيز وتكررت فيه الآيات بما فهمه
أهل التمييز ورتب الله على ذلك من الثواب ما لا يدخل تحت حساب
فيا هنيئاً للمجاهد ويا بشراه ومن أوفى بعهده من الله ثم إنه ورد
في فضله وثوابه ووجوبه وأسبابه من الأحاديث النبوية والأخبار
المصطفوية ما يهون عليه بذل الأرواح والنفوس ويخف عنده
إنفاق النفيس والمنفوس وكم له من رتب عالية وسلعة الله
غالية ولما كان في شهر شعبان المعظم بالليلة التي يفرق فيها
كل أمر حكيم ويبرم انتدب للخروج إلى الجهاد واحتسب
بجمع الجموع والأجناد الأخ في الله والحبيب في دين الله الإمام عبد الوهاب
ابن عامر عمر الله به أركان الدين وجعله من المتبعين المقتدين
بسيرة سيد الأولين والآخرين صلى الله وسلم عليه وأرسل إلى الأمراء
في كل ناحية وندب الجيوش من كل بادية ولما تحقق عندي عزمه
وصحة نيته وجزمه تكلفت الوصول إليه واستظهرت ما عنده
ولديه حتى تطيب النفس بصلاح النية فإن على دين الراعي تكون
دين الرعية وقد ورد أيضاً كما تكونون يولى عليكم فظهر منه ما
وافق وطاب وطابق مقتضى السنة والكتاب وفي حديث الثلاثة
الذين أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن [illegible] بالسريرة
وفي الحديث الذي في صحيح البخاري في قوله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية

من آثار علماء آل الحفظي برجال ألمع

تتبعه خلال دراسة نتاج أولئك الشعراء، فالحق أن هذه الدعوة قد أثْرَت واقع الشعر في رجال ألمع، وجعلته ينصرف ـ في الغالب ـ إلى خدمتها، حيث تعددت اتجاهاته وتوافرت أغراضه ومعانيه. وهذا ما يميز رجال ألمع عن غيرها من بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

وإذا كان أحمد بن عبد القادر الحفظي، وابنه محمد بن أحمد الحفظي قد مهَّدا لظهور الدعوة السلفية في جهاتهما، فإنهما يختلفان في وفرة الشعر ونتاجه، إذ يكاد محمد بن أحمد الحفظي يفوق الشعراء الحفظيين بوفرة شعره وخدمته لهذه الدعوة، ومع ذلك أسهم أبوه بشيء من النتاج الشعري في هذا الميدان السلفي. والحق أنهما من أشهر شعراء رجال ألمع الذين نصروا هذه الدعوة وأيدوها في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد حفل شعر أحمد بن عبد القادر الحفظي بشيء من القصائد التي قيلت في الثناء على هذه الدعوة ودعاتها. ومن شعره في هذا الميدان قصيدته التي بعث بها الإمام سعود بن عبد العزيز عقب دخوله مكة المكرمة، واستيلائه عليها، ومنها قوله:

خليفة صدق[1] ناصح[2] الله جهرة	فناصحه[2] بالصدق[3] أمضى المواضيا
على محكم التنزيل يهدي ويهتدي	وينصر مظلوما ويقمع عاصيا
وينهى عن الشرك الذي طمَّ بحره	ويأمر بالتوحيد قاصٍ[4] ودانيا

(١) كذا في نفحات من عسير، وفي الأصل «لله».
(٢) في الأصل «ناصح»، ولعل الصواب: «ناصر»، «فناصره»؛ إذ هو - فيما يبدو - تصحيف من الناسخ.
(٣) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير «الصدق».
(٤) كذا في الأصل؛ ليستقيم الوزن.

فيا فرقة صمت عن الحق ما الذي ... دعاكم فأشركتم مع الله ثانيا ؟

ألم تنظروا في الكائنات فإنها ... تدل على توحيده والتعاليا ؟ !

أليس كتاب لله حبلاً معلقًا ... بأيديكم غضاً طويلاً سماويا ؟ !

ألم تدرسوا ما فيه - يا قوم - ما لكم ... تبدلتم من[1] ربكم كل فانيا[2] ؟ !

وقال يثني على أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

وحفَّ بآل الشيخ أعلام مكة ... على حلقات الذِّكر حق[3] إلهيا

مدارس في التوحيد تصنيف والد ... لهم طالما عفّت[4] عليه العوافيا

فأصبح توحيد العبادات ظاهراً ... على الأرض والشرك المحرم خازيا[5]

أئمة حق والنصوص طريقهم ... وأحمد خِرِّيتُ الطريق وهاديا [6]

وتأتى مشاركة أحمد بن عبد القادر الحفظي في هذا الميدان السلفي قليلة، إذا ما قيست بنشاطه الأدبي في مجال النثر، إذ يبدو أنه من أكثر شعراء رجال ألمع في هذه الفترة نتاجًا للنماذج النثرية المعهودة من خطب ووصايا وغيرها[7]. ولعل مكانته العلمية واتصاله بعلماء جنوبي الجزيرة العربية الآخرين قد صرفه

---

(١) في الأصل « عن ».

(٢) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٢٢، ٢٣، نفحات من عسير ص ٢٩. وقد ورد الشطر الأخير من البيت السابع في المجموعة المخطوطة رقم ٨١٤م جامعة الملك سعود كالتالي: « فبد لتموا عن ربكم كل ثانيا».

(٣) هكذا وردت في الأصل.

(٤) في نفحات من عسير « عضت »، ولعلها الصواب على ضعف مدلولها.

(٥) كذا في الأصل، والعامل فيها: أصبح المُقَدَّرة.

(٦) في نفحات من عسير « عاديا ». وهو خطأ، انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج١٢، ص ٤٥، ٤٦، وانظر كذلك: نفحات من عسير، ص ٣٠. وفي القافية إقواء.

(٧) له شيء من الخطب والوصايا في ميدان الدعوة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري.

إلى التأليف والإفتاء والقضاء بما كفاه عن النظم والمشاركة الشعرية، وربما تجلى أثر الدعوة في شعره أوضح من غيره؛ وذلك لأنه كان من أكثر أولئك الشعراء انصرافًا إلى شعر التصوف[1] والتشيع[2]، اللذين تميز بهما الشعر في رجال ألمع قبيل ظهور الدعوة السلفية كما ذكره. وقد كان من نتائج ظهور هذه الدعوة واتصال أولئك الشعراء بها أن أقلع أحمد بن عبد القادر الحفظي عن الاشتغال بهما، والنظم في مجالهما، وقد أثنى عليه في ذلك - فيما بعد - الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وعلى ابنه محمد بن أحمد الحفظي حين تركا الاشتغال بالتصوف[3]، وما يخالف مبادئ الدعوة السلفية.

وقد أقر بذلك أحمد بن عبد القادرالحفظي في إحدى قصائده حين بيَّن أثر هذه الدعوة الإصلاحية في حياته الفكرية والدينية التي اعتادها من قبل، حيث قال:

وإنا سـمـعنا داعي الله مـعلنا	من الأفق الأعلى تجلى لـرائيـه
فـقلنا بحـمـد الله مـثل مـقـاله	جـوابًا وحـوقلنا[4] بعـزم وتوجيـه
وقلنا له: أهلاً وسـهـلاً ومـرحـبًـا	بما أنت تبـديه ومـا أنت تخـفـيـه
ومـا قلتَـه حقٌّ وصـدق وإننا	نُقـرُّ بما قـد كـان منا ونقليـه
نعـوذ بك اللهم من شـرك عـالم	وغَـفـرانك اللهم من جـهلنا فـيـه
ولبـيك شـيخ المسلمين مـحـمـداً	وسـعـديك - يا عـبـد العـزيز - ولبيه
لقـد أظهـر الداعي رسـالة أحـمـد	وبعـثـتـه من بعـد طول تناسـيـه

(١) انظر: الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية للباحث ص ٣٢٨، ٣٢٩.
(٢) انظر: ص (٤٩، ٥٠) من هذا البحث، وانظر كذلك: نيل الوطر، ج١، ص ١٢٧ - ١٢٩.
(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج٢، ص ٨٤.
(٤) كذا في الأصل، ولعل صوابها: «وسبحنا».

وأيقظنا من رقـــدة طال ليلهـــا بأرغب تعليم وأرهب تنبـــيـــه
ورد إلى خـــيـــر القـــرون سلوكنا وحـــقق إســلامًـا وجـدد باليـه[1]

ولم يكن محمد بن أحمد الحفظي من أبيه ببعيد، إذ وُجدَ في شعره شيء من آثار التصوف[2]، التي لم تكد لتزول إلا حينما مَنَّ اللهَ عليه بقبول هذه الدعوة وتأييدها، فقد استبدل بتلك الشطحات الصوفية شعراً سلفياً نصر به تلك الدعوة، وشد من أزر دعاتها، وذلك في كثير من أغراضه الشعرية ومعانيه، ولعل تتبُّع ذلك النتاج الشعري الوافر الذي أنتجه محمد بن أحمد الحفظي في أحضان هذه الدعوة السلفية، يشير إلى مدى أثرها في يقظة الشعر، وفي نشاطه برجال ألمع.

ولعل ما يطالع الباحث في تلك القصائد الوافرة التي أنشأها محمد بن أحمد الحفظي؛ ذلك الوضوح في الاتجاه السلفي الذي صرفه هذا الشاعر نحو تصوير الحال الديني الذي أضحى عليه الناس في تلك الأنحاء، إلى جانب الإعجاب المستمر بالقائمين على هذه الدعوة، وما يبذلونه في سبيلها، فقد حفل ذلك النتاج الشعرى بوفرة شعر المديح وكثرته، بالإضافة إلى القصائد الإخوانية التي كان يتبادلها هذا الشاعر مع شعراء الدعوة السلفيين في الدرعية وغيرها، كما حفل نتاجه الشعري بالقصائد الإسلامية الوطنية التي صوَّرت المعارك والحروب التي نشأت مع أعداء الدعوة من الترك وغيرهم[3]. وتأتي هذه الاتجاهات متفاوتة في وفرتها لدى هذا الشاعر، ولكنها تدور حول المعاني

(١) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٢١.

(٢) انظر: الحياة الفكرية والأدبية لجنوبي البلاد السعودية، ص ٣٣١. وانظر بعض نماذجه الشعرية في: نفحات من عسير، ص ١٠٠.

(٣) وبخاصة في العقد الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري.

الرفيعة التي أوجدتها هذه الدعوة السلفية.

أما تصوير الواقع الديني الذي كان عليه الناس قبيل ظهور الدعوة السلفية، فقد صوَّره محمد بن أحمد الحفظي، وبيَّن الحال الذي أضحى عليه الأهلون من بعده، إذ قال:

وترى جموعاً ليس يُحْصَى عدهم ... من أهل علم أو من الجهال
متظاهرين بشركهم في قولهم ... وفعالهم والاعتقاد الغالي
يدعون غير الله في حاجاتهم ... دفعاً ونفعاً كاليا في كالي[1]
وعكوفهم عند القباب ونذرهم ... والذبح للقربان والإهلال
بل يشركون بضفدع وبثعلب ... والكلب إذ يعوي لهم بليال
والنجم والأشجار والأحجار وال ... كهَّان والكفار والأطفال
والمنكرون لذاك فيهم قلة ... والسيف مغمود بغير قتال
حتى أتانا من مشارق أرضنا ... نبأ عظيم أمره متوالي[2]
داعٍ بأعلى الصوت يدعو النا ... س للتوحيد والتفريد[3] بالأعمال

حتى أقرَّ الناس بالتوحيد عن ... برهان سيف أو عن استدلال
وانقادت الأمم الكثيرة للهدى ... وعساكر القرآن في استقبال
وشعائر الإسلام في أعلى الذُّرا ... والشرك في سفل وفي إسفال
والمرء يخجل إن تذكر ما مضى ... ويعضُّ من ندم على الأوصال[4]

(١) الكالي: النسيئة، والكالئ بالكالئ: بيع النسيئة بالنسيئة، وكان الأصمعي لا يهمزها. انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص ٥٧٥.
(٢) لكي يستقيم الوزن العروضي في البيت؛ فلابد من تسكين حرف التاء في "متوالي".
(٣) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير: «الإفراد».
(٤) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٢، ١٣، نفحات من عسير، ص ٧٥، ٧٦.

والحق أن محمد بن أحمد الحفظي قد حقق القول في حال هذه البلاد قبيل ظهور الدعوة الإصلاحية فيها، وأن حال الناس قد تبدل حينما أقبلوا على نصرتها واتباع منهجها، وقد برهن على قوله هذا بأن أحدهم كان يندم بل يخجل إن تذكر الأفعال الممقوتة التي كان ينهجها قبل ظهور الدعوة، وناهيك عن هذا القول شهادة من لدن أحد علماء تلك المنطقة المشهورين.

ويزداد وضوح هذا الحال الاجتماعي والديني من خلال تلك المنظومة الأخرى التي أنشدها محمد بن أحمد الحفظي نفسه، وقال فيها:

الحمد لله على نعمائه ... والشكر لله على آلائه

وإن من أكبر ما أعطانا ... وما به سبحانه حبانا

قبولنا لدعوة التوحيد ... وتركنا للشرك والتنديد

أخرجنا من ظلم الضلال ... وبدَّل الحرام بالحلال

ومن بالتعليم والحثاثه ... على أصول ديننا الثلاثه

وغيرها من درر الفوائد ... مثل الذي في الأربع القواعد

وكل عينيٍّ من العلوم ... تسمعه يُدْرَسُ كل يوم

ويسمع الأذان بالإهلال ... في القفر ومشامخ الجبال

وكل مسجد يغصُّ غصّا ... بالناس والصفوف رصّا[1] رصّا

وانقادت[2] الخلق إلى الشريعهْ ... وتركوا العوائد الشنيعةْ

وخُمُرُ النساء فيها مسبله ... وبالجلابيب غدت مشتمله

والبدو والحضر على منوال ... في طلب الحق وفي السؤال

وحلقات الذاكرين عامره ... وجلسات الجاهلين دامره

---

(١) في الأصل «رصن».

(٢) في الأصل «انقادة».

وانتظم الأمــــر على الســــداد	وشـــمـــروا للغـــزو والجـــهـــاد
وخـــافت الأعــداء من عــســيـــر	وانقلب العـــســيـــر في يســيـــر[1]

وتأتي هذه المنظومة موضِّحة لحال الناس، وما أصبح عليه مجتمعهم من الهــداية والرشــاد، إذ تخلَّص الناس من الشــرك، وتبـيَّن لهم الحق من الضلال، وانتشر التعليم، وقام شعار الدين، وإن إشارة الحفظي إلى مظاهر الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية تدل على مدى تقيُّد أولئك القوم بمنهج هذه الدعوة، وأنهم قد أفادوا كثيراً من تعاليمها، وأصبحوا في قوة من أمرهم من بعد الفرقة والانقسام: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[2].

وإذا كان شعر محمد بن أحمد الحفظي قد صوَّر ما أصبح عليه الناس في مجتمعاتهم بعد انتشار الدعوة السلفية فيها، فإن شعره كذلك قد حفل بمدح أمراء الدعوة وتأييدهم، وهذا الأمر يخالف ما ذهب إليه عبد الله الحامد، حين قرر بأن الإمام عبد العزيز بن محمد، وابنه سعودًا لم « يحظيا بكثير من الشعر »[3]. فالحق أن معظم ما نظمه محمد بن أحمد الحفظي وأبوه، وجملة من شعراء رجال ألمع يُعَدّ مما قيل في مدح هذين الإمامين، ثم إن الشعر لم يكن ناشئًا كما قرر الحامد عندئذ[4]، إذ يُعَدُّ شعراء رجال ألمع ممن ناصر هذه الدعوة في وقت مبكر، إلى جانب أن الشعراء لم يكونوا يلحون في طلب النوال، كما ذكر الحامد كذلك[5]؛ إذ هم - وبخاصة شعراء رجال ألمع - يصرِّحون بخلاف

(١) ديوان الروض المرضي من شعر آل الحفظي، رقة ٢٢٩ - ٢٣١، انظر كذلك شعاع: الراحلين، ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٢) من الآية ٤٠ سورة الحج.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٥

ذلك في شعرهم، مثل قول محمد بن أحمد الحفظي في إحدى قصائده التي وجَّهها للإمام سعود بن عبد العزيز:

منـي ومـن شـيـخـى أبي الحفظـي[1] من يهواكم لله لا للمال[2]

ويؤيد هذا القول كذلك ماقاله أحمد بن عبد الخالق الحفظي فيما بعد:

وهذه يا سـراة القـوم واصلة ... منـي إليكم بلا منٍّ ولا ثمن
لأنني من أناس ليس شأنهم ... تكسُّبًا بمديح كان أو هجن[3]

أما شعر المدح الذي اختص به أئمة الدعوة ودعاتها في نجد، فقد تجلى في شعر محمد بن أحمد الحفظي الذي مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبنيه، وأفاض كذلك في مدح الإمام عبد العزيز بن محمد (١١٣٣ - ١٢١٨هـ) وابنه سعود[4]. ولعل الإمام سعود بن عبد العزيز من أبرز أولئك الأعلام الذين علق بهم شعر محمد بن أحمد الحفظي؛ وذلك لأنهما متعاصران، ولكون انتشار الدعوة السلفية في جنوبي الجزيرة العربية قد اتسع في عهد هذا الإمام. ومن الشعر الذي مدح به الحفظي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قوله:

داعٍ بأعلى الصـوت يدعـو النـ ... ـاس للتوحيد والتفريد بالأعمال
ويحث في صرف العبادة كلها ... لله ليس الشرك في مثقال
أعني بذلك إمامنا شيخ الهدى ... ومجدد العصر الأخير التَّالي
بحر العلوم أبا حسين محمداً ... كافاه ربي بالجزاء العالي[5]

(١) هكذا في الأصل.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٤) هذا إلى جانب مدح هؤلاء الشعراء لأمراء عسير، ومن إليهم من العلماء والدعاة السلفيين.

(٥) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٣، نفحات من عسير، ص ٧٦، ٧٧.

وقال كذلك في أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

سلام على الأحباب من كل جَهْبَذ ... أئمة دين الحق موضحة الرُّشد
حسين وإبراهيم نجلي محمدَ ... كذلك عبد الله واسطة العقد
وقد وضحوا في ديننا كل مشكلٍ ... فبان لنا وجه الصواب بلا رد
وقد هدموا في الدين كل ضلالة ... وكل غلو أو فساد لذي حقد
وهم في ظلال الجهل أشرف أنجمٍ ... بهم يهتديً من حار في الغور أو نجد[1]

وإذا كان محمد بن أحمد الحفظي قد أثنى على هذه الدعوة السلفية، وأشاد بصاحبها، وبيَّن آثار بنيه من بعده في نصرة الدين وخدمته، فإنه كذلك قد امتدح العمل الدؤوب، والجهاد المستمر اللذين أوْلاهما الأئمة من آل سعود العناية والاهتمام، فقد أثنى على الإمام محمد بن سعود في بعض أراجيزه[2]، ومدح ابنه عبد العزيز بن محمد، وابنه سعودا[3] من بعده، فقال في الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود:

فسرت سرايا آل مقرن قبلهم ... عبد العزيز بسيفه المصقال
ذاك الخليفة والإمام المتقي ... الراعي الداعي لخير خصال[4]

وقال في قصيدة أخرى:

حليف الهدى عبد العزيز بن مقرن ... قرين المعالي ظل من كان في حر[5]

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج١٢، ص ٤٥، ٤٦. انظر كذلك: ما قاله محمد بن أحمد الحفظي في مدح الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب، نفحات من عسير، ص ٧٣.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، كتابه السابق، ج١٢، ص ٢٧.

(٣) سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٤) مجموعة شعر الحفظي، ورقة ١٣، نفحات من عسير، ص ٧٦. ولعل الصواب: «والداعي».

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٦٤.

ولعل من أبرز من حظي بمدح محمد بن أحمد الحفظي من أئمة آل سعود الإمام سعود بن عبد العزيز كما قيل من قبل، إذ لا تكاد قصائد الحفظي في ميدان الدعوة تخلو من التعرُّض لذكره والإشادة به، فقد قال فيه:

وهذا سعودٌ[1] ذو السعادة ساعيا ... يجاهد لم يردعه[2] باد وحاضر
ولم يهنه نوم الملوك استراحة ... ويقظتهم هم النَّدامى السوامر[3]
يبيت يجافي جنبه عن فراشه[4] ... على صهوات الصَّافنات يسامر
ودانت له الأعراب بعد جفائها ... ودالت على الأمصار منه عساكر
وطهر ساحات المحجَّة بعدما ... عراها الأذى وهي الطهور الطواهر
مشوهة بالشرك وهي حسينة ... ومظلمة بالإفك وهي سوافر[5]

ولم يقتصر مدح محمد بن أحمد الحفظي على أئمة الدعوة في نجد، وإنما شمل بعض أمراء الدعوة في عسير، مثل: الأمير عبد الوهاب بن عامر[6]، والأمير طامي بن شعيب[7]. ومع ذلك فكان لا يأتي مدح هؤلاء الأمراء إلا بعد ما يصدر الشعراء في رجال ألمع من مدح أولي الأمر في الدرعية، وربما كان لا يأتي هذا المدح إلا حينما يرى الشاعر ضرورة يفرضها حال الممدوح، حينما

(١) كذا في نفحات عسير، ص ٩٢.
(٢) هكذا وردت، ولعله أراد: لا يعجزه.
(٣) كذا في نفحات عسير، ص ٩٢. وفي مجموعة شعر الحفظي، والمجموع المخطوط رقم ٣٤٢٢: «سوامر».
(٤) انظر ديوان عبد الله بن رواحة، ص ٤٣ فهذا الشطر من شعره.
(٥) مجموعة الحفظي، ورقة ٤، المجموعة رقم ٣٤٢٢ جامعة الملك سعود، ورقة ٨٠، نفحات من عسير، ص ٩٢، ٩٣.
(٦) انظر: نفحات من عسير، ص ٧٦.
(٧) المصدر نفسه، ص ٩٥.

يحتاج لبيان أمر، أوحينما يحسّ الشاعر بوجد أحد الأمراء عليه، مثلما فعل الأمير طامي بن شعيب الذي عتب على محمد بن أحمد الحفظي، حينما أغفل ذكره في إحدى قصائده التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز، مما دعاه إلى مدحه في قصيدة أخرى، ولكنه مع ذلك لم يأت مدحه إلا متأخراً في آخر قصيدته. وهذا الأمر تفرضه طبيعة الولاء ومركزيته، إذ كان الارتباط السياسي واضح الاتصال بالدرعية، وكانت الرؤية الاجتماعية من لدن الشعراء الحفظيين واضحة حين كانوا يرون بأنهم هم والأمراء في عسير دعاة متساوون، ولذلك فهم في هذا يختلفون عن الشعراء الذين أتوا من بعدهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري؛ وذلك لاختلاف مواقف الشعراء عندئذ من أمراء عسير. ومما مدح به الحفظي الأمير طامي بن شعيب قوله:

ذاك الأمير الخطير النَّدب صاحبنا	لله في الله قيدا ليس منكورا
قرم الوغى فالأعادي منه في وجل	ما زال أعداؤه من حربه بورا
بكل عادية في ظهرها بطلٌ	وكل رامية بالسهم مسعورا
والقَسْطَل الجون في الهيجا له ظلل	يحسبه الراؤون مسبورا
من العناجيج والشوس الكماة ومن	وَجِيفِ كل هجان هزت الكُورا[1]

ويتبين من النصوص السابقة إقبال الشعراء الحفظيين برجال ألمع على هذه الدعوة ورجالها، فقد نجم عن ذلك الاتصال السلفي وفرة في النتاج الشعري، مما يدلل على أثر هذه الدعوة الإصلاحية في هذا الميدان الأدبي. ولعل ما يمكن أن يعد من آثار الدعوة في هذا المجال ذلك الاتصال الواضح بين شعراء رجال ألمع وإخوانهم من شعراء الدعوة السلفية في نجد وغيرها، فقد حفل تراث

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٧.

الشعراء الحفظيين برجال ألمع بكثير من النقائض الشعرية والمعارضات والإخوانيات، وذلك يتحقق من خلال القصائد التي كان يتبادلها محمد بن أحمد الحفظي ونفر من أولئك الشعراء، من أمثال: صالح بن عبد الله بن مطلق الأحسائي[١]، وحسين بن غنام[٢]، وعبد الله الغاشمي[٣]، وكانت تلك القصائد التي نشأت بين أولئك الشعراء لا تخرج عن أوضاع الدعوة ونشاطها، وإنما كان أثرها مفيداً في تنشيط الحركة الأدبية بتلك الأنحاء، وفي التأثير الواضح في شعراء رجال ألمع الذين أخذوا يبدلون في نهج قصائدهم وبنائها، فقد كان تأثير شعراء اليمن واضحًا في نتاجهم الشعري من قبل، وما أن بدلوا وجهتهم تجاه شعراء الدعوة في نجد وغيرها، حتى ظهر التأثير في كثير من خصائص الشعر وسماته، فالواقع أن هذا الاتصال لم يكن معهوداً من قبل.

ولعل ما يميز شعر محمد بن أحمد الحفظي، ويُظهر أثر الدعوة السلفية فيه ما وجد في بعض نماذجه من لمحات إسلامية وطنية، وهو إن كان قد أشار الى شيء منها، فإن الباحث يتوقع منه أكثر من ذلك؛ لأنه عاصر الأحداث، وشهد سقوط الدرعية وقضاء الترك على ولاتها، مما يزيد الحيرة حول موقف هذا الشاعر من أعداء الدرعية، وموقفه أيضًا تجاه الدعاة السلفيين في نجد الذين حظوا بكثير من شعره وتأييده لهم، فعسى الله ـ سبحانه ـ يظهر ما خفي من شعره، وما تبدد منه.

ومع ذلك فإن الناظر في شعر محمد بن أحمد الحفظي تجاه تلك

---

(١) المجموع رقم ٣٤٢٢ مخطوطات جامعة الملك سعود، ورقة ٧٧.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٦٦. والوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨١.

الأحداث، يجد أن موقفه إبان مؤازرته لأئمة الدعوة في نجد قد كان واضحًا بخلاف موقفه حين سقوط دولتهم وانحسار مدهم السياسي على بعض أنحاء الجزيرة العربية.

فأما موقفه الأول فقد تجلّى في تصويره لحال تهامة وعسير «وقد انتهكت من قبل الجيوش التركية المصرية التي كان يدبرها أوانذاك محمد علي باشا الذي استهدف تلك البلاد وأهلها»[1]، ومن قوله في ذلك:

لا درّ درّ أناس لا خلاق لهم	ومنهج الحق فيهم[2] ظل مهجورا
راموا انتقاض عرى الإسلام وانتصبوا	لحرب من كان للتوحيد مشهورا
وزعزعوا كل رعْديد برجفهم	وحركوا بالهوى من كان محذورا
وسببوا فتنًا صَارَ المصاب بها	يوم المعاد على النيات محشورا[3]

ويتبين من هذه الأبيات موقف الحفظي تجاه أعداء الدعوة السلفية الذين هم - كما قال - لفيف من المصريين والأتراك[4]، وبأنهم يرمون إلى تفتيت شمل الأمة، وإحياء العصبية وروح الفرقة. وذلك ما يدل على موقفه الوطني الإسلامي إزاء أعداء الدعوة حين أحس بخطرهم يقترب من مواطن التأييد السلفي في نجد وعسير ورجال ألمع وغيرها. وهذا الموقف لا يخلو من الروح السلفية اليقظة، وبخاصة حينما التفت إلى نصيرها الأول في الدرعية، قال:

وقل لطاوي الفيافي غير ذي ملل	في متن عيْرَانة خرقاء مسمورا
إذا بلغت إمام المسلمين فقل	بعد السلام سلامًا ليس محصورا

(١) محمد بن أحمد الحفظي، ذوق الطلاب في علم الإعراب؛ تحقيق عبدالله أبو داهش، ص ٨.

(٢) كذا في المجموع رقم ٣٤٢٢، وفي مجموعة شعر الحفظي «كان» ورقة ٦. ولا در دره: لا كثر خيره.

(٣) مجموعة شعر الحفظي، ورقة ٦، المجموع رقم ٣٤٢٢، ورقة ٨٤، نفحات من عسير، ص٩٦، ٩٧

(٤) انظر: ص ٦٨٤.

أَبْشِـــرْ فــإن عـــدو الدين منكســـر وإن داعي الهدى ما زال منصورا[١]

وأما موقفه الثاني فقد تبين من خلال شعره الذي أنتجه في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث يبدو على معانيه خيبة الأمل والرغبة في العزلة، والابتعاد عن دائرة الأحداث، فهل يعود هذا إلى خيبة الأمل حقًا؟ أم أن الحفظي قد فضَّل اعتزال الفتن والعودة إلى صوفيته المعهودة من قبل؟ وذلك ما لا نؤيده ولا ننوي تحقيقه، وإنما بعض أبياته الشعرية تنم عن ذلك. ولكي تتم مناقشة هذا الموضوع فمن الأفضل التعرف على ذلك النتاج الشعري المحدود، فقد ذكر جامع " نفحات من عسير " أن محمد بن أحمد الحفظي لما أحس بنوايا الترك، وأدرك طلائع الجيش التركي تتقدم نحو الجزيرة العربية؛ أنشأ قصيدة أوضح فيها شمول الدعوة السلفية لأجزاء كثيرة من جزيرة العرب، وأشاد بجهود دعاتها والقائمين عليها[٢]، ولكنه قال: إن هذا الشاعر « نصح لسلوك ذات اليمين »[٣]. ولا ندري ما الذي يعنيه هذا القول غير إشارة الحفظي نفسه إليه في بعض أبيات قصيدته، حين قال:

فـخـذ ذات اليـمين إلى شـعـاب وسل النفس فـيـمن قـد تسلى

وطالع في الرسـالة للقُـشَـيْري[٤] وفي الأحـيـاء تنظر أي مـجـلا

والحق أن هذين البيتين يدلان على روح صوفية واضحة[٥]، فهل عاد محمد بن أحمد الحفظي إلى صوفيته المعروفة من قبل ظهور الدعوة؟ لا أظن

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦. ومنكسر صوابها: مكسور، والعيرانة من الإبل: الناجية في نشاط.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠١. والقشيري، هو أبو القاسم عبد الكريم القشيري (... - ٤٦٥هـ)، من مؤلفاته: الرسالة القشيرية.

(٥) تنبه لهذا: محمد حسن غريب في معرض حديثه عن مجموع "نفحات من عسير"، وقد اطلعت على ذلك الحديث، ولكنه لم ينشر، بل ما يزال مخطوطا لدى كاتبه.

ذلك، وإنما هذا الحال يشير إلى النهج السلفي الذي يرى الخلوة والابتعاد عن الفتن من سبل المحافظة على الدين.

ويؤكد هذا الموقف قصيدة محمد بن أحمد الحفظي نفسه التي أنشأها سنة ١٢٣٣هـ، وقد عمَّت الجزيرة فتن الترك وحروبها، مما جعله يصدر فيها عن رؤية سلفية واضحة، تدل على وجوب التمسك بالدين والمحافظة عليه، وتلك نظرة العالم السلفي تجاه الأحداث التي تغشى مجتمعه، وليست ـ كما زعم جامع " نفحات من عسير " ـ حين قال إنها نظمت بدافع من « الوطنية الصادقة »[١]، ويدل على خلاف ذلك قول الشاعر:

وأدر فكرك تنظر عجبًا ... إن هذا الدهر قد أبدى العجب

فتبدَّى فيه ما ليس لنا ... في حساب وتبادى المحتسب

يُصبح الإنسان يومًا مؤمنًا ... ثم يمسي كافرًا يغشى الريب

ويبيع المرء أيضًا دينه ... برخيص تافه بيع الحطب

وهو أغلى كل شيء قيمة ... لا تساويه قناطير الذهب

ليست الأبصار تعمى والعمى ... في قلوب قابلات للقُلب

آه ما هذا العمى بعد الهدى ... حق والله لنا نبدي النَّدب[٢]

ومن هذه الأبيات يتضح موقف الحفظي تجاه الأحداث التي ابتُليت بها الجزيرة العربية، وبخاصة المواطن السلفية فيها، وأن العزلة وعدم الخوض فيها مما استحسنه الحفظي؛ وذلك ما صرفه - فيما بعد - عن المشاركة في تلك

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٠٩.

(٢) مجموعة شعر الحفظي، ورقة ١. تتصف هذه الأبيات بقوة العاطفة الدينية وصدقها، فقد أنشأها الحفظي « حين شبت فتنة الترك ضرامها، واعتكر قتامها ». ورقة مخطوطة.

يمسي

يصبح الانسان يوماً مؤمناً ... ثم يضحي كافراً يغشى الريب

ويبيع المرء ايضاً دينه ... برخيص نافه بيع الحطب

وهو اغلى كل شيء قيمة ... لا تساويه قناطير الذهب

ليست الابصار تعمى والعمى ... في قلوب فاعلات للقلب

او ما هذا العمى بعد الهدى ... حق والله على هذا الندب

يدخل الانسان في النار على ... خبرة منه ويدري باللهب

ويلقي نفسه في هوة ... باختيار وهو يدري بالعطب

يرجا الكفر في اوقاته ... فاذا جاء تلقا بالرحب

وتراه ضاحكاً مستبشراً ... ذا انشراح وافتراح وطرب

الى هنا ما وجد مسوداً بخط الناظم عفا الله له

[illegible] هذا النظام [illegible] نور الله له [illegible]

[illegible] محمد حمود بن [illegible] الفقي [illegible]

بدا الحق العظيم وقد تجلى ... لنا نور الهدى والشرك ولى

وصار الناس احزاباً جهاراً ... وولى الشك لا ما نولى

ودين الله باق في ظهور ... له كل التعلق وليس يعلى

فعض عليه واستمسك بغرز ... وشد اليه راحلة ورحلا

وقول الهنا غض طري ... جديد ليس يخلق ذا ويبلى

مكين في الصدور له بيان ... كذلك بالسن القراء يتلى

وهدي السنة الغراء فيها ... بيان وهي بين الناس تملى

فما هذا التعامي والتراخي ... وما هذا التعدول عن المصلى

البلد الله بين كل شيء ... وخير الخلق قد جلى وجلا

وشمر في البلاغ بلى تواني ... لما القي عليه من ثقيل

وقد وصف الصحابة كل عدل ... بلى علل لما جلى وامثلا

من شعر آل الحفظي بتهامة عسير

الأحداث المختلفة، إذ عاش بعد سقوط الدرعية زمنًا دون المشاركة في أحداثها، وما أصاب أهلها والقائمين على الدعوة فيها. ولعل ما خفي من شعر الحفظي في هذه الفترة يظهر في المستقبل إن شاء الله.

ويشبه إبراهيم بن أحمد الحفظي (١١٩٩ - ١٢٥٧هـ) أخاه محمد بن أحمد الحفظي من حيث نصرة الدعوة وتأييدها، ولكنه لا يماثله في وفرة النتاج، والسعي المستمر في خدمة الدعوة، فقد غلب على إبراهيم - فيما يبدو - من حياته: الاستقرار، والانشغال بالتعليم، والتذكير، والوعظ[(١)]، إلى جانب أن هواه واضح الميل لشعراء تهامة وعلمائها. ومع ذلك وُجد له نتاج شعري محدود في ميدان الدعوة، إذ كان قليلاً ما يكاتب علماء نجد، ولكنه يثني على جهود دعاتها، يكثر مكاتبة الذين يخرجون من رجال ألمع من أجل نشر الدعوة وتعاليمها، كما وُجد شيء من شعره في تصوير معارك الترك مع أمراء عسير[(٢)]؛ ولهذا أتى شعره محدودًا لا يشبه شعر أبيه وأخيه من قبل من حيث شمول المعاني ووفرتها، ورغم ذلك فمن قصائده التي أنشأها في هذا الميدان قصيدته التي بعث بها إلى صديقه محمد بن عبد العزيز النجدي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، حين وفد النجدي إلى مكة المكرمة مع من وفد من علماء نجد، ومنها قوله:

محمد الذي حاز المعالي ... بوقت اهله[(٣)] عنها كسالى

وشايع من أشاد الهدي إذ ما ... أراد المشركون له الزوالا[(٤)]

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٣) تسهل الهمزة؛ لكي يستقيم وزن البيت.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

وأحـيـا في الحـجـاز ومـا يليـه	شـريعـتنا وقـد شكت العـضـالا[1]
ورام المبطـلـون وقـــد تمـالى	على هدم القـــواعـــد من تمالا

فلمـا جـاء من نجـد سـعـود	تـواروا لـم يـطيـقــوه نـزالا
وأضـحى الدين في طرب وعـز	يغـيظ قلوب مَنْ يهـوى الضـلال
وطوق ملة الإسـلام حـقًـا	وأهليـهـا بأطـواق تلالا[2]

وقال يتشوق إلى أخيه عبد القادر بن أحمد الحفظي، حين استقر في القنفذة سنة ١٢٢٩هـ؛ يرشد الناس ويعلمهم[3]، إثر انهزام جيش الترك فيها:

قد أزمع السير في كسب المكارم لم	يخلد إلى دعـة إذ تخلد الحُـمُقُ
وظل ينشـر أعـلام الهـداية في	إخـوانه فلواء الحق يخـتـفق[4]
لله درُّك في حـسن الصنيع ولا	برحت في سبل الإرشـاد تنطلق[5]

ويبدو شعر إبراهيم بن أحمد الحفظي قليلاً إذا ما قيس بنتاج أخيه محمد ابن أحمد الحفظي، ولكنه قد أشبهه في مشاركته الشعرية في ميدان الدعوة السلفية، كما أن شعره قد اتسم بالروح العلمية، إلى جانب أنه يتميز بالوضوح في المعنى، والاقتضاب في المدح، والميل إلى النصح[6]. وتلك أمور نشأت من

---

(١) ديوان الروض المرضي، ورقة ١٤١.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١١٧.

(٣) ديوان الروض المرضي، ورقة ١٢٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب «يخفق».

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، الكتاب السابق، ص ١٢٠.

(٦) يخيل للباحث أن إبراهيم بن أحمد الحفظي قد فضّل العزلة في بلدته رجال ألمع بُعَيْد سنة ١٢٣٣هـ، وأنه عندئذ لم يسلم من مؤثرات التصوف والمتصوفين.

تأثر هذا الشاعر بالدعوة الإصلاحية، رغم قلة مشاركته الفعالة في مجالها.

وإذا كان هذا واقع شعراء رجال ألمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فإن شعراءها - فيما بعد - قد ظلوا وفيين لمبادئ هذه الدعوة السلفية متربصين بأعدائها من الترك وأشياعهم. وذلك حين آزروا أمراء عسير بأقوالهم وأشعارهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. ومن أولئك الشعراء علي بن الحسين بن محمد بن عبد الهادي بن بكري[1] (١٢١٧ - ١٢٧٥هـ) الذي أنشأ قصيدة يصوِّر فيها هزائم الترك في إحدى حملاتهم الحربية على تهامة وعسير عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، ومما قال فيها:

وأشرف على وادي اليمامة قائلاً ... ودمعك سفاحًا على الخد والثَّدْي
سلام على عبد العزيز وشيخه ... وتابع رشد الإمام المجدِّد[2]
دعا الناس دهرًا للهدى فأجابه ... فئام فمنهم عالمون ومقتدي
وقفّاهما حذواً سعود بسيفه ... مُمَيِّزُ مُجْوَدٍّ النقود من الرَّدي[3]
وعرِّج بها ذات اليمين وقد هوت ... على عرصات للرياض بمقصد

وناد بأعلى الصوت بشرى لفيصل ... وفي[4] نسل سادات الملوك مسدد
إليكَ نظامًا نشره في وقائع ... على جحفل المصري قد شد باليد
فعشرون ألفا من قضى الله منهم ... فما بين مقتول وعار مجرَّد

---

(١) نسب جامع نفحات من عسير هذا الشعر إلى الحفظي. وهو ليس كذلك، إذ يعود إلى عبد الهادي ابن بكري، ولكنهم جميعًا من أسرة الفقهاء العجيليين.

(٢) في تاريخ مقبل الذكير: «المجد»، ورقة ٤.

(٣) كذا ورد هذا البيت. والفئام في البيت الذي قبله: الجماعة من الناس.

(٤) في عقد الدرر لإبراهيم بن صالح بن عيسى: «من»، ص ٨.

ولم ينج منهم غير قواد قومهم على صافنات في قليل معوَّد[1]

ويبدو أثر الدعوة السلفية ظاهراً في معاني هذه القصيدة، وفي غرضها الشعري، إذ انتظم معانيها عداء الترك الذي يشترك فيه السلفيون بعامة، إلى جانب وضوح المحافظة على نهج القصيدة المعهودة في شعر رجال ألمع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، من حيث المحافظة على بناء القصيدة وتناول الممدوحين، رغم الاختلاف في نسق المدح نفسه. ومع ذلك دلت على صدق المشاعر، ووضوح الأثر السلفي، وأنها كذلك قد تميزت بجزالة التعبير، وصحة التركيب، والصدق النفسي الذي صرف الشاعر عن التلاعب اللفظي، إلى جانب أن هذه القصيدة قد اعتمدت على عناصر البيئة الموحية من أجل تصوير الواقع وإظهار الحقيقة.

ومن الواضح أن هذه القصيدة قد حظيت بعناية كثير من الباحثين واهتمامهم، فقد أشار إليها محمد بن سعد بن حسين، وأدرك فيها جودة اللفظ والأسلوب، وحسن تناسق الأفكار، واختيارالمعاني[2]، إلى جانب قوله: إن صاحبها من: «غراس.. الدعوة»[3] السلفية. وبالإضافة إلى ذلك عني بها إبراهيم بن عبيد العبد المحسن[4]، في مواضع كثيرة من كتابه، كما أشار إليها يحيى بن إبراهيم الألمعي[5]، وإبراهيم بن صالح بن عيسى[6]، ومقبل بن

---

(١) مقبل عبد العزيز الذكير، حوادث عسير واليمن والحجاز، مج ١، ورقة ٥، ٦. وانظر كذلك: عقد الدرر، لابن عيسى، ص ٨، وانظر: نفحات من عسير، ص ١٢٩، وانظر: ديوان ابن مشرف، ص ٥٨ – ٦٠.

(٢) الأدب الحديث في نجد، ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٤) تذكرة أولي النهى والعرفان، ج١، ص ٨١.

(٥) رحلات في عسير، ج ١، ص ٤٥.

(٦) عقد الدرر، ص ٥، ٦.

عبد العزيز الذكير[1]، وسليمان بن سحمان في تتمته لكتاب " تاريخ نجد " للآلوسي[2].

وقد كان من نتائج شيوع هذه القصيدة أن أطرب الشعراء لمعارضتها ونقضها، وذلك استحسانا لقوة سبكها، ولما تضمنته من المعاني الفائقة، فقد وصلت نجدًا - فيما يبدو - في فترة ركد فيه الاتصال؛ لما يلاقيه أمراء الجزيرة السلفيون من الفتن والحروب مع الترك وغيرهم. وعندما استوضح الشعراء المقيمون في نجد عندئذ معانيها فضلوا معارضتها، حيث انبرى لنقضها الشاعر أحمد بن علي بن مشرف فبنى بناءها، ونهج منهجها[3] ولكنه رغم عبارته الرصينة ظل أقل سبكًا وانتقاءً للكلمات الموحية، إلى جانب ضعف العاطفة لديه، ولعل ذكره الوافر للشيخ محمد بن عبد الوهاب قد دل على معايشته الفعلية لواقع الدعوة في نجد.

ويدرك الباحث أن الشعر في رجال ألمع قد ظل محتفظًا بالملامح السلفية التي كان متميزًا بها منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين داوم الشعراء الحفظيون على اتصالهم المستمر بأمراء عسير السلفيين، إذ كانت تلك المنطقة لا تسلم من غزوات الترك وحروبهم، ولعل النتاج الشعري الذي أنتجه بعض شعرائها في شأن هذه الغزوات يشير إلى موقف أولئك الشعراء من الترك وأعمالهم، إلى جانب النتاج الشعري الذي أنشأه الشعراء في محنتهم السياسية خارج بلادهم، فالواقع أن الشعراء الذين أُخرجوا من ديارهم في سبيل وطنهم واتجاههم السلفي، قد أحسوا بمرارة الحنين، وأدركوا

---

(١) حوادث عسير واليمن والحجاز، مج١، ورقة ٥.

(٢) ص ١٢٥.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣٠.

جور الترك وعسفهم، مما جعل نتاجهم الشعري يصوِّر مرحلة من مراحل العداء التركي لمراكز التأييد السلفي بجنوبي الجزيرة العربية. ولعل خيرمن صوَّر هذا الواقع الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ) الذي عاصر تلك الأحداث، وقاسى مرارة المنفى بتركيا في العقد العاشر من القرن الثالث عشر الهجري. ومن شعره يتشوق إلى وطنه - وهو في المنفى بتركيا - قوله:

بارق القبلة من أرض اليمن ... حرَّك الوجد وأبدى للشجن
أذهب الأنس وأبقى لوعتي ... ونفى عن مقلتي طيف الوسن[(١)]
فإذا خاطبته مستعجلاً ... أيها البرَّاق هل زرت الوطن؟[(٢)]
لزماني عادة في أهله ... فارتقب يا جاهلاً صرف الزمن
ولقد حل بقلبي لوعة ... من فراقي أهل ودي والوطن
هاتف الإحسان قد يهتف بي ... وظنوني في إلهي خير ظن
إن يمن الله بالعفو لنا ... فهو المعطي لإلطاف ومن[(٣)]

وإذا كان أحمد بن عبد الخالق الحفظي قد أثاره لمعان البرق، وهو أسير في بلاد الترك، فإنما يشير إلى المعاناة التي يقاسيها هو والأسرى الذين معه من أمراء عسير وأعيانها، حيث شهدوا جميعًا قسوة الحنين والبعد عن الوطن. ورغم ضعف الأداة الشعرية التي كان الحفظي يعبر بها في بعض قصائده، إلا أنه استطاع أن يصور في شعره المشاق والآلام التي أدركته، ومن معه من الأسرى منذ غادر وطنه حتى وصل إستانبول في رحلة بحرية قاسية، ولعل ما أزعجه في هذه الرحلة أن جنود الترك لم يتركوا له فرصة يؤدي صلاته فيها، ولم يطفئوا

---

(١) من قصيدة مخطوطة توجد لدى الباحث.

(٢) من قصيدة مخطوطة مصورة توجد لدى محمد بن عبد الله آل زلفة.

(٣) توجد هذه القصيدة لدى الباحث.

ظمأه بجرعة ماء يشربها، رغم وجود الماء ووفرته، ومما قال في هذا الشأن:

طلبناهمُ فـرضًا نؤديه للذي ... أراد بهـذا للأخـيـر وأول
لم يأذنوا في الصبح والظهر بعده ... ولا العصر والوقتين في ليل أليل
وكدنا نلاقي جُرْعَةَ الموت حسرة ... على نقص دين بعد وافي التّكمل
وجـزنا بذا الوادي وذياك بعده ... على ظمـأ والشن بالماء ممتلي
وما عظموا المولى ولا حرمة الملا ... بشـربة مـاء أو ورود بمنهل
سـوى مورد الجَنْبَيْنِ آخر يومنا ... ونادى المنادي عجّلوا بالتَّرحل(١)

ترى هذا الإيحاء الحقيقي للمعاناة في رحلة شاقة يقطعها الأسرى من رجال ألمع وعسير، حتى تركيا عبر الأودية والجبال والبحار في مقام حزين لا يسعفه غير الإحساس بالتجلد والصبر، ثم فطرة هذا الشاعر التي تسير بيسر في تكوينه لقصيدته الموسومة « في طريق المعتقل ». أما تراه وقد أحسن تصوير حاله حين فُتن في دينه، وأُوذي في معاشه، حين كان يرى الماء ولا يناله، إلابعد أن يسمح للأسرى جملة بورود منهل « الجنبين »، ولكن في آخر النهار حيث تزداد الآلام، وحيث يرفع المنادي النداء بالرحيل إلى أين؟ إلى المنفى خارج البلاد!

ولما استقر في يانيه بتركيا زاد شوقه إلى رجال ألمع، وأخذ يصوِّر في شعره حاله وما مسه من الآلام، فقد حفل شعره عندئذ بشيء مما أنتجه في هذا الميدان، ولكن الأداة الشعرية كانت لا تسعفه أحيانا لإيضاح الحال الرتيب الذي كان يعانيه. ومن شعره في تلك الأثناء قوله:

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، ،كتابه السابق، ص ١٥٢، ١٥٣. و « الجنبين » - كما قال جامع نفحات من عسير -: اسم لجبلين في طريق الذاهب إلى الشقيق.

أســـيـــر بأرض الرُّوم لادرَّ درُّها ولا علَّهــا نـهل المودَّة والفـــخــر
وإني لأرجـــو أن أعـــود لموطني بخير وأمر الله أحسن من أمري[1]

وقال:

تذكرت أرضي فاستحالت مدامعي دمًــا باطنًا يذري دمـوع السـواجم
ســـقى الله أوطانًا تحف بِتَـــهْلَلِ بـواكف مـــزن من ولي المراحم[2]

ولم يزده جور الترك وعسفهم إلا صلابة وقوة، فقد أخذ بعد عودته من تركيا يدعو إلى وحدة إسلامية، ويحذر كيد الترك ومكرهم، إذ قال:

الـله أكــــبــــرُ هذا أعـظم المـنن إن[3]عدت أرضي بعيد الأسر والمحن
وزرت نجـــداً دعـــاة الدين فـــيــه هم ولاة أمـــري وأهـل الفـــضل والمنن
وسرت أسعى حثيثًا في عسير كذا كل البـلاد إلى مَـصْـر كـذا اليـمن
أدعـــو الســـراة إلى دين يوحِّـــدهم صـفـاً ويمنعــهم من صَـولة الزمن

قد طفت في الأرض أعواما وخضت لما فـيـهـا بحـوراً على البـابُور والسُّفُن
سبـعون شـهراً بأرض الروم عن كمل ومــثـلهــا من رُبى نجـد إلى عـدن

ما كنت يومًا أجوب الأرض في سفري لغـيــر مـجـد وإنِّي غـيــر ممتـهن
وإنني لست في الأطمـاع مـجـتـهـداً أو طالبًـــا ثـمنًا في اللبث والظعن
وأسـمع الناس نصـحًـا قـبل قـارعـة تهـد ركن القوى من فـعلنا الخشن
عـــسى اتحـــاد لنا فـــالأرض واحـــدة والدين مـحـتـرم عن فـعل كلِّ دني

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.
(٣) لعل الصواب «إذ».

فــلا يغـيـــر ربي مـــا يغـيـــره   إلا بتـغـيـيرنا الأحـوال عن سنن[1]

ويتضح الاتجاه السلفي والرغبة في الإصلاح لدى هذا الشاعر، فقد أبدى ثناءه لله تعالى حين عاد إلى وطنه، وأشار إلى نجد موطن الدعاة السلفيين ومنطلق الدعوة الإصلاحية، ثم بين جهوده في سبيل جمع الشمل حينما طوف ببلاد كثيرة، لا يبتغي سوى تحقيق الاتحاد، وجمع الكلمة، « ولكن صيحته ذهبت أدراج الرياح، كما ذهبت صيحات معاصريه: الأسكوبي (١٢٦٤ - ١٣٣١هـ)، وعبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك (١٣١١ - ١٣٤٣هـ) »[2].

ولئن دعا أحمد بن عبد الخالق الحفظي إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، فإنه كذلك قد صوَّر حال الشريعة الإسلامية، وقد هان على المسلمين أمرها - كما قال - حيث أنشأ قصيدة تخيلية، لا تخلو من الإبداع، والرغبة في الإصلاح، منها:

الشــرع نادى ملوك الأرض بل طلبـا   حكمًا صحيحًا يزيل الشك والرِّيبا
وقدم العرض لكن ما استُجيب له   وحقُّه في ملوك الأرض قد وجبا
نادى بصـوت بليغ للعبـاد مـعًـا   إني جعلت لأغراض الدُّنا سببا
وسيلة لصلاح الأمـر صـرت لهم   كسُلَّم لصعود السطح قد ركبا
وها أنا طالب منهم مـحـاكـمـتي   فصورتي قد بقت والجسم قد ذهبا
تركت في حـالة يرضى العدوُّ بها   مـجـرد من لبـاسي صـرت منسلبا
مـقطع الأربع اللاتي أقـوم بهـا   والعين قد ذهبت والرأس قد عصبا

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ٢١٥، قال الأسكوبي:

يا آل عثمان والمغرور من غرا   بأهل أوربة أو عـــهــــدهم طرا

وقال المبارك في المستعمرين الإنجليز:

هل من يجيب إذا دعاه الداعي   ويعي الخطاب، وأين مني الواعي؟

في حيرة صرت ملقى[1] في طريقهم وا قلة الحيل من حالي ووا حربا

إن تنصروني فإن الله ناصركم أو تخذلوني رأيتم كلكم تببا
أنا الذي أسس الرحمن بنيته وشيد المصطفى أمري بكل نبا
وأنتم تهدموني بعده علناً يا ضيعة العمر لما صرت مغتربا
إني غريب وأيضًا عدت مغتربا طابت منازل طوبى اليوم للغربا[2]

وفي الحقيقة أن هذه الشكوى التي بثها الحفظي على لسان الشريعة الإسلامية، تشير إلى رغبة هذا الشاعر في الإصلاح، وميله إلى نصرة هذا الدين، وأنه وإن كان لا يُحْسِن أحيانًا استخدام الدلالة اللغوية المناسبة في بعض أبيات قصيدته، فإن اعتماده على التشخيص وتسخير الخيال، يدل على ملامح الإبداع في شعره، وليس الأمر مقصوراً على هذه القصيدة، فقد أنشأ الحفظي نفسه قصيدة قصصية وهو في المنفى بتركيا، تخيل فيها أن حمامة وقعت في شرك أحد الصيادين، وأن أحد رفاقه في الأسر قد أنشأ معها حوارًا ممتعا، صورَّ من خلاله معاناة الأسرى الذين معه[3]، ولعل انصراف أحمد بن عبد الخالق الحفظي لهذا اللون الشعري قد أتى من تأثره ببعض شعراء الدعوة السلفية المشهورين، مثل: أحمد بن علي بن مشرف (... - ١٢٨٥هـ) الذي وصفه محمد بن سعد بن حسين بأنه «أوجد نظم القصيدة السهلة على ألسن الطيور والحيوانات في هذا العصر»[4]، فإذا صح تأثر الحفظي بهذا الشاعر؛ فإن ذلك

---

(١) في المصدر «ملقا».
(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٥٠ - ١٥١.
(٣) انظر: نفحات من عسير، ص ١٦٦. وتوجد القصيدة مخطوطة لدى الباحث.
(٤) محمد بن سعد بن حسين، كتابه السابق، ص ٢٤٣.

مما يؤيد أثر الدعوة السلفية في شعر رجال ألمع، وبخاصة إذا أدرك التشابه بين قصيدة الحفظي المذكورة، وقصيدة ابن مشرف في الفأر والحمامة[1].

وكان أحمد بن عبد الخالق الحفظي، يُشبِّهُ نفسه بأبي فراس الحمداني في كثير من مواقفه وهو ببلاد الروم فقد أشار إلى مقامه هنالك، وبيَّن مكانته في قومه بما يوافق تفكيره في هذا المجال، إذ قال في رسالة بعث بها إلى شيخه الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ): « وإني مع ما أنا فيه من العرب، كما قال الحارث بن سعيد في ديوانه . . . لما كان أسيراً في بلاد الروم »[2]، وأورد بيتين دلل بهما على قوله، وقد لام العسيريين في تقصيرهم نحوه، إذ قال:

وإن غفلوا عني فلست بغافل	فلا ينس[3] إلا ساقط الأصل والقدر
وعشرون فيهم واحد غاب عنهم	وقد كان فيما بينهم شائع الذكر
أيجمل من أهل المروءة والعلا	سكوت بلا ذكر إلى والي الأمر[4]

ومما يعد من آثار الدعوة السلفية في شعر أحمد بن عبد الخالق الحفظي أنه حينما كان يعارض قصائد البوصيري المشهورة لا يجنح إلى ما ذهب إليه البوصيري نفسه من الغلو. وذلك يدل على الأثر السلفي في فكر هذا الشاعر، إذ لم يعمد إلى مجاراة الشعراء الصوفيين في اتجاهاتهم المختلفة، فقد وصفه أحد أحفاده بأنه « اعترض على بعض المعاني »[5] في قصيدة البوصيري

---

(١) ديوان ابن مشرف، ص ١١٢.

(٢) مجموعة أوراق للعمودي، مخطوطة أوراقها غير مرقمة.

(٣) كذا في الأصل. ويظهر أن الشاعر قد حذف الألف اللينة اختلاساً للحركة طلبا لاستقامة الوزن.

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(البردة)، وضرب لذلك مثلا بقول جده :

يا أكـــرم الخلق مـــا لي من ألوذ به من بعد موجد كل الخلق من عدم[1]

وقال بأنه بذلك خالف قول البوصيري في بيته التالي :

يا أكـــرم الخلق مـــا لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم[2]

والحق أن أحمد بن عبد الخالق الحفظي، يمثل استمرار الأثر السلفي في شعر الحفظيين برجال ألمع، وذلك من حيث وضوح الاتجاه السلفي، والرغبة في الإصلاح. إلى جانب ثبات الموقف تجاه الترك أعداء الدعوة الأصليين، فما لقيه بسببهم من الأسر والنفي والقسوة والضيم، يدلل على نصرة هذا الشاعر لمبادئ الدعوة السلفية وتأثره بها.

ولئن عُدَّ وضوح الأثر السلفي في شعر أحمد بن عبد الخالق الحفظي من مظاهر الاتصال السلفي في شعر رجال ألمع في القرن الثالث عشر الهجري، فإن شعره يُعَدّ خاتمة لذلك النشاط السلفي الذي عُرف في شعر تلك الأنحاء خلال تلك الفترة، إذ لم يكد يظهر شيء من تأثيره في مجال الشعر برجال ألمع إلا في العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، حينما ضمت تلك الأجزاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية، حيث وجد من الشعراء الحفظيين من ينهج في شعره نهجاً سلفياً مناسباً، ولعل من يمثل هذا الاتجاه إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي الذي حظي برعاية أولي الأمر السعوديين، فقد بعث إليه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رسالة أشاد بمواقفه فيها بقوله :

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٢) البردة، ورقة ٤٨. قال الشوكاني عن هذا البيت : « ويغلب على الظن أن مثل هذا البيت والبيت الذي قبله، إنما وقعا من قائلهما لغفلة وعدم تيقظ. . . » الدر النضيد ص ٢٧، وقال أيضًا : « فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وغفل عن ذكر ربه رب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، إنا لله وإنا إليه راجعون ». المصدر نفسه، ص ٢٦.

« وقد عرّفنا مندوبنا عن مواقفكم الحسنة واجتهادكم في الإصلاح »[1]، ورغم جهوده السلفية في المجال العملي، فإن شعره لم يكن يرقى إلى شعر أسلافه الحفظيين في الفترات السابقة، وإنما كان يأتي شعره مصوراً لمظاهر الإصلاح والجهود المعروفة التي بذلها السلفيون في الفترات السابقة، مثل قوله:

كم وطدوا بالمواضي دين الإله الحميد
وطوعوا كل عات ومعرض وشريد[2]

وقوله في مدح الملك عبد العزيز آل سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٣هـ):

دلَهْمَسُ أهل الشرك والزيغ والردى وليث الوغى مردي العدا بالظُّبا[3] الحدِّ
مَجيز على من خالف الدين سيفه لتنزيه توحيد الإله عن الضد[4]

وقد أنشأ هذا الشاعر قصيدة أخرى بَيَّن فيها تجديد أمر هذه الدعوة السلفية على يد الملك عبد العزيز آل سعود، ومنها قوله:

وقد آن لي ذكر الذي كان داعيًا إلى نشر ما يأتي قريبًا على الأثر
وذلك لما أن بدا السعد طالعًا من الأفق النجدي كالكوكب الدُّري
أنارت به الأنحا وكان ظهوره قرين ظهور اليسر في زمن العسر[5]

ويظهر الأثر السلفي لدى نفر من شعراء رجال ألمع المعاصرين، مثل: الحسن بن علي الحفظي، وزاهر بن عواض الألمعي. فأما الحفظي فيرسم اتجاهه الإسلامي بقوله:

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٣) انظر الصحاح، ٦/ ٢٤١٧.

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٠٨.

(٥) عبد الرحمن إبراهيم الحفظي (جامع)، شعاع الراحلين، ص ٧٣.

فـمن هنا يا بني الإسـلام نعلنهـا في دعـوة الله من هدي النبـيـينا

إنا على منهج الإسـلام غـايتنا نحـيا عليـه ونعطي الناس أيدينا

نبـايع الله في سـر وفي علـن أن نحـمي الـدين من طاعـات بارينا

ونرفع الرأس ما فوق الجبـال ولا نثنيـه إلا لبـارينا ومنشـينا

فـعندها السعـد والأفـراح تغـمرنا ويصبح البدر شمسًا في ليالينا[1]

ورغم ما وُصف به هذا الشاعر من التقليد والمحاكاة[2]، فإن نهجه السلفي يتضح من هذه الروح الإسلامية التي يصدر عنها من خلال البناء التقليدي لقصيدته السابقة.

وأما زاهر بن عواض الألمعي، فيظهر الأثر السلفي في شعره من خلال قصيدته التي رثى بها الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي أحد تلامذة الشيخ عبد الله القرعاوي، والداعية السلفي المشهور في تهامة. ومن قصيدة الألمعي قوله:

لقد دوى على المخلاف[3] صوت نعى النِّحْريرَ عـالمهـا الهـمـامـا

تفـجـعت الجنوب وسـاكنوها على بدر بهـا يمحـو[4] الظلامـا

وذاعت في الدُّنا صيحـات خطب فـهـزت من فـجـائعـهـا الأنامـا

فكفكفتُ الدموع على فـقـيد على الإسلام شمـر واستـقـامـا

وأحـيا في الربوع بيوت علم وواسى مقـعـدًا ورعى يتـامى

أحـافظ كنت للعليـاء قطبًـا وللإسـلام طودًا لا يسـامى

وبحـرًا في العلوم بعـيد غـور كـثـير النفع قـوامًـا إمـامـا

---

(١) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ٦٧. ولعل الشاعر في قوله: «أن نحمي الدين» يقصد أن حماية الدين من طاعة الباري، فأول المصدر بأن والفعل.

(٢) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص ٣٩٥.

(٣) المخلاف السليماني.

(٤) في ديوان الألمعيات «محى»، ص ١٣٣.

وما متم فمنهجكم منار يضيء دروبنا وبها أقاما
فذاك تراثكم فينا وفير فرائد خرَّد عظمت مقاما
فشيدتم لهذا العلم صرحًا وأمسكتم لموكبنا الزِّماما
نشرت العلم فانتعشت بلاد ونالت في مطالبها المراما
فقيد العلم لا زلتم منارًا ولا زلتم على الدنيا كراما[1]

ولئن مدح الألمعي هذا العالم بنصرة الدين والقيام بالتعليم، فإنه لكذلك، إذ هو من عصبة نفع الله بهم تهامة بعد ضلال من البدع والمحدثات، وما شُيِّدت أركان السلفية في جازان وما حوله في هذا العهد إلا على أكتاف رجال مخلصين، ومنهم: الحكمي، وشيخه القرعاوي، ورجال آخرون، ولذلك كان الأدب الذي أُنتج في ميدان هذه الدعوة السلفية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري مميَّزا يدل على هذه الدعوة وتأثيرها، رغم أن تلك الأنحاء قد تأثرت عندئذ بملامح التطور الأدبي الذي شهدته البلاد السعودية بعامة، وذلك يمكن تحقيقة لدى معظم شعراء تلك المنطقة.

وجملة القول: إن هذه الدعوة قد أثّرت تأثيرًا كليًا في شعر رجال ألمع خلال القرنين الماضيين الأخيرين، عدا فترة يسيرة من النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فقد تأثرت بما كان يجري في المخلاف السليماني من تيارات دينية مختلفة، وإلا فالشعر في رجال ألمع كان مردّ نشاطه الأثر السلفي الذي ظهر لدى شعرائه منذ ناصروا الدعوة السلفية بالدرعية، إذ أصبح الأدب

(١) أحمد حافظ الحكمي، من أعلام الجزيرة العربية الشيخ حافظ الحكمي، مجلة اليمامة، ع ٢٤٣، س ٦، ٤/ ٢/ ١٣٩٣هـ ص ٣٠. ويتضح اختلاف القصيدة هذه عنها في ديوان الشاعر نفسه « الألمعيات » ط٢، ولعل الشاعر قد بدل في أبياتها حين أخرجت في هذا الديوان، إلى جانب أن لغة القصيدة لم تسلم من بعض الهنات اللغوية، مثل، كلمة « وفير ». انظر ديوان الألمعيات، ص ١٣٣ - ١٣٥.

حينذاك في رجال ألمع يمثل هذه الدعوة السلفية في جنوبي الجزيرة العربية من حيث بسط مبادئها في البلدان المجاورة، ومن حيث الدفاع المستمر الذي أولاه إياها شعراء تلك المنطقة، مما أذكى الروح الأدبية، ونزع عنها التيارات الدينية الأخرى التي كانت قد أصابت الشعر من قبل.

الفصل الثالث

أثرها في شعر المخلاف السليماني

يتجلى أثر الدعوة السلفية في شعر المخلاف السليماني من خلال الحركة الشعرية التي وُجدت بسبب هذه الدعوة في تلك الأنحاء، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد كانت بلدان المخلاف السليماني حينذاك تحيا حياة أدبية مناسبة، وتحفل عندئذ بشيء من الاتجاهات الدينية المتباينة، مما أذكى روح اليقظة الشعرية، وأوجد نشاطًا أدبيًا مميزًا، ولعل ما يميز هذا الشعر الذي قيل في هذا الفترة أن أغلب المشاركين في حركته قد كانوا من العلماء والوزراء[1] الذين كانوا في الغالب يصدرون عن رأي موحد تجاه هذه الدعوة الإصلاحية. ومع ذلك وُجد في هذا المحيط الأدبي بعض الشعراء الآخرين الذين أسهموا بشيء من نتاجهم الشعري المحدود.

ورغم أن هذا الأثر السلفي الذي وُجد بتلك الأنحاء قد قل من بعد ذلك في مجال الشعر، إلا أن اتصال نفر من شعراء المخلاف السليماني بأمراء عسير السلفيين في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، قد أبقى على شيء من الملامح السلفية المعهودة. ولم يكد يتضح هذا الأثر السلفي مرة أخرى في نتاج شعراء المخلاف السليماني، إلا في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، حيث بدأ هوى أولي الأمر بتلك الأنحاء ومن إليهم من الشعراء يميل إلى دعاة هذه الدعوة السلفية الذين بدؤوا يجددون دعوتهم في كثير من أنحاء الجزيرة العربية.

---

(١) ويتحقق هذا القول في مشاركة العلماء البهكليين، والوزير الحسن بن خالد الحازمي، كما سيأتي بيانه.

وما أن انتشر الدعاة السلفيون في بلدان المخلاف السليماني في العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري، حتى بدأ التأثير السلفي يغشى الواقع الأدبي بتلك الأنحاء، وأخذ الشعراء يشيدون بالقائمين على هذه الدعوة، ويقلعون عما اكتنف شعرهم من آثار الاتجاهات الدينية المعهودة في بلادهم من قبل، ولم يلبث الشعراء من بعد ذلك في المخلاف السليماني أن اتصلوا بمراكز اليقظة الأدبية في بقية البلاد السعودية وبخاصة الحجاز، حيث بدؤوا يحسون بكثير من الاتجاهات النقدية الجديدة التي أثرت في نتاجهم الشعري، وجعلتهم يدركون كثيراً من المؤثرات الأدبية الوافدة، شأن إخوانهم في بقية أجزاء البلاد السعودية الأخرى. وذلك ما جعل لشعراء تلك الأنحاء شيئًا من الخصائص الأدبية المميزة التي لا تخلو في الواقع من الأصالة والإبداع الشعري.

والحق أن الشعر الذي وُجد في ظلال الدعوة السلفية بالمخلاف السليماني لم يسلم من الضعف الأدبي المعهود الذي عرف في العصور الأدبية الأخيرة، ولكنه قد تميز بجدية الموقف، ووضوح الاتجاه الفكري، فقد تجرد ذلك النتاج الشعري - في الغالب - من التقاليد الشكلية المعروفة، وانصرف إلى التعبير عن الاتجاهات الفكرية التي يصدر عنها علماء تلك الأنحاء وشعراؤها، ولعل ذلك ما وسم الشعر الذي قيل في هذا الميدان بالميول المذهبية والسياسية.

ويبدو أن أثر الدعوة السلفية قد برز في شعر المخلاف السليماني، منذ أخذ الشعراء بتلك الأجزاء ينقضون ما يردهم من القصائد التي كانت تبعث بدافع من أنصار الدعوة السلفية أنفسهم بالبلدان المجاورة لهم، إلى جانب أنهم بدؤوا يظهرون في قصائدهم تلك الميلَ نحو هذه الدعوة السلفية، ولكن بشيء من التحفظ والتأني، ومع ذلك كانوا أخف في مناقشتهم الفكرية من أمثالهم من الشعراء في اليمن وغيرها. ومن ذلك النتاج الأدبي النقائض التي ردَّ بها

شعراء المخلاف السليماني على بعض شعراء رجال ألمع، فقد بعث الشيخ محمد بن أحمد الحفظي بقصيدة إلى القاضي عبد الرحمن بن حسن البهكلي[1] يستحث بها - كما قال عاكش - الأهلين في المخلاف السليماني إلى قبول هذه الدعوة ونصرتها[2]. وقد زعم عاكش أن هذه القصيدة كانت سببًا في قبول الشريف حمود بن محمد الحسني أمر هذه الدعوة[3]. والحق أن قبول هذا الشريف لمبادئ الدعوة السلفية لم يتأت إلا بعد حروب ظاهرة معروفة، ومع ذلك كان لهذه القصيدة أثر واضح في إيقاظ همم الشعراء والعلماء بتلك الأنحاء تأييدًا ومعارضة[4]، رغم وفرة الاتجاهات الدينية المعهودة حينذاك. ونتيجة للوضع السياسي في المخلاف السليماني وارتباطه - فيما بعد - بالأمراء السلفيين في عسير، لم يشأ المؤرخون إيراد تلك القصائد جملة، وإنما اكتفى مُوردوها بالإشارة إلى بعضها، فالواضح أن هناك نتاجًا شعريًا وافرا نتج من أجل التيارات المذهبية الموجودة إذ ذاك بالمخلاف السليماني[5]، مما دلل على وضوح أثر هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الشعر.

ومهما يكن الأمر، فإن من شعراء تلك المنطقة المعروفين الذين شاركوا في هذه النقائض الشعرية: القاضي أحمد بن الحسن البهكلي،

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٠٥.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٩.

(٤) محمد بن أحمد العقيلي، من أدب الدعوة في الجنوب، مجلة الدارة، ع١، س٨، شوال ١٤٠٢هـ، ص ١٥٢.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢١. وقد ذكر عاكش أن القاضي عبد الرحمن ابن حسن البهكلي أجاب على هذه القصيدة، وأضاف على حد تعبيره: «وجماعة من علماء الجهة.». ورقة ٢١، ويعني بالجهة: المخلاف السليماني.

والقاضي عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، والوزير الحسن بن خالد الحازمي، فأما أحمد بن الحسن البهكلي (١١٥٣ - ١٢٣٣هـ) فقد أنشأ قصيدة في هذا الميدان، قال في مطلعها:

سقيًا لأيامي بحسن المنزل عبقت لياليها بطيب المَنْدَلِ[1]

وأما أخوه عبد الرحمن بن الحسن البهكلي، فقد أنشأ كذلك قصيدة في هذا المجال، قال فيها:

الحمد لله العظيم الأول بجميع كل محامد المتفضِّلِ[2]

ولعل قصيدة الحسن بن خالد الحازمي في هذا الجانب من أبرز تلك القصائد رواجًا؛ وذلك لأنها تعد القصيدة الوحيدة التي استحسن علماء تلك الأنحاء وشعراؤها بعثها إلى الشعراء الحفظيين في رجال ألمع، إذ إنها - كما قال عاكش - من «أحسنها وأجمعها»[3]، فقد شملت واقع هذه الدعوة السلفية في المخلاف السليماني، وأشارت إلى تأييد علماء تلك الأنحاء وشعرائها لهذه الدعوة والقائمين عليها في نجد، ولكنها بيَّنت الحال الذي يسير عليه أمراء الدعوة ودعاتها حينذاك بالمخلاف السليماني، ومما قال فيها:

ولقد عثرت على نظام صاغه من رام نصحًا شأنه لم يجهل
يا حبَّذا يا حبَّذا يا حبَّذا فالنصح مقبول على الوجه الجلي[4]
قد بين الداعي، وما يدعو له في الآن والزمن الرَّحيب المقبل

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٦٢. والمنْزِل: المنهل والدار، والمنْزَل: الحلول.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢٢.

أمـــرًا مـــهـــمًّـــا وهو فـــرض لازم　　　لـلعـــالـم المتـــفطن المتـــعـــقِّل[1]

وبعد أن أثنى الحازمي على هذه الدعوة، وبيَّن استحسانه لنهجها القويم، وما يدعو إليه صاحبها من إفراد التوحيد لله تعالى وإصلاح المعتقد، أخذ من بعد ذلك يبين حال بعض دعاتها في تلك الأنحاء وأنهم قد شطوا عن الطريق، إذ قال:

بل صـرَّحوا بالشرك في كل الورى　　　من أمَّـــة الـهـــادي لغــيـــر تأمُّل

أيضـاً وكم قـتلوا صـبـيًّا يافـعًـا　　　في الكفـر من أفـعـالهم لـم يحلل

وكم استبـاحوا[2] كم شيوخ ركَّع　　　كـم من تقي عـــابد مـــتـــبـــتِّل[3]

ويمضى الحازمي في هذا المجال، فيبيِّن حال بعض أمراء الدعوة في تلك الأنحاء مشيراً إليهم بقوله: «المقادمة»[4]، فقال:

أمـــا المقَـــادمَـــةُ الذين تراهـم　　　فـــفـــعـــالـهـم نكر بغــيـــر تأول

لا يســـمـــعـــونَ مـــقـــالة من عـــالـم　　　بل ينسبـون الحَـبْـرَ أجـهـل أجـهل

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٦٠. وقد ورد هذان البيتان الأخيران في الديباج الخسرواني كالتالي:

«فـــتـــبين الداعي ومـــا يدعـــو له　　　في الآن والزمن الرحـــيب المقـــبل

أمـــر مـــهـــم وهو فـــرض لازب　　　للعـــالم المتـــفطن المتـــعـــقـل»

ورقة ٢٢٢.

ومن ذلك يتحقق أثر هذه الدعوة السلفية في أدب جنوبي الجزيرة العربية من خلال هذه اليقظة النشطة في ميدان الشعر والنثر، إذ لم تكن تلك الأنحاء تعهد مثل هذه الحركة الأدبية من قبل، وإنما كانت تعيش على موروثها الأدبي، وما ينتجه أدباؤها من نتاج تقليدي معهود.

(٢) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير «من»، ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٢، ٢٣.

(٤) المقادمة: في لهجة أهل تهامة قادة الجيش، وأمراء الدعوة عندئذ.

وإذا سـمـعـت كـلامـهـم بأدلة | تجـد الكلام من الصَّـواب بمعـزل
لكنَّ داء[1] الجهل أصبح فـاشـيًا | فـيـهـم فـأنى يفـصـحـون بمعـدل
فـالشـيخ إن كـان المراد هداية | بعث الهـداية كلَّ شـخص أفـضل
ليكون سـعـيهم بحسن بصيرة | وسـيـاسـة وسلوك نهج أسـهـل
لا كـالعـرار[2] وشكله ونظيره | ذو نُقْطَة[3] والكل[4] عن علم خلي

وبعـد أن شـرح حـال هذه الدعـوة في المخلاف السليـمـاني، وأشـار إلى أمرائها بتلك الأنحاء بقوله: « كالعرار » و « ذو نقطة » برَّأ ساحة الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود من هذه الأفعال، ومن ذلك الغلو، فقال:

هـذا ولـسـنـا قـائـلين بـأنَّ ذا | بالأمـر من عـبـد العـزيز الأكـمل[5]

ومن هذه القصيدة يتبين أثر هذه الدعوة السلفية في مجال الشعر، وأنها دفعت بعض الشعراء عندئذ إلى التعبير عن اتجاهاتهم، وما يجري في بلدانهم من أجلها، كما دلت على وجود مثل هذا النمط الشعري ذي الملامح السياسية المذهبية، ولم تسلم هذه القصيدة من المبالغة، وبخاصة إذا أُدرك الحال السياسي الذي يمثله الحازمي. ومع هذا أشارت تلك الأبيات إلى غلو بعض الدعاة الذين بالغـوا في منهج نشـر الدعـوة ببلدان تهـامـة. وذلك يخـالف نهج دعـاتهـا في الدرعية، إلى جانب أن هـذه القصيدة قد سلمت - إلى حد ما - من التكلف

---

(١) في الأصل « دا ».
(٢) العرار: هو عرار بن شار الشعبي.
(٣) ذو نقطة: أراد به: عبد الوهاب بن عامر المتحمي، والحق أن أبا نقطة محمد بن عامر المتحمي، لا عبد الوهاب.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

البديعي والصنعة اللفظية، نتيجة لما هو فيه قائلها من الانشغال بأمر الدعوة الذي استحوذ على تفكيره.

وقد حظيت هذه القصيدة باهتمام كثير من المؤرخين الأُوَل، والباحثين المحدثين في تاريخ الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية، فقد قال عاكش: إن هذه القصيدة «قد شرحت جملة»[1]، مما كان عليه دعاتها في تلك الأثناء، وذكر كذلك في موضع آخر بأنه وقع بسبب هذه القصيدة شيء من النقاش المذهبي[2]. وقد وصف محمد محمد زبارة هذه القصيدة بأنها بليغة[3]، كذا أشار إليها عبد الله بن علي العمودي[4]، وجملة من مؤرخي المخلاف السليماني وعسير المعاصرين[5].

وإذا كان الحسن بن خالد الحازمي قد أنكر على بعض دعاة الدعوة أفعالهم، فإن تأييده للدعوة نفسها وصاحبها قد تجلى في أبيات قصيدته حين أيد مبادئها، وبرأ القائم عليها في نجد[6]. وذلك يخالف بعض الشعراء في المخلاف السليماني من حيث وضوح المعارضة، وعدم الدراية بحقيقة الدعوة نفسها وما تدعو إليه، ولا غرو في ذلك فالشعر في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري يتسم بوضوح المعارضة واختلاف وجهات النظر.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

(٣) نيل الوطر، ج٢، ص ٢٧.

(٤) تحفة القارئ والسامع، ورقة ٨٥.

(٥) انظر على سبيل المثال: مجلة الدارة، ع١، ص٨، ١٤٠٢هـ، ص ١٥١، وتاريخ عسير لهاشم سعيد النعمي، ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٦) ورغم الموقف السياسي الذي يمثله الحازمي حينذاك، إلا أنه كان منصفًا في مواقفه إزاء هذه الدعوة، إذ يُعَد من أبرز أدباء المخلاف السليماني إدراكاً لها، ومن أشدهم نصرة لمبادئها، وبخاصة في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ولذلك كان بعض الشعراء في المخلاف السليماني ينقلون معارضتهم إلى أدباء اليمن، ويعقدون من أجلها معهم المجالس الأدبية، فقد أشار لطف الله جحاف إلى أن الشريف محسن بن علي الحازمي قد وفد إلى اليمن سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م. وأنه كان ينشد شعره في شأن الدعوة « في مجالس متعددة »[١]، إلى جانب أنه طوَّف ببعض البلاد في جنوبي الجزيرة العربية، مثل: صنعاء، ونجران[٢]، إذ كان - فيما يبدو - ينقل وجه المعارضة لأئمة اليمن وعلمائها، ومن سلك منهجهم في الميدان المذهبي. ولا شك أن مثل هذا العمل يساعد على إيقاظ الفكر، وبث الروح الأدبية، مما يشير إلى أثر هذه الدعوة في المجال الأدبي.

ومن المجالس الأدبية التي كان يعقدها محسن الحازمي في رحلته إلى اليمن، مجلسه الأول الذي نظم فيه قصيدة تشمل شيئًا من الفوارق المذهبية، وبخاصة التي نشأ حولها شيء من الخلاف المذهبي إبان ظهور هذه الدعوة الإصلاحية بتلك الأنحاء، ومما قال في هذا المجال:

مــا أن ســألنا من يوافــينا	من التــهــائم إلا ظل يروينا
بموبقــات من الأفــعــال شــاهدة	على البــعــاد بما قــد ســاء يؤذينا
وما عجبت لشيء غير أنهم ذكروا	تعلمـون وجيـه الدين قـاضـينا[٣]

(١) كتابه السابق، ورقة ٣٠٤.

(٢) محمد محمد زبارة، نيل الوطر، ج ٢، ص ٢١٠.

(٣) أراد: عبد الرحمن بن حسن البهكلي (١١٤٨ - ١٢٢٤هـ) القاضي بأبي عريش، وأشهر قضاة تهامة عندئذ، قال محمد محمد زبارة بأنه الذي « كتب إليه محمد بن أحمد الحفظي.. صاحب رجال ألمع قصيدة يدعو[هـ] بها إلى متابعة آل سعود »، وذكر زبارة مطلع القصيدة، نيل الوطر، ج٢، ص ٢٦ - ٢٧. وفي صدر البيت الثالث ركاكة في الوزن لطول الكلام، وهو غير متفق في المعنى مع العجز.

وأن مـا قـالـه النَّجـدي[1] مـتَّـبـع وَمــا يفـسِّــره من قــول بـارينا[2]

ولم يخل هذا المقطع من قصيدة محسن الحازمي من الجور، إذ أسرف في القول، واستخدم كلمات نابية ما كان ينبغي له استخدامها. وكان وجه الخلاف عند هذا الشاعر أن السلفيين - كما قال لطف الله جحاف - قد فسروا القرآن «بأمر لا تساعده اللغة»[3]، وأنهم «أبطلوا مذهب الزيدية لإسقاطهم في الأذان حي على خير العمل، وترك الجهر بالبسملة، وقولهم بالرفع والضم والتأمين، وسبيهم النساء والبنين، وقتلهم المصلين في تسع آيات، وتجهيلهم لحاكمهم بضمد...»[4]. وتلك أمور أطال في ذكرها المؤرخون والأدباء، وهي لا تخلو من المبالغة، رغم أن معظمها فوارق مذهبية لا تجهلها العلماء، وليست بذلك القدر الذي نقل به الحازمي معارضته.

وعلى أية حال فقد ظل محسن الحازمي يحافظ على مجالسه الأدبية التي كان يعقدها أثناء رحلته إلى بلاد اليمن، إذ كان - فيما يبدو - يستميل أهواء اليمنيين نحو وجهة نظره، فقد اختلفت تلك المجالس بين التعرض لهذه الدعوة، وبين تصور حال تهامة حين كانت تغشاها جيوش الدعوة، إلى جانب أن هذا الشاعر اهتم بشرح وجهة نظره لإمام اليمن فيما بعد، ففي مجلسه الثاني قال في تصوير حال تهامة بعد المعارك التي شبت فيها:

إني على سادتي الأشراف في غُصَص تجـرَّعـوها، وقـد كـانوا المسقِّـينا
وحـادثات من البـغـضـاء كـامنة في سـابق الحين أبدتهـا ليـالينا

---

(1) يعني بذلك الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وبخاصة أن هذه القصيدة قد قيلت سنة ١٢١٧هـ في عهد الإمام نفسه، وربما أراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكن هذا الاحتمال ضعيف.

(2) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٤.

(3) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٤.

(4) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٤.

لله أيام حـــزنا في مطارحــــهم | لسـبق الخـيل نغـزو من يعـادينا
ونحن في جذل والشـمل مـجتـمع | كـأنما الغـيـر من بطن مـؤاخـينا

ويمضي الشـاعـر في تصـوير مـلامح الخـلاف الذي نشـأ في تلك الأثناء، ويشير إلى أنصار الدعوة السلفية من أبناء المخلاف السليماني، وما كان يجري لهم من قـومـهم من المبـاينة والخـصام، حيث يسـتمـر هذا الشـاعـر في إحياء مجالسه الأدبية بما ينشد فيها من الشعر، فقد قال في مجلسه الثالث، حين بلغ صنعاء مقطعاً شعرياً قلّد فيه الشاعر ابن زيدون[١]، إذ قال:

ومـــا رحلنا عن الأوطان من ملل | وإنما بعض أهل البـــــيت يَثْنينَا
وإن تبـاعـدت الأشـبـاح وافـتـرقت | عن الأحـبــة لا نخـشى تجـافـينا
فـالحـمـد لله حـمـداً غـيـر منحـصـر | مـضـاعـفـاً[٢] حين نجـانا منجِّينا[٣]

وقد ظل هذا الشاعر في مجلسه هذا يذكر أن الدافع من وراء رحلته يعود إلى غيرته الدينية على مذهبه الزيدي، وأنه يطمح في نصرة إمام اليمن، وبعض القبائل في بلاده، ثم انصرف إلى مدح الإمام المنصور نفسه، فقال:

خليـفـة الله جـمل الله حـجـتـه[٤] | على البــرية قـــاصــينا ودانينا
سلالة المصطفى المنصور من خضعت | لهــيـبــة منه أعناق السَّـلاطينا[٥]
تهـزُّ الروعَ قـبل الجـيش هيـبـتُـهُ | وتحـقـر الخطب إصـغـاراً وتهـوينا

(١) انظر: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص ١٤٢.
(٢) في الأصل «مضاعف».
(٣) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢.
(٤) كذا في الأصل مع الركاكة في الوزن وعدم وضوح المعنى.
(٥) كذا في الأصل، وفي القافية إقواء.

وإن دعا الجيش واشتدت عساكره ... تزعزع الرُّوم وارتاعت فلسطينا[1]

وضاقت الأرض من نجد إلى حلب ... إلى العراق بأرض الجيل والصِّينا[2]

ما في انتقامك سلطان ولا ملك ... ولا لجندك هَمْدَانُ المَيامينا

من مبلغ كل من فارقتهم سحراً ... بأنني عند مولانا ووالينا

على الكرامة والإجلال ساحته ... لما طردنا عن الأوطان يؤينا[3]

ورغم هذا الحماس الذي أظهره الشاعر في قصيدته هذه، فإن العاطفة التي كان يصدر عنها لم تكن بقدر الرحلة التي قضى في سبيلها وقتًا طويلاً، فقد ذكر محمد محمد زبارة أن هذا الشاعر قد بقي في صنعاء قدر سنة من الزمان، ولم يعد إلى وطنه بالمخلاف السليماني إلا في عام ١٢١٨هـ[4]، وأنه حين عودته ألفى بلاده وقد قبلت أمر هذه الدعوة، وأفادت كثيراً من مبادئها وسبل الإصلاح فيها، ولعل ما يدل على مستوى الأدب في المخلاف السليماني خلال هذه الفترة أن الشعراء كانوا يفضلون محاكاة الأدباء الذين سبقوهم. وذلك ما أفقدهم الأصالة والإبداع في أغلب الأحيان، وبخاصة في هذه القصيدة السابقة، إلى جانب الإقواء الذي وقع فيه الشاعر في بعض أبيات قصيدته.

وما أن قَبِل أشراف المخلاف السليماني وعلماؤه أمر هذه الدعوة السلفية حتى خف دافع المعارضة وضعف نشاطه، وأخذت المدن العلمية بتلك الأنحاء تحيا حياة سلفية يقظة، إلى جانب أن الشعراء من البلدان المجاورة وغيرها، بدؤوا يفدون على الشريف حمود بن محمد الحسني، وينعمون بالمقام في

---

(١) كذا في الأصل، وفي القافية إقواء.

(٢) كذا في الأصل، وفي القافية إقواء.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٥.

(٤) نيل الوطر، ج ٢، ص ٢٠٩.

بلاده، فقد «وفد عليه الشعراء من الأقطار الشاسعة»[1]. وكان يجزل لهم المنح والعطاء، ولعل الشاعر العراقي بندر بن شبيب العامري أبرز من مدح الشريف حمودًا ونال عطاءه، فقد وصفه عاكش بأنه «مدحه بغرر القصائد»[2]، إلى جانب إقبال شعراء اليمن عندئذ على مدح الشريف حمود نفسه وغيره من رجال إمارته[3]. كما حظي بعض أشراف المخلاف السليماني الآخرين في ظلال هذه الدعوة السلفية بشيء من اهتمام الشعراء وعنايتهم، فقد كانوا كثيراً ما يحرصون على ذلك في نتاجهم الشعري، سواء كان ذلك النتاج في: المدح أو الرثاء أو غيرهما، ولعل ما ناله الشريف منصور بن ناصر الحسني[4] من اهتمام بعض الشعراء يشير إلى تلك الحركة الشعرية التي نشأت في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

وحينما ابتُليت تهامة بغزوات الترك المتكررة، كانت مظاهر آثار هذه الدعوة الإصلاحية تظهر في نتاج الشعراء بتلك الأنحاء، وبخاصة العلماء الذين كانوا يضامون في سبيل نصرتها والميل إليها، ولم يكن الشعر الفصيح وحده الذي ناهض الترك، وإنما كان الشعر العامي[5] يحفل بكثير من النماذج التي أُنشئت ضد أعداء الدعوة من الترك وغيرهم، فقد دلت المصادر على وجود بعض الشعراء العاميين الذين نظموا شيئا من شعرهم في تصوير حملات

---

(١) هاشم سعيد النعمي، ص ١٦٣.

(٢) عقود الدرر، ورقة ٣٥.

(٣) انظر: الديباج الخسرواني لعاكش، ورقة ٣٠، ٦٤، ١٢٧.

(٤) قال قي رثائه القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي قصيدة مطلعها:

«لقد أبى الضيمُ ماضي العزم ذو جلد ... وحلَّ في شرف العلياء في صعد»

انظر هذه القصيدة في: الديباج الخسرواني، ورقة ٧٩، ونيل الوطر، ج٢، ص ٣٦٨.

(٥) انظر: الأدب الشعبي في الجنوب للعقيلي، وكتاب سنابل الشعر لعلي العمير، ص ٥٤.

الترك التي كانت تغشى المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري[1].

وعلى أية حال فإن من أشراف المخلاف السليماني وعلمائه الذين قاسوا من عسف الترك وجورهم: الشريف أحمد بن حمود، والقاضي عبد القادر بن علي العواجي اللذين أودى بهما الأجل، وهما في المنفى بمصر بسبب إخراج الترك لهما من ديارهما. وكان هذا الجور من الترك بسبب عدائهم للدعوة السلفية ورجالها، فقد أخرج الشريف أحمد بن حمود عن دياره عن طريق ميناء جازان عام ١٢٣٤هـ إلى مصر حيث توفي فيها سنة ١٢٣٥هـ. وقد وصف عاكش حال ركوب هذا الأمير البحر عندئذ بقوله: «وسارت بهم الجواري المنشآت، وضمّته ومن في صحبته كأنهم أموات، وأصبح حديث سمر بعد أن زهى به القصر، وراق به العصر»[2]. ومن الشعراء الذين امتدحوا الشريف أحمد بن حمود: الشاعر عبد الكريم بن حسين العتمي الذي استهل إحدى مدائحه فيه بقوله:

نام الخليُّ وضمَّته مضاجعُه والمستهام كراه لا يطاوعُه[3]

ثم قال:

---

(١) ذكر العقيلي من أولئك الشعراء: علي بن صديق عطيف، وأشارإلى شيء من شعره ضد الترك وحملاتهم.
انظره في كتابه: الأدب الشعبي في الجنوب، ج ١، ص ١٠١ - ١٠٢.
والحق أن الشعر العامي بالمخلاف السليماني، يشتمل على مواقف جليلة تهم الباحث، وبخاصة المؤرخ الأدبي غير أنا لم نرتح إلى تضمين بحثنا هذا شيئا من نماذجه لعدم ميلنا إلى تقوية اللسان العامي؛ لأن في ذلك ما يخالف رسالة المؤسسات التعليمية التي تعمل على تصحيح لسان العرب، ولأننا في عنايتنا بالعامي نكون مثل من يبني باليمين، ويهدم بالشمال. ولكي لا يفوت على الناظر في هذا البحث بعض الحقائق التي تضمنها هذا الفن؛ فإن من الأفضل الرجوع إلى ذلك الشعر في مظانه ومجاميعه المعروفة.

(٢) الديباج الخسرواني، ورقة ١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١١٧.

يجـر بحـر خـمـيس كله لجب	وطالع النصـر في الخـيلين طالعــه
متوج بالبهـا[1] من فـوق مفـرقـه	وفي الوغى[2] أسد يردي مضارعه[3]
لا يعـرف الخطب إلمامًـا بسـاحـتـه	ولا يلـم بـواديـه قـــوارعـــــه[4]

وأما القاضي عبد القادر العواجي ؛ فقد أسره الترك - كما قال عاكش- « وتوجهوا به إلى مصر ، وبها مات » عام ١٢٣٥هـ. وقد أورد له هذا المؤرخ قصيدة لا تخلومن ضعف الأداة الشعرية ، ولكنها تصور حاله المؤلم وهو في أسره، ومنها قوله :

يا زمـانًا فيـه قـضـينا اشـتـيـاقًـا	أترى[5] عــائدًا زمــان الـوصـــال
كـــاد قلبي يذوب شــوقًــا وحــزنًا	إن تذكـرت مــا مــضى من ليــال
إن يكن ما بقي[6] سوى الذكر منها	ذهبت مــهــجــتي وزاد وبالي[7]

وقد عقب عاكش على هذه القصيدة بقوله : « انظر إلى هذه القصيدة، فآثار الوجد عليها لائحة، وهو شعر شبه النوح »[8]، وما دفع العواجي إلى

---

(١) كذا رسمت في المصدر بالقصر ؛ وذلك للضرورة الشعرية .

(٢) في الأصل «وغا» .

(٣) المضارعة : المشابهة ، وفتح العين في القافية يخالف نظامها ، ، وذلك ما جعله يسكن حرف الهاء .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١١٧ ، ويبدو أن العتمي قد شغف بمدح الشريف : أحمد بن حمود ، فقد ذكر له أحمد النعمي في تاريخه قصيدة أخرى مطلعها :
« أرسل الشهب للشياطين أحمد فأتت منهم بكل مصفَّد » ورقة ١١٧ .

(٥) في الأصل «ترا» .

(٦) في الأصل «بقا» .

(٧) الحسن بن أحمد عاكش ، عقود الدرر ، ورقة ٦٤ ، وانظر : الديباج الخسرواني لعاكش ، ورقة ١٣٩ . وحدائق الزهر لعاكش نفسه ، ورقة ٥٥ .

(٨) الديباج الخسرواني ، ورقة ١٤٠ .

هذا السبيل سوى جور الترك الذين آذوا بسعيهم هذا كثيرا من علماء هذه الجزيرة وأمرائها، وما نقموا منهم إلا أنهم يؤيدون هذه الدعوة السلفية، وينهجون سبيلها.

ويبدو أن أثر الدعوة السلفية قد ضعف في مجال الشعر بالمخلاف السليماني منذ قضى الترك على الأمراء السلفيين بتلك الأنحاء[1]، ومع ذلك فربما بقي شيء من ذلك الأثر السلفي لدى نفر من شعراء المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين أقبلوا على أمراء عسير السلفيين، وفضلوا المقام في بلادهم، فقد كان أولئك الأمراء محافظين على مبادئ هذه الدعوة السلفية، متمسكين بتعاليمها.

ولعل من أشهر أولئك الشعراء إقبالا على أمراء عسير، الحسن بن أحمد عاكش الذي لازم الأمير محمد بن عايض المغيدي (١٢٥١ - ١٢٨٩هـ)، وشهد عدداً من انتصاراته الحربية في تهامة واليمن[2]، مما زاد في إعجابه بهذا الأمير، وجعله يؤرخ لإمارته[3]، وينظم في مدحه الشعر الوافر. ويظهر إعجاب عاكش بالأمير محمد بن عايض من خلال نصرته للدين وإقامته للشريعة، فقد كانت أصابع الترك الخفية تعمل في إذكاء روح الفوضى في

---

(١) لقد توفي الشريف حمود بن محمد في أثناء حربه للترك في عسير، سنة ١٢٣٣هـ وتوفي ابنه أحمد ابن حمود في مصر سنة ١٢٣٥هـ، وقُتِل الوزير الحسن بن خالد في إحدى معاركه مع الترك في عسير سنة ١٢٣٤هـ.

(٢) يبدو أن اتصال عاكش بالأمير محمد بن عايض قد كان مبكراً؛ وذلك لأنه هنأه كما قال بقصيدة مطلعها:

«نظام التهاني لُؤْلُؤٌ وفرائدُ   على عُنُقِ العلياء منها قلائد».

الدر الثمين، ص ٣٧. وذلك يعنى أنه اتصل به منذ سنة ١٢٧٣هـ، تاريخ توليه إمارة عسير.

(٣) انظر رسالته: "الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض"، وتبين في ص ٢٤، ٢٥ الداعي لتأليف هذه الرسالة.

إمارة عسير[1]، مما دفع نفراً من رجالها إلى الخروج على طاعة الأمير، والسعي في الأرض بالفساد[2]، حيث ثارت الفتن بسببهم في بعض أجزاء إمارته، مما دعاه إلى إخمادها، والقضاء على رؤوس الشر فيها، وقد أعجب بذلك عاكش فنظم قصيدة، قال فيها:

بسمر العوالي والسيوف الصوارم ... يقوم شعار الدين بين العوالم
ومن قد درى ما قد جرى في زماننا ... من البغي لا يصغي للاحٍ ولائم
هم أمرضوا الدين الحنيف ببغيهم ... وهم أخربوا ما شيدت من معالم
فقام بتطويع الرعاع بنفسه ... أبو المجد حاو للعلا والمكارم
فدم ساعياً لله في نصر دينه ... وجرد له بالجدِّ ماضي العزائم
وأعمل حدود الله في كل حائد ... عن الحقِّ لا تثنيك لومة لائم
فما عُوقبتْ إلا بإهمال شرعه ... ملوكٌ مضوا بالحادثات القواصم[3]

فحينما كان عاكش يطرب في شعره لنصرة الشريعة الإسلامية على يد هذا الأمير، فإنما يدل ذلك على محافظة أمراء تلك المنطقة على مبادئ هذه الدعوة، وأنها أصبحت وقتئذ الإمارة السلفية الوحيدة في جنوبي الجزيرة العربية التي يفزع إليها الأهلون والشعراء في دفع كيد الطامعين والمستعمرين، ولئن كان عاكش قد استحسن هذا، فإن شعراء اليمن كذلك قد استحسنوه، وأظهروه في أشعارهم[4] كما سيأتي بعد.

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الدر الثمين، ص ٦٣.

(٢) قال عبد الله بن علي بن حميد: «كل هذه الحركات كان الأتراك من خلفها لإضعاف شأن الإمارة». الدر الثمين، ص ٦٣ الهامش.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الدر الثمين، ص ٦٦ - ٦٧.

(٤) تدل المصادر على أن هنالك شعراء يمنيين كانوا كثيرا ما يكاتبون الأمراء العسيريين من أجل طرد الترك والمستعمرين الإنجليز من أرضهم.

ويبدو أن أثر الدعوة السلفية في جنوبي الجزيرة العربية قد هيأ سبل الاتصال الأدبي بين نفر من أدباء المخلاف السليماني وأدباء نجد وغيرهم. وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فقد ذكر عاكش أن حسين بن إسماعيل الحازمي قد طوف ببلاد كثيرة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وأنه نقل إليهم في المخلاف السليماني أخبار الحركة الشعرية التي نشأت بين نفر من شعراء تلك الأنحاء، وأضاف الحازمي إلى ذلك قوله: « إن بعض أدباء نجد من أهل الرياض وغيرهم.. إنما أصحبوه تلك القصائد لأجل يتحف بها علماء اليمن، ويطلب منهم المحاكاة »(١).

وقد نتج عن ذلك الاتصال الأدبي أن شارك نفر من أدباء المخلاف السليماني في تلك الحركة الشعرية، ومنهم: الحسن بن أحمد عاكش، وأحمد ابن محمد الضحوي(٢) اللذان شاركا بشيء من نتاجهما الشعري في هذا الميدان الأدبي، وبعثا به إلى نجد، وقد قال عاكش بأن تلك القصائد جمعت، وحرر في صدر كل منها خطبه، « وضمت في كراريس، ورسمت بالنفحات المسكية؛ لأن تلك سميت بالنفثات النجدية، وأرسلت إلى تلك الديار على أيدي بعض الثقات الألباب »(٣)، ولعل مثل هذه الحركة تشير إلى وجود شيء من الاتصال الأدبي الذي كان قد مُهِّد له من قبل بانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن أدباء نجد وغيرهم قد كانوا يدركون الحال الأدبي في هذه الأنحاء، مما دفعهم إلى بعث نتاجهم الشعري، وطلب معارضته ونقضه من قبل أدباء اليمن والذين يلونهم.

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، مجموعته الشعرية، مخطوط، أوراقه غير مرقمة.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

ورغم ما أصاب الشعر في المخلاف السليماني أواخر القرن الثالث عشر الهجري والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري من الضعف والركود، فقد بقي هوى شعراء المخلاف السليماني مع أمراء عسير الذين هم في صراع مستمر مع ولاة الترك، إلى جانب مواساتهم لعلماء رجال ألمع الذين هم كذلك يعانون من جور الترك وعسفهم، فقد كان الشعراء في المخلاف السليماني يشاركون في أحداث منطقتهم، ويواسون إخوانهم في عسير ورجال ألمع، لما يصيبهم من كيد أعدائهم الترك. ويبدو أن أمراء عسير وشعراء رجال ألمع كانوا يفدون إلى إخوانهم الشعراء في المخلاف السليماني، وتجري بينهم نقائض شعرية لا تخلو من تصوير أحوال بلادهم رغم ضعف أداتها الشعرية.

ومما يشير إلى هذا الحال وفادة أمير عسير علي بن محمد بن عايض (١٢٧٩ - ١٣٢٤هـ) إلى تهامة ونزوله على الشاعر علي بن عبد الرحمن النعمي عام ١٣١٩هـ[١]، إذ أنشأ النعمي عندئذ قصيدة في مدح هذا الأمير. وكانت تلك القصيدة لا تخلو من اللمحات الصادقة المعبرة، وبخاصة حينما صوَّرت حال عسير، وقد شُرِّد أمراؤها بسبب عداء الترك لهم، ومما قال النعمي:

يا رب يا رب قيم[٢] الحظ وانصره	وانعش به ديننا فالضيق قد قرب
وقد تعطلت الأحكام وانصرفت	إلى طواغيت فيها الإفك والكذب
وقد تعقبت الأبطال واعتزلت	وشلّ[٣] ثعلبها بالرأس والذنب

(١) يشير إلى هذا التأريخ قول النعمي في آخر قصيدته:

ولاح كوكبها في تسع عاشرة	ورا ثلاث مئين ألف قد وجب
في شهر خير به الخيرات نازلة	تحرير تاريخه في مبتدا رجب

(٢) قيم: أقم.

(٣) شل: رفع.

إلى أن يقول في ممدوحه الأمير :

يا رب تبقيه للإسلام ينصره ويحرس الملة السمحا بما يجب[1]

ولئن كان النعمي قد صور حال هذه الأنحاء رغم ضعف أداته الشعرية، فإنه كذلك قد أسَّاه من قبل الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي حينما أسر الترك ولده عبد القادر ، إذ صحب الحفظي ولده هذا في ولَه وألم إلى الدرب[2]، حيث تبحر المراكب التركية في ميناء الشقيق بفلذات أكبادٍ رجال من عسير ورجال ألمع وغيرهم. ومما قاله النعمي في هذا الحال مواسيًا أحمد بن عبد الخالق الحفظي في ولده :

فالله ينصركم سريعًا عاجلاً على الأعادي عربهم والأعجما[3]
ويرد غائبكم عليكم سالماً كل الحوادث إن ربي مَلْزَمَا[4]
ويكافئ الصبر الجميل بلطفه نعم المجيب جنابه لا يهضما[5]
لا تحزننَّ فإن ربي داحضا[6] قول الوشاة والأعادي مرغما[7]

ثم يقول في شأن الترك :

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث، وهي لم تسلم من الإقواء. وتتسم بضعف في الحس العروضي واللغوي.
(٢) درب بني شعبه بتهامة.
(٣) كذا الوزن العروضي في الشطر الثاني. وقد نصب " الأعجم " وهي مجرورة ؛ لأنه عطف بيان للأعادي المجرورة بعلى.
(٤) كذا في الأصل. والصواب «ملزم».
(٥) كذا في الأصل، والصواب «يهضم».
(٦) كذا في الأصل، والصواب «داحض».
(٧) كذا في الأصل، والصواب «مرغم»، وتوجد هذه القصيدة لدى الباحث.

وخبروني هل وجدتم فاضلاً في ذا الزمان من الأراذل يسلما[1]
بل يهتكون العرض فيما حدثوا ويزعمون الذَّنْبَ أن يتقدَّما[2]
حاشا وكلا ما أصابوا بل طغوا لكن نجازيهم بما هو أعظما[3]

وإذا كان هناك أثر للدعوة السلفية في هذه الأبيات الشعرية -رغم ضعفها- فإنه يأتي من تضامن شعراء المخلاف السليماني مع إخوانهم الأمراء والعلماء برجال ألمع وعسير، حيث يشهدون في تلك الأثناء صراعًا مريرًا مع الترك أعداء الدعوة السلفية الأول، إذ يظهر في هاتين القصيدتين السابقتين إحساس قائلهما بمشاعر غيره من أبناء منطقته ومجاوريه. وهذا الإحساس قد نبع من تضافر علماء تلك الأنحاء وشعرائها حيال ما يكدر صفو منطقتهم ويخل بأمنها.

ورغم ذلك فإن الأثر الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في المخلاف السليماني قد ظهر منذ بدأت أخبار هذه الدعوة نفسها تغشى بلدان تهامة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري[4]، حيث بدأ هوى أمرائها الشعراء يميل إليها ويؤيد القائمين عليها، إلى جانب انصراف الشعراء في المخلاف السليماني عما أسرفوا فيه من الغلو والابتعاد عن الحق، كذا بدأت بشائر هذا التأثير السلفي تظهر مع الدعاة الوافدين إلى تلك الأنحاء حيث أقبل الشعراء يشيدون بالعهد الجديد لبلادهم، ويشهدون آثاره في أوطانهم، مما وصف نشاطهم الشعري باليقظة والحيوية[5].

(١) كذا في الأصل، والصواب «يسلم».
(٢) كذا في الأصل.
(٣) هكذا في الأصل، والصواب «أعظم»، وتوجد هذه القصيدة الخطية لدى الباحث.
(٤) لعل ذلك قد بدأ منذ العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري.
(٥) يشهد لهذا القول النتاج الأدبي الذي وجد عندئذ، وبخاصة لدى الأديب عبد الله بن علي العمودي.

أما أثر هذه الدعوة السلفية في أولي الأمر بالمخلاف السليماني حال ظهور الدعوة في بلادهم فيبرز فيما نظمه السيد محمد بن علي الإدريسي (١٢٩٣ - ١٣٤١هـ) من شعر يؤيد به القائمين على هذه الدعوة في نجد، ويثني على آثارهم. ومن شعره في هذا الميدان قصيدته التي بعث بها إلى الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود، ومنها قوله:

حبَّذا جيرة كرام بنجد ... يسكنوا في ظلاله ورماله
ليتهم عرَّجوا بي يوم بانوا ... هادي ليس لي عن مثاله

صادح البين في الرُّبى قد تغنى ... عن معنَّى يهوى ربى أطلاله
باقتفاء الرسول حقا قفيتم ... بالهدى ناصحي من في ضلالةْ
وبتوحيد ربنا قد أبنتم ... في سناء الكتاب من أمثاله
حبَّذا حبَّذا الدَّاعي إني ... شائق عاكف لنهج مقاله[1]

ويبدو أن الإدريسي قد بعث بهذه القصيدة حينما أدرك حقيقة هذه الدعوة، وحين أحسَّ بنشاط رجالها في إمارته وما حولها، فقد ذكر العمودي أن هذا الاتصال الفكري مما « يقوي الرابطة »[2]، و يدلِّل على حقيقة التأثر بهذه الدعوة السلفية، ولعل الإدريسي في بيته السادس قد قبس من قصيدة الحسن ابن خالد الحازمي قوله:

يا حبذا يا حبذا يا حبذا ... فالنصح مقبول على الوجه الجلي[3]

---

(١) عبد الله علي العمودي، نبذة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، مخطوط، ورقة ٣. ولعل « في » الواردة في عجز البيت الأول زائدة، إذ أثبتت في الأصل.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٢.

ومع ذلك فيُعدُّ إدراك الإدريسي لمبادئ هذه الدعوة بداية حقيقية لظهور أثرها السلفي في ميدان الشعر ، فقد أخذ الشعراء من بعد ذلك يبتعدون عن الشطحات التي كانت قد حلت بنتاجهم الشعري من قبل تجديد أمر هذه الدعوة في بلادهم .

ومما يمثل تلك الشطحات الشعرية السابقة قول محمد بن إبراهيم الحشيبري في مدح محمد بن علي الإدريسي :

هذا الذي من يزره خالصًا فكما	سعى وطاف ومسَّ الركن واستلما
يا سيدي يا صفي الدين خذ بيدي	وأولني منك ما أمَّلته كرما[(١)]
إنِّي عليكم لمحسوب فأحسبكم	لا تهملوني فأنتم خير من رحما[(٢)]

وقال في قصيدة أخرى يمدح بها الإدريسي نفسه :

مولاي إنّى لواذ بجودكم	فانفح لقلبي عرضيَّات خلاق[(٣)]

وبمثل هذا الغلو والاتجاه الصوفي قال عبد الرحمن بن يحيى العتمي في مدح محمد بن علي الإدريسي أيضا :

أقامه الله روحًا للعباد كما	قلوبهم ردَّها المولى له شبحا[(٤)]

ويتضح من هذه الأبيات السابقة أن الحركة الشعرية التي وجدت في العهد الإدريسي لم تخل من الشطحات الممقوتة ، وأن شعراءها كانوا لا يزنون

---

(١) هذا البيت قلد فيه البوصيري ، وهذا العمل من آثار التصوف .
(٢) محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص ٨٤٥ .
(٣) مجموعة قصائد بأقلام مختلفة ، مخطوط ، ورقة ٦٣ .
(٤) محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ٢ ، ص ٨٤٩ .

أفكارهم بميزان الإسلام؛ مما جعل أثر هذه الدعوة السلفية يظهر من بعد ذلك في شعر المخلاف السليماني حين اعتدل أولئك الشعراء الغالون، وأصبحوا هم وغيرهم يحكمون إيمانهم قبل النطق بالهوى والمبالغة في القول. وقد تنبه لهذا محمد بن أحمد العقيلي حين وصف أبيات الحشيبري السابقة بالغلو والمبالغة[1]، وأنها شاهد لما «كان سائدا من الغلو في شخصية الإدريسي»[2]، وأضاف إلى ذلك ثناءه لله تعالى« على زوال الغلو واتباع منهج الشرع الشريف في صفاء العقيدة»[3].

وإذا كان إحساس العقيلي قد تحقق في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري فإن مما يؤكد ابتعاد شعراء تلك الأنحاء عن الشطحات ما أصبح عليه شعرهم فيما بعد، فقد غدوا من بعد ذلك من شعراء العهد السعودي المخلصين، الذين عُنُوا بتراث الأمة[4]، ونصروا ولاة أمورهم بالحق. ويؤكد هذا القول مدائح الشاعر علي بن محمد السنوسي في ولاة الأمور السعوديين، إذ اتسمت تلك القصائد بملامح الاعتدال، حين صرف شعره لتصوير الحال الذي أضحت عليه البلاد السعودية من بعد توحُّدها، وحين وصف حياة الناس الآمنة المطمئنة[5]، وبيَّن ما تنعم به هذه الأنحاء عندئذ من الأمن والاستقرار[6]، إلى جانب ما أظهره السنوسي في شعره من الإعجاب بسياسة الملك عبد العزيز ومنهجه السلفي[7]، إذ لم يكن يتعرض هو أو غيره لما يخالف الإسلام ومبادئ الشريعة. ومن قول السنوسي في إحدى قصائده التي نظمها في مدح الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م:

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤٥.
(٤) محمد بن أحمد الضبيب، كتابه السابق، ص ١٢٣.
(٥) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٢٤٤.
(٦) عبد القدوس الأنصاري، الملك عبد العزيز في مرآة الشعر، ص ٦٣.
(٧) انظر شعره في: ديوان شعراء الجنوب، وبعض قصائده المخطوطة الأخرى.

ومن المحـــال بـأن تكـون ببلـدة أمـراؤه فـيـقـيم فـيـهـا المجـرم
وحمى الجزيرة واستقام بحفظها من بعـد مـا كـانت يراق بهـا الدم
راق الزمـــان به وأصــبح أهله في نعـمــة تتـرى وقلَّ المعـدم
وقـد استـراح الناس حتى لم يكن مـا بينهم يلفى مـريب يُتْـهَمُ
بخٍّ لمولـود يرعـــرع ناشــئـا في ظلِّ دولتـه يشبُّ ويهــرم

والشَّـرع في قُنَنِ المعـالي شـامخ والكفـر منتكس يخـورُ ويبـغم
أو لم تكن عـربَ الجـزيرة قـبل أن وُلِّيت ذمَّـتـهـا تهـان وتهـضم
أبدلتـهـا بالذُّل عـزًّا شـامـخًـا والخـوف أمنا لا يراق به الدَّم[1]

ويبدو أن المعاني التي كان السنوسي يمدح بها الملك عبد العزيز تدور حول استتباب الأمن في دولته وشعور رعيته بالطمأنينة، إلى جانب نصرته للإسلام وشريعته، ورعايته التي كان يوليها شعائر الإسلام مثل الحج ونحوه. ومن إحدى قصائده في هذا الميدان قصيدته الدالية التي نظمها كذلك سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ومما قال فيها:

حمى حوزة الإسلام حتى تحجَّرت[2] رباه وأحيـا[3] الدين نشرًا وجـدَّدا
ومـا زال في قـمع الضـلال وبطشـه لبـاغٍ بتـوفـيق الإله مـؤيَّدا
وأصبح لا يخشى سوى الله وحـده ولم يتكل إلا عليـه مـوحّـدا
فوالى على التوحيد من كـان مسلما وعادى على التوحيد من كان ملحدا
فـبـورك من قَـرْمٍ يدافع عن حـمى جـزيرة إسـلام تحوم بهاالعدى[4]

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.
(٢) كذا في الأصل المخطوط، وفي ديوان شعراء الجنوب: « توطدت »، ومعنى تحجرت: تحصَّنت.
(٣) كذا في الديوان، وفي الأصل «أحيى».
(٤) يوجد هذا البيت في الأصل المخطوط.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على من بلغ البلاغ المبين وعلى آله
وصحبه أنصار الدين وعلى من تبعهم بإحسان خصوصاً إمام الزمان
أما بعد فإن الجهاد ذروة الإسلام وسنامه ومنار الدين
وأعلامه ندب إليه الكتاب العزيز وتكررت فيه الآيات بما فهمه
أهل التمييز ورتب الله على ذلك من الثواب ما لا يدخل تحت حساب
فيا هنيئاً للمجاهد ويا بشراه ومن أوفى بعهده من الله ثم إنه ورد
في فضله وثوابه ووجوبه وأسبابه من الأحاديث النبوية والأخبار
المصطفوية ما يهون عليه بذل الأرواح والنفوس ويخف عنده
إنفاق النفيس والمنفوس وكم له من رتب عالية وسلعة الله
غالية ولما كان في شهر شعبان المعظم بالليلة التي يفرق فيها
كل أمر حكيم ويبرم انتدب للخروج إلى الجهاد وانتسب
بجمع الجموع والأجناد الأخ في الله والحبيب في دين الله الإمام عبد الوهاب
ابن عامر عمر الله به أركان الدين وجعله من المتبعين المقتدين
بسيرة سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى الأمراء
في كل ناحية وندب الجيوش في من كل بادية ولما تحقق تحديد عزمه
وصحة نيته وجزمه تكلفت الوصول إليه واستظهرت ما عنده
ولديه حتى تطيب النفس بصلاح النية فإن على دين الراعي تكون
دين الرعية وقد ورد أيضاً كما تكونون يولى عليكم فظهر منه ما
وافق وطاب وطابق مقتضى السنة والكتاب وفي حديث الثلاثة
الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن لا يعدهم بالسيرة بل بالسريرة
وفي الحديث الذي في صحيح البخاري في قوله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل [illegible]

من آثار علماء آل الحفظي برجال ألمع

فكادت ولولا الله هيــأ أمــره تكون لعبَّاد الهياكل معبدا[1]

وسهل للحجاج كل مصاعب تشقُّ عليهم رحمة وتفقُّدا

وأمنهم خوف الطريق فأقبلوا إلى الحج أفواجًا ومثنى ومؤْحدا

ومن قبله ما تستطيع قوافل سلوكا به إلا وقد ذهبت سدى

وشد عرى التوحيد في جمع كَلْمَةٍ وأصلح ما كان التعصُّب أفسدا[2]

ومن هذه الأبيات يظهر أثر الدعوة السلفية في نتاج شعراء المخلاف السليماني، حينما أضحت أغراضهم الشعرية معتدلة لا تحمل في دلالتها اللغوية ما يخالف الإسلام ومبادئه. ويتجلى ذلك في شعر السنوسي الذي خالف دون شك شعر زملائه الذين عرفوا في العهد الإدريسي، ولعل من شواهد هذا الشعر الدالة قول السنوسي:

وأصبح لا يخشى سوى الله وحده ولم يتكل إلا عليه موحدا[3]

وقوله:

فكادت ولولا الله هيَّأ أمره تكون لعباد الهياكل معبدا[4]

فأين ذلك الغلو المسرف من هذا النهج السلفي الذي لايصرف شيئًا من العبودية والتوحيد إلا لله وحده. وهذا ما ظهر في شعر السنوسي، حيث ابتعد عن النهج السابق الذي لا ينسجم مع روح الإسلام، ولا يرضي في الواقع

---

(١) يوجد هذا البيت في الأصل المخطوط.

(٢) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث، وانظر كذلك: شعراء الجنوب، جمع محمد بن علي السنوسي، ومحمد بن أحمد العقيلي، ص ٢١ - ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٤) القصيدة المخطوطة السابقة.

القائمين على هذه الدعوة السلفية.

وإذا كان قد حفل شعر علي بن محمد السنوسي بالمديح وشعر المناسبات العامة، فإن معاصره عبد الله بن علي العمودي قد جمع بين تلك الأغراض، وصوَّر كثيراً من مظاهر الحياة السياسية في المخلاف السليماني إبان انضمام تلك الأنحاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية، فقد أنشأ كثيراً من القصائد الإخوانية مع علماء نجد الوافدين إلى تهامة[1]، ومدح عدداً من أمراء مقاطعة جازان السعوديين وغيرهم من مندوبي الملك عبد العزيز عندئذ[2]، إلى جانب تصويره لكثير من الأحداث المختلفة بتلك المنطقة، ورغم ضعف أداته الشعرية إلا أن نتاجه الشعري يُعَدّ سجلاً تاريخيًا، وأثرًا واضحًا من آثار هذه الدعوة السلفية، حين انشغل بأحداثها وما جرى من أجلها من: نقاش علمي، ومناظرات أدبية.

وعلى أية حال فمن قصائد العمودي التي أنشأها في هذا العهد قصيدته التي رفع بها إلى الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود يشكو إليه أحد العمال حين نكل به، وعزله عن القضاء عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ومما قال فيها:

---

(١) مجموعته الشعرية، ومنها قصيدته التي أنشأها في القاضي عبد الرحمن بن عقيل النجدي، ومطلعها:

أحبَّتنا من جانب الأيمن الذي ... سقاه الحيا الوسمي [مُزْنًا وصَيّبا]

(٢) المصدر نفسه، ومن قصائده في هذا المجال قوله في مطلع إحداها:

جدّ للسَّيْر [واصلا] أهل رامه ... فَعَلامَ هذا الجفا وعَلامَه؟

وإلى أن يقول:

ذاك خِلّي ومؤنسي وحبيبي ... فغرامي ولوعتي مُستَهامه

فهو عين الإمام حقًّا وإنّي ... عَارِفٌ للرِّجَالِ أهل الفخامه

ثم يخلص إلى غرضه من بعد ذلك.

إلى ملك الزَّمـــان فـــدتك نفــسي — أقـــدني من ظلوم قـــد عـــراني

تجـــرَّأ بالفـــعـــال عليَّ جـــهـــراً — وصـــيَّـــرني أذلّ من الهـــوان

ولـم يرع[1] ذمـــام الـلـه فـــينا — وحـــرمـــة علمـــه بعلو شـــان

ونكر كل مـــعـــروف بحـــالي — وشـــمَّت بي وبالضـــرا[2] ســقـــاني

ونـدَّد بي عـلـى روس[3] الأهـالي — واشـــهـــر بي لدى أهل العـــيـــان

فـــيـــا لله من هذا الفـــســـوق — ويا ملك الـزمـــان بما[4] دهاني!

لقـــد علت الذِّناب على الرؤوس — فلا حجب[5] النَّظير[6] من الدُّخان

عـــذيري من عـــديم النكل مني — يســـاورني بكل الإمـــتـــحـــان

يراني بالهـــوان بكل حـــال — ويهـــضم جـــانبيَّ بلا تواني[7]

ويستمر العمودي في بسط شكواه مشيراً إلى مكانته في مجتمعه ووفرة نتاجه الفكري والأدبي؛ وقد صدق العمودي، إذ تعد حركته الفكرية مع العلماء الوافدين عندئذ إلى تهامة من مظاهر أثر هذه الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، إلى جانب أن هذه الشكوى التي بسطها العمودي في قصيدته هذه تدل على وضوح المنهج السلفي الذي برز في هذا الاتصال المباشر بين المواطن وولي الأمر، والحق أن هذه القصيدة صورت حال العمودي وقد أحس بالألم والجفوة رغم ضعف أداتها الشعرية. ولم يقتصر نتاج العمودي الشعري على تجربته الخاصة ومعاناته الذاتية، وإنما أشاد بالمنهج السلفي في دعوة الشيخ

(١) في الأصل «يرعى»، وهو خطأ.

(٢) كذا وردت في الأصل من أجل استقامة الوزن.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل «مما».

(٥) في الأصل «عجب». ولعلها الصواب.

(٦) المماثل.

(٧) المصدرنفسه، أوراقه غير مرقمة.

محمد بن عبد الوهاب، ونظم في ذلك شيئا من نتاجه الشعري[1].

وفي الحقيقة إن الصحوة الأدبية التي شهدتها مدن المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، تشير إلى آثار هذا العهد السعودي الحاضر، ومدى إقبال أدباء تلك المنطقة على إذكاء الروح الأدبية في بلادهم عن طريق اتصالهم بإخوانهم الأدباء في الحجاز وغيره، إلى جانب ما يحييه بعض أمراء مقاطعة جازان عندئذ من الندوات الأدبية والأمسيات الشعرية، وما يجري من اليقظة الشعرية في المواسم والأعياد والمحافل العامة. بالإضافة إلى استقطاب مجلة المنهل لأقلام الكتاب بالمخلاف السليماني في تلك الأثناء ورواج انتشارها في بلادهم؛ وذلك ما أوجد آثاراً واضحة لهذه اليقظة السلفية التي عمَّت أرجاء المخلاف السليماني، وبخاصة حينما وفد الشيخ عبد الله القرعاوي إلى صامطة من أعمال المخلاف السليماني عام ١٣٥٨هـ[2].

ومن الواضح أن مؤرخي المخلاف السليماني وأدباءه قد أثنوا كثيراً على آثار الأمير خالد السديري في مجال الأدب والفكر في بلادهم، وذلك منذ سنة ١٣٥٩هـ، تاريخ قيامه بمهام إمارة جازان، فقد ذكر العقيلي أنه « يعود إليه فضل كبير في إشعال جذوة الروح العلمية والأدبية في المنطقة، وكانت مجالسه الخاصة ندوات أدبية وحلبات فكرية »[3]، على حين وصفه علي بن محمد السنوسي بأن مجلسه« يتلألأ نوراً، ويزداد كل يوم بهجة وحبوراً بأشعة العلم

(١) يقول العمودي في صدر إحدى قصائده في هذا المجال: « قلت هذه المنظومة لمناسبة « الفن » السلفي من العقائد الدينية »، وأورد من بعد ذلك أبياتا شعرية لا تخلو من الضعف في الحس العروضي واللغوي.
انظر ذلك في رسالته: النبذة الوجيزة في المسائل الفريدة، ورقة ٤٢.

(٢) أحمد بن حافظ الحكمي، « الشيخ عبد الله القرعاوي »، مجلة العرب، ج ٧، ٨، س ٨، محرم وصفر سنة ١٣٩٤هـ، ص ٥٢٥.

(٣) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ص ١١٦٤.

والمعارف»[1]. إلى جانب وصفه بأنه «فتح ميدان المناظرة بين الشعراء»[2] إبان عمالته بجازان.

وإذا كان هذا واقع أمراء تلك المنطقة، فإن شعراءها قد كانوا يذكون هذه اليقظة الأدبية بشيء من نتاجهم الشعري، فقد ذكر محمد بن علي السنوسي أن أباه قد اعتاد في تلك الأثناء نظم قصيدة حولية، وأنه كان يذيعها «في مواسم الأعياد في قصر إمارة جازان»[3]. وهذا الأمر - دون شك - يزيد في يقظة الأدب وتنشيطه في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ الأدب السعودي بتلك المنطقة، ويبدو أن نشاط عبد الله بن علي العمودي في هذه الفترة قد فاق نشاط بعض معاصريه من أدباء جازان ومفكريها، إلى جانب أن أثر الدعوة السلفية في نتاجه الفكري والأدبي قد بات واضحًا معروفًا، ولعل مما يشير إلى ذلك إقباله على معارضة شعراء الدعوة السابقين، وإيقاظ جذوة الفكر التي خمدت في بعض بلدان تهامة، وبخاصة في أبي عريش[4]، وذلك عن طريق الاحتكاك الفكري مع علماء الدعوة السلفية وأمرائها حينذاك من الذين وفدوا على تهامة في هذا العهد.

وعلى أية حال فقد عارض العمودي حينئذ الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في قصيدته الدالية المشهورة، إذ قال:

---

(١) علي بن محمد السنوسي، السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود، مجلة المنهل، ١، ٢، مج ٣٨، محرم وصفر ١٣٩٦هـ، ص ١١٣.

(٢) ناصر قاسم، مع رجال الفكر في جازان، مجلة المنهل، ج ٦، مج ١٩، س ٢٣، ١٣٧٨هـ، ص ٢٣١.

(٣) محمد بن علي السنوسي، والدي السيد علي السنوسي، مجلة المنهل، ج١٢، مج ٢٩ ذو الحجة ١٣٨٨هـ، ص ١٧٠٥.

(٤) تعد هذه المدينة من قبل من أبرز مراكز الفكر بالمخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري.

سَرَتْ من ربانا قاصدات إلى نجد | على ما بها من لاعج الشَّوق والوَجْد
تناشدها تلك الرُّبا من عَريشها[1] | ألا بلغا عنَّا الميامين في نجد
وقولا أُسارى في الدِّيار لبَعدكم | متى تمنحوا طيف الخيال على البعد[2]

وقد نهج في هذه القصيدة منهج الأمير الصنعاني من حيث النسق الفني والتقسيم المعنوي، إلى جانب أن العمودي أضاف إلى قصيدته مقطعا أشاد فيه بجهود الملك عبد العزيز آل سعود، قال في وصفه: « ومن هنا وجه النظم المذيل لما قبله إلى ملك العصر مادحًا له ومنوهًا بفضله، وما أسداه إلى الأمة الإسلامية من إحياء المدارس العلمية ومنشورات المطابع الحديثة. . . »[3].

ورغم قصورهذه القصيدة عن نقيضتها، إلا أنها تدل بوضوح على أثر هذه الدعوة في أدباء هذه الأنحاء، وتشير إلى موقف أولئك الشعراء من أمر هذه الدعوة حين أخذوا يظهرون تأييدهم من خلال هذه المعارضات، فقد قل شعراء الجزيرة العربية الذين عارضوا قصيدة الأمير الصنعاني، مما يحقق أثر هذه الدعوة الفعلي في أدب جنوبي الجزيرة العربية.

ويأتي نشاط عبد الله بن علي العمودي ظاهرا أيضا في ميدان الشعر عندما أقبل على إذكاء روح اليقظة الأدبية فيما ينظمه من قصائد شعرية، وبخاصة في المواسم والأعياد، فقد اعتاد نظم قصائد التهاني لعمال الملك عبد العزيز في: تهامة[4] وعسير[5]، وكان كذلك يشارك بشعره في بعض

---

(١) يعني أبا عريش.
(٢) من مجاميع العمودي المخطوطة. غير مرقم الأوراق.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) مثل: خالد بن أحمد السديري.
(٥) مثل: تركي الماضي.

الاحتفالات العلمية[1]، ويقرظ به نتاج العلماء السلفيين، من أمثال: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي[2].

ومن الواضح أن العمودي كان يلقى عندئذ التشجيع والمكافأة من لدى ولاة الأمور والقائمين على أمر هذه الدعوة، شأن غيره من شعراء تهامة، فقد ذكر العمودي نفسه أنه في سنة ١٣٤٩هـ أوفد أحد أبنائه إلى الملك عبد العزيز آل سعود، وحمَّله قصيدة قال في مطلعها:

قامت دواعي الشوق ذات تهيم ... ما بين كُلِّ مولَّع ومتيَّمِ[3]

وقد عقَّب العمودي على هذه القصيدة بقوله: « ولما وصلت إليه[4] ومثلت بين يديه أجاب علينا جوابا ملكيا شافيا يشكرنا على ذلك الصنيع، خلاصته: أما الولد فقد وصل إلينا بحال الصحة والسلامة وسررنا بمقابلته، وأما المنظومة التي جادت بها قريحتكم، فقد اطلعنا عليها، وأُعجبنا بما احتوت عليه من المعاني الطيبة، ولا شك أن ما دعاكم لذلك إلا داعي مودتكم وإخلاصكم، وليس ذلك بكثير على أمثالكم، ولا يخفى أنكم منا ومن المحسوبين علينا. . . »[5]. ويبدو أن العمودي كان كثير الاتصال بالملك

---

(١) من مجاميع العمودي المخطوطة، ورقة ٥٠، وقد قال في مقدمة إحدى قصائده: « هذه الأبيات قلتها في حفلة علمية »، ورقة ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٨. وقد قال العمودي: « وهذه المنظومة وجهتها إلى الولد الأديب حافظ خريج الشيخ العالم الفاضل عبد الله القرعاوي مؤسس المدارس التعليمية في المقاطعة العسيرية ». ورقة ٤٨. وقال العمودي في موضع آخر: « ومما قلته مقرظًا لأرجوزة ولدنا الفاضل حافظ أحمد الحكمي المسماة بسلم الوصول إلى مباحث الأصول ». ورقة ٥٠.

(٣) من مجاميع العمودي المخطوطة، غير مرقم الأوراق.

(٤) يعني الملك عبد العزيز آل سعود.

(٥) المصدر نفسه.

عبد العزيز وأنه كان كثيرا ما يشكو له بعض المشكلات التي تجري له مع غيره في جازان[١].

وفي الحقيقة إن عبد الله بن علي العمودي، وعلي بن محمد السنوسي قد كانا من أبرز شعراء هذه المنطقة نشاطًا في ميدان أدب الدعوة في جازان، وأنهما من أكثر الشعراء إحساساً باليقظة الشعرية في بلادهما، فقد أخذا يفيدان من حركة الشعر في البلدان الأخرى، وبخاصة رواد الشعر العربي الحديث، ويدل على هذا القول اهتمام العمودي والسنوسي بشعر البارودي على سبيل المثال، فقد جمع العمودي شعرًا مختلفا للبارودي[٢]. وكان السنوسي يحتفظ بمختارات البارودي نفسه في مكتبته الخاصة بجازان، كما ذكر ابنه محمد بن علي السنوسي فيما بعد[٣]. إلى جانب أن السنوسي قد أثر في بعض شعراء المخلاف السليماني، من أمثال: محمد بن أحمد العقيلي، ومحمد بن علي السنوسي[٤]، وأحمد عبد الفتاح الحازمي، إذ هم في الواقع رواد الأدب بتلك الأنحاء.

وبمثلما ظهر تأثير الحجاز وغيره في شعراء منطقة جازان في هذا العهد السعودي، فإن آثار المدرسة السلفية التي أحياها الشيخ عبد الله القرعاوي قد ظهرت لدى نفر من شعراء تلك المنطقة الذين أفادوا من حركة القرعاوي العلمية بالمخلاف السليماني، ولعل من أبرزهم: حافظ بن أحمد الحكمي،

---

(١) ورد له في هذا المجال كثير من القصائد.

(٢) من مجاميع العمودي المخطوطة، ورقة ٢٧. ومما يؤيد هذا القول ويدل على نزعة التجديد عند العمودي قوله في أحد مجاميعه المخطوطة: «هذه المنظومة في مناجاة (الطبيعة) على طريقة شعر العصر».

(٣) انظر: جريدة الرياض، ع ٥٤٤١، ٢/٧/١٤٠٣هـ، ص ١٣.

(٤) محمد بن علي السنوسي، والدي السيد علي السنوسي، المنهل، ج ١٢، مج ٢٩، ص ١٧٠٥.

وعلي بن قاسم الفيفاوي وغيرهما، فأما حافظ الحكمي (١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ) فقد حفل شعره بكثير من القصائد الأدبية والمنظومات الدينية[١]، إذ يصدر في ثقافته عن روح سلفية جادة، ومن شعره قوله في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته:

فأتى الإمام محمد الحَبْرُ الذي ... محق الضَّلالة صارخا بدعاء
يدعو إلى دين الهدى ببصيرة ... وكمال علم كاشفا لغطَاء
يتلو براهين الكتاب وسنة الـ ... ـهادي لنهج الملة السمحَاء
بأتم تبيان وأخلص نية ... وأشد عزم بل وحسن بلاء
ما زال بين الناس هذا دأبه ... ودعاؤه بالصبر والإخفاء
حتى استنار وأشرق التوحيد في ... تلك العصور الخمل الظلماء[٢]

ويمضي الحكمي في تصوير أحداث هذه الدعوة فيما بعد، ونصرة الملك عبد العزيز لها على فترة من الزمن، فقال:

لكن أتى من بعد ذلك محنة ... وزعازع الأعداء واللُّؤماء
فالنور تارات يضيء ويختفي ... أخرى فبين إضاءة وخفاء
حتى له ابتعث الإله إمامنا ... عبد العزيز الأكرم الآباء
فأشاد للإسلام أعلى منبر ... وأذل ما للدِّين من أعداء
وأعان طلاب العلوم مناديا ... لهمو هلمُّوا معشر القراء
قوموا بتبيان الكتاب فإنه ... ميثاق خالقنا على العلماء[٣]

---

(١) أحمد بن حافظ الحكمي، من أعلام الجزيرة الشيخ حافظ الحكمي، مجلة اليمامة، ع ٢٤٢، س ٦، الجمعة، محرم ١٣٩٣هـ، ص ٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩.

ويظهر أثر الدعوة السلفية واضحا في منظومة الحكمي هذه، حينما أتى على ذكر صاحبها، وأشار إلى من سبقه من العلماء المصلحين مثل: ابن تيمية وغيره. كما دل على وضوح الأثر السلفي لهذه الدعوة الإصلاحية غلبة المعاني السلفية على هذه القصيدة، وتصويرها لحال الدعوة قبيل تجديدها على يد الملك عبد العزيز آل سعود، إلى جانب الروح السلفية الواضحة التي يصدر عنها الشيخ حافظ الحكمي في هذه المنظومة بخاصة، وفي نتاجه الشعري بعامة.

أما علي بن قاسم الفيفاوي فقد ظهر الاتجاه السلفي في شعره عندما حافظ على نهجه التقليدي في نتاجه الشعري، إلى جانب طريقته الشعرية في معالجته لقصائده المختلفة، مما جعله يمثل المدرسة السلفية في شعر المخلاف السليماني. ومن شعره قصيدته النونية في رثاء الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، ومنها قوله:

مُصَابك أدمى فؤادي الحزين ... وفاضت له من عُيوني عُيون[1]

ومنها أطار الكرى عندما ... أطال السُّهاد فأحنى الجفون

وصارت له الخلق في حَيْرة ... أثارت همومهمو والشُّجون

أمات الذي كان من فقده ... بكل الحشَا لوعة وأنين؟

أمات الذي كان في قُطرنا ... سرَاجا منيرا به يهتدون؟

أمات الذي بث في قطرنا ... مَن العلم والرُّشد ما يجهلون؟

وقد كان للجَهل في قومنا ... مذاهب شتى بها يهتفون

فكم من ضلال وكم بدعة ... أمات بنور الهدى المستبين

---

(١) يلاحظ في هذه القصيدة أن ناظمها حذا حذو الشاعر جراح بن شاجر الذروي في قصيدته التي مدح بها الشريف محمد المهدي بن أحمد بن دريب. انظر: مدائح الذروي، ورقة ١، وذلك ما يسم شعر هذه المنطقة في الغالب بالتقليد.

فمن أرض فيفا إلى مالك | إلى الريث كل القرى والدمون
وأرض السراة إلى غامد | فنجران في سهلها والحزون
أفاض عليها بعرفانه | وأسلوبه الفذّ في العاملين[1]

ويستمر الفيفاوي في بسط آثار الشيخ عبد الله القرعاوي الذي جدد ما اندرس من الدين بتهامة، وأحيا بنشاطه الإصلاحي المشهود دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بتلك الأنحاء، مما يعد من آثار الدعوة السلفية فيها، وبخاصة إذا أدركنا حال تهامة قبيل وفادة الشيخ القرعاوي إليها. ولن نكون مغالين إذا قلنا: إن دعوة الإصلاح التي نادى بها القرعاوي في بلدان تهامة في أواخر العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري تُعَدّ سببا رئيسًا ليقظة الفكر والأدب بتلك الأنحاء من جزيرة العرب في النصف الثاني من هذا القرن.

وجملة القول: إن أثر هذه الدعوة السلفية في شعر المخلاف السليماني يتجلى في الاتجاه السلفي الذي برز في شعر هذه المنطقة خلال الاتجاهات الوافرة التي وُجدت في ذلك الشعر بعامة، إذ إن ذلك الأثر جزئي لم يكن بشامل مثلما ظهر في شعر رجال ألمع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ومع ذلك فقد كان تأثير هذا الاتجاه السلفي واضحا عن سواه من الاتجاهات الأخرى، وذلك في شموله واتساع تأثيره.

(١) علي بن قاسم الفيفاوي، مصابك أدمى الفؤاد الحزين، مجلة المنهل، ج ٨، س ٣٥، مج ٣٠، شعبان ١٣٨٩هـ، ص ١١٤٨.

الفصل الرابع

أثرها في شعر اليمن

تدل المصادر الأدبية بجنوبي الجزيرة العربية على أن شعراء اليمن كانوا من أوائل الشعراء الذين أدركوا أخبار هذه الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، وأن بعضهم كذلك من السابقين إلى تأييدها ونصرتها، فقد شهدت بلدان اليمن في العقد السابع من القرن الثاني عشر الهجري شيئًا من نتاج أولئك الشعراء اليمنيين في ميدان الدعوة السلفية، وذلك لم يكن ظاهراً لدى غيرهم من شعراء جنوبي الجزيرة العربية. رغم اختلاف وجهات النظر حيال هذه الدعوة الإصلاحية لدى نفر من شعراء اليمن أنفسهم الذين أتوا من بعد ذلك.

ومن الواضح أن الأثر السلفي لهذه الدعوة الإصلاحية ببلاد اليمن يُعَدّ من الآثار الفعالة لتنشيط الفكر والأدب بتلك الأجزاء من جزيرة العرب، وبخاصة حينما بدأ شعراء تلك الأنحاء يعبِّرون عن وجهات نظرهم إزاء هذه الدعوة، ويحاولون استقصاء أخبارها عن طريق القصائد والرسائل التى كانوا يبعثون بها إلى دعاتها والقائمين عليها في نجد، ومع ذلك زامن هذا الاتجاه السلفي لدى بعض شعراء اليمن شيء من المعارضة، وبخاصة حينما بدأ المد السياسي لهذه الدعوة يغشى بلدان تهامة، وبعض البلدان اليمنية نفسها في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، إلى جانب دعاية المغرضين التي كانت قد شاعت داخل الجزيرة العربية وخارجها، مما أوجد مبرراً لظهور المعارضين من الشعراء وغيرهم، فقد حفل الشعر اليمني في الثلث الأول من القرن الثالث عشرالهجري بشيء من ذلك النتاج الموسوم بغلبة الميل المذهبي والسياسي.

ولعل الظروف السياسية التي ابتُليت بها بلاد اليمن - فيما بعد - قد دعت نفراً من شعرائها إلى أن يمموا وجوههم شطر بلاد عسير حيث بقيت أجزاؤها خالية من الدخلاء المعتدين، إلى جانب محافظة أمرائها على مبادئ الدعوة السلفية وعلى الرغم من الاختلاف السياسي الذي شهدته عسير منذ سرار العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري، فقد ظل نهج أمراء عسير السلفي سبيلا لبسط آمال الشعراء اليمنيين في دفع كثير من هموم مجتمعاتهم.

وإذا كان شعراء اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجريين يفزعون إلى أمراء عسير السلفيين، فإن بعض شعراء اليمن الآخرين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قد فضلوا الاتصال بإخوانهم في البلاد السعودية بعامة، وبدؤوا يصدرون في نتاجهم الشعري من روح سلفية واضحة، إلى جانب وضوح هذا الأثر السلفي لدى رجال منهم، وبخاصة الذين فضلوا المقام في هذه البلاد. ولكي يتسنى للباحث تتبع هذه الآثار السلفية في شعر اليمن؛ فإن دراسة بعض النماذج الشعرية التي أُنشئت بدافع من تأثير هذه الدعوة السلفية؛ يُعَدُّ سبيلاً للتعرف على نشاط شعراء تلك الأنحاء، ومدى أثر الدعوة الإصلاحية في نتاجهم الشعري.

وعلى أية حال فإن المصادر التاريخية اليمنية قد دلت على أن أخبار هذه الدعوة قد بلغت علماء اليمن وشعراءها منذ سنة ١١٦٠هـ[١]/ ١٧٤٧م، وأن ذلك التأريخ يُعَدُّ بداية حقيقية لظهور هذه الدعوة بتلك الأنحاء. إلى جانب أن هذه الفترة قد حفلت بشيء من النتاج الشعري الذي قيل بدافع من التأثر بهذه الدعوة السلفية نفسها، فقد أخذ نفر من شعراء اليمن يكاتبون أصحاب هذه

(١) إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب، ورقة ٣٩٣.

الدعـوة في نجـد[1]، مما جـعل ذلك بداية لـلإرهاصـات الأولى لظهـور الأثر السلفي في الشعر اليمني، ولعل قـصيدة محـمد بن إسـماعيل الأمـير الدالية المشـهورة تأتي في مـقدمة ذلك النتاج الشـعري الذي وُجد عندئذ في مـيدان الدعوة الإصلاحية ببلاد اليمن.

ويتضح أن هوى محمد بن إسماعيل الأمير قد وافق ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذلك من خلال قصيدته التي بعث بها إليه في الدرعية سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م، ومما قال في مـقـدمتـها النـثرية: «لما طارت الأخبـار بظهـور عـالم في نجد يقـال له: مـحـمد بن عـبد الـوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات»[2]. ومنها قوله:

لقــد أنكرت كلُّ الطـوائف قــولـه	بلا صـــدر في الحق منهـم ولا ورد
ومــا كل قــول بالقـبــول مــقــابل	ولا كل قــول واجب الرد والطَّرد[3]
ســوى مــا أتى عن ربنا ورســولـه	فـذلك قـول جل قـدراً عن الرَّد[4]
وأمَّــا أقــاويلُ الرجــال فــإنهــا	تدور على قـدر الأدلة في النَّقـد[5]

وقد أظهر الأمير الصنعاني في هذه الأبيات حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما يلقاه في سبيل دعوته من المعارضة والإنكار، إلى جانب أن الصنعاني بيَّن المنهج القويم الذي دفع به ابن عبد الوهاب كثيراً من البدع.

---

(١) ولعل السبب في ذلك - كما قيل من قبل - يعود إلى أن الاتجاه المذهبي السياسي قد ازداد نشاطه من بعد ذلك، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

(٢) ديوانه، ورقة ٥٦.

(٣) كذا في الأصل، وفي القصيدة الدالية «الطرد والرد»، ص ١٠.

(٤) كذا في الأصل، وفي القصيدة الدالية «جل يا ذا عن الرد»، ص ١٠.

(٥) ديوانه، ورقة ٥٦.

وقد مضى الأمير الصنعاني في بسط حديثه عن أحوال الناس عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأشار إلى البدع الضالة، والمعتقدات الباطلة التي كانت منتشرة في ربوع الإسلام عندئذ، إذ قال:

أعادوا بها معنى سُواع، ومثله ... يغُوث وودٌّ بئس ذلك من ودٍّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطرُّ بالواحد[1] الفرد
وكم عقروا في سُوحِها من عقيرة ... أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القَبور مقبِّل ... ومستلم[2] الأركان منهنَّ بالأيدي[3]

ويشير الأمير الصنعاني من بعد ذلك إلى فضل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، عندما أحرق كتاب « دلائل الخيرات »[4]، الذي وصفه الأمير نفسه بالغلو والبعد عن الحق، إذ ينافي محتواه واقع السنة النبوية، وليس منها في شيء، وعندئذ يبدي الأمير سروره بهذه الدعوة، وأنه كان يرى ذلك له وحده، إذ قال:

لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي[5]

والحق أن الأمير الصنعاني قد نهج منهج الإصلاح في بلاد اليمن، ولكن الذي عاقه عن ذلك حال تلك البلاد المذهبي، ووضعها الثقافي، وغياب النصير السياسي الذي يمكن أن يركن إليه عند الجهر بالدعوة.

---

(١) كذا في القصيدة الدالية، وفي الأصل: « الصمد »، ورقة ٥٦.

(٢) كذا في القصيدة الدالية ص ١٢، وفي الأصل: « يلتمس ».

(٣) ديوانه، ورقة ٥٦.

(٤) لمحمد بن سليمان الجزولي (. . . - ٨٧٠هـ) انظر: الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ١١٢. وفي هذا الكتاب أذكار وكفريات، وينتشر اليوم في بلاد الشام. وقد أشار إليه ابن بشر في كتابه " عنوان المجد في تاريخ نجد ".

(٥) الديوان، ورقة ٥٦.

ومهما يكن من أمر فقد استمر محمد بن إسماعيل الأمير في قصيدته هذه يبسط آراءه السلفية حيث أشار إلى ابتداع المذاهب، ورجَّح الاجتهاد على التقليد، وحضَّ الناس على العودة إلى الكتاب والسنة[1]، ثم أثنى على أهل الحديث والمتمسكين بالسنة النبوية، وأشار كذلك إلى «بدعة التصوف، وطريقة ابن عربي»[2]. وفي آخر قصيدته تحدث عن غربة الدين، وبيَّن حاله في قومه، ثم تلطف في قوله، والتمس من الشيخ محمد بن عبد الوهاب النظر في قصيدته هذه، والإجابة عليها، حيث قال:

وهذا اغتراب الدِّين فاصبر فإنني[3] غريبٌ وأعدائي[4] كثير بلا عدِّ
إذا ما رأوني عظَّموني وإن أغب فكم أكلوا لحمي وكم مزَّقوا جلدي

ودونكها تحوي علوما جليلة منزَّهة عن وصف قدٍّ وعن خدّ
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب ولا هي ذمتْ هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفيافي وطولها فكم جاوزت[5] غورًا ونجدا إلى نجد[6]
أناخت بنجد فاستراحت ركابها وراحَ خليًّا من رحيل ومن شد
فأحسن قِراها بالقراءة ناظما عليها جوابا فهي من جملة الوفد[7]

وفي الحقيقة إن هذه القصيدة قد أحدثت يقظة أدبية في ميدان الشعر

---

(١) الديوان، ورقة ٥٦، ٥٧.
(٢) الديوان، ورقة ٥٧.
(٣) كذا في: القصيدة الدالية، وفي الديوان المخطوط: «إنني»، وهو خطأ.
(٤) كذا في الأصل، وفي الديوان المخطوط «وأصحابي»، ورقة ٥٧.
(٥) كذا في الأصل، وفي القصيدة الدالية «قطعت»، ص ٢١.
(٦) الديوان، ورقة ٥٧.
(٧) القصيدة الدالية، ص ٢٢.

اليمني، وأنها كذلك قد حظيت باهتمام الشعراء في داخل الجزيرة العربية وفي خارجها، مما أوجد حولها كثيراً من النقائض الشعرية والمعارضات، بالإضافة إلى ما أولاه إياها المؤرخون والعلماء من العناية والاهتمام، وما أنشأه الدارسون المحدثون حولها من البحوث والدراسات، مما يشير إلى أهميتها وأثرها في نشاط الأدب ويقظته. فأما الشعراء اليمنيون الذين أوْلوا هذه القصيدة عنايتهم، فلعل من أبرزهم: الشيخ ناصر بن حسين المحبشي الذي راجع محمد بن إسماعيل الأمير بقصيدة مماثلة، حول وجه الحق في إقرار الأمير الصنعاني لمحمد بن عبد الوهاب على إحراق كتاب " دلائل الخيرات "[1]، ومما ورد في قصيدة المحبشي قوله:

أتاني درُّ النظم من عالم مهدي	إلى عالم حَبْر تقيٍّ من نجد[2]
يقرِّظه فيه لحسن طريقة	تحلى بها بين الأنام على قصد
لينصر شرع الله ممن أصابه	بجهل وتقليد الأوائل عند عمد[3]
ولكنه قد حاك في الصدر قولكم:	أصاب ففيها ما يجل عن العدّ[4]

وقد أجابه محمد بن إسماعيل الأمير على قصيدته هذه بقصيدة أخرى بيَّن فيها المبررات التي سوَّغت للشيخ محمد بن عبد الوهاب إحراق كتاب « دلائل الخيرات »، إذ قال:

يسائلني من باهتدائي يستهدي	وذلك هدي المصطفى خير من يهدي

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥٨.

(٢) كذا ورد هذا البيت في الأصل، وربما يستقيم وزنه إذا أصبح كالتالي:

أتاني دُرُّ النَّظم من عالم مَهْدِي — إلى عَالِمٍ حَبْرٍ تقي [و] من نجد

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٥٨.

(٤) محمد محمد زبارة، نشر العرف، ص ٧٦٥.

علام أصوِّب[1] رأي من أحرق الدلا ئل للخيرات من ساكني نجد
وأحسنت باستكشاف ما هو مشكل لديك فخذ عنّي الجواب الذي أُبدي
وقد قلت في الأبيات ما أنت عارف له من دليل في الذي قلته عندي
غلو نهى عنه الرسول وفرية بلا مرية فاتركه إن كنت تستهدي
أحاديث لا تعزى إلى عالم ولا تساوي فلْسًا[2] إن رجعت إلى النَّقد
فهذان من أقوى الأدلة عند من يصوِّب تحريق البياض مع الجلد[3]

ويظهر في هذه الأبيات الدليل الذي ركن إليه الأمير الصنعاني تجاه إحراق كتاب " دلائل الخيرات " ، إذ ركن إلى أمرين هما : الغلو الذي أحيط به الكتاب، والأحاديث المكذوبة التي وردت فيه، إلى جانب قوله : « إنها من البدع المستحدثة »[4] .

ومن الشعراء النجديين الذين عارضوا هذه القصيدة : الشيخ صالح بن عبد الله الصائغ (. . . - ١١٨٤هـ) الذي نقم من محمد بن إسماعيل الأمير ثناءه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ هو وقتئذ من أعداء الدعوة السلفية، ومن قصيدته التي نقض بها قصيدة الأمير الصنعاني قوله :

سلام من الرَّحمن أحلى من الشّهد وأطيب عرفا من شذا المسك والورد
إلى معشر الإخوان أهل محبّتي وأهل ودادي نعم ذلك من ودّ
وبعد فقد جاءت إلينا رسالة بها قول زور خارج من لدن زَيْدي[5]

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب : « تسام بفلس »؛ ليستقم الوزن العروضي في البيت، أو : « تساوي فُلَيْسًا» كما في القصيدة الدالية ص ١٢ . ولعله تصحيف : « فُلَيْساً » الذي به يستقيم الوزن.
(٣) ديوانه، ورقة ٥٨ .
(٤) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ١٨٢ .
(٥) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، كتابه السابق، ج٢، ص ٣٦٥ . انظر : روضة الناظرين، ج١، ص١٦٧ .

وهي كما وصفها عبد الله بن عبد الرحمن البسام، تقع في نحو اثني عشر بيتا[1]. ولم يكن الصائغ وحده من الشعراء الذين نقدوا هذه القصيدة وعارضوها، وإنما عرف عدد من الشعراء الذين اهتموا بها من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها، إما تأييداً، وإما معارضة.

أما المؤرخون الذين شُغلوا بذكرها فمنهم: لطف الله جحاف الذي يقول: « وكان أول ما تحدث الناس عنهم [السلفيون] لما كاتبهم علاّمة الدنا البدر السيد محمد بن إسماعيل الأمير، وأرسل بتلك القصيدة إلى رئيسهم الداعي لهم إلى التوحيد محمد بن عبد الوهاب، وأثنى عليه بها، وأقر له. . . »[2]. ومنهم كذلك الحسن بن أحمد عاكش الذي يقول: « وقد ألّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسائل في هذا المعنى، وقد كان بلغ حاله إلى السيد العلامة شيخ الإسلام محمد بن إسماعيل الأمير. . .، فكتب إليه قصيدة طويلة »[3]. ومن العلماء الذين تعرضوا لذكر هذه القصيدة: الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الذي قال: بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دعا الناس إلى تطهير الاعتقاد ونبذ البدع والمحدثات « أقر له بصحة دعوته كثير من العلماء من أهل صنعاء، وزبيد، والحرمين، ومصر، والشام، والمغرب، والعراق. ودارت مصنفاته بينهم، ونفقت عندهم فمدحه منهم العلماء، وأقر له بالفضل والعلم وصحة ما دعا إليه محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهو إذ ذاك رئيس صنعاء، فأنشأ قصيدته الدالية »[4]. وقد أورد الحازمي شيئًا من أبيات هذه القصيدة، وعقب عليها بقوله: « فلله دَرُّ هذا القائل، فلقد صدق وبر وطابق قوله الواقع

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٢) كتابه السابق، ورقة ٩.

(٣) الديباج الخسروني، ورقة ١٧، ١٨.

(٤) إيقاظ الوسنان، ورقة ٣١.

من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب »[1]. هذا إلى جانب عدد وافر من الباحثين المحدثين الذين تناولوا هذه القصيدة بشيء من التفصيل، مثل: محمد ابن سعد بن حسين[2]، وعبد الله بن خميس[3]، وأحمد بن حافظ الحكمي[4]، وشوقي ضيف[5] وجملة من الدارسين، بل إن هذه القصيدة في بعض الأحيان قد أُفردت عند طباعتها بكتب مستقلة خاصة[6].

ورغم هذه اليقظة السلفية التي أحدثتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشعر اليمني خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، فإن مما شاع بين المؤرخين والعلماء في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده أن الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير قد نقض رأيه السابق في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة أخرى مماثلة، منها:

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت به خيرا وقلت: عسى عسى ... نجد ناصحا يَهدي الأنام ويستهدي
فقد خاب فيها الظَّن لا خاب نصحنا ... وما كلُّ ظن للحقائق لي مُهدي
وقد جاءنا من أرضه الشيخ مُرْبدٌ ... فحقَّق من أحواله كلّ ما يبدي
وقد جاء من تأليفه برسائلَ ... يكفِّر أهل الأرض فيها على عمد
ولفَّق في تكفيرهم كلّ حُجَّة ... تراها كبيت العنكبوت لذي النَّقد[7]

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٣١.

(٢) الأدب الحديث في نجد، ص ٢٣٣. وقد ألمح هذا الباحث إلى صدق العاطفة الدينية الغيور في هذه القصيدة، وأشار إلى أهمية استقصاء أثر الدعوة السلفية في الأدب الحديث.

(٣) الشعر يواكب الدعوة، ص ٢.

(٤) الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، رسالة ماجستير، ص ١٧٣.

(٥) عصر الدول والإمارات، ص ١٨٢.

(٦) مثل " القصيدة الدالية "، منشورات المكتب الإسلامي.

(٧) ديوانه، ورقة ٥٩.

وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها ثلاثة وتسعين بيتًا. وكان تاريخها كما ورد في ديوان محمد بن إسماعيل الأمير عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م[(١)].

ومن الواضح أن المؤرخين والدارسين الذين تناولوا هذه القصيدة بالتحليل والدرس قد اعتمدوا في دراستهم لها على مصدرين، أحدهما: المقدمة النثرية التي وُجدت في صدر هذه القصيدة نفسها[(٢)]، والثاني رسالة «إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب»[(٣)]. وكان هذان المصدران يذكران أن محمد بن إسماعيل الأمير قد اعتمد في نظم قصيدته هذه على أخبار وصلته مع رجلين من أهل نجد، هما: عبد الرحمن النجدي، ومربد بن أحمد التميمي. فأما عبد الرحمن النجدي فقد وصف من أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب أمورًا أنكرها محمد بن إسماعيل الأمير، منها - على حد زعم الراوي - «سفْكه الدماء، ونهْبه الأموال، وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأمة المحمدية في جميع الأقطار»[(٤)]. وقد

(١) ورقة ٥٨، وانظر كذلك: رسالة إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب، ورقة ٣٩٧.

(٢) ديوان محمد بن إسماعيل الأمير، ورقة ٥٨، ٥٩. ورد ذكر لهذه القصيدة في إحدى رسائل الشوكاني، ولكنه مقتضب، لا يهيئ للدارس رؤية حقيقية تجعله يناقش ذلك القول، ولعل الشوكاني في هذا الحال يشبه غيره من المؤرخين والعلماء الذين قبلوا فكرة وجود هذه القصيدة، ولكن الشوكاني من بعد ذلك لا يكاد يذكرها في كتبه، ولا يناقش فكرتها.
قال الشوكاني في رسالته المذكورة: «ومن جملة الشُبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله تعالى - في شرحه لأبياته التي قال في أولها:
رجعت عن النظم الذي قلت في نجدي...».
الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، ص ٣٢.

(٣) توجد هذه الرسالة بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٦٠ حديث، ويعرف كذلك بالنشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي. انظر: المجموع السابق نفسه، وتعرف كذلك بـ "محو الحوبة في شرح أبيات التوبة". انظر كتاب: أبجد العلوم، لصديق بن حسن القنوجي، ص ١٩٧.

(٤) إرشاد ذوي الألباب، ورقة ٣٩٨. وانظر كذلك الديوان، ورقة ٥٩.

بقي الأمير - كما ينص عليه المصدران - يتردد في إقرار ما نقله له عبد الرحمن النجدي حتى وفد إلى صنعاء مرة أخرى مربد بن أحمد التميمي، حيث وافقت أخباره ما زعمه عبد الرحمن النجدي[1]. ومن هنا يشير المصدران إلى رغبة محمد بن إسماعيل الأمير في نقض قصيدته الأولى، وبخاصة أنها - كما ورد في المصدرين - « قد طارت كل مطار، وبلغت غالب الأقطار »[2]، وأنها وردت من أجلها « جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة ومن غيرها »[3]. إلى جانب أن مربد بن أحمد التميمي قد زعم أنه عظم شأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعد وصول تلك القصيدة إلى نجد، مما دعا الأمير الصنعاني إلى نقضها.

والناظر في هذه الأقوال بعين الإنصاف يرى أن هذه القصيدة قد نُحلت على الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير، وأنها لم تعرف إلا في الثلث الأولَ من القرن الثالث عشر الهجري، حين بدأت هذه الدعوة السلفية تظهر في بلدان اليمن وما حولها مصحوبة بتأييد حربي قوي، مما أوجد مجالاً للصراعات الفكرية والأدبية والسياسية، وكان السبيل الوحيد للمتعصبين من علماء اليمن أن ينشئوا الرسائل والقصائد المغرضة في شأن هذه الدعوة وصاحبها. وقد رأينا من قبل شيئًا منها[4].

ويؤكد هذا أن البلاد اليمنية لم تشهد في حياة محمد بن إسماعيل الأمير

(١) هذان الرجلان هما من أعداء الدعوة فكيف يعتمد على أخبارهما، قال عبد الله بن عيسى في مؤلفه " السيف الهندي " بأن وصول مربد بن أحمد التميمي إلى اليمن كان « لطلب تحقيق مسألة جرت بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفيره من دعا الأولياء، والشيخ يكفر من فعل ذلك.. والشيخ مربد يرى أن الدعاء شرك، ولا يكون الداعي مشركا، بل هو مخط... ». نفحات الوجد، ورقة ٤.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٥٩. انظر إرشاد ذوي الألباب، ورقة ٣٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٥٩.

(٤) انظر: ص٣٠٤.

شيئًا من المعارك الحربية التي دارت رحاها - فيما بعد - في تهامة وغيرها؛ ولذلك فلم يكن هناك دافع لنظم هذه القصيدة، إلى جانب أن هذا العالم اليمني الشهير يعلم يقينا أسس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما يدعو الناس إليه؛ فلا يمكن أن يركن إلى أخبار تصله عن طريق بعض المغرضين الذين وفدوا إلى اليمن في الأصل من أجل تحقيق بعض المسائل التي اختلفوا فيها مع الشيخ محمد عبد الوهاب في نجد[١]، كما أنه ليس من المعقول أن يهاجم محمد بن إسماعيل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمثل قوله:

فقلت: استمع مني الجواب ولا تكن غبيّا جهولا للحقائق كاللّد[٢]

وقوله:

فإن لم يكن هذا هو الكفر كلّه فعقلك عقل الطفل زُمِّل في المهد[٣]

ويشير إلى هذا القول الاختلاف الظاهر بين مقدمة القصيدة نفسها وما ورد فيها بعد ذلك من الأبيات المختلفة، مثل قول ناظمها:

ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي تضمنه نظمي القديم إلى نجد[٤]

فكيف يخالف محمد بن إسماعيل الأمير نسق اللفظ في قصيدته هذه. والظاهر من هذا أن أحد أحفاده ممن عارض هذه الدعوة قد أراد أن يطفئ حقده بنظم هذه القصيدة، وأن يرضي أعداء الدعوة من حوله بدفع ذلك التأييد السابق عن جده. ويضاف إلى ذلك أن النَّفس الطويل الذي انتظم هذه القصيدة لم

---

(١) صديق بن حسن القنوجي، كتابه السابق، ص ١٩٦.

(٢) ديوانه، ورقة ٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٦٠.

(٤) المصدر نفسه، رقة ٦٠.

يكن من السمات الشعرية التي اتصف بها شعر الأمير الصنعاني[1]، إلى جانب الإلحاح والتكرار الواضح الذي برز في القصيدة، إذ ليس لديه الوقت الكافي لعمل مثل هذا، ثم إنه لا يمكن أن يشغل نفسه بشرح هذه القصيدة في رسالة مستقلة مثل: «إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب»، وكذا لم يظهر لمحمد بن إسماعيل الأمير موقف مماثل في مؤلفاته، فكيف يخص موقفه بهذه القصيدة في وقت متأخر من عمره، وهو العالم الجليل الذي لا تأخذ في الله لومة لائم، كما يؤكد نحل هذه القصيدة على هذا الألم أن معاصريه والذين أتوا من بعده في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري لم يذكروا شيئًا عنها، إلى جانب أن القصيدة لم يُذكر لها راوٍ معلوم، وأنها لم تكن مدونة من قبل الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير نفسه، وإنما كان جامع شعره أحد أولاده من بعده.

وجملة القول: إن هذه القصيدة تقودنا إلى الشك في بعض قصائد هذا العالم اليمني، وأن بعضها منحول، ويؤكد هذا ما ورد في القصيدة التي وجهت إلى إبراهيم بن محمد الأمير، ومنها البيت التالي:

غداً ستراني عند الإله وعند الرَّسول أنال المنى[2]

إلى جانب ما ورد في هذه القصيدة من أبيات لا تؤكد نسبتها إلى محمد ابن إسماعيل الأمير، فهل هذا البيت وما بعده يؤكد حال هذا العالم الذي أحيا الكتاب والسنة في اليمن ونهج منهج السلف الصالح رحمهم الله. هذا بالإضافة إلى أن بعض علماء نجد الذين نقموا على الصنعاني تأييده للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكادوا يدركون شيئًا من هذه القصيدة وقد عمروا

---

(١) انظر ديوانه.

(٢) ديوانه، ورقة ٤.

بعده زمنا معلوما، فلم يمت صالح بن عبد الله الصايغ إلا في عام ١٢٨٤هـ، وهو الذي هجا الأمير الصنعاني بقصيدته المعروفة(١)، فلا يمكن أن يسمع مثل هذه القصيدة المعارضة من محمد بن إسماعيل الأمير دون أن يغير في موقفه، أو ينزع عنه، أو ينشط لتأييده.

وحينما ينظر الباحث إلى آراء العلماء والمؤرخين والباحثين الذين ناقشوا حقيقة هذه القصيدة يجد أنهم قد انقسموا ثلاثة أقسام: فريق يثبت هذه القصيدة للأمير الصنعاني، وفريق يرفضها، ولا يثبتها له، وفريق ثالث اكتفى بنقلها دون أن يناقش حقيقتها. وهذا الفريق الأخير يمثله المؤرخون المعروفون في جنوبي الجزيرة العربية، مثل: لطف الله جحاف(٢)، والحسن بن أحمد عاكش(٣)، ولو كان هذا الأمر صوابًا لأثبته الشيخ محمد بن علي الشوكاني، ولكنه لم يتعرض له في تأريخه(٤)، ولم يناقشه في كتبه. إلى جانب أن الشوكاني عاب على معارضي الشيخ أفعالهم بقوله:

أفق يا معيب الشَّيخ ماذا تعيبه ... لقد عبت حقا وارتجلت بباطل(٥)

فلو كان الأمير الصنعاني حقًا هو الذي أنشأ تلك القصيدة لما قال الشوكاني هذا البيت، إذ لا يخفى على أحد تقدير الشوكاني للشيخ محمد بن إسماعيل الأمير.

أما الفريقان الآخران، فيمثل الأول نفر من الكُتَّاب اليمنيين الذين هم في

(١) انظر هذه القصيدة في كتاب: علماء نجد خلال ستة قرون، للبسام، ج ٢، ص ٣٦٥.
(٢) كتابه السابق، ورقة ١١.
(٣) الديباج الخسرواني، ورقة ١٨.
(٤) انظر كتابه: البدر الطالع.
(٥) قصيدة الشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رقم ١٦٣٨/م، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود.

الواقع يتبعون الهوى دون تمحيص ودراسة، وإلا فالأمر مرامه التحقيق، والهدف الذي ينشده أبناء الجزيرة العربية واحد في ظلال الإسلام واللغة الواحدة، ويمثل هذا الفريق كتاب " ابن الأمير وعصره " إذ لم تكن الحقيقة بتلك الصورة التي اعتسفت بها الحقائق، وغُيِّرت بها الدلائل في هذا الكتاب[1].

ويمثل الفريق الثاني نفر من علماء نجد السلفيين الذين حاولوا تقصِّي الحقائق، بما يدفع التناقض عن الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير، ويمثل هذا الفريق: الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه " تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين "[2]، وقد حاول أن يتوصل إلى أن الذي انتحل هذه القصيدة هو أحد أحفاد الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير[3]. وقد وافقه على هذا الرأي الباحث اليمني عبد الله بن محمد الحبشي، فقرر أن صاحب هذه القصيدة هو « يوسف بن إبراهيم الأمير »[4]. وكثير من الدارسين يدرك موقف يوسف بن إبراهيم من أمر هذه الدعوة، ثم إنه صاحب الرسالة التي أنشأها وهو بمكة المكرمة، واعتمد عليها من بعده صاحب رسالة " لفحات الوجد من فعلات أهل نجد "[5]. ومما قرره الحبشي قوله: « وأغلب الظن أن هذا الرجل [يعني يوسف بن إبراهيم الأمير] هو الذي دَسَّ على جده محمد بن إسماعيل الأمير القصيدة المنسوبة إليه في التبري من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونسب إليه شرحها؛ وذلك لقدرة هذا الحفيد على: الكتابة، ونظم الشعر، واتصاله بأحداث ابن سعود في ذلك الوقت؛ لاستيطانه بمكة المشرفة»[6]،

(١) قاسم غالب أحمد وآخرون، ص ١٦٠ - ١٦٥.

(٢) طبع هذا الكتاب.

(٣) ص ٣.

(٤) لفحات الوجد من فعلات أهل نجد، مجلة العرب، ج٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٥٧.

(٥) محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، ورقة ٣. والرسالة مثبتة في هذا الكتاب.

(٦) مجلة العرب، ج ٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٥٧.

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الشيخ سليمان بن سحمان في رأيه السابق.

وقد وجد من الباحثين من حاول التوفيق بين الفريق الأول والفريق الثاني، ولكنه لم يتوصل إلى نتيجة، مما جعله يذر ما ذهب إليه معلقًا[1].

وإذا كانت هذه القصيدة قد شغلت الباحثين والمؤرخين من قبلُ فإنها ستظل كذلك، رغم وضوح المبررات لنزعها عن الأمير الصنعاني ودفعها عنه؛ وذلك لندرة مصادرها، وقلة النتاج الأدبي الذي وُجد في ميدان الدعوة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، مما يؤكد أن هذه الإرهاصات الشعرية المعارضة التي تلت موقف الشيخ محمد بن إسماعيل المعروف منذ سنة ١١٦٣هـ، تُعَدُّ مقدمة حقيقية للنتاج الشعري الذي وُجد في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، رغم تضامن كثير من علماء اليمن مع هذه الدعوة السلفية وصاحبها، من أمثال: الشوكاني وغيره، إذ يبدو للباحث أن وجه المعارضة في ميدان الشعر لم يظهر إلا بعد دخول بلدان تهامة في طاعة السعوديين، وقبولهم أمر الدعوة السلفية من سنة ١٢١٥هـ، وهذا ما يفسر استمرار تأييد علماء اليمن المنصفين، من أمثال: الشوكاني وغيره.

ومهما يكن من أمر فإن الدافع الذي دعا محمد بن إسماعيل الأمير إلى تأييد هذه الدعوة السلفية وصاحبها سنة ١١٦٣هـ، قد دعا الشيخ محمد بن علي الشوكاني إلى رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين بلغته وفاته سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، مما يؤكد أثر هذه الدعوة السلفية في الشعر اليمني، وأنّ علماء تلك الأنحاء قد فجعوا بموت هذا الداعية السلفي الجليل، وأنه لم يكن لديهم شيء من جذور المعارضة التي قيل: إن الأمير الصنعاني قد أوجدها،

---

(١) مثل: أحمد بن حافظ الحكمي في بحثه السابق، ص ١٨٣.

وإلا فالشوكاني أحق أن يوافق شيخ شيوخه الصنعاني في معارضته لابن عبد الوهاب، لا في رثائه، وعلى أية حال فمن قصيدة الشيخ محمد بن علي الشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب قوله:

مصاب دهى قلبي فأذكى غلائلي ... وأصمى بسهم الإفتجاع مقاتلي[1]
وخطب به أعْشَار أحشائي صدِّعت ... فأمست بفرط الوجد أيّ ثواكل
ورزء تقاضاني صفاء معيشتي ... وأنهلني قسرا أمرَّ المناهل
فعدت به رهن التياع ولاعجٍ ... حليف أسًى[2] للقلب غير مزائل
أسير جوًى أفنى فؤادي رسيسُهُ ... وقلب من الحزن المبرَّح ذاهل
مصاب به ذابت حشاشة مهجتي ... وعن[3] حمله قد كَلَّ متني وكاهلي

إمام الورى علامة العصر قدوتي ... وشيخ الشُّيوخ الحَبْر فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذي عزَّ دركه ... وجلّ مقاما عن لحوق المطاول
إلى عابد الوهاب يعزى وإنَّه ... سلالةُ إنجاب زكيُّ الخصائل
عليه من الرحمن أعظم رحمة ... تَبُلُّ ثراه بالضُّحى والأصائل
فقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل

نعم، ذنبه التقليد قد جذَّ حبله ... وفلَّ التعصب بالسيوف الصياقل
ولما دعا لله في الخلق صارخا ... صرختم له بالقذف مثل الزَّواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعيًا ... إلى دين آباء له وقبائل

(١) في الأصل المخطوط: «مقاتل»، وكلمة «دهى» وردت في بعض المصادر: «وهي».
(٢) في الأصل «أسا».
(٣) في الأصل «من».

دعـا لكتـاب الله والسُّنَّة التي أتانا بها طه النبيْ خير قائل[1]

وتأتي هذه القصيدة معبرة عن الفاجع الذي ألمَّ بعلماء اليمن تجاه فقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتشير إلى أن العلماء في اليمن كانوا حتى وفاته يستأنسون بذكره في نجد، ويسعدون بنشاطه في مجال الدعوة، إذ ظهر الترابط بين علماء هذه الجزيرة العربية من خلال هذه القصيدة، حين صوَّر الشوكاني آلامه، وما أُصيب به الإسلام من فقد واحد من أعلامه، وبَيَّن آثار هذا العالم وقدر الرزء الذي أُصيب به الناس في هذه المرحلة المتأخرة من تاريخهم الإسلامي، كما حاول أن يثبط همم أولئك المغرضين الذين نالوا من هذا المصلح، وأن يبيِّن لهم سبيله، إذ لم يكن يدعو إلى دين آباء له وقبائل كما قال الشوكاني، وإنما دعوته خالصة لله ولكتابه ولسُنَّة المصطفى وهديه. ورغم النهج التقليدي الذي انتظم القصيدة، والميل إلى التشخيص والإسهاب، فقد برزت تجربة الشاعر الصادقة من خلال تضامنه الإسلامي مع هذه الدعوة وصاحبها، إلى جانب وضوح الغيرة الإسلامية لدى الشوكاني ورغبته في التجديد، ومحاولة زجر أولئك الحاقدين الذين اعتادوا النيل من العلماء، وكأني به يصوِّر حاله في اليمن، وما يتراءى له من مستقبله يومئذ، إذ لا يزال الشوكاني في بداية حياته.

ويمكن أن تعد هذه الفترة السابقة التي شملت شيئا من نتاج الشعراء في ميدان الدعوة السلفية مرحلة أولية لظهور الأثر السلفي بتلك الأنحاء، إذ كان يمثلها أبرز علماء اليمن وشعرائها، سواء كان ذلك في مجال الشعر أو النثر. فقد تميَّز نتاجها الأدبي عندئذ بالاعتدال والوضوح. ولعل السبب في ذلك يعود

(١) قصيدة للشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مخطوطة، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، تحت رقم ١٦٣٨/ ١٠م، بخط عبد الله الربيعي، عام ١٣٣٦هـ.

- كما قيل من قبل - إلى أن الأثر السياسي لهذه الدعوة الإصلاحية لم يظهر إلا في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري؛ وذلك ما جعل العلماء من قبل -أمثال: الأمير الصنعاني والشوكاني - يطربون لمكاتبة علماء نجد والاتصال بهم، إلى جانب مشاركتهم في رثاء إمام الدعوة، وتأسية أبنائه من بعده، وما أن غشيت جيوش الدعوة بلدان تهامة وما جاورها في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حتى تكدَّر بال العلماء والشعراء شأن غيرهم في بعض بلدان جنوبي الجزيرة العربية، رغم وضوح الحق والسبيل الذي يسعى إليه السلفيون؛ مما أوجد شيئا من المعارضة، وبخاصة في التأليف، وميدان الشعر.

ورغم غلبة وجه المعارضة على نتاج الشعراء اليمنيين في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد بقي نفر من المنصفين منهم متمسكين بآرائهم تجاه هذه الدعوة التي سبق أن أعلنوها من قبل، وإن ظهر منهم شيء في هذا المجال فإنما هو على سبيل النُّصح[1]، ولعل خير من يمثل هذه الفئة من الشعراء: الشيخ محمد بن علي الشوكاني الذي بعث بقصيدة إلى الإمام سعود ابن عبد العزيز وجملة من علماء نجد. وكان سبب إنشائها - كما قال محمد حسن الشجني - يعود إلى المكاتبات التي وصلت إلى الشوكاني من علماء نجد في أثناء انتشار الجيوش السلفية في البلاد اليمنية[2]. ومن هذه القصيدة قوله:

إلى الدرعية الغرَّاء تسري	فتخبرها بما فعل الجنودُ
وتصرخ في رُبا نجد جهارا	فيسمعنا إذا صرخت سعودُ
وأبنا مُقرن وهمً ليوثٌ	إذا الحرب العوان لها وقود
ويسألُ كلُّ ذيً فهم وعلم	سؤالا عند معضلة تؤود

(١) ديوان الشوكاني، أسلاك الجوهر، ورقة ٢١.

(٢) كتابه السابق، ورقة ٥٣.

فـفي أبناء شـيخ الفـضل فـضل إلى الإنصـاف فـضلهم يقـود
كـذاك بقـيَّـة الأقـوام طرّاً وكلٌّ مـسـودٍ منهم يسـود[1]

وبعد أن استهل الشوكاني مقدمة قصيدته بهذا المطلع الموحي، أخذ يبسط آراءه حيال المنهج السلفي الذي ينبغي أن يكون عليه الناس في مجتمعاتهم الإسلامية، وأخذ كذلك يناقش الأمور التي دفعته إلى نظم هذه القصيدة، إذ قال:

ألما تعلمـوا أنّا وأنتم على صوب الصواب لنا قعـود
ونهج الحق لا نبـغي سـواه إليه جُلُّ مـقـصـدنا يعـود
وأنّا نجـعل القـرآن جـسـرا فـمـصدرنا عليـه والورود
نَرُدُّ إلى الكتـاب إذا اخـتلفنا مـقـالتنا وليس لنا جـحـود
كـذاك إلى مـقـال الطُّهـر طه نرد وفي الكتـاب لذا شـهـود
وكل مـخـالف مـا كـان قـدمًا عليـه الأمـر تطرقـه الردود
مـضى خيـر القـرون ومن تلاه ولا قـيـل ولا قـال ولـود

ومـا قـالوا بتكفـيـر لقـوم لهم بدع عن الإسـلام سـود
كـمـا كـان الخـوارج في ابتـداع يشـيب لهـا من الإسـلام فـود
ومـا قـالوا بأن الرفض كـفـر وبدعـتـه تُشَقُّ لهـا الجلود
فكيف يقـال: قـد كـفـرتْ أناس يُرى لقـبـورهم حـجـر وعُـودُ
فـإن قـالوا: أتى أمـر صـحـيح بتـسـوية القـبـور فـلا جـحـود
ولكن ذاك ذنب ليس كـفـرا ولا فـسـقـا فـهل في ذا ردود[2]

(١) الديوان، ص ٢١.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٢.

وقد بدأ الشوكاني في بسط أقواله حياله النهج السوي الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون، ثم ناقش في أبياته الأخيرة بعض القضايا المهمة التي يتشدد السلفيون فيها، ويرون أن «بناء القباب على القبور... من علامات الكفر»[1]. وقد أقر الشوكاني تسوية القبور، ولكنه يتساءل عن حكمها. ويذهب السلفيون إلى أن طلب الحاجات والتماس الشفاعة من الميت يُعَدُّ «من الشرك»[2]، ويقاس على ذلك من توسل بأصحاب القبور أو اعتقد فيهم الضرَّ والنفع. وقد أقر الشوكاني ذلك، حيث قال:

فإن قلتم: قد اعتقدوا قبورا ... فليس لذا بأرضينا وجود
ومن يأتي إلى عبدٍ حقير ... فيزعم أنه الرب الودود؟!
فهذا الكفر ليس به خفاء ... ولا ردٌّ لذاك ولا جحود
ولست بمنكر هدماً لقبر ... إذا لعبت بجانبه القرود[3]

وقد قرر الشوكاني إطلاق الكفر على من يعتقد في أصحاب القبور حينما يقاسون بمنزلة الخالق تعالى، ثم ذكر أنه لا يوجد بين مواطنيه من يعتقد في القبور، وأنه ليس بمنكر هدمها وتسويتها، ويزجر أولئك المبتدعين الذين يفسدون عقيدتهم بمظاهر محدثة من التوسل والاعتقاد في المخلوقين. ولعل هذا التقرير من قبل الشوكاني يوافق حال اليمن في العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري حيث هُدمت القباب ومشاهد القبور المرتفعة، وهذا دون شك من آثار الدعوة السلفية كما قيل من قبل، وقد تساءل الشوكاني من بعد ذلك، فقال:

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، ج ١، ص ٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٢.

أفـيـدونا وإلا فـاسـتـفـيـدوا وعـودوا نحـونا فـيـمن يعـود[1]

ويختم الشوكاني قصيدته بأبيات مناسبة لا تخلو من الاعتدال والوضوح، حيث يدعو أبناء الجزيرة العربية إلى وفاق شامل، واتحاد متكامل، به يذودون عن الإسلام، ويدفعون عنه الأخطار، ويلتمس من بعد ذلك الموافقة والتأييد من أبناء الجزيرة العربية، والقائمين على هذه الدعوة الإصلاحية، إذ قال:

فـيـا أهل الجـزيرة من مـعـدٍّ وقـحطان إلى المعـهـود عـودوا
وقـد آن الوفـاق فـلا تكونوا على الإسـلام فـاقـرة تؤود
وذودوا مـن أتـى مـنكـم بنُكْرٍ[2] فـخـيـر المسلمين فـتى يذود[3]

وإذا كان قد اتضح اعتدال الشوكاني[4] في شعره وعدم تطرفه فيه، فإن نفرا من الشعراء اليمنين قد دفعهم التعصب والهوى إلى النيل من هذه الدعوة الإصلاحية ورجالها، بما لا يساعد المنصف على دراسة هذا النتاج وتقويمه؛ وذلك لما فيه من فساد القول وبذاءته، وأن قائليه قد أسرفوا فيه بما لا ينبغي لهم

---

(١) المصدرنفسه، ورقة ٢٢.

(٢) في الأصل «منكر». وهو خطأ.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٢، انظر: نيل الوطر، لزبارة، ج٢، ص ٢٩٩ - ٣٠٢، والتقصار للشجني، ورقة ٥٣ - ٥٤.

(٤) يدرك الناظر في شعر الشوكاني الميل السلفي الواضح الذي وافق نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رغم المشاق التي كان يعانيها الشوكاني في قطره اليمني، وأن حماسه لهذه الدعوة قد كان قويًا في أوائل القرن الثالث عشر الهجري عنه فيما بعد، فقد أشار الشجني في كتابه " التقصار " إلى الاتصال المستمر بين الشوكاني الإمام عبد العزيز بن سعود، وجملة من علماء نجد، وأن النجديين - كما قال الشجني - « يستدعون من مصنفاته إليهم، وتدور الكتب بينهم ». ورقة ١٠، فلا شك أن هذا الأثر السلفي قد ظهر في شعر الشوكاني، وبخاصة في المجال المذهبي والسياسي وغيرهما. انظر ذلك في: ديوانه " أسلاك الجوهر "، وفي كتاب: " التقصار " المخطوط.

قوله ونظمه. ومن أولئك العلماء الذين شاركوا بشيء من نتاجهم الشعري: محسن بن عبد الكريم بن إسحاق (١١٥١ - ١٢٦٦هـ)، ويوسف بن إبراهيم الأمير (١١٧٥ - ١٢٤٤هـ). فأما محسن بن عبد الكريم فقد أنشأ منظومة شعرية، ثم شرحها في رسالته الموسومة بـ " لفحات الوجد من فعلات أهل نجد "[(١)]. وقد أنكر عليه بعض مؤرخي اليمن غلوه في شعره وتطرفه في شرحه لهذه المنظومة[(٢)]، إلى جانب أن بعض مؤرخي تهامة حينما كانوا يوردون هذه القصيدة في مؤلفاتهم لا يشيرون إلى صاحبها، وذلك مثلما فعل الحسن بن أحمد عاكش، حينما قال في مؤلفه " الديباج الخسرواني ": « وأنشد بعض أشياخنا هذه القصيدة ذاكرا أنه قالها مخاطبا بها أهل نجد »[(٣)]، ثم أوردها دون أن ينسبها لقائل[(٤)]. ومن تلك القصيدة قول ناظمها:

يا أهل نجد أتتنا من شمائلكم	أنفاس دين نبي يُظْهِرُ الدِّينا
قلتم لنا: ليسَ غير الله خالقنا	يدعى إذا شدةٌ في الدَهر تأتينا
قلنا: صدقتم وهل ربٌّ سواه لنا	يرى ويسمع بادينا وخافينا؟!
قلتم: وليس سوى الذِّكر المبين وهد	ي المصطفى من جميع العلم كافينا[(٥)]
قلنا: صدقتم هما أمران قد تركا	كما رواه لنا حفَّاظُنا فينا
ونشهد الله ما أبدت ظواهرنا	لكم سوى ما أجنَّته خوافينا
إلى هنا قد توافقنا وصافح كل كـــ	ـــف صاحبه للعهد تمكينا[(٦)]

---

(١) توجد هذه الرسالة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء، مجموع ٢١ علم الكلام.

(٢) انظر: مجلة العرب، ج ٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ٧٥٠.

(٣) ورقة ٢٤.

(٤) انظرها في المصدر نفسه، ورقة ٢٥.

(٥) كذا الوزن العروضي في هذا البيت.

(٦) لفحات الوجد، ورقة ٣، ٤، الديباج الخسرواني لعاكش ورقة ٢٥. والبيت مكسور الوزن، لم تسلم هذه القصيدة من الضعف في الحس العروضي.

وقد أتت بقية أبيات هذه القصيدة موسومة بالحيف والجور، فقد وصفها الحبشي بالتحامل على معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، وأنه يغلب على مقدمة الرسالة التي حوت شرح هذه القصيدة «التشنج الفكري»[2]، إذ إن صاحبها «غالبا ما يستعمل ألفاظ التكفير»[3]. والحق أن تلك الرسالة وهذه القصيدة لا تخلوان من التعصب والهوى، إذ إن الدافع من إنشائها لا يكاد يخرج عن الهوى المذهبي والميل السياسي.

أما يوسف بن إبراهيم الأمير فإنه وإن كان قد رُجِّحَ من قبل أن القصيدة التي نسبت إلى جده محمد بن إسماعيل الأمير تُعَدّ من نظمه، فإن مما يزيد في ترجيح ذلك قصيدته التي أنشأها «عند مسير الشريف حمود بن محمد لقتال أبي[4] نقطة[5]»، وهي قصيدة طويلة تتخذ نمطا مميزا في بنائها الفني، إذ ينتهي كل بيت منها بشهادة: «لا إله إلا الله»، ومنها قوله:

وفتية ضل سعي قائدهم لجهله لا إله إلا الله
أباح سفك الدما وسبي حريم قائلي: لا إله إلا الله
يقاتلون الذين شهدوا بالحق أن لا إله إلا الله
ويتركون الذين شأنهم إنكارها لا إله إلا الله[6]

ويستمر يوسف بن إبراهيم الأمير في تهويماته هذه على هذا النسق، دون أن يبدِّل في بنائها، وإنما يبسط حديثه فيها بإسهاب حتى ختمها بأبيات وافرة،

---

(١) مجلة العرب، ج٩، ١٠، الربيعان ١٤٠٣هـ، ص ٧٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٥٠.
(٤) في الأصل «أبو». وهو أمير عسير.
(٥) محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، كتابه السابق، ورقة ١٤.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ١٤، وهذه الأبيات من التهويمات المسجعة، وليست شعرا.

خصها بالدعاء، وهي تنهج نهج المعارضة لهذه الدعوة السلفية، بما يوافق هذه المرحلة التاريخية التي وصفت بوضوح المعارضة في المجال المذهبي والسياسي.

وإذا كان الشعر اليمني في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، قد تميز بالمعارضة، فإن مما يؤيد ذلك قصيدة عبد الرحمن بن يحيى الآنسي التي مدح بها الشريف حمود بن محمد، ونال فيها من أمراء الدعوة السلفيين في تهامة وعسير، ومما قاله فيها:

له غـابة[1] شـبـوا بمشـتـجـر القنا ... كـمـا يبتـدي منهـا النهـوض يعـود
وبُرثنه السـيـف الحـراز ونابه ... سنَان صَـرير[2] الحفـتين حـديد
وقمـصـانه هذي الدُّروع وبيضـهـا ... قَـلانسـه بيض الثـيـاب وسـود

فـيـالك ليـثـا خـادرا كُلّ خَـادر ... إذا كـان يوم الرَّوع عنه[3] يحـيـد
حمى الغـور حـتى لا يراع بهَـيْـعَـة ... لهـا بين أمـواج البـحـار هديد
وبين شناخيب الجبال لها[4] صدىً ... كـمـا جلجلت بين السَّحـاب رعـود
وغـزو كولْـغ الذئب[5] في إثر غـارة ... مع الصـبح يفني يومـهـا ويبـيـد

---

(١) كذا في الأصل، ولَعَلَّ الشاعر أراد له: أسْد غابة، فحذف أسد، وأبقى غابة.
(٢) كذا في الديباج الخسرواني، وفي نفح العود «طرير»، ص ٢٧٥. والبرثن: الظفر.
(٣) كذا في الديباج الخسرواني، وفي نفح العود: «منه»، ص ٢٧٥.
(٤) كذا في نفح العود، وفي الديباج له، ورقة ٣٠.
(٥) «ولغ الذئب: نسق لا يفصل بينهما فترة» كعد الحاسب. الآنسي هنا مقلد، إذ نهج منهج الشعراء الأقدمين، ومن أولئك حاجز الأزدي:

بغـزو مـثل ولغ الذئب حـتى ... يثـوب بصـاحـبي ثاو مُنِيمُ

وآخـر:

بغـزو كـولغ الذئب غـاد ورائح ... وسـيـر كنصل السـيف لا يتـعـوج

لسان العرب، ج ١٠، ص ٣٤٤.

بما[1] بين بَيْشٍ والحُصَيْبِ[2] فخيله ... مـدى الدهر مـا جـفـت لهن لبـود

فـلا تفـرحـوا إن نلتـمـو منه غـرَّة ... تسوق بكم نحـو[3] الحـفـا وتقـود

لبـيت الفـقـيـه الزَّيلعي توثبـا ... يرى الفـرسخ الكعـبين فيـه بريد

فـعـثـتم بهـا إغـفـاله الحـافظينها[4] ... وكم ضـيَّـعت بالحـافظين حـدود

كـمـا عـاث في زرع الحـدائق غـفلة ... النَّواطيـر[5] في أطرافـهن قـرود[6]

فلا تحسبـوها ديدنًا[7] فهـو حيثـما ... كرهتم لها[8] أخرى الزمان قعيد[9]

يعد لطاميكم[10] شراب ابن عامر[11] ... وعثمان[12] لم يحضر عليه ورود[13]

وتظهر في هذه الأبيات المعارضة التي نصبها شعراء اليمن، إزاء أمراء عسير وتهامة السلفيين الذين قاموا بنشر الدعوة الإصلاحية في تلك الأنحاء،

---

(١) كذا في الديباج. وفي نفح العود: «فما»، ص ٢٧٥.
(٢) موضع باليمن، بل هو اسم لمدينة زبيد، وهو للأشعريين.
(٣) كذا في الديباج، وفي نفح العود: «تحت»، ص ٢٧٥.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) كذا في نفح العود. وفي الديباج: «النواطير»، ورقة ٣١، والنواطير: جمع ناطر، وهو حافظ الكرم: انظر: مختار الصحاح، ص ٦٦٥، والوزن يستقيم في تحريك التاء المربوطة وإدغامها في النون، وهذا المعنى لأبي الطيب المتنبي.
(٦) كذا الوزن العروضي في هذا البيت.
(٧) كذا في الديباج، وفي نفح العود: «دين». وهو خطأ، ص ٢٧٥.
(٨) كذا في الديباج، وفي نفح العود: «لكم»، ص ٢٧٥.
(٩) كذا في الديباج، وفي نفح العود: «يعيد»، ص ٢٧٥.
(١٠) هو: طامي بن شعيب أمير عسير خلال الفترة (١٢٢٥ - ١٢٣٠هـ).
(١١) هو: عبد الوهاب بن عامر المتحمي أمير عسير خلال الفترة (١٢١٩ - ١٢٢٤هـ).
(١٢) هو: عثمان المضايفي من أبرز أمراء الدعوة ودعاتها.
(١٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٣٠، ٣١. انظر: نفح العود لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

إذ يتجلى موقف الشاعر إزاء أولئك الدعاة في البيت الرابع عشر، وذلك حين أشار إليهم بأسمائهم في قوله: «لطاميكم» «ابن عامر» «عثمان»، ولهؤلاء قدم صدق في نصرة الدعوة وتأييدها بجنوبي الجزيرة العربية. ولعل ما يميز هذه الأبيات ما ظهر فيها من حسن السبك الفني، وبراعة التصوير، وبخاصة في مجال الصورة الشعرية والإفادة من عناصر البيان، مثل: الاستعارة ونحوها، فقد وصفها عاكش بأنها «غاية النهاية في البلاغة»[١]، وأنها لم تظهر للناس إلا بعد وفاة الممدوح[٢]، وهذه من المفارقات كما قال عاكش. ولذلك يبدو أن معظم الشعراء اليمنيين الذين شاركوا بشعرهم في هذه الفترة من مراحل ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء يعدون من أبرز شعراء اليمن، وأنهم ربما اختيروا لإبراز مواقف العلماء والأمراء إزاء هذه الدعوة؛ وذلك ما يميز أثر الدعوة السلفية في ذلك النتاج الشعري، إذ كان الدافع لنظمه وتجويده يعود لهذه الدعوة الإصلاحية نفسها، وهذا لم يتحقق - إلى حد كبير - في الفترات الأخيرة، حيث ضعُف الدافع المذهبي، وانشغل الشعراء عندئذ بالترك ومن سلك سبلهم.

وقد ظل حال المعارضة الشعرية غالبا على النتاج الشعري لدى معظم الشعراء اليمنيين الذين تناولوا أخبار هذه الدعوة خلال هذه الفترة، إذ تدل المصادر على وجود شيء من الأبيات الشعرية التي كتبت - فيما يبدو - في أوائل الثلث الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وكانت تتضمن الثناء على محمد علي باشا حيال حروبه المتكررة ضد السلفيين في نجد، والقضاء على دولتهم. ويعيب تلك النصوص الشعرية ما ظهر في أبياتها من القول المقذع

(١) الديباج الخسرواني، ورقة ٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٢.

المتحامل، إلى جانب أن صاحبها لم يشر إلى حقيقة اسمه[1]، مما يدل على تحامله، ونيله من هذه الدعوة التي أظهرها الله من بعد ذلك.

ولعل مما يُعَدّ من آثار الدعوة السلفية في ميدان الشعر اليمني خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ما شهدته تلك الأنحاء من الاحتكاك الأدبي بين الشعراء اليمنيين وإخوانهم السلفيين الذين كانوا يفدون إليهم من نجد وغيرها، فقد دلت المصادر على أن رسل الإمام سعود بن عبد العزيز الذين وفدوا إلى اليمن سنة ١٢٢٢هـ قد كانوا كثيرا ما يجرون المناقشات الأدبية والعلمية مع نفر من أدباء اليمن وعلمائها، ويؤكد هذا ما ذكره لطف الله جحاف حين أشار إلى أن أولئك الرسل حينما وفدوا إلى اليمن أحيوا كثيراً من المجالس الأدبية، وأنهم لما استقروا في « كوكبان » فضَّل أدباؤها الإفادة منهم، وضرب جحاف لذلك مثلا، ذكر فيه أن أحد أفراد ذلك الوفد- وهو عبد الله المبارك الأحسائي - « لما استقر هنالك رغب في أدبه أهل كوكبان ودعوه من مكان إلى مكان »[2]. وقد ذكر جحاف كذلك ما جرى لهؤلاء الرسل من المناقشات والمساجلات الأدبية حينما وفدوا إلى« صنعاء » من بعد ذلك[3]، فقد التقوا برجال منها، وجرى لهم معهم شيء من النقاش الفكري والأدبي، وقال جحاف: إن بعض الأدباء من أهل صنعاء رغب « في مكاتبتهم، فبعث بقصيدة زودها[4] أحمد مبشر العسيري اعتذاراً من عدم وصوله »[5]، ولكن هذا الأديب كما ذكر جحاف قد ألح في قصيدته بما أغضب هذا الوفد، مما دعا

(١) توجد هذه الأبيات ضمن المجموع رقم ١٢٩، ورقة ١٣٨ بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير.

(٢) درر نحور العين، ورقة ٤٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٥٤.

(٤) زودها: حمّلها.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ٤٥٥.

أحدهم إلى نقضها[1]. وذلك دون شك سيؤثر في نشاط الأدب ويقظته، مما يُعَدّ من آثار الدعوة السلفية في هذا الميدان.

ويبدو أن شعراء اليمن رغم ضعف أثر الدعوة السلفية في بلادهم بعد قضاء الترك على الدولة السعودية الأولى، كانوا على اتصال مع شعراء نجد، فقد دلت المصادر على أن الشيخ محمد بن إبراهيم بن عريكان (١٢٣٠هـ - ...) كان يستحسن الاتصال بأدباء اليمن، وأنه كان يتعارض معهم القصائد[2]، ومن شعره قصيدته التي بعث بها إلى السيد صائم الدهر، ومنها قوله:

بدت فأقرت كُلّ قلب وناظر   فإن تحكها يا بدر وجها فناظر[3]

ويمكن أن يوصف الشعر اليمني في هذه الفترة بأنه قد تبدَّل وضعه عن ذي قبل، حين أصبح الشعراء الذين شاركوا في ميدانه في سبيل هذه الدعوة السلفية من الشعراء المتفاوتين في مستواهم الأدبي، وأن الوضع السياسي المذهبي الذي كانوا يصدرون عنه قد تبدل، حين أضحوا يعلقون آمالهم وتطلعاتهم على أمراء عسير السلفيين الذين كانوا من قبل يحسبونهم من المخالفين لنهجهم الديني، وما ميَّز هؤلاء الأمراء في عسير غير محافظتهم على مبادئ الدعوة السلفية، في وقت ضعُف فيه أثرها في كثير من أنحاء الجزيرة العربية؛ مما جعل أثر هذه الدعوة واضحا في مجال الشعر بتلك الأجزاء من جزيرة العرب، ولعل ما يصوِّر هذا الحال قصيدة علي بن يحيى بن حميدة[4] التي بعث بها إلى الأمير عايض بن مرعي المغيدي، يشكو فيها الشريف علي

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٤٥٥.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج٣، ص ٧٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٧٨٢.

(٤) أمير قبائل الواعظات بتهامة اليمن.

ابن حيدر وجيشه، ويتعرض لعسير ونصرتها للدين، ومما قال فيها:

صبوتُ لثغر البرق لما تبسَّما(١) ... ولاح على نجد فأبكى متيَّما

وذكرني ماض من العيش لم أزل ... لذكراه أبكي كلَّما بكت(٢) السَّما

سقى الله أكنافَ السَّراة بوابل(٣) ... وطرَّزها(٤) زهر الرَّبيع ورقَّما

وبلِّغ عسير الهول مني تحية(٥) ... مصابيح نجد من مغَيْد وعَلْكَمَا

هم النَّاصرون الدِّين، والدين عاثر(٦) ... هم المطعمون الناس إن تمسَّك السَّما

فبلِّغ أمير المسلمين تحية(٧) ... أرقَّ من الدر النضيد وأنظما

وقل لهم: يا قوم إن محبَّكم ... عليَّ بن يحيى ضاق من حمله لَّما(٨)

أتاني الشريف الحيدري بجنده ... وحارب شخصا مسلما ومسلّما

بذلت له ما أستطيع فلم يزد ... له البذل إلا أن بغى وتقدَّما

فلا حرمة الإسلام قام بحقها ... فكفَّ ولا الشهر المحرَّم حرّما

وما حيلتي عند الشريف ابن حيدر ... إذا كلْمَةُ التوحيد لا تحقن الدِّما

أصلي كما صلَّى وأدعو الذي دعا ... فلم يرَ لي حقا ولم يرع لي ذما(٩)

---

(١) كذا في الأصل المخطوط، وفي كتاب الشعر في عسير «توجهت للبراق لما تبسما»، ص ٧٦.

(٢) يستقيم الوزن العروضي إذا شددت الكاف، أو زيد حرف، وذلك غير مناسب.

(٣) كذا في كتاب الشعر في عسير، وفي الأصل: «وابل الحيا»، ص ٧٦.

(٤) كذا في الأصل، وفي كتاب الشعر في عسير «عللها»، ص ٧٦.

(٥) كذا في كتا ب الشعر في عسير، عدا الكلمة الأولى فقد وردت «ويبلغ»، وبها ينكسر البيت.

(٦) كذا في الأصل، وفي كتاب الشعر في عسير: «هم الحافظون للدين والدين عزهم»، وهو تحريف.

(٧) كذا في الأصل، وقد أراد: «مني تحية».

(٨) كذا في الأصل، وفي كتاب الشعر في عسير:

وقل لهم: يا قوم إني أخوكم ... علي بن يحيى ضاق من حمله ألما

والقافية المثبتة تعد من العيوب، وهي قبيحة.

(٩) نسخة مخطوطة لهذه القصيدة لدى الباحث، وانظر: الشعر في عسير لعبد الله قيس الغامدي، ص٧٦ - ٦٧. و«ذما»: هي ذمة، وإنما رخمت للضرورة.

ويستمر الشاعر في بسط أقواله متلطفا فيها، مبينا حرمة الإسلام في إراقة الدماء بغير حق، وكان يظهر جنوحه للسلم، ودفعه للشر من خلال معانيه المناسبة التي تنتظم مضمون قصيدته. وكان كثيرا ما يشير إلى: الحفظيين في رجال ألمع، وإلى علي بن مجثل أمير عسير في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجري، إذ يعلم الشاعر عندئذ نصرة هذا الأمير للحق، وحفاظه على مبادئ الدعوة السلفية، إذ قال فيه:

فليت عليًّا بَرّد الله تُربَه يراني فما أرعى عليا[1] وأرحما!
فلو كان حيًّا ما أنيخت ركائب الـ ـحسين ولا قاد الجيوش وخيَّما
فإن قمتم في حقه بعد موته فأنتم لها أهل، وإني لها كما[2]

ويبدو أن هذه القصيدة قد أُرسلت سنة ١٢٥٩هـ إلى الأمير عايض بن مرعي مع الوفد الذي أرسل إليه بشأن تجديد المعاهدة التي كانت قد أُبرمت في عهد الأمير علي بن مجثل العسيري[3]، ومع ذلك فالذي أفسد هذه القصيدة مع ضعفها سوء التصرف في ألفاظها ومعانيها حينما أثبتت في بعض المجاميع الشعرية[4]، ويتهيأ لي أن ذلك العمل إنما أُريد به الهوى السياسي، وذلك لا يجوز في التراث ونصوصه.

وبمثلما كان أمراء تهامة اليمن الشعراء يرفعون شكواهم إلى أمراء عسير في دفع الظلم ونصرة الحق؛ كان بعض الشعراء اليمنيين يعقدون الآمال على أمراء عسير السلفيين وقومهم في نصرة الدين ودفع الترك والمستعمرين، فقد

(١) في الأصل «علي».
(٢) المصدر نفسه، وتقدير القول: «كما عهدتموني».
(٣) عبد الله بن علي بن مسفر، السراج المنير، ص ٩٠.
(٤) انظر كتاب: الشعر في عسير، ص ٧٦ - ٧٨.

بعث القاضي أحمد بن الحسن الإبي جملة قصائد إلى الأمير محمد بن عايض المغيدي وقبائل عسير، يشرح فيها حال بعض بلاد اليمن وقد أضر بها الترك والإنجليز؛ مما دلل على بقاء الأثر السلفي في تلك المعاقل من أطراف الجزيرة العربية، حيث انعكس ذلك الأثر في نتاج بعض شعراء تلك الأنحاء، حينما ضاقت بهم الآمال بحثا عن نصير للأمة والدين، ومن قصائد هذا الشاعر في شأن الترك قوله:

فبلِّغ أمير المسلمين محمدا[1] تحية ورْد كالفرات لشارب
وعُمَّ بها أقصى وأدنى رجالها وخُصّ مغيدًا[2] من جميع الأقارب

أيرضيكم ما ناب دين محمد وفي القوم من يرجى لدفع النوائب
أُعلِّلُ نفسي بالأماني وقلَّما تنال المعالي بالأماني الكواذب[3]

وتزداد الآلام لدى الشاعر وقد سيطر الإنجليز على عدن[4]، ورأى في سيرتهم وعداوتهم للدين ما جعله يرفع قصيدة أخرى للأهلين في عسير يحضهم فيها على الجهاد، ويشرح لهم حال البلاد وقد دنس النصارى أرضها، إذ تدرك نصرتهم للدين ورغبتهم في الذود عن حياضه في وقت ساد الجزيرة العربية الضعف والفتور، وإنما بقيت الجذوة السلفية في أمراء تلك المنطقة ورجالها، ومما قاله هذا الشاعر:

فقل لعسير عظَّم الله أجرها: أرى شامخ الدِّين القويم تهدَّما

---

(١) في الأصل «محمد».

(٢) في الأصل «مغيد».

(٣) عبد الله الغامدي، كتابه السابق، ص ٨٢ - ٨٣.

(٤) كان ذلك في سنة ١٢٥٣هـ، انظر كتاب: بلوغ المرام للعرشي، وفيه: «كان دخول الإفرنج في عدن سنة ١٢٥٣هـ، ثم زاد أمرهم سريانا». ص٨٠.

لقـد شُـربَت فـيـه الخـمـور وحُلِّلت | فـمن رام شـرب الخـمـر سلَّمَ درهمـا
لقـد حُلِّلَت فـيـه الفـروج فـمن يرد | فـجـورا تغـشَّى[1] ثوبه وتسنَّمـا[2]
لقـد ألزمـوا حكام شـرع مـحـمـد | على الحكم سُحتا يأخذون مُحـرَّما
لقـد صـار بيت المال فـيـه نهيـبـة[3] | وأضـحى به علج النصارى مُحكمـا
أفـيـقـوا عـبـاد الله قـومـوا لدينكم | فـقـد تُعـبـدَ الأصـنام فـيـه وربَّمـا
أيعـبـد غـيـر الله جنب دياركـم | وفي العرب العرباء من شب أضرما
ويطفئ نور الله، شـرع مـحـمـدٍ | وسوم النصارى والمهيمن في السما[4]

وتبرز عاطفة الشاعر صادقة، وقد انتهكت محارم الدين، وعُطِّلت شعائره، وسار عُلُوج[5] النصارى في الأرض بالفساد، مما جعل هذه القصيدة توحي للدارس بغربة العلماء في تلك الأجزاء من جزيرة العرب، وهم يشهدون غياب نصير الإسلام والذائد عن حماه، إذ تلفَّت الشاعر فلم يجد سوى عصبة من القوم يحتفظون في معاقلهم السامقة بسلفيتهم وغيرتهم على الدين، فأرسل كلماته الموحية هذه لنصرة دين الله ونجدة أهله، فما أعظمها من رزية!

وإذا كان قد اتسم أمراء عسير في القرن الثالث عشر بنصرتهم للدعوة السلفية، وأنهم قد ظلوا من بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ محافظين على مبادئها، فإن أمراءها قد ظلوا وفيين لتلك المبادئ مناهضين لأعدائها الترك رغم سيطرة أولئك الأعداء على عسير منذ عام ١٢٨٩هـ، فقد بقي أولئك الأمراء

(١) تغطَّى بثوبه.
(٢) تسنَّمه: علاه.
(٣) في المصدر «نهبة»، ولعلها تصحيف «نهيب» التي بها يستقيم الوزن.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨٦.
(٥) العِلْجُ: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج. وعِلَجة، مختار الصحاح، ص ٤٤٩.

السلفيون في عداء مستمر مع الترك ومتصرفيهم في عسير حتى جُدِّد أمر هذه الدعوة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وضُمَّت تلك الأنحاء إلى بقية أجزاء البلاد السعودية، وذلك ما جعل لهم أثرا في استقطاب اهتمام الشعراء في اليمن وغيره. ولعل من أبرز أمراء عسير بأسا ضد الترك في هذه الفترة: الأمير علي بن محمد بن عايض الذي خاض بسببهم كثيرا من المعارك الحربية، وكان من أشهرها المعركة التي نشبت بين هذا الأمير والترك عام ١٣١١هـ، حين «تناهى الظلم من العجم، واضطرمت[1] منهم نيران الفتك بالعرب، وتطاولوا إلى الأعراض وأخذوا الأموال»[2]، مما دفع الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى إلى مكاتبة هذا الأمير العسيري بقصيدة حماسية، منها:

كذا تؤخذ الثارات بعد التَّمانع ... وتطهر أرض بالحداد القوالع
صدى ضربات صوتت بلغاتها ... ونادت بأفواه الرماح الشوارع
بأيدي رجال من عسير ثوابت ... أسودٌ هم عند اللقا والزَّعازع

أبادوا بغاة الترك قتلا وأشبعوا ... طيور السَّما والوحش حتى الجوائع
لصبر قليل بعده كل راحة ... هو المجد يا قحطان بعد التمانع
يقودكم قرمٌ إذا الموت حلّقت ... عجاجته ما بين تال وسامع
عليٌّ بن مرعي الذي شق عزمه ... قَتَام عُلُوج الروم بعدً التَّنازع

فإيه بني قحطان شبوا ضرامها ... ولظوهم بالضرب خير القوارع
وحاموا على الإسلام من قبل هدمه ... لذرية من بعدكم ومتابع

(١) في المصدر «انضرمت»، وهو خطأ.
(٢) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ١٣٩.

ولا تتـوانوا قـبل تطهـيـر أرضكم ... ولا تقـبلوا منهم أمـان المخـادع[1]

ومن المعروف أن هذا الأمير وقومه من العسيريين قد ظلوا يتعقبون الترك أعداء الدعوة السلفية خلال فترة حكمهم في عسير، إذ كان ما يبلغ من كفاحهم ضد الترك يعجب شعراء اليمن، فينشئون القصائد في الإشادة بجهودهم والثناء على جهادهم[2]، مما عُدَّ من آثار هذه الدعوة السلفية في هذا الميدان الأدبي.

وعندما ظهر أثر الدعوة السلفية في مجال الشعر السياسي في اليمن، فإن أثرها كذلك ظهر في الشعر الروحي الذي انصرف به الشعراء إلى نبذ البدع الباطلة وتطهير الاعتقاد، وربما كان ذلك الشعر محدودا إذا ما قيس بالشعر المذهبي أو السياسي، ومع هذا فمن ذلك اللون الشعري قصيدة علي بن أحمد الجنداري التي أنشأها مستنكرا تقديس الناس لقبر سيدة [أروى] بنت أحمد الصليحي بمسجد جبلة المشهور باليمن، ومنها:

لـمَّـا سـمعت بوصف جبْلَةَ في نظا ... م الشـاعـر النَّقَّـاد ذي التِّـبـيـان

مـا مـصـرُ مـا بَغْـداد مـا طـبـرية ... كـمـدينة قـد حـفَّـهـا نـهـران[3]

والجـامع المشـهـور فـيـهـا خلْـ ... ـتُـه المعـمـور فـوق الجـدي والميـزان

لا عـيب إلا أن فـيـه نكتـةَ ... سـوداء لا كـالخـال في الأوجـان

وهي التي شـامـتـه يا بدر الهـدى ... فـاسـعـوا بتـحـويل لقبـر البـاني[4]

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٧.

(٣) هذا البيت ضمنه الجنداري قصيدته، وإلا فهو للشاعر اليمني عبد الله بن يعلى، يمدح مدينة جبلة. انظر كتاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، لحسن صالح شهاب، ص ١٢٤.

(٤) محمد محمد زبارة، نزهة النظر، ج١، ص ١٢٧.

وإذا كان هذا الشاعر قد أنكر هذه البدعة، فإنما يدل ذلك على ميله السلفي الذي وسمت به أسرته من قبل، وأنها ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وبالإضافة إلى إنكار بعض الشعراء لتقديس القبور والاعتقاد في نازليها، ظهر التأثر السلفي لدى نفر منهم إزاء اتباع مذهب أهل السنة والجماعة ونزع التقليد. ومن أولئك الشعراء: أحمد عبد الوهاب الوريث الذي يقول في وصف اتجاهه المذهبي عندئذ:

فلا سمت بي عَقْوَةٌ علوية إن كنت للتقليد ذا إذعان
ما مذهبي إلا الكتاب وسنة الـ مختار لا قول بلا سُلطان[1]

ويبدو أن الشعراء اليمنيين الذين تأثروا بهذه الدَّعوة السلفية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري؛ كانوا كثيراً ما يعانون من اعتراض العامة في بلادهم وسخريتهم، وذلك حينما كانوا يقبلون «على إرشاد العوام العاكفين على تعظيم القبور»[2]، مما دفع بعضهم إلى تصوير المصاعب التي يقابل بها الداعي إلى نبذ مثل هذه الاعتقادات الباطلة. ومن أولئك الشعراء القاضي عقيل بن يحيى الأرياني (١٣٢٤هـ - ١٣٤٦هـ) الذي اتسم شعره بالوضوح السلفي والشعور الإسلامي الجاد، فقد نظم في هذا المجال شعراً مميزاً[3] لا يخلو من الحماسة والاعتدال، ومع ذلك كان يلاقي في سبيل اتجاهه السلفي هذا عنتًا ظاهراً صوَّره في قوله:

إن أنا نزَّهت إلهي عن الأندا د قالوا: أنت وَهَّابي
لكن لي بالمصطفى أسوة فقومه سمَّوه بالصَّابي[4]

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٤.
(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٢.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٤. والبيتان ركيكان من حيث الوزن.

ويبرز أثر هذه الدَّعوة السلفية واضحًا حينما جدَّد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أمر هذه الدَّعوة الإصلاحية، وأخذ يوحِّد بين أجزاء البلاد السعودية، حيث أخذت أحداث ذلك التجديد تؤثر في الشعر، وبخاصة في جنوبي الجزيرة العربية[1]، ويمكن توضيح ذلك من خلال بعض النماذج الشعرية التي أُنشئت بوحي من المد السياسي لهذه الدَّعوة الإصلاحية الذي يُعَدّ أول عهد شعراء اليمن بهذا الظهور الإصلاحي، وذلك منذ وقعت حادثة العصبة عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، إذ نجد القاضي محمد بن أحمد الحجري يرثي أحمد بن أحمد السياغي بقصيدة، منها:

ألا من لطرف فاض بالهملان	بدمع على الخدَّين أحمر قاني
ومن لحشاشات تلظى سعيرها	ومن لفؤاد جاش بالغليان
لخطب تخر الشَّامخات لهوله	أناخَ بقاص في البلاد وداني
بما كان في وادي تُنومة ضحوة	وما حل بالحجاج في سَدَوَان[2]

ويظهر الوئام السياسي منذ سنة ١٣٤٦هـ بين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود و إمام اليمن يحيى حميد الدين، حيث بعث ابن حميد الدين بقصيدة إخوانية إلى الملك عبد العزيز، قال فيها:

صدرت للوئام زفرة محرو	ر تؤمّ الرياض تشفي صداها
تقطع السهل والحزون وتطوي	البيد طي السجل في يمناها

(١) ظهر التأثير كذلك واضحا في الشعر العامي الملحون، إذ نجد بعض الشعراء العاميين من أهل اليمن ينشئون أشعارا مختلفة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري ومابعده، يعبرون فيها عن وضوح الاتصال الأخوي بين اليمنيين وإخوانهم السعوديين، وما يشهدونه في هذه البلاد السعودية من الإصلاح. انظر ذلك في مجموع الأزهار الشذية من الأشعار اليمنية، لعبده قايد الأشول، ولدى غيره.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

توضح الحالة التي نحن فيها ... معشر المسلمين عند انتهاها
فرقتنا أيدي العداة فصرنا ... فرقًا لا تطيق تحمي حماها

وعلينا من الإله مواثق ... تدك الجبال إن خناها
هي تدعو إلى الوفاق وتستنـ ... ـصر منا حمية تهواها
وتنادي يا للشَّهامة والغير ... ة، أين الحفاظ أين نهاها؟
حكموا رأيكم سدادا وشدّوا ... عضد الدين، وادفعوا بلواها
وانسجوا منكم دروع اتحاد ... ووئام يطول فيكم غناها
ما الذي يمنع التآزر من إخوان ... ان دين، يرضى الإله إخاها
والذي يدفع المخاوف عنها ... ليس إلا وفاقها ووفاها

ولتحقيق ظنِّنا كان منا ... بعث وفد الرياض من آل طه
حملوا هذه «الألُوكَةَ»[1] عنا ... ومناهم قبولها وحباها
لمليك متوج من نزار ... أنجبته ربيعة في ذراها
ملك مفرد سَرِيٌّ همام ... قلدته سعودها بحلاها
ومن العدل وهو خير المزايا ... أثرا للنهى ونظم علاها
أن ترى عنده مكان اعتبار ... موصلا للمرام من مسراها[2]

وقد نشأت من بعد ذلك المنظومات الشعرية التي كان ينظمها الشعراء الذين كانوا يفدون إلى البلاد السعودية، من أجل تثبيت عرى الصداقة وتوطيدها. وذلك مثلما فعل محمد محمد زبارة الذي صوَّر مراراً رحلاته

---

(١) المقالة.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ص ٩٢٨ - ٩٢٩.

ومفاوضاته مع أولي الأمر السعوديين من قبل إمام اليمن[1].

ويغشى الأثر السلفي من بعد ذلك البلاد اليمنية خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وما قبله في معظم الأحيان، حيث أخذ أبناؤها يفدون على هذه البلاد السعودية، يتعلمون في مراكزها الفكرية، ويتلقون العلم على أيدي علمائها السلفيين، فمنهم من بعد ذلك من فضَّل العودة إلى أوطانه؛ ينشر التعليم بين مواطنيه، مثلما فعل أبناء قبيلة الحداء من مخلاف الكُميم[2]، وكما سبق ذكره، ومنهم من فضَّل المقام في هذه البلاد؛ يعلِّم، ويتعلم، أمثال: الشيخ علي عبد الله صوفان الذي صوَّر اتجاهه السلفي في كثير من نتاجه الشعري، حيث يمكن أن يعد مثالا لتأثير هذه الدعوة السلفية في شعراء اليمن المعاصرين.

والناظر في نتاج الشاعر علي بن عبد الله صوفان يلمس مدى إقباله على الإفادة من علماء هذه البلاد، وأنه قد مال إلى مذهبهم، بالإضافة إلى ثنائه على أولي الأمر، وإعجابه بمظاهر النهضة، وبخاصة في مجال التعليم، إذ شارك بشعره في هذا الميدان[3]، ومن شعره المذهبي قوله:

إني ألوذ[4] بأهل نجد مذهبا ... العابدون[5] المؤمنون الرُّكَّع
المقتدون بأحمد في هديه ... والسنة الغراء فيهم تشرع

---

(١) محمد محمد زبارة، الأنباء، ص٥٨، ٥٩، ٦٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧.

(٢) صالح بن محمد الغفيلي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الجندي المسلم، ع ٢٠، ص٦، ١٣٩٩هـ، ص٦٩، ٧٠.

(٣) اعتاد هذا الشاعر المشاركة في تصوير مظاهر التعليم في نجران حيث يقيم هنالك.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) الإعراب هنا على القطع.

المحتـذون بحـذو قـرن خَـيِّـر ... مـا إن يرى فـيـهم إذًا مـسـتـبـدع

وطويت شـبـهـة زايغ مـتـورِّط ... لما أتى البـرهان هذا[1] المصـقـع

ولقـد قلتْني عُـصْـبَـةٌ زيدية ... ربي وقـاني كـشـحـهم لا أُصـرع[2]

ويتحقق من هذه الأبيات أثر الدعوة السلفية في الشعر اليمني حين أبدى هذا الشاعر ميله نحو هذه الدعوة ورجالها، وحاول أن يبدي المبررات التي دعته إلى الإقبال عليها حين بسط الحديث عن حاله قبل الميل إليها والإعجاب بها. ولعل مثل هذه النصوص الشعرية تشير إلى مدى وضوح الاتجاه السلفي في مجال الشعر اليمني الذي أضحى سبيلا لبسط الأفكار المختلفة التي يريد أن يعبر عنها الشعراء تجاه آمالهم وتطلعاتهم المختلفة، وما يرونه مناسبًا لواقعهم الاجتماعي والديني.

وإذا كان ابن صوفان قد أبان عن ميله المذهبي، وتأييده السلفي، فإنه كذلك قد شارك الأهلين في هذه البلاد الآلام، حينما كانوا يفجعون في ولاة أمورهم، إذ أنشأ قصيدة يرثي فيها الملك فيصل بن عبد العزيز. ومنها قوله:

زار دمع العين أكناف المحاجـر ... وتحـرَّى[3] الحُـزنُ منا كلَّ صـابر

ورمـانا بهـمـوم هيَّـجت ... صـاغـرا أشـجـانهـا منا وكـابر

سلب النوم فـصـرنا سـهـدا ... وتفـرقنا فـمـا تَلْقَى[4] مناظر

وأتى الكرب سـريعـا نحـونا ... وتذكـرنا لـهـول لا يغـادر

---

(١) في الأصل « هذي ».

(٢) توجد هذه القصيدة لدى الشاعر، وهي جملة أبيات وجَّهها إلى الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٣) في الأصل « تحرا ».

(٤) في الأصل «تلقا».

ولكم أنهت حبيبا حاذقا ... ولبيبا كان من أهل البصائر[1]
وفخيما في الورى من معشر ... عاش في أوساطهم ناه وآمر
كيف يا إخوان حال[2] إذ أتى[3] ... هادم اللذات سعيا كالمغامر
يأخذ الأرواح من أجسادنا ... يأخذ الكبار منا والأصاغر
كل يوم تلتقي أسماعُنا ... ناعيا يدعو خطابا من محاضِر[4]
ونذيرا ناعيا في ثلَّة ... عبرت ركبانها فلك المخاطر
تركوا الدُّنيا وماتوا فجأة ... هل يراهم بعد حتف الموت ناظر
إن فقدنا صلة من فيصل ... وصفاء ووفاء ومفاخر
أو بكيناه بدمع ودم ... فَلمَ؟ والكلُّ فيما صار صاير
نسأل الله يرينا رحمة ... فِي ثرى[5] فيصلنا ذاك المثابر[6]

والحق أن النغم الحزين الذي أظهره الشاعر في مقدمة قصيدته هذه يوحي بصدق التعبير وقوة العاطفة التي يصدر عنها، إلى جانب حسن القافية المقيدة التي تعمدها الشاعر، رغم ضعف الدلالة اللغوية في بعض الأحيان التي كان لا يحسن الشاعر استخدامها، ولعل ما يزيد هذه الأبيات حسنا أنها تنم عن رؤية تأملية أوجدتها طبيعة التكوين النفسي عند هذا الشاعر، وبخاصة وهو مقيم خارج بلاده لم يخرجه سوى البغض المذهبي، والظروف السياسية[7].

(١) قال الشاعر في مطلع قصيدته هذه بأن « هذا من الشعر المقيد يوقف على آخر القوافي ». القصيدة نفسها.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) في الأصل « أتا ».
(٤) في الأصل « محاظر ».
(٥) في الأصل « ثرا ».
(٦) توجد هذه القصيدة لدى الشاعر، بنجران.
(٧) ورد في ذكر نسبه في إحدى أوراقه قوله: علي بن عبد الله بن أحمد بن حسن صوفان الكحلاني ثم البرطي ثم النجدي إن شاء الله.

ولم يكن ابن صوفان وحده الذي عبر عن أحاسيسه في هذه القصيدة، وإنما أشبهه في ذلك العزي المصوعي (١٣٤٥هـ- . . .) أحد شعراء اليمن المعاصرين حين قال في هذا المجال:

عَمَّ الأسى شرقا وغربا ... وازداد قلبُ الكون كربا
وهفت من الحرمين أفئدة ... تكاد تذوب رعبا
ما صك مسمعها وأفقدها ... الشعور شق قلبا
لأشد من قصف الرعود ... ومن صروف الدهر حربا
صوت نعى ملك البلاد ... وفيصلاً للحق عضبا[1]

وجملة القول: إن الأثر السلفي الذي وُجد في شعر اليمن خلال هذه الفترة، يشبه - إلى حد كبير - الأثر الذي وُجد في شعر المخلاف السليماني، من حيث الاتجاه الجزئي الذي مثله هذا الشعر، إذ لم يكن شاملا مثلما حصل في شعر رجال ألمع وعسير، وإنما هو يساير أمثاله من الاتجاهات المعروفة في الشعر اليمني، ولكنه يُعَدّ من أقواها نتيجة لاتساع تأثيره وقوة أثره، وما أحدثه من المعارضة التي تُعَدّ دون شك من آثار الدعوة السلفية في ميدان الأدب.

(١) ألحان الشاطي، ص ١٠٧.

الفصل الخامس

موقف الشعراء بهذه الأنحاء من هذه الدعوة

يدرك الباحث في شعر جنوبي الجزيرة العربية تفاوت مواقف الشعراء تجاه هذه الدعوة السلفية، فقد كانوا - فيما يبدو - يصدرون في آرائهم حولها عن روح مذهبية أو سياسية، وربما كان هوى بعض الشعراء ناجما عن ميول شخصية مستقلة، ولكن هذا الحال - في الغالب - قلما يبرز لدى أولئك الشعراء، فالواقع أن وجهات النظر لدى الشعراء بعامة تأتي مرهونة بالهوى السياسي أو المذهبي، إذ تكاد تلك المواقف تنحصر في هذا الجانب، رغم تفاوت اليقظة الشعرية بتلك الأنحاء، ولعل هذه الاتجاهات تبرز من تتبع آثارها في هذا النتاج الشعري، وذلك في البيئات الشعرية المختلفة بهذا الجزء من جزيرة العرب.

والحق أن شعراء عسير ورجال ألمع يمثلون اتجاه التأييد في شعر بلدانهم إزاء هذه الدعوة الإصلاحية على حين تأتي بلدان اليمن والمخلاف السليماني شاملة لاتجاهي التأييد والمعارضة، إلى جانب أن بعض الشعراء قد صدروا في مواقفهم الشعرية عن ميول شخصية، وبخاصة قبيل المعارضات السياسية والوقائع الحربية[1]، ولعل تفاوت الشعراء في مواقفهم الشعرية يشير إلى أثر الدعوة السلفية في إذكاء الروح الأدبية بتلك الأنحاء، فالحق أن هذه الاختلافات في وجهات النظر قد أثْرَتْ الواقع الأدبي وزادت في نتاجه، وبخاصة أن هذه الأنحاء لم تشهد في القرون القريبة الماضية مثيلا لهذه الحركة

---

(١) من أمثال: محمد بن إسماعيل الأمير، ومحمد بن علي الشوكاني، وشعراء آل بكري برجال ألمع، ومن سلك منهجهم من شعراء جنوبي الجزيرة العربية.

الشعرية، وأنها في هذا المجال تتميز بأن الشعراء الذين أظهروا مواقفهم من خلال شعرهم يعدون من الشعراء البارزين في بلدانهم، وبخاصة في ميدان المعارضة.

وإذا كانت بلاد عسير قد أيدت هذه الدعوة ونصرتها، فإنما يشير ذلك إلى التأييد السياسي الذي برز بوضوح خلال القرن الثالث عشر الهجري وما بعده، وإن وُجد شيء من النتاج الشعري في هذا الميدان، فإنما هو كذلك يمثل موقف التأييد. وقد تبين من دراسة أثر الدعوة السلفية في شعر عسير أن معظم النماذج التي وُجدت تمثل ذلك الجانب، وأنها على قلتها تصدر عن دافع سلفي واضح، ولعل شعراء رجال ألمع من الحفظيين وغيرهم؛ كانوا هم الذين يمثلون في شعرهم الوضع السياسي في عسير بحكم اتصالهم بالأمراء العسيريين عندئذ. وذلك ما يمكن دراسته مستقلاً في مواقف الشعراء برجال ألمع تجاه هذه الدعوة السلفية. ورغم ذلك فإن المتتبع لمواقف الشعراء في عسير، يجد أن بعض الشعراء العاميين كانوا يصدرون في شعرهم عن بعض ملامح المعارضة، تجاه بعض القبائل التي كانت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري تقوم بنشر الدعوة في تلك الأنحاء. وكانت تلك المواقف تصدر إزاء بعض الأوضاع السياسية القبلية[1].

والحق أن الشعر الفصيح الذي واكب أحداث الدعوة في عسير، يعد ممثلاً لمواقف الشعراء تجاه هذه الدعوة الإصلاحية، فقد برز في مضامينه ومعانيه التأييد الواضح لمبادئها، واتضح أن اتجاهاته تمثل انتصار العسيريين على أعداء الدعوة[2] نفسها، إلى جانب أنه يصوِّر الحنين إلى الأوطان حين كان قائلوه

(١) درج على ألسنة الناس بعض الأبيات الشعرية العامية التي تصور مراحل انتشار الدعوة السلفية في عهدها الأول، وذلك تجاه القبائل نفسها، وبخاصة [illegible] منها نصرة الدعوة وتأييدها.

(٢) انظر - على سبيل المثال - قصيدة عبد الله بن [illegible]حمد النعمي، وغيرها مما ورد في شعر عسير في هذا البحث.

الشعراء ينفون من ديارهم بدافع من الترك أعداء الدعوة الألداء، ناهيك عما يقاسيه أولئك الشعراء الذين وقفوا موقفًا ثابتًا تجاه أعداء الدعوة ومناوئيها، ولذلك يبرز الهدف الذي من أجله نشأ هذا العداء تجاه مناوئي الدعوة وأعدائها. ويتحقق ذلك في قول محمد بن أحمد المتحمي، وهو يشير إلى أيامه في عسير في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فقد قال المتحمي:

وآمر بالتَّقوى وانهى عن الرَّدى   وأحمي حمى التوحيد عن كلِّ غاشم[١]

وقد كان هذا الأمير كذلك، إذ ظل فترة إمارته وفيًا لهذه الدعوة السلفية قائماً بنشرها والدفاع عنها، ولكن أعداءها الترك تربصوا به حتى أسروه وقتلوه بعد محاولات كثيرة يائسة[٢].

ويبدو أن التأييد المبكر الذي عرف به أمراء عسير، تجاه هذه الدعوة قد سبق نشاط الشعر ونتاجه، إذ لم يعد الشعراء العسيريون يظهرون مواقفهم المؤيدة تجاه هذه الدعوة فيما بعد، فقد غدت عندئذ منهجهم السلفي الذي يذودون عنه ويناضلون في سبيله، إلى جانب أنه لم يكن هناك تيارات فكرية، أو اتجاهات دينية تحض الشعراء على الدفاع عنها، إنما هي تختلف عن غيرها من البلدان المجاورة لها في جنوبي الجزيرة العربية، وهذا ما صرف الشعراء حينذاك عن الخوض في جوانب المعارضة أو التأييد، وما يمكن أن يقال في هذا الشأن: إن جميع الشعر الذي وُجد بعسير في هذا الميدان يمثل موقف التأييد بأجمعه رغم قلته وضعفه.

ويوافق هذا الاتجاه موقف عبد الله بن علي بن حميد، حين مدح دعاة

---

(١) عبد الله بن علي بن حميد، كتابه السابق، ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.

هذه الدعوة الإصلاحية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، إذ قال:

عبد العزيز الذي زادت به شرفا	كل الجزيرة حضار وباديها
وقبله الصيد من آل السعود هم	كالشهب ما ضل في الظلماء ساريها
يا حامي الدين والبيت العتيق ومن	أقام جامعة الإسلام يعليها
في طيبة المصطفى تحيا مآثره	وسنة المصطفى مستمسكا فيها
هذي تحية أبناء الجنوب لكم	قبائل وشعوب لست أحصيها
من المشارف[1] من أرض التهائم من	مضارب البدو من أبها وأهليها
كتائب حين تدعوها ملبية	معامع الحرب من أغلى أمانيها[2]

ولئن كان الشعراء في عسير قد وافقوا أمر هذه الدعوة، وأحسوا بوضع بلادهم المناسب بعد ظهورها، فإن نتاجهم الشعري في موكب الدعوة السلفية نفسها يمثل مواقفهم تجاهها، ويدلل على إحساسهم بالسبق لنصرتها، إذ هم بذلك يشبهون الشعراء في نجد الذين شُغلوا بتصوير أحداث الدعوة ونشاطها.

ويشبه الشعراء في رجال ألمع إخوانهم الشعراء في عسير من حيث التأييد والمناصرة، ولكنهم يختلفون عنهم في إظهار المواقف المؤيدة في شعرهم، وذلك لأنهم كانوا من قبل ظهور هذه الدعوة الإصلاحية يخالفون نهجها السلفي، كما دل على ذلك شعرهم، من حيث وفرة الاتجاهات الدينية، ووجود بعض الشطحات المختلفة، إلى جانب غياب الوضع السياسي الذي يمكن أن يُركن إليه في تنفيذ الأحكام الشرعية، ورفع مكانة العلماء العلمية؛ مما دعا

(١) أراد بالمشارف جبال السروات.

(٢) توجد هذه القصيدة الخطية لدى محمد بن عبد الله الحميد، وقد نشرت هذه القصيدة في كتاب " أديب من عسير "، جمع محمد بن عبد الله الحميد، ولكنه شابها كثير من التحريف، عما وجد في الأصل، ولعل ذلك تنقيح من الناظم نفسه.

شعراء رجال ألمع إلى الإقبال على هذه الدعوة عند ظهورها، والتصريح بالتأييد لها في شعرهم وإيضاح مواقفهم نحو دعاتها[1]. ويمكن تتبع هذه المواقف الظاهرة من خلال نتاج بعض شعراء رجال ألمع المشهورين. ومنهم أحمد بن عبد القادر الحفظي الذي يقول في وصف نهج أصحاب الدعوة السلفية:

عقائدهم سنية أجمع الملا ... عليها خصوصا تابعا وصحابيا
وأسلمها عقدًا وأعملها هدى ... وأحكمها فاشدد عليها الأياديا
صرائح قرآن نصوص صريحة ... ومن ردَّها دارت عليه الدَّواهيا[2]

ويُظهر ودَّه من بعد ذلك نحو دعاتها فيقول:

وإن كنت في وادي رُجَال[3] فإنني ... أجالسكم بالرُّوح في كل آنيا
وإني لمن ولاه ربي مناصح ... محب له في ذاته وموالِيا[4]

وإذا كان أحمد بن عبد القادر الحفظي قد صرح بموقفه تجاه هذه الدعوة فإن ولده محمد بن أحمد الحفظي كان كذلك يظهر تأييده لدعاتها، ويدلل على موقفه نحو دعوتهم بما يشير إلى نصرته لها. ومن قوله يخاطب الإمام سعود ابن عبد العزيز وأباه:

وقل لهما: إني محبٌّ متيم ... ملبٍّ لدعواهم مقر بلا[5] نكر

---

(١) يلاحظ في مقدمات قصائدهم قول محرريها: «حين ظهرت الدعوة النجدية»، «قبل الدعوة النجدية»، وما إلى ذلك من العبارات التي تشير إلى مدى تحول الشعراء عندئذ، وإقبالهم على هذه الدعوة.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٣٠، وقد أطلق الشاعر قافيته في جميع الأبيات.

(٣) من بلدان رجال ألمع.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٥) في مجموعة أشعار الحفظي «بلى»، ورقة ٧.

مـعين على بعـد الدِّيار بطاقـتي على دعـوة التـوحـيـد للـواحـد الوتر
وإن حـال مـا بيني ومـا بينك النوى فأرواحنا في الغيب نحوكم تسري[1]

ويشير محمد بن أحمد الحفظي إلى مبادرته بقبول الدعوة، فيقول:

ولنا بحـمـد الله سـبقُ إجـابة من غـيـر ردٍّ قـبلهـا ومطال[2]

ويزداد موقف الشيخ محمد بن أحمد الحفظي وضوحًا، حينما كان يكاتب أشراف تهامة وأئمة اليمن من أجل قبول هذه الدعوة ونصرتها، فقد كان في تلك القصائد التي يبعثها يدلل على موقفه تجاهها بما يظهر في شعره من الأدلة المؤيدة والأقوال الموافقة. ومن هذا النهج قوله موضحًا حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قصيدته التي بعث بها إلى أشراف المخلاف السليماني وعلمائه:

ولقد أصاب[3] فكم أزال شنائعًا وبدائعـا وصنائعـا لم تُقْـبَل
أو كـان ظنا أن فـيـه غـلاظة وفظاظة[4] وشكاسة[5]لم تُحْـمَل
فـأقـول: حـاشـا إن فـيـه ليـونة وهيـونَة[6] للمـقـبل المسـتـقـبل
لا يطلب الأمـوال من خـزانهـا أو يقـتـل[7] الأبطال إن لم تبطل

(١) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٧، وانظر: نفحات من عسير، ص ٦٤. وقد سقط من صدر البيت الثالث لفظ «وما» الذي به يستقيم الوزن.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٣.
(٣) كذا في الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠. وفي نفحات من عسر: «أضاء»، ص ٥٩.
(٤) كذا في الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠. وفي نفحات من عسير ص ٥٩: «فضاضة». وهو خطأ.
(٥) في نفحات من عسير: «شكاية». ص ٥٩.
(٦) في نفحات من عسير: «بشاشة». ص ٥٩، ولعله الصواب.
(٧) كذا في مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٢، وفي الديباج الخسرواني: «ينفل».

أو ينزع الملك المولى أوله ... غرض بمذهب آخر عن أول
بل قصده التوحيد في أقوالنا[١] ... ثم اتباع للنبي المرسل
هذان[٢] ليس سواهما مقصوده ... فعلام يَنْفِرُ كل ندب أفضل؟[٣]

وقد ورد في منظومته التي بعث بها إلى إمام اليمن أحمد المتوكل ما يدل على تأييده لهذه الدعوة، وبخاصة حينما أنشأ تلك المنظومة جوابا على رسالة وصلته من إمام اليمن نفسه، ومما وصف به دعاة الدعوة الإصلاحية في تلك المنظومة قوله:

مجدِّدين سبل السَّلام ... متَّبعين سيد الأنام
يدعون للتوحيد والتفريد ... وتركنا الإشراكَ والتنديد
يجاهدون[٤] بالنفوس والمهج ... على صراط مستقيم لا عِوَج[٥]

ويظهر موقف محمد بن أحمد الحفظي كذلك في أراجيزه الشعرية الأخرى مثل قوله:

وقد أجبت ذلك المنادي ... صرحت بالتوحيد وسط النادي
من غير إبطاء ولا استنكاف ... بل باعتراف كان باقتراف
ثم بعثت لهمُ نظامي ... مبايعا لذلك الإمام

---

(١) كذا في الديباج الخسرواني، وفي مجموعة أشعار الحفظي: « أفعالنا »، ورقة ١٢.
(٢) كذا في مجموعة أشعار الحفظي، وفي الديباج الخسرواني: « وهذان »، ورقة ٢١.
(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠، ٢١. انظر كذلك مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٢، ونفحات من عسير، ص ٥٩.
(٤) كذا في ديوان الروض المرضي، ورقة ٢٢٠، وفي نفحات من عسير: « مجاهدين »، ص ٨٧.
(٥) ديوان الروض المرضي في شعر آل الحفظي، ورقة ٢٢٠. انظر: نفحات من عسير، ص ٨٧. وفي عجز البيت الثاني إقواء، إلا إذا سُكِّنت القافية، والتحريك أوقع.

وتابعا مشايخ الدرعية في رفض المسائل البدعية[1]

ومن النصوص السابقة يتبين موقف محمد بن أحمد الحفظي من هذه الدعوة السلفية، وأنه يُعَدّ بهذا من أبرز أنصارها الشعراء في رجال ألمع، فقد وصفه محمد محمد زبارة بأنه لما ظهرت هذه الدعوة الإصلاحية كان « ممن مال إليها، وحث الناس على إجابتها »[2]. وذلك - دون شك - يشير إلى وضوح التأييد لدى هذا الشاعر في شعره وفي أقواله.

وإذا كان قد تبين موقف شعراء رجال ألمع من هذه الدعوة السلفية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ فإن بقية الشعراء بتلك الأنحاء قد ظلُّوا على تأييدهم ومواقفهم المعروفة، ولكنهم لم يكونوا بتلك الصورة البارزة لدى من سبقهم من الشعراء البكريين الأُول، ولعل ذلك يعود إلى العهد الذي عاشوا فيه مقتفين لآثار الدعوة ومبادئها، دون المعاصرة والمزامنة، إلى جانب قلة الشعر الذي بين أيدينا الآن لنفر من أولئك الشعراء. ومهما يكن من أمر فإن شعراء رجال ألمع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري يُعَدُّون ممن أسهم إسهاما واضحا في نصرة الدعوة وتأييدها، وذلك يتضح من مواقفهم نحوها. ومن أولئك الشعراء علي بن الحسين بن عبد الهادي (١٢١٧ - ١٢٧٥هـ) الذي دلل على موقفه بقوله يتشوق إلى ساكني الدرعية من أبنائها السلفيين، وإلى نازليها الراحلين من دعاة الدعوة وأصحابها:

ويا قافلا، إما ثنيت زمامها وأقبلت ما استدبرته للتوعُّد
ولاح سُهَيْلٌ ضاحكا لك ثغره وقد لمحته عينها مغلق الغد

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي (جامع)، كتابه السابق، ص ١٤٤.

(٢) نيل الوطر، ج ٢، ص ٢٢٥.

فسلِّم على الأحباب تسليم موجد ولا تنس جيران البُجيْر [1] بألْحُدِ[2]

ولا غرابة في موقف علي بن الحسين، فهو من غراس الدعوة[3]، وممن تعلَّم في الدرعية[4].

ويبرز مثل هذا الموقف لدى أحمد بن عبد الخالق الحفظي (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ) الذي صور في مقدمة إحدى قصائده حاله، وتأييده لهذه الدعوة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وقد منَّ الله عليه بالعودة من النفي إلى وطنه بعد غياب دام ست سنوات، فقال:

الله أكـــــبـــــر هذا أعظم المنن أن عدت أرضي بُعَيد الأسر والمحن

وزرت نجدا دعاة الدين فيه هم ولاة أمري وأهل الفضل والمنن[5]

ويتحقق من البيت الثاني استمرار التأييد السلفي لهذه الدعوة الإصلاحية لدى شعراء رجال ألمع في وقت متأخر من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك ما يسم أولئك الشعراء بالمحافظة على مواقفهم تجاه هذه الدعوة، وأنهم يعدون من دعاتها، وربما لا يتحقق مثل هذا الموقف لدى شعراء اليمن والمخلاف السليماني في تلك الفترة المتأخرة.

ويمكن أن توصف مواقف الشعراء برجال ألمع في الثلث الأول من القرن

---

(١) البجيري: «محلة من محلات الدرعية»، كما قال جامع نفحات من عسير، ص ١٢٩، «وهي منازل الدرعية الشرقية على ضفاف الوادي، وفيها أبناء الشيخ، وكان فيه مسجد كبير، إمامه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب». انظر ذلك في عنوان المجد، لابن بشر، ج ١، ص ٣٠٠.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٩.

(٣) محمد بن سعد بن حسين، كتابه السابق، ص ٢٥٥.

(٤) سليمان بن سحمان، تتمة تاريخ نجد للآلوسي، ص ١٢٥.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٨٦.

الرابع عشر الهجري، بأنها تتسم بالفتور؛ وذلك نتيجة لضعف الاتصال السلفي الذي اعتاده أسلافهم من قبل، ولما شهدته بلادهم من الاختلافات السياسية والمذهبية، إلى جانب الضعف الذي أصاب الشعر، وجعل أصحابه يفضِّلون العزلة والاستقرار، وإن تهيأت لهم أسباب الرحلة خارج بلدتهم رجال ألمع فالترك في عسير قبلتهم[1]، مثلما تستهويهم أخبار الإدريسي في تهامة[2]، مما أضعف روح السلفية في شعر رجال ألمع عما عرف فيها من قبل، ولعل ما يمكن عدُّه من مواقف التأييد في شعر رجال ألمع ذلك النتاج الشعري المحدود الذي وُجد لدى نفر من شعراء رجال ألمع المتأخرين في العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري، من أمثال: إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي (١٣٠٥ - ١٣٧٢هـ) الذي دلل بشعره على بعض مواقفه، إزاء هذه الدعوة ودعاتها في معارضاته المحدودة التي أنشأها مع بعض شعراء اليمن في سنة ١٣٥٤هـ[3] وما بعدها، ولكنها كانت ضعيفة لا ترقى إلى شعر أسلافه الحفظيين من قبل.

ولئن كان التأييد السلفي قد برز بوضوح في شعر رجال ألمع وعسير؛ فإن المعارضة تكاد تعم معظم النتاج الشعري بالمخلاف السليماني، وبخاصة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري. ومع ذلك انقسمت تلك المعارضة قسمين: قسم يؤيد مبادئ الدعوة نفسها ويوافق أصحابها في نجد، ولكنه يرفض الأفعال التي يصدرعنها أمراء الدعوة في تهامة وعسير، والقسم الآخر

(١) يبدو من مطالعة تراث علماء آل الحفظي في هذاالعهد وجود شيء من مكاتباتهم مع بعض عمال التُّرك في أبها حول بعض القضايا الصوفية.

(٢) من الواضح أن أخبار الإدريسي في أول عهده قد استهوت أحد علماء الحفظي في هذا العهد، ودفعته إلى التأريخ لدعوته في رسالة مختصرة. وأن هذا الرسالة التي أنشئت في شأنه قد دعت كثيرا من الأهلين إلى مكاتبة مؤلفاتها من أجل استنساخها والنظر فيها.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٧.

يرفض الدعوة نفسها، ويرى فيها خروجًا على المذاهب الدينية السائدة عندئذ في المخلاف السليماني، ورغم الصراعات الفكرية التي نشأت حول هذين القسمين؛ فإن الخلافات التي وُجدت بسببها حينذاك لم تلبث أن زالت حين قبلت مدن المخلاف السليماني أمر هذه الدعوة الإصلاحية.

ولعل ما يمثل القسم الأول من هذه المعارضة القصائد التي أنشأها بعض علماء المخلاف السليماني[1]، حين بلغتهم قصيدة محمد بن أحمد الحفظي التي يستحثهم فيها على قبول الدعوة وتأييدها[2]، والواقع أن قصائد أولئك الشعراء تصدر عن رأي موحَّد تمثله قصيدة الحسن بن خالد الحازمي التي نقض بها قصيدة الحفظي السابقة، وأنكر على أمراء الدعوة السلفيين عندئذ بعض أفعالهم، وأبان فيها عن موقف أشراف المخلاف السليماني حينئذ وعلمائه بعامة، ومما قاله فيها:

أما الرسالات التي تأتي من الدَّا	عي فأمر ما به من مَدْخَلِ
يدعو[3] إلى التوحيد ثم لوازم	ثبتت له[4] والحق منهجه جلي
ولزوم سنة أحمد بأصولها	وفروعها لم تخف عن متأمِّل
قسما لقد سُرَّ الفؤاد بما حوت	وشُفي بنور منارها المتهلل
لكنها جاءت بأيدي عُصْبَةٍ	عملوا بضدٍّ مفصل مع مُجْمل[5]

وبعد ما بسط الحازمي اعتراضه على أولئك الأمراء الذين ذكرهم في قصيدته، برأ ساحة دعاة الدعوة في نجد من أفعال القائمين عليها في بلاده،

(١) أمثال: الحسن بن خالد الحازمي، وعبد الرحمن بن الحسن البهكلي، وأحمد بن حسن البهكلي.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٠٥.

(٣) كذا في الديباج الخسرواني، وعقود الدرر، وفي نفحات من عسير: «تدعو»، ص ٦٠.

(٤) كذا في عقود الدرر، وفي نفحات من عسير: «بنيت له»، ص ٦٠.

(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٢، عقود الدرر، ورقة ١٠٥. وانظر كذلك نفحات من عسير، ص ٦٠.

وأخذ يكرر استحسانه للدعوة نفسها، ويخبر في قصيدته هذه أن الرأي الذي صدر عنه فيها يمثل رأي الأشراف والقضاة والأهلين بالمخلاف السليماني، حيث قال:

تالله[1] ما في القلب إنكارٌ لما ... يدعو إلى التوحيد للمتنزل

أو مرشد يدعو لسنة أحمد ... في الناس ينشرها بغير تبدل

الله يعلم أنه لو كان ذا[2] ... كنَّا نسارع نحوه بتعجل

فخذ الجواب لسان حال شامل ... عن كلِّ أشراف البلاد الكُمَّل

وعن القضاة[3] وسائر الأقوام من ... كلّ الورى ومسبح ومهلِّلِ[4]

ومن هذه الأبيات يتضح موقف أغلب العلماء بالمخلاف السليماني، وأن اعتراضهم قد نشأ بسبب أفعال بعض أمراء الدعوة في تلك الأنحاء. وقد قرر الحازمي أن ما ذكره في قصيدته من الاعتراضات يوافق آراء جملة من علماء وقته وأشرافهم، ويبدو أن هذه القصيدة قد حظيت بعناية المؤرخين واهتمامهم[5]، بل إنها لقيت من الشهرة والذكر ما لم يتحقق لغيرها من القصائد المناقضة الأخرى[6]، ولعل خير ما أوجدته هذه القصيدة من أثر أنها أذكت روح النشاط الأدبي، وساعدت على يقظته في هذه الفترة المتقدمة من القرن الثالث عشر الهجري.

---

(١) كذا في الديباج الخسرواني، وفي عقود الدرر، ونفحات من عسير: «بالله»، ص ٦٢.

(٢) كذا في الديباج الخسرواني، وفي عقود الدرر، وفي نفحات من عسير: «أننا بارادة»، ص ٦٢.

(٣) في الأصل «القضات».

(٤) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٤، وعقود الدرر، ورقة ١٠٦. وفي نفحات من عسير: «كل مكبر ومهلل»، ص ٦٢.

(٥) انظر: الديباج الخسرواني لعاكش، ورقة ٢١.

(٦) انظر: عقود الدرر لعاكش، ورقة ١٠٥.

أما القسم الثاني من هذه المعارضة التي يمثلها نفر من شعراء المخلاف السليماني، فقد اتسم بالميل المذهبي واتصف بالشطط والغلو، ولعل من أبرز ما قيل في هذا الجانب قصيدة محسن بن علي الحازمي (. . . - ١٢٢٩هـ) المطولة التي أنشدها في رحلته إلى بلاد اليمن في ثلاثة مجالس أدبية متفاوتة، ومنها قوله:

وصار مَذْهَبُ أهل البيت مندرسا ... وفي عقيدتهم ليسوا بناجينا
وغيروا في النِّدا من قطع حيَّ على ... واستبدلوا بعده ضما وتأمينا
يا أيها الناس كونوا مقتفين بنا ... ومثلنا هكذا كونوا مصلِّينا
لا تجهروا باسم بارينا كأنهم ... تحققوا الجَرْحَ في خير الوصيينا
وأن أولاده من بعده جهلوا ... فما لهم في عرى الإسلام تمكينا
فليحذفوا ذكرهم في كلٍّ واجبة ... عند التَّشهُّد إذ ليسوا بمخطينا[1]

ويدرك الناظر في هذه الأبيات أنَّ وجه الخلاف فيها يدور حول فروق مذهبية واضحة يعلمها العلماء ويدركونها، وقد ألف في شأنها الشيخ محمد ابن إسماعيل الأمير رسالة سماها: « المسائل المرضيَّة في اتفاق السنية والزيدية »[2]. وقد عالج فيها معظم هذه الفروق، وقرر في نهايتها فوارق المذهب الزيدي في أربعة أبيات[3]، وهي في الفروع (الفقه فقط). أما مسائل

---

(١) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٤. وفي الأبيات إقواء.

(٢) مخطوطة، توجد نسخة منها لدى الباحث، ورغم إنصاف الأمير الصنعاني في توضيح المذهب الزيدي، إلا أنه لقي من معاصريه الزيود معارضة شديدة كان نتاجها عددا من المؤلفات والردود المختلفة.

(٣) يقول الأمير الصنعاني:

« لا عذر للزيدي في تركه ... للرفع والضم وإحرامه
مكبراً قبل الدعا إنه ... مذهب زيد عند إعلامه
وقول آمين له مذهب ... قال بذا عارف أحكامه
فاعمل به إن كنت من حزبه ... واطَّرح اللوم لِلُوَّامِه »

ورقة ٨.

العقيدة فلا اتفاق، إذ إنّ مذهب الزيدية في أصول الدين مخالف لما عليه أهل السنة. وإلى جانب ذلك أشار الشاعر إلى الجهر بالبسملة، وأن ذلك ما نهى عنه السلفيون. ولا أرى ذلك صحيحًا، وإنما الحنابلة في مذهبهم يسرون الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية، على حين أن الشافعيين يجهرون بها، وهم عندئذ يشكلون معظم سكان تهامة في تلك الفترة، فلعل الشاعر استغل هذا الفارق المذهبي، وجعله من علامات معارضته. وقد كان هذا الشاعر جائراً حينما أبدى في قصيدته جفاء السلفيين لآل البيت رضوان الله عليهم، فالحق أنهم يجلونهم ويقدِّرونهم، وليس أدل على ذلك من قول الشيخ عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب بأن ذلك لا وجه له من الصحة[1]، وقوله: إن « من شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا؛ علم قطعًا أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين وإخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى »[2].

وكان هذا العالم يضيف إلى ذلك قوله: « سبحانك هذا بهتان عظيم! »[3].

ولم يكتف محسن بن علي الحازمي بتلك المعارضة التي أبداها في أبياته السابقة، وإنما أنشأ أبياتا أخرى ضمنها أموراً زعم أنها صدرت من قبل أمراء الدعوة في تلك الأنحاء، ومنها قوله:

سبي النِّساء وقتل المسلمين معا	وأخذ أموال من كانوا مزكِّينا
وبغض أهل الكِسَا طرا وخامسها	من لم يُطعه كفور قد نفى الدِّينا

(١) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي (جامع)، كتابه السابق، مج ١، ص ١١٤.
(٢) المصدر نفسه، مج ١، ص ١١٤.
(٣) المصدر نفسه، مج ١، ص ١١٤.

حتى يقيمَ له عهدا وسادسها ذُلُّ الأعزاء وإعزاز الأذلِّينا
والآيتان التي[1] بالنص أذكرها حلق الرؤوس، وتكسير الغلايينا[2]

والحق أن هذه الأمور التي ادعاها الشاعر باطلة لم يقرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولا بنوه من بعده، ولا عبرة بغلو بعض الأمراء الذين قاموا بالدعوة في تلك الأجزاء من جزيرة العرب. ثم إن هذه الأمور المفتراة لم تكن بخافية على دعاة هذه الدعوة السلفية في نجد حينذاك، فقد ذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تلك الأمور في قوله: « ومما نحن عليه أنا لا نرى سبي العرب، ولم نفعله . . . ، ولا نرى قتل النساء والصبيان. وأما ما يكذب علينا سترًا للحق وتلبيسا على الخلق، بأنَّا نفسر القرآن برأينا[3] . . . ، وأنا نضع من رتبه نبينا محمد ﷺ . . . ، وأنا نكفر الناس على الإطلاق . . . ، [و] أنا لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركًا . . . ، فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا مَنْ ذُكرَ أولا، كان جوابنا في كل مسألة من ذلك: سبحانك هذا بهتان عظيم!، فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب وافترى »[4].

والواقع أن هذه القصيدة لم تسلم من البذاءة في القول والسخرية في المعاني[5]، إذ يبدو على أفكارها التعصب والهوى، ورغم ذلك لم تكن بقدر

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٥. « الغلايين »: أداة التنباك التي بها يستهلك، وفي البيت الأخير إقواء.
(٣) فقد أشار إلى ذلك الحازمي، حين زعم بأنهم:
يفسرون كلام الله عن عرض جهلا وما قرؤوا من حرفه سينا
(٤) عبد الرحمن بن قاسم العاصمي (جامع)، كتابه السابق، مج ١، ص ١١٣ - ١١٤.
(٥) انظر: درر نحور العين، ورقة، ٣٢٤ - ٣٢٥.

قصيدة الحسن بن خالد الحازمي السابقة من حيث قيمتها الفكرية وصياغتها الفنية، إلى جانب خمول ذكرها، فقد أصبح المخلاف السليماني من البلاد التي غشيها المد السياسي لهذه الدعوة السلفية، حيث لم تغن هذه المعارضة شيئاً، سوى إطفاء الحقد الذي كان يظهره هذا الشاعر في رحلته المذكورة السابقة.

وإذا كان دافع المعارضة قد اتضح في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري لدى نفر من شعراء المخلاف السليماني؛ فإن هذا الموقف من قبل أولئك الشعراء قد قل وضعف تياره منذ قبلت تلك الأنحاء أمر هذه الدعوة، إذ لم يَعُدْ يتجلى في نتاج الشعراء في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري شيء من المعارضة والخلاف، وإنما أمسك الشعراء عن الخوض في مثل تلك الأمور. ولعل السبب في ذلك يعود إلى الحال السياسي الذي أضحى عليه الأشراف عندئذ، وما كان يمثله الوزير الحسن بن خالد الحازمي عندئذ من تأييد لهذه الدعوة وإقبال عليها. وربما عُدَّت مشاركة الشعراء في ميدان الدعوة السلفية بتلك الأنحاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري؛ من المواقف المؤيدة التي يمكن أن يقال عنها: إنها نشأت بدافع سلفي، فالواقع أن هنالك ومضات شعرية تستحق أن توصف بأنها تمثل وجه التأييد لدى نفر من شعراء تهامة خلال تلك الفترة(١).

والحق أن ما يمكن تقريره في شعر المخلاف السليماني تجاه هذه الدعوة السلفية؛ أن بعض نتاجه قد أضحى يصدر بروح سلفية واضحة منذ العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري. وذلك ما يُعَدّ من ملامح التأييد لدى شعراء تلك الأنحاء في هذه الفترة المتأخرة، ولعل أبرز من أيَّد هذه الدعوة في

---

(١) قد يتحقق ذلك في شعر: الحسن بن أحمد عاكش، وعلي بن عبد الرحمن النعمي، وأمثالهما من شعراء المخلاف السليماني في هذا العهد.

وقت مبكر الشاعر محمد بن علي الإدريسي (١٢٩٣ - ١٣٤١هـ) الذي أنشأ قصيدة إخوانية في مدح الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٤٠هـ، أوضح فيها ميله لهذه الدعوة واستحسانه لها، ، وقد عبر عن موقفه نحوها بقوله:

دعـــوة الحقِّ قـــد أتانا شـــذاها ... عَـــبقَ الكون تائهًـــا في جـــلاله
أنبـــأتنا بحـــال ذاك المطَلْسَم ... هل لَنا عن هجـــره بوصـــاله[١]
فبذا كـان صحبُ الرسول قديما ... زمـــرة التـــابعين هم من رجـــاله
لـيس لـي عـن ودكـم بسلـو ... فـأميطوا الحجاب عنّي لخاله[٢]
فـــمناتـي أنتـم ولاة ودادي ... ودوائي عن علتي بوصـــــاله
وتغـــاضـــوا عـــمن يقـــول بأنّا ... أهلُ شـــرك إن البـــرا عن مـقـــاله
أشـــهـــد الله أنه[٣] قـــد تعـــالى ... عن شـــريك وصـــاحب ومـثـــاله
أوحـــديٌّ في ذاته وصـــفـــاته ... أيقـــاس بخلقـــه في فـــعـــاله
جل ربي عن نســـبـــة لشـــريك ... مطلق الأمر فهو الغني[٤] بجلاله[٥]

ومما يؤكد تأييد الإدريسي لهذه الدعوة السلفية قوله في مقدمة قصيدته هذه: إن الباعث على إنشائها يعود إلى المحبة والوداد بينه وبين ممدوحه الملك عبد العزيز آل سعود[٦].

ومن الواضح أن جملة من علماء العهد الإدريسي قد أقبلوا على هذه

---

(١) هذا البيت ضعيف في وزن العجز. والمطلسم: الغامض، وهو من كلام الصوفية، يقولون: سِرٌّ مُطَلْسَمٌ، وحجاب مطلسم، وذات مطلسم. انظر المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٦٨.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في الأصل: «بأنه»، والباء زائدة في الوزن.

(٤) يجب تسكين الياء في: «غني»؛ ليستقيم وزن البيت.

(٥) عبد الله على العمودي، نبذة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٣.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٣.

الدعوة حينما أدركوا حقيقتها، وأخذوا يناقشون كثيراً من مبادئها مع نفر من القضاة النجديين الذين كانوا يفدون إلى تلك الأنحاء[1]، ولعل من أشهر علماء المخلاف السليماني إقبالاً على هذه الدعوة الشيخ عبد الله بن علي العمودي (١٢٧٨ - ١٣٩٨هـ) الذي عبر عن اتجاهه السلفي في إحدى مقطوعاته الشعرية بقوله:

حمد ربي أن قد منحنا الصَّواب ... ونشا الباطل منه[2] السَّراب

وهدى من هدى لاحقاقه الحقَّ ... رغم كل جاهل ينتاب[3]

ورغم الضعف اللفظي في تكوين هذين البيتين، يدرك الناظر فيهما الاتجاه السلفي[4] الذي ينهجه العمودي، والسبيل المذهبي الذي يسلكه من خلالهما، ولعل ما وُجد له من شعر مع رجال الدعوة في هذه الفترة المتأخرة[5] يعبر عن موقفه تجاه هذه الدعوة السلفية بوضوح.

ويتحقق موقف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي من خلال قصيدته الهمزية

---

(١) أمثال: عبد الرحمن بن عقيل، وعبد الله بن عودة وغيرهما.

(٢) كذا في الأصل. ولكي يستقيم الوزن؛ فلا بد من إضافة حرف واو قبل «منه».

(٣) معنى الترجمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ورقة ٤٢. وهذا البيت متنافر مع سابقه وزنا وبحرا.

(٤) قال عبد الله العمودي يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في معارضته لقصيدة الأمير الصنعاني الدالية المشهورة:

«كَمِثْل إمام بردَّ الله مُضْجَعًا ... بقبر له يسمو لمحمَّد في لَحْد

محمد المسمى لوهابنا الذي ... غدا في سما المجد محمدا علَى محمدَ

مجدِّدُ عصر يا له ما أجلَّه ... بعالمه الهادي فيا حبذا المهدي»

من مجاميع العمودي المخطوطة. وهذا في الواقع ليس شعرا، بل رصًا لكلام يتشاعر به قائله، واستشهدتُ به هنا استئناسًا بما فيه من ذكر وتلميح للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته.

(٥) انظر شعره ضمن مجموعة أوراق متفرقة لدى ابنه إبراهيم العمودي بأبي عريش.

التي أنشأها « في تشجيع الإسلام وأهله والتمسك بمبدئه وأصله »[1]. وقد شمل فيها « ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم »[2].
وكان حديثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضحا ينم عن موقف مؤيد، ورؤية منصفة، فقد قال:

فأتى الإمام محمد الحَبْرُ الذي ... محق الضَّلالة صارخا بدعاء
يدعو إلى دين الهدى ببصيرة ... وكمال علم كاشف لغطاء
حتى استنار وأشرق التوحيد في ... تلك العصور الخمِّل الظلماءِ[3]

ويزداد وضوح موقف التأييد لدى هذا الشاعر من خلال منظوماته[4] الوافرة التي أنشأها في هذا المجال السلفي، مما يدل على روح سلفية وشعور عميق.

ولعل ما يمكن أن يوصف به بقية شعراء المخلاف السليماني في هذا العهد السعودي الأخير؛ أنهم قد أظهروا مواقفهم المؤيدة من خلال نتاجهم الوافر الذي أنتج بدافع من تأثير هذه الصحوة الإسلامية، فقد تجلى ذلك في نشاطهم الأدبي، وفي الاتجاه السلفي الواضح الذي يعبر عن وجهات نظرهم نحو هذا المنهج القويم.

وتأتي مواقف الشعراء اليمنيين متفاوتة، ولكنها - في الغالب - تميل إلى المعارضة دون التأييد، ولعل ما يميز الشعراء في اليمن عن سواهم في بلدان

---

(١) أحمد بن حافظ الحكمي، من أعلام الجزيرة الشيخ حافظ الحكمي، مجلة اليمامة، ع ٢٤٢، س٦، ص ٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩.

جنوبي الجزيرة الأخرى أن نفراً منهم قد استجابوا لهذه الدعوة، وأيدوها في وقت مبكر من ظهورها، وأن ذلك التأييد قد استمر في الشعر اليمني حتى العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ثم أضحى دافع الميل السياسي والمذهبي سببًا في إظهار المعارضة، فقد شهدت هذه المرحلة نشاطًا حقيقيا لنشر الدعوة في تلك الأنحاء. وكان يصاحب هذا النشاط الفعلي قوة حربية؛ مما دفع شعراء اليمن إلى المشاركة بشعرهم عندئذ في إبداء آرائهم، وإظهار مواقفهم تجاه هذه الدعوة الإصلاحية، وهذا يخالف الفترة السابقة التي غلب عليها التأييد، فقد كان نشاط الدعوة السياسي من قبل يمتد نحو الحجاز والعراق، مما كان يجعل الشعراء في اليمن يشاركون في تلك الأحداث، ولكن بمشاركة محدودة لا تعبر عن آرائهم غير ما كان يغضبهم من مناوشات السلفيين التي كانت تجري مع الشيعة في العراق ونحوه؛ ولذلك يمكن أن يعد بعض شعراء اليمن من أول من نصر هذه الدعوة، وتعاطف مع دعاتها قبيل الانتشار السياسي لبسط نفوذها على تهامة وما حولها.

ويُعَدّ الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩ - ١١٨٢هـ) أول من أيد هذه الدعوة ونصرها بشعره، فقد بعث بقصيدته الدالية المشهورة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية سنة ١١٦٣هـ، مُبْديا تأييده له، ومُظْهراً سروره بهذه الدعوة ومنهجها، ومما قال معبرا عن موقفه نحوها:

لقد سرني ما جاءني من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي[1]

---

(١) ديوانه، ورقة ٥٦. هذا إلى جانب شعره الوافر الذي نلمس فيه روحه السلفية المتأثرة بهذه الدعوة ونهجها، ورغم ما افتراه عليه أعداء الدعوة من تراجعه عن تأييده لها ولصاحبها، فإن ذلك لا يمكن أن يعد من مواقف المعارضة. انظر ص ٥٤٠، ٥٤١ من هذا البحث، وانظر كذلك ص ١٣٥ من ديوانه المطبوع.

ويزداد موقف الأمير الصنعاني وضوحا، لما بلغه نشاط الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحي، وشيوع دعوته، فقال:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كلُّ جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشَّريعة هادما ... مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرُّشد(1)

والناظر في هذه الأبيات السابقة يدرك أن محمد بن إسماعيل الأمير يرى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب توافق ما يدعو إليه في اليمن، وأنه كان يحسبها له وحده. والحق أن هذه المبادرة من لدن الأمير الصنعاني تدل على نصرته لهذه الدعوة وتأييده لصاحبها.

وتمضي الأيام والدعوة السلفية تحقِّق النصر في أرجاء الجزيرة العربية. وفي هذه الأثناء ينشأ العلماء في اليمن على حبِّها وتأييدها، حتى إذا بلغت وفاة صاحبها علماء اليمن المجتهدين حزنوا لموته، وأنشؤوا من أجله المراثي الصادقة التي هي في الواقع تمثل مواقفهم تجاه هذه الدعوة وصاحبها. ومن العلماء الشعراء الشيخ محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ) الذي عبر عن موقفه تجاه هذه الدعوة بقوله في صاحبها:

فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزا ... ولا اشتد للإسلام ركن المعاقل
ولا كان للتوحيد واضح لاحِب ... يقيم اعوجاج السَّير من كل عادل
فما هو إلا قائم في زمانه ... مقام نبي في إماتة باطل(2)

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٥٦.

(٢) قصيدة الشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورقة ٢٤٤.

ويبدو أن الشوكاني - فيما بعد - لما أدرك النشاط السياسي للدعوة في جنوبي الجزيرة العربية لم يكن مثل غيره من الشعراء اليمنيين الآخرين، ينهج نهج المعارضة، وإنما فضل مكاتبة الإمام سعود بن عبد العزيز وجملة من علماء نجد من أجل النصح، وذلك بقصيدة إخوانية معبرة، تنم عن موقفه الواضح النصوح، إذ قال:

وأن الحقَّ مقبول لدينا ... وفينا ما لنا عنه ردود

كتاب الله قدوتنا وما في ... كلام المصطفى وهما العمود[1]

إلى أن قال:

وذا نصحٌ صحيحٌ من نصيحٍ ... فساعدني عليه يا سُعود[2]

ويظهر موقف الشوكاني واضحا تجاه الحركات الحربية التي يجريها أمراء الدعوة بتلك الأنحاء، حيث يبدو أن الشوكاني لا يعترض على نهج الدعوة نفسها، ولا على سيرة دعاتها، وإنما أراد أولئك الجنود الذين يقومون على أمر الدعوة في بلدان تهامة[3]، وهذا الموقف من لدن الشوكاني تجاه الدعوة ودعاتها يُعَدّ من قبيل النصح.

وإذا كان قد اتسم موقف الأمير الصنعاني والشوكاني بالتأييد في قصيدتيهما الأُوليين، فإنهما يمثلان الفترة التي سبقت الظهور السياسي لهذه الدعوة السلفية في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وأن هذا التكاتف والاتصال بين علماء الجزيرة في هذه الفترة يدل على توافق الآراء وانسجام الخواطر، مما

---

(١) ديوانه، ورقة ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢٢.

(٣) انظر: ديوان الشوكاني، ورقة ٤٤.

يجعل هذه المرحلة من تاريخ ظهور الدعوة في اليمن بداية حقيقية، تمثل جانب التأييد بما يميزها عن سواها من بلدان جنوبي الجزيرة العربية.

ولذلك فإن المرحلة التي ابتدأت بالعقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري تمثل مرحلة المعارضة التي لم تخمد جذوتها إلا في نهاية الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. وهذه الفترة التي شهدت كثيراً من نحل الشعر ووضعه دون معرفة لقائليه، وذلك أمر واضح يمثل هذه المعارضة لدى الشعراء اليمنيين. ولعل من أشهر شعراء اليمن الذين نصبوا العداء لهذه الدعوة، وأظهروا وجه المعارضة نحوها: عبد الرحمن بن يحيى الآنسي، ومحسن بن إسحاق، ويوسف بن إبراهيم الأمير، وهم دون شك من أبرز علماء اليمن في هذا العهد، وهذا ما يدل على أن هؤلاء الشعراء يمثلون اتجاه المعارضة التي أقامها اليمنيون عندئذ، ولعلهم قد اختيروا لهذه المهمة. ويمكن الاقتصار في هذا المقام على موقفي ابن إسحاق والآنسي، فأما ابن إسحاق فقد كان غاليا في قوله غير معتدل فيه، إذ قال:

وفي تهامة قد عاثت جيوشكم ... بغيا وكنتم لأهليها مبيحينا
إذ جاء جمع عسير بابن نقطتهم[1] ... لا يرقبون حجًا[2] فيهم ولا دينا[3]
لو ظفرت بحمود كفُّ خارجكم ... أصبحتم لَبنيهم مسترقِّينا[4]

وأما الآنسي فإنه وإن كان يرمي السلفيين بما لم يكن فيهم؛ فهو على

(١) الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) هكذا ورد الوزن العروضي في هذا البيت.
(٤) لفحات الوجد، مجموع ٥، ورقة ٤٥. وهذا البيت ركيك الوزن.

الأقل يأتي بما ثبت بطلانه نحوهم، على حين أن صاحبيه[1] يأتيان في شعرهما بسقط القول، مما لا ينفع فيه الرد والمناقشة، ومما قاله الآنسي معارضًا:

فــقل لبــقــايا النَّهــروان لقــاكم   من[2] صاحب يوم النَّهروان فهود[3]
لقـاكم شـجـاع مـسـتحثٌ وصفـتـه   سَمَاعا[4]، ورأي العين فيه يزيد[5]

فهو يرى أصحاب هذه الدعوة من الخوارج. والبحث في هذا الأمر قد فرغ منه، وقد أدرك الناس حقيقته، بل إن دفع هذه الشبهة قد صدر من لدن علماء جنوبي الجزيرة العربية[6] أنفسهم بما لا يدع فرصة لقائل.

ومن الواضح أن موقف المعارضة لدى الشعراء اليمنيين إزاء هذه الدعوة السلفية قد استمر حتى أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث نجد بعض الشعراء يظهرون غبطتهم بسقوط الدرعية، ويكاتبون من أجل ذلك محمد علي باشا في مصر، ومما يدل على هذا الموقف المقطوعة الشعرية التي وُجدت مع المكاتبة التي أرسلت إلى محمد علي باشا. وما يفسِّر هذا إلا بأن أولئك الشعراء كانوا يصدرون عن تعصب مذهبي شديد، ولا أحسب هذا الشاعر إلا من الروافض الذين نقموا من السلفيين دعوتهم، وفضَّلوا مكاتبة والي مصر عندئذ، ولعل ما يمنع الاستشهاد بشيء من تلك المقطوعة ما ورد فيها من الكلمات النابية الموسومة بالبذاءة التي لا يحسن إثباتها ولا

(١) محسن بن إسحاق، ويوسف بن إبراهيم الأمير.
(٢) كذا في الديباج الخسرواني، ورقة ٣١. وفي نفح العود: «بن»، ص ٢٧٥.
(٣) كذا الوزن العروضي في الشطر الثاني من هذا البيت.
(٤) كذا في الديباج الخسرواني، ورقة ٣١. وفي نفح العود: «سماع»، ص ٣٧٥.
(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٣١.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ٢٤.

دراستها[1]، وإنما هي تمثل وجهة المعارضة الحاقدة التي كان يكنها بعض الشعراء في تلك الفترة.

والناظر في الشعر اليمني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وما بعده يدرك وضوح الأثر السلفي يسري في نتاج شعراء تلك الأنحاء، ولكن لا يتبين للدارس مواقف معينة للشعراء، سوى أن ذلك الأثر البين يُعَدّ من مواقف التأييد التي تكاد تعم الشعر في بلدان جنوبي الجزيرة العربية خلال تلك الفترة، وإلا ماذا يعني ظهور ملامح التأثير الروحي والسياسي في شعر اليمن منذ بدأت هذه الدعوة تغشى تلك البلدان وحتى العصر الحاضر؟!

ولعل ما يمكن إيضاحه في شعر بعض الشعراء اليمنيين في النصف الثاني من القرن الرابع عشرالهجري. أنهم أخذوا يصدرون في شعرهم عن مواقف واضحة؛ تنم عن التأييد والموافقة. وربما يُعَدّ الشاعر علي بن عبد الله صوفان من الشعراء اليمنيين الذين عبروا عن مواقفهم تجاه هذه الدعوة بوضوح، فقد نظم جملة قصائد تدل جميعها على تأييده لهذه الدعوة، وأنه قد بدل مذهبه الزيدي، إذ قال معبرا عن هذا الموقف:

سلام يملأ الآفاق مسْكا ... على نجد أحييكم سلاما
خلعت دين زيديٍّ جهارا ... وهذا في الأصول فلن أُلاما
سأسلك في العقيدة دين شيخ ... أقام الدين وهَّابيْ[2] أقاما

---

(١) انظر: المجموع رقم ١٢٩ المكتبة الغربية، جامع صنعاء الكبير.

(٢) استخدم الشاعر هذا اللفظ للإشارة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والواقع أن هذا اللفظ يعد من وضع أعداء الدعوة. ورغم ذلك فرجال الدعوة أنفسهم لا يقرونه حينذاك، وإن كانوا يفخرون بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته. ويلاحظ تسكين الياء في لفظ «وهابي»، وهو محمول على الضرورة الشعرية. انظر: الضرائر للآلوسي، ص ١٧٦.

وكنا قبل هذا[1] في ضلال مع البدعي أسهرني المناما
إلى الغفَّار يغفر لي ذنوبي وما أسلفت في دهري حراما[2]

ويبدو الموقف السلفي واضحا في هذه الأبيات رغم الضعف الظاهر في الأداة الشعرية، حيث عبر الشاعر عما أصبح عليه حاله المذهبي بكل وضوح، معلنا ذلك جهارا كما يقول. وكان خلال أبياته يظهر إقباله على هذه الدعوة، مما يؤكد جانب التأييد لديه ويقويه.

والحق أن المتتبع لمظاهر التأييد والمعارضة في شعر جنوبي الجزيرة العربية، يدرك أن الشعراء في بعض نماذجهم الشعرية؛ يتفاوتون في ميولهم السلفية واتجاهاتهم المذهبية التي كانوا يصدرون عنها، مما يجعل البحث عن تلك المواقف أمرا شاقا لا يتأتى بسهولة ويسر، وأما الأمر الذي يطمئن إليه الباحث أن تلك الدعوة السلفية قد أثرت في هذه الميادين الأدبية، مما جعل المجال مفتوحا لرصد تلك الاتجاهات المختلفة التي تعد مواقف متباينة للشعراء، ولكنها على أية حال قد تسببت في يقظة الشعر ونشاطه بتلك الأنحاء[3].

---

(١) في الأصل « هذي ».

(٢) توجد هذه القصيدة الخطية لدى الشاعر بنجران.

(٣) من الواضح أن مواقف الأمراء والأهلين في بعض مواطن التأييد السلفي بهذه الأنحاء، قد أثَّر في مواقف الشعراء، وأشعل في نفوسهم الحماسة الدينية والوطنية. ويدل على ذلك العداء المستمر الذي كان ينصبه الأهلون ضد الترك في القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجريين. ويؤكد هذا القول على - سبيل المثال - تلك الوثيقة التي بعث بها شريف مكة المكرمة عون الرفيق عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م إلى مشايخ زهران معاتبًا إياهم؛ لما يجري منهم من حروب مستمرة ضد الترك ومتصرفيهم في تلك الأنحاء، وكان هذا الشريف شديد الوجل من عقاب الترك وما سيحل بالزهرانيين من الجزاء، ولم يدرك أن هذا العمل الحربي قد لازم الأمراء السلفيين في عسير وغيرها طوال القرن الثالث عشر الهجري وما بعده، فترة بقاء الترك في عسير.

الفصل السادس

موضوعات هذا الشعر

توطئـــة:

يتبيَّن للدارس في شعـر جنوبي الجزيرة العربيـة في القـرون الأخيـرة الماضيـة، أن دعوة الشيخ محـمد بن عبد الوهاب قد أثرت في نتاج الشعراء عندئذ، ووجهت عنايتهم إلى أغراض شعرية جديدة، مثلما دفعتهم إلى الإفادة من الموضـوعـات العـربية التـقليدية المعـروفة؛ وذلك مـا جعل أثر هذه الدعوة واضحا في كثير من الأغراض الشعرية المختلفة، فالواقع أن الشعراء حينذاك كانوا بحاجة إلى بسط أفكارهم حيال هذه الدعوة من خلال تلك الموضوعات، إلى جانب اهتمامهم بنشر تعاليمـها والدفاع عنها، مما وسم النتاج الشعري عندئذ بالصحوة الشعرية اليقظة.

ولعل ما يمكن تتبعه في هذا الميدان دراسة الأثر الفعلي لهذه الدعوة فيما استحدثته من الموضوعات[1]، بالإضافة إلى تتبع نشاطها ومدى تأثيرها في الموضوعات التقليدية الأخرى، وذلك على الرغم من تأخر هذا النتاج الشعري عن مواكبة أحداث الدعوة في مراحلها الأولى، إلى جانب أن الشعر الذي وُجد في ميدانها بهذه الأنحاء لا يسعف الدارس على تتبعه وتقويمه؛ نظرا لضعفه وتشتته، ومع ذلك يُعَدّ ظهور هذه الدعوة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية سببا في وجود معظم تلك الموضوعات الشعرية التي لم تكن معروفة من قبل لدى بعض الشعراء في هذه الأنحاء[2].

---

(١) وبخاصة المذهبية منها والسياسية.

(٢) وبخاصة في عسير.

ورغم ما يعترض تلك الموضوعات الشعرية من ظروف مختلفة، فإن الملاحظ على وجودها تفاوت ارتباطها بأحداث الدعوة، ونشاطها خلال تلك الفترة. وذلك يعني أن هنالك موضوعات قد صحبت نشاط الدعوة في أوقات معلومة، ثم انحسرت عن استمرارها، بخلاف بعض الموضوعات الأخرى التي صاحبت هذه الدعوة في فترات مختلفة. فالحق أن الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري يُعَدّ من أخصب فترات الدعوة السلفية بتلك الأنحاء؛ لما توافر فيه من المقومات الأساسية لنشاط الشعر وموضوعاته المتنوعة. ومع ذلك حفلت الفترات الأخرى التالية بملامح متفاوتة، هي في الغالب ممثلة لهذا الاتجاه السلفي الذي أحيته هذه الدعوة في كثير من الميادين المختلفة. ومما يلفت النظر في شعر جنوبي الجزيرة العربية؛ كون النتاج الشعري في ميدان الدعوة السلفية قد حفل بمعظم الأغراض التقليدية المعهودة، إلا الهجاء؛ فالظاهر أن دعاة الدعوة وأنصارها من الشعراء كانوا يترفعون عن نظمه نتيجة لسمو أنفسهم وبعدها عن الفحش. أما أعداؤها فإنهم وإن أقذعوا في بعض أشعارهم فإنما يمثلون وجه المعارضة، وأنهم يصدرون عن ميل مذهبي سياسي، ورغم ذلك لم يدم نشاط هذا اللون الشعري الذي هو أقرب للنقائض الشعرية المعهودة، فقد طمس على ملامحه وضوح الأثر السلفي واتجاهه.

أولا: الشعر التعليمي[(١)]

يتمثل هذا الغرض في شيء من النتاج الشعري المحدود[(٢)] الذي قيل من

---

(١) الذي دفع الباحث إلى تسمية هذا الغرض الشعري بـ «الشعر التعليمي» طبيعة هذا الشعر، وأنه يشمل المنظومات والأراجيز الطوال، مثلما يشمل القصائد المختلفة، إلى جانب أن الدارسين درجوا على تسميته بهذا الاسم، وإلا فهو لا يعدو أن يكون شرحًا لأفكار الدعوة وبيان تعاليمها.

(٢) أعني أنه يوجد هنالك سبل أخرى لبيان تعاليم الدعوة، سواء كان ذلك في ميدان التأليف أو الرسائل.

أجل شرح أفكار الدعوة وبيان منهجها. وقد اقتصر هذا الشعر على نفر من شعراء آل الحفظي برجال ألمع ممن نصر هذه الدعوة وأيدها، ويُعَدّ هذا الشعر مما أُنتج في المراحل الأولى لظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، وقد صدق محمد بن سعد بن حسين حينما وصف هذا الغرض الشعري بأنه قد تأخر عن مواكبة الدعوة نفسها[1]. ومع ذلك فقد عُدَّ سبيلاً مناسبًا لبسط الحديث عن أخبارها وتعاليمها، فيبدو أن مبادرة العلماء البكريين برجال ألمع قد جعلتهم مطالبين بتسخير شعرهم لشرح أفكار الدعوة وبيانها. ويؤكد هذا حرص ولاة الأمر في بعض بلدان جنوبي الجزيرة العربية على مكاتبة هؤلاء العلماء من أجل هذه الغرض نفسه[2]، بالإضافة إلى أن شعراء رجال ألمع أنفسهم قد سلكوا هذا المسلك حين أخذوا في نشر الدعوة في البلدان المجاورة لهم، فقد ذكر محمد ابن أحمد الحفظي في إحدى رسائله بأنه لم يزل يناضل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ويناظر - كما قال - عن الإمام عبد العزيز بن سعود ومنهجه[3]، وبأنه قد كاتب « بعض ملوك اليمن وقضاتهم »[4]؛ من أجل قبول هذه الدعوة، والحق أن هذا الشاعر قد عني بهذا الجانب واهتم به.

ولعل من أبرز الحكام الذين كاتبهم محمد بن أحمد الحفظي بشعره أشراف المخلاف السليماني وأئمة اليمن، فأما أشراف المخلاف السليماني فقد بعث إلى قاضيهم عبد الرحمن بن الحسن البهكلي بقصيدة إخوانية شرح فيها أفكار هذه الدعوة، وبيَّن حال دعاتها والقائمين عليها، ثم دعا إلى قبولها، والعمل على نصرتها، ومنها قوله:

---

(١) كتابه السابق، ص ٢١.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٩٩.

(٣) اللجام المكين، ورقة ٢.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢.

فإليك - يا قاضي البلاد - قصيدة ... حسنت معاني لفظها المتعلّل
وفدت إليك وفود ضيف يَرْتَجي[1] ... حسن القِرَى المستحسن المتسهل
فابسط لها بسط القبول تكرما ... واجمع لَها أعيان أهل المنزل[2]

ثم بدأ الحفظي في بسط مرامه، فقال:

واشرح له بيت القصيد وقصده ... فلديك شرح مطول أو أطول
واستشهد الأيام وانظر شأنها ... وارقب[3] عواقب حالها المتحولِ[4]

وبعد أن التمس من القاضي البهكلي شرح أفكار هذه الدعوة لأشراف المخلاف السليماني، طلب منه قبولها والنظر فيما سيظهر عنها في المستقبل، ثم أخذ يدافع عنها وعن صاحبها، ويشير في بعض أبياتها إلى أن ما يصدر أحيانا من بعض القائمين عليها في تلك الأنحاء ليس مما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه، وإنما هو من اجتهاد أولئك الأمراء، حيث قال:

والحقُّ أولى أن يُجَابَ وإنما ... لم أدر ما حيلولة المتحَيل[5]
إن كان ظنا أن ذاك مخالفٌ[6] ... فهو البريء من الخلاف المبطلِ
بل قام يدعو الناس للتوحيد والتَّـ ... ـجريد والتَّفريد للرب العلي
ويذبُّ عن شرع النبي محمد ... ويَذُمُّ من يدعو[7] النبي أو الولي[8]

---

(١) كذا في الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠. وفي نفحات من عسير: «ترتجي» ص ٥٨.
(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠، وانظر: كذلك نفحات من عسير، ص٥٨.
(٣) كذا في الأصل. وفي نفحات من عسير: «ارمق»، ص ٥٨.
(٤) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠.
(٥) كذا في الديباج الخسرواني. وفي اللجام المكين: «المتخيل» ورقة ٢.
(٦) كذا في الديباج الخسرواني. وفي اللجام المكين: «يخالف»، ورقة ٢.
(٧) كذا في الديباج الخسرواني. وفي نفحات من عسير: «يدع»، وهو خطأ.
(٨) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٠. انظر: اللجام المكين لمحمد أحمد الحفظي، ورقة ٢.

وإذا رأيت مفاسدا من بعضهم   فالشيخ عن ذاك العناد بمعْزل[1]

وقد وصف محمد بن أحمد الحفظي أبياته هذه بقوله: « وهي أبيات كثيرة، وهذا المعنى معاونة مني على توحيد من أغنى وأقنى »[2]، ويظهر من هذه الأبيات حرص الحفظي على إقناع أشراف المخلاف السليماني وعلمائه، فقد حاول التدرج في قصيدته من أجل استمالة قلوبهم لهذه الدعوة، وقد نجح في ذلك.

ولئن كان محمد بن أحمد الحفظي قد سلك هذا النهج في ميدان الشعر من أجل نشر الدعوة في المخلاف السليماني، وإقناع الأهلين فيه، فقد سعى كذلك في هذا المجال حين كاتب أئمة اليمن وعلمائه بقصيدة مماثلة، قال فيها:

فهبَّ لنا من نجد أنصارُ دعوةٍ   لسُنَّةِ خير الخلق طابت مساعيهِ
لهم برسول الله آسٌ وقدوةٌ   ومن تبع المختار فالله ينجيه
فيا أيُّها الحيُّ اليمانيُّ دونكم   نداء إلى التَّوحيد لبُّوا لداعيه[3]

ويبدو أن إمام اليمن عندئذ، قد أجاب برسالة لم تدلل المصادر التي بين أيدينا الآن على مضمونها، سوى أنها « نثرية ومسهبة »[4]. والواقع أن الإمام سعود بن عبد العزيز قد بعث إلى بلاد اليمن حينذاك وفدا يدعو اليمنيين إلى قبول هذه الدعوة؛ مما دفع إمام اليمن أحمد المتوكل إلى تحرير رسالة نثرية إلى محمد بن أحمد الحفظي تتضمن خبر الوفد الذي أُرسل إلى بلاده، وتظهر رغبة

(١) محمد بن أحمد الحفظي، اللجام المكين، ورقة ٢.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢.
(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧.

المتوكل نفسه في معرفة « أحوال سكان تلك النجود وما هم عليه »[1]. وكان الحفظي عندئذ قد أجاب بمنظومة شرح فيها أحوال هذه الدعوة، وبيَّن حقيقتها، وما عليه أصحابها[2]، ومما قال فيها:

وقد أتتني سابقا رسالة | من ذلك البَذْلِ أخِ البسالة[3]
تُخْبِرُ عن عصَابَة ووفد | جاءت إليه من إمام نَجْد
معَرِّضا فَي تلك بالسُّؤَالِ | عن زُبْدَة الأقْوال والأحوال[4]
وما نراه من صفات القومِ | وما يَكون غَايَةً للعومِ[5]

ثم قال مصورا حال الإمام سعود بن عبد العزيز والذين معه:

وعندهُ من علماء السُّنَّة | من يَحْملُ الأسيافَ والأسنَّة
من خلق مستحسَن كريم | عندهُمُو[6] البعيدُ كالحميَم
وقد أجابته الجموع الجمَّة | والنصر معقودٌ بتلك الهمَّةَ
معظِّما شعائر الإسلام | وهادما مشاعر الأصنَام[7]

والواضح أن هذا النظم يشبه نظم المتون العلمية، حيث يتضح في أسلوبه الاتجاه نحو النظم العلمي. وذلك - فيما يبدو - ما دعا محمد بن سعد بن

---

(١) ديوان الروض المرضي، ورقة ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٢١٨.

(٣) كذا في الأصل، وفي نفحات من عسير:

« وقد أتتني يا أخي رسالة | من ذلك النَّدب أخِ البسالة »

ص ٨٦.

(٤) كذا في الأصل. وفي نفحات من عسير: « والأفعال »، ص ٨٦.

(٥) الروض المرضي، ورقة ٢٢٠.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ٢٢٠، انظر كذلك: نفحات من عسير ص ٨٦ - ٨٧.

حسين إلى تسميته بالشعر التعليمي[١]، إذ إنه يشتمل على « بيان أصول الدعوة وفروعها »[٢]. ولعل ما دعا الباحث إلى دراسته كونه يحفل بشيء من الموضوعات الشعرية التي سلكها شعراء جنوبي الجزيرة العربية، حين كانوا يشغلون أنفسهم بالدفاع عن هذه الدعوة وبيانها.

ولم يقتصر جهد محمد بن أحمد الحفظي على هذه القصيدة المنظومة فحسب، وإنما أنشأ منظومات وأراجيز أُخَر في بيان أفكار الدعوة وشرح تعاليمها، وذلك مثل: أرجوزته التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز[٣]، وأرجوزته الأخرى التي بعث بها إلى الشيخ حسين بن غنام[٤]، وأرجوزته التي أنشأها يصوّر غبطته بقبول هذه الدعوة السلفية، ويبيِّن حاله وقد « ترك بدع المضلين »[٥]، ومثل منظومتيه: « المنظومة الحفظية في الدعوة المرضية »[٦]، و « الألفية الحفظية نظم النسخ المرضية »[٧] وقد كان أبوه أحمد ابن عبد القادر الحفظي يميل إلى إنشاء مثل تلك المنظومات في هذا الميدان السلفي، مثل: منظومته « النفحة القدسية والتحفة الأنسية »[٨] التي ظلت إلى عهد قريب تُقرأ في المساجد ببعض قرى نجد، وبخاصة في ليالي رمضان[٩].

وكانت الغاية - فيما يبدو - من إنشاء هذه المنظومات تعود إلى شرح

(١) كتابه السابق، ص ٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.
(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥.
(٦) المجموع المخطوط رقم ٨١٤م، مخطوطات جامعة الملك سعود، الرياض.
(٧) طبعت ضمن مجموع شعاع الراحلين، ص ١٦٣.
(٨) طبعت سنة ١٣٤٦هـ، بمطبعة المنار بمصر.
(٩) أخبرني بذلك شيخي محمد بن سعد بن حسين.

تعاليم الدعوة وبيان مبادئها، وإيضاح مؤلفات دعاتها، وكل ذلك خدم هذا الجانب الموضوعي في شعر تلك المنطقة، ومما قال محمدبن أحمد الحفظي في المنظومة التي أنشأها في شأن هذه الدعوة الإصلاحية:

حـركَّني لنظمـهـا الحَـبْـرُ الذي ... قـد جـاءنا في آخـر العـصـر القـذي
لَمَّا دعـا[1] الدَّاعي من المشـارق ... بأمـر ربِّ العـالمين الخـالق
وبعـث الله لنا مـجـدِّدا ... من أرض نجـد عـالما مـجـتـهـدا
شـيخ الهـدى مـحـمَّد المحـمـدي ... الحنبليّ الأثريّ الأحـمـدي[2]
فـقـام والشِّـرك الصّـرَيح قـد سـرى ... بين الورى وقـد طغى واعـتكرا
لا يعـرفـون الدِّين والتـهَليـلا ... وطرق الإسـلام والسَّـبـيـلا
إلا أسـامـيـهـا[3] وباقي الرَّسم ... والأرض لا تخلو[4] من اهل العلم[5]

وقد مضى الحفظي يؤرخ لهذ الدعوة، ويبيِّن حالها ومدى المشقة التي عاناها صاحبها في سبيلها، كما أشار إلى مناصريها، وأظهر نصرة العلماء لها من الحفظيين وغيرهم، وهي تُعَدّ سجلاً تأريخيا لهذه الدعوة والقائمين عليها.

ومن الواضح أن أحمد بن عبد القادر الحفظي، وإبراهيم بن أحمد الحفظي قد أسهما في شرح أفكار هذه الدعوة، وإيضاح تعاليمها. فأما أحمد ابن عبد القادر الحفظي فقد بعث بقصيدة إلى أئمة اليمن، قال فيها:

فيا أيُّها الإخوانُ قوموا وشمِّروا ... ولا تقعدوا واستمسكوا بدواعيه

(١) في الأصل «دعى».
(٢) في الأصل «الأحمد».
(٣) كذا في الأصل.
(٤) في الأصل «تخلوا».
(٥) المجموع رقم ٨١٤م، مخطوطات جامعة الملك سعود، ورقة ١٨٦ - ١٨٧.

فكلُّ فتى يغدو[1] فبائع نفسه فمعتقها أو موبق بنواهيه[2]

وبعدما دعا الحفظي اليمنيين لقبول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بيَّن فضلها، وما ألفه صاحبها في ميدانها من المؤلفات المفيدة، فقال:

وقد صنَّف الشيخ الإمام رسائلاً على محكم التَّنزيل يا سعد تاليه
وفي دفتر التوحيد أبْدى[3] عجائبا تَنيفُ على ستين بابا أماليه
وكشف الأمور والمشكلات وكم وكم رَسائل تشفي كلَّ قلب وتحييه[4]

ولئن كان أحمد بن عبد القادر يكاتب الحكام من أجل قبول هذه الدعوة، فإن ابنه إبراهيم بن أحمد كان كثيرا ما يُسَرُّ لانتشار مبادئ هذه الدعوة وتعاليمها، مما يدفعه إلى نظم القصائد المختلفة، إذ أنشأ قصيدة حين عودة أخيه عبد القادر بن أحمد من تهامة اليمن، وقد حقق نصرا واضحا في ميدان الدعوة، أعظمه عودة «أهل اليمن إلى الحق»[5]، إذ قال:

والحمدُ لله إذ أجرى عوائده بالنَّصر حيث الحقُّ سار مشى
والله يهدم ركن المشركين ولا يَقِرُ عينا من واساهمو برشا[6]

والحق أن شعراء الدعوة السلفية في هذه الأنحاء، كانوا وهم يدافعون عنها لا يظهرون البذاءة في أشعارهم، وإنما يجادلون بالتي هي أحسن،

---

(١) في الأصل «يغدوا».
(٢) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٢١.
(٣) في الأصل «أدا».
(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢١.
(٥) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٧٧.
(٦) المصدر نفسه، ص ٧٩.

ويردون الناس إلى تعاليمها ردا جميلا. ومن ذلك قول محمد بن أحمد الحفظي:

فقل لمنكر ما قالوا يناظرهم	بالعلم في ثغرة المرمى لراميها
والرَّجم بالغيب والبهتان منقصة	والرَّد للحق من أخزى مخازيها[1]

وفي الحقيقة أن هذا الشعر بعامة يكاد ينحصر في شعر رجال ألمع، ولدى نفر محدود من الشعراء السلفيين بتلك الأنحاء، إذ يبدو أن الحفظيين من أمثال: أحمد بن عبد القادر الحفظي، وابنه محمد بن أحمد الحفظي، قد كانا من أبرز أولئك الشعراء إقبالا على هذا اللون الشعري، إذ هما رغم تأخرهما عن معاصرة ظهور الدعوة نفسها في نجد، يُعَدَّان ممن سعى في نصرتها في جهاتهما، وبخاصة في البلدان المجاورة لهما، فأضحى هذا التأييد سبيلا يعاضد الحركات الحربية التي كان يقوم بها أمراء عسير من أجل نشر الدعوة في تلك الأنحاء، وذلك ما جعل لهذه الدعوة وفرة في النتاج ا الشعري خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. ولعل ما يمكن أن يطمأن إليه أن هذه الدعوة قد أثرت في ميول الشعراء، نحو تسخير أشعارهم لخدمتها في هذه المرحلة، الأمر الذي جعلها السبب الظاهر في إيقاظ الشعر وحركته في تلك الفترة المتقدمة.

ثانيا: الشعر المذهبي

تضم بلدان جنوبي الجزيرة العربية عند ظهور الدعوة السلفية فيها عددا من المذاهب الدينية والفرق المختلفة، إلى جانب أنها حينذاك كانت تحيا فرقة سياسية واضحة، مما أوجد المناخ الفكري المناسب لظهور الشعر المذهبي

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٥.

السياسي، إذ لم تكن لتشهده هذه الأنحاء لولا تأثير هذه الدعوة السلفية في ميدان الأدب، وبخاصة الشعر الذي واكب أحداث هذه الدعوة الإصلاحية وصورها.

ويبدو أن الأهلين الذين كانوا من قبل يعملون بالمذاهب السنية؛ قد كانوا من المستجيبين لهذه الدعوة والمؤيدين لها بخلاف من نهج سبل الاتجاهات الدينية الأخرى، فقد برز الأثر السلفي واضحا لدى الشافعيين من أبناء تلك الأنحاء على حين بقي النقاش المذهبي مستمرا مثلا بين الزيديين في اليمن والسلفيين السنيين في البلدان الأخرى، مما أوجد شيئا من النقاش الفكري الذي انبسط أثره خلال تلك الفترة على الشعر وفنونه المختلفة.

وقد كان هذا الباعث المذهبي قد دفع بعض الشعراء عندئذ إلى الإشارة إلى مذهب السلفيين دعاة الدعوة وأصحابها. ومن أولئك الشعراء أحمد بن عبد القادر الحفظي الذي وصفهم بأنهم:

أئمَّة حقٍّ والنصوص[1] طريقهم	وأحمد خَرِّيتُ الطَّريق وعاديا
على مَذْهَبِ الحَبْرِ الإمام ابن حنبل	عليهم من المولى السَّلام يوافيا[2]

وإذا كان أحمد بن عبد القادر الحفظي قد أبان عن حقيقة منهج السلفيين، فإن ابنه محمد بن أحمد الحفظي قد أشار إلى بعض مبادئ هذه الدعوة السلفية في قصائده التي كان يبعثها إلى بلدان جنوبي الجزيرة العربية الأخرى، إذ قال في إحداها:

(١) الكتاب والسُّنَّة.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٣٠. والشاعر قد أطلق الألف في جميع قوافيه. ولعل الصواب في قافية البيت الأخير أن يقول: موافيا.

وإنَّ أساس الكفر زَخْرَفَةُ البنا ورفع قُبور الصالحين بتمويه
ودعوة غير الله من كان كائنًا هو الشرك أخزاه الإله وأهْلِيه[1]

ويبسط هذا الشاعر منهج الدعوة السلفية. ويتعرض لذكر بعض الفرق التي نشأت في الإسلام، ثم ينصح من يبلغه قوله بالتمسك بنهج هذه الدعوة الإصلاحية واتباع سنَّة المصطفى ﷺ، فقال في قصيدة أخرى:

ويا عجبًا من ردَّها بعد ما بدتْ وبيَّنها الدَّاعي وأبدى دليلها
فعضَّ عليها بالنَّواجذ يا أخي ووال عليها واستمع من يقولها
ويكفيك من علم الأصُول صراح الـ ـكتاب ومن علم الفروع سهولها[2]
وخذ جانبا عمن يكون معطِّلا فجهم بن صفوان محطّ حمولها
ومعتزليٌّ الأصل فاعزله إنّه يصادم منقولاتها بعقولها
وسر وسطا فالأشعريَّة زيَّفت مقالات أهل الإعتزال بطولها
عليك بما كانت صحابة أحمد عليه فإن الحق يأرِزُ حولها[3]

وفي هذه الأثناء التي كان فيها الشعراء من آل الحفظي يدعون إلى هذه الدعوة، ويوضحون نهجها السلفي، كان الشعراء المعاصرون من المخلاف السليماني واليمن يظهرون تعصبهم المذهبي، ويعلنون معارضتهم لهذه الدعوة، فقد قال محسن بن علي الحازمي، أحد شعراء المخلاف السليماني المشهورين:

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٥٠. وتقدير القول في عجز البيت الأخير: وأخزى أهليه.

(٢) كذا ورد هذا البيت في الأصل.

(٣) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٢٠. انظر: نفحات من عسير، ص ٧٢، ٧٣. وقد وقع الشاعر في عيب من عيوب القافية، حين بدل في حركاته.

لـمَّا تغيَّرت الأحـوال وانهـدمت قـواعـد الدِّين فـارقنا ذرارينا
حـمـيَّـةً دونَ أهل البـيت إن لـهم حـقّـا علينا إلى هـذا تؤدينا[1]

ولئن كان بعض الشعراء من أتباع الزيدية في المخلاف السليماني، يرون أن السلفيين قد بدلوا في بعض الأمور المذهبية التي كانوا يعتادونها في اتجاههم الديني[2]، فإن شعراء اليمن الزيديّين رأوا كذلك في السلفيين خروجا على بعض الظواهر الأخرى التي زعموا أنها مما أبطله السلفيون في واقعهم الزيدي، فقد قال محسن بن إسحاق:

ضللتم عن سبيل الحقِّ فاعترضت لكم مَسَائلُ يدريها المحقُّونا
كَسُبْحَةَ الذِّكرِ أنسيتم فوائدها وقُبْلَةَ الكفِّ ما بين المحبينا
لو كان للحق مغزاكم ومقصدكم قلتم لأعَلامنا في مثلها: افتونا[3]

وهذه مسائل مختلفة زعم اليمنيون أنها من مبادئ السلفيين، وليست كذلك، إذ سبق الحديث عنها، ولا سبيل الآن إلى نقاشها[4]، ولعل ما يميز هذه الفترة أنها قد حفلت بكثير من النقائض الشعرية، والردود المذهبية المختلفة، مما يشير إلى أثر هذه الدعوة السلفية، وأنها قد أحدثت يقظة شعرية امتدت إلى ميدان المذاهب الدينية، وأذكت نشاطها، فقد انشغل الشعراء عندئذ بمثل هذه الظواهر الدينية المختلفة، إذ يظهر أثر الإصلاح السلفي في شعر اليمنيين، حين كانوا يدعون مواطنيهم إلى التمسك بمصادر التشريع الإسلامي، فقد عاب محمد بن علي الشوكاني على قومه تخاذلهم عن السنة النبوية،

---

(١) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٥.
(٢) انظر: درر نحور العين للطف الله جحاف، ورقة ٣٢٤، ٣٢٥.
(٣) كتابه السابق، ورقة ٣٦.
(٤) انظر: ص ٢٤٢ وما قبلها.

وتحريف نهجهم الديني، فقال:

جـــعلتم المذهبَ الزَّيديَّ بينكم — على جلالته أُعجوبة العجب
صيّرتم صفو علم الآل في كدر — حتى غدا بينكم يوما من اللَّعب
عاديتم السُّنَّة الغرّا فكان بذاً — دعوى خصومكمُ موصولة السَّبب[1]

ولئن وُسِمَ الشعر في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، بأنه قد تناول كثيراً من القضايا المذهبية، فإن الفترات التي أعقبت ذلك العهد قد تميزت بأن الغالب على شعرائها التأثير السلفي الواضح، إذ برز هذا الاتجاه لدى نفر منهم. وذلك حين أخذوا يبسطون آراءهم السلفية من خلال مذاهبهم الدينية، ورؤيتهم المعتدلة. ويتجلى ذلك في موقف الحسن بن أحمد عاكش من علي بن إبراهيم النعمي، حين بعث إليه النعمي بهذه القصيدة:

قد سلكنا في الهوى مذهب مَنْ — لاتحاد الذات دينا قد روى
واعتزالي صحبة من غيركم — هو ذنبي في اعتقادي وهوى
غير أني يافتى محترس — خشيةَ النَّقص وقصدي الاحتوى
مذهبي مذهب زيدي ولم — أتزيَّد صاحبا فيما نوى
فعلامَ الهجر والعُتب وما — عندكم في الهجر ذنب للنوى[2]

وقد أجابه عاكش بقصيدة فائقة لا تخلو من الروح السلفية، رغم وضوح الاتجاه الديني كان الذي يسير عليه عاكش، ومنها قوله:

---

(١) أسلاك الجوهر، ورقة ٥، انظر: التقصار للشجني، ورقة ٥٦. انظر كذلك: ديوان الشوكاني المحقَّق، ص ٦٣.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٧٤.

لا أرى الخلط طريقـا منجـيًّـا | كم به شـيخ رَصين قـد هوى
مـذهب العـدْل[1] مع التَّـوحيـد لا | أرتضي دينا . . . نجَـاة من غـوى
مـا لنا والطَبع والطبع غـدا | مـذهب الخـاطي طريقَ الاسـتـوا
وكـذا الدَّهري فـيـمـا قـاله | هو عين الكفـر فـاسـمع من روى
وكـذا الجَبْـريُّ فـيـمـا قـد أتى | ذو ابتـداع وعن الحقِّ التـوى
وأولو الرَّفض فـهم قـد سَلكوا | مذهبا مبني[2] على محضِ الهوى
واتحـاد غـيـر مـعـقـول لنا | هو قـول صـار مـهـدوم القَـوى
واسـتـمع منِّي كـلامًـا مُنْصِـفًـا | في الفـريقين على حـد سَـوى[3]

ويتحقق أثر الدعوة في شعر حافظ بن أحمد الحكمي، حين قال :

تبًّا لرافضة سحقا لناصبة | قبحًا لمارقة ضلُّوا وما رشدوا[4]

ومثل قوله :

إنى براء من الأهوا ومـا ولدت | ووالديهـا الحيـارى سـاء مـا ولدوا
والله لست بجـهـميٍّ أخـا جـدل | يقـول في الله قـولاً غـيـر مـا يرد
يكذبون بأسـمـاء الإله وأو | صـاف له بل لذات الله قد جحـدوا
كـلا ولست لربي من مـشـبـهـة | إذ من يشـبـه مـعـبـوده جـسـد
ولا بمعـتـزلي أو أخـا جـبـر | في السيئـات على الأقـدار ينتـقـد
كـلا ولست بشـيـعي أخـا دغل | في قلبـه لصحـاب المصطفى حـقـد

(١) لعلهم الأشعرية.

(٢) كذا في الأصل، ولو استخدم الشاعر لفظ : « يبنى » لكان أفضل.

(٣) المصدرنفسه، ورقة ٧٤، وتوجد نسخة مخطوطة من هذه القصيدة لدى الباحث، وقد رسمت الألف ياء مقصورة في بعض الأبيات، رغم أنها ممدودة.

(٤) الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة، ص ٢٦.

كلا ولا ناصبي ضد ذلك بل   حب الصحابة ثم الآل نعتقد[1]

وإذا كان قد تبين الأثر السلفي في شعر المخلاف السليماني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ؛ فإن شعراء رجال ألمع قد كانوا أشد تأثرا، إذ يلاحظ تشبثهم بتعاليم نهجهم المذهبي، وتقيدهم به، فقد دلت المصادر على أن أحمد بن عبد الخالق الحفظي حينما نُفي إلى إستانبول قد كان شديد الحرص على تطبيق مذهبه الديني، وأنه كان يرصد ذلك في شعره من خلال حنينه إلى رجال ألمع، إذ قال :

لهف قَلْبي لِصَلاة بينهم   وجماعاتٍ بها التأمينُ حل[2]

ورغم وضوح الأثر السلفي في الميدان المذهبي لدى الأهلين في معظم بلدان جنوبي الجزيرة العربية، إلا أن الشعراء في رجال ألمع والمخلاف السليماني واليمن كانوا في الغالب يميلون إلى الاتجاهات الدينية السائدة في بلادهم، منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وذلك حين ضعُف الاتصال السلفي، وانبسط حكم الترك في أغلب البلدان بجنوبي الجزيرة العربية، إذ تغلبت بعض الاتجاهات الدينية على واقع الحياة في هذه الأنحاء، مما أضعف التيار السلفي الذي كان قويا من قبل في القرن الثالث عشر الهجري. والواضح أن هذا التأثير لم يكد ليزول حتى أخذ المد السلفي يتجدد في تلك الأجزاء من جزيرة العرب على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مما يؤكد أن هذا التيار الإصلاحي قد عاد مرة أخرى منذ أواخر العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك حين أخذ الدعاة والمرشدون يغشون تلك الأنحاء، وحينما أقبل علماء تلك المنطقة يفيدون من اليقظة السلفية في هذا العهد، فقد أنشأ الشعراء عندئذ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣، ٤ .

(٢) توجد هذه القصيدة لدى محمد عبد الله آل زلفة، ولدى الباحث نسخة مصورة منها .

جملة من القصائد، والمنظومات ونظموا بعض الكتب الفقهية بلغة شعرية معبِّرة[1].

ويبرز الشعر المذهبي واضحا لدى شعراء النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، حيث نجد النغمة المذهبية تظهر في ثنايا ذلك الشعر المحدود رغم ضعفه وقصوره عن التصوير الجيد، ونلاحظ ذلك في قصيدتين لشاعرين من شعراء جنوبي الجزيرة العربية. أما الأول فهو إسماعيل اليمني الذي أنشأ عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م قصيدة حين التقى بوفد البلاد السعودية حول قضية الحدود بين البلدين، ومنها قوله:

كم انتظرنا وكم ذا	أتاهم من منادي
من كلِّ فجٍّ عميق	شوافع وزيود
وحنبلي وجمع	من متهم ونجود
نقول: هلاَّ أتيتم	لما لكم من حدود[2]

وقد عارضه إبراهيم بن علي الحفظي بقوله:

والبرد ألَّف جندا	من زمهرير شديد
يريد ظهرانَ لما	يوف بحقِّ الوفودً
إذا البَرَاغيثُ فيه	قد أثَّرت في الجلود
ولم تكفَّ بشيء	عن عدوها والورود
فما عليَّ إذا ما	استؤصلت بالوقود
إذا هنالك إجازة	في مذهب للزيود

(١) انظر - على سبيل المثال - مجلة المنهل، ج ٨، مج ١٩، س ٢٣، ١٣٧٨هـ، ص ٣٧٢، وانظر نشاط حافظ الحكمي في ميدان النظم العلمي، وبخاصة منظوماته ومؤلفاته.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٠٤. وقافية البيت الأول نشاز عما يليها.

والعكس فـيـه لدينا — شـوافع[1] ونجـود

وحنبليٌّ عسـيري — متـابع للسُّعـود

إذ إنـه لا يعـذب[2] — بالنار غيـر الورود[3]

وتأتي هذه الأبيات رغم ضعفها مصوِّرة للفارق المذهبي بين بلدان جنوبي الجزيرة العربية، وأن الشعر قد اقتحم ميدان المذاهب الدينية، وحاول أن يظهر ملامح التأثير الديني بين هذه البلدان في ظلال المد السياسي الديني الذي بسطته الدعوة السلفية عندئذ.

ولعل ما نعده حقيقة من أغراض الشعر المذهبي، ذلك النتاج الشعري الذي وُجد لدى نفر من شعراء اليمن الذي فضلوا المقام في هذه البلاد السعودية، وأخذوا يعملون بمذهبها الديني، ويصوِّرون السبيل الذي من أجله فضلوا الرحلة من بلادهم، والميل المذهبي الذي أصبح عليه حالهم، ولعل من أبرز أولئك الشعراء علي بن عبد الله بن صوفان الذي قال في إحدى قصائده في هذا الميدان المذهبي:

عـلامَ اللَّوم لوامي عَـلامَ — تلومـوني ولم ترعـوا ذمـامَـا

ألا يا لومَّي فـدعـوا الملامـا — لم ذا حـيث أهديت السَّـلامـا

إلى نَجْـد هداة الناس طرَّاً — فـقـد واليتـهم قـومـا كـراما

دع التعنيفَ يأزيديُّ سـحـقـا — لمبتـدع فـقـد كنَّا لئـامـا

برئت وسـوف أرسل نحـو نجـد — نبـذتكم ومـذهبَكم سئـامـا[4]

لحـا الله زيودا مـا أبانـوا — من التعنيف من بغض تعـامى

---

(١) كذا في المصدر.

(٢) كذا في الأصل، ولعل من الأفضل أن يستخدم « لم ».

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٤) كذا في الأصل، وهي « سآما ».

تعـــامـــوا عن طريق الحقِّ مـــالوا إلى سبٍّ إلى كُـــفــــر تمامـــا
بدت بغـضـــاؤهم علنا وجــهـــرا بتـزويجي عـثـمـان(١) الهُـمـامـا
ومـــا ذنبي ســـوى مـــدحي لقـــوم رقـــوا في الدِّين أعــــلاه سَنَامَـــا
وقــــولي دين طه نحــــو نَجْــــد ودينُ الله قـــد أعلى الكرامَـــا(٢)

ويمكن أن يقـال بأن هذه الدعـوة السلفـيـة قـد أثرت في اتجـاهات الشـعـر المذهبي، وأن هذا الأثر قـد نشـأ منذ ظهـور الدعـوة ببلدان جنوبي الجـزيرة العربية، ثم أخذ يتجدد كلما أدرك الأهلون بتلك الأنحاء حقيقة هذه الدعوة، وصـلاح معـتقـدها، إذ يسـمـو في ظلالهـا الفكر السلفي، وينمـو في مـيدانهـا الشـعـور الديني الجـاد الذي يؤكـد وحـدانيـة الله، ويـهـذِّب النفـوس من درن الشرك، والشطحات الضالة، وذلك كله ينمي العقيدة الخالصة ويهذبها.

ثالثا: شعر الحروب ووصف المعارك

يُعَدُّ ظهور هذا اللون الشعري أثرا من آثار الدعوة السلفية في شعر جنوبي الجزيرة العربية؛ وذلك لأن الشعراء بهـذه الأنحاء كانوا يتابعون أخبار هذه الدعوة خارج بلدانهم، ويصفون أحداثها، كما أن الحياة السياسية كانت قبيل ظهـور هذه الدعوة السلفيـة في جنوبي الجزيرة العـربيـة هادئة - إلى حد مـا - لا تشهد وفرة في الحركات الحربية ولا الصراعات المذهبية. وما أن ظهرت هذه الدعـوة بتلك الأنحـاء حتى صـحب انتـشـارها شيء من الحروب والمعـارك المختلفة، مما دعا الشعراء عندئذ إلى المشاركة في وصفها، وإظهار حماستهم نحوها، والواقع أن هذه الوقائع الحربية تنقسم قسمين: أحدهما ظهر في بلدان

(١) كذا في الأصل، ولعل من الأفضل أن يقول: «بتزويج لعثمان»، رغم ركاكة الوزن في عجز هذا البيت الأخير، والإقواء.
(٢) توجد هذه القصيدة الخطية لدى الشاعر نفسه، بنجران.

جنوبي الجزيرة العربية نفسها، والآخر نشأ خارج هذه البلدان من قبل أعداء الدعوة الترك وأشياعهم من المصريين، وبعض أمراء الجزيرة العربية الآخرين. وكان ذلك العداء جميعه سبيلاً لبسط آراء الشعراء تجاه هذه الدعوة.

فالحق أن شعراء هذه الأنحاء كانوا كثيرا ما يتابعون أخبار المعارك التي كانت تجري بين الدعاة السلفيين في نجد، وبين أعدائهم من خارج الجزيرة العربية، فقد أشار محمد بن أحمد الحفظي في إحدى قصائده إلى معركة كربلاء التي نشأت بين السلفيين وأعدائهم سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، فقال مشيرا إلى الأمير سعود بن عبد العزيز قائد المعركة عندئذ:

تجــهَّـزَ في جــيش عظيم وعــسكر	من المسلمين البـائعين لمن يَشْري[1]
وحطَّ بهم وسط العـراق مـخـيـمـا	على رغم آناف الأعـاجمِ بالقـهـر
وأجرى عليهم من عنَاجِيج خيله	صَوَافنَ تعدو بالكماة وتستجري[2]
وولت جيوش المشركين وغـالهم	صروفَ الليالي بالدَّمار وبالكسر[3]

ويلاحظ في هذه الأبيات عدم الجزالة في أسلوبها، وأنها قد تميزت بوضوح الاستخدام اللفظي الذي راج انتشاره في لغة الشعر عندئذ، مثل قول الشاعر: «المسلمين» و«المشركين»، إلى جانب وضوح المعنى في هذه الأبيات، وأن قائلها كان يفيد من أسلوب القرآن الكريم، ومن ثقافته اللغوية في مثل قوله: «صوافن» و«آناف» ونحوهما.

ويستمر الشعراء حينئذ في وصف المعارك التي كانت تجري لقومهم مع

---

(١) كذا في نفحات من عسير. وفي مجموعة أشعار الحفظي: «بشر».

(٢) كذا في نفحات من عسير. وفي مجموعة أشعار الحفظي: «تستجر».

(٣) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٧، انظر: نفحات من عسير ص ٦٣.

أعداء الدعوة السلفية، رغم ضعف أساليبهم التعبيرية التي كانوا ينظمون بها أشعارهم، فقد أنشأ عبد الله بن محمد النعمي قصيدة في وصف إحدى المعارك التي نشأت بين أمير عسير عبد الوهاب بن عامر المتحمي، وأمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، فقال:

ويوم لَقَانَا غَالبٌ(١) بجنوده ... يجرُّ مدافع على عجل تجري(٢)
وترك وباشات مع أَهل المغرب(٣) ... وحضر وبدوان مع حملة المصري
فلما التقى الجمعانِ ولت جيوشهم ... وقد ولّوُا الأدبار نكصا على الظهر(٤)

وليس في هذه الأبيات شيء من جمال الشعر، سوى أنها تُعَدُّ سجلا تاريخيا لما جرى في سبيل نشر هذه الدعوة من مصاعب جمة، وأن أعداءها كانوا كثيرين، إذا ما قيسوا بأنصارها عندئذ، فقد عدَّد الشاعر في هذه الأبيات عناصر متعددة اشتركت في هذه المعركة، والواضح أن الترك قد ظلوا حريصين على زرع بذور الفُرقة بين أمراء الجزيرة العربية، وأنهم انتصبوا لقتال أنصار هذه الدعوة، فقد أشار محمد بن أحمد الحفظي إلى إحدى معارك الأمير طامي بن شعيب (. . . - ١٢٣٠هـ) أمير عسير حينذاك مع جيوش محمد علي باشا في القنفذة سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م، فقال:

فشنَّ نحوهم الغارات ذو همم ... طامي فصار اجتماعُ القوم منثورا(٥)

وقد أشار الحفظي نفسه في قصيدته هذه إلى بعض المعارك التي جرت بين

---

(١) كذا في الأصل، إذ هي فاعل (لَقانا) بفتح اللام، وهي عامية.
(٢) هذا البيت والذي يليه ركيكا الوزن، وهما أشبه بكلام مرصوص يتشاعر به قائله.
(٣) هكذا ورد هذا الشطر في الأصل، ولعله يستقيم لو قال الشاعر: «مغرب».
(٤) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى هاشم سعيد النعمي، بأبها.
(٥) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٦، انظر: نفحات من عسير ص ٩٧، والبيت غير مستقيم الوزن.

أمراء عسير، وبعض القبائل اليمنية، حيث انحازت تلك القبائل إلى الشريف حمود بن محمد الحسني في قتاله ضد أولئك الأمراء السلفيين، فقال:

سل حَاشداً وبكيلاً في معاركهم ... ويام سَلْهُم تجد ما قلت مخبورا
والصِّدقَ ما شهد الأعداء فيه وما ... قد كان إلا بإذن الله مقدورا[1]

وإذا كانت هذه النصوص السابقة قد صدرت من لدن شعراء الدعوة المؤيدين فإن الشعراء المعارضين لهذه الدعوة نفسها حينذاك قد صوّروا أحداث المعارك التي كانت تجري بين أمراء عسير السلفيين، وأشراف المخلاف السليماني، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، مما يشير إلى أثر هذه الدعوة الإصلاحية في إذكاء روح الشعر في هذا الميدان. ومن هذا اللون قصيدة محسن بن علي الحازمي التي أنشأها سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٠م يصف فيها إحدى المعارك التي نشأت في هذا السبيل، فقال:

إذا ركضنا على صفٍّ تزعزعه ... ركضا على الموت لا ركض الميادينا[2]
يوم ابن دَاحش[3] بين الخيل مُنْعَقِرٌ ... تدوسه الخيل في تالي المواليا[4]
فكم حمينا على الإسلام من قدم ... وكم ضربنا علالي من يدانينا
وكم أهنَّاهمو زجرا بألسننا ... وبَطْشنَا وكذا ضربا بأيدينا[5]
سلوا الجَحَادرَ والعُجمان قاطبة ... وخيلَ شَهْرَان إذ جارت تبارينا
ألم نرد نواصَيها مُحافظة ... عند الهزيمة صدقا دون أهلينا[6]

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦.
(٢) كذا في الأصل، والصواب «الميادين».
(٣) هو: علي بن داحش بن عقيل القُبَّة (... - ١٢١٦هـ) من أهالي الملحا بالمخلاف السليماني، ومن أنصار الدعوة السلفية. انظر أخباره في كتاب: نفح العود، ص ١١٥ - ١١٦.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) كذا في الأصل.
(٦) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٥.

ومن الواضح أن شعراء المخلاف السليماني لم يكونوا وحدهم الذين صوّروا معاركهم ضد أمراء الدعوة العسيريين فحسب، وإنما كان الشعراء الوافدون على أشراف تهامة يشاركون بشعرهم في وصف تلك المعارك ومدح قادتها، من أمثال : الشاعر العراقي بندر بن شبيب الذي صوّر تلك المعركة التي نشبت بين : الشريف حمود بن محمد الحسني، والأمير محمد بن أحمد المتحمي سنة ١٢٣١هـ/ ١٧١٨م؛ وذلك لأن المتحمي أخذ على أشراف المخلاف السليماني تسليم الأمير طامي بن شعيب للأتراك بعد أن لاذ بهم مستجيرا[١]، ويبدو أن قصائد هذا الشاعر قد كانت تدفع ببعض شعراء تلك الأنحاء إلى المشاركة في النتاج الشعري عندئذ، وذلك عن طريق المعارضة أوالنقض، فقد وصف عاكش الأديبَ عبد الكريم بن حسين العتمي بأنه عارض ابن شبيب هذا في قصيدته التي مدح بها الشريف حمود بن محمد الحسني عام ١٢٣١هـ، بقصيدة بليغة طالعها :

قفوا وانظروا ما أحدث الصَّدُّ والهجر ... بمن قد جفا بعد بعدهم الصَّبْرُ[٢] »

وما تلك اليقظة الشعرية في ميدان وصف المعارك الحربية سوى أثر من آثار هذه الدعوة الإصلاحية في مجال الشعر بهذه المنطقة.

ولئن كان هذا حال نشاط شعراء تلك الأجزاء من جزيرة العرب في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ فإن نشاطهم فيما تلا تلك الفترة قد

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٦٢، ومن إحدى قصائد بندر بن شبيب العامري قوله :

« هو المجد فاختره وإن يكن الصَّبْرُ ... فصبر فكم صبر تجرعه الحرُّ
وما الدهرُ إلا هكذا فاصطبر له ... فيوم يُرى حُلو ويَوم يرى مُرُّ »

ورقة ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٦٤.

اتسم بالحيوية والنشاط، إذ دلت المصادر على أن أمراء عسير كانوا كثيرا ما يعقدون راية الجهاد[1]، وأنهم كانوا يخوضون المعارك المتعددة ضد التُّرك ومن شايعهم، ولعل ما يشير إلى ذلك قصيدة علي بن الحسين بن عبد الهادي بن بكري التي أنشأها من أجل تلك المعارك التي شبت نارها بين الأمير عايض بن مرعي المغيدي والجيوش التركية سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، ومما قال فيها:

عَرَمْرَمُ جيش سيق من مصْرَ معنفاً يهتِّك أستار النساء ويعتدي
ويسبي ذراري الأكرمين جُبَارَةً وينظم سادات الرِّجال بمقلد

قفي وانظري يا أم عبد معاركا يشيب لها الوالدان من كلِّ أمرد
وإن كنت عنها في البعاد فسائلي ففيها أسودٌ من مغَيدٍ بمرصد

تطامت رقاب الرُّوم فيها عبوقها كما عاق دودٌ للجراد المقدَّد
فأضحى جثاثا في البقاع مركَّماً تزعزعه ريح العشية والغد[2]

وتُعَدّ حروب التُّرك التي ابتليت بها عسير، وبعض القبائل اليمنية سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م من أسوأ ما عرفته بلدان جنوبي الجزيرة العربية في تاريخها الحديث. وذلك لما سلكه الترك في أفعالهم، وأظهروه في أعمالهم تجاه الأمراء والأهلين، ولعل ما يصور ذلك الحال قصيدة القاضي صالح بن إسماعيل العكام التي عارض بها: «القصيدة البسَّامة الشهيرة»[3] لإبراهيم بن محمد الوزير[4] (٠٠٠ - ٩١٤هـ)، ومنها قوله:

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٩٥.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ٢١.

(٤) مطلعها:

«الدَّهْرُ ذو عبر عظمى وذو غير وصرفه شَامِلٌ للبدو والحضر»

مجموع كتاب الجَمهرة، مخطوط، غَير مرّقم الأوراق.

عساكر الترك قد جاءت على قدر وافت إلينا بلا وَعْــــدٍ لمنتظر
جند مـــسلطة للثَّـــأر طالبـــة مـصحـوبة بعظيم النصر والظفـر
هوت بيـامٍ وفلَّت غـرب سـادتهـا وصـار منهـا طويل البـاع في قـصـر
واستخرجت كل ما أخفت بواطنها وعـجلت روح داعـيـهـا إلى سـقـر
وفي جـمـوع عـسير قبلهـا فتكت وما حمتها جموع الخيل والسُّمر
وأنزلـت آل مـــرعي من مناظرهـم سـقـتـهـم بالسـقـا كـأسـا من الكدر
هَمْدَانَ هَمْدَانَ أضحت كلها هملاً لم تفرق التُّرك بين الثّعل والنمر[1]

ورغم أن هذه الأبيات تدل على إظهار بطش الترك، وأفعالهم بما يشير إلى مدحهم، فإنما أُريدَ بها هنا تصوير المعارك التي جرت بسببهم، إذ أشبه هذا الشاعر شاعرا آخر هو محمد بن إسماعيل الكبسي (١٢٢١ - ١٣٠٨هـ) حين ذيل قصيدة إبراهيم بن محمد الوزير نفسه بقوله يصف معارك الترك التي اضطرمت نارها في عسير ونجران وبلاد اليمن في عام ١٢٨٩هـ:

نالوا العَسيريْ[2] ونالوا من معاقله وكـان عـضـبـا على الأمـلاك ذا أثر
وذلَّلوا كلَ صـعب من مـعـاشـره وألبـسـوهـم ثيـاب الخـزي والخـور
وصاولـوا المكرميْ[3] في داره فـغـدا في أسـرهـم واثقـا بالعـهـد في غـرر
فلم يراعـوا لـه عـهـدا وعـادتهم نقض العـهـود على باد ومـحـتـضـر
وأرْقَلُوا نحـو صنعـا وهي طائعـة لهـم غـرورا وهـم في غـفـلة البـقـر
فـمـحَّـصـوا كل ذي عـزٍّ ومكرمـة من أهلهـا فـغـدوا في ثـوب مفـتـقـر

(١) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ٢١ - ٢٣.
(٢) كذا في الأصل، وهي ضرورة مكروهة.
(٣) كذا في الأصل، وهي ضرورة مكروهة.

فـتــاه واليــهـم الطاغي وخــالطه عُـجْبٌ فـأرداه في وهـط من الحفـر
فـساق أعـلاجـه والتَّـيْـهُ يقـدمـهـم إلى ربا كـوكـبـان غـيـر مـدَّكـر
فـعـجَّل الله فـيـه نصـرة فـغـدوا طعم السِّباع ومأواهم إلى سـقر[1]

ولا شك أن هذه النصوص السابقة تدل على موقف الشعراء تجاه أحداث بلادهم، وما كان يجري فيها من المعارك والحروب، إذ كانوا كثيرا ما يحاولون وصف تلك الوقائع والتعبير من خلالها عن وجهات نظرهم، إذ يكاد أثر هذه الدعوة السلفية يسيطر على بواعث هذه الحروب، ويدل على الفداء المستمر الذي كان يبذله أمراء تلك الأنحاء في سبيل الدفاع عن عقيدتهم وأوطانهم. وذلك إزاء ما يضمره لهم أعداء الدعوة من كيد وتربص مستمرين، إذ تكاد هذه الدوافع تسيطر على هذا اللون الشعري خلال القرن الثالث عشر الهجري.

والناظر في شعر جنوبي الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري يدرك أن الشعر الذي أنشئ في ميدان الحروب، ووصف المعارك قد كان من الشعر اليمني الذي قيل في جهاد الترك وقتالهم[2]، إلى جانب أن أغلب الشعر الذي صور الأحداث الحربية التي كانت تجري بسبب هذه الدعوة في بقية بلدان الجزيرة العربية، قد كان من الشعر العامي[3] الذي عبر به أصحابه عن تلك الأحداث[4]، وأن تلك الأشعار جميعها قد خفت نشاطها منذ وحدت أجزاء البلاد السعودية، وأصبحت البلاد تنعم بالأمن

(١) المصدر نفسه، ص٢٦.
(٢) انظر: المصدر نفسه.
(٣) انظر على سبيل المثال: ص٤٧١، ٤٧٢ من هذا البحث.
(٤) انظر الأدب الشعبي في الجنوب، لمحمد بن أحمد العقيلي، ج١، ج٢.

والاستقرار، مما صرف أبناءها إلى تكوين حياتهم الاجتماعية والفكرية، والابتعاد عن هذه الأغراض الشعرية التي كانت من قبل سبيلاً لإذكاء روح الفتن، وبعث العصبية، وإحياء مظاهر الفرقة، وما ذلك التأثير سوى مظهر من تأثير النهج السلفي الذي سلكه حكام هذه البلاد في هذه الفترة من القرون المتأخرة الماضية.

رابعاً : شعر الرثاء

يتبين للباحث في شعر جنوبي الجزيرة العربية وضوح شعر الرثاء في ميدان الدعوة السلفية، إذ كان ظهوره مبكراً إلى حد ما إذا ما قيس بغيره من الموضوعات التقليدية الأخرى، ولعل أول ما يطالعنا من نصوص ذلك الغرض التقليدي لدى شعراء تلك الأنحاء إقبالهم على رثاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، إذ لم يكد يبلغ خبر موته الشعراء عندئذ حتى أخذوا يشاركون إخوانهم الشعراء في أرجاء العالم الإسلامي، ويصورون فداحة الأمر وعظمته. وكان شعراء اليمن من أوائل الشعراء بجنوبي الجزيرة العربية مشاركة في هذا المجال، وكانوا أسبقهم عندئذ دراية بأخبار هذه الدعوة، وأكثر الأهلين معرفة بمكانة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولقد كان الشيخ محمد بن علي الشوكاني أبرز من شارك في هذا الموضوع، إذ ما كاد يبلغه الأمر حتى أنشأ قصيدة، قال فيها:

مصاب به قد أظلم الكون كلُّه ... وكان على حال من الحزن حائل
رميتُ به عن قوس أبرح لوعة ... بها نجم روحي كان أسرع آفل
وقام على الإسلام جهراً وأهله ... نعيق غُراَب بالمذلة هائل
وسيم منار الاتّباع لأحمد ... هوان انهدام جاء من كلِّ جاهل
وهبَّت لنار الابتداع سمائمٌ ... بسُمٍّ لنفس الدِّين مردٍ وقاتلِ

فيا مهجتي ذوبي أسًى[1] وتأسفا ... ويا كبد[2] انفتّي[3] بحُزْن مواصل
ويا لوعتي دومي وزيدي ولازمي ... ويا فجعتي للقلب ما عشْت نازل
ويا مقلتي نَحّ الكرى عنك جانبا ... وجودي بدمع دائم السَّكْب هاطل
ويا جزعي لا غبت كن متجدِّدًا ... ويا سلوتي ولِّي وللقلب زايَلي[4]

وتظهر شفقة الشوكاني واضحة تجاه الإسلام حين أصيب في أحد أعلامه، ويرى فقده لهذا العالم سبيلاً لتطاول الجهال، وظهور البدع والمحدثات، كما أبان عن ألمه بروح تقليدية واضحة. وقد نهج الشوكاني نهج معاصريه حين رفع العزاء في نهاية القصيدة إلى أولاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والأئمة من آل سعود، فقال:

فيا سائر الأولاد للشَّيخ إنني ... أعزيكمو مَعْ[5] ذي انتساب وآيل
وأوصيكم بالصبر طرًّا وبالرِّضا ... بجار القضا في عاجل ثم آجل[6]

ثم قال:

وأوفى الثنا مني عليكم مكرَّرا ... وأزكى تحيات سوام كوامل
وأضعافها للمقرنين كلهم ... هداة الورى من مَحْتَدَي[7] فرع وائل

---

(١) في الأصل «أسا».
(٢) كذا في الأصل؛ ليستقيم وزن البيت.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) قصيدة مخطوطة تحت رقم ١٣٦٨/ ١٠م، ورقة ٢٤٢، جامعة الملك سعود، وفي الأصل: زايل.
(٥) كذا في الأصل، وهي ضرورة شعرية.
(٦) القصيدة نفسها، ورقة ٢٤٥، قال عبدالحميد الجندي في كتابه "الإمام محمد بن عبدالوهاب": إن الشوكاني رثى الشيخ محمد بن عبدالوهاب «أكثر من مرثية» وما أظن ذلك صحيحاً، إذ لم تدلنا المصادر حتى الآن إلا على قصيدته هذه.
(٧) المحتد: الأصل.
وفي القاموس: إذا كانت قديمة ورثها عن آبائه، فهي له أصل، ويقال فلان من محتد صدق. . . ، ويقال: إنه لكريم المحتد.

لقــد جــاهدوا في الله حق جــهــاده إلى أن أقــامــو ا بالظبــا كل مــائل[1]

ورغم شهرة هذه القصيدة، إلا أن المؤرخين اليمنيين لم يُقبلوا على ذكرها كما أن ديوان الشوكاني نفسه لم يحوها[2]، ولعل السبب في إهمالها يعود إلى ما غشي اليمن من التيارات المذهبية والسياسية المعادية لهذه الدعوة الإصلاحية؛ مما دفع بعض المتعصبين من المهتمين بالتراث اليمني إلى إهمالها دون تدوينها، ومع ذلك أفاض المنصفون من الباحثين[3] وغيرهم في ذكرها والحديث عنها.

وإذا كان بعض الشعراء اليمنيين قد شارك في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فإن الذي يعجب له الباحث إهمال المصادر التي بين أيدينا الآن لذكر رثاء بقية دعاة الدعوة في نجد وأئمتها، إذ إن الأدباء في هذه الأنحاء قد شاركوا في هذا الميدان عن طريق النثر الأدبي، إلى جانب أن بعث الوفود من تهامة وعسير من أجل رفع العزاء أمر أضحى معروفا عند الناس في هذه الفترة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن القصائد التي كان ينشئها الشعراء بعامة، قد كانت ترسل إلى نجد، رغم أن الشعراء الحفظيين - على سبيل المثال - كانوا حينما ينشئون القصائد المختلفة في هذا الميدان، أو في غيره يستنسخون منه نسخا أخرى. ويشهد لهذا القول النسخ الكثيرة للأصل الواحد في تراثهم[4]، وربما كان الشعراء الحفظيون وأمثالهم مقصرين في إنشاء المراثي في مثل هذه

(١) القصيدة نفسها، ورقة ٢٤٦، والمقرنيون: آل سعود.

(٢) يقول حسين بن عبد الله العمري الذي حقق ديوان الشوكاني: «وكان الشوكاني كسلفه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وغيره من متحرري علماء اليمن، وقد رحبوا بالآراء الإصلاحية التي نادى بها الشيخ ابن عبد الوهاب، ولم تكن في الواقع جديدة أو غريبة، وعندما توفي الشيخ عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م رثاه الإمام الشوكاني بقصيدة ليست في الديوان ولا في البدر الطالع». الديوان ص ١٥٤.

(٣) منهم: أحمد عبد الغفور عطار، ومحمد حامد الفقي، وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، وغيرهم كثير.

(٤) هكذا عُرف هذا الأمر في تراثهم المخطوط.

المواقف، إذ كانوا لا ينظمون شيئا من الشعر، إلا حين تبلغهم الأخبار من نجد، وذلك لمضي فترة من الزمن على الأخبار التي تصلهم، أو لأن دافع الشعر عندئذ قد خف أثره وضعُف، ولعل ما خفي من تراث هذه المنطقة في ميدان الرثاء يظهر بإذن الله.

وينطبق هذا الحال على أمراء عسير السلفيين في القرن الثالث عشر الهجري، إذ لا نجد لهم في التراث الذي بين أيدينا في الوقت الحاضر شيئا من المراثي، سوى ما ينشأ في بعض قصائد المدح من ذكر لأولئك الموتى حين يترحم عليهم الشعراء، مثل قول علي بن الحسين بن عبد الهادي بن بكري في ذكر الأمير سالم بن شكبان:

فَيَا راكبًا إمَّا لقيت ببيْشَةٍ ... وما دفعته من ضراب وفَدْفَدِ
فسلم على قبر «ابن شكْبَانَ سَالمٍ» ... فقد كان قدما قَادما كُلَّ سيِّدِ
يحامي على التَّوحيد حتَّى عرى له ... من الحتف كأسٌ جرعة ذو تردُّدِ[1]

ويقتصر شعر الرثاء الذي بين أيدينا الآن على رثاء بعض الأمراء والدعاة والعلماء الذين أدركوا ظهور هذه الدعوة الإصلاحية بهذه الأنحاء، وبخاصة في رجال ألمع والمخلاف السليماني، فالمصادر تشير إلى أن إبراهيم بن أحمد الحفظي قد رثى الشريف حمود بن محمد الحسني[2] (١١٧٠ - ١٢٢٣هـ)، وأن جامع نتاج هذا الشاعر قد أكد ذلك بقوله: «وهذه الترثية للوالد المذكور، ضاعف الله له الأجور في الشريف الهمام حامي حمى[3] الإسلام حمود بن محمد الحسني غفر الله له»[4]، كما أشارت المصادر كذلك إلى رثاء عبد الرحمن بن أحمد البهكلي (١١٨٢ - ١٢٤٨هـ) للشريف منصور بن ناصر

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٨. و «عرى» لعلها. غدا.
(٢) مجموعة قصائد مخطوطة لأحمد عبد القادر، وولده إبراهيم وغيرهما، توجد لدى الباحث.
(٣) في الأصل «حما». (٤) المصدر نفسه.

(. . . - ١٢٣٣هـ) الذي يُعَدّ من أبرز أنصار الدعوة السلفية[١]، إلى جانب رثاء جملة من الشعراء للشيخ محمد بن أحمد الحفظي، وأبيه أحمد بن عبد القادر الحفظي[٢]، وهما من أبرز علماء رجال ألمع نصرة للدعوة السلفية وتأييدا لها، ومما قاله البهكلي في رثاء الشريف منصور بن ناصر :

لقد أبى[٣] الضيَّم العزم ذو جلد[٤] ... وحلَّ من شرف العلياء في صعد
أشمُّ يشمخ عِزاً أن تُلامسه ... هوجُ الرياح فماذا شأن كف يد
لا يمتطي غير سَرج الأعوجَيِّ ولا ... تراه معتقلا غير القنا الملد
يصبو[٥] إلى المجد، والعلياء ناظره ... حتى ينال ذراها غير مضطهد

فليعظم الأجر كفو الرِّزء لو قصمت ... به ظهور أولي اللأَّمات والسُّرد
وليعتبر بك يا ليث العرين فتًى ... له إلى طلب العلياء فضلُ يد
تالله لو ملكت كفَّاك عاملها ... حتَّى اعتلى بك نعبُ الصَّارخ الغرد
لكنت تارك راميها بمصرعه ... طعم الحُبَارَى وأشلاء لذي لبد
لكن جرت حكم الباري وقدرته ... ألاَّ يقاوى صريحُ الحادث العتد[٦]

ويلاحظ أن هذه القصيدة قد تميزت بحسن السبك، وقوة الدلالة اللغوية، إلى جانب الوضوح في الاستخدام اللفظي، فقد وصفت بأنها فريدة[٧]، وبأنها تُعَدّ « في أعلى طبقات البلاغة غاية في باب المراثي »[٨]، ولعل ما

---

(١) انظر : كتاب نفح العود ص ٣٠٥، والديباج الخسرواني، ورقة ٧٩.
(٢) انظر : ديوان الروض المرضي، ورقة ٤٥٠.
(٣) في الأصل « أبا ».
(٤) في نفح العود: « والجلد ».
(٥) في نفح العود: « يصبوا ».
(٦) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٧٩، ٨٠، وانظر كذلك نفح العود لعبد الرحمن بن أحمد البهكلي، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.
(٧) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٧٨.
(٨) عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، نفح العود، ص ٣٠٧.

يميز الشعر في هذه الفترة أن قائليه يُعَدُّون من أبرز شعراء تلك الأنحاء، ومن المشهود لهم بالإتقان اللغوي، وحسن الأداء اللفظي.

وإذا كانت هذه القصيدة من نماذج الشعر الذي قيل في رثاء أنصار الدعوة بالمخلاف السليماني؛ فإن رثاء العلماء في هذه الأنحاء يكاد يكون أكثر وضوحا وأقوى شعورا بالألم. ومن أمثلته قصيدة يحيى بن علي بن زغدين الزيلعي في رثاء الشيخ محمد بن أحمد الحفظي سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، الذي يقول:

يا مَنْ بعلمك تهتدي الأخبار ... أيضا وفيك تحيّر الأفكار
حزت المعالي والعوالي والعلا ... وجميع أهل العلم دونك صاروا
يا رحلة الطُّلاب يا شرف الهدى ... بك لا بغيرك تنقضي الأوطار

لله درُّك عالماً من مشكل ... ومحذر بك تكشف الأستار
ولكل مشكلة تحل ويحتلي ... بك عاطل وتنور الأسرار
وتزيل بدعة كل مبتدع لقد ... كلّوا وذاعت منهم الأبصار
تحمي حمى الدين القويم به له ... بك شيخنا فوق السِّماك منار
وإذا رآك الزائفون تفرَّقوا ... وتمزَّقوا سيماهم الإدبار
إذ كنت سُنِّيا إماما عادلاً ... للمصطفى بك ترفع الأخبار[1]

ويتبين في هذه الأبيات وضوح الملامح السلفية في شخصية الحفظي، وأن الشاعر قد مدحه بشيء منها، فكان دليلا على اتصاف الحفظي بها، ولعل من أبرزها: دفعه للبدع ونزعها، وأنه يحمي حمى الدين القويم، وينهج نهج أهل السنة والجماعة في مذهبهم واتجاههم السليم[2].

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث، وقد أراد بقوله: «ترفع الأخبار» رفع سند الحديث.

(٢) وذلك رغم ما في بعض أبياتها من آثار الغلو الممقوت الذي يخالف العقيدة الصحيحة، وبخاصة في البيت الثالث والرابع.

وإذا كان الشعراء في جنوبي الجزيرة العربية قد شاركوا بشيء من شعره في رثاء أئمة الدعوة في نجد ودعاتها في هذه الأنحاء؛ فإنهم لم يشبهوا إخوانهم في نجد حينما بكوا ديارهم المنكوبة حين اجتاحتها قوات الترك عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، ولعل سبب إهمالهم لهذا الجانب يعود إلى أن ديارهم لم تفجع بمثلما فجعت به الدرعية، رغم تعرضها لحروب الترك المتكررة، ثم إنّ الشعر الذي يمكن أن يُعَدّ من آثار تلك الفترة قد ذهبت به الأيام وتناقلته الأيدي، وبخاصة إذا علمنا أن معظم نتاج شعراء تلك الأنحاء في ميدان الدعوة السلفية قد كان يرسل إلى نجد حيث الأئمة والدعاة السلفيون. ومع ذلك فإن ما سبق ذكره من نصوص شعرية في هذا المجال يشير إلى ملامح الرثاء في ميدان الدعوة السلفية، ومدى التحام قائليه مع رجال الدعوة المخلصين في هذه الفترة المتقدمة من القرن الثالث عشر الهجري.

ويبرز غرض الرثاء مرة أخرى في ميدان الدعوة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري، حينما فجعت البلاد بوفاة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود الذي جدد أمر هذه الدعوة الإصلاحية، ودعا إلى منهج سلفي قويم، إذ نجد جملة من شعراء هذه الأنحاء يشاركون إخوانهم في بقية البلاد السعودية بشيء من مراثيهم الشعرية المختلفة، ولعل من أشهرهم: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي، ومحمد بن أحمد باشميل، ومحمد بن أحمد العقيلي[١]، ومحمد علي السنوسي[٢]، وغيرهم من الشعراء في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

أما عبد الرحمن العتمي فقد رثى الملك عبد العزيز بقوله:

---

(١) انظر ديوانه: الأنغام المضيئة، ص ٣٠ - ٣٤.

(٢) انظر: مجلة المنهل، ج ٣، س ١٤، ربيع الأول ١٣٧٣هـ، ص ٢٠٨.

آه على عـــبـــد العـــزيز تأوهـا ... يـلــفـى بـكــل فــم لــه تــرديـد

تبكي العــروبة شـجـوها لفـراقـه ... ولقــد بكاه العــدل والتــوحــيــد

عــدل وتوحـــيـــد بحق ليس مـــا ... يعنيـــه من أخطاهم التـــســـديد

أسـد الجزيرة كـان جـامع شـملهـا ... من بعـد مـا أودى بهـا التـبـديد

ومـداه جـمع بني العـروبة ثم جـمـ ... ـع المسلمين على الهدى المقصود [١]

فـقـيـام دين الله خـيـر إقـامـة ... فـيـفـيض فـيـضـا مـا له تحديد [٢]

ولئن كـان قد وسم شعر العتمي من قبل بشيء من المبالغة والغلو حينما كان يمدح الإدريسي، فإنه في هذا العهد قد أصبح يفيض شعورا سلفيا طافحا لا ينطق بما خـالف نهج الشريعة، ولا يـجرح عقيدته بزائف القول ولا بسقط الكلام، انظر إليه يقول:

اللهُ عـــدَّتنا ومنه رَجـــاؤنـا ... لسنا بحـــمــد الله عنه نحـيـــد

إيَّاك يا رحـمن نعـبـد واسـتـعـا ... نتنا بك اللَّهُمَّ يا مـعــبــود

رب اهدنا واجمع لنا الحسنى بذي الـ ... ـدارين [٣] والرِّضـوان حين نعـود [٤]

ويتضح للدارس أثر هذه الدعوة السلفية في شعر العتمي حين عبر بروح سلفية جادة، وبخاصة إذا أدرك أنه قضى ردحا من حياته في بلاد اليمن، ثم أمضى شيئا منها في جازان حيث كان الإدريسي يحكم تلك الأنحاء في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ ليختم حياته منضبطا في هذا العهد السعودي، وقد تحقق من صلاح نهج هذه الدعوة، فأصبح من العلماء الشعراء

---

(١) كذا في الأصل، وبه إقواء، ولكنه معهود، وبخاصة إذا أتى بين الكسر والضم.

(٢) مجلة المنهل، ج ٣، س ١٤، ربيع الأول١٣٧٣هـ ص ٢٠٠.

(٣) في المصدر «الدار»، ولعل الصواب «الدارين»، لكي يستقيم الوزن.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

المخلصين لهذه الأمة[1].

وتتجلى مشاركة محمد أحمد باشميل في قصيدته التي أنشأها في رثاء الملك عبد العزيز، إذ ذكر فيها آلام الحضرميين لفقد هذا الإمام، وأشار إلى اتصالهم الحقيقي بدعاة هذه الدعوة الإصلاحية، فقال:

إمـــام كـــان للإســـلام حـــصْنًا ... عـلـى أبـوابـه تـفـنـى الـغـــــــزاة
إمـــامٌ أظهـــر التـــوحـــيـــد من بعـــ ... ــــدمـا أ خـفـتـه عنا المحـدثات[2]

صـــلات الـديـن تـربطنا بـبـــعـض ... جـمـيعـا حـسبنا هـذي[3] ا الصِّلات
فـمـا شـعـب الحـضـارم غـيـر فـرع ... لـدوحـــتـكـم بـذا نـطق الثـــقـــات
مـلأتم حـضـرمـوت الـيـوم جـودا ... أيـاديـكـم عـلـيـنـا ســـابـغـــات[4]

ولئن كان العتمي وباشميل قد دللا على ملامح الشعور السلفي عندهما؛ فإن شعراء تهامة قد كانوا أكثر وضوحا وإحساسا بهذا الأثر السلفي، مما يدلل على مواكبة شعر الرثاء لأحداث هذا الوطن، واصطباغ معانيه بتلك الروح السلفية الحقيقية المناسبة. ولعل ما يمكن ملاحظته في خصائص هذا الغرض التقليدي أن ملامح الإعجاب لدى شعرائه قد نشأت من واقع الرؤية السلفية التي تتحقق لهم عندئذ لدى من يرْثون بشعرهم، إلى جانب أن معاني هذا الشعر قد اصطبغت بصبغة سلفية، وأنها أضحت تركز على جانب التوحيد،

---

(١) أحمد محمد الضبيب، كتابه السابق، ص ١٢٣.
(٢) هكذا ورد الوزن العروضي لهذا البيت في المصدر.
(٣) في المصدر «هذه».
(٤) محمد أحمد باشميل، حضرموت تعزي وتهني، مجلة المنهل، ج ٤، س ٢٤، ربيع الثاني ١٣٧٣هـ، ص ٢٧٠، ٢٧٣.

وإخلاص العقيدة من درن الشرك، بالإضافة إلى ترفع الشعراء عندئذ من الغلو في القول والمبالغة فيه.

خامسا : شعر المدح

يُعَدّ هذا الغرض من أبرز الأغراض الشعرية التقليدية رواجا على ألسنة الشعراء في ميدان الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية. ولعل وفرة نصوصه قد نشأت من إقبال الشعراء بتلك الأنحاء على هذه الدعوة الإصلاحية، وإعجابهم بالقائمين عليها والداعين إليها، فقد أفاض أولئك الشعراء في ذكر رجالها والإشادة بهم، وبخاصة من شهد الانتشار السياسي لهذه الدعوة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، والواضح أن معظم ما قيل من شعر في هذا المجال يدور حول مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبنيه، والأئمة القائمين من آل سعود، بالإضافة إلى الأمراء السلفيين، والعلماء البارزين بهذه المنطقة الذين أوْلوا هذه الدعوة رعايتهم واهتمامهم، إلى جانب ما وُجد من شعر في مدح أعدائها والقائمين على معارضتها في هذه الأنحاء.

ولعل ما يلفت الانتباه في شعر المدح بهذه الأجزاء من جزيرة العرب أنه قد سبق الأغراض الشعرية الأخرى بجنوبي الجزيرة العربية، وأنه قد تفاوت في وفرته لدى الشعراء بهذه الأنحاء، فحينما برز في شعر اليمن في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، فإنه قد ضعُف من بعد ذلك لدى الشعراء اليمنيين أنفسهم في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ وذلك حين غلبت روح المعارضة على ما وُجد من شعر في ميدان الدعوة بتلك الفترة. ولم يكن الحال كذلك في شعر المخلاف السليماني ورجال ألمع، إذ يبدو بينهما

التناقض واضحا من حيث إن الشعر في رجال ألمع كان يحفل بشعر المدح الوافر في أنصار هذه الدعوة ودعاتها، على حين لم تشر المصادر إلى وفرة منه لدى الشعراء بالمخلاف السليماني، إذ هم يشبهون أمثالهم من شعراء اليمن من حيث غلبة شعر المعارضة على نتاج الشعراء عندئذ في ميدان الدعوة السلفية، ولكنهم حينما قبلوا أمر هذه الدعوة، أراحوا أنفسهم من عناء المعارضة، إذ أبدوا رغبتهم في مدح أشراف بلادهم، وانثنوا عما اعتادوه من قبل، ولعل ما يميز شعر المدح كذلك بهذه الأنحاء أنه في الغالب لم يكن يأتي مستقلا في قصائد منفردة، وإنما كان يأتي ضمن أغراض شعرية أخرى.

وإذا كان الشعراء اليمنيون قد وُصفوا بأنهم قد أثنوا على هذه الدعوة الإصلاحية، وامتدحوا صاحبها في وقت مبكر من ظهورها في بلادهم، فإن من أشهرهم نصرة وتأييدا لها في ذلك العهد: الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير، والشيخ محمد بن علي الشوكاني.

أما الأمير الصنعاني فقد قال في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرُّشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي[1]

أما الشوكاني فقد مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله:

إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا[2] ... ومروي الصدى من فيض علم ونائلِ

(١) ديوانه، ورقة ٥٦، انظر كذلك القصيدة الدالية، ص ٩، ١٠. ولعل ما يميز الشعر الذي وجد للشعراء اليمنيين في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو في رثائه لهذه الفترة، أنه قيل إثر دراية بمنهج الدعوة الإصلاحي، ومعاصرة لصاحب هذه الدعوة نفسه، على حين كان شعر رجال ألمع متأخرا في نتاجه عن هذا العهد المتقدم.

(٢) في الأصل «العدى».

جمال الورى رحب الذَّرى[1] شامخ الذُّرى [2] وجم القرى صدر الصدور الأماثل
عظيم الوفا كنز الشِّفا معدن الصَّفا وجالي الخفا عن مشكلات المسائل[3]

ولئن كان مدح شعراء اليمن ظاهرا في شعر أبرز علمائهم ليدلن على حسن التأييد ووضوح الأثر السلفي، إذ يعد الأمير الصنعاني والشوكاني من أشهر شعراء تلك الأنحاء وعلمائها إنصافا لهذه الدعوة وصاحبها، وحسبنا رأيهما السابق في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي دعوته، إذ لا نجد ما يماثله في شعر اليمن فيما بعد، ومثل هذا الوضوح في شعر اليمن برز في شعر رجال ألمع، إذ حفل نتاج شعرائه بوفرة وافرة من شعر المديح. ومن ذلك اللون الشعري ما قاله محمد بن أحمد الحفظي في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حين قال:

وشيخ الهدى أعني الإمام محمدا دعا وحده والجو بالشرك عاكر[4]

وقال في أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده:

ومثل بني الشيخ الشهير محمد وأحفاده الأعيان أهل المناقب[5]
دعاة الورى والرافعين معالم الشـ ـريعة والقوم الكرام الأطائب[6]

ويأتي شعر المديح الذي قيل في أئمة الدعوة من آل سعود ظاهرا في نتاج الشعراء بهذه الأنحاء، ولكنه - في الغالب - كان يقترن بالأغراض التقليدية

(١) الكنف. (٢) أعلى الشيء.
(٣) قصيدة مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، تحت رقم ١٣٦٨/ ١٠م.
(٤) المجموع رقم ٣٤٢٢، مخطوطات جامعة الملك سعود، ورقة ٨٠، انظر كذلك: مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٤، وانظر كذلك: نفحات من عسير، ص ٩٢.
(٥) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢١.
(٦) ديوان الروض المرضي، ورقة ٨.

الأخرى، وبخاصة في شعر اليمن ورجال ألمع، فقد كان شعراء اليمن عندئذ يضمنون أغراضهم التقليدية شيئا من شعر المديح، مثلما فعل محمد بن علي الشوكاني سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م حينما مدح الإمام محمد بن سعود (. . . - ١١٧٩هـ) وابنه عبد العزيز، بقوله:

سعود[١] مضى والسعد حالف نَجْلَهُ — كما حالف الآباء ليس براحل
لقد نصروا دين الإله وحِزْبَهُ — كما دفعوا داعي الهوى بالقنابل[٢]

أما شعراء رجال ألمع فقد كانوا كثيرا ما يقرنون شعر المدح في نتاجهم الشعري بشعر التهاني، وبخاصة حينما كانت تبلغهم أخبار النصر التي كانت تصلهم حين تحرز جيوش الدعوة النصر في هذا الميدان السلفي، فقد أسهبوا كثيرا في هذا المجال، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، ومما قاله أحمد بن عبد القادر الحفظي في مدح الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود:

ولا سيِّما عبد العزيز فإنَّه — هو القائم الفاروق بالعدل قاضيا
حمى بيضة الإسلام بالبِيضِ والقنا — وأجرى إلى بِرْكِ الغِمَادِ[٣] العواديا[٤]

وقال محمد بن أحمد الحفظي في مدح الإمام سعود بن عبد العزيز:

معز الدِّين والوحيين فينا — مبيد الشِّرك والكفَّار قتلا[٥]

(١) أراد الإمام محمد بن سعود بن مقرن، (. . . - ١١٧٩هـ)، إذ يغلب هذا الاسم على أئمة الدعوة السلفيين من آل سعود، سواء كان ذلك لدى الباحثين العرب أو غيرهم من الغربيين.
(٢) قصيدته المخطوطة السابقة، والنَّجل: الولد.
(٣) موضع، وهو البرك المعروف في تهامة.
(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

ومثلما مدح الشعراء أئمة الدعوة ودعاتها في نجد، مدحوا كذلك العلماء والأمراء الذين ناصروا هذه الدعوة، وقاموا على تأييدها بهذه الأنحاء. ومن ذلك ما قاله محمد بن أحمد الحفظي في الشيخ محمد بن علي الشوكاني:

وكالعالم النِّحرير والحافظ الذي ... تسنَّم في أعلى الذُّرى والغوارب
محمد الشَّوكاني الفذُّ فاسأل التصـ ... ـانيف عنه واستمع للعجائب[1]

وقال محمد بن المساوي الأهدل في مدح الحسن بن خالد الحازمي:

فتى علامة الدُّنيا جميعا ... وفارسها إذا انحسر اللِّثام
فكم لك في الوقائع من قضايا ... تنتجها إذا اشتدَّ الزِّحام
من النَّفر الذين لهم عهود ... من المختار تحملها الذِّمام
أمَا قال الرَّسول: ألا احفظوني ... فحينئذ لحاسده الرَّغَام[2]

وإذا عد قول الأهدل في مدح الحازمي حقيقة لا على وجه المجاز، فإنه لم يبعد عن الحق، وأنه صدق حينما وصفه بكثرة الوقائع، وبشدة تمسكه بالدين، ومحافظته على سنة المصطفى ﷺ، فقد كان من أبرز أنصار الدعوة السلفية، ومن أشد مناوئي الترك، إذ أحصى له عاكش أكثر من عشرين معركة أقامها ضد أعداء الدعوة السلفية حينذاك في تهامة وعسير.

وإذا كان الشعراء بهذه الأنحاء قد مدحوا علماء الدعوة ودعاتها في المخلاف السليماني، فإنهم كذلك قد مدحوا علماءها ودعاتها في رجال ألمع بما يوافق نصرتهم لهذه الدعوة الإصلاحية، فقد قال محمد بن يحيى الضمدي (١٢٠٦هـ - ...) في مدح أحمد بن عبد القادر الحفظي:

---

(١) ديوان الروض المرضي، ورقة ٨، انظر: شعاع الراحلين، ص ٢١.
(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة، ١٢٧، ١٢٨. والرغام: التراب.

وذلك ناصرُ الإسلام حقًا ومن هو آمر ناه دؤوب[1]

وقال إبراهيم بن أحمد الحفظي في مدح أخيه محمد بن أحمد الحفظي:

وغسَّل عن وجه الشريعة قَسْطَلاً من البدع اللَّاتي بشرعتنا ثَلْمُ[2]

ولئن كان العلماء البارزون قد حظوا بمدح الشعراء في تلك الأنحاء؛ فإن الأمراء كذلك قد نالوا كثيرا من اهتمام الشعراء وتأييدهم؛ وذلك لأن أمراء عسير وأشراف المخلاف السليماني من أبرز حكام تلك المنطقة دراية بواقع هذه الدعوة، إذ عاصروا أحداثها، وشهدوا مدَّها السياسي والإصلاحي، ولكنهم يتفاوتون في نصرتها وتأييدها، إذ نجد أن أمراء عسير كافة يتسمون بنصرة هذه الدعوة وتأييدها، على حين تتأرجح مواقف أشراف تهامة بين مؤيد ومعارض، ولكنهم جميعا على كل حال قد نالوا كثيراً من المدائح الشعرية بدافع من هذه الدعوة الإصلاحية، فقد امتدح الشعراءُ الشريفَ حمود بن محمد، وابنه أحمد ابن حمود لمواقفهم من أمراء عسير وحروبهم معهم[3]، وامتدح الشعراء أمراء عسير لنصرتهم لهذه الدعوة وتأييدهم لها. وتلك الملامح تبرز بوضوح في شعر تلك الأنحاء في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إذ يتميز مدح هؤلاء الأمراء جميعًا بأن القصائد التي أنشئت من أجل أشراف تهامة مستقلة واضحة، على حين تأتي القصائد التي أُنشئت في مدح أمراء عسير ضمن قصائد الشعراء التي كانوا يمتدحون بها أمراء الدعوة ودعاتها في نجد، وذلك ما يؤيد اتصال الأثر السلفي ووضوحه لدى أمراء عسير وشعرائهم.

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٣) انظر: الديباج الخسرواني، ورقة ٣٠، ١١٧.

أما الشعر الذي تلا هذه الفترة، فقد كان الشعراء في المخلاف السليماني يشيرون في شعرهم إلى شيء من الملامح السلفية التي برزت في سيرة أشرافهم، ومدى تعقبهم للترك ومناضلتهم لهم، بخلاف أمراء عسير الذين ظلوا مستمرين على تأييدهم الواضح لهذه الدعوة السلفية، بدليل أن الشعراء في رجال ألمع كانوا حينما يمتدحون أولئك الأمراء يحافظون على النسق المعهود في بناء قصائدهم، ويشيرون إلى أمراء الدعوة في نجد، بل يبعثون لهم بأخبار النصر في هيئة قصائد شعرية[1]. وقد ضعُف هذا النشاط الأدبي والاتصال السلفي منذ سرار القرن الثالث عشر الهجري، حيث انصرف الشعراء لساستهم في تهامة وعسير، حتى جدد الملك عبد العزيز آل سعود أمر هذه الدعوة في تلك الأنحاء في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، فأقبل الشعراء يؤيدون وضعهم السلفي، ويشهدون حياة جديدة في أدبهم وحياتهم الاجتماعية.

أما الشعراء الذين مدحوا أشراف المخلاف السليماني من أجل حروبهم المعادية مع أمراء عسير، فقد صوروا معارضتهم لبسط الولاء السياسي لهذه الدعوة السلفية على بلادهم، ومنهم عبد الرحمن بن يحيى الآنسي الذي يقول في مدح الشريف حمود بن محمد الحسني:

مدحت بها هذا الشَّريف أميركُم ... كلامٌ لصبح الصِّدق فيه عمود
على وده لا رفْده أصل نظمها ... وإني لأمجاد الرِّجال ودود[2]
فقوموا لها إن أُنْشَدت عنده فقد ... يقوم بأحماس الرِّجال نشيد[3]

(١) انظر -على سبيل المثال- قصيدة علي بن الحسين بن عبد الهادي: نفحات من عسير، ص ١٢٦.
(٢) في الأصل «ودويد».
(٣) الحسن بن أحمد عاكش، ورقة ٣١، انظر كذلك: نفح العود، ص ٢٧٦.

وما ميز شعر المعارضين في المدح عن سواه من شعر المؤيدين المتأثرين بهذه الدعوة في المخلاف السليماني سوى اعتماده على الفخر دون الركون إلى تصوير الحماس الديني وإظهار حال الدين وواقعه، ولعل هذا الفارق السلفي يبرز لدى عبد الرحمن بن محمد العمراني (. . . - ١٢٧٣هـ) الذي امتدح الشريف الحسين بن علي بن حيدر، حين أقلق الترك وذاد عن حمى الإسلام في بلاده، إذ قال:

حمى بَيْضَةَ الإسْلامِ بالزَّرد والقَنَا وهدَّ مشيد الشِّرك بالرُّمح والعضبِ[(١)]

ويشبه الحسنُ بن أحمد عاكش العمرانيَّ، من حيث إقباله على أمراء عصره في تهامة وعسير، فقد امتدح الشريف الحسين بن علي بن حيدر لنصرته للإسلام[(٢)]، وأعجب بالأمير محمد بن عايض بن مرعي لعدائه المستمر للترك ولنصرته للدين، وإقامة شعائره[(٣)]. وكان عاكش في هذا المجال يصدر عن شعور إسلامي جاد، ومما قاله في مدح الشريف الحسين بن علي:

مليكٌ أشاد الدين في كل موطن فصيَّر أعداه إلى باطن التُّرب
حمى بيضة الإسلام من طعن طاعن وهذا بَديهٌ[(٤)] ليس يحتاج للكسب[(٥)]

وعلى أية حال، فإن غرض المدح في شعر المخلاف السليماني في هذا الميدان السلفي يختلف عن هذا الغرض نفسه، في شعر رجال ألمع، من حيث أنه في شعر المخلاف السليماني يجمع بين اتجاهي المعارضة والتأييد، على حين كان هذا الحال مغايراً في شعر رجال ألمع، إذ يغلب على هذا الشعر جانب

(١) محمد بن علي العمراني، تقريظ عقد الجمان، مخطوط، ورقة ٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ورقة٢١.
(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الدر الثمين، ص ٢٥.
(٤) في الأصل « بديهي »، ولعل الصواب ما أثبت؛ ليستقيم الوزن.
(٥) محمد بن علي العمراني، كتابه السابق، ورقة ٢١.

التأييد فقط. ويشهد لهذا القول ما ورد في شعر رجال ألمع من قصائد المديح المختلفة. ومن ذلك قول محمد أحمد الحفظي يمدح الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي:

وأميرنا أعني ابن عامر تابع يقفو الحوافر للإمام الوالي[١]

فقد أراد أنه يحذو حذو الدعاة السلفيين في نجد، من حيث رفع راية الجهاد والدفاع المستمر عن حياض هذه الدعوة. وهذا القول يشبه قول علي بن الحسين بن عبدالهادي في مدح الأمير عايض بن مرعي الذي هزم الترك عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م، إذ قال:

وفيها رئيسٌ عايضٌ حول وجهه حياض المنايا أصدرت[٢] كل مورد
خليفة عصر للحَنِيفِيِّ مُثْقِفٌ لما اعوجَّ منه في حجازٍ وأنجد[٣]

ويلاحظ في هذه الفترة إقبال الشعراء على مدح الأمراء بهذه الأنحاء، وبخاصة أمراء عسير الذين هم خير من حظي بمدح الشعراء واهتمامهم، ولعل من أبرز من علق به ثناء الشعراء ومدحهم: الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي[٤]، والأمير طامي بن شعيب[٥] والأمير سعيد بن مسلط[٦]، والأمير

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٧٦.

(٢) كذا في نفحات من عسير، وفي ديوان ابن مشرف، وتاريخ مقبل الذكير: « صدرت ».

(٣) مقبل عبد العزيز الذكير، كتابه السابق، ورقة ٤، انظر: نفحات من عسير، ص ١٢٧.

(٤) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٣. ورغم سعة جهود هذا الأمير وأخيه محمد في نشر الدعوة وبسط تعاليمها في جنوبي الجزيرة العربية؛ يبقى معظم الشعر الذي قيل فيهما مجهولاً، لم تدلل المصادر على وجود شيء منه، سوى ما أثبت منه في هذا البحث سواء كان مدحا أو قدحا.

(٥) المجموع رقم ٣٤٢٢، مخطوطات جامعة الملك سعود، ورقة ٨٥.

(٦) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٢.

علي بن مجثل[1]، والأمير عايض بن مرعي[2]. وكان الأمير محمد بن عايض[3] من أبرز أمراء عسير شهرة وتأييداً لنهج الدعوة السلفية ومبادئها فيما بعد، ومما قاله أحد الشعراء المجهولين في مدح الأمير محمد بن عايض المغيدي، وقد أظهر بسالة في جهاد الترك وأشياعهم:

تصدَّى لغزو التُّرْكِ في كلِّ بندر   وطهَّر منهم بحرها والسَّواحلا
وذاد عن الإسلام مَن رام محوه   وشيّد أركانا له ومعاقلا[4]

وحين قضى الترك على إمارة آل عايض في عسير سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م أخذ الشعراء السلفيون في كثير من بلدان جنوبي الجزيرة العربية ينفرون من حكمهم، ويبحثون عن وجهة سياسية يبسطون آمالهم نحوها. وكانت في الغالب لا تتحقق تلك الوجهة السياسية؛ مما صرف كثيرا منهم إلى العزلة والابتعاد عن مراكز السلطة السياسية حينذاك، فقد وسم الشعر عندئذ بالضعف والمحاكاة والتقليد[5]. ولم يلبث هذا الأمر حتى تبدل، إذ وُحِّدت البلاد السعودية، وأخذت أجزاؤها تلتحم حول وحدتها السياسية الشاملة، فقد انعكس ذلك على الشعر بعامة، وأخذت أصوات الشعراء ترتفع من أرجاء جنوبي الجزيرة العربية مغتبطة بهذا العهد الجديد[6].

(١) انظر قصيدة علي بن حميدة، المخطوطة، وهي لدى الباحث.
(٢) المصدرنفسه.
(٣) انظر الشعر الوافر الذي مدح به الحسن بن أحمد عاكش الأمير محمد بن عايض في رسالته التي ألفها في تاريخ إمارته، والموسومة بالدر الثمين.
(٤) عبد الله قيس الغامدي، كتابه السابق، ص ٧٥.
(٥) انظر - على سبيل المثال - قصيدة علي بن عبد الرحمن النعمي في مدح الأمير علي بن محمد بن عايض المغيدي: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث ص ٢٣٤.
(٦) ولعل من أشهر شعراء هذه الأنحاء إقبالاً على هذا اللون الشعري شعراء تهامة، وبخاصة الشاعر علي بن محمد السنوسي.

ويأتي غرض المدح من أبرز أغراض الشعر نشاطا وتأييدا عندئذ، فقد أخذ الشعراء يشاركون بشعرهم في تصوير أوضاع مجتمعاتهم، وإيضاح ولائهم لولاة أمورهم، ولعل ما يلاحظ على اتجاه الشعراء في هذا المجال أن شعرهم اصطبغ بصبغة واضحة تدلل على مدى تأثر الشعراء بنهج بلادهم الجديد.

ومن أوائل الشعراء الذين شاركوا في هذا الغرض الشعري الشاعر عبد العزيز ابن محمد المنصوري الغامدي الذي يقول في مدح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٣هـ):

ذاك الإمام الذي تُرْجَى مواهبه ... ومن جزيل عطاه[١] تخجل السُّحُبُ
ولم أُرد نظم أبياتي مزاحمة ... ولا مناضلة يا من له الأدب
وليس من صنعتي نظم القريض ولو ... تعطى لي الفضة البيضاء والذهب
لكنه هزَّني[٢] شوقا وتذكرة ... والشوق بالشوق مجذوب ومجذب
والعفو فيما بدا في اللفظ من خلل ... والعفو يشمل ما لا تشمل العتب[٣]

وإذا كان الغامدي قد مثَّل مستوى الشعر عندئذ في بلاد عسير، فإن زملاءه في تهامة كانوا أكثر نتاجا في هذا الميدان، إذ أخذوا يشاركون بشعرهم في تصوير أحوال بلادهم، وما أضحوا عليه من الاستقرار والأمن، ولعل علي بن محمد السنوسي من أشهر أولئك الشعراء مشاركة في هذا الغرض الشعري، فقد أنشأ جملة قصائد في مدح الملك عبد العزيز آل سعود وبنيه وعمَّاله الأمراء في مقاطعة جازان[٤]. ومن شعره في هذا الميدان قوله يمدح الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م:

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، والأسلوب ضعيف سواء عاد الضمير إلى متقدم وهو الملك عبد العزيز أو عاد إلى الشوق، ولعل الضمير حقيقة عائد إلى الملك عبد العزيز، ومع ذلك الأسلوب ضعيف في الحالين.

(٣) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى محمد سعد البركي ببلجرشي غامد.

(٤) انظر: شعراء الجنوب لمحمد بن علي السنوسي، ومحمد بن أحمد العقيلي.

وذبَّ في نصـــرة الإســـلام عن بلد ... فيـهـا المقـام وفيـهـا الحـجْر والحَـجَر
ومـوسم الحج مـذ مـا اسـتـقـام بـه ... صفت لياليه لا خوفَ ولا سهر

وأنقـــذ العـــرب العـــرباء من فتن ... كالسيل في جنح ليل ما به قمر
كـــانت لعـــمـــرك لا تنفك ثائرة ... في كل ناحية من نارها شرر
ويقتل البعض[1] بعضا من حَمِيَّتها ... تعـــصـــبـــا وتمادى بينهـــا الوتر

ها نحن في عصره الزاهي على دعة ... وصفـو عيش رغـيد ما به كدر
والناس في ظل أمن أصبـحت معـه ... هذي الحصون كلا شيء ولا القصر
يأوي الغريب إذا ما الليل أدركه ... في مهمه ما به نبت ولا شجر
كـأنما القـفـر دار والخـلا وطن ... لابن السبيل ومن قد ضَّمه السفر
وحوله سيفُ عدل لا يفارقه ... يدور حيث تحل البـدو والحضـر
ومن تكن هكذا أيام دولتــه ... يطيب للناس في أخبـاره السـمر[2]

ويشبه علي بن محمد السنوسي بقية شعراء المخلاف السليماني واليمن وعسير الذين شاركوا في مجال المدح الذي يُعَدُّ من أوسع موضوعات الشعر وأوفرها نتاجًا في هذه الأثناء.

(١) كذا في الأصل.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠.



الفصل السابع

اتجاهات هذا الشعر وخصائصه الفنية

يدرك الدارس في شعر جنوبي الجزيرة العربية وضوح الأثر السلفي الذي أوجدته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نماذجه الشعرية المختلفة، ولعل ذلك الوضع يساعد على دراسة اتجاهات هذا الشعر وسماته، وبخاصة الخصائص المعنوية والفنية، فقد حفلت مضامينه بسمات معنوية، ولم تكن ظاهرة في تلك المضامين من قبل، كما اتصفت تلك المعاني الجديدة بشيء من ملامح الجدة والتطور؛ إذ بان أثر هذه الدعوة السلفية واضحا في كثير من الاتجاهات الشعرية المختلفة. وذلك حين طرق الشعراء شيئا من المعاني الشعرية التي لم تكن معهودة من قبل في شعر هذه الأنحاء، مما وسم النتاج الشعري بهذه الأجزاء من جزيرة العرب بخصائص معنوية ظاهرة[1].

ومثلما ظهر أثر الدعوة السلفية واضحا في جانب المعاني الشعرية، كان وضوحه كذلك ظاهرا في اللفظ والشكل الفني؛ ولكن ذلك التأثير كان أقل في الخصائص الفنية منه في الخصائص المعنوية؛ إذ ظل الشعر تقليديا في ألفاظه وأساليبه، لم يطرأ عليه جديد في التكوين الأسلوبي سوى ما يُعَدّ ظاهرا من تأثير الدعوة نفسها، وبخاصة في بناء القصيدة وأسلوب التعبير؛ ولذلك ظهر أثر هذه الدعوة السلفية في شيء من الخصائص المعنوية والفنية. وهذا ما يمكن دراسته وبيانه.

---

(١) يراد بالاتجاهات المعنوية والخصائص الفنية في هذا البحث؛ تلك المعاني والخصائص الشعرية المتميزة التي برزت في شعر هذه الأجزاء من جزيرة العرب خلال هذه الفترة. وذلك ما يميز شعر هذه الفترة نفسها عن الشعر المعهود في تلك الأنحاء من قبل، وقد تشبه هذه الخصائص الشعرية ما ظهر من خصائص شعرية مماثلة في شعر بعض أجزاء الجزيرة العربية الأخرى.

أولا : الاتجاهات والمعاني

يتميز الشعر الذي أنتج في ميدان الدعوة السلفية بجنوبي الجزيرة العربية بوفرة المعاني الشعرية وكثرتها، فقد حفل هذا النتاج الشعري بعديد من الاتجاهات المعنوية المختلفة ذات الملامح المتميزة، فالواضح أن المنحى السلفي الذي تسلكه هذه الدعوة الإصلاحية في منهجها قد أثر في نشاط الشعراء ونتاجهم. كما كان للثبات الوطني الذي كان عليه الأمراء السلفيون بتلك الأنحاء أثر في اتجاهات الشعراء وميولهم، إلى جانب العداء السافر الذي كان ينصبه أعداء الدعوة لأبناء هذا الوطن السلفيين، إذ نتج عن الفتك والأسر والإبعاد عن الأوطان شعر ذاتي لا يخلو من السمات الموحية الجديدة؛ ولذلك أمكن دراسة أبرز المعاني الشعرية المهمة في ضوء هذه الاتجاهات الأدبية، وبخاصة الاتجاهات: السلفية، والوطنية، والذاتية التي برزت في نتاج الشعراء بهذه الأنحاء.

الاتجاه السلفي

يُعَدّ هذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات الشعرية التي تَميَّز بها الشعر في هذه الأنحاء، فقد كان لتعاليم الدعوة الإصلاحية التي دعا إليها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب أثر في تطهير العقيدة الإسلامية مما أصابها من درن البدع والمحدثات الباطلة، إذ صحّحت هذه الدعوة أوضاع الناس الدينية، وصرفتهم عن مواطن الزلل والانحراف، فقد هذَّبت أفكارهم، وجعلتهم يصدرون عن روح سلفية سليمة، لا تخلو من وضوح الفكر السلفي الصحيح، فالواقع أن ميدان الشعر من قبل لم يكن يتسم بهذا النقاء الروحي الذي أصبح عليه الناس من بعد ظهور هذه الدعوة وانتشارها.

والحق أن المتتبع لهذا الأثر السلفي في شعر جنوبي الجزيرة العربية يدرك مدى الوضوح الإصلاحي لهذه الدعوة وأن الشعراء بهذه الأنحاء قد أفادوا كثيراً من مبادئها ونهجها، فقد دلت المصادر على أن أثرها قد ظهر في بلاد اليمن منذ وقت مبكر، وأن تعاليمها السلفية قد بدأت تظهر في نتاج الشعراء، ولعل ما يوافق هذا القول قصيدة محمد بن إسماعيل الأمير التي يقول فيها:

إذا لم يكن لله فعلك خالصا ... فكل بناء قد بنيتَ خراب
فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى ... وقد وافقته سنة وكتاب
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... ولم ينج منه مركب وركاب[1]

يوافقه أيضا قوله:

فصحح أساسا للبناء فكم ترى ... على جُرُف هار بناء تهدما
وناصح بني الدنيا بترك ابتداعهم ... فقد صيروا نورَ الشَّريعة مظلما[2]

ويدل على هذه الروح السلفية عند الأمير الصنعاني كذلك قوله في المنجمين وضلالهم سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م:

ولا تستمع من عابد لنجومه ... تقاويم زور ليس تغني ولا تجدي
أكاذيب يمليها لكل مغفل ... يصدقها من ضلَّ عن طُرق الرشد
ووالله ما عند النُّجوم دلالة ... على نحس يوم في الزمان ولا سعد
ووالله ما غير الإله بعالم ... بما في غد مما يسرُّ وما يبدي[3]

ويبدو الأثر السلفي واضحا في هذه الأبيات حين ذم الأمير الصنعاني

(١) ديوانه، ورقة ٧.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٦٩.

المنجمين، ورأى ضلالهم من خلال ما يدعون من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فقد كان يؤذيه - فيما يبدو - تصديق الناس لهم، وإيمانهم بما يقولون[1]، وقد تنبه لهذا الاتجاه السلفي شوقي ضيف، حينما وصف الأمير الصنعاني بأنه قد تخيل في إحدى قصائده آمال المصلح الديني[2] الذي يراه الأمير الصنعاني جديرا بنصرة الشريعة الإسلامية ودفع البدع، ونزعها عن الناس[3]. وقد قرر هذا الباحث: «بأن المقصود في هذه القصيدة محمد بن عبد الوهاب وأنصاره»[4]، ولذلك فمحمد بن إسماعيل الأمير عندئذ قد أدرك ذلك الإصلاح الديني، وأفاد منه هذا الاتجاه السلفي الذي ظهر في شعره بوضوح.

ويشبه محمد بن علي الشوكاني في هذا الاتجاه السلفي الأمير الصنعاني من حيث المشاركة في المعاني السلفية، والأخذ بالمنهج القويم، فقد قال الشوكاني:

ألا ناصرٌ للدِّين دين محمد ... ألا عاضدٌ يا للرجال يعاضدُه
ألا غاضب يوما لسنة أحمد ... فمن كان منشودا فإني ناشده
أيا معشرَ الأعلامِ هل من حمية ... أيُهْجَرُ من قول الرَّسول فوائدُه
أيُنْكَرُ معروفٌ، ويُعْرَفُ مِنكر ... ويُقبَل في الدين المطهر جاحِدُه[5]

وإذا كان الأمير الصنعاني والشوكاني قد أظهرا في شعرهما ميلهما السلفي من خلال المعاني الوافرة التي كانا يطرقانها، فإن محمد بن أحمد الحفظي يعد من أكثر شعراء آل بكري برجال ألمع تناولاً لتلك المعاني السلفية،

---

(١) شوقي ضيف، كتابه السابق، ص ١٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٣.
(٣) ديوانه، ورقة ١٨١.
(٤) كتابه السابق، ص ١٨٣.
(٥) ديوانه، ورقة ١٦.

فقد أضحى شعره منتظما لكثير من المعاني الإصلاحية، وبخاصة تلك المعاني التي يستقيها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا أدل على وضوحها من ابتعاد محمد بن أحمد الحفظي عما كان يشغل به نفسه من معاني التصوف والتشيع التي كانت قد وُجدت في شعره من قبل[1]. ومن شعره في هذا الاتجاه السلفي قوله:

بدا الخيرُ العظيم وقد تجلَّى ... لنا نور الهدى والشَّرُّ ولَّى

وصار الناس إخوانا جهارا ... وولَّى الله كلا ما تولَّى

ودين الله باق في ظهور ... له كل العلوّ وليس يُعلى

وهذي السنة الغَرَّاءُ فيها ... بيانٌ وهي للناس تُملَّى[2]

وقال في قصيدة أخرى:

فالنَّصر بالله لا جندٌ ولا عددٌ ... لو كان بالجند كان الحق مقهورا

وسنة الله نصر الطائعين له ... فطاعةُ الله جُندٌ ليس مثبورا[3]

وقال كذلك في قصيدة أخرى:

واستنطق الذِّكر واستفسر غرائبه ... بسنَّة المصطفى تُظْهِرْ[4] معانيها[5]

ويلاحظ أن من أبرز المعاني السلفية التي كان يطرحها الشعراء في ميدان الدعوة بجنوبي الجزيرة العربية؛ تلك المعاني الظاهرة في جانب النصح الذي كان يوجه من قبلهم إلى ولاة الأمور والأهلين، وهو عادة ما تختم به

---

(١) لقد نهج هذا المنهج كذلك الشيخ أحمد عبد القادر الحفظي الذي نزع من مثل تلك الاتجاهات الدينية المختلفة، انظر ذلك في: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية للباحث، ص ٣٣٠ - ٣٣٣

(٢) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٠، انظر نفحات من عسير، ص ٩٩.

(٣) المجموع رقم ٣٤٢٢، ورقة ٨٥، مخطوطات جامعة الملك سعود.

(٤) كذا في الأصل بسكون الراء، ولعله جُزِمَ في جواب الأمر لمشابهة الأمر بالشرط.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٥.

موضوعات الشعر وأغراضه عندهم، فالواضح أن هذا النهج قد كان معتادا من معظم الشعراء، وأنه ربما وجه إلى الأمراء المحليين، أو إلى الأئمة في نجد، إذ يظل في كلا الحالين يفيض بروح الإصلاح. ومن نماذج ذلك النهج قول محمد ابن أحمد الحفظي يوصي الإمام سعود بن عبد العزيز:

ووصيَّتي لك يا سعود إمامنا ... وأنا المقصر والجهول التالي
أن تستقيم على الكتاب وسنة ... وتقيم وزن القسط في الأقوال
وتقيم دعوة شيخكم[1] وأبيكم[2] ... وتجدِّد الدين الصحيح البالي
متفقدا حال الرعايا[3] مشفقا ... من غير ما عُنْفٍ ولا إهمال[4]

وقوله كذلك يوصي أمير عسير في إحدى أراجيزه المطولة:

وإنني أوصيك يا أميرَنا ... بما به الخلاص في مصيرنا
محبة فيك وأرجو خيرا ... يوم تسير الشامخات سيرا
بحثِّك الجنود والرَّعيَّة ... على اتباع سيِّد البريّة[5]

ومن الواضح أن ظاهرة النصح في شعر هذه الأنحاء قد كانت قوية جريئة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، بدليل أن الشعراء كانوا لا يهملون إظهار نصحهم في شعرهم[6]، وأن أكثر من حفل شعرهم بنصح ولاة الأمور كانوا من الشعراء الحفظيين الذين عاصروا الدولة السعودية الأولى[7].

(١) يشير إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٢) يشير إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.
(٣) في الأصل «حالا لرعايا».
(٤) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٣، انظر: نفحات من عسير ص ٧٧.
(٥) ديوان الروض المرضي، ورقة ٢٣١، انظر: شعاع الراحلين، ص ١٤٧.
(٦) انظر: شعاع الراحلين، ص ٢٢.
(٧) انظر: مجموع نفحات من عسير.

وإن أتى من بعد ذلك شيء من شعر النصح، فإنه لم يكن بتلك الصورة الجريئة الواضحة التي تستمد قوتها من واقع الدعوة السلفية نفسها[1].

وتبرز الروح السلفية واضحة لدى عبد الله بن سرور الهمداني، حين كان يصدر في معانيه الشعرية بثقة نفسية جادة، ولا غرو في ذلك فهو ممن أقبل على هذه الدعوة بصدق وتأييد[2]، ومن قوله في هذا الجانب يخاطب صديقه إبراهيم بن أحمد الحفظي (١١٩٩ - ١٢٥٧هـ):

ولا تَخَفَنْ في الحَقِّ لومة لائم ... ولا بطشة فالقبض لله والبسطُ

وإن كان في هذا على النَّفس شُقَّةٌ ... ومن دونه شوك القَتَادة والخَرْطُ

فَأعْنِ[3] كتاب الله تنجو وسنة ... لخير الورى عقد النبوة والسِّمْطِ[4]

ويلاحظ في هذا الاتجاه السلفي تركيز بعض الشعراء على ذكر الكتاب الكريم والسنة النبوية، وحض الناس عليهما، مما يوحي بروح سلفية جادة تبرز من خلال المعاني المستخدمة في الشعر عندئذ. ومن ذلك أيضا قول إبراهيم بن أحمد الحفظي:

اجهد بجهدك في الوحيين إنهما ... نِعْمَ الدليلان تَهدي من تَلا ومشى[5]

وقوله:

ويا حبَّذا الوحيان أنهما هما ... ولا حبَّذا قول ابن سيناء أو رُسْطُو[6]

---

(١) من الواضح أن بعض الشعراء قد خصص بعض قصائده بالنصح، مثلما فعل إبراهيم بن أحمد الحفظي الذي اعتاد هذا السبيل في كثير من شعره. انظر ذلك في: شعاع الراحلين، ص ٨٥.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، مناظرة ابن ادريس مع فقهاء عسير، ورقة ٣.

(٣) كذا في الأصل، وقد جرى من الشاعر القطع؛ ليستقيم الوزن.

(٤) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٨٢. والسمط: الخيط ما دام فيه الخرز، وإلا فهو سلك. انظر: مختار الصحاح، ص ٣١٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٠، ومن الأفضل أن يقول: «من تلا وتلا».

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٣، ومن الأفضل أن يقول: «وأرسطو» أو: «ولارسطو».

ولئن تميز الشعر في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري بوفرة المعاني السلفية التي كان يصدر عنها الشعراء في كثير من معانيهم الشعرية، فإن الشعر في النصف الأول من هذا القرن نفسه، قد حفل بشيء من تلك المعاني السلفية الواضحة، وليس أدل على ذلك من قول علي بن يحيى حميدة:

مقيم ببيتي يعلم الله فاقتي ... نزلت حمى الرّحمن أكرِمْ به حمى
وإن مت في أهلي شهيدا موحِّدا ... فلست أبالي حين أُقتل مُسْلما[1]

فلقد ضمن ابن حميدة بيته الثاني معنى بيت الصحابي الجليل خبيب بن عدي - رضي الله عنه - الذي يقول:

فو الله ما أرجو إذا متّ مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي[2]

والحق أن هذه الروح الإسلامية في بيتي ابن حميدة لتدل على رؤى سلفية جادة، أضحى لها قوله جميلا مناسبا، وبخاصة إذا أدرك موقفه المؤيد من هذه الدعوة الإصلاحية.

ويمكن أن تعد المناجاة الدينية التي كان ينشئها الحسن بن أحمد عاكش، حين كان يؤم مكة المكرمة، من مظاهر الاتجاه السلفي الذي نشأ في شعر عاكش عندئذ، ومن ذلك قوله:

بمكة قد أصبحت يا صاح ثاويا ... وقد صرت جارا للكريم إلهيا
هربت إليه من ذنوب تعاظمت ... عليَّ وقد قاسيت منها المخازيا
فيا راحما ارحم وقوفي وذلّتي ... ببابك عند الركن إذ رحت داعيا[3]

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.
(٢) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ١٨٦.
(٣) مجموعته الشعرية، مخطوطة، غير مرقمة الأوراق.

ولعل خير من فاض شعره بالروح السلفية الإسلامية الجادة أحمد بن عبد الخالق الحفظي الذي كان يتحلى بنظرة إصلاحية واضحة. وذلك حين صوَّر موقف حكام زمانه على لسان الشريعة الإسلامية، وقد تخاذلوا عن نصرتها، إذ قال:

والله ما سكتوا عنّي ولا غفلوا ... إلا لأغراض دنيا تجلب العطبا
كل يريد من الحكَّام مقربة ... ويطلب العزَّ والأموال والرُّتَبَا[1]

ولئن كان قد تبين شيء من ملامح الاتجاه السلفي لدى شعراء القرن الثالث عشر الهجري بتلك الأنحاء، فإن بعض شعراء القرن الرابع عشر الهجري قد وجَّهوا شيئا من معانيهم الشعرية نحو ذلك الاتجاه، إذ نجد الإمام يحيى حميد الدين (١٢٨٦ - ١٣٦٧هـ) ينشىء قصيدة إسلامية رائعة «يستنهض فيها المسلمين وإخوان الدين، ويحثهم على الاجتماع والتعاضد»، ومنها قوله:

مغلغلة منشورة في المحافل ... تَهِيمُ وتَذْري الدَّمع تهيام ثاكل

أيا قوم هبوا شمروا وتعاضدوا ... وحوطوا ذمَار الدِّين عن كل مائل
كما فعلت أصحاب طه ومن تلا ... همو قافيَا آثارهم من حلاحل[2]

ورغم وضوح الاتجاه المذهبي المعهود لدى هذا الإمام، إلا أن إحساسه بهذا الاتجاه السلفي قد أخذ ينمو في فؤاده، ويستشعر مظاهر الصحوة السلفية النشطة التي نشأت في معظم أجزاء الجزيرة العربية عندئذ، وليس هذا شأن هذا الإمام فحسب، إنما هو شأن معظم أئمة اليمن من قبل الذين عهدوا أحداث هذه

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٥٠.

(٢) أمين الريحاني، كتابه السابق، ج ١، ص.

الدعوة وعرفوها منذ ظهرت في بلادهم. ويشهد لهذا القول تأثر الإمام المنصور علي بن المهدي العباس بنشاط الدعوة، ونجاحها في جنوبي الجزيرة العربية في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك الأثر دون شك قد دعاه إلى نزع ما يخالف العقيدة الإسلامية، بل ودفع ما حل باليمن حينذاك من البدع والمحدثات(١).

ويقابل هذا الحماس الديني تفضيل بعض الشعراء بهذه الأنحاء لنظم المناجاة الإلهية التي لا تخلو من وضوح العقيدة وصفائها، وذلك مثلما فعل عبد الله بن علي العمودي (١٢٧٨ - ١٣٩٨هـ) الذي يقول:

أتيتُ إليك يامنشي البرايا ... بإسلام وتحقيق ونيَّهْ
وحسن عقيدة في الله ربي ... فأسمح(٢) لي بغفران الرَّزيهْ
من التنزيل مسموعا أتانا ... ومنصوصا من الكتب العليهْ
بأن الله يغفر كل ذنب ... بتوحيدٍ وإخلاصٍ ونيَّه(٣)

ويبرز الاتجاه السلفي واضحا لدى نفر من شعراء جازان في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وذلك حين أخلصوا لمبادئ هذه الدعوة الإصلاحية، واقتفوا آثار السلف الصالح رحمهم الله، ولعل من أشهر أولئك الشعراء الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ) الذي قال في وصف جهاد شيخ الإسلام ابن تيمية (... - ٧٢٨هـ):

وكم هاجم البدع الضَّلال وأهلها ... بدلائل الوحيين خير ضياء

---

(١) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٤٤٠. وقد تأثر بهذا التيار الإصلاحي في هذه الأثناء الإمام المتوكل على الله أحمد بن المنصور، انظر: حوليات يمنية، ص ٧.

(٢) كذا في الأصل، وقد جرى من الشاعر القطع؛ ليستقيم له وزن البيت.

(٣) مجموعته الشعرية، مخطوطة، غير مرقمة الأوراق.

وقواعد التحريف هدَّ حصونها أعظمْ به هدمـا لشـرٍّ بناء!
وله جهادٌ ليس يُعْهَد مثله إلا بَعهد السَّادة الخُلَفَاءِ[1]

ويظهر هذا الاتجاه السلفي كذلك لدى نفر من الشعراء الحضرميين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري؛ فقد ذكر محمد أحمد باشميل أنه هو ونفر من زملائه الحضرميين قد رفضوا أن يؤمهم أحد فقهاء بلادهم لصلاة الجمعة؛ لما يعلمونه عنه من فساد العقيدة، وقد أدى بهم هذا الرفض إلى السجن، وكان هذا الحال قد دفع باشميل إلى نظم قصيدة مناسبة لا تخلو من الروح السلفية[2]، ولم يأت هذا الاتجاه - دون شك - لدى أولئك الرجال الحضرميين غير إحساس بما يجري في بلدان الجزيرة العربية الأخرى من إصلاح ديني جاد.

وفي الحقيقة أن هذه الدعوة الإصلاحية التي أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، قد أثرت تأثيرا واضحا في ميول الشعراء، وهذَّبت عقيدتهم من الشطحات الدينية التي كانت سائدة من قَبلُ في مجتمعاتهم، كما نقَّت حياتهم الفكرية من وفرة الاتجاهات الدينية المختلفة، وجعلتهم يصدرون عن روح سلفية ظاهرة؛ لاتقبل الشطط في العقيدة، ولا السكوت على المنكر، وإنما هي روح إصلاحية تنهج منهج السلف، وتسلك مسلكهم، دون الميل إلى المحاباة والمداهنة في القول والعمل.

الاتجاه الوطني:

يُعَدّ الاتجاه الوطني في شعر جنوبي الجزيرة العربية من أهم الاتجاهات

(١) أحمد حافظ الحكمي، من أعلام الجزيرة الشيخ حافظ الحكمي، مجلة اليمامة، ع ٢٤٢، محرم ١٣٩٣هـ، ص ٢٩.

(٢) أخبرني بذلك شيخي محمد بن سعد بن حسين، من حديث له مع باشميل في الرياض في جمادى الثانية سنة ١٤٠٣هـ.

الشعرية التي ظهرت في ميدان الدعوة السلفية بتلك الأنحاء؛ وذلك لأن الشعراء استطاعوا أن ينشئوا من أجل هذه الدعوة الإصلاحية شعرا إسلامياً وطنيا لا يخلو من الصدق النفسي، فقد ابتُليت تلك الأنحاء من جزيرة العرب بحروب الترك المتكررة، وكيدهم المستمر، إذ أغاظهم ما تحظى به هذه الدعوة الإصلاحية من الرعاية والاهتمام، وما أضحت عليه من الانتشار والاتساع، فقد أخذوا يفتنون الناس في معاشهم، ويضيقون عليهم المقام في ديارهم، إلى جانب حروبهم المتكررة، وسيرة جنودهم الوضيعة في تلك المجتمعات الآمنة[1]، كل ذلك أَوْجَدَ دافعا وطنيا لدى الشعراء، وجعلهم يصدرون في شعرهم عن معانٍ شعرية جديدة لم تكن معروفة من قبل ظهور الدعوة السلفية في بلدانهم، وبخاصة في تهامة وعسير، فمن الواضح أن هذه الدعوة قد رفعت من معنويات الشعراء بتلك الأنحاء، وجعلتهم يعبرون عن مواقفهم الإسلامية والوطنية بصدق ووضوح.

ويتبين وضوح هذا الاتجاه الوطني في شعر جنوبي الجزيرة العربية؛ مذ بدأت جيوش الترك والمصريين تغشى هذه البلاد منذ الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث نجد نفرا من شعراء تلك الأنحاء يصفون تلك الجيوش، ويرون فيها خروجا على ضوابط الإسلام. ومن أولئك الشعراء محمد ابن أحمد الحفظي الذي وصفهم بقوله:

تجمعوا من صَعَاليكٍ سَفَاسِفَةٍ   من أرض مِصْرَ ومن أبناء قَنْطُورا[2]

فالحق أن الحروب التي أقامها الترك والمصريون ضد أنصار هذه الدعوة السلفية لتشير إلى رغبة الأتراك في القضاء على مراكز التأييد السلفي في جزيرة

(١) انظر: مجلة البلاد، ع ٥٢، ١٢صفر ١٣٩٣هـ.

(٢) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٦. وقد أراد بـ«قنطورا»: الترك وجيوشهم.

العرب، وأن القائمين عليها لا يصدرون «عن عاطفة دينية أو نزعة إسلامية»[1].

ويبدو أن الشعراء في هذا العهد كانوا يرون في قادتهم فلاحا حينما يصدون هجمات أولئك الأعداء. ومن أولئك الشعراء محمد بن أحمد الحفظي نفسه الذي يقول:

سعود[2] الخير من شاد المعالي | وزال الترك عن خير المصلَّى
وجانب فِرْقَةً فيها ضلال | على سنن الشَّريعة قد تولَّى[3]

وتأتي اتجاهات الشعراء الوطنية واضحة تجاه الترك في دوره السياسي الأول خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث استهدفوا تلك الأنحاء من جزيرة العرب؛ لتعقب أنصار الدعوة والقضاء عليهم. وما أن ظهر دورهم الثاني منذ سنة ١٢٣٤هـ حتى هب الشعراء يدافعون عن أوطانهم ويُظهرون غيرتهم الإسلامية، إزاء ما يصدر من الجيوش التركية وأفرادها، إذ أنكروا أفعالهم وفسادهم في الأرض. ومن أولئك الشعراء الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ) الذي أظهر موقفه الوطني من خلال قصيدة مدح بها الشريف الحسين بن علي بن حيدر (١٢١٥ - ١٢٧٣هـ). وقد رأى فيه النصير الأول لحال تلك البلاد وأهلها، ومما قال فيها:

أذِعْ حسن أيام له في وقائع | فكم أذاق المعتدي غُصَّةَ الكرب
به كان فتح الله لليمن الذي | أقام به الأتراك في المُنْكَر الصَّعب
نشت لهم والله فيه فضائح | تسوِّد وجه الدين في الشرق والغرب
خلت عنهم طُلَّابُ شرع محمد | فطاب لهم لهو الحديث مع اللعب

---

(١) محمد بن سعد بن حسين، كتابه السابق، ص ٢٥٨.

(٢) الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٠٠.

يرون قبيح الفعل في كل حالة هو الحسن المحمود ما فيه من ذَنْبِ
تمام المعالي أن أزال مناكرا أتوها وأضحى الدين في بُرْدِهِ القَشْبِ[1]

ويزداد هذا الاتجاه وضوحا منذ قضى الترك أنفسهم على إمارة آل عايض في عسير سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، إذ ظل الجيش التركي يراوح تلك البلاد ويغاديها حتى تم قضاؤه على أمراء الدعوة السلفيين في عسير الذين هم في الواقع يمثلون أنصار الدعوة بتلك الأنحاء والقائمين على نصرة مبادئها وتعاليمها، فقد برز نشاط الشعر واضحاً في رجال ألمع وعسير والمخلاف السليماني واليمن، إذ تُعَدّ مواقف الشعراء الوطنية من أحداث بلادهم في العهد التركي الأخير من أقوى الاتجاهات الشعرية التي عرفتها هذه البلاد في تلك الأثناء. وإلى جانب وضوح هذا الاتجاه الوطني في شعر جنوبي الجزيرة العربية إزاء أفعال الترك وأوضاعهم السياسية ظهر شيء من ملامح هذا الاتجاه في شعر نفر من شعراء اليمن تجاه الإنجليز في عدن الذين يسعون في الأرض فسادا؛ مما أذكى شعورهم نحو أوطانهم ودينهم الإسلامي، إذ أخذوا ينشئون شيئاً من شعرهم الوطني؛ يستنهضون به همم الأمراء السلفيين في عسير، فهم في نظر أولئك الشعراء من أبرز أمراء المنطقة حفاظا على الدين ودفاعا عنه، ولم ينشأ لهم هذا الظن إلا من نصرة أولئك الأمراء لتعاليم الدعوة السلفية وحفاظهم عليها.

أما الاتجاه الوطني الذي ناهض الترك في عهدهم الأخير فقد كان أكثر وفرة من غيره، إذ نجد الشعراء في جنوبي الجزيرة العربية يستاؤون من غدر الترك بأمير عسير من بعد ما أُعْطِيَ الأمان من قِبَلهم. وقد زاد ذلك الأمر الفادح في آلام الشعراء، ودفعهم إلى تصوير الواقع بروح وطنية إسلامية لا تخلو من

(١) محمد بن علي العمراني، كتابه السابق، ورقة ٢١.

الصدق والوضوح، فقد قال أحمد بن الحسن الإبي: «يرثى الأمير محمد بن عايض ودولته»[1]:

أرى طللا كان يعتاده حمى ... ومرتبعا[2] صعبا كريما منعما

تحامى حماه الأسد تكرُمَةً[3] له ... ودون ذرى أعلامه تُهْرَقُ الدِّما

ولما رأى أحواله قد تغيَّرت ... وأصبح ذاك النُّور بالكفر مظلما

بكى، والذي لم يبك مثل بكائه ... ومن لم يستغفرِ الله لم يك مسلما[4]

فقل لعسير: عظَّم الله أجرها ... أرى شامخ الدين القويم تهدَّما[5]

ولذا لم يسلم عندئذ شعراء تلك الأنحاء من الأسر، إذ نُفي نفر منهم إلى إستانبول نتيجة للحماس الديني والشعور الوطني اللذين كانا يذكيانهما في قلوب مواطنيهم، ولعل أحمد بن عبد الخالق الحفظي من أبرز شعراء تلك الأنحاء شعورا وطنيا إسلاميا تجاه الترك وأفعالهم، إذ قال:

فقد حكم الترك بحكم يسوءهم ... فمن قربهم لا تنسى للتاء ثم با[6]

فتب منهم واصرم حبال ودادهم ... فأفضلهم تلقاه يسعى مذبذبا

صرمت حبال الود منهم تعمُّدا ... كما فعل المختار ذلك في قبا[7]

---

(١) عبد الله بن قيس الغامدي، كتابه السابق، ص ٨٤.

(٢) في المصدر «مرتعا»، ويظهر أنه تصحيف: «مرتبعا» الذي به يستقيم المعنى والوزن.

(٣) التكرمة: الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير، من تَفْعِلة من الكرامة. انظر: اللسان، ص ٤١٩، ج ١٦.

(٤) كذا ورد وزن هذا البيت في المصدر.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٥، ولم تسلم هذه الأبيات من الضعف في الحس العروضي.

(٦) كذا في الأصل. والشاعر هنا يصف من تقرب من الترك وتولاهم بالتباب.

(٧) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٦٥.

وتزداد نقمة أحمد بن عبد الخالق الحفظي من الترك فيقول :

أغاظَ الترك أن أحيا كريما ... قريب الدَّار منسجما بدرس
فأقصوني وصحبي كل حُرٍّ ... بنفي أو بطردٍ أو بحبس[1]

فهل أخمد الترك بعملهم هذا داعي الإصلاح والوطنية عند هذا الشاعر الذي ما لبث يذب عن الإسلام قوى الفساد، ويدافع عن وطنه، وأبناء مجتمعه برأي واضح لا يخشى غير الله تعالى فيما يقول، وفيما يفعل، ولا غرو في ذلك فهو من غراس الدعوة السلفية، بل هو ربيبها[2].

ورغم أن الترك لم يفرضوا على أحمد بن عبد الخالق الحفظي في منفاه بتركيا الأسر الكلي، والإقامة الدائمة في مكان واحد، وإنما أطلقوا حريته يسير حيثما شاء، ولكنه لم ير ذلك غير قيد فرضوه عليه، وأن داعي الوطنية يشده إلى أوطانه وذويه، ومما قاله في ذلك :

ومعْ أنِّي تُركْتُ بدون قيد ... بديرتهم أُقَيِّلُ حيث أمسي
فحبُّ الدارَ من أشراط دين ... ولو صادفت فيها كلَّ بؤس
وأخزى الله من عادى ديارًا[3] ... من الثَّقلين من جنٍّ وإنس[4]

وقال أيضا :

---

(١) المصدرنفسه، ص ١٧١ . وقد قال جامع نفحات من عسير : إن الذين أُسروا من الأهلين في عسير ورجال ألمع بلغوا أربعمائة رجل، بالإضافة إلى خمسة وثلاثين رجلا قُتلوا صبرا مع الأمير محمد ابن عايض سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م .

(٢) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ٢١٤ .

(٣) كذا في المصدر، ولعل الصواب : « دياري » .

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٨٧ ، وتسكين « مع » في صدر البيت الأول ضرورة شعرية .

وديار قـــــد تســــامت بينهم　　　لا يُلام المرءُ في حبِّ الوطن[1]

وحينما عاد هذا الشاعر إلى وطنه لم ينقطع صوت الوطنية الإسلامية في شعره، وإنما ظل قويا عاليا يندِّد بأفعال الترك في بلاده، ويدعو إلى وحدة إسلامية، وعندما ضاق حكام الترك في عسير بصوته الوطني أضروا به، فأسروا ابنه عبد القادر بن أحمد، فزاد ذلك العمل في ألمه، ولكنه لم يثنه عن وطنيته الصادقة، وإنما ظل يشعل الحماس في قلوب الأهلين والأمراء المحليين، حيث قال:

فوحِّدوا يا بني الإسلام صفَّكُمُ　　　لتقتفوا سنة الهادي مدى الزَّمن[2]

ولئن كان شعر أحمد بن عبد الخالق الحفظي يمثِّل صوت الوطنية الإسلامية في شعر جنوبي الجزيرة العربية؛ فإن صوت تلك الوطنية قد تعالى عند شعراء اليمن المقيمين في ديارهم، إذ رأوا من بغي الترك وفسادهم ما ألهب حماسهم الوطني، وجعلهم يجأرون بصوت الإسلام ضد المعتدين الذين لا يقيمون في ديارهم شعار الحق، ولا يدفعون المنكر. ومن أولئك الشعراء الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى الذي يقول:

إنا نهضْنَا وللأتراك صلصلةٌ　　　وشدةٌ ضاق منها السَّهل والجبلُ
وأفسدوا الدين والدنيا وما علموا　　　أن الأماني[3] يوافي بينها الأجلُ
وأمَّروا عابد الصُّلْبَان حين طغى　　　وزاد بغيا على الأشراف يرتجل[4]

ومثله ابنه المتوكل على الله يحيى بن محمد الذي يقول:

---

(١) مذكراته المخطوطة.
(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٨٧.
(٣) كذا في الأصل، وهي ضرورة شعرية.
(٤) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ١٧٤.

كيف القعود ومعشر الأتراك قد عموا البلاد مناكرا وفجورا
ظلموا عباد الله ظلماً بيِّنا والعدل أمسى فيهمُ مهجورا
هدموا ربوع العلم حتى لن[1] ترى للدرس يوما دفترا منشورا[2]

ويزداد صوت الوطنية تعاليا ؛ حيث يقبل شعراء اليمن على نداء المسلمين بعامة ، إذ وجَّه أحمد بن قاسم حميد الدين سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م قصيدة «إلى عموم المسلمين داعيا إلى الجهاد ونصرة الدين »[3] ، منها قوله :

فتبّاً لقوم خالفوا الحق جُرْأة وبغيا وظلما باينوا منهج العدل
تمالوا[4] على نصب الخلاف فأصبحوا كأصحابِ موسى حين مالوا إلى العِجْلِ

فيا أيها الإخوان في كلِّ بلدة ومن ينتمي صدقا إلى العلم والفضل
تعالوا لعل الله يجمع شملنا فنُنعش أمر الله في الوعر والسَّهْلِ[5]

وفي الحقيقة أن شعر الوطنية يكثر في بلاد اليمن بخاصة[6] ، وأن ذلك الدافع الوطني قد نشأ منذ أقبل الترك بجيوشهم الكثيفة على عسير ، وما إليها منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، إذ غدا ذلك الشعر مميزا في شعر اليمن عن سواه ؛ نتيجة لما تحياه تلك الأنحاء من يقظة شعرية نشطة ، ولعل ذلك الدافع قد نشأ بوحي من الشعور السلفي الذي بدأ يستيقظ لدى نفر من شعراء اليمن وأئمتها .

---

(١) لعلها « لا » ؛ ليستقيم المعنى .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .
(٤) كذا في الأصل ، والصواب « تمالؤوا » ، وقد اضطر الشاعر إلى تسهيل الهمزة من أجل إقامة وزن البيت .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٦) انظر – على سبيل المثال – في هذا المصدر نفسه ، ص ١٢ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ – ٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٣٩ – ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٣ – ١٧٩ ، ٢١٩ .

وإذا كان هذا ما يشير إلى شعر الوطنية في شعر جنوبي الجزيرة العربية، وما أنشأه الشعراء عندئذ من نتاج شعري تجاه الترك وأعوانهم من أعداء الدعوة السلفية، فإن شعرالوطنية تجاه الاستعمار الإنجليزي في عدن وما حولها، قد ظهر على ألسنة نفر من شعراء اليمن أنفسهم، ولكنه كان قليلا إذا ما قيس بالشعر الذي قيل في الترك، ولعل ما يدعو لدراسته أن شعراء اليمن كانوا يبعثون به إلى أمراء عسير ومواطنيهم، مما يشير إلى أن هذه الدعوة السلفية قد مكنت لمناصريها من العسيريين أن أضحوا سبيلاً يلتجأ إليه بعد الله في دفع مثل هذه البلايا التي حلت بالمسلمين في تلك الأجزاء من جزيرة العرب. ومن ذلك اللون الشعري الذي تميز بمعانٍ وطنية واضحة قول القاضي أحمد بن الحسن الإبي:

فيا لعَسيرٍ من لدين محمَّد ... ومن لعَزيزٍ دال في الكفر بعدما
فإن لم تقوموا غيرة وحميَّةً ... على وَقف دِّين النصارى وحكما[1]

ومن المعروف أن الاتجاه الوطني في شعر الجزيرة العربية، قد خفت وضعُف تياره منذ خروج الترك من تلك الأجزاء سنة ١٣٣٦هـ/ ١٨٢١م، وأن تلك المؤثرات المختلفة التي أوجدها الترك في تلك الأنحاء قد اضمحلت تماما، وأضحت البلاد بعامة تنعم بالأمن والاستقرار، حيث أقبل الشعراء على مواكبة نهضة بلادهم من خلال ما يشهدونه من تطور في شتى مناحي الحياة، فقد برز في نتاجهم الأدبي عندئذ بعض الاتجاهات العربية التي انتظمت أشعارهم بعيدا عما ألفوه من قبل في شعر بلادهم.

ولعل تلك الفترة السابقة التي حوت تلك المعاني المختلفة تدل على أهمية دراسة مثل هذه الألوان الشعرية المتفاوتة التي وُجدت بدافع من الثبات الديني

(١) عبد الله بن قيس الغامدي، ص ٨٧. ولعل الصواب في البيت الثاني أن يقول الشاعر: «للنصارى محكما».

الذي كان عليه الشعراء عندئذ، في وقت تكالبت فيه الأعداء على هذه الأجزاء من جزيرة العرب.

الاتجاه الذاتي:

يدرك الناظر في شعر جنوبي الجزيرة العربية أن هنالك اتجاها ذاتيًا ظاهرا، قد نشأ في نتاج الشعراء بتلك الأنحاء، وأن ذلك الاتجاه قد برز بدافع من تأثير الدعوة السلفية نفسها، فقد ابتليت تلك الأجزاء من جزيرة العرب على أثر ظهور الدعوة السلفية فيها بكثير من الحروب المتكررة التي كان يدبرها أعداء الدعوة من الترك والمصريين وغيرهم. وكانت تلك الحروب تغشى ببأسها كثيرا من الأهلين، سواء كان ذلك في قتل الآمنين أو تشريد الأمراء والعلماء عن طريق النفي خارج بلادهم. وكانت هذه الظروف التي تحل بالناس تسبب كثيراً من الآلام والحنين، فينشأ بسببها شعر ذاتي مميز، إلى جانب أن هذه الدعوة الإصلاحية قد كانت تقتضي من الدعاة السلفيين من عسير ورجال ألمع الخروج من ديارهم بسببها من أجل نشر تعاليمها، أو من أجل طلب العلم، فكان ينشأ عندئذ في كلا الحالين شعر ذاتي مميز لا يخلو من الصدق النفسي والشعور الذاتي.

ويتجلى هذا الاتجاه الذاتي في شعر الأمراء السلفيين من خلال نتاجهم الشعري الذي أنشؤوه في منفاهم خارج بلادهم، إذ يدرك الدارس أن نفرا من أمراء عسير قد لقوا حتفهم في سبيل هذه الدعوة، وأن منهم من عانى مرارة الأسر والبعد عن الوطن في سجون تركيا ومصر، وليس أدل على هذا القول من حال الأمير طامي بن شعيب (. . . - ١٢٣٠هـ) الذي أُرسل مخفورا إلى مصر ثم إلى إستانبول، حيث قُتلَ «وصُلِب بعد أن شُهِّر به في الأَسواق»[(١)]، وكذا

(١) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص ٧٣. وقد وصفه محمد بن أحمد الحفظي بأنه «الصادق في الدعوة». انظر: نفح العود في الظل الممدود، ورقة ٦.

عانى الأمير محمد بن أحمد المتحمي، وابنه مداوي بن محمد المتحمي كثيرا من قسوة الأسر ووحشته بمصر. وكان نتاج هذا العناء أن أولئك الأمراء عبروا عن تجاربهم الخاصة ومعاناتهم الذاتية بشيء من الشعر الذاتي المميز. ومن ذلك اللون الشعري قول الأمير محمد بن أحمد المتحمي يتشوق إلى أهله وذويه بعسير:

وقد كنت قبل اليوم أرجو[1] وأتَّقي	وتصغر عندي معظمات العظائم[2]
صبورا على حلو الزمان ومُرِّه	حمولاً لما حملت غير الهضائم
فأبدلني أضدادهن وزادني	من البين والأحزان دهر المظالم[3]
سقى الله أوطانا تحف بَتَهْلَلٍ	وجاد عليها هاطلُ المتراكم[4]

ويظهر من هذه الأبيات وضوح المعاني الذاتية التي أوجدها الحال الرتيب الذي يعيشه هذا الأمير في أسره بمصر، إذ لم تكن بلاد عسير تعرف شيئا من هذه المعاني الشعرية عند ظهور الدعوة السلفية فيها، ويشبه الأمير محمد بن أحد المتحمي ابنه مداوي بن محمد المتحمي الذي يقول في هذا المعنى:

فجسمي بمصر والفؤاد لديهم	ودمع عُيُوني بلَّ تَسْكَابُه حجري
وإن جدَّ بي شوقيٌ فبيني وبينهم	قفار ترد الرِّيح منحطم الصدر
ولكنني أرجو الإله بمنه	وفضل علينا يبدل العسرَ باليسر[5]

وقال أيضاً:

---

(١) في الأصل «أرجي».

(٢) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ١٦٨. المعظَّمة: المصيبة النازلة الشديدة.

(٣) لعل هذا من المجاز.

(٤) عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٧٧.

(٥) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ١٩٣.

تحية صبٍّ قد برى الشوق جسمه وأدمعه من حر نار الجوى تجري
وقد كنت في عرق اللوى أسعد الورى وحولي قومٌ يعرفون به قدري[1]

لحا الله الترك حيث كانوا، لقد آذوا بسعيهم كثيرا من أبناء تلك البلاد ورجالها؛ فقد كانوا لا ينقمون منهم غير نصرتهم لهذه الدعوة السلفية، وما كانوا عليه من الثبات الواضح والجهاد المستمر؛ لرفع راية الإسلام، وتنقية العقيدة من درن الشرك والفساد، وما أغاظ الترك كذلك سوى هذه الصحوة السلفية في جزيرة العرب، حين أصبح لها رجال يذودون عن مواطنها في أرجائها الشاسعة، ولعل ما خلَّفه أولئك الشعراء من نتاج شعري، وما أظهروه من فداء ظاهر، وبسالة فائقة يُسعف الدارس في مجال التأريخ والأدب؛ لإظهار هذه المعاني الرفيعة في ميدان الفكر بعامة، والشعر الذاتي بخاصة.

ولئن كان الترك قد آذوا بسياستهم في هذه الأنحاء الأمراء السلفيين فإن العلماء لم يسلموا من بطشهم وجورهم، فقد لقي نفرمن علماء تهامة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري عنتا قويا من لدن الترك وأشياعهم، ولعل من أشهرهم عبد القادر بن علي العواجي الذي توفي في سجنه بمصر سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م: «بعد أن عانى من ضيق الأسر وقسوته»[2]. وقد أنشأ في تلك الأثناء قصيدة ذاتية يتشوق فيها إلى أطفاله وذويه، وهي لا تخلومن المعاناة والألم، ومنها قوله:

يافؤادي هوِّن عليك قليلا كلُّ شيء مصيره للزَّوال
واسأل الاجتماع منه بمن تهـ ـواه من حبَّة[3] ومن أطفال[4]

(١) المصدر نفسه، ص ١٩١، ١٩٢.
(٢) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣١٤.
(٣) كذا في الأصل؛ ليستقيم وزن البيت.
(٤) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٦٤.

وقد ذكر الحسن بن أحمد عاكش في معرض حديثه عن هذا العالم بأن هذه القصيدة مما وُجد من شعره وهو بمصر، وأضاف إلى ذلك قوله: إنها مما كتبه العواجي بيده، وأنه ربما أنشأها وهو «يتشوق إلى أحبابه ومواطن سكانه وأترابه»[1]، وقال في موضع آخر بأن شعر هذا العالم لا يخلو من الألم والإحساس الصادق، وبأنه «يشبه النوح»[2].

وفي الحقيقة أن الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، قد حفل بكثير من الأحداث الشاقة التي كان يُبتلى بها الأمراء والعلماء عندئذ، فالناظر في تأريخ هذه الأجزاء من جزيرة العرب يدرك أن الترك قد أساؤوا كثيراً لعلماء هذه الأنحاء، وأنهم كانوا يتتبعون أنصار هذه الدعوة نفيا أو تشريداً كما قال عاكش[3]. ولم تكن حجتهم في ذلك تُبرِّر سيرتهم الجائرة في الأهلين، ولا أفعالهم القاسية ضد الآمنين، ولم تسلم تلك المنطقة من آثارهم على مر العصور المتأخرة الماضية. وكان ذلك الواقع الذي أدركه الشعراء قد أنشأ أدبا ذاتيا لم ندرك منه إلا قليله، على حين بقي معظمه مفقودا مشتتا في المكتبات الخاصة وغيرها[4].

وعلى أية حال فقد كان العلماء في هذه الأثناء يعتادون الخروج من بلادهم من أجل نشر تعاليم الدعوة في البلدان المجاورة. وكان خروجهم كما قيل من قبل يُسبّب لهم شيئًا من الحنين إلى أهليهم في مواطنهم الأصلية، ولعل خير من جدَّ في هذا الميدان علماء آل الحفظي برجال ألمع الذين اعتادوا الخروج

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦٤.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٤٠.

(٣) انظر: عقود الدرر لعاكش، ورقة ٤٢.

(٤) يشير ذلك إلى وفرة المنفيين خارج بلادهم، وتشتت آثارهم الأدبية بين المكتبات الخاصة بهذه الأنحاء.

إلى تهامة وبعض بلدان اليمن من أجل الدعوة وبيانها للناس[1]. فقد خرج - على سبيل المثال - الشيخ عبد القادر بن أحمد الحفظي إلى القنفذة سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م من أجل نشر تعاليم الدين وإرشاد الأهلين[2]. وكان أخوه إبراهيم بن أحمد الحفظي كثيراً ما يتشوق إليه، ويظهر حنينه نحوه، وقد عبر تجاه آلامه بقصيدة ذاتية، قال فيها:

كتبتُ والسُّهد خلٌ[3] زار والأرق ... لمقلتي وليس الصَّب يختلق

وبين جنبيَّ نيرانَ الغضا اشتعلت ... لم تخمدنَّ وجسمي ناحلٌ عرق

لبعد صنوي حبيبي من كلفتُ به ... قدما فإن شطّ كاد القلبِ ينفلق

وذو الصبابة من بعد الوجيه له ... قلب[4] يكاد من الأشجان يحترق

بين التباريح والأحزان قد ضربت ... سرادقات لها في مهجتي غسق[5]

وإذا كان الترك قد قضوا على الدولة السعودية الأولى في الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، فإنهم لم يتخلوا عن ممارساتهم الحربية في بعض أجزاء الجزيرة العربية خلال القرن الثالث عشر الهجري، إذ ظلوا يتعقبون مواطن التأييد السلفي فيها، وبخاصة في تهامة وعسير، فقد ظلت إمارة عسير طوال هذه الفترة تشهد غزوات الترك المتكررة التي انتهت سنة ١٢٨٩هـ، بسيطرتهم على هذه الإمارة، وقتل أميرها، ونفي كثير من رجاله إلى تركيا. وكان هذا الحال المؤلم قد زاد من آلام الشعراء ودفعهم إلى التعبير عن معاناتهم وتجاربهم

---

(١) انظر - على سبيل المثال - شعاع الراحلين، ص ٧٧.
(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٠.
(٣) في المصدر «خلى».
(٤) في المصدر «قلت»، وهو خطأ.
(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٠.

الذاتية، ولعل خير من فاض شعره بالألم الشيخ أحمد بن عبد الخالق الحفظي الذي أنشأ في هذا الميدان جملة من القصائد الذاتية[1]، واستطاع أن يأتي بمعان شعرية متفاوتة لا تخلو من صدق التجربة وحقيقة المعاناة، ومن تلك المعاني قوله:

وأنا الأسيرُ أسيرُ سير مفكر ... كيف النجاة لطالع في جالها
في بلدة الرُّوم[2] أسيرا مبعدا ... والنفس طول الوقت في أهوالها[3]

وقال كذلك يصور حاله في الأسر:

حالي ضعيف والفؤاد مُبَلْبَلٌ ... وبني أطفال وما أشكو جلي[4]

ويزداد ألمه فيتمنى الموت، إذ قال:

فيا موت قد طابت زيارتك التي ... أراها لنا في وقتنا أي نعمه[5]

وحينما عاد إلى وطنه بعد ست سنوات من النفي والتشريد لم يتركه الترك يعيش هادئاً، وإنما ظل يعاني من كيدهم وجورهم المشقة والأحزان، فقد أسروا ابنه عبد القادر، وأمروا بنفيه إلى تركيا، حيث تبعه إلى ميناء الشقيق، وقد شق عليه هذا الأمر، وبخاصة وهو يشهد رحيله، ولم يجد سبيلا يطفئ به حزنه وألمه على فراق ابنه غير قصيدة ذاتيه، استعرض فيها مصائب الأنبياء والصالحين وغيرهم، ويبدو أنه اختلط في خياله اليأس بالأمل فقال:

(١) له ديوان مخطوط، وقصائد أخرى متفرقة.
(٢) ليستقيم الوزن لا بد من إشباع كسرة الميم.
(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٧٢. ولم يسلم البيت الثاني من ضعف في الحس العروضي.
(٤) مذكراته المخطوطة. والبلبلة والبلبال: الهم ووسواس في الصدور.
(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٥٦.

بـتـكـرمٍ مـن ربِّـنـا وعـنـايـة		تجلو الهـمـوم من الإله ترحُّـمـا
ولسـوف يكشف ربنا مـا ضـرنا		من كل همٍّ في فـؤادي خـيَّـمـا
وأنا الصَّـبـور ولو عـرتني نكبـةٌ		من ذا رأيت من الزَّمـان مـسلَّمـا
فلسـوف أجـزي من أسـاء بقـوله		إن كان أنجد في الغوى أو أتهـما[1]

ويبرز هذا الاتجاه الذاتي في شعر المغتربين من أبناء رجال ألمع الذين كانوا يخرجون من بلادهم، فقد غدت رجال ألمع بعد ظهور الدعوة السلفية فيها مركزا فكريا مشهورا. ومن أولئك الشعراء زين العابدين بن إبراهيم الحفظي الذي بعث برسالة إلى الشيخ محمد بن حسن الحفظي (... - ١٣١٨هـ)، يتشوق فيها إلى حلقته العلمية، ويصف له رغبته في حضورها، وقد شفع تلك الرسالة بأبيات شعرية، منها قوله:

لهـفي على الدَّرس الذي فـاتني		من غـيـر تقـصـيـرٍ ولا لي مـراد
في غـيـبـتي عنه ولكن عـسى		بعـودة تشـفي لهـيب الفـؤاد
نملي أحـاديث الرسـول الذي		له المقـامُ شـافـعـا للعـبـاد
ونقـتـضي مـا فـات من درسه		نرويه أبوابا مع الإسـتـنـاد
فـهـا أنا والله في حَـيْـرة		حليف أحـزان عـديم الرُّقـاد
أرعى نجـوم الليل في وحـشـةً		وأنت يا شـيـخ حـبـيب الفـؤاد
تُملي البـخـاري مع شـرحـه		مـراجـعـا بالبـحث والإجـتـهـاد
فـالله يبـقـيك لنا دائمـا		فـأنت مـصْـبَـاحٌ ونور البـلاد[2]

ويتبين من التراث الشعري بجنوبي الجزيرة العربية أن هذا الاتجاه الذاتي في ظلال الدعوة السلفية قد قل ظهوره عند الشعراء، وبدأ يندمج في بقية

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.
(٢) توجد هذه الأبيات ضمن رسالة مخطوطة لدى الباحث.

الأغـراض التقليدية الأخـرى منذ الثلث الثاني من القرن الرابع عشـر الهجري . وهو بذلك يشبه الاتجاه الوطني الذي خفت صـوته كذلـك في هذا العـهد نفسه تقريبا . وما مرد ذلك سوى الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي أضحت عليـها تلك الأنـحاء ، حيث لم يعـد الدافع قـويا لإنشـاء شيء من تلك المعـاني الذاتية التي نشأت في الواقع بدوافع نفسية متفاوتة .

ثانيا: الخصائص الفنية

يتبين مـن دراسـة الخـصائص الـفنية في شعـر جنوبي الجزيرة العـربية ؛ أن النماذج الشعرية التي أُنشئت في ميدان الدعـوة السلفيـة بتلك الأنحاء قد تميزت بملامح التقليد في : مـجال الصياغة اللفظيـة ، وأساليب التعبير ، وأنها ربما اتسمت بشيء مـن مـلامح الـتـجـديد في البناء الفني للقـصيـدة ؛ لما كـانـت تقـتـضيـه الموضوعات الشعرية المختلفة في تلك الفترة من تغيير في نهج القصيدة المعهود ، إذ تنوعت أغراض الشعر ، وأصبح الشعـراء في حاجة إلى التعبير عن قـضاياهم السياسية والوطنية والاجتماعية وتجاربهم الذاتيـة بطرق متفاوتة لا تخضع في الغالب للبناء التقليدي المعروف في الشعر العربي ، وبخاصة في المطلع والمقطع . ولذلك فإنه يمكـن التعـرف إلى بعض هذه الخـصائص الـفنية من خـلال دراسـة : بناء القصيدة ، واللغة ، وأسلوب التعبير ؛ لكي تتم معرفة عناصر التكوين الفني لهذا الشعر بتلك الأجزاء من جزيرة العرب ، في ظلال هذه الدعوة الإصلاحية .

البناء الفني للقصيدة:

يتشـابه الشعـراء بجنوبي الجزيرة العـربية في طرق بناء قـصائدهم وتكـوينـها الفني ، ولكنهم يتفاوتون في محاكـاة نهج القصيـدة المعهود الذي كـان يقوم على

أساس من النسيب ووصف الرحلة، ثم التخلص منه إلى الغرض المقصود[1].
وذلك دون أن يلتزم الشعراء خاتمة معينة، إلا أنهم يحرصون على المطلع والمقطع وحسن التخلص. ولعل ما يمكن ملاحظته في شعر جنوبي الجزيرة العربية الذي قيل بتأثير من الدعوة السلفية أنه كان يلتزم البحور الشعرية المعروفة، وأنه يتميز بظاهرة التحية والسلام في مقدمة القصيدة إلى جانب المحافظة على عنصري التخلص والختام المعهودين في البناء الفني للشعر العربي في عصوره الأدبية المتأخرة.

ويُعَدّ شعراء اليمن أول من نهج هذا النهج الفني لبناء القصيدة، وذلك حين أخذوا ينشئون قصائدهم في ميدان الدعوة السلفية منذ العقد السابع من القرن الثاني عشر الهجري، ويمكن أن يتحقق هذا القول في قصيدة محمد بن إسماعيل الأمير التي بعث بها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٩٤م من أجل تأييده له، وإظهار غبطته بهذه الدعوة الإصلاحية، إذ قال:

سلام[2] على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي[3]

ثم أخذ يبيِّن سبيل هذه القصيدة، فقال:

لقد صدرت من سفح صنعا سقى[4] الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد[5]

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، البناء الفني للقصيدة العربية، ص ٤٩. وما تلك المقدمة سوى تمهيد لما سيأتي بعدها، وهو ما يمكن تسميته ببراعة الاستهلال. انظر كتاب: براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، لمحمد بدري عبد الجليل، ص ٢٤ وما قبلها.

(٢) كذا في الديوان، وفي القصيدة الدالية: «سلامي».

(٣) ديوانه، ورقة ٥٦.

(٤) في الأصل «سقا».

(٥) ديوانه، ورقة ٥٦.

وقد شرع يبني قصيدته من بعد ذلك، فذكر رحلة هذه القصيدة التخيلية، ثم أخذ يمدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويذكر إنكار بعض الطوائف الدينية لدعوته، ويشير إلى نشاطه الإصلاحي، وما حل بالمسلمين عندئذ من المحدثات والبدع. وكان الأمير الصنعاني في أثناء قصيدته هذه يثني على أهل الحديث، ويشير إلى أهمية الاجتهاد. وقد ذكر من بعد ذلك غربة الدين في عهده. وأنهى قصيدته من بعد ذلك بأبيات ثلاثة التمس فيها جوابا لقصيدته من الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]، ثم ختم بناء هذه القصيدة، بقوله:

وصلِّ على المختار والآل إنها لحسن[2] ختام النظم واسطة العقد[3]

ويزيد بعض الشعراء اليمنيين في خواتم قصائدهم ظاهرة السلام، وذكر آل رسول الله ﷺ وأصحابه. وذلك في مثل قول محمد بن علي الشوكاني في إحدى قصائده التي أنشأها في هذا الميدان السلفي:

عليهم سلام الله ما ذرَّ شارقٌ	وما اهتزت الأزهار في صبح هاطل
وأزكى صلاة الله ثم سلامه	على المصطفى الهادي كريم الشمائل
محمد المختار من فرع هاشمٍ	وآل وأصحاب كرام أفاضل[4]

ويتحقق من هذا النهج الفني أن بناء القصيدة في شعر اليمن في هذا الميدان السلفي قد كان يعتمد على أمرين، هما: البدء بالتحية والسلام، والختم بالسلام والصلاة على النبي وآله ﷺ. ولعل هذه الظاهرة التي نشأت في

(١) ديوانه، ورقة ٥٧.
(٢) كذا في الأصل، وفي القصيدة الدالية: «بحسن»، ص ٢٣.
(٣) ديوانه، ورقة ٥٧.
(٤) قصيدة مخطوطة تحت رقم ١٣٦٨/ ١٠م، جامعة الملك سعود.

مقدمات القصائد عندئذ قد أتت من أجل الاستغناء عن النسيب، على حين أن ظاهرة الختام قد أتت إشباعا للحنين الديني الذي نشأ لدى الشعراء في العصور الأدبية الضعيفة[1]، ثم امتد من بعد ذلك في العصور الأخيرة للأدب العربي.

ويظهر كذلك في الشعر اليمني الذي قيل بدافع من هذه الدعوة السلفية نمط آخر من البناء الفني كان لا يعمد إلى ظاهرة السلام في مقدمة القصيدة، ولا إلى ظاهرة ختم الأبيات بالصلاة على النبي ﷺ، ولعل هذا البناء الفني يُعَدّ أكثر وفرة من غيره في الشعر اليمني، إذ يكاد يتجلى في معظم نتاج الشعراء في هذا الميدان[2]، ومثاله قول عبد الرحمن بن يحيى الآنسي في مطلع إحدى قصائده:

لعمرك ما الليث الذي هولوا به ... ولكنما الليث الهصور حمود[3]

وقال في خاتمتها:

فدتك الأعادي يابن بطحاء مكة ... ومدتك من عون الإله جنود[4]

وهناك بناء آخر نهجه بعض الشعراء في اليمن حين كانوا يشغلون أنفسهم بمعارضة هذه الدعوة السلفية، ويتمثل هذا البناء الفني في تكرار لفظ «لا إله إلا الله» في كل بيت من أبيات القصيدة، إذ لا يعمد الشاعر في مقدمة قصيدته ولا في خاتمتها إلى اتباع شيء من النظم المعهود للبناء الفني للقصيدة في الشعر

---

(١) عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص ٤٣٢.

(٢) انظر: قصيدة محمد بن علي الشوكاني التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز. ديوانه، ورقة ٢١، وانظر كذلك قصيدة عبد الرحمن بن يحيى الآنسي في مدح الشريف حمود: نفح العود، ص ٢٧٤.

(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٣١.

العربي[1]، وعلى هذا النهج بنى يوسف بن إبراهيم الأمير إحدى قصائده المعروفة. وذلك حين هيلل[2] في آخر كل بيت من أبيات تهويمته، إذ قال في المقدمة:

ونجنا يا حليم من فتن تعلمها لا إله إلا الله[3]

وقال في خاتمتها:

وما لنا في الذي إليك وسيلة سوى لا إله إلا الله[4]

وقد التزم بهذا النهج في جميع أبيات قصيدته التي تزيد عن خمسين بيتا[5].

وتأتي ظاهرة ختم القصيدة بما بدئت به في شعر اليمن في بعض الأحيان مخالفة لما اعتاده الشعراء في خواتم قصائدهم؛ إذ يكتفى شعراء اليمن غالبا بإعادة شطر بيت واحد من أبيات قصائدهم، دون التركيز على مطالع القصائد نفسها، ومثال ذلك قول أحمد بن الحسن الإبي في ختام إحدى قصائده التي أنشأها في الميدان السلفي بهذه الأنحاء، إذ قال:

وأختم قولي مثل ما قلت أولا: فلا كان عبدا لا يرى الموت مغنما[6]

---

(١) يضم ديوان محمد بن إسماعيل الأمير قصيدة مماثلة، ولكنها يتيمة في الديوان، مطلعها:
العلم في قول لا إله إلا الله فاخلص وقل لا إله إلا الله
الديوان ورقة ١٨١.

(٢) قد هيلل الرجل إذا قال لا إله إلا الله. انظر هذا القول في كتاب: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، ص ١١٠.

(٣) محسن بن إسحاق، رسالته السابقة، ورقة ١٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) انظرهذه القصيدة في المكتبة الغربية بجامع صنعاء في مجموعي ٢١، ١٥٩ (علم الكلام).

(٦) عبد الله بن قيس الغامدي، كتابه السابق، ص ٨٧.

وقد أشار إلى أحد أبيات قصيدته وهو:

فلا كان ملكا لا يرى السيف واجبا ولا كان عبدا لا يرى الموت مغنما[1]

فقد كان مطلع القصيدة في الأصل:

أرى طللا كان يعتاده حمى ومرتبعا[2] صعبا كريما منعما[3]

ولم يخرج بناء القصيدة في الشعر اليمني الذي قيل بدافع من تأثير هذه الدعوة السلفية عن تلك الأنماط السابقة، سوى ما وجد من مقطوعات شعرية وأبيات متفرقة لا يمكن أن يطبق عليها نظام البناء الفني المعروف في القصائد بعامة[4].

ويشبه الشعر في رجال ألمع وعسير الشعر في اليمن من حيث استهلال القصائد التي أنشئت في ميدان الدعوة السلفية فيهما بظاهرة التحية والسلام، وختمها كذلك بالصلاة على النبي ﷺ. ومثال ذلك في شعر رجال ألمع: قول أحمد بن عبد القادر الحفظي في مطلع إحدى قصائده التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م:

على العارض النَّجدي أُهدي سلاميا وأزكى تحياتي لتلك الروابيا

سلامٌ على أعلامها وأكامها سلام على حُضَّارها والبواديا[5]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٢) انظر هامش ص٦٨٥ من هذا البحث.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٤) اختلف النقاد في تحديد عدد الأبيات التي يمكن أن يطلق عليها قصيدة، انظر ذلك الخلاف في كتاب البناء الفني للقصيدة العربية، ص ٤٠، ٤٦.

(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٨.

وفي شعر عسير قال مداوي بن محمد المتحمي، وهو أسير بمصر يتشوق إلى أهله ووطنه سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م:

سلام على أعلامها وأكامها سلام على سكانها البدو والحضر(١)

ويبدو أن هذه الظاهرة قد بقيت مستمرة في شعر رجال ألمع وعسير من بعد ذلك حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وما بعده، فقد قال أحمد بن عبد الخالق الحفظي وهو أسير بتركيا في العقد العاشر من القرن الثالث عشر الهجري:

سلام على دار(٢) الخلافة والنصر سلام سليم ليس يدرك بالحصر(٣)

وقال عبد العزيز بن محمد الغامدي يستأذن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود زيارته:

سلام عليكم كزهر الربيع وطلع الخريف ونور الشتاء(٤)

وإذا كان الشعراء في رجال ألمع وعسير يتشابهون في بناء مقدمات قصائدهم، فإنهم كذلك قد كانوا ينهجون نهجا متشابها في خواتم تلك القصائد، ولكن شعراء رجال ألمع -فيما يبدو- كانوا يعتادون في خواتم قصائدهم إعادة ما بدؤوا به في مطالعها، فقد قال أحمد بن عبد القادر الحفظي:

وصل على المختار ما بات ساريا إلى الله حتى جاوز السبع راقيا
مع الآل والأصحاب ما قال قائل: على العارض النجدي أُهدي سلاميا (٥)

---

(١) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ١٩١.
(٢) ومن الواضح أن الابتداء بتحية الدار أسلوب عرف من قبل في شعر العرب القديم.
(٣) ديوان الروض المرضي، ورقة ٤٤.
(٤) توجد هذه القصيدة لدى عبد الوهاب بن عبد العزيز بن محمد الغامدي، بلجرشي، غامد.
(٥) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٣٢.

إذ يلاحظ أن الشاعر إلى جانب أنه ختم قصيدته بالصلاة على النبي ﷺ أعاد ما بدأ به في مقدمتها .

وربما كان الشعراء برجال ألمع يفضلون إعادة ما بدؤوا به قصائدهم في أعجاز الأبيات لا في صدورها ، كما قال إبراهيم بن أحمد الحفظي[1] :

وأختم النظم بالحمد الكثير وبالصـــــلاة مع وافـــر التـــسليم تســـبق
على النبي وآل كلمـــا تليت كـــتبت والسهـد خل زار والأرق[2]

وكان هذا الشاعر قد استهل قصيدته بقوله :

كب والســـــهـــــد خل زار والأرق لمقـــتلي وليس الصَّب يخـــتلق[3]

ويُلاحظ كذلك في ختام هذه القصيدة ذكرُ الشاعر للحمد ، إلى جانب الصلاة على النبي وآله . وتلك من الظواهر الشعرية التي سنها الشعراء في العصور المتأخرة .

أما شعر عسير الذي بين أيدينا الآن فالغالب على شعرائه أنهم يكتفون بختم قصائدهم بالصلاة على النبي ﷺ وعلى صحبه . ومن ذلك قول عبد العزيز ابن محمد الغامدي :

ثم الصـلاة على المخـتـار سـيـدنا مـحـمد والذي منهم له صحبوا[4]

ويبدو أن معظم نتاج الشعراء برجال ألمع وعسير قد أنشئ بدافع من تأثيرهذه الدعوة السلفية ، إذ انصرف معظمه إلى ميدانها الشعري ، مما وسم ذلك النتاج بكثير من ملامح البناء الفني المتميز ، إذ كان الشعراء بهذين المركزين

---

(١) يعرف هذا الشاعر بـ « الزمزمي » .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

(٤) توجد هذه القصيدة لدى محمد سعد البركي ، بلجرشي ، غامد .

الفكريين يستهلون قصائدهم بحمد الله تعالى والثناء عليه، فقد قال محمد بن أحمد الحفظي في مطلع إحدى قصائده التي بعث بها إلى اليمن من أجل هذه الدعوة السلفية:

لك الحمد مولى الحمد والخير معطيه مقيم منار الحق فينا ومبديه[1]

وقال عبد الله بن محمد النعمي من شعراء عسير سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م:

لك الحمد والنعماء يا مالك الأمر فكم لك من فضل وكم لك من شكر[2]

وكان هذان الشاعران في خاتمتي قصيدتهما قد نهجا النهج المعهود عند غيرهما من حيث الصلاة على النبي ﷺ.

ويميز نظام البناء الفني في شعر رجال ألمع أن شعراءه كانوا لا يكلفون كثيرا بمقدمات قصائدهم، ولا يشغلون أنفسهم بديباجاتها، وأنهم ربما نهجوا في معظم قصائدهم نهج القصائد النظمية والأراجيز التي ينشئها العلماء حينذاك[3]؛ وذلك لانشغالهم بالدفاع عن هذه الدعوة، والعمل المستمر على تأييدها، إذ لم يكن لديهم الاستعداد النفسي للمحافظة على النهج التقليدي المعهود لبناء القصائد وتكوينها. ولعل وفرة ذلك النتاج الشعري قد ترك الفرصة للباحث للتعرف على كثير من سبل البناء الفني في قصائد أولئك الشعراء، فقد كانوا كثيرا ما يتناولون أغراضهم الشعرية دون التقيد بشيء من تلك الظواهر التقليدية البارزة، مما يوافق الحال الذي ينظمون شعرهم من أجله؛ إذ المقام لا يهيئ فرصة الاتباع والمحاكاة، إلى جانب أنهم كانوا غالبا ما ينهجون نهج القصة الشعرية ذات الملامح الفنية الخاصة، كما أنهم كانوا يسلكون في شعرهم تصوير الرحلة

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٦.

(٢) يوجد الأصل المخطوط لهذه القصيدة لدى هاشم سعيد النعمي، أبها.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣٥١.

التي تنقل أخبارهم إلى نجد وغيرها بطريقة لا تخلو من الخيال[١].

والناظر في شعر رجال ألمع يدرك أن النظام ا لتقليدي لبناء القصيدة كان واضحا لدى شعراء رجال ألمع قبيل ظهور الدعوة السلفية، ولكن أولئك الشعراء حينما انصرفوا لخدمة هذه الدعوة أهملوا - إلى حد كبير - ذلك النهج. وذلك - فيما يبدو - رغبة منهم في تقوية نشاطهم في سبيل الدعوة، إذ لا يتفق ذكرهم للغزل والنسيب مع مواقفهم المؤيدة المعروفة، فالحق أنهم في شاغل عن ذلك، ويشهد لهذا القول الاتجاه الواضح في شعرهم، وعزوفهم عما ألفوه من قبل في نتاجهم، فقد قال محمد بن أحمد الحفظي على سبيل المثال:

وذكر الغواني والحماسة[٢] دعهما وعوِّل على الإيمان فهو المظاهر[٣]

ورغم وفرة سبل البناء الفني في شعر رجال ألمع؛ فإن الشعراء بتلك الأنحاء لم يهملوا البناء التقليدي المعهود لقصائدهم، وإنما هو قليل إذا قيس بالنماذج الشعرية الأخرى التي أُنتجت في ظل الدعوة السلفية، ولعل من أشهر من احتفظ بملامح البناء الفني المعهود في شعر رجال ألمع، الشيخ علي بن الحسين بن عبد الهادي الذي يقول في إحدى قصائده التي أنشأها في قتال الترك وحروب قومه ضدهم:

أيا أم عبد ما لك والتشرد ومسراك بالليل البهيم لتبعد[٤]

فقد كان الشعر في هذه القصيدة تقليديا يتبع نهج القصيدة المعهود، من حيث: براعة الاستهلال، وحسن التخلص، والعرض.

---

(١) انظر: مجموع نفحات من عسير.

(٢) لعله يعني المفاخرة القبلية ونحوها.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٩٢.

(٤) المصدرنفسه، ص ١٢٦. لا بد من إشباع حركة الكاف ليستقيم وزن البيت.

وربما كان الشعراء في عسير أكثر محافظة على النهج التقليدي من إخوانهم في رجال ألمع الذين أبقوا -إلى حد ما - على النهج التقليدي المعروف، فقد نهج مداوي بن محمد المتحمي في إحدى قصائده حين انصرف في مقدمتها إلى الغزل والنسيب[١]، على حين نهج عبد العزيز بن محمد الغامدي نهجا آخر لم يخل من التقليد والاتباع، إذ قال في مقدمة إحدى قصائده:

فيمَ التغافل والأعمار تستلب ... والحتف ما بيننا يدنو ويقترب؟!
نمشي على إثر أقوام لنا سلفوا ... ونحن من بعدهم نذهب[٢] كما ذهبوا
يا حادي العيس سر بالعيس رافلة ... يزهو[٣] بها الخرج والزينات والقتب
من كل علكومة تسبق[٤] مسابقها ... تشبه لبنت القطا ما مسها لغب[٥]

وقد أخذ من بعد ذلك يصوِّر رحلة العيس حتى تخلص إلى ممدوحه.

أما البناء الفني في شعر المخلاف السليماني؛ فإن النتاج الشعري الذي بين أيدينا الآن يشير إلى أن ذلك الشعر الذي قيل بتأثير من الدعوة السلفية؛ يكاد بتميز بشيء من الملامح الفنية المختلفة، فقد كان لا يشبه الشعر في اليمن ولا في رجال ألمع وعسير، وذلك من حيث استهلال القصائد بظاهرة التحية والسلام، وإنما تبرز ظاهرة أخرى تقوم مقام تلك الظاهرة، وهي ظاهرة التهليل والتكبير في مقدمات القصائد مثل قصيدة الحسن بن خالد الحازمي التي أنشأها مبينا موقف أشراف المخلاف السليماني وعلمائه من هذه الدعوة، فقد قال:

---

(١) انظر: تاريخ عسير لهاشم النعمي، ص ٦٤ - ٦٥.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) في الأصل: «يزهى».
(٤) كذا في الأصل، وهي ظاهرة مخلة في شعر الغامدي.
(٥) توجد هذه القصيدة لدى: محمد سعد البركي، بلجرشي، غامد.

الله أكــبــرُ كل همٍّ ينجلي عن قلب كلِّ مكبِّــر ومــهلِّل[1]

وقد أخذ الحازمي من بعد ذلك يبني قصيدته بطريقة مغايرة للنهج المعتاد، ولكنها كانت أكثر قبولاً مما درج عليه الشعراء في عهده، وذلك حين بسمل وصلى على رسول الله ﷺ وآله، ثم أخذ في بسط أفكاره ومعانيه، فقال:

وبدايتي اسم الله فيما أبتغي من نظمي العذب الرحيق السلسل

ثم الصلاة على النبي محمد خير الورى النَّبأ[2] العظيم المرسل

والآل أرباب الهداية والتقى[3] ومن ودهم نص الكتاب المنزل[4]

ويأتي ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وآله متفاوتا بين شعراء جنوبي الجزيرة العربية، إذ يظهر التركيز على ذكر الآل لدى شعراء اليمن والمخلاف السليماني ورجال ألمع. في حين أن ذكر الأصحاب يظهر لدى شعراء عسير، ولعل مرد ذلك يعود إلى اختلاف الفِرق الدينية، والمذاهب السائدة حينذاك.

وإذا كان شعراء المخلاف السليماني قد أهملوا ظاهرة السلام في مطالع قصائدهم؛ فإن طرق البناء الفني في نتاجهم الشعري في ميدان الدعوة السلفية يتميز بمحافظته - إلى حد ما - على نهج القصيدة التقليدية المعروفة، إذ يمهد الشعراء عندئذ لأغراضهم الشعرية، ثم يتخلصون من بعد ذلك إليها. ومن أمثلة ذلك النهج قصيدة الحسن بن خالد الحازمي التي مدح بها الشريف حمود ابن محمد الحسني، إذ قال في مطلعها:

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ٢٢.

(٢) هي النبي بالهمز في الياء (تميمية).

(٣) في الأصل «التقا».

(٤) المصدرنفسه، ورقة ٢٢.

هل الرَّوضُ معمورٌ بأسنى[1] المطالب وهل زرتَ سَلْعاً في بدور صواحب[2]

فقد أخذ الشاعر يبني قصيدته من خلال تلك الصور التخيلية التي تخيلها فيما أنشأ من غزل وهمي واضح، حتى خلص إلى ممدوحه في سبعة أبيات.

ويبدو أن محافظة الشعراء بالمخلاف السليماني على ملامح النهج التقليدي للبناء الفني لقصائدهم الشعرية قد ظل مستمرا حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، حيث نجد علي بن محمد السنوسي يستهل إحدى قصائده في المدح بمحاورة لعاذلته المصطنعة حتى خلص إلى غرضه الحقيقي، فقد قال:

قالت وساجعةُ الرُّبى تترنم سحرا وسُمَّاري جميعا نوم
ما لي أراك من التفكر واجما لا تشتكي وجعا ولا تتكلم؟
فأجبتها والدَّمعُ فوق محاجري متبسما ما حال مثلي يعلم[3]

ولذلك كان شعراء المخلاف السليماني أكثر شعراء جنوبي الجزيرة العربية حفاظا على النهج التقليدي للقصيدة، ولكنهم يشبهون إخوانهم في: اليمن، وعسير، ورجال ألمع، من حيث إنهم يختمون قصائدهم بظاهرة الصلاة على النبي ﷺ وآله. ومن أولئك الشعراء الحسن بن أحمد عاكش الذي ختم إحدى قصائده في مدح الأمير محمد بن عايض بقوله:

وصلِّ إلهي كل وقت مسلِّما على المصطفى والآل أهل المكارم[4]

ومثل قوله:

---

(١) في الأصل «باسنا».

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ١٩.

(٣) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

(٤) الحسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين، ص ٦٨.

وصلّ على مسك الختام محمد نبيٍّ الهدى من باسمه نطق الذِّكر[1]

ومثل قول محمد بن علي الإدريسي في إحدى قصائده التي بعث بها إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود:

وعلى الآل والصِّحاب جميعا أهلِ رشد من جاهدوا في مجاله[2]

وتزداد هذه الظاهرة وضوحا في خواتم القصائد، حين يكثر الشعراء الصلاة على النبي ﷺ بعدد لمعان البرق، أوتعاقب الليل والنهار أو نحو ذلك، فقد قال عاكش في هذا الميدان:

وصلِّ إله العرشِ ما لاح بارقٌ على الشَّافع المختار في موقف الحشر
وكذا[3] آله أهل المَعارف والنُّهى ومن فضلهم قد فاق للأنجم الزهر
وأصحابه الغُرِّ الكرام ومن لهم وقائع صدق في حُنَين وفي بدر[4]

وإذا كان قد تبين من النصوص الشعرية السابقة سبل البناء الفني في الاستهلال والختام؛ فإن ظاهرة التخلص في شعر تلك الأنحاء تُعَدّ من الظواهر المكملة لهذا النسق الفني المعهود، فقد درج معظم الشعراء في هذه الأنحاء على اتباع التقاليد الشعرية الموروثة، وبخاصة في اليمن والمخلاف السليماني، فمن شعراء اليمن الذين تقيدوا بمنهج البناء التقليدي محمد بن المساوى الأهدل الذي مدح الحسن بن خالد الحازمي بقصيدة استهلها بقوله:

غريمك في تغنِّيك الغرام فلا حرج عليك ولا ملام[5]

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠.
(٢) انظر رسالة العمودي في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، ورقة ٣.
(٣) الواو زائدة في المصدر، وبها لا يستقيم الوزن، وهي من الضرائر الشعرية.
(٤) الحسن بن أحمد اليمني، الدر الثمين، ص ٧١.
(٥) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٧.

وبعد أن استكمل ديباجة قصيدته تخلص إلى ممدوحه بقوله :

فـوافـاني الزمـان بجـيش هـم ... عـراني من كـتـائبـه انهـزام
ولكني زجـرت مطيَّ عـزمي ... إلى الحسن بن خـالـد والسـلام[1]

ويظهر مثل هذا التخلص في شعر المخلاف السليماني . وذلك في مثل قول الحسن بن خالد الحازمي متخلصا إلى ممدوحه الشريف حمود بن محمد الحسني :

وطرفٌ مريض صادني بلحاظه ... ليغرقني في بحر تلك الكواكب
ولكن جاري من هواها غضنفر ... إلى سوحه قد جد سير الركائب
حليم يفيد الوافدين نوالُه ... ويكسي[2] جسوم بيض الرَّغائب[3]

والناظر في شعر المخلاف السليماني يدرك أن هذا النهج الفني قد ظل مستمرا لدى شعرائه حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، إذ نجد علي بن محمد السنوسي يتخلص إلى ممدوحه في بعض قصائده بعد أن مهد لغرضه الشعري بمقدمة تقليدية ، ثم قال في تخلصه :

والشعر جياش بقلبي ما له ... من دافع وهو الأبيُّ المصدمُ
ورأيت نفسي كلما نهنهتها ... شَمخَتْ وظلت في حماة تحوِّمِ
قالت : وأين حماة؟ قلت بديهة : ... حَيث الخلافةُ واللِّوى والمخيم
قالت : وبيّن لي ، فقلت مبادرا : ... ملك أضاء به الزمان المظلم
قالت : وزدني الوصف ، قلت صراحة : ... سلطاننا عبد العزيز الضيغم[4]

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١٢٧ ، و « بن » ساقطة في الأصل . ويقتضيها المعنى والوزن .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) الحسن بن أحمد عاكش ، حدائق الزهر ، ورقة ١٩ .

(٤) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث .

ويلاحظ في هذا التخلص التكرار والتأكيد، كما يلاحظ فيه المحاورة والمداورة، وذلك ما يصف هذا التخلص بالإسهاب.

ولئن كان شعراء رجال ألمع قد اعتادوا المحافظة على ظاهرة التخلص في شعرهم من قبل؛ فإن شعرهم من بعد قبولهم لهذه الدعوة السلفية ونصرتها، قد أضحى لا يتقيد كثيرا بهذا النهج المعهود؛ نتيجة لما أصبح عليه هذا الشعر من الاشتغال بأمور الدعوة وأغراضها، وإن أتى شيء من التخلص أتى مفككا مسهبا لا يشير إلى حذاقة في البناء الفني. ومن ذلك قول محمد بن أحمد الحفظي في ذكر: حلق العلم: ومجالس العلماء:

فالزم محاضرها واحضر مسامرها ... واصعد معارج قاريها ومقريها
واسأل العلماء العاملين بها ... والتابعين معانيها وما فيها
واقرىء سلامي عليهم كل شارقة ... وخصَّهم بتحيات أحييها
وإن طائفة منهم معظمة ... حلُّوا بدرعية سقيا لثاويها[1]

فقد خلص إلى ذكر هذه الطائفة، ثم مضى من بعد ذلك في مدحها والثناء عليها.

وتظهر ظاهرة التخلص في شعر عسير واضحة، ولكنها تأتي متعددة بقدر الأغراض التي ينشئها الشعراء في قصائدهم، فقد كانوا حينما ينتقلون من غرض إلى غرض يحتاجون إلى التخلص في هذه الأغراض؛ مما وسم شعرهم بوضوح التخلص، وتعدُّد الأغراض، ومثال ذلك قصيدة مداوي بن محمد المتحمي التي أنشأها وهو في أسره بمصر، فقد بدأ نظام قصيدته بالسلام، وأخذ يظهر شوقه نحو أهله ومواطنيه، ثم انصرف إلى الغزل والنسيب، ولم يلبث حتى تخلص بقوله:

---

(١) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٦.

فدع عنك عذلي في هواها، وأهلها همو قدوتي حتى أُوسَّد في قبري[1]

ولم يشرع في غرض رئيس ينهي به قصيدته، ولكنه عاد يصور رحلته التخيلية التي قطعها من مصر حتى دياره في عسير، ثم تخلص بقوله:

ولولا إمـامُ العلم والحلم والتُّقى لما هزَّني صوت الحمامة والقُمْري[2]

وهذا الاضطراب في القصيدة والتنقل في أغراضها، مع تعدد التخلص حسب وفرة الأغراض، يؤكد عدم اهتمام الشعراء في عسير بالبناء الفني لقصائدهم الذي نجده واضحا متماسكا لدى شعراء اليمن والمخلاف السليماني، ولعل ذلك دليل على أن أثر هذه الدعوة السلفية قد كان أكثر وضوحا عند شعراء عسير ورجال ألمع، وذلك حينما انصرفوا إلى التعبير عن معاناتهم الذاتية التي يلقونها بسبب أعداء الدعوة نفسها، إلى جانب انصرافهم إلى بيان تعاليمها ونصرتها، دون الركون إلى التقليد والمحاكاة، إذ لم يكن لديهم الاستعداد النفسي للعناية بمثل هذه التقاليد الفنية.

ويتضح من نتاج الشعراء بهذه الأنحاء أن البحور الطويلة كثيرا ما كانت تستخدم في نظم أغراضهم الشعرية. وذلك - فيمايبدو - بدافع من قضايا مجتمعهم، واتجاهاتهم الفكرية والسياسية، إذ كانت هذه الدعوة السلفية تحتاج لبسط أفكارها والدفاع عنها[3]. وكان ذلك النفس الطويل الذي يظهر في قصائد الشعراء عندئذ لا يأتي إلا عن طريق استخدام هذه البحور. وربما تبيَّن من نتاج شعراء آل الحفظي برجال ألمع أنهم كثيرا ما يميلون إلى المنظومات

---

(١) محمد عمر رفيع، كتابه السابق، ص ١٩١.

(٢) المصدرنفسه، ص ١٩٢.

(٣) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣٥٧.

والأراجيز المختلفة، وذلك يأتي إعانة منهم على بيان أغراض الدعوة وبسط معانيها، إلى جانب وجود بعض الأشكال الشعرية التي كانت تستخدم بدافع من هذه الدعوة السلفية. وبخاصة لدى شعراء رجال ألمع وعسير الذين أُخرِجوا من ديارهم بسبب ولائهم لهذه الدعوة، واتباعهم لمنهجها. ويظهر ذلك العمل الأدبي في المخمسات ونحوها، إذ يعد أحمد بن عبد الخالق الحفظي من أشهر شعراء تلك الأنحاء إقبالا على هذه الأشكال الشعرية[١]، ويلاحظ أن الشعراء بعامة بهذه الأجزاء من جزيرة العرب، قد كانوا يجنحون في « قوافيهم الشعرية » إلى القوافي السهلة الشائعة، وبخاصة قافية: الدال، والراء، واللام، والنون[٢]، وأنهم كانوا كثيرا ما يقلدون من سبقهم من الشعراء ويحاكون شعرهم، بل يأخذون منهم مطالع قصائدهم، وبعض أبياتهم الشعرية، كما سيأتي بيانه.

اللغة وأسلوب التعبير:

يدرك الباحث في شعر جنوبي الجزيرة العربية أن النتاج الشعري الذي قيل بتأثير من الدعوة السلفية يكاد يتميز في بعض الأحيان بجزالة التعبير وقوته، إذ يبدو أن قائليه كانوا ممن نُدِبَ للدفاع عن هذه الدعوة أو لمعارضتها. ورغم ذلك لم يسلم ذلك الشعر في معظم الأحيان من ضعف في الأداة الشعرية وأسلوب التعبير، فقد كان - في الغالب - لا يخرج عن نطاق الشعر التقليدي المعهود حينذاك، ولكن هذا الشعر في معظمه قد تميز عن سواه بأنه يصدر عن روح سلفية، وأنه قد طرق معاني كثيرة لم تكن معهودة من قبل لدى شعراء تلك الأنحاء، مما خفف آثار الضعف الأسلوبي، وجعل هذا الشعر

---

(١) انظر: نفحات من عسير، ص ١٧٦. وانظر كذلك مذكرات أحمد عبد الخالق الحفظي الخاصة.

(٢) انظر ما سبق دراسته في الفصول الأربعة الأولى من باب الشعر.

مقبولاً إلى حد ما. ولعل من الإنصاف في دراسة أساليب التعبير في هذا النتاج الشعري أن يشار إلى ملامح القوة والجزالة، مثلما يشار إلى ملامح الضعف والتقليد اللذين كادا يسيطران على معظم نتاج الشعر في هذا الميدان.

وتعد الدلالة اللغوية التي كان يستعملها الشعراء من أبرز عناصر الأسلوب في نتاجهم الشعري، إذ لا يخلو في غالب الأحيان من جزالة في اللفظ وقوة في الإيحاء، ومثال ذلك قول عبد الرحمن بن يحيى الآنسي:

إلى لَبْوةِ الحرب التي عقمت لدى ... سواه وأمست وهي منه ولود[1]

وقول عبد الكريم بن حسين العتمي:

ضيعت قلبا قد استودعته فبما ... يلقى[2] العميد وقد ضاعت ودائعه[3]

وقول علي بن الحسين بن عبد الهادي:

تثر الحصى بالخف كالخذف قبلها ... وقد ضاق همًّا صدرها للتبعد[4]

ومثل قول محمد بن علي الإدريسي:

دعوة الحقِّ قد أتانا شذاها ... عبق الكون تائها في جلاله[5]

ومثل قول علي بن محمد السنوسي:

وجعلت رأيك في مسارح أرضها ... جيشا فوارسه المغيرة ديلم

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٢٧٤.
(٢) في الأصل «يلقا».
(٣) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١١٧.
(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٨.
(٥) عبد الله بن علي العمودي، نبذة في سيرة الحسن بن علي الإدريسي، مخطوط، ورقة ٣.

مــا عــورة إلا وأنت ســتــرتهــا غضا ومثلك من يغضُّ ويحلم[1]

ولعل ما يميز هؤلاء الشعراء أنهم كانوا يحسنون توظيف الألفاظ التي يكونون بها أبياتهم الشعرية، وقد يؤخذ على غيرهم بهذه الأنحاء ضعف الدلالة اللغوية، إذ يغلب على معظم شعر هذه الأنحاء الضعف في الاستعمال اللغوي، ومثاله قول أحمد بن عبد الخالق الحفظي:

ألا ليت شعري هل يعود الذي مضى فأخبره كيف المشيب مع الشَّبا[2]

وما هذا البيت غير مثال لكثير مما كان يقع فيه شعراء هذه الأجزاء من غموض في الدلالة اللغوية وضعف فيها، فقد كانوا حينما يبنون قصائدهم وينسجون أبياتها لا يتأنون في تكوينها وصياغة ألفاظها وسبكها؛ وذلك لأنهم كانوا منشغلين بقضايا هذه الدعوة السلفية، وبخاصة في رجال ألمع، إذ هم ربما اعتمدوا على الذاكرة عند إثبات شعرهم وتدوينه، وهذا ما تدل عليه مسودات قصائدهم المخطوطة[3].

وقد تشبه الدلالة اللغوية في شعر جنوبي الجزيرة تلك الدلالة النفسية الإيحائية التي تبرز في شعر نفر من شعراء تلك الأنحاء، إذ يفترض الشاعر عند تكوين مقاطع قصيدتة مدلولاً نفسيا يبسط من خلاله شوقه أو حنينه، وربما آلامه، وقد ظهر هذا العنصر الإيحائي لدى نفر من شعراء تهامة وعسير حين كانوا يكاتبون علماء الدعوة في نجد، أو حينما يعانون الآلام خارج بلدانهم بخاصة حينما كانوا في الأسر أو المنفى، إذ تظهر من تلك الدلالات عناصر

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

(٢) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٦٥.

(٣) يشير إلى ذلك - على سبيل المثال - طريقة الكتابة في المسودات الشعرية لدى آل الحفظي.

كونية ، تتمثل في النجم أو البرق أوهبوب النسيم ونحوها ، ومثال ذلك قول علي بن الحسين بن عبد الهادي يذكر رجال الدعوة في الدرعية :

ولاح سُهَيْلٌ ضاحكا لك ثغره   وقد لمحته عينها مغلق الغد
فسلِّم على الأحباب تسليم موجد   ولا تنس جيران البُجَيْرِ بأحد[1]

ومثل قول أحمد بن عبد الخالق الحفظي :

بارق القِبلة من أرض اليمن   حرَّك الوجد وأبدى للشجن[2]

ومثل قول علي بن زين العابدين الحفظي :

هب النسيم فقلبي كاد ينفطر   والدَّمع يجري على الخدين منحدر[3]
شوقاً إلى اليمن الميمون مسكننا   من في رُجَالٍ لنا الأسلاف قد عمروا[4]

ومن الواضح كذلك أن شعراء هذه الأجزاء من جزيرة العرب كانوا قليلا ما يسخِّرون هذه العناصر الدلالية في اللغة والإيحاء إلى تكوين الصور الشعرية التي ربما ظهرت جلية من خلال بعض المجازات البيانية لدى نفر من شعراء تهامة، ولعل الغالب على تلك الملامح الفنية في ميدان الصور الشعرية شيوع الأساليب الخطابية والتقريرية التي انتشرت بوضوح بين معظم الشعراء بتلك الأنحاء .

ويُلاحَظ أن شعراء جنوبي الجزيرة العربية في هذا الميدان السلفي كانوا

---

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ص ١٢٩ .
(٢) توجد هذه القصيدة مصورة لدى محمد عبد الله آل زلفة ، ولعل الكلمة الأخيرة : لي الشجن .
(٣) كذا في الأصل ، والصواب : « منحدرا » .
(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ص ١٩٣ ، ورُجَال : من بلدان ألمع .

يميلون إلي السهولة في الألفاظ، وعدم المبالغة فيها، وأنهم كثيرا ما يستخدمون بعض الألفاظ الجديدة التي أفادوها من هذه الدعوة السلفية، ومنها - على سبيل المثال - لفظ «موحد» في قول إبراهيم بن أحمد الحفظي:

وعيون كل موحد قرّت كما ... خسأت عُيُونٌ من غوايتها ملا[1]

وفي قول علي بن يحيى حميدة:

وإن مت في أهلي شهيدا موحدا ... فلست أبالي حين أقتل مسلما[2]

ومنها لفظ «الاجتهاد» في قول محمد بن أحمد الحفظي:

يشمر عن ساق اجتهاد[3] وعزمةٍ ... ويرغب في نيل العُلا والرغائب[4]

ويتسع مجال الإفادة من بعض الألفاظ الأخرى التي لم تكن من قبل منتشرة بين الشعراء في هذه الأنحاء مثل لفظ: التوحيد، و الشرك، والكفر، والبدع، والمجدد، ونحوها، فقد قال محمد بن أحمد الحفظي:

وجددوا طرقا للحق دارسة ... ونبهونا على التوحيد تنبيها[5]

وقال محمد بن أحمد المتحمي:

وآمر بالتقوى وأنهى عن الردى ... وأحمي حمى التوحيد عن كل غاشم[6]

وقال أحمد بن عبد القادر الحفظي:

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١١٤.
(٢) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.
(٣) لعله أراد الاجتهاد بمعناه الفقهي الاصطلاحي.
(٤) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢١.
(٥) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٦.
(٦) عبد الله بن علي بن حميد، كتابه السابق، ص ٧٧.

وبدد جيش الشرك في كل بلدة … وجدد توحيدا وقد كان باليا[1]

وقوله:

وينهى عن الشرك الذي طم بحره … ويأمر بالتوحيد قاص ودانيا[2]

وقال محمد بن أحمد الحفظي أيضا:

وبلّغ سعود ابن الإمام الذي غدا … يجدِّد دين الله للعبد[3] والحرِّ
ويدعو إلى التوحيد في كل قرية[4] … وينهى عن الإشراك في السر والجهر[5]

وقال:

وعامر أركان الشريعة والهدى … وهادم بنيان الغواية والكفر[6]

وقال:

وإنني أحمي هديت سمعي … وبصري من كل شيء بدعي[7]
أعني بذاك إمامنا شيخ الهدى … ومجدد العصر الأخير التالي[8]

وقال علي بن محمد السنوسي:

ومجدد الدين الحنيف وشمسه … وسراجه والحُجَّة المتكلِّم[9]

---

(١) محمد إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٣) في نفحات من عسير: « القن ».
(٤) في نفحات من عسير: « بلدة ».
(٥) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٧.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ٧.
(٧) ديوان الروض المرضي، ورقة ٢٢٠، انظر كذلك: شعاع الراحلين، ص ١٤٤.
(٨) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٧٥.
(٩) من قصيدة مخطوطة لدى الباحث.

وفي الحقيقة أن القاموس الشعري الذي كان الشعراء يفيدون من مفرداته قد غدا شاملا لكثير من هذه الألفاظ وغيرها، إذ لم تتسع دائرتها إلا بعد ظهور الدعوة السلفية بتلك الأنحاء، وبخاصة في رجال ألمع.

ويتبين في هذا المحيط اللفظي أن الشعراء بهذه الأنحاء كانوا يكررون استخدام ألفاظ معينة في قصائدهم المختلفة، إذ نلاحظ أن محمد بن أحمد الحفظي - على سبيل المثال - يكرر لفظتي: التوحيد، والتفريد في كثير من أبياته الشعرية، وذلك مثل قوله:

يدعون للتوحيد والتفريد   وتركنا الإشراك والتنديد[1]

وقوله:

داع بأعلى الصوت يدعو الناس للتَّـ   ـوحيد والتفريد بالأعمال[2]

وقوله:

بل قام يدعو الناس بالتوحيد والتَّـ   ـجريد والتفريد للرب العلي[3]

وربما تكررت الألفاظ لدى أكثر من شاعر من شعراء تلك الأنحاء، مثل قول محمد بن أحمد الحفظي:

كذا العرب العرباء دانت بدينها   وبالسمع والطاعات دانت لواليها[4]

ومثل قول علي بن محمد السنوسي:

---

(١) ديوان الروض المرضي، ورقة ٢٢٠.

(٢) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ١٣.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧. والضرب في هذا البيت ورد في مجموعة أشعار الحفظي كالتالي: «دوانيها»، ورقة ١٦.

وانقـــذ العـــرب العــــرباء من فتن   كـالسيل في جنح ليل ما به قـمر[1]

ومثلما تكررت الألفاظ لدى الشعراء في أبياتهم المستقبلة، تكررت كذلك لدى الشاعر الواحد، مثل قول أحمد بن عبد الخالق الحفظي:

أباحوا حماها والحمى وحماكم   وعار على حامي الحمى هتك ماجد[2]

ومن ملامح التجديد في أسلوب التعبير الشعري بهذه الأنحاء ما يتعمده بعض الشعراء من استعمال معاني الحكمة التي يبسطها عن طريق الحيوان، فقد درج نفر من أولئك الشعراء على إظهار معانيهم الشعرية بهذه الصورة، فقد قال أحمد بن عبد الخالق الحفظي؛ مقربا واقع الاتحاد الإسلامي الذي يدعو إليه:

فمن تأمل ما في قول « واعتصموا   بحـــبله »يدر أن الإتحـــاد سني
والنَّحلُ عند اتحاد قد جنت عسلاً   والضد مثل الذُّباب[3] طاش في المدن[4]

ويقول في قصيدة أخرى:

ولا تسمعوا من غرة القرد في الذرى   يحوم مع الغربان في طيشة الفكر
يود بأن يلقى بأفعال نفسه   سرورا وهذا قائد الخزي والضر[5]

وقال:

أما تنظرون النحل حال اجتماعها   نمت عسلا يشفي العليل من الصَّدر
وما كان للذبَّان عند افتراقها   سوى الخزي والتَّدمير والذُّل والخسر

---

(١) محمد بن علي السنوسي، محمد بن أحمد العقيلي، كتابهما السابق، ص ٦.

(٢) مذكراته المخطوطة.

(٣) لعل الصواب: « ذباب » ليستقيم الوزن.

(٤) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٨٧.

(٥) ديوان الروض المرضي، ورقة ٩٣.

كـفى مـثـلا هذا لمن كـان عـاقـلا فلا تهملوه في حياتي وفي قبري[(١)]

ويشبه هذا المنحى الأسلوبي ما وُجد لدى شعراء تلك المنطقة من: « الحوار والأسلوب القـصـصي »[(٢)]، إذ يبـدو أنَّ نفـراً منهم قـد كـانـوا مـولعين بمثل هذه الأسـاليب التـعـبيـرية، وبخـاصـة مـا كـان يجـري منهـا على ألسنة: الطيـر، والحيوان[(٣)]، ومثال ذلك القصة التخيلية التي أجراها أحمد بن عبد الخالق الحفظي على لسان حمامة، وهو في أسره بتركيا[(٤)].

ويتسم أسلوب التعبير لدى شعراء جنوبي الجزيرة العربية بالتقليد والمحاكاة، فقد كانوا - فيما يبدو - مولعين بالمحاذاة والاتباع، ولعل هذا الميل ناشئ عن ضعف في البناء والتكوين الفني؛ إذ لا يستقيم لهم القريض إلا بعد محاكاة ومتابعة، ويؤيد هذا القول تقليد بعض الشعراء لقصائد غيرهم، وأخذهم بعض أبياتها، إلى جانب محاكاتهم لها في الوزن والقافية، وربما في اللفظ والمعنى، ويتجلى ذلك في قول محسن بن علي الحازمي:

إن الزمـان الذي قـد كـان يضـحكنا أنسـا بقـربكم قـد صـار يبكينا[(٥)]

فقد أخذ بيت ابن زيدون التالي مع تصرف يسير:

إن الزمـان الذي مـا زال يضـحكنا أنسـا بقـربكم قـد عـاد يبكينا[(٦)]

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٩٢.

(٢) عبد الله أبو داهش، كتابه السابق، ص ٣٧٣.

(٣) ظهر ذلك لدى شعراء رجال ألمع بوضوح.

(٤) توجد لدى الباحث قصيدة مخطوطة تخيل فيها أحمد بن عبد الخالق الحفظي أن حمامة وقعت في شرك أحد الصيادين، وأنها بدأت تروي قصتها للحفظي وأحد رفاقه، وهما عندئذ في المنفى بتركيا، وهي لم تخل من ملامح الإبداع والأصالة رغم ضعف أداتها اللغوية.

(٥) لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقة ٣٢٥.

(٦) ديوان ابن زيدون، ص ١٤٢.

كذلك أنشأ أحمد بن عبد الخالق الحفظي قصيدته الآتية على نهج قصيدة الشاعر محمد بن أحمد الحفظي، إذ قال أحمد بن عبد الخالق:

أُهدي السلام لشيخ علم أفضل ... هادي الخليقة لاتباع المُنْزَل[1]

بينما قال محمد بن أحمد الحفظي:

هام الشجي وهاج شوق الممتلي ... وبدت صبابات الغرام الأول[2]

ومثل قول أحمد بن عبد الخالق الحفظي نفسه:

تحية وفد أيقظت كل نائم ... وفاقت على ما صاغ بشر وحاتم[3]

وهذا البيت مأخوذ من قول أبي المظفر الأبيوردي في بيته:

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم[4]

ولعل عبد الله بن علي بن حميد قد اقتفى محمد بن عبد الله بن عثيمين في قوله:

عج بي على الربع حيث الرند والبان ... وإن نأى عنه أحباب وجيران[5]

إذ قال ابن حميد:

عج بي على الربع أستجلي مجاليها ... أُجدِّد الذكرى في ماضي لياليها[6]

كذلك أخذ علي بن قاسم الفيفاوي قول الجراح بن شاجر الذروي:

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ١٠٥.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٧٤.

(٤) انظر: أثر الحروب الصليبية في الشعر العربي، لمحمد بن علي الهرفي، ص ٥٢.

(٥) ديوان ابن عثيمين، ص ٣٩.

(٦) كتابه السابق، ص ٨٩.

أبكت جفوني فاترات الجفون وفاض دمعي من عُيُوني عُيُون[1]

إذ قال الفيفاوي مع تصرف يسير :

مصابك أدمى فؤادي الحزين وفاضت له من عيوني عيون[2]

ومن خصائص الشعر في هذه الأنحاء وضوح ظاهرة التدوير في نتاج الشعراء في ميدان الدعوة السلفية ، فقد قال عبد الرحمن بن يحيى الآنسي :

إذن لسمعنا راغيا في الحديث كالّـ ـذي سمعتْه في القديم ثمود[3]

وقال عبد الرحمن بن أحمد البهكلي :

طابت مساعي علاه إذ منابتها الصَّـ ـريح من مضر الحمراء ومن أدد[4]

وقال محمد بن أحمد الحفظي :

وأيد بالنصر العزيز وبالـ ـفتح المبين دعاة أمرهم شورى[5]

ومن الظواهر الشعرية في هذا الميدان السلفي التأريخ الشعري الموسوم بتاريخ الجُمَّل ، ومنه قول إبراهيم بن زين العابدين الحفظي :

وفي مثل هذا اليوم كان دخوله وتنزيهه أرض الرياض من الجور
وهذاك يوم عد في الشهر رابعا من ايام شوال المخصص بالذكر
وحينئذ قد صار تأسيس ملكه وما زال ذا ينمو إلى عامنا الهجري

---

(١) مدائحه، ورقة ١ .

(٢) مجلة المنهل، ج ٨، س ٣٥، مج ٣٠، شعبان ١٣٨٩هـ، ص ١١٤٨ .

(٣) عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، كتابه السابق، ص ٢٧٥ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠٦ .

(٥) المجموع رقم ٣٤٢٢، ورقة ٥٨ ، مخطوطات جامعة الملك سعود.

أأرخـــه تاريـخنا عـــام تسـعـــة وستين من بعد الشين والغين[1] بالحصر[2]

١٣٦٩هـ

ويتبين من دراسة نتاج شعراء هذه الأنحاء أن أولئك الشعراء كانوا يفضلون إيضاح معانيهم الشعرية بذكر شيء من المصطلحات العلمية والدينية واللغوية ، مثل قول محمد بن أحمد الحفظي :

وكم طُبَّ مطبوب فطابت وأطنبت بأن الأطباء قد أفادوا بما تبدي

أليس لدى أهل الأصول بأنَّ ما تجاوز حدّ الشيء عومل بالضد

وفي كتب النحو إنما المبدل الذي يتابع إعرابا ويختص بالقصد[3]

ومن ملامح أسلوب التعبير في شعر هذه الأجزاء من جزيرة العرب ، ركوب كثير من شعرائها الضرائر الشعرية المعروفة ، فقد كانوا كثيرا ما يقعون فيها . ومن أبرز تلك الضرائر : الإقواء ، والتضمين في العروض ، ومد المقصور ، وقصر الممدود ، وتسكين أواخر الكلمات ، وصرف ما لا ينصرف ، وتسهيل الهمزة أو رسمها في غير موضعها ، وغير ذلك كثير مما كان يقع فيه الشعراء بتلك الأنحاء .

ومن الضرائر الإقواء ، مثل قول علي بن عبد الرحمن النعمي :

بقومة الأسد الضاري وهمته أعني المعالي له الإحسانُ والأدبُ

له مجالس رشد من فصاحته يكفيك منطقه عن جملة الكتبِ[4]

---

(١) ش = ٣٠٠ ، غ = ١٠٠٠ + ٩ + ٦٠ = ١٣٦٩هـ.

(٢) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي ، كتابه السابق ، ص ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢ ، انظر مثل ذلك في : نفحات من عسير ، ص ٨٠ .

(٤) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث .

ومن ضرائر التضمين قول علي بن يحيى حميدة:

وقل لهم ياقوم إن مُحبَّكم علي بن يحيى ضاق من حمله لَمَّا
أتاني الشريف الحيدري بجنده وحارب شخصا مسلماً ومسلما[1]

ويمكن تتبُّع بقية ضرائر الشعراء في نتاجه الأدبي الذي سبق دراسته في ظلال هذه الدعوة الإصلاحية، إذ هم بهذا ييسِّرون لأنفسهم ما يجوز للشاعر ركوبه في الضرورة الشعرية[2].

ويتضح من دراسة النماذج الشعرية التي أُنشئت في ميدان الدعوة السلفية أن أساليبها كانت كثيرا ما تقلِّد أساليب القرآن الكريم والحديث النبوي، بل إنها غالبا ما تحفل بالاقتباس منهما. ومن الشعراء الذين قلدوا أسلوب القرآن الكريم مداوي بن محمد المتحمي الذي يقول:

أتانا بقوم أهل بأس وقوة ولكن لقيناهم بقاصمة الظَّهر[3]

فقد أفاد من قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ** ﴾[4].

ومن أولئك الشعراء أيضا علي بن محمد السنوسي الذي يقول:

وراقب الليل إلى أن عسعسا مضى على الهول وداس الحرسا[5]

إذ أفاد من قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** ﴾[6].

أما الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي، فقد وضح في قول محمد بن أحمد الحفظي:

---

(١) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث.

(٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ كتاب ضرائر الشعر لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي.

(٣) هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص ٦٥.

(٤) من الآية ٣٣ من سورة النمل.

(٥) محمد أحمد العقيلي، ومحمد علي السنوسي، كتابهما السابق، ص ١٤.

(٦) الآية ١٧ من سورة التكوير.

سبحان من أسرى به والليل ساج قد دجا[١]

فقد قبس من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾[٢]

كما وضح الاقتباس من الحديث النبوي في قول محمد بن أحمد الحفظي:

بطائفة تبقى على الحق دائما وأخلافها يختار منها عدولها[٣]

إذ قُبس من قول رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم»[٤]، والحق أن الشعر الذي قبس فيه الشعراء من القرآن الكريم والحديث النبوي وافر لا يؤتى على حصره، إذ الغالب أن الواقع العلمي الذي يعيشونه قد أثر في ميولهم الأدبية ودفعهم إلى الإفادة من ثقافتهم الدينية الواسعة.

ويبدو أن الشعراء في هذه الأجزاء من جزيرة العرب كانوا مولعين بتضمين أشعارهم شيئا من الشعر العربي، إذ يقول محمد بن إسماعيل الأمير:

سرت من أسير ينشد الريح إن سرت «ألا يا صبا نَجْد متى هجْت من نجد»
يذكرني مسراكِ نجدا وأهله «لقد زادني مسراكِ وجداً على وجد»[٥]

فقد ضمن الأمير الصنعاني بيتيه السابقين قول الشاعر:

---

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٣٠.

(٢) من الآية من ١ سورة الإسراء.

(٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٧١.

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ثوبان، وهو في البخاري من طرق أخرى، صحيح الجامع ٦/ ١٤٦.

(٥) ديوانه السابق، ورقة ٥٦.

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد؟ لقد زادني مسراك وجدا على وجد[1]

وقد قال محمد بن أحمد الحفظي:

يثير عجاج النقع فوق رؤوسها كغيم ربيع قد تراكم بالسَّبر[2]

من قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[3]

وقال الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين سنة ١٣١٠هـ في شأن الترك:

عدمنا الخيل والأنصار إن لم نؤاخذكم بشأن الأغدرية[4]

من قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النَّقْعَ موعدها كداء[5]

ويزداد ولع الشعراء بالتضمين في أشعارهم إلى درجة أنهم يصرحون بذلك في نظمهم. وذلك بسبب ميلهم إلى التقليد ومحبتهم في مجاراة من سبقهم من الشعراء، ويدل على هذا قول أحمد بن عبد الخالق الحفظي:

فللَّه دَرُّ القائل الشعر أولاً فقد قال قولاً أوجب الشعر باعث

«نَرى الشجرات الطيبات عروقها نوام ولا تنمو العروق الخبائث[6]»

---

(١) اختُلف في نسبة هذا البيت، فمعظم الدارسين يثبته لعبد الله بن الدمينة الخثعمي، ومنهم من يثبته ليزيد بن الطثرية، كما فعل ناصر بن سعد الرشيد في: شعر ابن الطثرية، ص ٦٨.

(٢) مجموعة أشعار الحفظي ورقة ٧.

(٣) ديوانه، ج١، ص ٣١٨.

(٤) محمد محمد زبارة، أئمة اليمن، ص ٢٦.

(٥) ديوانه، ص ٧٣.

(٦) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٦٣.

ومن الواضح أن شعر جنوبي الجزيرة العربية الذي قيل بتأثير من هذه الدعوة السلفية لم يسلم من الضعف في الحس العروضي واللغوي، كما لم يسلم من الهنات الإملائية والنحوية، إذ تكاد تلك الهفوات تسيطر على نتاج نفر من شعراء تلك الأنحاء، وبخاصة في عسير، ولعل ذلك يعود إلى إهمال قواعد الرسم المعروفة، وإلى الضعف في الأداة اللغوية المعبرة، إلى جانب القصور اللغوي لدى النساخ الذين قاموا - فيما بعد - بتدوين ذلك التراث وكتابته.

ويبرز اهتمام الشعراء في هذه الأنحاء واضحا بالبديع، إذ يبدو ولعهم به في أساليبهم التعبيرية؛ وذلك ربما يعود إلى رغبتهم في محاكاة من سبقهم، واتباع تقاليدهم الأدبية، فقد كانوا كثيرا ما يظهرون استحسانهم لتلك الضروب البديعية[١]، وبخاصة في المخلاف السليماني واليمن، إذ ربما أثر في الشعر برجال ألمع وعسير انشغال العلماء فيهما بالدفاع عن الدعوة، وانصرافهم إلى شرح تعاليمها، إذ يغلب على شعرهما المسحة العلمية المعهودة في شعر العلماء، ومع ذلك لم تسلم أشعارهم من تأثير البديع وفنونه بعامة، فقد شاع من تلك الأنواع البديعية ضروب مختلفة من المحسنات اللفظية والمعنوية.

ولعل شغف الشعراء بهذه الألوان البديعية يبرز في نماذج وافرة من نتاج أولئك الشعراء في هذا الميدان السلفي، فقد قال عبد الله بن محمد النعمي في الجناس:

ونعم سبور[٢] كالليوث العوابس فحياهم رب الخلائق من سبر[٣]

(١) الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقة ٥٤.

(٢) السبور: المراقبون، وهم عيون الجيش.

(٣) توجد هذه القصيدة لدى هاشم سعيد النعمي، أبها.

وقال الحسن بن أحمد عاكش في الطباق :

نشت لهم والله فيه فضائح تسوِّد وجه الدين في الشرق والغرب[1]

وقال عبد الكريم بن حسين العتمي في التورية :

حتى أرى الروض مطلولاً جوانبه والزهر يعجب قانيه وفاقعُه

وأحمد بن حمود ناشر علما إذا بدا انصرفت عنه موانعه[2]

وقد عقب عاكش على البيت الثاني فقال بأنه « اتفق له مع الانسجام التورية ؛ لأن اسم الممدوح ممتنع في اصطلاح أهل العربية »[3]، وأضاف إلى ذلك قوله : بأن صدر البيت الثاني نفسه اقتضاب، إلى جانب حسن التخلص[4]، وقال محمد بن إسماعيل في التورية أيضا :

وتطهير اعتقاد عن شريكٍ بسهم صائب عرض اللِّئام[5]

ويراد بتطهير الاعتقاد في هذا البيت : كتاب الأمير الصنعاني نفسه، وقد يراد به المعنى الحقيقي، والواقع أن الأمير الصنعاني « أشار إلى رسالتين : الأولى تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، والثانية السهم الصائب في نحر القول الكاذب »[6]، وللفظ فيهما معنيان : قريب وبعيد، والتورية هنا آتية من المعنى البعيد.

---

(١) محمد بن علي العمراني، كتابه السابق، ورقة ٢١ .

(٢) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ورقة ١٢٠ ، وفي البيت الثاني انكسار . وقانيه : أحمره، وفاقعه : شديد الصفرة .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٢٠ .

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٢٠ ، والواضح أن حسن التخلص قد أتى عن طريق العطف فقط .

(٥) ديوانه، ورقة ١٤٠ .

(٦) المصدر نفسه، ورقة ١٤٠ .

وإلى جانب هذه الألوان البديعية طرق الشعراء ألوانا أخرى من البديع، مثل: التوجيه في قول محمد بن المساوى الأهدل:

فكم لك في الوقائع من قضايا تنتجها إذا اشتدَّ الزِّحام[1]

وطرقوا كذلك من أنواع البديع اللف والنشر، مثل قول القاضي عبد القادر بن علي العواجي، وهو بمصر مأسورا:

لحظها والعيون منها، وقد الظِّبا والمها وسمر العوالي[2]

وقد قال عاكش في ذلك: «وقوله: لحظها... البيت... من البديع اللف والنشر»[3].

وقد وجد في شعرهم الترصيع، مثل قول علي بن محمد السنوسي يمدح الحال الاجتماعي في زمنه:

فالدار عامرة والسحب ماطرة والأرض زاهرة والدين منتشر[4]

ووجد كذلك في شعرهم الالتفات، مثل قول الحسن بن أحمد عاكش:

سقى تربة نجران فيها مبكر من المزن يسقي سوحها نافع السُّحب[5]

فقد قال محمد بن علي العمراني (١١٩٤ - ١٢٦٤هـ) في ذلك: «التفت الناظم، والالتفات معدود من علم البديع»[6]، وفيه الاحتراس[7] أيضا؛ لأنه «احترس بأن تلك السقيا لا تكون إلا نافعة»[8].

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج السخرواني، ورقة ١١٢، نسخة الباحث المخطوطة.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٣٨. (٣) المصدر نفسه، ورقة ١٤٠.
(٤) محمد بن أحمد العقيلي، ومحمد بن علي السنوسي، كتابهما السابق، ص ٦.
(٥) محمد بن علي العمراني، كتابه السابق، ورقة ١٥.
(٦) المصدر نفسه، ورقة ١٥. (٧) المصدر نفسه، ورقة ١٥.
(٨) المصدر نفسه، ورقة ١٥.

ومن التعديل قول عاكش نفسه :

وأعني به المولى الحسين أخا العلا   مبيد ذوي البغضاء والجحد والنصب[1]

إذ ورد هذا اللون البديعي في عجز البيت .

والمتتبع لهذه المحسنات البديعية يدرك وفرتها ، فما سبق ذكره سوى أمثلة يسيرة تدلل على تناول أولئك الشعراء لهذه الضروب البديعية المختلفة ، وهم بهذا يقلدون من سبقهم ، ويرون فيها محافظة على نهجهم ، وربما كانوا يستحسنون وقعها اللفظي في أدبهم ، إذ يقودهم ذوقهم الأدبي إليها ، إلى جانب أن ثقافتهم الأدبية قد نشأت استمرارا لعصور الضعف الأدبي .

ومثلما وُجدت المحسنات البديعية ، وُجدت كذلك المجازات البيانية من : استعارة وتشبيه وكناية ونحوها ، ولكنها أقل شيوعا من الألوان البديعية السابقة ، فمن الاستعارة قول الحسن بن أحمد عاكش :

فيا راكباً يبغي لنجران قاصدا   على ناقة تغلي لناصية التُّرب[2]

وقد عقب العمراني على هذا البيت بقوله : « وجعل الناصية للترب من باب الاستعارة »[3] ، وأضاف إلى ذلك قوله : « وإثبات الغلي ترشيح وفي ذلك استعارة بأن هذه الناقة جيدة السير سابقة على أمثالها »[4] .

ومن التشبيه قول علي بن الحسين بن عبد الهادي بن بكري :

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٧ . وفي هذا البيت جعل الشاعر جسم الناقة يغسل ناصية الترب ، وليس للترب ناصية ، إنما هي في الأصل للإنسان ونحوه .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١٧ .

كـأن أنين الموقين ومن به   جوارح رمي قاصفات لأعمد[1]

ولم يسلم الشعر في هذه الأنحاء من اللعب الشعري، فقد حفل بكثير من مظاهر الترف الشكلي. وذلك حين كان بعض الشعراء يعمد إلى التطريز في قصائد المدح، إذ يأتي الشاعر باسم الممدوح في أوائل الأبيات التي كان ينشئها، ومثال ذلك: قصيدة الحسن بن خالد الحازمي في مدح الشريف حمود بن محمد الحسني، حيث تكلّف الحازمي البناء الفني حتى كوّن قصيدة تشمل أوائل أبياتها اسم حمود بن محمد[2]، وقال في ختام قصيدته مشيرا إليها:

إذا ما أردت الإسم بالرمز ظاهرا   وتحقيقه فيها لَعلمٌ لطالب
فمن كل بيت بعد بيت تخلص   خذ الحرف من أولاه يا ذاَ المطالب[3]

وقد ظل هذا العبث اللفظي ملازما للشعر حتى أواخر القرن الثالث عشرالهجري، إذ نجد شاعرا مثل أحمد بن عبد الخالق الحفظي يكثر من مثل هذا العمل البديعي وهو في المنفى بتركيا[4]، ولعل السبب الذي دعاه إلى هذا يعود إلى الفراغ الواسع الذي كان يعاني منه، وهو في أسره عندئذ.

والحق أن أثر هذه الدعوة السلفية في مجال اللغة وأسلوب التعبير قد تمثل في مظاهر التكوين اللفظي وعناصر التعبير التي كانت تنقل بها أفكار الشعراء ومعانيهم. إلى جانب وضوح هذه الاتجاهات الشكلية بعامة، رغم انصراف الشعر إلى تأييد هذه الدعوة أو معارضتها، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري لدى شعراء آل الحفظي برجال ألمع، ومن سلك مسلكهم

(١) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ١٢٩.
(٢) الحسن بن أحمد عاكش، حدائق الزهر، ورقة ٢٠.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٢٠.
(٤) انظر: مذكراته المخطوطة.

إلى جانب التأثير الواضح الذي أوجدته هذه الدعوة الإصلاحية في ميدان اللفظ والاستعمال اللغوي، إذ شهد الشعر بهذه الأنحاء وفرة في المعاني والألفاظ التي لم يكن يعهدها ميدانه من قبل، ورغم ذلك لم يسلم هذا الشعر مما أصاب الشعر العربي بعامة من الضعف في الأداة اللغوية والنحوية والعروضية، وما أصابه كذلك من الولع بالبديع والتكلف اللفظي، ولكن هذا الشعر قد عبَّر عن تجارب الشعراء وآمالهم، وصوَّر يقظة الفكر والأدب من بعد ظهور هذه الدعوة السلفية في تلك البلدان، واستطاع أن يوجد عددا من الاتجاهات الأدبية في ميدانه السلفي بوحي من هذه اليقظة التي استطاع شعراؤها نقلها بأساليب تعبيرية مناسبة.

الخاتمـــــة

اتسمت الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي الجزيرة العربية قبيل ظهور الدعوة السلفية في بلدانها بشيء من الاضطراب والتباين ؛ وذلك لما شهدته تلك الأنحاء من الصراع المذهبي والاختلاف السياسي ، وما كان عليه أهلها ، وبعض علمائها من البدع والمعتقدات الباطلة . ولما قيض الله لهذه البلاد ظهور هذه الدعوة أخذ المنصفون من علمائها يتحسسون لأخبارها ، ويتابعون نشاطها ، حتى إذا تمكنت من قلوبهم ؛ أخذوا يكاتبون علماءها ويدعون إليها بين مواطنيهم والذين يلونهم من الأهلين . فالحق أن الغربة الدينية التي كان يعيشها أولئك العلماء قد هيأت أنفسهم للإقبال على هذه الدعوة ، إلى جانب اتصالهم بعلماء نجد حينذاك وتأثرهم بما يصل بلدانهم من الدعاة ، وما يبلغ أسماعهم من أخبار هذه الدعوة عن طريق الحجاج ، والعائدين من طلبة العلم الذين هاجروا إلى الدرعية حينذاك ، هذا بالإضافة إلى الصراع القائم عندئذ بين الزيدية والشافعية بهذه الأنحاء ؛ مما جعل الشافعيين يقبلون على هذه الدعوة ويؤيدونها .

١ - ويأتي ظهور هذه الدعوة السلفية في بلدان جنوبي الجزيرة العربية متفاوتا ؛ فقد كان اتصال علماء اليمن بدعاة هذه الدعوة في نجد سببا في ظهورها في وقت مبكر بتلك الأنحاء ؛ وذلك يخالف الظهور السياسي لهذه الدعوة في بلدان اليمن فيما بعد . ولم يكن هذا الحال يشبه ظهور هذه الدعوة في رجال ألمع وعسير ، إذ يبدو أن ظهورها فيهما قد كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وما بعده ، وذلك حين أقبل علماء رجال ألمع البكريون على تأييد هذه الدعوة وقبولها ، وحين أخذ الدعاة العسيريون من آل المتحمي وغيرهم يفدون على الدرعية . كذلك يتحدد ظهور هذه الدعوة بالمخلاف

السليماني في العقد الثاني من هذا القرن نفسه، رغم مصاحبة ذلك لشيء من معالم المعارضة المذهبية. ولم يكن ظهور هذه الدعوة بتهامة اليمن وحضرموت ببعيد من تلك البلدان السابقة، وإنما يكاد يتحدد ذلك في العقد الثاني والثالث من هذا القرن نفسه.

٢ - وإذا كان قد تحدد ظهور الدعوة في بلدان جنوبي الجزيرة العربية، فإن بلدان: اليمن، ورجال ألمع، والمخلاف السليماني تعد من أكثر تلك البلدان حظا في النشاط الأدبي واليقظة الفكرية، على حين كانت بلاد عسير من أضعف تلك البلدان نشاطا في الميدان الأدبي والفكري، ورغم ذلك يُعَدّ ظهور هذه الدعوة بتلك الأنحاء سببا في إنعاش الحياة الفكرية والأدبية في بلدانها، وسبيلا إلى دفع ما كان قد حل بها من البدع والمعتقدات الباطلة، إلى جانب أن هذه الدعوة قد أيقظت في أدباء هذه البلدان روح الجد، ودفعتهم إلى التعبير عن آرائهم، والإفادة من الفنون الأدبية المختلفة في نقل أفكارهم وما يختلج في صدورهم. هذا بالإضافة إلى أن هذه الدعوة قد قضت على الفرقة السياسية، وأضعفت تيار الصراع المذهبي الذي كان قد أنهك الواقع الأدبي والفكري بتلك الأنحاء.

٣ - ويأتي أثر الدعوة أكثر وضوحا في ميدان محاربة البدع والمعتقدات الباطلة، إذ نجد أبرز أعمال السلفيين تظهر جلية في جانب هدم القباب والقبور المرتفعة، ودفع ما يرونه مناقضا لروح العقيدة، فقد أقبل معظم الأهلين في تهامة وعسير وبلدان اليمن من قبل ظهور الدعوة على مثل هذه الأمور، مما أضعف عقيدتهم، وزاد في ترهُّل حياتهم العلمية. ولما ظهرت هذه الدعوة في بلادهم قضت على تلك الشطحات، وهذَّبت نفوس بعضهم وطهَّرتها من درن البدع والاعتقاد في المخلوقين والأشجار والأحجار ونحوها، ولم تسلم هذه

الأنحاء مما كانت قد أُصيبت به من قبل ، حين قضى الترك على هذه الدعوة فيما بعد ، إذ عاد الناس إلى شيء من تلك المظاهر البدعية السابقة ، ولكن هذا الحال لم يدم ، حيث أخذ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يجدِّد أمر هذه الدعوة بهذه الأنحاء منذ العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري .

ولعل من أبرز تلك المظاهر البدعية التي دفعتها هذه الدعوة وقضت عليها ، ما كان يعتقده بعض الأهلين بعسير في الأشجار والأحجار ، إلى جانب نزع البدع الوافرة التي سنَّها الترك في هذه المنطقة في دورهم الثاني وحكمهم الأخير . أما في رجال ألمع فقد قضت هذه الدعوة على ما وُجد فيها من القباب المشيدة على القبور ، وما كان يجري من علمائها المتصوفين في طرقهم الصوفية واعتقادهم في قصيدة البردة للبوصيري ونحوها . وكذلك كان أثر هذه الدعوة واضحا في المخلاف السليماني ، وبخاصة فيما يعتقده الناس في القبور وفي أفعال السحرة والمشعوذين ، إلى جانب أثرها في طرق أهل التصوف التي أوجدها ابن إدريس فيما بعد . وكان أثر هذه الدعوة واضحا في بلاد اليمن حين هدمت القباب ، وحوربت البدع المنتشرة في تهامة اليمن وحضرموت ، ولعل خير شاهد على هذا القول ما أضحى عليه الأهلون في مخلاف الكُميم من الوضوح السلفي وصلاح المعتقد .

٤ - ويبرز أثر هذه الدعوة الإصلاحية في ميدان المذاهب والفرق الدينية من خلال يقظة الفكر الديني في المذاهب السنية المعروفة ، وفي محاربة الفرق الدينية الضالة بهذه الأنحاء . فقد كان ذلك الأثر واضحا في بعض أتباع المذهب الشافعي حين أقبلوا على هذه الدعوة ، وفضلوا مكاتبة علمائها ، واقتناء كتب الحنابلة إلى جانب إقبالهم على كتب الشافعية ، وحرصهم على إحياء النقاش الفكري والمناظرات مع علماء نجد الحنابلة . ولعل خير أثر عرفته تهامة

ممثلة في مذهبها الشافعي إقبال علمائها على الكتاب والسنة وميلهم إلى الاجتهاد، وبخاصة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وفي القرن الرابع عشر الهجري حين ضُمَّتْ تهامة وعسير إلى بقية أجزاء البلاد السعودية.

وكان الأثر السلفي واضحا في بعض أتباع المذهب الزيدي في اليمن من خلال اتصال علمائها بعلماء نجد، ورحلة بعض الدعاة النجديين إلى اليمن من أجل نشر الدعوة في تلك الأنحاء، كذلك برز هذا الأثر في المعارضات التي نشأت بين الزيديين ودعاة هذه الدعوة، وما ظهر بسببها من التأليف والنتاج الفكري، فقد أخذ اليمنيون - فيما بعد - يُحيون تراثهم الزيدي ويحققونه رغم اتصال رجال، منهم بعلماء الدعوة، وتفضيلهم لطلب العلم في نجد والرحلة إليها.

ويظهر أثر الدعوة جليا في ميدان التصوف، حين نزع علماء رجال ألمع وبعض علماء المخلاف السليماني عن معظم طرقهم الصوفية المعروفة، وأخذوا حينذاك يُحيون بعض المناظرات المذهبية مع دعاة الدعوة، مما عُدَّ من الآثار الظاهرة في هذا الميدان. أما الأثر الذي أوجده الاتجاه السلفي في الباطنية بهذه الأنحاء، فقد كان ممثلا في وفرة العهود بين الباطنيين والدعاة السلفيين؛ مما مهد لقبول نفر منهم لهذه الدعوة، ودعا الأهلين وأبناءهم إلى الإحساس بصلاحها، وبخاصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

٥ - وقد كان من نتائج هذه الدعوة في ميدان التأليف والتعليم والحسبة والقضاء أن وُجد شيء من اليقظة والنشاط العلمي؛ فقد ظهر قدر من المؤلفات في مجال ذم البدع وتطهير الاعتقاد، كما وُجد وفرة في المؤلفات التاريخية التي صوّرت حال الدعوة ونشاطها ومواقف العلماء منها، إلى جانب وضوح أثر

هذه الدعوة في كتابة الحوليات والمذكرات التاريخية، كما وُجد شيء من مؤلفات المعارضة والردود الفقهية. والحق أن الناظر في حركة التأليف في ميدان هذه الدعوة يدرك اتجاهين مختلفين: اتجاه مؤيد، وآخر معارض، ورغم ذلك يظل اتجاه التأييد سابقا لغيره في هذا المجال.

أما أثر هذه الدعوة في ميدان التعليم فقد كان جليا حين أقبل العلماء على إحياء حلقات التعليم، وأخذ الأهلون في طلب العلم خارج بلدانهم، وقد زاد في نشاط التعليم بهذه الأنحاء انتشار مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومصاحبة العلماء السلفيين لجيوش الدعوة التي يعقدها الأمراء العسيريون حينذاك، كذلك نشط أمراء عسير وأشراف تهامة على وجه الخصوص في إنشاء المدارس، وحض الناس على التعليم، كما أسهموا في تيسير مهام الدعاة السلفيين الذين يفدون إليهم من نجد، شأن علماء اليمن الذين كانوا يشجعون أولئك العلماء ويحضرون حلقاتهم التعليمية، ويبرز الأثر الحقيقي لهذه الدعوة في مجال التعليم منذ ضُمَّت تهامة وعسير لبقية أجزاء البلاد السعودية، إذ أخذ ولاة الأمر عندئذ يشجعون التعليم ويفتحون المدارس المختلفة، وقد تمثل هذا الاهتمام في جهود الشيخ عبد الله القرعاوي حين أنشأ المدارس السلفية المعروفة، وأخذ يشجِّع الدارسين من اليمنين وإخوانهم في تهامة وعسير، إلى جانب تأسيس المدارس الحديثة المختلفة بتلك الأنحاء.

ويظهر أثر الدعوة واضحا أيضا في مجال الحسبة منذ أخذ أمراء عسير، وعلماء رجال ألمع يسعون في نشر تعاليم الدعوة بين الأهلين في بلادهم، وحينما أخذوا يعظون الناس في بلدانهم، وفي البلدان التي يصلونها ضمن جيوش الدعوة المنتشرة حينذاك في المخلاف السليماني وتهامة اليمن، وقد زاد في نشاط الحسبة انتشار مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله المختلفة.

وقد تحقق هذا الأمر لدى أمراء عسير وأشراف المخلاف السليماني حين أوجدوا نظاما للحسبة والدعوة إلى الله. ونتيجة لنشاط هؤلاء الحكام في مجال الحسبة في بلدانهم وفي تهامة اليمن على وجه الخصوص؛ أخذ أئمة اليمن في الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادهم. وقد ظن الترك والمصريون أنهم قضوا على هذا الاتجاه الإصلاحي في سنة ١٢٣٣هـ، ولكنهم ظنوا غرورا، إذ ظل أمراء عسير محافظين على هذا الجانب، جاهدين في رفع لوائه، وحينما ضُمَّت تهامة وعسير إلى أجزاء البلاد السعودية الأخرى زاد نشاط الحسبة من خلال تنظيم هيئات الأمر بالمعروف، واهتمام الإمارات حينذاك بتحرير التعاميم والسعي في الأسواق بالدعوة إلى الله.

أما أثر الدعوة في القضاء بهذه الأنحاء فقد كان واضحا في جهود الحكام السعوديين الذين حرصوا على تطبيق أحكام الشريعة وضبط أمور القضاء بما يناسب نهج الدعوة، إلى جانب تعيين القضاة من قبلهم وبعثهم إلى هذه البلاد، ومكاتبة القضاة المحليين والإجابة على أسئلتهم الشرعية، وقد دل على هذا الحال ما وُجد من وثائق قضائية وأحكام شرعية وافرة.

٦ - ويتجلى مواقف علماء جنوبي الجزيرة العربية من هذه الدعوة الإصلاحية في مظاهر التأييد والمعارضة التي انقسم عليها أولئك العلماء، فقد أمكن التمييز بين مواقفهم من خلال اتجاهاتهم المختلفة، ومدى تفاعلهم مع هذه الدعوة، إذ وُجد هنالك ثلاثة أقسام متفاوتة: قسم يميل إلى التأييد والمناصرة، وقسم آخر يميل كذلك إلى التأييد، ولكنه لم يخلُ من الغلو والمبالغة. وقسم ثالث يمثل جانب المعارضة. أما القسم الأول فقد تحقق لدى العلماء المهاجرين في سبيل الدعوة إلى الدرعية من رجال ألمع والمخلاف السليماني، ولدى بعض العلماء اليمنيين الذين رأوا الحق حقا فاتبعوه. أما

العلماء المؤيدون الغالون فدلت المصادر على وجود فئة منهم تعمل ببعض الاجتهادات الخاصة التي لاتوافق نهج الفئة السابقة، ولا تستمد تعاليمها من دعاة هذه الدعوة في نجد، وقد كان القسم الثالث من مواقف هؤلاء العلماء ممثلا في بعض علماء المخلاف السليماني ونجران واليمن، فأما علماء المخلاف السليماني فقد ضعفت معارضتهم مذ قَبِل أشرافهم هذه الدعوة. وأما النجرانيون فقد كانت مواقفهم واضحة في جانب حياتهم السياسية لا الفكرية. أما علماء اليمن فقد استمرت معارضتهم حتى سقوط الدرعية، وربما عُدّ علماء اليمن من أشد علماء جنوبي الجزيرة العربية معارضة لهذه الدعوة ودعاتها.

٧ - وقد ظهر أثر هذه الدعوة السلفية جليا في معظم الأنماط الأدبية التقليدية المعروفة بجنوبي الجزيرة العربية، وبخاصة في: الرسائل، والمقامات، والمناظرات، والخطابة، والوصايا، والرسائل التعليمية، فقد عرفت مواطن التأييد السلفي بهذه الأنحاء بعض هذه الأنماط النثرية التي لم تكن معروفة فيها من قبل. كما أضحى الاتصال الفكري قويا بين أجزاء جنوبي الجزيرة العربية والدرعية في نجد، إلى جانب تميز هذا النتاج الأدبي بشيء من آثار الدعوة في اللغة وأسلوب التعبير. ويبرز أثر الاتجاه السلفي في الرسائل الديوانية بوضوح حين زاد نشاط هذه الدعوة، وبخاصة في عسير والمخلاف السليماني، ويمكن تتبع نشاط هذه الرسائل في ميدان الدعوة من خلال مراحل ثلاث: تبدأ أولاها بالظهور السياسي لهذ الدعوة حتى سقوط الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، والمرحلة الثانية تبدأ من هذا التأريخ السابق حتى سنة ١٢٨٩هـ تأريخ سقوط إمارة آل عايض في عسير، والمرحلة الثالثة تشمل الفترة التي تلت هذا التأريخ حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وقد اتسمت هذه الرسائل بملامح اليقظة السلفية الحقيقية.

وإذا كانت قد اتصفت الرسائل الديوانية بالوفرة ، واتساع الاتصال السياسي والمذهبي ، فإن الرسائل الإخوانية قد تميزت بأنها أسبق ظهورا من الرسائل الديوانية وأنها أكثر استيعابا لأخبار الدعوة ونشاطها ، ولكنها تشبه الرسائل الديوانية من حيث مراحل تطورها ، إذ قسمت إلى مرحلتين : أولاهما تبدأ بأواخر القرن الثاني عشر الهجري ، والثانية تشمل النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري . وقد تحقق هذا التأثير في رسائل علماء اليمن الذي أخذوا يستفسرون عن مبادئ هذه الدعوة حين بلغتهم أخبارها ، كذلك يتحقق هذا الأثر في إقبال علماء رجال ألمع على مكاتبة الدعاة النجديين ، إذ هم أوفر نتاجا في ميدان الرسائل الإخوانية ، كذلك ظهر النشاط السلفي في الرسائل الإخوانية التي كان يحررها علماء المخلاف السليماني إلى إخوانهم النجديين في الدرعية خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، ولم يظهر بعد هذا التأريخ وفرة في الرسائل الإخوانية ، مثلما ظهر في الرسائل الديوانية ، وإنما وُجد في النصف الثاني من هذا القرن شيء من الرسائل الأدبية التي كان يتبادلها بعض أدباء هذه الأنحاء مع إخوانهم الأدباء في نجد ، وقد نشط حال الرسائل الإخوانية في ميدان الدعوة السلفية مذ أخذ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يجدِّد أمر هذه الدعوة بهذه الأنحاء .

٨ - ولم يقتصر أثر هذه الدعوة على الرسائل فحسب ، وإنما ظهر أثرها في : الخطابة ، والوصايا ، والمناظرات . وذلك حين أخذ العلماء والأدباء بهذه الأنحاء يفيدون من هذه الأنواع النثرية في أفكار الدعوة وتعاليمها ، فقد ظهر أثرها في ميدان الخطابة منذ أخذ أمراء عسير وعلماء رجال ألمع ينشرون مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية بين مواطنيهم والذين يلونهم من الأهلين ، إلى جانب نشاطهم في هذا المجال من تأليبهم للجند ، حينما يخرجون في جيوش الدعوة

لمحاربة الترك، ومن يواليهم من الأعداء. فالحق أن علماء رجال ألمع خير من أذكى روح الخطابة في هذا الميدان، رغم محافظتهم على نمط الخطابة المعهود، فقد استمر الأثر السلفي لدى نفر من أولئك الخطباء حتى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

ويبرز أثر الدعوة في ميدان الوصايا منذ أحس العلماء السلفيون بهذه الأنحاء بدافع الإصلاح، إذ أخذوا يحذرون في نصائحهم التي يحررونها إلى مواطنيهم وولاة أمورهم من مظاهر الخلاف الديني وسوء المعتقد، وبخاصة ما يجري من الفرق الدينية الضالة بجنوبي الجزيرة العربية، ويُعَدّ العلماء الحفظيون من أبرز علماء المنطقة إسهاما في ميدان الوصايا والنصائح الدينية. وقد وُجد كذلك في محيط الدعوة السلفية بهذه الأنحاء شيء من المناظرات المذهبية التي كانت تجرى بين علماء هذه المنطقة وإخوانهم النجديين، حينما كانوا يفدون إليهم في الدرعية، إلى جانب ما كان يجري بين دعاة الدعوة السلفية بهذه الأنحاء وبعض العلماء المحليين في المخلاف السليماني وغيرهم، ويمكن أن يضاف إلى ذلك النشاط الأدبي في ميدان المناظرات ما وُجد من المناقشات العلمية والمطارحات الأدبية التي كانت تجرى مع علماء اليمن حين كان يفد إليهم بعض الدعاة النجديين، ولعل من أشهر المناظرات المذهبية التي أوجدتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تلك المناظرات التي جرت بين أحمد بن إدريس الصوفي، وفقهاء عسير السلفيين في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، بالإضافة إلى ما وُجد من مناظرات يسيرة مع علماء الدعوة وإخوانهم العلماء في تهامة خلال الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

٩ - والناظر في أثر الدعوة السلفية في ميدان النثر الأدبي يدرك أن هذه الدعوة قد وسمت النتاج الأدبي عندئذ بشيء من السمات المعنوية والفنية،

وأنها قد أثرت تأثيرا واضحا في أساليب التعبير وطرق البناء الفني، ولعل من أبرز تلك الخصائص المعنوية ما وُجد من اتجاهات واضحة متميزة، مثل: الاتجاه السلفي، والاتجاه الوطني، والاتجاه الذاتي، ولم تخرج طرق البناء الفني في الأنواع النثرية التي وُجدت في ميدان الدعوة عن طرق البناء المعهودة في الأدب العرب، ولكنها ربما تميزت بشيء من ملامح الجدة والتطور، وبخاصة في الاستخدام اللفظي، إذ أقبل الكتاب عندئذ على استعمال بعض الكلمات الجديدة المتميزة، ولعل ما يميز هذا النتاج أنّه ظهر بوضوح في بعض المراكز الفكرية السلفية التي لم تكن تعهد مثل ذلك من قبل، إلى جانب أن هذا النتاج النثري عندئذ قد فاق النتاج الشعري في بعض هذه المواطن السلفية، وبخاصة في عسير التي تميزت بوفرة الرسائل وكثرتها.

١٠- وتأتي مواقف الأدباء والمؤرخين من هذه الدعوة متباينة لا يجد فيها الباحث يسرا لإيضاح حقيقتها. وذلك لتداخل آراء أصحابها، فقد كان المؤرخون ـ مثلا ـ قليلا ما ينصفون هذه الدعوة ورجالها، وتتجلى هذه المواقف بوضوح لدى مؤرخي وأدباء عسير ورجال ألمع والمخلاف السليماني؛ فأما رجال ألمع وعسير فقد كان أدباؤهما ومؤرخوهما موسمين في نتاجهم الفكري والأدبي بالتأييد والمعاضدة لهذه الدعوة ودعاتها. وأما المخلاف السليماني فرغم وضوح المعارضة لدى أدبائه ومؤرخيه عند ظهور الدعوة، فإن ذلك الحال قد تبدَّل حين قبل أشراف تلك الأنحاء وعلماؤها أمر هذه الدعوة. وكان المؤرخون منهم يحاولون سحب أذيال النسيان على أخبار هذه الدعوة في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري. أما في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري فقد كان مؤرخو المخلاف السليماني وأدباؤه حريصين على إظهار مواقف التأييد في مؤلفاتهم التاريخية ونتاجهم الأدبي.

أما أدباء اليمن ومؤرخوه فقد انقسموا في مواقفهم تجاه هذه الدعوة قسمين: قسم مؤيد، وآخر معارض، ولكن فريق المعارضة كان أوسع مجالا وأكثر أعوانا، إلا ما كان من المنصفين المدركين من مؤرخي اليمن وأدبائه فقد كانوا في الواقع غالبين على هواهم، مؤثرين في مواطنيهم.

١١- أما أثر هذه الدعوة الإصلاحية في ميدان الشعر، فقد كان واضحا يفوق أثر الدعوة نفسها في الميادين الفكرية والأدبية الأخرى، ولعل السبب في ذلك يعود إلى وفرة مصادر هذا الفن الأدبي، وكثرة رواته، ورواج استخدامه حينذاك في تصوير المعارك والحروب ونشاط الدعوة الفائق عندئذ. وقد ظهر هذا الأثر السلفي في شعر المراكز الفكرية المشهورة بجنوبي الجزيرة العربية، مثل: عسير، ورجال ألمع، والمخلاف السليماني، واليمن. وكان هذا الأثر واضحا في جانب المعاني الشعرية، على حين كان قليلا في الشكل الفني وأساليب التعبير. وعندما نتتبع أثر هذه الدعوة في شعر عسير نجد أن هذا الشعر قد أصبح أقوى مما كان عليه قبل ظهور الدعوة بتلك الأنحاء، وأنه شارك في نشاط الدعوة منذ ظهورها، ولكنه كان يجمع بين الاتجاه العامي والاتجاه الفصيح، وكلاهما أسهم في مجال خدمة الدعوة والدفاع عنها. ولعل ما يميز هذا الشعر الذي وُجد بسبب تأثير الدعوة في عسير أنه كان يصدر من لدن العلماء والأمراء السلفيين بهذه المنطقة، إلى جانب كونه يمثل شعر عسير بعامة.

١٢- ويتحقق أثر هذه الدعوة الإصلاحية بوضوح في شعر رجال ألمع، حين أقبل أولئك الشعراء على تأييد هذه الدعوة ونصرتها. ولعل خير دليل على ذلك انصراف هؤلاء الشعراء عما اعتادوه في شعرهم من مظاهر التصوف والتشيع ونحوهما، بالإضافة إلى وفرة نتاجهم الشعري الذي كاتبوا به علماء المخلاف السليماني واليمن في سبيل الدعوة ومن أجل قبولها، ثم شعرهم

الوافر الذي كاتبوا به أيضا علماء الدعوة في نجد، وصوَّروا به أحداثها في جنوبي الجزيرة العربية، ولا شك أن هذه الدعوة قد أيقظت روح الحماس الديني في شعر رجال ألمع، وأوجدت لدى شعرائه الرغبة في الإصلاح الديني وتطهير الاعتقاد، فقد كانوا من قبل يعانون من الانغلاق الاجتماعي، والفراغ العلمي، وشيوع البدع المختلفة. والناظر في شعر رجال ألمع في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري يدرك هذا الأثر السلفي الواسع، إلى جانب وضوح هذه الأثر الإصلاحي في شعر هذا المركز الفكري أواخر القرن الثالث عشر الهجري. ورغم ذلك خف أثر هذه الدعوة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري حين نشط تيار التصوف، وازداد نفوذ الترك في تلك الأنحاء، ولكن هذا الحال لم يدم، حيث أقبل شعراء رجال ألمع في النصف الثاني من هذا القرن نفسه على دفع ما شاب شعرهم من الآثار المخالفة لمبادئ هذه الدعوة الإصلاحية.

١٣- ويبرز أثر الدعوة السلفية في شعر المخلاف السليماني منذ أخذ شعراء تلك الأنحاء يعارضون وينقضون شعر إخوانهم الدعاة في رجال ألمع على وجه الخصوص، وقد كان أغلب الشعراء المشاركين عندئذ من العلماء والوزراء المشهورين؛ ولذا لم تسلم تلك الردود الشعرية من المسحة السياسية والمذهبية، وقد خف دافع هذا النتاج الشعري منذ قبل شعراء تلك المنطقة أمر هذه الدعوة، ومع ذلك ظل نفر من شعراء المخلاف السليماني متصلين ببعض الأمراء السلفيين في عسير، مما يشير إلى استمرار الأثر السلفي عند أولئك الشعراء. وقد ازداد هذا الأثر في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حين شعر الأمراء بتلك الأنحاء بأهمية هذه الدعوة، ونجاحها، وحينما أصبح الشعراء بتلك المنطقة يحظون برعاية ولاة الأمر السعوديين، ويشهدون اهتمامهم.

١٤- ويتحدد أثر الدعوة في الشعر اليمني من خلال النتاج المبكر لبعض الشعراء بتلك الأنحاء، فقد كان لقصائد الأمير الصنعاني المحدودة أثر في لفت انتباه المؤرخين والشعراء، إذ أخذ هذا الشاعر في وقت مبكر من ظهور الدعوة يتحسس لأخبارها، ويكاتب دعاتها بشيء من شعره؛ مما جعله يحظى باهتمام الباحثين والدارسين لهذه الدعوة، ولكن دافع التعصب قد دعا بعض الشعراء اليمنيين إلى نقض ذلك الشعر، وإيهام الدارسين بمعارضة الصنعاني لهذه الدعوة، ورغم هذا الإيهام والمعارضة، فإن هذا الحال يُعَدّ من آثار الدعوة في الشعر اليمني.

كذلك أشبه الشوكاني شيخ شيوخه الأمير الصنعاني من حيث تأييده لهذه الدعوة، حين رثى صاحبها وتعاطف كثيرا مع دعاتها الذين وفدوا إلى صنعاء في زمنه، فكان يشهد ندواتهم الأدبية، ويميل إلى تعقب أخبارهم وتدوينها. ولما ظهر الأثر السياسي والمذهبي لهذه الدعوة في بلاد اليمن في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري؛ وجد المتعصبون من شعراء اليمن السبيل مهيئا لنصب معارضتهم وبسط وجهات نظرهم، فلم يخل الشعر اليمني الذي قيل عندئذ في ميدان الدعوة السلفية من البذاءة في القول والتعصب في الهوى، ومع ذلك وُجد من الشعراء اليمنيين من أنصف هذه الدعوة؛ من خلال شعر النصح والمشاورة. وقد خفَتَ الأثر السلفي في الشعر اليمني بُعَيْد هذه الفترة السابقة حتى بدأ نشاط الأمراء السلفيين أواخر القرن الثالث عشر الهجري يلفت انتباه الأهلين في اليمن، ويعجب شعراءهم من خلال دفاعهم عن الإسلام، ودفعهم لأفعال الترك وأطماعهم، مما دفع أولئك الشعراء إلى نظم شيء من الشعر المناسب الذي لا يخلو من روح الإصلاح.

كذلك ظهر شيء من الأثر السلفي في شعر اليمن في النصف الثاني من

القرن الرابع عشر الهجري. وذلك حينما أخذ أئمة اليمن وبعض شعرائهم يظهرون ميلهم لهذه الدعوة ودعاتها، فقد أخذ الشعراء يستقرون في هذه البلاد، ويشهدون مظاهر الإصلاح، مما دفعهم إلى إيضاح شيء منه في شعرهم.

١٥ - أما مواقف الشعراء بجنوبي الجزيرة العربية من هذه الدعوة فقد تفاوتت عندئذ بين المعارضة والتأييد، إذ يغلب على شعراء رجال ألمع وعسير روح التأييد، وذلك مذ ظهرت هذه الدعوة في بلادهم، فقد تميز شعرهم بالدعوة إلى قبولها والعمل على نصرتها، ومكاتبة العلماء والأئمة والأشراف في بلادهم من أجلها، مما وصف أولئك الشعراء بوضوح الموقف واعتداله. أما شعراء اليمن والمخلاف السليماني فقد انقسموا في مواقفهم تجاه هذه الدعوة إلى مؤيد ومعارض، وإن كان موقف المعارضة في شعرهم أعم وأكثر وضوحا، وبخاصة لدى شعراء اليمن، في حين كان شعراء المخلاف السليماني أخف معارضة وأقرب إلى القبول والتأييد.

وتنحصر موضوعات الشعر التي قيلت في ميدان الدعوة في جنوبي الجزيرة العربية في: الشعر التعليمي، والشعر المذهبي، وفي شعر وصف المعارك والحروب، إلى جانب وضوح أثر هذه الدعوة في شعر بعض الأغراض التقليدية المعهودة، مثل: المدح والرثاء.

١٦ - وإذا ما نظرنا إلى الخصائص المعنوية والفنية في شعر جنوبي الجزيرة العربية الذي قيل في ميدان الدعوة السلفية؛ وجدنا أن من أبرز خصائص المعاني ذات القيمة المعنوية وضوح الاتجاهات الشعرية والجديدة التي لم تكن - في الغالب - معهودة من قبل في شعر هذه الأنحاء. ولعل من أهمها: الاتجاه السلفي، والاتجاه الوطني، والاتجاه الذاتي، إذ يتسم كل منها بشيء من الخصائص المعنوية المتميزة التي تنم عن أثر فعال لهذه الدعوة.

أما الخصائص الفنية لهذا الشعر فقد تمثلت في بناء القصيدة ، واللغة ، وأسلوب التعبير ؛ إذ أثرت هذه الدعوة الإصلاحية بوضوح في : بناء القصيدة في شعر رجال ألمع وعسير ؛ على حين حافظ الشعراء في الغالب بالمخلاف السليماني واليمن على النهج التقليدي في بناء قصائدهم . وتتميز اللغة وأساليب التعبير في هذا الشعر بالمحافظة على اللغة الشعرية المعهودة في شعر العصور الأدبية الأخيرة من حيث : التزام البديع ، والزخارف اللفظية ، والميل إلى الأساليب التقريرية والخطابية ، والمصطلحات العلمية ، إلى جانب الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي ، والمحافظة على المحاكاة والتقليد ، ورغم ذلك لم يسلم هذا النتاج الشعري من الهنات اللغوية والإملائية والنحوية ، ولم يسلم كذلك من الضعف في الحس العروضي .

وأخيرا فإني أطوي صحائف هذا البحث بعد فراغي من تدوينه ، وكلِّي أمل في أن أنال الثواب من الله تبارك وتعالى ، وأن أكون قد وُفِّقت لخدمة ديننا وأمتنا عن طريق خدمة حملة مشاعل الضياء والنور فيهما . وأرجوه تبارك وتعالى أن يمدني بقوة العزيمة والتسديد فيما أعتزم ، وأن يحقق المنفعة المرجوة من هذا البحث ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كتبه

عبد الله بن محمد أبو داهش



المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

ثانياً: المطبوعات

ثالثاً: بحوث علمية لم تنشر

رابعاً: الدوريات

خامساً: الرسائل الجامعية

سادساً: فهارس المكتبات

سابعاً: مراجع غير عربية مترجمة

ثامناً: المقابلات الشخصية



أولا: المخطوطات

١ - أحد علماء آل الحفظي. حولية تاريخية مخطوطة، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٢ - أحد علماء آل الحفظي. خبر خروج أحد أمراء عسير لنشر الدعوة، يوجد هذا الخبر المخطوط في ورقة مستقلة لدى الباحث.

٣ - أحد علماء آل الحفظي. وثيقة خطية تتضمن حكما شرعيا لقضية اجتماعية، وقعت في عهد الأمير عبد الوهاب بن عامر المتحمي سنة ١٢١٨هـ، توجد لدى الباحث.

٤ - أحد علماء آل الحفظي. ورقة مخطوطة، تتضمن حديثا عن قصيدة البردة للبوصيري، توجد لدى الباحث.

٥ - أحد علماء اليمن. رسالة خطية منه إلى عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي، توجد في مكتبة الحسن بن أحمد الحفظي الخاصة بعثالف برجال ألمع، تاريخها ١٢٦٥هـ.

٦ - ابن إدريس، أحمد. «حصون ابن إدريس» نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث.

٧ - ابن إدريس، أحمد. «مناظرة بين أحمد بن إدريس المغربي مع فقهاء عسير»، توجد من هذه المناظرة نسختان مخطوطتان:

(أ) نسخة جامعة الملك سعود، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، رقم ٢٨٧٩ مخطوط أصلي.

(ب) نسخة مكتبة هاشم النعمي الخاصة بأبها، بدون رقم.

وقد أفدت من النسختين.

٨ - ابن إسحاق، محسن بن عبد الكريم بن أحمد. لفحات الوجد من

فعلات أهل نجد، نسختان مخطوطتان توجدان في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير رقم : ٢١ مجموع، ١٥٩ علم الكلام.

٩ - أعيان أهل اليمن. خبر مكاتبة هؤلاء الأعيان للأمير محمد بن عايض أمير عسير (١٢٧٣هـ - ١٢٨٩هـ) في دفع المنكرات التي حلت باليمن في زمنه من قبل الترك، يوجد هذا الخبر المخطوط ضمن المجموع ١٦٢ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ورقة ب. ج.

١٠ - إمام الجامع «بلواء عسير في عهد الترك الأخير». رسالة خطية منه إلى محمد بن حسن بن عبد الرحمن الحفظي، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

١١ - إمارة عسير، خطاب خطي صادر من هذه الإمارة برقم ٤٣٩١ إلى شيخ بللحمر، حول منع الأهالي من أكل الطعام في أيام رمضان، يوجد هذا الخطاب لدى الباحث، تاريخه ٢/ ٩/ ١٣٦٥هـ.

١٢ - إمارة عسير، خطاب خطي صادر من هذه الإمارة برقم ٣٨٩٦ إلى شيخ بللحمر، حول منع النساء السافرات من الدخول في الأسواق، يوجد هذا الخطاب لدى الباحث، تاريخه ٧/ ٨/ ١٣٦٥هـ.

١٣ - إمارة عسير، خطاب خطي صادر من هذه الإمارة برقم ٩٠ إلى منصور ابن مانع شيخ بللحمر، حول منع زراعة التنباك، يوجد هذا الخطاب لدى الباحث، تاريخه ٢/ ٨/ ١٣٥٢هـ.

١٤ - الأهلون في رجال ألمع. عهد مخطوط يتضمن اتفاق هؤلاء الأهلين على إقامة الشريعة الإسلامية في بلادهم في العقد السادس من القرن الثاني عشر، يوجد لدى الباحث، بدون رقم.

١٥ - الأهلون في زهران. عهد مخطوط يبين اتفاق الزهرانيين على إقامة الشريعة الإسلامية في بلادهم، في عهد الأمير عايض بن مرعي، يوجد في مكتبة آل رقوش الخاصة ببني سار بزهران.

١٦ - الأهلون في عسير. سؤال خطي من هؤلاء العسيريين إلى حسن بن عبد الرحمن الحفظي، حول بعض القضايا الفقهية، يوجد لدى الباحث.

١٧ - الأهلون في فيفاء. عهد خطي بين أهل امكوس، وآل بلحة، وأسلم، يوجد لدى الباحث.

١٨ - الأهلون في آل معافا بتنومة بني شهر. عهد خطي، يتضمن قواعد قبلية وضوابط اجتماعية، يوجد لدى عايض بن عبد الرحمن بن عاطف بقرية العرق.

١٩ - بلفقيه، عبد الرحمن بن عبد الله أحمد. « رشفات أهل الكمال ونسمات قرب أهل الوصال »، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم $\frac{٢٠٢١}{١}$، ٢٢ق.

٢٠ - البهكلي، عبد الرحمن بن الحسن بن علي. « خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد »، نسخة مخطوطة مصورة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم $\frac{٥٩٦}{١}$ م ص، ق (١ - ٩٦ تاريخ)، كتب في ١٢١٨هـ.

٢١ - البهكلي، عبد الرحمن بن الحسن. « نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف »، مكتوب بالآلة الكاتبة، يوجد في قسم المخطوطات. بجامعة الملك سعود، بدون رقم.

٢٢ - البوصيري، محمد بن سعيد. قصيدة البردة، نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث، بدون رقم، تاريخ نسخها ١١٢٥هـ.

٢٣ - التهامي الشريف [الحازمي]، محمد بن ناصر. « إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان »، نسخة مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم ٤٥٥، تاريخ النسخ ١٣٥٩هـ.

٢٤ - التويجري، عبد العزيز. رسالة خطية منه إلى الشيخ عبد الخالق بن مانع الشهري يسأله فيها عن نهجه في القضاء، توجد هذه الرسالة لدى الباحث.

٢٥ - جحاف، لطف الله. « درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور، وأعيان دولته الميامين »، توجد منه نسختان:

(أ) نسخة مخطوطة توجد بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، رقم ٨٥ تاريخ، ويوجد بهذه المكتبة أيضا ثلاث نسخ أخرى مخطوطة.

(ب) نسخة مخطوطة مصورة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، وهي التي اعتمدت عليها في هذا البحث إلى حد كبير.

٢٦ - الجداوي، أحمد بن محمد. خبر انتقال ملكية بعض الكتب المخطوطة إليه، وهو يتلقى العلم في زبيد، يوجد هذا الخبر المخطوط وكثير مثله في مقدمات بعض تلك المخطوطات الموجودة لدى الباحث.

٢٧ - الحازمي، الحسن بن خالد. رسالة خطية منه إلى الأهلين في الدواسر، توجد هذه الرسالة لدى الباحث. بدون تاريخ.

٢٨ - الحازمي، الحسن بن خالد. رسالة خطية منه إلى قبائل همدان في اليمن، توجد في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ضمن المجموع ١٨٤، ورقة ٢٣٥ - ٢٣٦.

٢٩ - ابن حجي، سعيد. «جواب من سعيد بن حجي الحنبلي النجدي إلى الشيخ محمد بن أحمد الحفظي الشافعي التهامي حول الانتقال من مذهب إلى آخر»، نسخة مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم $\frac{٨١٤}{١}$ ، ق ١٨٠.

٣٠ - الحسيني، الشريف حمود بن محمد. رسالة منه إلى طوسون باشا، توجد صورة خطية منها بدارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ١٩٦٤٠ مجموعة الوثائق التركية ٢/ ٥ - ٣، تاريخ تدوينها ١٢٢٨هـ.

٣١ - الحفظي، إبراهيم بن أحمد. وصية خطية، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٣٢ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. إجازه علمية مخطوطة من لدنه لأحد طلاب العلم عنده، توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي، أبها. بدون رقم.

٣٣ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. خطبة مسجد الوغل بآل عصمي، نسخة مخطوطة، توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي، أبها، بدون رقم.

٣٤ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. قصيدته المخطوطة في تصوير حاله وقد أسر الترك ابنه عام ١٢٩٤هـ، توجد لدى الباحث.

٣٥ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. قصيدته القصصية المخطوطة التي أنشأها على لسان حمامة، توجد لدى الباحث ضمن قصائد أخرى للشاعر نفسه.

٣٦ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. قصيدته اللامية المخطوطة التي عارض بها جده محمد أحمد الحفظي، توجد لدى الباحث.

٣٧ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. قصيدته النونية المخطوطة التي تشوق فيها إلى وطنه وهو في المنفى بتركيا، توجد منها نسختان:

(أ) نسخة لدى الباحث، بدون رقم.

(ب) نسخة لدى محمد عبد الله آل زلفة، بدون رقم.

٣٨ - الحفظي، أحمد عبد الخالق. مذكرات يومية خاصة، نسخة مخطوطة توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٣٩ - الحفظي، أحمد عبد القادر. خطبة خطية، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٤٠ - الحفظي، أحمد عبد القادر. رسالة خطية بعث بها الحفظي إلى ولده محمد، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٤١ - الحفظي، أحمد عبد القادر (جامع). «رسالة مختصرة في ترجمة جد شيخ الإسلام...»، نسخة مخطوطة توجد في المكتبة السعودية بالرياض، رقم ٦٦٦/٨٦.

٤٢ - الحفظي، أحمد عبد القادر، وإبراهيم بن أحمد وغيرهما. فهارس كتب، بيانات مخطوطة، توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي، بدون رقم.

٤٣ - الحفظي، أحمد عبد القادر. قصيدة مخطوطة له، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم ٨١٤/٩ م، ق ٢٣٦ - ٢٣٩، وهذا المجموع يضم قصائد أخرى أفاد منها الباحث.

٤٤ - الحفظي، أحمد عبد القادر. قصيدة مخطوطة له، توجد ضمن المجموع ٢٦٩ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ق ٢٣، ٢٤.

٤٥ - الحفظي، أحمد عبد القادر وولده إبراهيم وغيرهما. مجموعة قصائد مخطوطة، توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٤٦ - الحفظي، أحمد عبد القادر. وصية خطية، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم $\frac{٨١٤}{٩}$ م.

٤٧ - الحفظي، جعفر بن أحمد. خبر نسخ جعفر الحفظي لأحد الكتب، يوجد هذا الخبر المخطوط في جلد أحد المصاحف المخطوطة الموجودة لدى الباحث.

٤٨ - الحفظي، زين العابدين بن إبراهيم. رسالة خطية بعث بها زين العابدين إلى الشيخ محمد بن حسن بن عبد الرحمن الحفظي، توجد لدى الباحث، تاريخها ٢٥/ ٧/ ١٣١٨هـ.

٤٩ - الحفظي، عبد الرحمن بن محمد. «تاريخ الملك العسيري»، نسخة مخطوطة توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة برجال ألمع.

٥٠ - الحفظي، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد. «نسب الفقهاء آل عجيل»، نسخة مخطوطة توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي، أبها، تاريخ النسخ ١٣٠٩هـ.

٥١ - الحفظي، محمد بن أحمد. تفسير آية وحديث، نسخة مخطوطة توجد لدى الباحث، بدون رقم.

٥٢ - الحفظي، محمد بن أحمد، رسالة خطية بعث بها الحفظي إلى الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، توجد لدى الباحث.

٥٣ - الحفظي، محمد بن أحمد. رسالة خطية بعث بها الحفظي إلى الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة برجال ألمع.

٥٤ - الحفظي، محمد بن أحمد. «اللجام المكين والزمام المتين»، نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث، تاريخ تأليفها ١٢١٢هـ.

٥٥ - الحفظي، محمد بن أحمد. «مجموعة أشعار الحفظي»، نسخة

مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم ٢٣٣٤.

٥٦ - الحفظي، محمد بن أحمد. « نفح العود في الظل الممدود تاريخ آل سعود »، نسخة مخطوطة، توجد لدى محمد عبد الله آل زلفة، بدون رقم.

٥٧ - الحفظي، محمد بن أحمد . قصيدته المخطوطة التي بعث بها إلى أخيه إبراهيم الزمزمي، توجد لدى الباحث.

٥٨ - الحفظي، محمد بن حسن. خطبة خطية، توجد لدى الباحث.

٥٩ - ابن حميد، عبد الله بن علي. قصيدته في مدح الملك فيصل بن عبدالعزيز، توجد لدى محمد عبد الله الحميد، وقد أخرجت في كتاب « أديب من عسير »، ولكنها لم تخل من التحريف.

٦٠ - حميدة، علي بن يحيى. قصيدة خطية مدح بها حميدة عسير وأمراءها حين غشيت بلاده جيوش الحسين بن علي بن حيدر، توجد لدى الباحث.

٦١ - ابن درع، يحيى، ومحمد بن يحيى. رسالة خطية منهما إلى محمد بن أحمد الحفظي، توجد لدى الباحث.

٦٢ - الدويحي الزيلعي العقيلي، إبراهيم بن صالح بن محمد. « عقد الدر النفيس في بعض كرامات السيد أحمد بن إدريس »، نسخة مخطوطة مصورة، توجد في قسم الوثائق بدارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ٣٨٨، تاريخ نسخها ١٣١٤هـ.

٦٣ - الذروي، جراح بن شاجر. « مدائح الذروي في الشريف محمد بن أحمد بن دريب »، نسخة مخطوطة مصورة، توجد لدى أحمد بن يحيى البهكلي بأبي عريش، جازان.

٦٤ - الذكير، مقبل بن عبد العزيز. تاريخه: « حوادث عسير واليمن والحجاز ج١، والعقد الممتاز في أخبار تهامة والحجاز ج٢ » يوجد في قسم الوثائق بدارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ٥٦٩.

٦٥ - الزبيدي، محمد مرتضى. « معجم المشايخ ». نسخة مخطوطة مصورة توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود رقم ١٠٨ مدينة، ١٢ فلم.

٦٦ - ابن زيد، الشريف عريف بن الحسن بن أحمد بن سعيد. مشجرة مخطوطة، توجد في مكتبة حسن إبراهيم فقيه الخاصة بالقنفذة، تاريخ نسخها ١٢٢٠هـ.

٦٧ - الزيلعي، يحي بن علي بن زغدين. قصيدته المخطوطة في رثاء الشيخ محمد بن أحمد الحفظي، توجد لدى الباحث.

٦٨ - ابن سعود، عبد الله. رسالته المخطوطة التي بعث بها إلى الشيخ محمد بن عبد الهادي بن بكري، توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة برجال ألمع.

٦٩ - السماوي، محمد بن صالح. « الغطمطم الزخار المطهر لحدائق الأزهار من نجاسة السيل الجرار »، نسخة مخطوطة توجد في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، رقم ١٧٦ فقه.

٧٠ - السنوسي، علي بن محمد. قصيدته الدالية المخطوطة في مدح الملك عبد العزيز آل سعود، توجد لدى الباحث، تاريخ تدوينها ٣/ ٩/ ١٣٥٤هـ.

٧١ - السنوسي، علي بن محمد. قصيدته الميمية المخطوطة في مدح الملك عبد العزيز آل سعود، توجد لدى الباحث، تاريخ تدوينها ١٣/ ١٢/ ١٣٥٤هـ.

٧٢ - شاعر مجهول. قصيدتان مخطوطتان ملحونتان تصوران بعض حروب المكرمين في نجران مع مجاوريهم، توجدان في مكتبة محمد حسن غريب الخاصة بالرياض، إحداهما برقم ٤٨، والأخرى بدون رقم.

٧٣ - الشجني، محمد بن حسن. « التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار » وهو ترجمة للإمام محمد بن علي الشوكاني، نسخة مخطوطة، توجد في مكتبة القاضي محمد علي الأكوع بتعز، منها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بمصر رقم ٢٣٥.

٧٤ - شعراء آل الحفظي. « ديوان الروض المرضي من شعر آل الحفظي »، يوجد منه نسختان مخطوطتان:

(أ) نسخة مخطوطة في مكتبة عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ بالرياض.

(ب) نسخة مخطوطة في مكتبة عبد الرحمن بن إبراهيم زين العابدين الحفظي بأبها.

٧٥ - شعراء المخلاف السليماني. « مجموعة قصائد بأقلام مختلفة منها خط عبد الوهاب الإدريسي، وخط القاضي علي بن إبراهيم بن عطيف النعمي وغيرهما »، نسخة مخطوطة، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان رقم ٢٠، تاريخ النسخ ١٣٣٥هـ.

٧٦ - الشوكاني، محمد بن علي. « أسلاك الجوهر في نظم مجدد القرن الثالث عشر: شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني »، نسخة مخطوطة، توجد في مكتبة القاضي أحمد إبراهيم العيزري الخاصة بذمار، منها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بمصر، رقم ٢٢٩، تاريخ النسخ ١٢٩٣هـ.

٧٧ - الشوكاني، محمد بن علي. « جواب سؤالات للشوكاني وردت إليه

من عسير »، مخطوطة، توجد ضمن المجموع ١٨٦ فقه، في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير. بدون تاريخ

٧٨ - الشوكاني، محمد بن علي. قصيدة مخطوطة للشوكاني في رثاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، توجد تحت رقم ١٦٣٨/١٠ م في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، تاريخ نسخها ١٣٣٦هـ.

٧٩ - آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن، رسالة منه إلى أحمد بن محمد [بن حسن] الحفظي حول طلب الشيخ عبد اللطيف بعض مؤلفات آل الحفظي السابقين، توجد هذه الرسالة الخطية لدى الباحث، تاريخ تدوينها ١٣٣٤هـ.

٨٠ - ابن الشيخ، محمد بن عبد العزيز، رسالة منه إلى عبد العزيز بن محمد الغامدي حول القضاء الشرعي بغامد، توجد هذه الرسالة الخطية لدى عبد الوهاب بن عبد العزيز ببلجرشي.

٨١ - آل الشيخ، محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن، رسالة منه إلى مانع بن منصور شيخ بللحمر، نسخة خطية مصورة، توجد لدى عمر ابن غرامة العمري بالرياض، تاريخ تدوينها ١٣٣٩هـ.

٨٢ - الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل. « إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال محمد بن عبد الوهاب »، أو « النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي »، نسختان مخطوطتان توجدان في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، إحداهما تحت رقم ٦٠ حديث، والأخرى تحت رقم ١٠٧ مجموع.

٨٣ - الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل. « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد »، نسخة مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود رقم ١٦٣٨/٨ م، تاريخ النسخ ١٣٣١هـ.

٨٤ - الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل. ديوانه، نسخة مخطوطة، توجد لدى الباحث، تاريخ النسخ ١٣٥١هـ.

٨٥ - الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل. «المسائل المرضية في اتفاق السنية والزيدية»، نسخة مخطوطة توجد لدى الباحث، تاريخ النسخ ١٣٢٣هـ.

٨٦ - صوفان، علي بن عبد الله. قصيدته الرائية في رثاء الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، توجد لدى الشاعر نفسه في نجران.

٨٧ - صوفان، علي بن عبد الله. قصيدته العينية التي وجهها للشيخ عبد العزيز بن باز، توجد لدى الشاعر نفسه في نجران.

٨٨ - صوفان، علي بن عبد الله. قصيدته الميمية في بيان موقفه، توجد لدى الشاعر نفسه في نجران.

٨٩ - الضمدي، أحمد بن عبد الله. رسالته الخطية التي بعث بها إلى الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، توجد في مكتبة علي أبي زيد الخاصة بضمد.

٩٠ - ابن طه، عبد الوهاب، وعبد الله طه. خبر دراستهما في بللحمر على يد الشيخ أحمد بن مسبل عام ١٢٨٩هـ، يوجد هذا الخبر المخطوط في نهاية كتاب منهاج الطالبين للنووي الموجود لدى الباحث.

٩١ - عاكش، الحسن بن أحمد. «حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر»، نسخة مخطوطة، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان، رقم ٣٨.

٩٢ - عاكش، الحسن بن أحمد. «الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليماني»، توجد منه ثلاث نسخ مخطوطة:

(أ) نسخة مصورة لدى حجاب يحيى الحازمي بضمد، وهي التي

اعتمدت عليها في الغالب.

(ب) نسخة أصلية في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان، تحت رقم ٤٢ .

(ج) نسخة أصلية ناقصة لدى الباحث.

٩٣ - عاكش، الحسن بن أحمد. «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، توجد منه نسختان مخطوطتان:

(أ) نسخة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ١٣٣٤ مخطوط أصلي، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ. وهي التي اعتمدت عليها في الغالب.

(ب) نسخة مكتبة المؤرخ محمد محمد زبارة الخاصة بصنعاء.

٩٤ - عاكش، الحسن بن أحمد. «مجموعة من أشعار عالم المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر: الحسن بن أحمد عاكش (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ)»، نسخة مخطوطة توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان، رقم ٢٨ .

٩٥ - ابن عايض، علي بن محمد. قصيدته المخطوطة في معارضة علي بن عبد الرحمن النعمي، توجد لدى الباحث.

٩٦ - ابن عايض، محمد. رسالته الخطية التي بعث بها إلى عبد الخالق بن إبراهيم الزمزمي، توجد في مكتبة أحمد بن الحسن بن عبد الخالق الحفظي بعثالف، تاريخ تدوينها ١٢٨٤هـ.

٩٧ - ابن عايض، محمد. رسالته الخطية التي بعث بها إلى الأهلين في بلاد غامد وزهران، توجد في مكتبة إبراهيم الحسيل الخاصة بغامد.

٩٨ - ابن عايض، محمد. رسالته الخطية التي بعث بها إلى غرم الله بن علي الغامدي، توجد لدى محمد سعد البركي ببلجرشي.

٩٩ - ابن عبد الله، أحمد بن صالح. رسالته الخطية التي بعث بها إلى الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، توجد في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ٢٣٥، تاريخها ٢٥/ ١٠/ ١٣٣٨هـ.

١٠٠- ابن عبد الوهاب، عبد الرحمن بن حسن. ثبت بمشايخ الشيخ عبد الرحمن الذين تلقى العلم على أيديهم، نسخة مصورة، توجد لدى الباحث، تاريخ نسخها ١٣٤٥هـ.

١٠١- ابن عبد الوهاب، عبد الله بن محمد. رسالته إلى أهل مكة، نسخة مخطوطة توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم ٢٥٩٨.

١٠٢- العجيلي، عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي بن بكري. «تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد»، توجد منه نسختان.

(أ) نسخة مخطوطة توجد في المكتبة السعودية بالرياض، تحت رقم $\frac{١٣٦}{٨٦}$.

(ب) نسخة مخطوطة توجد في مكتبة عمر غرامة العمري الخاصة بالرياض.

١٠٣- العجيلي، محمد بن هادي بن بكري. «الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود» مخطوط، توجد منه نسخة مصورة لدى عمر غرامة العمري.

١٠٤- العمراني، محمد بن علي. «تقريظ عقد الجمان المتضمن لمدح زينة العصر مولانا مليك الزمان حامي بيضة الإسلام الأسد الضرغام الحسين بن علي بن حيدر الحسني»، نسخة مخطوطة، توجد في المكتبة العقيلية الخاصة بجازان، رقم ٢٧.

١٠٥- العمودي، صالح بن عبد الله. «إرشاد الأمة إلى توحيد مذاهب

الأئمة»، نسخة مخطوطة، توجد في المكتبة السعودية بالرياض، رقم $\frac{٢٨٧}{٨٦}$.

١٠٦- العمودي، عبد الله بن علي. «تحفة القارئ والسامع في اختصار تاريخ اللامع» نسخة مخطوطة، توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٠٧- العمودي، عبد الله بن علي. تقريظ مخطوط للعمودي على رسالة ألفها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، يوجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٠٨- العمودي، عبد الله بن علي. «الجواب الوافي من الاعتراض من قاضي أبي عريش عبد الله بن عبد العزيز الجافي»، نسخة مخطوطة، توجد لدى إبراهيم بن عبد العزيز العمودي بأبي عريش، تاريخ نسخها ١٣٦٨هـ.

١٠٩- العمودي، عبد الله بن علي. حديث مخطوط للعمودي حول جبل القهر، يوجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٠- العمودي، عبد الله بن علي. حديث مخطوط للعمودي عن حال تهامة ونشاط التعليم فيها بُعَيْد انضمامها لبقية أجزاء البلاد السعودية، يوجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي.

١١١- العمودي، عبد الله بن علي. حديث مخطوط للعمودي عن رجال من الحفظيين برجال ألمع وموقفهم من الدعوة، يوجد ضمن أوراق متفرقة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٢- العمودي، عبد الله بن علي. «خلاصة الكلام فيما أشكل واستطار بين الأنام»، نسخة مخطوطة، توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٣- العمودي، عبد الله بن علي. «رسالة الإيراد على بعض مسائل في نصيحة المسلمين في الإرشاد، ألفها للتنبيه على رسالة القاضي عبد الله ابن سليمان بن حميد الموسومة بنصيحة المسلمين عن بدع المبتدعين وعوائد الضالين»، نسخة مخطوطة توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٤- العمودي، عبد الله بن علي. الرسالة المخطوطة التي بعث بها أحد علماء تهامة إلى الملك عبد العزيز آل سعود، توجد ضمن أوراق متفرقة للعمودي، وهي لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٥- العمودي، عبد الله بن علي. «سيرة السيد الإمام الحسن بن علي الإدريسي»، نسخة مخطوطة، توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٦- العمودي، عبد الله بن علي. قصيدته المخطوطة التي وجهها إلى الشيخ حافظ الحكمي، توجد ضمن قصائد متفرقة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٧- العمودي، عبد الله بن علي، قصيدته المخطوطة في مدح الملك عبد العزيز آل سعود، توجد ضمن قصائد متفرقة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٨- العمودي، عبد الله بن علي. قصيدته الدالية المخطوطة التي عارض بها محمد بن إسماعيل الأمير في قصيدته الدالية المشهورة، توجد ضمن قصائد متفرقة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١١٩- العمودي، عبد الله بن علي. قصيدته المخطوطة في المناجاة الإلهية، توجد ضمن قصائد أخرى لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٠- العمودي، عبد الله بن علي. قصيدته المخطوطة التي أنشأها في محفل علمي بتهامة، توجد ضمن قصائد أخرى لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢١- العمودي، عبد الله بن علي. « لطائف الإرشاد والتثقيفات على ما ألقاه السيد من التعليقات »، نسخة مخطوطة توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٢- العمودي، عبد الله بن علي. مجموعة أوراق مخطوطة حول كرامات محمد بن علي الإدريسي، توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٣- العمودي، عبد الله بن علي. مذكراته العلمية مع عبد الله بن عبد العزيز ابن عقيل النجدي، توجد ضمن أوراق متفرقة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٤- العمودي، عبد الله بن علي. « مذكراته الأدبية مع القاضي عبد الله بن عودة النجدي »، توجد ضمن مجموع مخطوط لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٥- العمودي، عبد الله بن علي. « نبذة في معنى الترجمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، جعلها خلاصة الكلام الذي جمعه في التطبيق ما بين كلام الأشعرية والحنابلة »، نسخة مخطوطة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٦- العمودي، عبد الله بن علي. « النبذة الوجيزة في المسائل الفريدة » (ألفها ليطلع عليها قضاة نجد الذين وفدوا إلى تهامة)، نسخة مخطوطة توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٧- العمودي، عبد الله بن علي. هنالك قصائد شعرية مخطوطة في

مجاميع مختلفة أفاد منها الباحث، توجد لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٨- العمودي، عبد الله بن علي. وصية خطية للعمودي، توجد ضمن أحد مجاميعه المخطوطة لدى إبراهيم بن عبد الله العمودي بأبي عريش.

١٢٩- عهود قبلية ووثائق شرعية متفرقة أفاد منها كاتب هذا البحث، توجد - على سبيل المثال - لدى: علي بن محمد حويس ببلقرن، وفيصل بن زنان بزهران، وعمر طاهر زيلع بجازان، وآل عاكش بضمد وغيرهم، ولدى الباحث بعض صور هذه الوثائق.

١٣٠- عون الرفيق. رسالة خطية منه إلى مشايخ زهران حول حروبهم مع الترك، توجد لدى الباحث، تاريخ تحريرها ١٣٢١هـ.

١٣١- العويلي، محمد بن أحمد. رسالة خطية بعث بها العويلي إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، توجد هذه الرسالة لدى الباحث.

١٣٢- الغامدي، حسن بن عبد الرحمن، رسالة خطية منه إلى ولده علي بن حسن، توجد لدى صالح بن محمد بن صالح، قرية الهملة بغامد.

١٣٣- الغامدي، عبد العزيز بن محمد. قصيدته الهمزية المخطوطة، توجد لدى عبد الوهاب بن عبد العزيز ببلجرشي.

١٣٤- الغامدي، عبد العزيز بن محمد. قصيدته البائية المخطوطة، توجد في مكتبة محمد سعد البركي الخاصة ببلجرشي.

١٣٥- القرعاوي، عبد الله بن محمد. إجازة علمية منه لأحمد بن يحيى النجمي، توجد نسختها الخطية الأصلية لدى صاحبها بسامطة، تاريخ تحريرها ١٣٦٤هـ.

١٣٦- كاتب مجهول. حولية تاريخية مخطوطة، توجد في مكتبة محمد بن سعد البركي الخاصة ببلجرشي.

١٣٧- كاتب مجهول. «صورة كتاب مصدرة من اليمن إلى الباشا محمد علي»، يوجد ضمن المجموع ١٢٩ في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير.

١٣٨- الكبسي، بدر الدين محمد بن إسماعيل. «الدرر السنية في أخبار الممالك اليمنية»، نسختان مخطوطتان توجدان في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، إحداهما تحت الرقم ٣٨٤/ ١ فيلم، تاريخ نسختها ١٣٠٠هـ، والثانية تحت الرقم ٢٢٤٢ مخطوط أصلي، تاريخ نسخها ١٣٦٧هـ.

١٣٩- المتحمي، مداوي بن محمد. قصيدته العامية المخطوطة في وصف حاله وهو في المنفى بمصر، توجد في مكتبة عبد الرحمن بن عبد الله الزميلي الخاصة بشوحط، أبها.

١٤٠- مجاميع ومؤلفات مختلفة أفاد منها كاتب هذا البحث، أو أشار إليها، توجد في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير تحت الأرقام: ١٦ علم الكلام، ٢١ علم الكلام، ٢٦ مجموع، ٤١ فقه، ٤٤ تاريخ، ٦٥ فقه، ١٢٩ مجموع، ١٥٩ علم الكلام، ١٩٣ مجموع.

١٤١- ابن مجثل، علي. عهد مخطوط منه لأسرتي آل أبي طالب وآل مسعود، يوجد في مكتبة محمد حسن غريب الخاصة بالرياض، رقم ٣٦.

١٤٢- مجموع «رسائل مخطوطة لبعض علماء الدعوة إلى علماء اليمن». توجد ضمن المجموع ٥٦٧/ ٨٦ المكتبة السعودية بالرياض.

١٤٣- مديرية المعارف العامة، خطاب من مدير المعارف العام إلى وزير المالية برقم ١٩٨٨ في ١٣/ ٩/ ١٣٥٥هـ، يوجد في مكتبة الوثائق التربوية

بوزارة المعارف، الرياض.
١٤٤- ابن مرعي، عايض. رسالته الخطية إلى الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش، توجد لدى الباحث.
١٤٥- ابن مرعي، عايض. رسالته الخطية إلى الشريف الحسن الحسني، توجد في مكتبة آل عاكش الخاصة بضمد.
١٤٦- ابن مرعي، عايض. رسالته الخطية إلى الأهلين في زهران حول تعيين جمعان بن رقوش أميرا عليهم، توجد هذه الرسالة لدى الباحث.
١٤٧- مشايخ بللحمر. خبر محافظة هؤلاء المشايخ على أحكام الشريعة الإسلامية، يوجد هذا الخبر المخطوط في مقدمة كتاب بهجة المحافل للعامري، وهو مخطوط لدى الباحث.
١٤٨- المكرمي، الحسن بن هبة الله. العهد المخطوط الذي جرى بين المكرميين في نجران، والإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٥هـ، وثيقة مصورة توجد في مكتبة محمد حسن غريب الخاصة، رقم ٤٨.
١٤٩- المنصوري، عبد الله بن حسن بن عسكر. إجازة له من أحد شيوخه في اليمن، مخطوطة توجد في نهاية منهاج الطالبين المخطوط الذي يوجد لدى أحفاد هذا الدارس بالعلاية في بلقرن.
١٥٠- مؤلف مجهول. «أمراء مكة والحجاز». نسخة مخطوطة توجد في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رقم ١٤٣.
١٥١- مؤلف مجهول. رسالة مختصرة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورحلاته العلمية، نسخة مخطوطة توجد في مكتبة علي أبي زيد الحازمي الخاصة بضمد.
١٥٢- مؤلف مجهول. «كتاب في تاريخ اليمن»، نسخة مخطوطة، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم ٢٢٤٣.

١٥٣- مؤلف مجهول. مذكرة تاريخية مخطوطة، توجد في مكتبة آل رقوش الخاصة في قرية بني سار بزهران.

١٥٤- مؤلف مجهول. مشجرة في نسب آل بكري سكان رجال ألمع، مخطوطة توجد لدى الباحث.

١٥٥- ابن ناصر، عبد الرحمن. «عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار نجد»، نسخة مخطوطة مصورة، توجد في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ٣.

١٥٦- النعمي، أحمد بن أحمد. «تاريخ النعمي»، نسخة مخطوطة مصورة توجد لدى محمد عبد الله آل زلفة.

١٥٧- النعمي، حسين بن مهدي. «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فسد باب الحكمة وفصل الخطاب، وعطل عن الانتفاع في هذه الأزمان بعلم السنة والكتاب إلى غير ذلك مما يأتيك فيه - إن شاء الله - أحسن تحرير وجواب»، نسخة مخطوطة، توجد في المكتبة السعودية بالرياض، رقم ٤٩٢/ ٨٦.

١٥٨- النعمي، عبد الله محمد. قصيدته المخطوطة في وصف معركة السعدية، توجد في مكتبة هاشم سعيد النعمي الخاصة بأبها.

١٥٩- النعمي، علي بن إبراهيم، والحسن بن أحمد عاكش. قصيدتان مخطوطتان متبادلتان بين هذين الشاعرين حول مذهبهما الديني، توجدان لدى الباحث.

١٦٠- ابن وابط، أحمد بن علي. مقدمة قصيدته المخطوطة التي عارض بها أحد شعراء عسير في عهد محمد بن عايض، توجد لدى الباحث.

١٦١- اليمني، أبو محمد. الفرق، نسخة مخطوطة توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، رقم ٧٠٤ مخطوط أصلي.

ثانيا: المطبوعات

١ - القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

٢ - الآلوسي، محمود شكري. الضرائر، شرح محمد بهجت الأثري البغدادي، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.

٣ - إبراهيم، سيد محمد. «تاريخ المملكة العربية السعودية»، دار وهدان للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

٤ - أحمد، قاسم غالب وآخرون. ابن الأمير وعصره، «صورة من كفاح شعب اليمن»، المراكز الإسلامية الثقافية باليمن.

٥ - الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله. «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ج١، الملحقات ٣٨١، ٣٨٢، ط ٣، دارالأندلس، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٦ - الأشول، عبده قايد. «الزهور الشذية في الأشعار اليمنية» بدون ذكر لمعلومات النشر.

٧ - الأكوع، إسماعيل بن علي. «المدارس الإسلامية في اليمن»، منشورات جامعة صنعاء (١)، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨ - الألباني، محمد ناصر الدين. «صحيح الجامع الصغير وزياداته»، ط٢، منشورات المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٩ - الألمعي، زاهر بن عواض. «الألمعيات»، ط ٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠ - الألمعي، يحيى بن إبراهيم. «رحلات في عسير»، مط دار الأصفهاني،

جدة، بدون تاريخ.
١١ - أمين، أحمد. « زعماء الإصلاح في العصر الحديث »، ط ٣، مط المعرفة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
١٢ - أمين، بكري شيخ. « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية »، ط١، مط دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
١٣ - الأنصاري، عبد القدوس. « الملك عبد العزيز في مرآة الشعر »، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
١٤ - الأهدل، عبد الرحمن بن سليمان. « النفس اليماني »، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
١٥ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. « صحيح البخاري »، المكتبة الإسلامية، إستانبول، توزيع مكتبة العلم، جدة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
١٦ - ابن برد، بشار. « ديوانه » ج ١، ٣، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
١٧ - البركاتي، شرف عبد المحسن. « الرحلة اليمانية »، ط ٢، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٨٦٤م.
١٨ - البسام، عبد الله بن عبد الرحمن. « علماء نجد خلال ستة قرون »، ط١، مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، توزيع مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
١٩ - ابن بشر، عثمان. « عنوان المجد في تاريخ نجد »، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ.
٢٠ - البكري، صلاح. « تاريخ حضرموت السياسي »، ج٢، ط١، مط السلفية، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٢١ - البكري، صلاح. « في جنوب الجزيرة العربية »، ط ١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
٢٢ - البهكلي، الحسن بن علي. « المقامة الضمدية »، تحقيق عبد الله أبو داهش، ط ١، مط الشريف، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٣ - البهكلي، عبد الرحمن بن أحمد. « نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود »، تحقيق محمد أحمد العقيلي، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٢)، مط دار الهلال للأوفست، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٤ - البوصيري، محمد بن سعيد. « ديوانه »، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.
٢٥ - البيطار، عبد الرزاق. « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر »، ج١، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٢٦ - ابن تيمية، أحمد. « مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية »، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي، ط١، مط دار العربية، بيروت، لبنان.
٢٧ - الترمذي، أبو عيسى محمد. « صحيح الترمذي »، ط١، مط المصرية بالأزهر، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.
٢٨ - ابن ثابت، حسان. « ديوانه »، تحقيق سيد حنفي حسين، المكتبة العربية، مط الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢٩ - الجزري، ابن الأثير. « جامع الأصول في أحاديث الرسول »، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مط الملاح، لبنان ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٣٠ - الجعدي، عمري بن علي بن سمرة. « طبقات فقهاء اليمن »، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣١ - جمعة، رابح لطفي. « حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز »، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، مط دار الهلال للأوفست، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٣٢ - جمعة، محمد كمال. « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية »، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، مط نجد التجارية، الرياض.
٣٣ - الجمل، شوقي عطا الله، (جامع). « الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر » (١٨٦٣ - ١٩٧٩م)، مط لجنة البيان، مصر، بدون تاريخ.
٣٤ - الجندي، عبد الحليم. « الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي »، مط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
٣٥ - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
٣٦ - ابن الجوزي، أبوالفرج عبد الرحمن بن علي. « الموضوعات »، ج٣، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، مط المجد، مصر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٣٧ - جوهر، حسن محمد، ومحمد السيد أيوب. « اليمن »، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
٣٨ - الحامد، عبد الله. « الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين » (١١٥٠ - ١٣٥٠هـ)، ط١، مط الإشعاع، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
٣٩ - الحامد عبد الله. « الشعر في ظلال حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب »، مطبوعات نادي الرياض الأدبي، مط الجزيرة، الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

٤٠ - الحبشي، عبد الله محمد. « الصوفية والفقهاء في اليمن »، مط دار نشر الثقافة، مصر، توزيع مكتبة الجيل الجديدة، صنعاء ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤١ - الحبشي، عبد الله محمد. « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن »، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء دار العودة، بيروت، بدون تاريخ.

٤٢ - الحجري، محمد بن أحمد. « مساجد صنعاء عامرها وموفيها »، ط٢، مط دار التراث العربي، بيروت، توزيع مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٤٣ - حسين، طه. « ألوان »، ط٤، مط دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٤٤ - ابن حسين، محمد بن سعد. « الأدب الحديث في نجد »، ط١، مط الفجالة الجديدة، مصر، بدون ترقيم.

٤٥ - الحفناوي، مصطفى. « ابن سعود: سياسته، حروبه، مطامعه »، عن كتابي « وليمز وآرمسترنج » بتصرف، ط١، مط المصرية، القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٤٦ - الحفظي، أحمد بن عبد القادر. « النفحة القدسية والتحفة الأنسية »، ط١، مط المنار، مصر، ١٤٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

٤٧ - الحفظي، عبد الرحمن إبراهيم. « شعاع الراحلين »، ط١، مط دار المعارف، مصر، منشورات نادي أبها الأدبي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٤٨ - الحفظي، محمد إبراهيم. « نفحات من عسير »، مط عسير، أبها، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

٤٩ - الحفظي، محمد بن أحمد. « ذوق الطلاب في علم الإعراب »، تحقيق

عبد الله أبو داهش، ط١، مط الشريف، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
٥٠ - الحكمي، حافظ. « الجوهرة الفريدة في نظم العقيدة »، مط البلاد السعودية، مكة المكرمة ١٣٧٣هـ.
٥١ - حمزة، فؤاد. « في بلاد عسير »، مط دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
٥٢ - ابن حميد، عبد الله بن علي. أديب من عسير، « نماذج من شعره ونثره »، جمعه: محمد عبد الله الحميد، ط١، مط عسير، أبها، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٥٣ - ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. « المسند »، ط١، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٥٤ - ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. « إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم »، مط دار الكتب المصرية، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
٥٥ - خفاجي، محمد عبد المنعم. « البناء الفني للقصيدة العربية »، ط١، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، بدون تاريخ.
٥٦ - ابن خميس، عبد الله بن محمد. « الدرعية العاصمة الأولى »، ط١، مط الفرزدق، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٥٧ - الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. « سنن الدارمي » ، ج١، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية.
٥٨ - أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين. « الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية » (١٢٠٠ - ١٣٥١هـ)، منشورات مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، بدون تاريخ.
٥٩ - أبو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين. « ملامح الحياة الفكرية

والأدبيــة في عــسيــر » (١٢١٥ - ١٣٥١هـ)، ط١، مط الشــريف، الرياض، بدون تاريخ.

٦٠ - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. « مختار الصحاح »، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٦١ - رافق، عبد الكريم. « العرب والعثمانيون » (١٥١٦ - ١٩١٦م)، ط١، مط ألف باء، الأديب، مكتبة أطلس، دمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦٢ - رضا، محمد رشيد. « الوهابيون والحجاز »، ط١، مط المنار، مصر، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

٦٣ - رفيع، محمد عمر. « في ربوع عسير »، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٦٤ - الركابي، جودت. « الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار »، ط١، مط زيد بن ثابت، دمشق ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦٥ - ابن رواحة، عبد الله. « ديوانه »، تحقيق ودراسة حسن محمد باجودة، مط السنة المحمدية، مصر، نشر مكتبة دار التراث، بدون تاريخ.

٦٦ - الرويشد، عبد الله بن سعد. « قادة الفكر الإسلامي عبر القرون »، منشورات مكتبة عيسى البابي الحلبي، لم ترد معلومات للنشر.

٦٧ - الريحاني، أمين. « ملوك العرب »، ج١، ط٤، دار الريحاني للطباعة، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٦٨ - ابن زبارة، محمد محمد. « أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة »، مط السلفية، القاهرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٦٩ - ابن زبارة، محمد محمد. « الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ »، مط السلفية، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٠ - ابن زبارة، محمد محمد. « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر »، ط١، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

٧١ - ابن زبارة، محمد محمد. « نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف » نبلاء اليمن بالقرن الثاني عشر للهجرة، مط السلفية، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٧٢ - ابن زبارة، محمد محمد. « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر »، مط السلفية، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

٧٣ - الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. « مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة »، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط١ من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧٤ - الزركلي، خير الدين. « الأعلام »، ج٧، ط٢، مط كوستانسوماس، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٧٥ - ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله. « ديوان ابن زيدون ورسائله »، تحقيق علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٧٦ - سالم، سيد مصطفى. « مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن (١٩٣٨ - ١٩٤١م) »، مط الجبلاوي، مصر، مركز الدراسات اليمنية (٤)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٧٧ - السجستاني، أبو داود سليمان. « سنن أبي داود »، ج٤، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مط السعادة، مصر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٧٨ - ابن سحمان، سليمان. « الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد »، ط٢، مط الرياض، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٧٩ - ابن سحمان، سليمان. « تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين »، ط٢، مط الرياض، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.
٨٠ - ابن سحمان، سليمان. « تتمة تاريخ نجد للآلوسي »، ط٢، مط السلفية، مصر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.
٨١ - ابن سحمان، سليمان. « منهاج أهل الحق والأتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع »، مط المنار، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.
٨٢ - ابن سحمان، سليمان (جامع). « الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية »، مط النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م.
٨٣ - سعيد، أمين. « تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبد الرحمن الفيصل (١١٥٨ - ١٣٠٧هـ) »، مط كرم، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٨٤ - السقاف، عبد الله بن محمد بن حامد. « تاريخ الشعراء الحضرميين »، ج٣، مط الرشديات، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
٨٥ - السلمان، محمد بن عبد الله بن سليمان. « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ط١، مط السلفية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٨٦ - السلوك، علي بن صالح. « بلاد غامد وزهران »، ط١، مط المتنبي، بيروت، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٨٧ - سليم، محمود رزق. « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي » مج ٥، مط النموذجية، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.
٨٨ - سليم، محمود رزق. « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي »، مج ٦، مط دار الكتاب العربي، مصر، مكتبة الآداب

بالجماميز، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
٨٩ - السنوسي، محمد علي، ومحمد أحمد العقيلي. «شعراء الجنوب» (مجموع)، مط الكمال، عدن، بدون تاريخ.
٩٠ - الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد. «الاعتصام»، ج٢، مط مصطفى محمد، مصر، بدون تاريخ.
٩١ - شاكر، محمود. «عسير»، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، بدون تاريخ.
٩٢ - الشامي، أحمد محمد. «قصة الأدب في اليمن»، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٩٣ - الشايب، أحمد. «الأسلوب»، ط٧، مط السعادة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
٩٤ - شرف الدين، أحمد. «تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن: الزيدية، الشافعية، الإسماعيلية»، ط١، مط الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٩٥ - شرف الدين، أحمد. «تأملات في تراثنا الإسلامي»، ط١، مط الفرزدق، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٩٦ - الشريقي، إبراهيم. «الصراع الدامي في اليمن»، ط١، لبنان ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٩٧ - شهاب، الحسن بن صالح. «أضواء على تاريخ اليمن البحري»، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
٩٨ - الشوكاني، محمد بن علي. «أدب الطلب»، تحقيق ونشر مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
٩٩ - الشوكاني، محمد بن علي. «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ. وهذه

النسخة مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

١٠٠- الشوكاني، محمد بن علي. « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد »، دار الكتب العلمية، بيروت، مصور عن ط١، سنة ١٣٥٠هـ.

١٠١- الشوكاني، محمد بن علي. « ديوان الشوكاني »، تحقيق حسين عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٢- صفوت، أحمد. « جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة »، ط٢، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

١٠٣- الصنعاني الأمير، محمد بن إسماعيل. « القصيدة الدالية »، تحقيق زهير الشاويش، مط المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٤- الضبيب، أحمد بن محمد. « على مرافئ التراث »، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٥- ضيف، شوقي. « عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية، العراق، إيران »، مط دار المعارف، مصر.

١٠٦- ضيف، شوقي. « الفن ومذاهبه في النثر العربي »، ط٧، دارالمعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠٧- ابن الطثرية، يزيد. « شعره »، جمع وتحقيق ناصر بن سعد الرشيد، ط١، دار مكة للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٨- عبد الجبار، عبد الله. « التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية »، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٠٩- عبد الجليل، محمد بدري. « براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور »، ط١، مط الجيزة، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

١١٠- عبد الرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن. « الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ)، ج١، ط ٣، مط الجبلاوي، مصر ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

١١١- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن. « هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن» ، ط ٢، دار العودة ، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٢- آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد. « تذكرة أولي النهى والعرفان »، ج٣، ط ١ ، مط مؤسسة النور، الرياض، بدون تاريخ.

١١٣- ابن عبد الوهاب، محمد. « الخطب المنبرية »، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، بدون تاريخ.

١١٤- ابن عبد الوهاب، محمد. « الرسائل الشخصية »، مط الرياض، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب. بدون تاريخ.

١١٥- ابن عبد الوهاب، محمد. « كتاب التوحيد »، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر، توزيع مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.

١١٦- العثيمين، عبد الله الصالح. « الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره ». مط المتوسط أو مط نهضة مصر، توزيع دار العلوم، الرياض، بدون تاريخ.

١١٧- ابن عثيمين، محمد. « ديوانه »، تحقيق سعد بن عبد العزيز بن رويشد، ط٢، مط دار الهلال للأوفست، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٨- العرشي، حسين بن أحمد. « بلوغ المرام في شرح مسك الختام »، تحقيق

أنستاس ماري الكرملي، مط البرتيري، القاهرة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
١١٩- العقيلي، محمد بن أحمد. «الأدب الشعبي في الجنوب»، ج ١، ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٢٠- العقيلي، محمد بن أحمد. «الأدب الشعبي في الجنوب»، ج٢، مطبوعات نادي جازان الأدبي، مط الأهلية للأوفست، الرياض، بدون تاريخ.
١٢١- العقيلي، محمد بن أحمد. «الأنغام المضيئة»، ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
١٢٢- العقيلي، محمد بن أحمد. «تاريخ المخلاف السليماني»، ط ٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٢٣- العقيلي، محمد بن أحمد. «محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية»، مطبوعات النادي الأدبي بجازان، مط دار البلاد، جدة، بدون تاريخ.
١٢٤- علماء نجد. «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، ط١، مط المنار، مصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
١٢٥- آل ابن علي آل (أبو) طامي، أحمد بن حجر بن محمد. «الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية، ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه»، ط ٢، مط الفلاح، الرياض، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
١٢٦- أبو علية، عبد الفتاح حسن. «الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز» (٦)، مط الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٢٧- العمير علي محمد. « سنابل الشعر، دراسات ومطالعات »، ط ١، مط دار البلاد، دار العمير للثقافة والنشر، جدة.

١٢٨- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح. « عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر والرابع عشر »، مكتبة النهضة، الرياض، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

١٢٩- الغامدي، عبد الله السعدي العبدلي. « الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات، والخرافات الوثنية المنتشرة في قضاء الظفير »، مط السنة المحمدية، مصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

١٣٠- الغامدي، عبد الله بن قيس. « الشعر في عسير »، ط٢، مكتبة دار الفتح، دمشق، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٣١- الغزالي، أبو حامد. « فضائح الباطنية »، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، بدون تاريخ.

١٣٢- الغماري، محمد حسن بن أحمد. « الإمام الشوكاني مفسراً »، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع الطباعة، جدة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٣٣- ابن غنّام، حسين. « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام »، ط١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، توزيع المكتبة الأهلية بالرياض، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

١٣٤- الغنّام، سليمان بن محمد. « قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ - ١٨٤٠م) في الجزيرة العربية، والسودان واليونان وسوريا »، ط١، مط دار البلاد، جدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٣٥- الفاخري، محمد بن عمر. « الأخبارالنجدية »، تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل، مط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون تاريخ.

١٣٦- أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد. «ديوانه»، رواية أبي عبد الله الحسين ابن خالويه، دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
١٣٧- أبو الفضل، محمد، وعلي محمد البجاوي. «أيام العرب في الإسلام»، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
١٣٨- الفقي، محمد حامد. «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها»، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ليس في الكتاب معلومات للنشر.
١٣٩- الفقي، محمد كامل. «الأدب في العصر المملوكي»، مط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
١٤٠- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. «القاموس المحيط»، توزيع مكتبة النوري، دمشق، لم ترد معلومات للنشر.
١٤١- ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، (جامع). «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، ط ٢، مط المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، إلى جانب ط ١، مط أم القرى، مكة المكرمة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.
١٤٢- القاضي، محمد بن عثمان. «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين»، ط١ مط الحلبي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٤٣- القنّوجي، صديق بن حسن. «أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم»، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
١٤٤- القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي. «ضرائر الشعر»، تحقيق محمد زغلول سلام، ومحمد مصطفى هدارة، منشورات منشأة المعارف بالإسكندرية، دار بور سعيد للطباعة، بدون تاريخ.

١٤٥- كحالة، عمر رضا. « معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية »، مط الترقي، دمشق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
١٤٦- لقمان، حمزة علي إبراهيم. « تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية »، دار مصر للطباعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
١٤٧- ماضي، محمد عبد الله. « النهضات الحديثة في جزيرة العرب (١) المملكة العربية السعودية »، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
١٤٨- المتنبي، أبو الطيب. « ديوانه »، شرح أبي البقاء العبكري، ج٣، ط٢، مط مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
١٤٩- ابن مسفر، عبد الله بن علي. « أخبار عسير »، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
١٥٠- ابن مسفر، عبد الله بن علي. « السراج المنير في سيرة أمراء عسير »، ط ١، مط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
١٥١- مسلم، أبو الحسن. « صحيح مسلم »، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
١٥٢- ابن مشرَّف، أحمد بن علي. « ديوانه »، مط السنة المحمدية، القاهرة، توزيع مكتبة الفلاح، الرياض، بدون تاريخ.
١٥٣- مصطفى، أحمد عبد الرحيم. « حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث »، ط ٢، مط دار الطليعة، مكتبة الفلاح، الكويت.
١٥٤- المقدسي، أنيس. « تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي »، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
١٥٥- ابن منظور، جمال الدين محمد. « لسان العرب »، ج ١٦، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مط كوستاتسوماس، مصر، بدون تاريخ.

١٥٦- مؤلف مجهول. « حوليات يمانية » (١٢٢٤ - ١٣١٦هـ)، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية.
١٥٧- النعمي، حسين بن مهدي. « معارج الألباب في مناهج الحق والصواب »، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ١، مط السنة المحمدية، مصر، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.
١٥٨- النعمي، هاشم سعيد. « تاريخ عسير في الماضي والحاضر »، مؤسسة الطباعة و الصحافة و النشر، بدون تاريخ.
١٥٩- النووي، أبو زكريا يحيى. « رياض الصالحين »، شرح صبحي الصالح، ط ٤، دار العلم للملايين، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
١٦٠- الهرفي، محمد بن علي. « الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي »، مط الفرزدق، الرياض، منشورات نادي الرياض الأدبي، توزيع مكتبة دار العلوم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٦١- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. « السيرة النبوية »، تحقيق مصطفى السقا، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦٢- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. « تاريخ اليمن ». مط حجازي. القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
١٦٣- وهبة، حافظ. « جزيرة العرب في القرن العشرين »، ط ٥، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
١٦٤- اليمني، حسن بن أحمد. « الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض ». تحقيق عبد الله بن علي بن حميد، لم ترد في هذا الكتاب معلومات للنشر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ثالثا: بحوث علمية لم تنشر.

١ - ابن خميس، عبد الله بن محمد. « الشعر يواكب الدعوة »، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٢ - آل زلفة، محمد عبد الله. « دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة ما بين (١٢٦٦/ ١٨٤٩ - ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م) في عهد الشريف عبد المطلب في ضوء الوثائق العثمانية »، بحث مقدم لمؤتمر الدراسات العثمانية العربية، والمنعقد في تونس (١٣ سبتمبر ١٩٨٢م).

٣ - سالم، عطية محمد. « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها »، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٤ - أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم. « خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب » من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٥ - عثمان، محمد فتحي. « السلفية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة »، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٦ - عويس، عبد الحميد. «أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر»، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٧ - محمود، علي عبد الحليم. «صلة دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب بمذهب السلف»، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

٨ - ناشر، أحمد عبده. «الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب»، من البحوث التي قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض (٢١/ ٤/ ١٤٠٠هـ - ٨/ ٣/ ١٩٨٠م).

رابعا : الدوريات:

١ - الأسمري، سعيد أحمد. لقاء «لقاء طريف مع أكبر معمر في المملكة»، مجلة البلاد، ع ٥٢، ١٢ (صفر، ١٣٩٣هـ)، ص ١٤ - ١٧.

٢ - الأنصاري، عبد القدوس. «مؤسس مدارس الجنوب»، مجلة المنهل، ج٥، س٨، (جمادى الأولى، ١٣٦٧هـ) ص ١٨٥ - ١٩٦.

٣ - باشميل، محمد أحمد. «حضرموت تعزي وتهني»، مجلة المنهل، س١٤، ج٤، (ربيع الثاني ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، ص ٢٧٠ - ٢٧٣.

٤ - البركي، محمد بن سعد. «بلجرشي، في سطور»، نشرة دورية مدرسية، تصدر عن مدرسة غامد المتوسطة، ص ١١ - ١٣.

٥ - الثور، عبد الله أحمد. «المذاهب والأديان»، جريدة الجمهورية،

ع١٤٩، ٢٩/ ٥/ ١٩٦٥م / ١٣٨٥هـ ، ص ٢ .
٦ - جرمانوس، عبد الكريم. « الأدب السعودي الحديث في مبادئ نشأته »، تعريب السيد أحمد علي، مجلة المنهل، ج٦، س١٣ (جمادى الثانية ١٣٧٢هـ)، ص ٢٧٩ - ٢٨٥ .
٧ - الحازمي، علي أبو زيد. « رجال العلم بضمد » مجلة المنهل، ج٤، مج٢١، (ربيع الثاني ١٣٨٠هـ)، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .
٨ - الحازمي، منصور إبراهيم. « معالم التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين »، مجلة الدارة، ع٢، س١، (جمادى الثانية ١٣٩٥هـ)، ص ١٠ - ٢٥ .
٩ - الحبشي، عبد الله محمد. « تاريخ الدعوة الوهابية من مخطوط يمني »، مجلة العربي، ج١، س٧، (رجب ١٣٩٢هـ)، ص ٢٨ - ٤٧ .
١٠ - الحبشي، عبد الله محمد. « لفحات الوجد من فعلات أهل نجد »، مجلة العرب، ج٩، ١٠، س ١٧، (الربيعان ١٤٠٣هـ)، ص ٧٤٤ - ٧٥٧.
١١ - الحبشي، عبد الله محمد. « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني »، مجلة العرب، ج٩، س٧، (ربيع الأول ١٣٩٣هـ)، ص ٦٨٠ - ٦٨٩ .
١٢ - الحبشي، عبد الله محمد. « مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني »، مجلة العرب، ج١٠، س ٧، (ربيع الثاني ١٣٩٣هـ)، ص ٧٨٠ - ٧٨٨.
١٣ - الحضراوي، أحمد. « الجواهر المعدة في فضائل جدة »، مجلة العرب، ج٩، ١٠، س ١٣، (الربيعان ١٣٩٩هـ)، ص ٦٧١ - ٦٨٦ .

١٤ - ابن حميد، عبد الله بن علي. «دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية»، مجلة العرب، ح١١، ١٢، س٩، (جماديان ١٣٩٥هـ) ص ٨٦٢ - ٨٦٦.
١٥ - الحكمي، أحمد بن حافظ. «الإمام محمد بن علي الشوكاني، أديبا شاعرا، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع ٧ (سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ٣١٣ - ٤٠٠.
١٦ - الحكمي، أحمد بن حافظ. «الشيخ حافظ الحكمي»، مجلة اليمامة، ع٢٤٢، س٦ (الجمعة ٢٧ محرم ١٣٩٣هـ) ص ٢٩.
١٧ - الحكمي، أحمد بن حافظ. «الشيخ حافظ الحكمي»، مجلة اليمامة، ع٣٤٣، س٦، (الجمعة ٤ صفر ١٣٩٣هـ)، ص ٣٠.
١٨ - الحكمي، أحمد بن حافظ. «الشيخ حافظ الحكمي»، مجلة العرب، ج٣، س٧ (رمضان ١٣٩٢هـ)، ص ٢٢٩ - ٢٣٣.
١٩ - الحكمي، أحمد بن حافظ. «الشيخ عبد الله القرعاوي»، مجلة العرب، ج٧، ٨، س ٨، (محرم وصفر ١٣٩٤هـ) ص ٥٢٣ - ٥٣٠.
٢٠ - رضا، رشيد. «بيان علاقتنا بالإمام عبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نجد»، مجلة المنار، ح١، مج ٢٨ (شعبان ١٣٤٥هـ) ص ١ - ٨.
٢١ - رضا، رشيد. «ذات بين الحجاز ونجد، أو الخرمة والوهابية والمتدينة» مجلة المنار، ح٥، مج ٢١، (ذو القعدة ١٣٣٧هـ)، ص ٢٢٦ - ٢٤٩.
٢٢ - رضا، رشيد. «السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة»، مجلة المنار، ج٨، مج ٢٩ (جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ)، ص٥٩٥ - ٦٠٧.
٢٣ - رضا، رشيد. «اليمن سبب فتنتها وإمام الزيدية فيها»، مجلة المنار، ج٣، مج ١١، (ربيع الأول ١٣٢٦هـ)، ص ١٧٦ - ١٨١.

٢٤ - الزهراني، حسين، « بلدة غران »، جريدة المدينة، ع ٥٤٥٢ (ربيع الثاني ٢٦/ ٣/ ١٤٠٢هـ)، ص ١٣ .
٢٥ - الزهراني، علي بن صالح . « ماذا تعرف عن بلاد زهران »، مجلة الرائد ع ٦٧، س ٢ (الإثنين ٦/ ١/ ١٣٨١هـ)، ص ٣٣.
٢٦ - السقاف، عبد الرحمن بن عبد الله . « حال المسلمين في حضرموت والإصلاح » مجلة المنار، ج٦، مج ٩، (جمادى الثانية ١٣٢٤هـ)، ص ٤٥٠ - ٤٥٢ .
٢٧ - السنوسي، علي بن محمد . « السماط الممدود في رباط المحبة والعهود ما بين الأدارسة وآل سعود »، نشر في مجلة المنهل، ح١، ٢، مج ٣٨، محرم وصفر ١٣٩٦هـ، ص ١١٣ - ١١٩، وفي ج٣، مج ٣٨، ربيع الأول ١٣٩٦هـ، ص ٢٠٦ - ٢٠٩ .
٢٨ - السنوسي، محمد علي . « الملك العصامي »، مجلة المنهل، ح٣، س ١٤، (ربيع الأول ١٣٧٣هـ) ص ٢٠٨ - ٢١٠ .
٢٩ - السنوسي، محمد علي . « والدي السيد علي السنوسي »، مجلة المنهل، ج١٢، مج ٢٩، (ذو الحجة ١٣٨٨هـ)، ص ١٧٠٥ .
٣٠ - السنوسي، محمد علي . « حوار مع الأستاذ الشاعر محمد بن علي السنوسي » جريدة الرياض، ع ٥٤٤١، (٢٦/ ٧/ ١٤٠٣هـ)، ص ١٣ .
٣١ - الشامخ ، محمد عبد الرحمن . « ملامح التجديد في الأدب السعودي »، مجلة الدارة، ع١، س ٥ (ربيع الثاني ١٣٩٩هـ)، ص ١٥٤ - ١٦٢ .
٣٢ - شفيق، سليمان . « بلاد العرب »، مجلة العرب، ج١٠، س٥ (ربيع الثاني ١٣٩١هـ)، ص ٩٠٨ - ٩١٤ .

٣٣ - شفيق، سليمان. « بلاد العرب »، مجلة العرب، ج١، س٦، (رجب ١٣٩١هـ)، ص ١٢ - ١٨.

٣٤ - شفيق، سليمان، « بلاد العرب »، مجلة العرب، ج٥، س٦، (ذوالقعدة ١٣٩١هـ)، ص ٣٥٠ - ٣٥٩.

٣٥ - شفيق، سليمان. « بلاد العرب » مجلة العرب، ج١١، س٦، (جمادى الأولى ١٣٩٢هـ)، ص ٨٤٥ - ٨٥٢.

٣٦ - شفيق، سليمان. « بلاد العرب » مجلة العرب، ج١، س٧، (رجب ١٣٩٢هـ)، ص ٥١ - ٥٨.

٣٧ - شفيق، سليمان. « بلاد العرب » مجلة العرب، ج٩، س٧، (ربيع الأول ١٣٩٣هـ)، ص ٦٧٦ - ٦٧٩.

٣٨ - الطاهر، علي جواد. « معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية »، مجلة العرب، ج٣، ٤، س١٤، (رمضان وشوال ١٣٩٩هـ)، ص ٢٢٧.

٣٩ - عبد الرحيم، عبد الرحمن. « قيام الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨م) وأثرها على مجتمع شبه الجزيرة العربية »، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع٢٥، س٧، صفر ١٤٠١هـ، ص ٦٥ - ٧٧.

٤٠ - ابن عبد الشكور، عبد الله بن علي. « من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى »، ج١١، ١٢، س١٠، (جماديان ١٣٩٦هـ)، ص ٨٠١ - ٨٦٨.

٤١ - العتمي، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. « كل بيت قصيدة »، مجلة المنهل ج٣، س١٤، (ربيع الأول ١٣٧٣هـ)، ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

٤٢ - عطاس، حامد. « التعليم في منطقة الباحة »، جريدة الجزيرة، ع٢٤٢٥، (الإثنين ٧/ ٤/ ١٣٩٩هـ)، ص ١٦.

٤٣ - العقيلي، محمد أحمد. « البهاكلة علماء المخلاف »، مجلة العرب ج٧، ٨، س٩ (محرم وصفر، ١٣٩٥هـ)، ص ٥٥٢ - ٥٦٢.

٤٤ - العقيلي، محمد أحمد. « آل الحكمي »، مجلة العرب، ج٩، ١٠، س٩، (الربيعان ١٣٩٥هـ)، ص ٧٨٥ - ٧٩٠.

٤٥ - العقيلي، محمد أحمد. « علماء آل شافع في صبيا »، مجلة العرب، ج١، س٧، (رجب ١٣٩٢هـ)، ص ٤٧ - ٥٠.

٤٦ - العقيلي، محمد أحمد. « من مشاهير المخلاف السليماني؛ الحسن بن خالد الحازمي »، مجلة العرب،، ج٣، ٤، س٩، (رمضان، شوال ١٣٩٤هـ)، ص ١٧٤ - ١٨٨.

٤٧ - العقيلي، محمد أحمد. « من أدب الدعوة في الجنوب »، مجلة الدارة، ع١، س٨، (شوال ١٤٠٢هـ)، ص ١٥١ - ١٦٤.

٤٨ - عقيل، محمد زارع. « جبل القهر في التاريخ »، مجلة المنهل، ج٤، ٥، مج٦، س٢٠، (ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٧٥هـ)، ص ٣١٢ - ٣١٣.

٤٩ - العمودي أحمد بن صالح. « مع رجال العلم والقضاء »، مجلة المنهل، ج٨، مج١٩، س ٢٣، (شعبان ١٣٧٨هـ)، ص ٣٦٩ - ٣٧٣.

٥٠ - غريب، محمد حسن. « حول ديوان نفحات من عسير »، مجلة المنهل، ج١١، مج ٣٥، س ٤٠، (ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٤هـ) ص ٩١٤ - ٩١٧.

٥١ - غريب، محمد حسن. « حول ديوان نفحات من عسير »، مجلة المنهل، ج٨، س ٤١، مج ٣٦ (شعبان ١٣٩٥هـ)، ص ٦١٠ - ٦١٥.

وهنالك حديث لهذا الكاتب «حول نفحات من عسير» لم ينشر، وقد أفدت منه في هذا البحث.
٥٢ - الغفيلي، صالح محمد. «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» مجلة الجندي المسلم، ع٢٠، س٦، (سنة ١٣٩٩هـ)، ص ٦٧ - ٧٢.
٥٣ - الفيفاوي، علي بن قاسم. «مصابك أدمى الفؤاد الحزين»، مجلة المنهل، ج٨، س٣٥، مج ٣٠، (شعبان ١٣٨٩هـ)، ص ١١٤٨ - ١١٤٩.
٥٤ - قاسم، ناصر. «مع رجال الفكر في صوامعهم»، مجلة المنهل، ج٤، س٢٢، مج ١٨، (ربيع الثاني ١٣٧٧هـ)، ص ٢٥١ - ٢٥٩.
٥٥ - قاسم، ناصر. «مع رجال الفكر في جازان»، مجلة المنهل، ج٦، مج١٩، س٢٣، (جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ)، ص ٢٢٧ - ٢٣١.
٥٦ - الكاف، سقاف علي. «رد وتحقيق وتمحيص على وثيقة تاريخ حضرموت»، مجلة الدارة، ع٣، ص٨ (ربيع الثاني ١٤٠٣هـ)، ص ١٧١ - ١٧٦.
٥٧ - الكتبي، أبو بكر خوقير. «خاتمة كتاب فصل المقال، وإرشاد الضال في توسل الجهال»، ج١١، مج ٩ (ذو القعدة ١٣٢٤هـ)، ص ٨٣٤ - ٨٣٠.
٥٨ - مجهول. «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب» عبد الله العثيمين، مجلة العرب، ج١، ٢، س١٣، (رجب ١٣٩٨هـ)، ص ٣٠ - ٣٥.
٥٩ - مجهول. «الشيخ محمد نصيف»، مجلة العرب، ج١، س٦، (رجب ١٣٩١هـ)، ص ٦٣ - ٦٥.
٦٠ - ابن مشيط، عبد العزيز بن سعيد. «ضيف الجزيرة»، جريدة الجزيرة،

س٢٠، ع٣٩٠٩، (الجمعة شعبان ١٤٠٣هـ)، ص٨.
٦١ - ابن ناشع، محمد عبد الله. « ابن دهمان الشخصية المشهورة »، مجلة صوت الظاهرة، نشرة دورية مدرسية تصدرها مدرسة الظاهرة المتوسطة ببني شهر، ع٢ (سنة ١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ) ص ١١ - ١٢.
٦٢ - نقشبندي، عبد الحق. « ذكريات لا تنسى: الرجبية بالمدينة »، مجلة المنهل، ج٨، س ٣٨، مج ٣٣ (شعبان ١٣٩٢هـ)، ص ٨٤٣ - ٨٤٥.
٦٣ - وفا، طلعت. « وادي نجران »، مجلة المنهل، ج٥، س٨، (جمادى الأولى ١٣٦٧هـ)، ص ٢٩٣ - ٢٩٧.

خامسا: الرسائل الجامعية

- الحكمي، أحمد بن حافظ. « الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني حياته وشعره »، بحث مقدم إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، لنيل درجة الماجستير، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

سادسا: فهارس المكتبات

١ - فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ح١ + ٢، إعداد محمد سعيد المليح، وأحمد محمد عسيوي، منشأة المعارف بالإسكندرية، توجد منه نسخة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، كما يوجد منه نسخة أخرى في مكتبة نادي جازان الأدبي.
٢ - فهرس المكتبة العقيلية الخاصة بجازان، مجموعة أوراق مكتوبة بالآلة الكاتبة، تحوي معلومات تفصيلية لما تضمه هذه المكتبة من

المخطوطات. إلى جانب القائمة المنشورة عن مخطوطات هذه المكتبة نفسها في: «بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين» مج٤، ص١٦٣١، مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.

سابعا: مراجع غير عربية مترجمة

١ - بركهارت، جون لويس (١٧٨٤ - ١٨١٧م)، «حقائق عن الوهابيين»، ترجمة: شحاته محفوظ، دارة الملك عبد العزيز، بدون رقم، ما زال مخطوطا في الدارة لم ينشر.

٢ - بول، ستانلي لين. «الدول الإسلامية»، نقله إلى العربية محمد صبحي فرزات، مطبوعات مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، بدون تاريخ.

٣ - بيرن، جاكلين. «اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم»، نقله إلى اللغة العربية قدري قلعجي، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٣م.

٤ - تماسيه موريس. «رحلة في بلاد العرب»، ترجمة محمد عبد الله آل زلفة، ما زالت الترجمة مخطوطة، ولم تنشر.

ثامنا: المقابلات الشخصية

قام كاتب هذا البحث بمقابلة هؤلاء العلماء والمشايخ والمعمرين والأهلين في: تهامة، وصنعاء، وعسير، ونجران، والرياض، ونحو ذلك:

م	الاســـم	المكـــان	التاريـــخ
١	البركي، محمد سعد	بلجرشي، غامد	٢٥/٧/١٤٠٠هـ
٢	الحازمي، أحمد عبد الفتاح	نجران	٨/٨/١٣٩٩هـ
٣	أبوحيدر، يحيى أحمد صالح	الرياض	١٨/٥/١٤٠٢هـ
٤	زبارة، أحمد محمد	صنعاء	١٧/١١/١٤٠٢هـ
٥	آل زلفة، محمد عبد الله	الرياض	
٦	الزميلي، عبد الرحمن عبد الله	عسير	٩/٧/١٣٩٩هـ
٧	ابن سنان، محمد أحمد	الرياض	٦/٧/١٤٠٣هـ
٨	السنوسي، محمد علي	جازان	١٨/٥/١٣٩٩هـ
٩	شرف الدين، أحمد حسين	الرياض	١/٤/١٤٠٢هـ
١٠	صوفان، علي عبد الله	نجران	٨/٨/١٣٩٩هـ
١١	العقيلي، محمد بن أحمد	جازان	
١٢	العمْري، عمر غرامة	الرياض	
١٣	عيسى، محمد (من أهالي الرجيع بجازان).	الرياض	
١٤	الفقيه، حسن إبراهيم	القنفذة	
١٥	الفيفي، حسن يحيى شريف	فيفاء	٤/٨/١٤٠٠هـ
١٦	النجمي، أحمد يحيى	سامطة	١٢/١٠/١٤٠٢هـ
١٧	هيجان، أحمد محمد	الشقيق	٦/٨/١٤٠٠هـ
١٨	الوزير، عبد الصمد بن محمد	صنعاء	٢١/١١/١٤٠٢هـ

الفهارس والكشافات

أولا: فهرس الآيات القرآنية :

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	الصفحة
التوبه	﴿ ... ويَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ... ﴾	٢٥	٢٦٨
	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ .. ﴾ .	١١١	٣٤٦
	﴿ ... فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ... ﴾ .	١١١	٣٤٦
	﴿ ... قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ... ﴾	١٢٣	٣٤٥
يونس	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .	٥٨	٣٠٥
هود	﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	١٨	٣٣٨
هود	﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ .	١١٣	٢٧٣
يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .	١٠٨	٢٧٣
الرعد	﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾	١٧	٢٥١
	﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .	٣٩	٣٣٩
الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .	٩	٣١٤
	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٢	٣٤٧

ثانيا : فهرس الأحاديث

ثالثا : فهرس الشعر (القوافي)

ثالثا : فهرس الشعر (القوافي).

رابعا : فهرس قوافي الشعر العامي

خامسا : فهرس المذاهب والفرق والطوائف ونحوها.

سادساً: فهرس القبائل والمواضع والبلدان والأسر ونحوها.

الألف

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ز

ص

١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٩،
١٦٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،
١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٤،
٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣،
٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤،
٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨،
٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٢،
٣١٣، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٧،
٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٨،
٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٩،
٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٥، ٤٤٧،
٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٣، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٧٢،
٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٩٣، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٥،
٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٩، ٥٥٦،
٥٨٠، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٦، ٥٩٧. ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠،
٦٠٢، ٦٠٦، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٧،
٦٥١، ٦٥٢، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨٢،
٦٨٤، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٤، ٧٠٢، ٧٠٣،
٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٧٢٥، ٧٢٩، ٧٣٥،
٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٨.

غ

ف

ق

ن

هـ

سابعاً : فهرس الأعلام.

الألف

ت

ث

ج

ح

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة